

الطالب مع الامط

الكتاب

المجلة العربية للعلوم  
جامعة أم القيوين

عمارة مكة المكرمة

كلية الدعوة والعلوم الدينية

د. عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن فيصل  
د. محمود قحطاني

د. أحمد الورد

١٧١٤



# الأسس العقديّة لطاهرة

## الرهيب

وموقف الإسلام منها

رسالة مقدمة لمنتدى الدراسات والبحوث الإسلامية  
قسم «العقيدة»



اعداد الطالب  
عمرو منيق الداعوق

استاذ

# محمد عبد الحميد

الأستاذ الدكتور

١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م



## المقدمة

الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا

وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله  
خير نبي اصطفاه ولهداية العالمين أرسله ، فجاء بالهدى ودين الحق ليظهره  
على الدين كله وكفى بالله شهيدا . فكان بين يدي الساعة بشيرا ونذيرا وداعيا  
الى الله بآذنه وسراجا منيرا ، فهدى بنوره خلقا كثيرا . وفتح بدعوته أعينا عميا  
وآذانا صما وقلوبا غفيا .

أما بعد ، فقد خلق الله عباده كلهم حنفاً ضييين لقبول هدايته ، مذعنين  
لأمره وإرشاده ، وذلك حينما أخذ عليهم العهد في عالم الذر ( وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ  
مِنَ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ، قَالُوا بَلَىٰ  
شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ) (١) .

إلا أن الشياطين إجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحل الله لهم وأمرتهم  
أن يشركوا به ما لم ينزل به سلطانا . (٢)

ولهذا كانت بعثة الأنبياء والرسل عليهم السلام إيقاظا لأصل الفطرة وإزالة  
ما طغى بها من غشاوة ، وإرشادا للخلق الى الخالق .

وجاءت بعثة محمد صلى الله عليه وسلم خاتمة الرسالات للعودة بالناس  
الى الايمان الصحيح ونهذ الشرك والالحاد بعد تمكن الجاهلية من عقول البشرية  
واستفحال أمرها ، وهكذا تكون رسالة السلم منوطة بهذا التكليف الرباني يحلها  
بأمانة وإخلاص نقية جليلة ليلها كنهها لا يزيغ عنها إلا هالك .

والناظر في أهم الأسباب الموجبة لانصراف الناس عن أصل الفطرة السليمة  
يجد في قمتها فئة غير قليلة من شياطين الإنس قد استمرأت جريمة الاجتيال وابتدعت  
حرفة الضلال والاضلال ، فعلمت جاهدة عبر تاريخها على الوقوف في وجه الحق  
وعدم وصوله الى الناس بشتى الوسائل ، حفاظا على مصالحها ومناصبها وابقاء طمس  
امتيازاتها ومكاسبها .

١ - الاعراف : ١٧٢

٢ - أصل الحديث في صحيح مسلم بشرح النووي ١٧/١٩٧ ط ١٣٤٩ هـ

ومن يرد حصر هذه الفئة وقوفاً على أهدافها وأعمالها وفائدتها . يجد طائفة مستترة بالدين . إما لتبذل عرضاً نبوي أو للحصول على منصب ديني يمكنها من بسط نفوذها وجبروتها على الناس . وأكل أموالهم بالباطل وابتزازهم بالاثم والعدوان .

لقد عرف التاريخ السحيق فئة من الكهنة والاحبار والرهبان وقد سجل عليهم فضائح مهلكة وجرائم مخزية .

ويأتي القرآن الكريم ليلفت الانظار الى ظاهرة هذا الابتزاز الأثيم . فيقول الحق جل شأنه . ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْيَارِ وَالرَّهْبَانِ لَيَأْكُونُ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَهُمْ لَا يَدْرُونَ سَبِيلَ اللَّهِ . . . ) (١)

وارتكاب هذه الجريمة الشنيعة تابع بلا شك من الأسس العقدية المنحرفة التي سوف تلهم التعدي على حرمة الله ، وأتاح لهم الفرصة لنيل ما رهبهم وتحقيق أهدافهم . وفي غياب الوازع الديني والأخلاقي يصبح تنفيذ الجرائم أمراً مائتفاً وعلاً شائعاً . ومع الأيام تصبح هذه الظاهرة المخزية جزءاً من مظاهر المجتمع بل سمة أساسية له وقانوناً يتوارثه الخلف عن السلف .

والإشارة القرآنية الصادرة رآها الناس سابقاً . ورونها اليوم حقيقة طائفة امام العميون . وتتأكد هذه الحقيقة من خلال تجارب كثير من طوائف أهل الكتاب ورجالاتهم . كالراهب النصراني " أنسلمو ترجميداً " ( ٨٣٢ هـ ) الذي أسلمهم وهاجر من اسبانيا الى تونس وعرف فيما بعد باسم عبد الله الترجمان (٢) . وقد فضح القصص والرهبان بكتاب النفيس " تحفة الارب في الرد على أهل الصليب " وبين عقائدهم وأساليبهم مع الناس . وكذلك العالم النصراني الذي أسلم " نصرين يحيى السطيمب المهدي (٣) . إضافة الى العديد من أشرفت عليهم شمس الهداية قديماً وحديثاً فعرفوا الحق واتبعوه ونبذوا الباطل واجتنبوه .

هذه الاعتبارات وغيرها دفعتني الى ضرورة البحث في أصل وأصول الرهبنة للوقوف على الآثار العقدية السلبية التي خلفتها . وما نجم عنها من مطالب خاصة وان الله تبارك وتعالى قد كشف هذه الحقيقة حينما أشار بانها طريقة مبتدعة . يقول الحق تبارك وتعالى ( . . . وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا . . . ) (٤) بل ان تلبيس هؤلاء على الناس جعلهم يتخذون :

١ - التوبة : ٣٤

٢ - انظر ترجمته ص ٣١٧ من هذا البحث .

٣ - له كتاب اسمه " النصيحة الايمانية في فضيحة الطبة النصرانية " بين فيه عوراً يومئذ به النصراني . وقد اهتدى الى الاسلام بحمد الله تعالى . وحقق كتابه مؤخرًا في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

٤ - الحديد : ٢٧

( أَحْبَارُهُمْ وَرَهْبَانُهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ . . . ) ( ١ )

ولا جدال أن هذه الظاهرة قد لعبت دورا خطيرا في حياة الناس  
وما لا شك فيه كذلك أن كثيرا من الأحرار والرهبان قد أساءوا واستغلال الانسان  
في ماله وعقيدته ، كما أن الكثير منهم لم يستطع الوفاء بما التزم به ، كما أخبرنا  
الله تعالى في كتابه العزيز .

ولكن العجيب الغريب حقا أن نجد في هذا العصر - عصر العلم والحضارة -  
من يدعو اليها نظرا لان العلم قد خيب آمال الانسان وأضحى مهددا لوجوده .  
ومن هنا رأيت الفرصة مواتية لابرار ورهينة عبر التاريخ وتجليئة  
موقف الاسلام منها ومن صورها المختلفة . آمل أن يكون في هذا تبصرة  
لهؤلاء وأولئك بالتمييز والنفع الاسلامي الذي يمكنهم من الانتفاع بالاتباع .

ان دراسة موضوع الرهينة عبر التاريخ وموقف الاسلام منها يكشف  
صفحة وضاعة من صفحات الاسلام ، وما أكثرها . وذلك ليقرر الجيـ  
ففي هذا العصر بالحقيقة الكبرى القاضية بأنه لا نجاة ولا راحة ولا سعادة الا  
باتباع الاسلام . الذي يهدي الناس الى العقيدة الصحيحة :  
( إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ) ( ٢ )

لقد جاء هذا الدين لا يقاط البشرية من وهدة الغفلة واخراج الناس  
من الظلمات الى النور . فأطاط اللثام عن تقليد الآباء والاجداد ، ودعا  
الى نيل عبادة العباد ، والتسك بعبادة رب العباد .

فأضامت شمس رب السالكين ، ومحا ضوءه ليل البائسين واهتدت بهديه  
خلائق كثيرة ، وتعلقت بأهدابه أم عديدة . ولهذا لم يعد مجال لانكار هذه  
الحقيقة ، وما على المعاندين سوى التسليم بها ، قاله تعالى يقول ( وَمَنْ يَبْتَغِ  
غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ) ( ٣ )

١ - التوبة : ٣١

٢ - ال عمران : ١٩

٣ - ال عمران : ٨٥

إن هذه الدراسة ستكشف أبعاد ظاهرة خطيرة هددت كيان الأمم القديمة لما أحدثته من بدمع عقديّة وأنظمة سلوكية لا تمت إلى الدين الحق بصلة ، وكانت من أهم أسباب زوال الحضارات القديمة ، كما هددت الأمم الغربية التي عاشت في العصور الوسطى وقادت بها إلى الحروب والدمار خاصة ما حصل في أوروبا أثناء حكم البابوية .

كما أنها هددت شعوب الهند سابقا وأبقتنا إلى اليوم رازحة تحت شدة الفقر والدمعة نتيجة للسلبية الغالبة على المجتمع والطبقية المهيمنة على الناس . وتهدد الرهينة في العصر الحديث أما كثيرة ، فمنظمتها ليست ثوباً جديداً وأخذت تنتشر في العالم الغربي نتيجة الخواء الروحي الذي يعاني منه الغرب بصورة خاصة ، فالرهينة البوذية والهندوسية وإتباع كرشنا وغيرهم تأخذ قسطاً وافراً من اهتمام الضامعين في لجاج الحياة المادية .

كما تهدد الرهينة العالم الإسلامي عبر وسائلها الحديثة المتمثلة بالتبشير الذي يتحرك ضمن خطط موضوعة لأهداف مرسومة من قبل سلطة الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي وغيرها .

وتجلى الصورة الخطيرة في استغلال المؤسسات التبشيرية لحالات الفقر والجوع في العالم الثالث خاصة الهند والباكستان والبنغال والقطر الذي أصاب إفريقيا تنفيذاً لخطط التنصير .

كذلك يأخذ التفلفل النصراني دوره في دول الخليج العربي ومصر وسائر الشام وغيرها من أقطار العالم الإسلامي .

ولا يخفى على أحد أن الإستعمار الغربي بات يستغل هذه المؤسسات في تنفيذ خطته الرامية إلى إخضاع الدول لسيطرته الاقتصادية والعسكرية والثقافية . وحيث إن الرهينة هي العمود الفقري لحملات التبشير والمنفذ الحقيقي لهذه الخطط لذا يجب القاء الضوء عليها وكشف مآثرها ورائها .

ولما كانت الرهينة تمثل في رأى البعض سلماً أخلاقياً ، لذا فقد أردت بيان قصر هذا الفهم ، وإثبات أن هذا السلوك وإن نم عن مبدأ أخلاقي في الظاهر إلا أنه يحل في طياته كثيراً من العقائد ذات الصلة المباشرة بالحياة التي يمشيها الرهبان وإن كثيراً من العقائد المغالية كالطلول والاتحاد ووحدة الوجود قد تحولت إلى أسس عقديّة للديانات المختلفة سواء الوضعية منها أو تلك التي ينتحلها أهل الكتاب .

وسوف تتضح هذه الحقائق من خلال استعراض أبواب وفصول البحث ان شاء الله تعالى ، كما تتجلى أيضا أضرار الابتداع في الدين ومدى الأثر العظمي الذي أحدثته هؤلاء المبتدعون .

وللوقوف على أسباب وجود هذه الظاهرة الخطيرة في الشرائع السابقة للإسلام ، كان لا بد من دراسة العوامل الموضوعية الموجبة لظهور طبقات رجال الدين ، كالكهننة وغيرهم عبر العصور المختلفة ، وكيفية تكوين هذه الفئة ومدى ما أحدثت تطورها من مفاهيم وأراء ، . وهذا يقود بدوره الى دراسة المجتمعات الأولى التي ظهرت فيها نواة الرهبنة ، كالديانة المصرية القديمة ، وديانة الدرافيديين سكان الهند الأصليين ، ومن ثم تتبع هذه الفئة عبر التاريخ ، وكيفية انتقالها الى الامم الأخرى .

ووفق ذلك كان من المحتم دراسة العوامل الذاتية المؤدية الى معرفة النتائج الفكرية والعقدية لدى تلك الفئات وما تمخض عنها من مبادئ دينية اتخذت فيما بعد أصولا وأساسا لتلك المجتمعات .

كما ان دراسة الآثار السلوكية الناجمة عن العقائد السائدة ضرورة لاستكمال جوانب البحث ، وهي تأخذ حيزا كبيرا من نشاط الرهبان ، وتنعكس بالتأليسي أثر العقيدة في هذا الجانب .

ودراسة هذه الظاهرة وفق الكيفية التي توخيت نهجها في هذا الموضوع ستتيح الفرصة للوقوف على النتائج التي تمكن البحث من بلوغ هدفه .

وطى المسوم فان هذا البحث يعتبر من الوجهة العلمية ، قديم قدم الحضارات البدائية الأولى ، حديث حداثة الأديرة والكنائس التي لا تزال تشاهد الى يومنا. والرهبان الذين لا يزالون يمارسون حياتهم وفق منهجهم الذي وضعوه بأيديهم .

فهو والحالة هذه جديسربان يلقى عناية ودراسة مستفيضة لتعلقه بأخطر ظاهرة عقديّة وسلوكية وجدت في التاريخ ولا تزال الى يومنا هذا تنخر في جسم البشرية وتفت من عضد الشعوب وتأسكها .

ولقد واجهتني مصاب وشاكل جمة في اعداد الرسالة .

. وقد تمثلت بمرحلتين هامتين .

الأولى : وهي ضرورة القيام برحلة ميدانية للوقوف على المعارف والمعالم

المتعلقة بالرهينة .

اما الثانية فقد تمثلت بتدرة المراجع والمصادر المختصة بهذا الشأن .

ومن اجل الفرض الاول فقد قمت برحلة عظيمة الى ربوع الهند مهد الرهينة في الديانات الوضعية ، حيث استطعت الحصول على بعض المصادر الضرورية بمساعدة الأخوة القائمين على الدعوة الاسلامية هناك كمركز الجماعة الاسلامية في دلهي والجامعة السلفية في بنارس . وقد لقيت فيها كل ترحيب ومساعدة فاقت تصوري . ومن خلال تلك الرحلة استطعت الوقوف على كثير من المعلومات الخاصة بالديانات الثلاث : الهندوسية والجنينية والبودية . و حاورت عددا من اساتذة الجامعة الهندوسية في بنارس ووضحت لهم عور العقائد والعبادات التي يعكفون عليها . كما أقيت محاضرة في نفس الجامعة أبرزت فيها فضل الاسلام على بقية الأديان واثره فيها وقد حضرها عدد من اساتذة الجامعتين السلفية والهندوسية وبعض من الرهبان البوذيين .

ومن خلال الجولات الميدانية العديدة لاحظت مدى انطباق الحياة الدينية

على ما جاء في مؤلفات الباحثين في مجال مقارنة الأديان . وأشد ما يدهش المرء هناك بقاء العبادات القدرية كما هي لا تغيير فيها ولا تبدل فتماثيل ( اللينغا ) التي تعبر عن عبادة الاعضاء التناسلية لكلا الجنسين لا زالت الى اليوم تعرض في الاسواق بصورة عظيمة دون خجل أو حياء . كما أن عطية إحراق الموتى على ضفاف نهر الغانج والقاء البقايا فيه صورة من تلك الصور التي رأيتها هناك . وأن ممارسة اليوغا على تلك الضفاف لا تزال الى اليوم يمارسها الرهبان الهندوس . كما أن الطقوس والشعائر التي يقوم بها الرهبان البوذيون لا زالت الى يومنا تقام وقد رأيت جانبا منها في "سارنات" إحدى ضواحي بنارس وخروج بعض الرهبان عرايا دون لباس يوارى السوء . مظهر من المظاهر الموجودة لدى الرهبان الجينييين الآخذين في الزوال . بسبب شدة الممارسات التعبدية .

أما الثانية : فان المراجع والمصادر المختصة كما اسلفت قليلة ونادرة

فالحديث عن الرهينة في العالم متناثر ومجتزأ بين طيات بعض الكتب . إلا أنه يندر وجود مؤلفات عربية مستقلة تتحدث عنها كظاهرة دينية لها عقائد ومبادئها وأهدافها . اللهم الا بعض المؤلفات التي تحدثت عن الرهبانية المسيحية كحالة منفردة عن البقية . ويؤزراد الأمر صعوبة بوجود بعض المخطوطات العربية . التي تتحدث عن الرهبان منها ما يرجع الى كتب تعود الى التراث الاسلامي<sup>(١)</sup> وهي قليلة ولا يعسر مكان وجودها ومنها ما يرجع

١ - من هذه المؤلفات:

- كتاب الرهبان - لابراهيم بن عبد الله بن الجنيد الخثلي ( ٢٦٠هـ - ٨٢٤م ) محدث حافظ زاهد ، بغدادى سكن سرمن رأى وحدث بها . من تصانيفه : الزهد : المحبة الخوف والورع ، الرهبان . . . ترجمته في : سير اعلام النبلاء ٢٩١/٨ مخطوط و : الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٢٠/٦ ) معجم المؤلفين ١/٥١-٥٢ - عمرضا كحالة



الى بعض الرهبان المسيحيين (١).

ولهذا فقد تقدمت العزم على التضي والسعي قدماً لـ أجل الحصول على قدر كاف من المصادر التي تمكنني من اتمام البحث على الوجه اللائق . ونتيجة التقصي تكنت بفضل الله تعالى وكرمه من العثور على بعض المصادر الهامة والضرورية في هذا الشأن .

= ومنها : كتاب الرهبان لمحمد بن الحسين البرجلاني ( ٢٣٨ هـ - ٨٥٢ م ) كان متصوفاً ومحدثاً سمع منه ابراهيم بن عبد الله ابن الجنيد وابن ابي الدنيا وتوفي سنة ٢٣٨ له كتاب الكرم والجود وسخا النفوس . ترجم له : ابن النديم في الفهرست / ١٨٥ وتاريخ بغداد ٢٢٣-٢٢٢ / ٢ . وميزان الاعتدال ٤٦ / ٣ ) تاريخ التراث العربي مجلد (١- الجزء ٤) فؤاد سزكين ت : د . محمود فهيم حجازي عن ١١١-١١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية الرياض وانظر كذلك كتاب : الحافظ الخطيب البغدادي واثره في علوم الحديث د . محمود الطحان ص ٢٨٢ تحت كشف باسما الكتب التي ورد بها الخطيب البغدادي دمشق من روايته واسما بعض مصنفها . دار القرآن الكريم بيروت ط ١ - ١٤٠١ - ومنها : كتاب الرهبان لمحمد بن زيد الاسلي : يرويه عن ابي القاسم الذكواني عن ابي محمد بن عثمان عن ابي طي الشعمراني عنه ( التحبير في المعجم الكبير للامام سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني التميمي . ت : خير ناجي سالم ٨٢ / ٢ مطبعة الارشاد بغداد ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ )

ومنها : كتاب الرهبان لمحمد بن زيد أوردته ابن حجر في : المعجم المفهرس ( مخطوط ) ص ٦٨ نسخة صورة عن دار الكتب المصرية . ميكروفيلم موجود في مركز البحث العلمي بجامعة ام القرى تحت رقم ٧٥٤ .

- ومنها : كتاب أخبار الرهبان ومواظبهم لأبي القاسم تمام بن محمد الرازي ( ٣٣٠-٤١٤ هـ - ٩٤١-١٠٢٣ م ) وهو من محدثي دمشق ومن آثاره : فوايد في الحديث وأخبار الرهبان ترجمته في : هدية العارفين للبغدادي ٥ / ٢٤٥ ط ١٩٥١ ، ومعجم المؤلفين ٣ / ٩٣ . ولد ذكر ابن حجر هذا الكتاب في : المعجم المفهرس ( مخطوط ) ص ٦٨ . وانظر كذلك : الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ص ١٠٨ . مطبعة الترقى دمشق - ١٣٤٩ هـ . عني بنشره القدسي . كما ذكره كوركيس عواد في مقدمته لكتاب الديارات للشايبوشي ص ٤٦ . منشورات مكتبة المثنى ومطبعة المعارف بغداد ١٣٨٦ هـ . كما ذكره الكتاني في الرسالة المستطرفة ص ٧١ ط مكتبة الكليات الازهرية . القاهرة .

١ - من هذه الكتب : كتاب الامراض العارضة للرهبان لابي الحسن المختار بن الحسن ابن عبدون ( ت ١٠٦٣ م ) ذكره لويس شيخو في المخطوطات العربية لكتبة النصرانية المنشورة في مجلة المشرق ٢٠ / ٦٢ . تصدر في لبنان . أعيد نشرها في ألمانيا ١٩٨٠ . كما أوردته كوركيس عواد تحت اسم كناش الاديرة والرهبان ( مقدمة كتاب الديارات ص ٤٦-٤٧ . كما ذكره عبد السلام هارون في : نوادر المخطوطات . المجموعة الرابعة ص ٣٤٥-٣٤٦ ط ١٩٧٣ م

= ومنها - بستان الرهبان لصفريوس بطريرك اورشليم المكنى بقم المسيح ( ت : ٦٣٨ م ) وصحح لويس شيخو اسم الكتاب باسم بستان الرهبان أو فردوس الرهبان . وقال : ان هذا الكتاب ليهوحناس (موسخوس) المشرق ٢١ / ٣٧٢ . كما ذكره عواد في مقدمة الديارات ص ٤٨ وقد وجدت نسخة مطبوعة تحت اسم بستان الرهبان لآباء الكنيسة القبطية طبع بمصر ط ٢ بني سويف البهنسا

= ومنها - كتاب السيرة الرهبانية للخورى بطرس ايكونومس التولوى (ت ١٧٤ م) المشرق ٢٠ / ٤٨ ومقدمة الديارات ص ٤٨

ومنها - تعليم الرهبان لمؤلف مجهول توجد منه نسخة في خزانة الاب بولس سباط ( مقدمة الديارات ص ٤٧

= ومنها الرهبان ودياراتهم لمؤلف مجهول ( مقدمة الديارات ص ٤٧ . ومنها كذلك رسالة في ترتيب

الرهبان ليهوحناس السراهب المتسك الروماني ت (٤٣٣ م) المشرق ٢١ / ٧٥٢

إضافة الى ذلك هناك كتب مطبوعة بالعربية ، اذكر هنا أهم ما اعتدت طبعه  
فيها خلال هذا البحث وهي :

كتاب " نسكيات " لاسحق السرياني وهو قد يسم طبع حديثاً في لبنان  
وكذلك كتاب بستان الرهبان لابا\* الكنيسة القبطية طبع في مصر .

اما الكتب الحديثة فهي كثيرة وقد اعتدت طبع بعضها . منها :

- كتاب العيشة الهنية في الحياة النسكية ، للاب افرايم الديراني احد مدبري

الرهبانية الحلبية الطارونية اللبنانية . سنة ١٨٩٩ م

- والحياة الرهبانية ، لرهينة مار جاورجيوس دير الحرف ، طبع في لبنان ١٩٨٤

- وغلاصة التصوف المسيحي . لادولف تانكرة طبع في لبنان ١٩٥٧ م .

- و التنظيم الرهباني في الكنيسة الطارونية ، للاب يوسف محفوظ طبع في لبنان  
ط ١٩٧٠ م .

- والعبادة المسيحية ، للارشمندريت الياس ، طبع في لبنان سنة ١٩٨١ م

ومجموعها يتحدث عن القوانين الدبرية وطرق العبادة وفلسفتها والطقوس والشعائر  
وغرها .

اما بقية الكتب التي تتحدث عن الاديان الوضعية وعقائدها فليست هناك  
مؤلفات مستفيضة في هذا الشأن لذا فقد اعتدت طبع الكتب التي تتحدث عن  
العقائد والديانات خاصة ما يتعلق بالهندية والبوذية والجيئية ككتاب " شيري ايشو  
بانيشاد . أ . س . بكطي فيدانتا . مطبوع سنة ١٩٧٤ وكتاب نوسوتتي كتاب الهندوس

القدس طبع في بيروت . ولا يغوتني في هذه المجالة ذكر كتاب العالم والمؤرخ  
السلم أبي الريحان البيروني " تحقيق ما للهند " فقد كان فريداً في بابها وقد اعتدت  
طبعه في الجوانب المتعلقة بالعقائد الهندية وطقوسها . الخ .

واني اعترف ان هذا الموضوع المتشعب لا يمكن أن يوفى حقه بمؤلف واحد  
لكثرة أبحاثه ومباحثه المتنوعة ولتعلقه بالعقائد والطقوس والشعائر والقوانين الدبرية  
والعادات والتقاليد والاخلاق والمعاملات وما الى ذلك وهذا ما يترتب عليه دراسة  
جميع الكتب التي تتناول هذه المواضيع لدى جميع النحل التي تعتنق أسلوب  
الرهبنة في العالم ما يصعب والحالة هذه حصره في كتاب واحد .

لهذا فقد اخترت الجانب العقدي من هذا الموضوع لالتماقه بالنسب التخصصي  
الذي توخيته وقد حاولت قدر استطاع طبع الجوانب المتعلقة به ودراسة آثاره وربطها  
بالقوانين الرسمية . وذلك بعد استعراض عوامل النشأة معتداً على المنهج الموضوعي  
التحليلي النقدي والتاريخي . . . وقد قسمت الموضوع الى : مقدمة ، وتمهيد وسبعة

ابواب :

اما المقدمة : فقد تحدث فيها عن اهمية الموضوع ، وهدفه ، واسباب  
اختياري له .

وقد اشتمل التمهيد على : تحليل للرهينة لغة واصطلاحا ، واهمية الجانب  
العقدى في التعريف الاصطلاحي ، وتطرق الى عوامل الخوف والرهبنة في الحياة  
البشرية طارا بأهم النظريات الباقية في نشأة الدين واثره . وبينت رأى الاسلام  
في هذه القضية .

كما اشتمل الباب الاول على : الرهينة المصرية القديمة وقد قسمته الى  
ثلاثة فصول : تحدث في الفصل الاول : عن العقائد المصرية البدائية  
وتطورها وكيف انتقلت من عبادة الظواهر الطبيعية الى عبادة الحيسوانات  
وصولاً الى تأليه البشر ، والاسباب الكائنة وراء ذلك . وتطرق الى عقيدتي اليوم  
الاخر وتتاسخ الارواح عندهم .

اما الفصل الثاني : فقد تحدث فيه عن بواذر نشأة الكهان والرهبان وبينت  
اهمية الكهنة في ذلك المجتمع وبواعث نشأتهم والصور الاولي للتمثل وهدايات الرهينة  
والظواهر التعبدية فيها .

اما الفصل الثالث : فقد تحدث فيه عن مبادئ الرهبان وطوبهم وطبقاتهم  
وتطرق الى اوصافهم كما اورد ها بعض العطاء . وتحدث كذلك عن حصر العلوم وفنون  
المعرفة بهذه الفئة واستغلالها في تنفيذ الطارب .

وانتقلت للمحدث عن طبقات الكهنة ومهامهم والامتيازات والمخصصات التابعة  
لهم وقارنت بين الاهداف والنتائج الناجمة عن اعمال الرهبان ، وبينت ان هذه الرهينة  
كانت مقدمة لمن جاء بعدها .

اما الباب الثاني : فقد تحدث فيه عن الرهينة الهندوسية وقسمته الى تمهيد  
وخسة فصول .

اما الفصل الاول فقد تحدث فيه عن العقائد الهندوسية المتصلة بالرهينة  
فتكلمت عن تعدد الالهة والتطهيرات والكارما وتتاسخ الارواح والاتحاد والحلول ووحدة  
الوجود وقت بنقدها وتنفيذ حججهما .

اما الفصل الثاني : فتحدث فيه عن الفرق الدينية والهادر الهندوسية  
فتعرضت للفرق التي نشأت والكتب التي يعدسونها وقوانين مانو ذات الاهمية  
في هذا الشأن .

اما الفصل الثالث : فقد تحدث فيه عن نظام الطبقات الذي لا يزال قائما  
الى يومنا هذا وكيفية نشأته وتقسيماته والفوارق الطباقية فيه وقت بتنفيذ ه وبيان مطالبه  
وآثاره السيئة وبينت كذلك أثر استغلال الهندوس له في تهريب وجودهم وهينة البراهمة  
كطبقة طاقية على بقية الطبقات الاخرى .

١٤ الفصل الرابع : فقد تحدث فيه عن نظام الرهبنة الهندوسي وما يتخلله من مبادئ وصور وتطورت الى المراحل التي يمر فيها الفرد اثناء حياته وكيفية تنقله من مبدى الى رب أسره ثم الى متدرج في الرهبنة وكيف يحل بعدها الى ساكن الغابة وهي أطسى مرتبة من سابقتها .

ثم بينت في الفصل الخامس : النتائج التي آلت اليها الرهبنة الهندوسية .

١٥ الباب الثالث : فقد تحدث فيه عن الرهبنة الجينية ، وقد مهدت له بذكر اسباب النشأة وموسس الحركة الذي استطاع ان يشق الطريق ضد الهندوسية ويتردد عليها ويؤسس ديانة جديدة .

١٦ الفصل الاول : فقد تكلمت فيه عن أهم العقائد الجينية وما يتصل بها من الرهبنة فتحدثت عن انكارها لالهية وان حركته كانت ردة فعل تجاه الهندوسية الطاغية كما تحدثت عن مبدأ الكارما وتناسخ الارواح والفرق بينها وبين الهندوسية في هذا الشأن والنظرية النسبية وفرضية المادة الذرية ومبدأ الخلاص وقت بتفنيده تلك العقائد وبينت مورها .

١٧ الفصل الثاني : فتعرضت فيه للعبادات الموصولة للخلاص وبينت فيه أهمية اليوغا في الرهبنة وقانون "أهسا" والبعد عن النساء وتطور وتبدل الأنظمة في الرهبنة .

١٨ الفصل الثالث : فتحدثت فيه عن الفرق الجينية وتطورات الرهبنة والانقسام الحاصل من جراء الهجرة التي طرأت على هذه النحلة .

١٩ الفصل الرابع : ففيه الحديث عن النتيجة التي آلت اليها الرهبنة الجينية وما وصلت اليه من حالة أدت الى تخلي الجينيين عن مبادئهم والتزام مبادئ قائمة على امتياز الناس وأكل أموالهم بالباطل .

٢٠ الباب الرابع : فقد تحدثت فيه عن الرهبنة البوذية وقسمته الى تمهيد وثلاثة فصول : ١٥ التمهيد فقد تحدثت فيه عن المصادر البوذية التي تحدثت عن حياة بوذا وتناولت مبادئه والآراء المختلفة التي دارت حول شخصيته .

٢١ الفصل الاول : فقد تحدثت فيه عن العقائد البوذية وبينت الاسباب الكامنة وراء انكار الالهية كما تناولت موضوع الكارما وتناسخ الارواح والنيروفانا ومبدأ التفسير الدائم وصلته بالفكر اليوناني القديم وكذلك تحدثت عن اليوغا وأهميتها عندهم وقت بتفنيده ونقد تلك العقائد .

٢٢ الفصل الثاني : فتحدثت فيه عن التطور في البوذية ونشأة الفرق ، والجانب العملي والفكري وترتيب رجال الكهنوت وكيفية دخول النساء في السلك الرهبانسي والمجامع البوذية .

الفصل الثالث : فتحدثت فيه عن النتائج ونقد أسس الرهينة اليهودية وهيننت  
الساوي التي تنطوي عليها .

الباب الخامس : فيه الحديث عن الرهينة اليونانية السقديية وقسته الى  
تمهيد واربعة فصول .

الفصل الاول : تناولت الديانة والعقائد و دور الكهان ودايات الزهد والرهبنة  
وهينت على انتشارها ،

الفصل الثاني : فيه الحديث عن العبادات وصورها ومدارس الزهد فيها  
والممارسات التعبدية والطقوس والشعائر واثر الرهينة في المدارس الزهدية والفلسفية  
وفي الفصل الثالث : تحدثت عن أهم المدارس الزهدية كمنحلة ارفيوس وفيثاغورس  
وايزيس وتراتس وهينت صلة الرهينة بها .

الفصل الرابع : بينت فيه اثر الرهينة في الفلسفة اليونانية ، وكيفية انتقال  
الفلسفة الى المسيحيين واعجابهم بها واعتاد هم عليها .

الباب السادس : فالحديث فيه عن الرهينة اليهودية

وقسته الى تمهيد وتسعة فصول :

تحدثت في التمهيد عن بدايات الكشف عن فرقة القمرائيين أو " الاسينيين " ،  
وتعرضت للخلاف حول تسميتهم وكذلك الاماكن والاثار والمخطوطات المكتشفة الخاصة  
بهم ، والمحاولات التي قامت للتعرف على تاريخهم وهويتهم .

الفصل الاول : ففيه الحديث عن الحالتين السياسية والدينية في عهد  
اليونان والرومان . واثرها على وضع اليهود .

الفصل الثاني : فيه الحديث عن العقائد اليهودية ونقدها وتعرضت فيه  
لموقف اليهود من الالهية والانبياء والرسل وعقيدة اليوم الاخر .

الفصل الثالث : فيه الحديث عن اسفار اليهود المقدسة عندهم ونقد هـا  
وتعرضت لتقسيم التوراة وتاريخ التأليف والتدوين واللغة .

الفصل الرابع : تكلمت عن رجال الدين اليهود من كهنة وكتبة وهينت دورهم  
في المجتمع اليهودي وأثره

الفصل الخامس : ففيه الحديث عن الفرق اليهودية وقد احصيت فيه خمس  
فرق قديمة كانت موجودة اثنا نشأة القمرائيين .

الفصل السادس : تناولت فيه عقائد القمرائيين واختلاف العلماء حول هـذا  
الموضوع وهينت فيه ان هذا الموضوع لا يزال يكره ويحتاج الى مزيد من الوقت للوقوف عليه  
واعطاء الحكم النهائي فيه .

الفصل السابع : فتناولت فيه عباداتهم وبعض طقوسهم -

الفصل الثامن : ففيه الحديث عن الانظمة والعبادات والعبادات .

الفصل التاسع : نقدت فيه العبادات والانظمة وهينت الترابط بين رهينة

القمرائيين والجماعات اليونانية وانها تعتبر صلة وصل  
بين الاديان الوضعية واهل الكتاب .

اما الباب السابع : ففيه الحديث عن الرهبانية المسيحية خاتمة السلسلة -  
وفيه تمهيد وتمعة فصول .

الفصل الاول : فيه الحديث عن العقائد المسيحية ونقد هاوتحدثت عن أسس  
هذه العقائد ومدلولات التثبيث عند النصارى وملابسات حول الابوة والبنوة كما بينت  
خطأ هذه المفاهيم .

الفصل الثاني فيه الحديث عن العوامل المؤثرة في انحراف العقائد النصرانية  
فمنها العوامل السدائية التي ادت الى اختلاف النصارى حول المسيح عليه  
السلام ورسالته وكذلك العوامل الخارجية واثار الفلسفات والاديان الوضعية فسي  
النصرانية كما تحدثت عن الجهة المستفيدة من هذا الانحراف وبينت دور الرهبان  
في ذلك .

الفصل الثالث : فيه الحديث عن الاسس العقدية المتصلة بالرهبانية كالصليب  
والفداء والحلول والاتحاد ، وكيف اتخذت هذه العقائد كستند لتبرير حياتهم  
وقوانينهم الخاصة . ونقدت هذه الاسس .

الفصل الرابع : فيه أثر الانحراف العقدي على نظرة الرهبانية الى النفس  
البشرية ، وموقفها من الزواج والمرأة واثربولس في هذا الشأن . وقامت  
بمناقشة هذه النظرة وبينت موقف الاسلام من هذه القضايا .

الفصل الخامس : فيه أثر الاضطهادات في نشأة الرهبانية وبيان كيفية  
النشأة الاولى ومفهوم اتباع المسيح الاول للشهادة . وكيفية الانحراف عن هذا المفهوم  
فيما بعد .

الفصل السادس : فيه الحديث عن بعض الانظمة والقوانين الديرية وامثلة  
منها ، وتعرضت للتنظيمات الاولى واسباب سرعة انتشار الرهبنة وازدياد عدد  
الرهبان ، وبينت اثر القوانين الديرية في الصور المغالمة للرهبانية وكذلك الحديث  
عن الاثار السيئة المترتبة على المغلو في الرهبانية كما ناقشت بدأ النذور الثلاثة  
وهي القاسم المشترك بين انظمة الرهبنة في العالم وقامت بنقدها وبينت الاثار السيئة  
المترتبة عليها .

اما الفصل السابع : ففيه الحديث عن أثر استغلال الكنيسة للرهبانية ، وكيف  
نشأت فكرة الكنيسة وتطورها واهداه الكنيسة بالسربان واهمية الاسقف عندهم وكيف  
تطور مفهومه الى مسي الجايا وبينت كذلك اهم الشخصيات المايوية التي اعتلقت  
هذا الكرسي وبينت الطغيات الروحية والديني والطاى والاجتماعي واثار الصراع  
بين العقل والرهبانية ومدى الطغيان السياسي والاثار الاقتصادية المترتبة عليه .

الفصل الثامن : فيه الحديث عن موقف الكنيسة المعادى للاسلام وبينت  
اثاره السيئة ، فتحدثت عن الحروب الصليبية وكونها دعوة محمومة من قبل اكابر الرهبان  
وكذلك السحت الى التبشير كأكبر اداة للنيل من عقائد المسلمين وما يترتب عليه من

الباب الثامن : تحدث فيه عن اثر الرهينة في البدع الضالة والغرق المغالبي  
المنتمية للاسلام ، وبينت فيه خطورة هذا التأثير والمشاكل الناجمة عنه .

الباب التاسع : تحدث فيه عن موقف الاسلام من الرهينة

وقد قسمته الى فصلين :

الفصل الاول : تحدث فيه عن موقف الاسلام من الرهينة في الاديان الوضعية . وأظهرت  
فيه المساوي\* الحاصلة من جراء انتشار هذه الظاهرة في المجتمع الغربي حديثا . وواجب  
الدعاء\* والمعلط\* المسلمين تجاه هذه القضية .

الفصل الثاني : بينت فيه موقف الاسلام من الرهبانية النصرانية وحكمه عليها ، وتعرضت  
للآيات الواردة في هذا الشأن والاحاديث النبوية الدالة على معارضة الاسلام لها .  
وكذلك اراء\* المعلط\* في هذا الشأن . كما بينت معنى البدعة . . . وان الرهبانية  
بدعة حقيقية في الدين لم تكن موجودة أصلا في شريعة عيسى عليه السلام .

كما ألمعت الى أهمية مفهوم الاسلام للحياة والمجتمع . وأوضحت المعنى الكبير  
الذي يحمله الجهاد الاسلامي وهو البديل عن المفهوم السلبي الذي تحمله الرهبانية  
واوردت الاحاديث الشريفة الدالة على ذلك .

اما الخاتمة : فقد تعرضت فيها لأهم النتائج التي توصلت اليها من خلال هذا

الموضوع .

والله أسأل ان يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم . ذبا عن دينه ووفاء\*  
بحقه . وأن ينفع به ويسدد على طريق الحق خطانا ، والله مولانا نعم المولى ونعم  
النصير .

هذا ولا يفوتني ان أذكر بالشكر والعرفان تلك الجهود الحثيثة التي بذلتها  
فضيلة الدكتور محمود أحمد خفاجي تجاه هذا البحث . فقد جاءت تلك اللسان العلمية  
واللغات البهامة نتيجة اشرافه وتوجيهه الدؤوب . كما لم يبخل علي بالعلم والوقت  
وقد أفدت من ذلك كثيرا . وما أمد البحث من سائل طيبة سديدة كان لها الاثر  
البالغ في أكتمال عقد هذا الموضوع على النحو الذي توخيته .

فجزاه الله تعالى عني ومن طلبه العلم خير الجزاء\* ونفع به الامة وأجزل له المشيئة  
والعطاء\* في الدنيا والاخرة ، انه ولي ذلك والقادر عليه .

كما اقدم شكري وتقديري للقائمين على جامعة ام القرى والى كل من اسهم  
في مساعدتي لانجاز هذا البحث .

ومعد . . . فانني أتيسرأ من حولي وقوتي الى حول الله تعالى وقوته . فمننا  
أصبت فيه فمن الله تعالى وتوفيقه . وما أخطأت فيه فمني ومن الشيطان . وهذا  
البحث جهد بشري فمن وجد فيه خلا فليصلحه وله مني جزل الشكر .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين ، والله ولي التوفيق .

التمهيد :

أ - الرهينة : لغة ، واصطلاحاً

ب - عوامل الخوف والرهينة

في حياة البشر



## أ - الرهينة في اللغة :

ترتبط الرهينة لغة بالمعاني التالية :

الخشوف ، الاضطراب ، الانقطاع ، التبتل ، والزهد .  
واصل المادة ، الراء والهاء والباء ، فيقال : ( رهب ) بكسر الهاء  
من باب علم<sup>(١)</sup> ، وهو ما فعل لازم فيأتي المضارع منه ( يرهب ) رهبة ورهبا . قال الله  
تعالى : ( لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ (٢) ) .

ويأتي متعديا : ( استرهبه ) أي أخافه وأرهبه قال تعالى :

( وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاوُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (٣) ) واسم الغافل من رهب : ( الراهب )

أي الخائف ، كما يطلق على المترهب في الاماكن الخاصة ، المتخذ طريقته

الرهبان ، وعند النصارى من تبتل لله واعتزل الناس الى بعض الادييرة طلبها  
(٤)

للمباداة والمؤنث منه ( راهبة ) .

ويجمع راهب على رهبان . قال تعالى : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا  
مِنَ الْأَعْيَارِ وَالرَّهْبَانِ لَيَأْكُونُ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ .. ) (٥)

وقال امرؤ القيس :

أتت حجج بعدى عليها فاصبحت كخط زبور في محاف رهبان<sup>(٦)</sup>

١ - تاج المعروس من جواهر القاموس ، محمد مرتضى الزبيدي ، ٢٨٠-٢٨١ هـ

دار مكتبة الحياة - بيروت ، ط ١٣٠٦ هـ

٢ - سورة الحشر : ١٣

٣ - سورة الاعراف : ١١٦

٤ - محيط المحيط - بطرس البستاني ص ٣٥٤ ، مكتبة لبنان بيروت ط ١٩٧٧

٥ - سورة التوبة : ٣٤

٦ - ديوان امرؤ القيس - محمد ابو الفضل ابراهيم ص ٨٩ ، دار المعارف

بصر ط ٣ القاهرة ١٩٦٩ .

وتجمع راهبة على راهبات . ويجوز ان يطلق الرهبان على الفرد ايضا قال الشاعر:

لو كلمت رهبان دير في القلل لانحد ر الرهبان يسمي فنزل (١)

وتأتي الصفة المشبهة منه على وزن فعلان (٢) : رهبان ، يفتح الراء ، اي :  
الجالخ في الخوف (٣) ، كعطشان والسوئث منه رهبانة ، وجمعها : راهبات .  
ويجمع رهبان على رهابين ورهائنة (٤)

والفرق بين الراهب والرهبان كالفرق بين اسم الغاط والصفة المشبهة .

والرهينسة : اسم من معنى الراهب : اي اتخاذه طريقة الرهبان (٥)  
وهي من ( فعلنة ، أو فعللة ) على تقدير أفعال النون وزيادة تها (٦) ، وقد تطلق  
على الرهبان انفسهم مجازا ، (٧)

والرهينة عامة تشمل الاديان الوضعية ( من هندوسية وبوذية وغيرها )

وكذلك اهل الكتاب من ترهبوا يندرجون تحت هذا الباب .

والرهباننية : هي طريقة الرهبان من المسيحيين ، وهي منسوبة (٨)  
الى الرهينة بزيادة الالف ، وأصلها من الرهبة ثم صارت اسما لما فضل عن القدار  
وافرط فيه . (٩)

قال الله تعالى : ( ثُمَّ قَفِينَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفِينَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ  
وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا  
مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا  
مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ) (١٠)

- ١ - لسان العرب ، جمال الدين محمد بن منظور ١/٤٣٦-٤٣٨ ، دار  
صادر ، بيروت ١٣٨٨ هـ .
- ٢ - شرح الكافية الشافية : محمد بن عبد الله بن مالك الطائفي ٤/٢٢٢٦  
ت : د . عبد المنعم هويدي ، دار الطامون للتراث .
- ٣ - محيط المحيط : بطرس البستاني ص ٣٥٤ ، وانظر : نعمة العديان فيما  
جاء على السفعلان لابي الفضل العاظمي ص ٢٢ .
- ٤ - المفردات في غريب القرآن : ابو القاسم " الراغب الاصفهاني " ص ٢٠٤
- ٥ - دائرة معارف البستاني - بطرس البستاني ٨/٦٨٧
- ٦ - لسان العرب ١/٤٣٦-٤٣٨
- ٧ - محيط المحيط ص ٣٥٤
- ٨ - النهاية في غريب الحديث والاثر لابن الاثير الجزري ٢/٢٨٠-٢٨١
- ٩ - لسان العرب : ١/٤٣٦-٤٣٨ وانظر : الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام  
د . جواد علي دار العلم للملايين ٦/٦٤٣ ط ١٩٨٠ .
- ١٠ - الحديد : ٢٧

وفي سند الامام أحمد بروايته عن عروة ( يا عثمان ان الرهبانية لم تكتسب

طينا ) ( ١ )

وبلاحظ ان النسخ القرآني يذم اولئك الذين ألزموا انفسهم بما لا تقوى  
على الوفاء به ، فوقعوا فعلا في هذا المحذور وهو عدم رطية ما التزموا به حقيق  
الرطية فكأنهم كالمستهزئين ، .

وما ان زيادة الجنى تدل على زيادة المعنى فقد جاء اللفظ القرآني  
بكلمة ( رهبانية ) ليدل على التكلف والتعنت والمشاق في العبادة التي سسار  
طيها الرهبان المسيحيون .

وطيه تكون الرهينة عامة والرهبانية خاصة .

فكل رهبانية رهينة وليس كل رهينة رهبانية فبينهما عموم وخصوص مطلق  
ان تجتمع الرهينة في رهينة الاديان الوضعية ورهينة اهل الكتاب وتنفرد الرهبانية  
باهل الكتاب فقط ، والله تعالى اعلم .

ولا بد من الاشارة هنا الى ان بعض العلماء يستعمل كلا اللفظين  
بمعنى واحد ، وذلك للتداخل الحاصل بين الرهينة في الاديان الوضعية  
وبين الرهبانية عند النصارى ، وهذا من باب التجوز .  
وفي منهج هذا البحث فضلت اطلاق الرهينة على ما يختص منها بالاديان  
الوضعية وقصرت لفظ الرهبانية على ما اختصت به النصرانية ، وهو اللفظ  
الوارد في القرآن الكريم . كما اخترت لفظ ( الرهينة ) في العنوان ليشمل  
كل من التزم بهذا السلك .

---

١ - سند الامام احمد باب النكاح ٢٢٦/٦ ، المكتب الاسلامي .

وقد تعقب الهيثمي اسانيد الامام احمد في قصة عثمان بن مظعون رضي الله  
عنه فقال : ( واسانيد احمد رجالها ثقات الا ان طريق ان اخشاكم ) اسندها احمد  
ووصلها البزار برجال ثقات ) انظر مجمع الزوائد وضيع الفوائد للحافظ ابي بكر  
الهيثمي بتحريه الحافظين العراقي وابن حجر ٣٠١/٤ ، دار الكتاب العربي  
بيروت لبنان ط ٣ ، ١٤٠٧-١٩٨٢



### اهمية الجانب العقدي في التعريف الاصطلاحي :

لعل ما بلغت النظر في حياة الراهب ، ذلك الجو القاتم الذي يلف  
كيان السالك في هذا الطريق ، وذلك نتيجة لطئفيه عقيدته عليه ، تلك العقيدة  
التي أوحى بها صناع الكهانة والرهينة عبر التاريخ ، فالعقيدة هي الأساس الذي يبنى  
الراهب عليه تحركه وسلوكه ، ولولا هذا الجانب بالذات لما وجدت صور الغلو التي  
مارسها الرهبان في ظل حياتهم الخاصة .

وقد شهدت العصور الأولى جاهلية بشرية ، أفضت إلى إهتار الظواهر والقوى  
الطبيعية التي بثها الله تبارك وتعالى في الكون هي المتصرفة في شؤونه وتدبير  
أمره ، ولهذا فقد تقدم الانسان نحو هذه القوى بالقرابين والأضاحي والنذور تقرراً  
اليها وحذراً من بأسها وخطرها عليه . ( ١ )

ولهذا كانت رسالة الرسل عليهم السلام رسالة تبشير وانذار ، قال تعالى :  
( كَانِ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ، فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ، وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ  
بِالْحَقِّ لِيُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اِخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اِخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا  
جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ، فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اِخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِ اللَّهِ  
يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) . ( ٢ )

فكان الانذار لتصحيح ذلك الانحراف الذي هدد جميع الأمم السالفة  
والسابقة للإسلام ، ( إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ) ( ٣ )  
والانحراف ناجم عن ذلك الاختلاف بسبب الحسد والحرم على الدنيا والذي  
أفضى إلى البغي والعدوان . وعقب كل رسالة كان هذا الانحراف ظاهرة بارزة فسي  
تلك الشعوب وكان من وراء ذلك طامع مهم في تمهيد هذه الدفة فقد ظهرت طبقات  
رجال الدين المتسلطة أولاً بالكهنة ، والمنتبهة أخيراً بالسرهبان وما سسى بالاكليروس  
فيما بعد ، وكانت هذه الفئات تضع ما شاءت من عقائد شركية وتشريعات وضعية تمخض  
عنها مبادئ وأنظمة مغلفة بشعائر وشعارات وطقوس ، منها ما اقتص بالأديان  
الوضعية ، كالفرعونية والهندوسية والبوذية وغيرها ، ومنها من اقتص بأهل الكتاب  
كاليهودية والمسيحية ، اللتين حرفتسا عن أصلهما الصحيح .

ومن خلال تلك التعاليم بدأت الصور البدائية للترهب تظهر على بعض الافراد  
المتعدين هرباً من هذه الحياة حذراً من الوقوع في المكروه أو من ارتكاب محظور ، وقد  
أحالت حياة الكآبة هذه نفسية هؤلاء إلى كابوس مرعب وتركتهم في حيرة واضطراب ، وهكذا  
اصطنع الانسان لنفسه شعباً مخيفاً أشاع في نفسه يقسطة وحذراً من أي تصرف شين  
لا يليق بحق معبوده ، أيّاً كان ذلك المعبود .

١ - راجع " تاريخ الاديان وفلسفتها ، طه الهاشمي ص ١٠١-١٢ ، ط ١٩٦٣ ،

٢ - البقرة : ٢١٣

٣ - فاطر : ٢٤

٤ - راجع : فتح القدير للشوكاني ١ / ٢١٢ ، ط ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م مصر

وقد الفرد منهم ينظر الى المحسوسات نظرة ازدراء واحتقار ، فأصبح يفسر من أدنى شيء يمت الى هذه الحياة بصلة .

وطيه فإن هذا الموقف المصطنع والموظف في السلبية أدى بدوره الى انعكاس خطير في السلوك العام نتيجة الضغوط المستمرة من قبل القائمين على هذه الطقوس .  
ما استتبع التقلل من أعباء الحياة عن طريق الامتناع عن المتع يشتمل أنواعها .

فالتعام والشراب واللطذات - في عرف الراهب - تثقل الجسم وتدعوه الى الركود والكسل ، وتفريه بالانغماس في الشهوات<sup>(١)</sup> . ما يستتبع تقوية الفريضة الجنسية والتعلق بالنساء كما يقضي الى السعي وراء المادة واكتناز الاموال والتنافس في الحياة ، وهو ما يؤدى الى فساد البشرية ، وهلاكها . ولدرء هذه المخاطر ، لا بد من الابتعاد عن جميع هذه المظاهر ، والانعزال في أماكن نائية بعيدا عن صخب الحياة وضجيجها والاكثاف بالنذر القليل من المأكول والشرب<sup>(٢)</sup> . مع التحرر من ثقل الثياب وشينها الى خفيها وبسيطها والاصرار على الرثاثة لاطهار التقشف والانكسار أمام المعبود والانقطاع اليه وترك الدنيا ومن عليها .

ومن خلال هذا كله يلاحظ . سرمان الطابع الديني بكل مظاهره العقائدية والفكرية ، ولو لم تكن كذلك ما ترتب على الجانب السلوكي أي مظهر من مظاهر الغلو والانحراف .

وما لاشك فيه أن صرامة المنهج العقدي الذي يغلف الرهينة له من القسوة ما يحيل السلوك الى التطرف والغلو .

فمن استقراء أنماط وصورة الرهينة المختلفة يتاح لنا التعرف على هذه الحقيقة وقد لا يبدو غريبا حرمان النفس من بعض المتع ، والتقلل منها ولكن الغرابة تكمن في الغلو الذي يمارسه الرهبان لا بداءة طقوسهم ، وقد تصل درجة الغلو الى الحد الذي يخرج عن المألوف ، فالنوم في المستنقعات لتعذيب النفس وقهر الجسد ، والتعبس على رجل واحدة وحمل قنطار من الحديد وأكل العشب والكلاء وعدم غسل الرجلين طيلة العمر وربط الجسد بسلسلة في غار كل ذلك من شأنه إعطاء صورة واقعية للحياة الصارمة التي يعيشها الرهبان في ظل مذاهبهم وعقائدهم المختلفة .

ومن ذلك يمكن الخروج بالتعريف الاصطلاحي للرهبنة :  
فهي نزعة عقائدية ودينية تحدد فكر وسلوك الراهب ، وتفرض عليه الاشتغال بخدمة معبوده وتبني على النذور الثلاثة : الفقر ، البتولة ، وطاعة رئيس الدير ، تشمل الرجال والنساء وقد عرفت مسند القدم في مصر الفرعونية ، والهند هند الهندوس والبوذيين وانتقلت الى اليهودية والسيحية عبر اليونانية وقد رفضها الاسلام .

١ - راجع : مستان الرهبان لآباء الكنيسة ص ١٩١ ، ط ٢

٢ - راجع كتاب : " نسكيات " لاسحاق السرياني ص ٣٣ و ٤١ ط ١٩٨٣ لبنان

٣ - المرجع السابق ص ١٢٠

ب - عوامل الخوف والرغبة في الحياة البشرية :

مهبطا يمكن من أمر فان صعوبة البحث في تحديد العصور الأولى لنشأة الرهينة تجعل الباحث مرفقا على التطرق لموضوع الدين وأثره في حياة البشر . لان عامل الخوف نابع إما من الاخافة الناجمة عن أثر الدين في النفس البشرية ، أو الاخافة الناجمة عن القوى الطبيعية في الكون .

وملا شك فيه أن هناك فرقا شاسعا بين الاخافتين ( . . . ) فالاخافة الناجمة من القوى الطبيعية تصدر دون تمييز ودون سابق انذار ، وهي بذاتها مجلبة للربغ الغشوم ، اما الاخافة المعبر عنها في الاديان السطوية ، فهي بمثابة تحذير وتنبه من أجل المصلحة الخافية للانسان .

وبالاضافة الى ذلك فان الاخافة الصادرة من الاديان السطوية هادفة تبتغي تصحيح السلوك أو تجنب الوقوع في الاخطاء وليست كذلك الاخافة الصادرة من القوى الطبيعية ( ١ ) .

وقد ظابت هذه الحقيقة عن كثير من الباحثين خاصة الغربيين الذين تخبطوا في تفسير نشأة الخوف والرغبة في نفوس البشر . في حين أن الاسلام قد اعطى الانسان الاجابة الحقيقية عن كثير من التساؤلات التي طرحها البشر في هذا الصدد .

وفي مجال طم مقارنة الاديان ظهرت كثير من الابحاث المستفيضة لاجلاء بعض الجوانب الفاضلة التي اكتنفت الحياة التعبدية البدائية لدى البشر . الا ان بعضها قد انحرف عن المسار الصحيح لعدم قياسها على الاسس العلمية الدقيقة ، وذلك نتيجة لسلاهداف السبقة التي توختها هذه الدراسات والمغضية الى التشكيك بالدين الصحيح ، وضرب مفهوم الالهية في تفكير الناس ، واثبات العبادى\* الالحادية .

وباستقرا\* النظريات التي تسوئل اليها الباحثون في مضار نشأة الدين وأثره في حياة البشر ، نجد أنها تنقسم الى قسمين :

---

١ - الاسلام بين الاديان ، د . محمد كمال جعفر ، ص ٣١-٣٢ ، مكتبة دارالعلوم مصر . وكذلك راجع له : الانسان بين الاديان ، ص ٦٨-٦٩

اولا : النظريات الموثقة (١)      ثانيا : النظريات التطورية (٢)

وقد قام النزاع بين أصحاب النظريتين ، وقد م كل منهما دعواه موثقة بالبراهين والحجج التي يملكها .  
وليس من مهام البحث هنا الخوض في أدلة الفرقاء المتنازعين ، الا ان الواجب في هذا التمهيد ايجاز الفكرة الاسلامية حول هذه القضية ، لانها تشكل مفتاح الحبل لكل المشاكل التي اعترضت وتعترض تفسير " نشأة الدين " واثره في الحياة .  
كما أن في تسليط الضوء على هذا الجانب ، سبيلا للولوج الى لب الموضوع والدخول اليه .

### ١ - النظريات الموثقة :

وهي تذهب الى ( أن عقيدة الخالق الأكبر هي أقدم ديانة ظهرت في البشر ، . . . وأنها لم تنفك عنها أمة من الأمم في القديم والحديث ، فتكون الوثنيات ان هسي الا اعراض طارئة أو امراض متطفلة بجانب هذه العقيدة العالمية الخالدة .  
وهذه نظرية " فطرية التوحيد وأصالته " التي انتصر لها جمهور من طمما الاجناس ، وطمما الانسان ، وطمما النفس ، ومن أشهر مشاهيرهم " لانسج " . . الذي أثبت وجود عقيدة " الاله الاطى " عند القبائل الهمجية في أستراليا ، وافريقيا وأمريكا . ومنهم " شريدر " . . الذي أثبتها عند الاجناس الآرية ، وروكلمان . . . الذي وجدها عند الساميين قبل الاسلام ، ولبروا . . وكاترفاج . . عند أقزام أواسط افريقيا الشرقية . وشيخات عند الأقزام . وعند سكان أستراليا الجنوبية الشرقية .  
وقد انتهى بحث شخيدات الى أن فكرة " الاله الاعظم " توجد عند جميع الشعوب الذين يعدون من أقدم الاجناس الانسانية ) . . : " الدين " د . محمد عبد الله دراز ص ١١٢-١١٣ ، طبعة السعادة ، مصر ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م . وكذلك " تاريخ الاديان وفلسفتها " . طه الهاشمي ، ص ٣٩ ، وط بعدها ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٣ م . وكذلك " نشأة الدين ، للنشار ص ٣١-٣٢ ط ١٣٦٨-١٩٤٩ م و : الاسلام بين الاديان د . محمد كطل . جعفر ص ٤١-٥٨ وله ايضا الانسان بين الاديان ص ٧٩ ، ط : قطر

٢ - النظريات التطورية : ( وهي تذهب الى ان الدين بدأ في صورة الخرافة والوثنية وأن الانسان اخذ يترقى في دينه على مدى الاجيال حتى وصل الى الكطل فيه بالتوحيد كما تدرج نحو الكطل في علومه وصناعاته حتى زعم بعضهم ان عقيدة " الاله الاحد " عقيدة جد حديثة وأنها وليدة عقلية خاصة بالجنس السامي .  
وهسفه النظرية نادى بها أنصار ذهب " التطور التقدمي أو التصاعدي " الذي ساد أوروبا في القرن التاسع عشر في أكثر من فرع من فروع العلوم وحاول تطبيقه على تاريخ الاديان عدد من العلما منهم : سينسر . . وتيلور . . وفريزر . . ودوركايم . . وغيرهم ) : " الدين " ص ١١٢ وكذلك : تاريخ الاديان وفلسفتها ص ٥٦ وط بعدها  
ونشأة الدين ص ٣١-٣٢ وكذلك : علم الاجتماع الديني . د . زيدان عبد الياقسي ص ١٤٧ وط بعدها ، مكتبة غريب ، القاهرة . وكذلك : الانسان بين الاديان ص ٨٦



فوجهة النظر الاسلامية تؤكد على ان الدين الحق المنزل من عند الله هو  
المصدر الاول لخوف ورهبة البشر ، بل وسعادتهم وخلصهم في الدارين .

ذلك لان الله تبارك وتعالى قد خلق الخلق جميعا - وهو اطم باحوالهم -  
لغاية عظمى ، ورسالة عظمى ، وانه جعل للانسان السمع والبصر والغوادر ، واستخلفه  
في الارض ليكون مسوؤلا امامه يوم القيامة عن كل ما قدمت يداه .  
( يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمْتَدَاةً وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ) ( ١ )

وعلى خلاف المذاهب والاراء الفكرية الداعية الى التشكك والالحاد فان  
النصوص القرآنية تدل على جملة حقائق منها :

اولا : ان الله تبارك وتعالى قد علم الانسان ولم يتركه جاهلا :  
( الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ) ( ٢ )

فالبيان هو مفتاح العلم ، لانه يعني اللغة بالفاظها ومعانيها .  
ثانيا : ان الناس جميعا - منذ خلقهم الله وهم في عالم الذر - مخطوون  
على التسليم بربوبيته سبحانه :

( وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى  
أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ، أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ) ( ٣ )

ثالثا : ان لدى الانسان الاول من العبادىء الضرورية للعلم والمعرفة  
ما يحكمه من السير في هذه الحياة وفق تقدير الله تبارك وتعالى :  
( وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ  
هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا  
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ، قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ  
بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَنَا اللَّهُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا  
تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ . . ) ( ٤ )

رابعا : ان قدرا كبيرا من المعرفة والتمييز بين الخير والشر قد اكتسب  
تلك الحياة الاولى بما يستتبع معه عناصر الخوف والرهبة :  
( وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ ، إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ  
أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرَ قَالَ لَا تَنْتَظِرُنَّ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ  
الْمُتَّقِينَ لَكِن بَسَطتَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ  
لَأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ) .

١ - النبأ : ٤٠ ٢ - الرحمن : ١-٤ ٣ - الاعراف : ١٧٢

٤ - البقرة : ٣١-٣٢ ٥ - المائدة : ٢٧-٢٨

هذه الحقائق القرآنية الناصحة توضح لنا خصائص النشأة البشرية الاولى ،  
وان الالهام والوحي هما من عند الله تعالى ، وان العلم والمعرفة كانتا منذ البداية  
مواكبتين لتلك الحياة التي عاشها الانسان على وجه البسيطة .  
كما توضح هذه الحقائق ايضا ان الفطرة الاولى التي فطر الله الناس عليها  
انما هي فطرة الايمان به والخوف منه والتسليم له .  
هذا التسليم المقرون بالاعتراف الذي أقره الانسان وهو في عالم السذ ر  
يبقى مع الانسان الى آخر حياته مبسطا كان اعتقاده ومبسطا اخطلت شاربه ، حتسى  
اولئك الذين التزموا مبدأ الالحاد تراهم في ساعات المحنة والشدة مضطربين الى  
اللجوء لما جحدوا به من قبل مستغنيين ومستجدين به ، وهذه طبيعة البشر .  
يقول الحق تعالى ( وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا  
كَشَفْنَا عَنْهُ غُضْرَهُ مَرَّكَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّهِ كَذَلِكَ لِيَسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْلَمُونَ ) (١)  
وقال تعالى ( وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّكُمُ الْبَحْرَ  
الْبَرَّ اعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ) (٢) وهذا دليل على عجز الانسان وقدرة الخالق تعالى .  
فـالخوف اذاً يولد مع البشر ، وليس على وجه الارض كائن بشرى لا يخاف  
وليس عليها من ينكر ذلك . وتلك مشيئة الله في الخلق .

وقد رأينا ان الرسل الكرام جاؤا بدين الله مبشرين ومنذرين كي لا يكون  
للناس على الله حجة يوم القيامة مع ما يحل هذا الانذار من تخوف مصحوب بالتهديد  
والوعيد .

وهكذا نرى ايضا ان الهدف من ارسال الرسل تجديد الايمان كلما فترت  
همة الناس واعترتهم أمواج الجهل وتغشت فيهم روح الوثنية والالحاد .  
وفي هذه الفترات المظلمة من التاريخ البشرى ، البعيدة عن منهج الله  
تبارك وتعالى ينبغي أن نقف قليلا علنا نجد خالتنا المتصلة بسبرغور بعض العقائد  
المنحرفة والبيادى\* الخالة عن الجادة ، لترى الاسس العقديـة لظاهرة الرهينة .  
وفي ظل الجاهلية الاولى شهد العالم نشوء الاساطير والخرافات ، وقامت  
فئة من البشر لتقيم حاجزا في وجه الايمان ، وادعت أنها هي الواسطة بين الخلق  
والخالق ، فعنها نشأت الانحرافات العقديـة ، وتكونت في ظلها ما يسمى بالكهانة  
والرهينة وما دعي باسم رجال الدين أو الاكثيروس . وحيكت حولهم هالات براقـة  
طسا لحقيقتهم الخادعة . . ومن أجل ذلك كان لابد من كشف هذه الاقنعة  
راجين المولى عز وجل التوفيق .

٢ - الاسراء : ٦٧

١ - يونس : ١٢

٣ - انظر : " وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس اليه " ، د . محمد الزحيلي ص ٣٨-٣٩  
دار القلم ، ط ١ ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م . حول عجز الانسان والفريزة الدينية فيه



الباب الاول :

====:

الرهننة المصرية القديمة

## الفصل الاول :

### العقائد وتطورها

لا بد قبل الخوض في السار الذي خطته الرهينة المصرية القديمة من الاقرار بأن الرهينة عموماً قد مرت باطوار متعددة وصلت بعدها الى المفهوم والمصطلح المتعارف عليه حالياً ، ولم تأخذ بادىء الامر شكلاً معقداً كالذى نراه اليوم ، بل مرت بمرحلة الكهانة<sup>(١)</sup> وضروب التنجيم والسحر والشعوذة والعرافة وذلك في كثير من الامم الاولى التي انحرفت مبادئها العقديّة عن الحق . .

وقد اخذت الكهانة حيزاً كبيراً من التاريخ البشرى القديم للمهام التي كانت مناطة بالكاهن . ونستطيع القول : ان الكهانة كانت بداية طبيعياً للرهبنة البدائية . ذلك لان المعارف والعلوم يشتق انواعها كانت تنسب الى الكهنة سدنة المعابد والقائمين على الشؤون الدينية في الامم التي ارتضت لنفسها انتحال العبادات الوثنية . وقد وجد من بين هؤلاء الكهنة من ينمزل وينفرد بعبادة عن الاجواء الدنيوية ويترهب ، وعليه فان الصلة كانت متداخلة بين الكهانة والرهبنة .

ونظراً لهذا الترابط فانه يحسن التعرف على الكهانة المصرية من خلال

الوقوف على معتقداتها الفكرية التي نسجت في العقول قروناً من الزمن .  
اولاً : عبادة الظواهر الطبيعية :

فقد إتجه المصريون القدماء الى تقديس وعبادة جميع الظواهر الطبيعية<sup>(٢)</sup> وتدرجوا في هذه العبادات ابتداءً من عبادة الجماد مروراً بعبادة النبات والحيوانات وصولاً الى عبادة وتأليه البشر ، .

- فعبادة الجمادات شملت : الكواكب والنجوم والاجرام السماوية كالشمس

وكان يطلق عليها عدة اسماء منها : رع ، وآمون ، وآتون ، وغيرها على انها

إله أو رمز له تعبد وتقدم اليها القرابين والندور .

وكانت نظرتهم الى الشمس نظرة تقدير على اعتبار انها المصدر الرئيسي

١ - الكهانة : بالفتح وتكهن تكهنا : قضى له بالغيب فهو كاهن . ج : كهنة وكهان ، وحرفته الكهانة بالكسر ( القاموس المحيط ٢٦٦/٤ .  
والكاهن هو الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الاسرار ( لسان العرب لابن منظور ٣٦٢/١٣ - مادة كهن .

ولم تخل امة من الامم في القديم من الكهان . . . وقد ابطل الاسلام هذه البدع وانكرها وحاربها ، ( الموسوعة العربية الميسرة ١٤٩١/٢ ) .

٢ - راجع ديانة قدماء المصريين ، استيندرف ، ت : سليم حسن ص ٢٩

٣ - راجع : الانسان في ظل الاديان ، د . عطارة نجيب ص ١٤١ مكتبة المعارف الرياض . ١٤٠

للحياة والنمط ، إضافة الى قيامها بوظائف اخرى كطرد العواصف وابعاد السيول  
والامطار وتحطيم السحب التي تلحق الضرر بهم . ( ١ )

- وفي تطور آخر نجد أن قصص الخلق قد استلهمت من النيل ( أوزيريس )  
وأن هذه القصص كانت تشير دائما الى أصل العقيدة عند هم .

لقد كان النيل يمثل في نظرهم الإله الذي يهب الخصب والنمط ويعمل على  
إزدهار الارض الزراعية فيزيد في محاصيلها وغلالها وقد قيل لاوزيريس :

" انت النيل ، الاله والبشريحيون من جريانك " ( ٢ )

ومن هنا يتفجح (أن الشمس والنيل كانا ظاهرتين أثرتا اعق تأثير في سكان  
وادي النيل وان الالهين اللذين يمكن تنيهما في هاتين الظاهرتين سيطرا على

التطور الديني والعقلي منذ اقدم العصور ) ( ٣ )

ثانيا : " عبادة الحيوانات "

اما عبادة الحيوانات : ( فقد قدم المصريون آنذاك الحيوانات المختلفة

واقاموا لها تماثيل واتخذوا منها الرايات والشعارات وادخلوا تماثيلها في معابد هم

فالمجل آبيس ، والبقرة حتحور ، هما من أقدم المعبودات لديهم . كما

ان هناك حيوانات اخرى كثيرة عبدت الى جانبها .

وقد تركوا بعض هذه الدواب تجوس خلال الهياكل ولها من الحرية ما

للبقرة المقدسة في الهند حتى هذه الايام ) ( ٤ )

لقد كانت تمثل هذه الحيوانات بالنسبة لهم رمزاً للقدرة الجنسية الخالقة

ولم يكن المجل آبيس رمزاً لاوزير بل كان تجسيدا لاله . وكثيرا ما كان أوزير

يرسم واعضائه التناسلية كبيرة بارزة دلالة على قوته العظمى . ( ٥ )

ويشير البعض الى انهم كانوا يعبدون هذه الحيوانات لانها ترمز الى القوة

التي هيأت لهم النصر على الاعداء فقد كانوا يرفعون الرايات وفي أعلاها تماثيل صغيرة

ترمز الى القوى والبطش . ( ٦ )

١- انظر : تطور الفكر والدين في مصر القديمة . جيمس هنري برستيد ص ٤٠

٢- تاريخ الحضارات العام ، : اندريه ايتر - جانين اوبويه ١/٩٢ ط ١٩٦٤

٣- تطور الفكر والدين ، هنري برستيد ص ٤١-٥١

٤- قصة الحضارة ، ويل ديورانت ١/٢ : ١٥٧-١٥٩ ، ت : محمد بدوان ط ٣ ، ١٩٦١

وقد طرأ برستيد هذا الرأي وأن هذا الدواب ليست من عبادتهم الاصلية .

راجع : انتصار الحضارة ص ٩٢-٩٣

٥- قصة الحضارة ١/٢ : ٥٥-١٥٦

٦- الديانات القديمة لابي زهرة ص ١٤ ، دار الفكر العربي .

أما عبادة النباتات ، فقد اتخذ المصريون أنواعا كثيرة منها وكانوا يظنون ان كل ما كان متجها نحو الشمس "أمون" فهو مقدس ويستمد قدسيته من المعبود الاطى نفسه ، الى جانب ما كانوا يرون في النبات من اثار تتمثل في الابقاء على الحياة وسببا في غذاة البشر ونموهم . ومن ثم تطور هذا المفهوم ليشمل عبادة النباتات ذات الاشكال الهيمندسية والاليوان الزاهية النضرة ، كزهرة " اللوتس" . ولقد نبغ هذا التفكير نتيجة اشتغال المصريين بالمهندسة المعمارية .

### ثالثا : - تأليه البشر :

ومن ضمن هذه التطورات كانت هناك مرحلة تأليه البشر ، واتخاذهم اربابا من دون الله تعالى ، وهذه الفترة هي اكثر اهمية واطولها عبر تلك العصور . وقد حارب بعض العلماء في الاسباب الدافعة الى تأليه المصريين للبشر . (١) الا ان البعض ارجع فكره التالى الى النتائج التي آلت اليها عملية تنظيم الري والاشراف على توزيع المياه للزراعة بعد ازدياد عدد سكان وادى النيل والتي قام بها بعض المشرفين والمهندسين .

وقد اكتسب هؤلاء اهمية خاصة نظرا للدور الذى قاموا به ومع مرور الزمن وجد المصريون ان السيطرة على المياه اصبحت تحت ايدى هؤلاء المشرفين ، ومع ازدياد امتيازاتهم واهميتهم بالنسبة للزراعة فقد نظر اليهم نظرة محترمة بالبهشت ان تحولت الى نوع من التقديس المصحوب بآيات الشكر والتبجيل ، ليتحول فيما بعد الى اطلاق صفات الالهية عليهم . (٢)

ويمكن اضافة امر آخر الى هذا كله ، : فالهروب التي خاضتها الاسر الفرعونية الاولى والانتصارات التي حققتها القت بظلالها على الناس وجعلت من هؤلاء الحكام ابطلا في نظر هذا الشعب الذى خلق عليهم من الالتجاب والاسماء ما يفيد التأليه .

فقد كانت القوة والبطش رمزين لهؤلاء الفرعنة ، كما كان الطغيان سيطرا على عقولهم . قال تعالى مخاطبا موسى عليه السلام :

( اِنَّ هَبَّ اِلَى فِرْعَوْنَ اِنَّهُ طَغَى ، فَقُلْ هَلْ لَكَ اِلَى اَنْ تَزُكَّى وَاَهْدِيكَ اِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى فَاَرَاهُ الْاَيَةَ الْكُبْرَى فَكَذَّبَ وَعَصَى ثُمَّ اَدْبَرَ يَسْعَى فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ

١ - معالم تساربخ الانسانية : هـ . ج . ولز . ت : هـد العزيز توفيق جاويد ٢١٥ / ١ ط ٣ ، ١٩٦٢ ، لجنة التأليف والترجمة  
٢ - تاريخ العالم أ . هامرتن ١ / ٢٦٩ ط ٢

أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْظَمُ (١).

وتجدد الإشارة هنا الى ان المصريين القدماء قد مرت بهم عقيدة التوحيد الخالص ردحا من الزمن وان كانت عقيدة تعدد الالهة هي التي استمرت ولسفت .

وقد ذكر القرآن الكريم ما يفيد ذلك وقد مرت الآية السابقة لتدل على هذا الامر . كما ان يوسف عليه السلام قد تولى مهام خزانة الدولة في مصر وكان اميناً عليها . (٢) كما ان موسى عليه السلام تربس في مصر وخاض صراخا عنيفا مع فرعون .

وهناك نصوص تثبت تحكم تأليه الفراعنة في نفوس المصريين من ذلك ما ورد في احدى النصوص الاثرية :

( لقد تمدح رجال البلاط ومجلس الثلاثين معا بطيبة جلالتهم ، وسجدوا مرات عدة امام هذا الاله الطيب مصلين له . . . ومتعبدين امام وجهه ، وقد مجدوا ارواحه حتى عنان السماء ) (٤)

وقد راجت عدة اساطير حول تأليه الفراعنة كاسطورة الطفل حوروس بن اوزيريس والذي مثل بالجعران ، واسطورة تقول ان عند حدوث الكسوف . . . تظهر الهالة الشمسية (و) يكون لها شبه قوى بجناحي الجعل ( الجعران ) المنتشرين . وكان حوروس " شمس الصلاح والبر وفي جناحيه البر " واخيرا " صعد الى السرب واصبح والاب واحدا " (٥) وهو ما يذكرنا الى حد كبير باساطير النصراري حول عيسى عليه السلام . هذا الى جانب العديد من الاساطير الاخرى التي حيكت حول الالهة الثلاثة ايزيس ، واوزوريس ، وحوروس (٦) وهناك تثليث آخر مؤلف من : توت ، ايزيس ، واوزوريس (٧).

١ - النازط : ١٦ - ٢٥

٢ - راجع قصة يوسف عليه السلام في سورة يوسف . من الآية ٥٤ وما بعدها .

٣ - هناك العديد من السور القرآنية التي تحدثت عن موسى عليه السلام وما دار مع فرعون راجع : طه والشعراء : ٥٣ والنمل : ١٢ والقصص وغيرها .

٤ - راجع : مصر القديمة ، سليم حسن ص ٤٧٩ / ٦

٥ - معالم تاريخ الانسانية ٢ / ٤٦٩

٦ - راجع بتوسع حول هذه الاساطير في : تاريخ البشرية ، ارنولد توينبي ، ت :

د . نقولا زيادة ، ١ / ٨٠ - ٨١ ، الاهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ١٩٨١

٧ - راجع : الهبة في الاسواق ، د . رؤف شلبي ص ٢٥٨ دار القلم ط ٢ ١٤٠٣

١٩٨٣ الكويت .

رابعا :

- عقيدة اليوم الآخر :

حظيت هذه العقيدة باهتمام قدماء المصريين ، فقد كانت من أهم عقائدهم ، وقد شغلت بدورها أيضا طمأنة الفلاسفة والتاريخ ومقارنة الأديان في العصر الحديث ، وذلك لما أولاها المصريون من اهتمام بالحياة بعد الموت .

لقد إعتنى المصريون بدفن موتاهم لاعتقادهم أن الروح سوف تعود للجسم فيما بعد وتقدم للحاسبة فوضعوا للموتى تماثيل تصور شخصياتهم وأقاموا لها أماكن لوضع الطعام والشراب . وقد أرجع بعض العلماء هذه العقيدة إلى أسباب منها ما اشتهر عن تربة مصر ومناخها وهي : (إنها تحفظ الجسم الانساني بعد الموت من البلل إلى درجة لا تتوفر في أي بقعة أخرى من بقاع العالم) (١)

إلا أن هذا الرأي لا يمكن التسليم به ، ذلك لأن عقيدة اليوم الآخر لا يمكن لها أن تقوم في أي أمة من الأمم ما لم تأت عن طريق أصل صحيح مستند إلى وحي من رب العالمين ولا بد أن هذا الأصل قد حرف فيما بعد على يد كهنة الفراعنة ليصبح على النمط الذي اعتقدوا المصريون . و عليه فهي بقية من دعوة الأنبياء الذين شرفوا مصر في فترات تاريخها الطويل . (٢)

والقرآن الكريم يوضح لنا في سورة ظفر ما جاء على لسان مؤمن آل فرعون

ما يفيد ذلك :

( وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَإِنْ يَسْأَلُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكَادُ يَصِيبُكُمْ مِنْ بَعْضِ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ . . . )

إلى قوله تعالى ( وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ مِثْلَ نَادِيبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَابُؤِ يَوْمَ تُلْقُونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُغْلَبِ اللَّهُ فَلَا مَنْ هَادِي ) (٢)

١ - فجر الضمير . جيمس هنرى برستيد . ت : سليم حسن ص ٦٢

دار مصر للطباعة .  
٢ - راجع : الهبة في الأسواق ، د . روف شلبي ص ٢٧٧ ،  
٣ - ظفر : ٢٧ و ٣٠-٣٣



خامساً :

- تناسخ الارواح :

يحاول بعض العلماء اثبات ايمان المصريين القدماء بعقيدة تناسخ الارواح ، مستندين الى نص يرجع الى عام ٣٠٠٠ ق م . والذي يقول " قبل الولادة هذا الطفل وليس الموت نهايته ، الحياة تجيب " وتروح كالشمس عندما يبدأ نهارها من جديد . ( ١ )

ويستند نفس المصدر الى ورقة بردى تدعى " انانا " ( ANANA ) والتي ترجع الى عام ١٣٢٠ ق م والتي تقول:

( الانسان يعود ثانية الى الحياة عدة مرات ، لكنه لا يذكر حيواته السابقة ولا يمكنه ان يحدد زمان هذه الحادثة او مكانها لكنه يعلم فحسب انها حادثة مألوفة عنده ، وفي النهاية ستتكشف له كل حيواته المختلفة ) ( ٢ ) .

وليس من المستبعد ان تكون الامم التي دانت بهذه العقيدة قد اخذتها عن هذا الاصل الفرعوني ، كما يذهب البعض الى احتمال انتقال هذه العقيدة الى اليونان . ( ٣ )

- بوادر نشأة الكهانة وصورها البدائية :

ان تطور الفكر الديني المصري وما رافقه من ممارسات وطقوس تعبدية لم يكن ليرى النور او ينمول ولم تسكن وراءه قوة تحركه وتفغذي مبادئه وتقوى اسمه .

وقد لعبت طبقة الكهنة هذا الدور بكل اتقان واستطاعت هذه القوى ان تسيطر سيطرة تامة على جل الحياة الدينية ، ولم يكشف الكهنة بهذا الدور بل تعدى نشاطهم الى الحياة الدنيوية ، حتى غدا المصريون يعتقدون ان كلا الناحيتين ( هما نتيجة وحي مقدس وتوحيان لخدمة الالهة فهما في الواقع متمتان - احدهما الاخرى ) ( ٤ )

١ - العودة للتجسد . د . روف عبيد ص ١ دار الفكر العربي القاهرة

٢ - المصدر السابق

٣ - راجع بتوسع ديانة قدماء المصريين . استيفد زف الالطني . ت . سليم حسن

٤ - ص ٩٥ . طيبة في عهد امحوتب الثالث ، اليزابيث رايفشتال ص ٢٤٢ / ٢٤٣ ت : ابراهيم

رزق ، مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٦٧ .

وفي رأى بعض العلماء\* فان النظرة التحريمية الى بعض الموجودات سواء كانت جامدة او حية اسهمت في تكوين الكهانة والسحر كذلك .  
( ان كان الناس ) ينشعون تقاليد مشتركة من المحظورات تشمل الاشياء المحرمة والاشياء النجسة وتظهر الى جانب فكرة النجاسة فكرة التطهر وازالة اللعنات وتتم عملية التطهر برشاد الحكمة\* من السنين او المعاجز المحنكات وفي مثل هذا التطهر تكونت بذور الكهانة والسحر في أقدم عهودها . . . . . ولإزالة الشرور وتثبيت الانسان وتنظيم شأنه كان لا بد له من أن يفعل أشياء ذات قوة وبأس ، وهل فسي الوجود شئ\* أقوى من القتل ومن اراقة الدماء ؟ من هنا جاء الارتباط الوثيق بين نظام الكهانة وتقديم الضحايا والقرايين )<sup>١</sup> .

وهذه العقيدة لعبت دورا هاما في الديانة المصرية سواء بتقديم شئ\* ذي قيمة أو بتقديم النفس البشرية ذاتها ، فالقوى الطبيعية التي كانت تبعث الرعب والهلع في نفوس المصريين جعلتهم يلتسبون استطلتها بالتضرع اليها وتقديم القرايين لها اتقاء لشرها (٢) ثم ما لبث هذا الامران تحول الى الزام للنفس بالمكوف على هذا المعبود واعتزال الناس للقيام بالفرائض التي املاها التعبد على نفسه .

١ - معالم تاريخ الانسانية . ولز . ١ / ١١٦-١١٩

٢ - كما اشرنا في السابق ، فان الفترة السالفة مثلت مرحلة من مراحل انحراف العقيدة وميلها عن جادة الحق .

فبعد ان كانت القرايين تقدم لله تعالى علامة على الشكر والعرفان لما انعم الباري على الانسان وتفضل به عليه ، اتخذت هذه الشعيرة مسارا آخر على يد الكهنة للتجارة والكسب الحرام ، فاتجه تقديم القرايين الى القوى الطبيعية والبشرية ، و هكذا يسم القوم أبصارهم نحو السبب وصرقوا أبصارهم عن السبب وقد اخبرنا الحق تبارك وتعالى عن القرايين التي تقدم عنوانا على الشكر والانعام في قصة ابني آدم عليه السلام وذلك في سورة الطائفة : ٢٧-٢٨ .

ولعل من الاسباب الجاشرة لتقديم النفس البشرية قربانا للالهة  
هو مبالغة البسطاء في العبادة والتبتل .

كما لا يجوز اغفال الخوف على المصالح الخاصة والعامه التي كانت السيول  
تهدد ها ، اما بايقاف الحياة الزراعية ، أو تديد المحاصيل ، نتيجة لفيضان النيل .  
فكانت القرابين البشرية تلقى في هذا النهرا تقا وخوفا منه ( ١ )

- الفصل الثاني : بوار نشأة الكهان والرهبان  
اولا : بواعث النشأة :

== :: :: :: :: :-

ان هذه الاحداث وما رافقها من حماس ديني لدى البعض أدى الى اعتبار  
فداء النفس وتقديمها قربانا للاله هو افضل طريقة لارضا المعبود ، ولهذا تم  
تدريب النفس على الطاعة وتكريسها للعبادة عن طريق المواصلة والانقطاع والتبتل .  
ومن البواعث الاخرى التي أوحت الى هؤلاء اتخاذ جانب العزلة والتعبد  
هو الشعور بوجود التعمييض عن الاحساس بالذنب او الهروب من المسؤولية او نتيجة  
السامة الناجمة عن رتابة الحياة نفسها .

١ - يذهب أ . هامرتن الى منحى آخر في تفسير نشأة التضحية البشرية قديما ، إذ يرى  
ان السبب يعود إلى إعتقاد الناس بأن الطك نفسه يعد واهب ( الحياة ، ولما  
رضي الناس ان يؤمنوا بأن رعاها هم موقوف على سلطان الطك وقوته اضحى مركز الحاكم  
ما يحرك في النفوس عواطف الحسد والبغضاء ، وذلك انه حينما تبدو على صحته  
أو قوته علامات الضعف والوهن يصبح وجوده خطرا على الدولة ، فلا بد إذن من  
قتله ليجلس مكانه شخص أصغر منه سنا وأكثر فتوة ، واقد ر على بعث الحياة في الناس  
ولعل هذا هو السبب الذي دعا الناس الى ابتكار التضحية البشرية ، ولما اصبح  
للطك من القوة ما يمكنه من ان ينجى نفسه من القتل جاء كهنته بضحية بدلا عنه  
واختلفوا لذلك عذرا هو أن ( الأم الكبرى ) قد وضعت الدم الإلهي ليكون اكسير  
الحياة الذي يجدد شباب الطك الهرم ومعنى هذا ان دستور الدولة الاولى  
ومنشأ التضحية البشرية والحرب البدائية . . . . . كان الباعث طيبه تقييد الناس  
للتضحية بهم . ) : تاريخ العالم ، السيرجون ، أ . هامرتن ١ : ٣٦٩



تقوم في المعبد وهي متوجهة بوصفها ملكة السموات وهي تحمل طفلها حورس بين ذراعيها والشموع تخفق وتذوب أمامها، وتماثيل أجزاء الجسم الشمعية تتدلى حول المقصورة وكان على الكاهن المستجد تتيم مرحلة اعداد وتلمذة طويلة ذات تفاصيل محكمة ويقسم الايمان على العزوبة ، وعند ها يلقي مبادئ الاسرار ويشيخه  
وكسبانت تحلق رأسه ويلبس ثوبا من الكتان (١).

- ولا نستطيع هنا القول بان درجة شيوع الرهينة كانت شاملة لكل قطاعات الكهنة ، إذ أن ديورانت يورد ما يفيد بأن ( منصب الكاهن كان ينتقل في الواقع - ان لم يكن بحكم القانون - من الاب الى الابن (٢) )

، وهذا ما يؤكد وجود طبقات عدة بين الكهنة تتنوع وظائفها بحسب ميلها ، واتجاهاتها .

رابعاً : المظاهر التعبدية للرهبنة المصرية :

-----

ان الترهيب الفردي الذي مارسه اوائل الكهنة ارتدى طابعاً جدياً باديء الامر ، فجميع العبادات والممارسات النسكية اقيمت على مبادئ مستوحاة من النظام الديني الوثني الذي عرف آنذاك .

وقد شهد هذا التعبد صوراً من الوان التقشف والتبذل للمعبودات المقامة والموضوعة رسمياً وتبعاً لكل إقليم . ومع تطور هذا النظام وتكوين طبقات الكهنة أصبحت الممارسات التعبدية تقام جماعياً وقد تستمر طيلة ساعات اليوم (٣) . ومما لبثت أن تحولت الى طقوس تقام لنيل اغراض بعيدة عن روح العبادة المتعارف عليها سابقاً ، فمنها ما هو لكسب مادي أو حيا في المناصب أو السلطة أو الشهرة .

وظلت هذه الطبقة تمارس ألواناً من التلاعب إلا أنها تسكت بالطقوس الدينية أحقاباً كثيرة حفاظاً على المكاسب التي جمعتها والامتيازات التي حصلت عليها .

وتجدد الإشارة الى أن الجو الفكري الهادي أسهم في اشاعة الحماس الديني لدى الكهنة باديء الامر، فقد ساعد هم على اداء الممارسات التعبدية الخاصة .

١ - معالم تاريخ الانسانية - ولز - ١ : ٤٦٤-٤٦٩

٢ - قصة الحضارة ، ١/٢ : ١٦١ وانظر طيبة في عهد امنحوتب ص ٢٤٧

٣ - طيبة في عهد امنحوتب ص ٢٤١

كما أسهم في تفرغهم للتأليف والكتابة المصبوغة بالتراتيل والانشاءات الدينية . وأضاف هذا الجونوط من الورع عند بعض الكهنة المتبطين حتى قيل فيهم ( كان البعض منهم يمارس الإتحاد الروحي مع الاله عندما يسمح لهم " بمشاهدة الاله في السحراب " . (١)

لقد مكن هذا الجو كذلك من بزوغ كثير من العقائد المتعلقة بالآلهة ، ومكن الكهنة بالتالي من إضافة حالة كبيرة من القداسة طمسهم ، نظرا للمفوض الذي أشاعوه بين الناس وإيهام الشعب بوجود الأسرار المتعلقة بالالهة .

فمن الممارسات التعبدية التي أُحييت بالأسرار ما كان مختصا بعبادة الآلهة تلك المراسم التي كان يقوم بها أحد كبار الكهنة المعين رسميا من قبل الفرعون شخصيا لشقة هذا الأخير به (٢) (ودلت هذه العبادة على الاعتقاد الثابت بان الاله يشعر بما يشعر به اى انسان) (٣) فالمعبد هو مسكنه الذي تدخل اليه الحياة والحركة ولا يتاح إلا لرفعهم مقاط ولوج الحجرة الخاصة حيث يقيم الاله تحت اعراض تمثاله وهو كالانسان بحاجة الى الكثير من العناية والملاطفة والترفة والبذخ والمأك والشرب والراحة والنوم واللهو والأعياد ايضا . وكل هذا كان مضمونا باسم الملك الذي يجزل الهيئات السخية والذي يتولى الخدمة الكهنوتية بنفسه اذا سمحت له ظروفه بسند ذلك بحكم كونه قانسونا الكاهن الكاهن . وكانت تقام كل صباح وفي كل المعابد مراسم متماثلة : حركات طقسية ومسجدات وصلوات وأناشيد واحراق بخور . كان الكاهن يفتح الحجرة الالهية " ويوقظ " الاله ويقدم له قبل اى شئ " آخر " عين حورس التي فقدتها في صراعه ضد شيت ثم عشر عليها وقد معها لابه أوزيريس . ويقدم له بعد ذلك تمثالا صغيرا " لمهات " ابنة " رع " ثم يغسله ويلبسه ثيابه ويزينه ويمسحه بالطيب ويخضبه ويقدم له اخيرا ما لذ وطاب من انواع الطعام والشراب على سطا او حصير امام التمثال وفي ساعات معينة من النهار تفتح الحجرة مجددا لكي تقدم له وجبة اخرى وعند حلول المساء يرتدى ثياب الراحة ويستسلم للنوم بعد ان يقفل المكان المقدس ) . ٤

١ - طيبة في عهد امحوتب ٢٤٢

٢ - المرجع السابق .

٣ - تاريخ العالم لها مرتن ١/٣٦٩ حول نشأة هذه الفكرة .

٤ - تاريخ الحضارات العام ١/١٠٦



والكبت الذي أنهك قوى الرهبان ما لبث أن حول اليهود إلى فوضى  
والرزانة التي تهور . ( فقد كان في الهيكل . . بالكرك طائفة كبيرة من النساء  
يتخذن سرارى لآمون في الظاهر وليستتبع بهن الكهنة في الحقيقة . ) ( ١ )

هذه الحركة الخفية التي مارسها الكهان سرا عن أعين الناس كانت مظهرا  
للعهر والخنا فيما بينهم . وما لبث هذا الانحدار أن تحول إلى ظاهرة عُنْـفـة  
أسهمت إلى حد كبير في فساد المجتمع وانهياره .  
اذ سرطان ما تفشت بقية الامراض الخلقية الأخرى بين افراد هذه الطبقة  
وأصبح جمع الثروات واكتناز الأموال هو الشغل الشاغل للكهنة .  
والنتيجة الحتمية التي آلت إليها هذه الظاهرة هي ( نسيان ) الناس على  
مر الزمن ما بين الدين والاخلاق من صلوات ، فلم تكن الحياة الصالحة هي السبيل  
إلى السعادة الأبدية بل كانت السبيل إليها هي السحر والطقوس واكرام الكهنة ( ٢ ) .

---

١ - قصة الحضارة ١/٢ : ١٦٨

٢ - المرجع السابق ١/٢ : ١٦٤



ثانيا :

- المعارف والعلوم :

---:---:---:---:---:---:---

لم تكن الحياة الدينية التي مارسها الكهان والرهبان لتصرفهم عن الاهتمامات الاخرى المتعلقة بالمجتمع المصري . وكما اشرفنا من قبل فان طبقة الكهان كانت سيطرة على (١) زمام الحياة الدينية والدينية والسبب الرئيس في ذلك يرجع الى كونهم هم الطبقة المثقفة بين طامة الشعب وقد امدوه بمختلف العلوم والفنون المشهورة آنذاك . (٢)

لقد اقتص الكهنة بتدريس ابنا\* الاسر الغنية فضلا عن الاسر المالكة ، كما قاموا بتخريج كتبة الدولة ، إلا أن هذا النشاط الثقافي لم يكن خاليا من الأساطير والخرافات الكثيرة التي ملأت أدمغة القوم .

لقد اعتقدوا أن ( العلوم قد اخترعها - من ١٨٠٠٠ سنة - قبل الميلاد " تحوت " إله الحكمة المصري في خلال حكمه على الارض والبالغ ثلاثة آلاف من الاعوام - وأن أقدم الكتب في كل علم من العلوم كانت بين العشرين ألف مجلد ( هي ) التي وضعها هذا الإله العالم ) (٤)

وقد أطلق على المكان المخصص للتعليم " بيت الحياة " يتلقى فيه مختلف العلوم الدينية والدينية كالنجوم والتاريخ والطب والرياضيات وكما فعل الرهبان الذين عاشوا في أديرة العصور الوسطى كذلك كانوا أحيانا يكتبون الحكايات والأغاني الغرامية تنويها وتلويها لحياتهم اليومية الرتيبة (٥)

ومن أشهر العلوم التي اشتهرت عندهم :

- علم الفلك - علم الطب - السحر والتنجيم - الرياضيات

- الهندسة . وغيرها من العلوم الأخرى وقد توسع العلماء في ذلك

تفاصيل هذه العلوم وكيفية التوصل اليها (٦)

---

١ - راجع في هذا الصدد : ديانة قدما\* المصريين ص ٢٨

٢ - معالم تاريخ الانسانية ١/٢٠٨-٢٠٩

٣ - ديانة قدما\* المصريين ص ٣٦ - ٣٧

٤ - قصة الحضارة ١/٢: ١١٨-١١٩

٥ - طبية في عهد امنحوتب ص ٢٤٨-٢٤٩

٦ - راجع في هذا الصدد : قصة الحضارة ١/٢: ١١٨ و تاريخ الحفارات العام

١/١٣٠ ، وطبية في عهد امنحوتب / ٢٥٢ و مصر القديمة ٦/٤٥٧

## الثالث :

طبقات الكهنة ومهنتهم :

-----

نظرا للمعارف والعلوم التي أَلَمَّ بها الكهنة ، فقد أتاح لهم هذه الخبرات تكوين سلطة واسعة من النفوذ والسيطرة . وقد استعملوا وسائل أخرى لتثبيت قواهم ، وغالبا ما كانت هذه الوسائل تتم عن خبث ودهاء ، مستغلين في ذلك سذاجة الشعب وساطته ( ولقد إستمر موقف عامة الناس الذين يظلمون الأرض ويرعون الانعام حيال المعبد موقف السذج الذين يسارعون الى تصديس كل ما يقال لهم عنه ، فهناك يعيش الاله الذي لا يراه الناس الا نادرا والسذى يرفعه خيالهم الى أعلى عييين والذي كان رضاء مبعث النجاح ، وغضبه أصل الشقاء وكان من الميسور إسترضاءه بالهدايا الصغار والاستعانة بخدمه في مختلف الافراض وهو مبعث العجب والدهشة وله من عظم السلطان والمعرفة ما لا يصح معه للانسان أن يقلل من إحترامه له ولو في د خيلة نفسه ) ( ١ )

طما بأن رئيس الكهنة هو الذي يتولى عرش الطك ( ٢ )

إن هذه القوى استطاعت القيام بدورها خلال معظم الإسر الفرعونية التي قاربت الثلاثين . ، وقد لاحظنا أهمية الكهنة بالنسبة للمعشر الفرعوني ، وحتى بالنسبة للمجتمع المصري ، الذي لم يستطع ان يوسع شعائره بدون كهنة . ولذلك كان لابد من التعرف على طبقات الكهنة المؤثرة ، ومدى نفوذها . ويمكن حصرها بالاتي :

اولا : طبقة كبار الكهنة :

وكانت تختار من قبل الطك شخصا، ولا بد لها من الحصول على ثقتالامة كما أطلق اسم الانبيا على كبار كهان هذه الطبقة ، وكانت تتألف من أربعة يرؤسها أكبرهم وقد نيظت به المهام التالية :

- ١ - المحافظة على النظام الديني وأمر العباداة ٢ - تدبير الشؤون الادارية للمعبد
- ٣ - مسؤولية أملاك المعبد ٤ - الإشراف على المعابد وكهنتها .

أما الثلاثة الباقون فإنهم معنيون بمساعد الرئيس في المهام الروحية ، والادارية يعاونهم عدد كبير من المدنيين الذين عملوا كمراقبين ( ٣ )

١ - معالم تاريخ الانسانية ١/٢٠٢-٢٠٦

٢ - ديانة قدماء المصريين ٨٢

٣ - طبية في عهد امحوتب ص ٢٤٩-٢٥٠

ولم تقتصر أعمال هذه الطبقة على الشعائر الدينية فقط بل إننا نجد الفرعون نفسه يعين منها وزراء الخبيرين في تدبير شؤون الحكم .

كما كانت هذه الطبقة تقوم بإرشاد وتوجيه الطلک نفسه ، فقد كان الكهنة ( يُلقَّنون الطلک القرارات التي تحتم عليه إتخاذها إلا أنه كان دائماً حريصاً على التظاهر بأن ما يصدر ليس إلا الالهات والتجليات التي يوحى بها إليه أبوه الالهي وأنه يأتي ما يأتي وفقاً لشيئته ) ( ١ )

### ثانياً : طبقة " الكهنة الطاهرين "

:-:--:-:--:-:--:-:--:-:--:-:--:-:

كانت مهام هذه الطبقة تنحصر بمساعدة الكهنة الاعلى رتبة ودها يعتبر كدور الشطاسة في الكنائس المسيحية . ومن مهامهم تقديم البخور للصورة الالهية ( التمثال ) وتطيبها ، والاهتمام بادوات العباد ة ومواكبة المحل الذي يحتوى الاله في حرمة او محله .

وقد اطلق عليهم لقب " وب " اي الطاهرين ( او المطهرين ) الذين لم يكن مسوحا لهم " فتح ابواب السماء " . ( ٢ )

### ثالثاً : طبقة صغار الكهنة ،

:-:--:-:--:-:--:-:--:-:--:-:--:-:

( كانت هذه الطبقة ملحقه بالطبقة السابقة وكانوا يمارسون أعمالاً خاصة كالكهنة القارئین والقائمين على حراسة أو تلاوة المخطوطات المقدسة ، والنحويين الهيروغليفيين الذين كانوا متفوقين في الاجراءات الشعائرية ، والموقتين الذين كانوا يحددون ساعات إقامة طقوس العباد ة اليومية وتواريخ الأعياد ، بحسب النظر الى السماء ) ( ٣ )

١ - تاريخ الحضارات العام ٤٩ / ١ . وتجدر الاشارة الى ان الانحراف ظالماً كان في هذه الطبقة التي استطاعت السيطرة على الموارد الطالية لصالحها . اضافة الى شيوع انحراف الاخلاق الى جانب اللعب بالوظائف الكهنوتية واستثمارها في البيع والشراء )

: مصر القديمة ص ٤٥٧ / ٦ وطيبة في عهد امنحوتب

ص ٢٤٧

٢ - طيبة في عهد امنحوتب ص ٢٥٠

٣ - المصدر السابق .





- مقارنة بين الاهداف والنتائج الناجمة عن اعمال الرهبان :

لطبقة الكهان والرهبان في مصر اهداف ، ككل فكري يرمي السبب تحقيق  
النتائج التي يصبوا اليها .

فالخطة التي رسمها اوائل الكهنة لم تكن على درجة من التعقيد ، كما  
ظهرت فيما بعد ، بل غلب عليها نوع من البساطة والسذاجة . فقد انحصرت اهداف  
الكهنة في بدايتها في اتقا\* شر من يضر بحياتهم حسب ظنهم ، وذلك عن طريق  
تقديم القرابين لسه واستمالته بالتضرع والخشوع . كما تبع ذلك ظهور الرهينة والتبتل  
ولأن منهج الكهانة العقدي منهج ارضي وضعي في الدرجة الاولى ، فقد  
تطور ليصبح في النهاية عدة اهداف بعيدة كل البعد عما كان في السابق .  
فقد اصبح الكاهن مع مرور الوقت يهدف من حياته النسكية وطقوسه  
المخترة الى الامور التالية :

- ١- حب الشهرة ، والتفاخر بالالقباب المحيوة بالتبجيل مثل لقب : الكاهن  
الاكبر للالهة ، والكاهن الاول ، واعظم الرائيين (١) ، والنبي الاول (٢) .
- ٢ - الارتقا\* في المناصب الكبيرة في الدولة ، : كالوزارة ، وغيرها .
- ٣ - اكتناز الاموال ، وتخزينها ، والوصول اليها باى طريق .
- ٤ - الاستمتاع بالشهوات ، وارتكاب المحرمات ، وممارسة الزنا في الهياكل  
والمعابد .

و هكذا نرى ان ظاهرة الرهينة بدأت ياد ط\* الحرمان والترفع عن الشهوات  
وانتهت بالانغماس في حماتها .

وما ان النتائج تميل تبعاً للاهداف الموضوعة ، فان اعتقاد الكهنسة  
في منهج حياتهم الفكرية والدينية على أسس عقديّة واهية مستندة الى اساطير وودع  
وخرافات من شأنه ان يجرحهم الى مآزق لا حصر لها ، وقد رأينا مدى الطغيان الذي  
مارسه الكهنة والرهبان في حق الناس ، ومدى التسلط الذي تبنيه خدمة لاغراضهم  
الدنيئة . وهكذا كل منهج ارضي لا يستند الى رسالة ساطوية من عند الله  
تبارك وتعالى ، مع ان رسل الله عز وجل قد جاءت الى هؤلاء\* ولكن الطغيان أعسى  
قلوبهم وابصارهم فضلوا واخلوا .

١ - هناك العديد من الالقاب الاخرى راجع بتوسع : مصر القديمة ٦ / ٤٧٢

٢ - طبية في عهد امنحوتب ص ٢٤٩

٣ - مصر القديمة ٦ / ٤٥٨

وتبعاً لسنن الله تبارك وتعالى في الخلق والكون . فان سنة الله الجارية  
قد سرت في هذه الامة فأحالت نهارها ليلاً ، وقلبت موازينها ، وحطمت طغيانها .  
فالثورة التي قامت ضد الكهان والرهبان في عهد إخناتون اعتبرت من قبيل الإصلاح  
الديني<sup>(١)</sup> ، لان هذا الاخير قضى على طغيان هذه الطبقة ومزقها شر مزق .

وسوف نرى صوراً مشابهة لمثل هذه النتائج وذلك في الابواب  
القادمة بان الله تعالى .

---

١- مصر القديمة : ٤٧٥/٦ <sup>انظر</sup>

الباب الثاني :

الاسس العقديّة  
للرهينة الهندوسية  
والرد عليها



التمهيد : —————

أ - سكان الهند الاصليون :

يجمع العلماء والمؤرخون على وجود قبائل قديمة عاشت واستوطنت الأقاليم الهندية ، وقد أطلق على هؤلاء اسم " الدرافيديين " <sup>(١)</sup> وتؤكد المصادر التاريخية أن هذه الشعوب كانت لها مدينة عرفت بالمدينة السندية ولها من الآثار ما يرجع الى ٥٠٠٠ ق.م <sup>(٢)</sup> بل يذهب بعض العلماء الى ( ان المدينة الهندية القديمة تقع ما بين الالف الرابعة والالف الثالثة ق.م وتغوق ما كان سائدا في العصر نفسه في بابل ومصر <sup>(٣)</sup> . وأن أبرز آثارها لغة البراهموي <sup>(٤)</sup> وكثير من الآثار العينية الأخرى التي لازالت الى يومنا هذا .

وقد أتيج لتلك المدينة أن تكون محطة هامة لجميع الشعوب التي غزت الهند أو التي هاجرت من أقاليم وقارات مختلفة كما أن ديانتها شكلت نواة للديانة التي استقرت عليها الهند فيما بعد .

ومن خلال الآثار الباقية لهذه المدينة استطاع العلماء اكتشاف البذور الاولية

١ - تاريخ الحضارات العام ٥٥٧:١ ، وراجع: قصة الحضارة ١/٢ : ١٩ - مويضيف .  
إحسان حقي الى ذلك قوله ( غير أن الاكتشافات الأثرية التي ظهرت في وادي السند في مطلع هذا القرن أثبتت بأن الدراويديين لم يكونوا أهل الهند الاصليين بل كانوا قبل الأريين د خلا على البلاد اقتحموها من شطليها واستولوا عليها ففر أهل البلاد أمامهم الى الجنوب . . . وتدل التحقيقات العلمية بأن أهل الهند الأصليين يرجعون في أصلهم الى أصول سكان سومطرة واسترالية وسيلان ) : مأساة كشير السلطنة . د. إحسان حقي ص ٢١ ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ط ١ ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م .

٢ - تاريخ البشرية ، أرنولد تونبي ١ : ١٤٥ : ت . د . نقولا زيادة ، الأهلية للنشر

والتوزيع ، بيروت ١٩٨١

٣ - قصة الحضارة ١/٣ : ١٦

وأهم المدن التي أسفرت عليها الحفر والتنقيب عن اكتشافها هي : " موهنجودارو "

و " شانهدارو " . راجع الهند ، حضاراتها ودياناتها ، للندوي ص ٢ ،  
وراجع كذلك : العلاقة السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية ،

محمد يوسف النجرامي ص ١٥ ، دار الفكر بيروت ط ١ - ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

٤ - راجع : تاريخ الحضارات العام ٥٥١/١

لهذه الديانة والتي تنوعت تنوعا كبيرا وكان لها الفضل الاكبر في ايجاد العقائد الهندية الوثنية .

### معالم الديانة الهندية القديمة :

لقد دلت الآثار على (وجود عبادات وطقوس دينية تمثلت بعبادة القوى والظواهر الطبيعية ، كما وجدت معبودات عدة في كل قبيلة كان بعضها تماثلا مع بعض هذه الظواهر ، بينما كان بعضها الاخر على ما يظهرهم بعض الاجداد الموثقين او بعض الابطال الوطنيين . ( ١ )

وقد كانت النار من ضمن المعبودات التي قدمت إليها القرابين " من خشب وأعشاب وخمر" (٢) وأقيمت لها الاحتفالات ، كما عبت الشمس ، كذلك عبت بقيسة الكواكب . ، وازافة الى ذلك تماثيل نسائية غير متقنة وهي عارية تماما لا تلبس الا بعض اواني الزينة ، وهي على الراجح تماثيل للآلهة الأم التي كانت مرتبطة بعقائد الاخصاب . ( ٣ )

وهذه العبادة كانت (تعنى عناية كبرى بعبادة عضو التناسل وعلى طقوس مسن انواع مختلفة من أجل الاخصاب ) ( ٤ )

كما عبت ( حيوانات مخيفة كتنين مفع أو وحش هائل وكانوا يعتقدون أن هناك عالما آخر وهو عالم الأموات ، وأن الأختيار إذا ماتوا وقد رضيت عنهم آلهتهم تمنح أرواحهم معرفة الغيب وقدرة على التأثير في الكون والمشاركة في تصريفه وتدبيره بمجرد مغادرتها الاجسام وقد استمرت تلك الديانة هي السائدة في الهند حتى جاءت ديانة الفاتحين ) ( ٥ ) .

١ - شجرة الحضارة : رالف لنتون ١٨٣ / ٣ . ت : د . احمد فخري مطبعة مصر ١٩٦١

٢ - الديانات القديمة ، ابوزهرة ، ٢٢٠ - ٢٣ دار الفكر العربي .

٣ - شجرة الحضارة ١٤٥ / ٣ - ١٤٧

٤ - المصدر السابق . وانظر : " ماذا حدث في التاريخ " ، جوردن شايلد . ت . جورج جواد ، ص ١٢٧ - ١٢٨ ، الشركة العربية للطباعة والنشر والتوزيع بحصر ، ١٩٤٢ م

وقد تلقى الآريون هذه الديانة عن الدرافيديين وكان يرمز بفرج الذكر والاثني لانهما علامة الحياة والخصوبة وفق عقيدتهم وتلقاهم الناس بالرضا . . . ولا تزال هذه العقيدة قائمة حتى الان ) : الهند حضاراتها ودياناتها ، محمد اسماعيل الندوي ص ٤٦

٥ - الديانات القديمة ، ابوزهرة ص ٢٢ - ٢٣

كما كان الشعبان من ضمن تلك المعبودات التي حظيت باهتمامهم. وكذلك كل الحيوانات المؤنثة، كما تفشت فيهم عبادة جنس الهوا<sup>(١)</sup>.

لقد خفيت هذه المعبودات على كثير من طم<sup>٥</sup> العصر الحديث، إذ وجدوا في بداية الامر صعوبة في التوصل إلى إكتشافها وحل رموزها وسير غورها، ويعترف البعض منهم بأن المعلومات الدينية كانت معدودة جدا<sup>(٢)</sup>.

وعلى الرغم من الاكتشافات الاثرية التي عثر عليها العلماء والتي استطاعت اجلاء بعض الفموض الذي اكتنف هذه الديانة، الا انه من المتعذر الكشف عن كيفية اقامة الطقوس التعبدية والنسكية التي مارسها الافراد بشكل خاص وبالتالي فإنه من الصعب التوصل الى معرفة ما إذا كانت الرهينة شائعة إبان تلك العصور وعلى النحو الذي ظهر فيما بعد .

الا ان بعض العلماء<sup>(٣)</sup> رغم ذلك يشير الى وجود نوع من حالات الترهيب والتنسك وقد تتطلب من الفرد في ذلك الوقت ( القيام باعمال قاسية شديدة، يحل في ثناياه التحدي ضد القوى التي فوق الطبيعة، وكان الناسك يصوم في الواقع تحمديا للمعبودات لان ذلك يزيد من قواه الروحانية، وفي اسطورة من أقدم الأساطير نقرأ عن ناسك استطاع أن يقوم بالكثير من كفارات التوبة حتى أصبح له من القوة ما جعله يجبر المعبودات على طاعته وعند ما تقدمت الاراء الخاصة بوحدة الوجود أي وحدة الله في الكائنات تضالمت هذه الفكرة<sup>(٤)</sup> .

١- راجع : حضارات المسهند ، غوستاف لوبون ، ص ٦١٥

٢ - راجع : تاريخ الحضارات العام : ١/٥٥٧ ، . وتجدر الاشارة الى ان (تاريخ الهند قبل عام ١٨٠٠ ق م ) كان ) مجهولا تماما حتى اوائل القرن العشرين الميلادي ثم بدأت الحفريات في السند على شواطئ نهر الهند في عام ١٩٢٢ م ) :- الهند، حضاراتها، ود يانتها، ص ٢١

٣ - من الاثار المكتشفة في المدن الثلاث ما يتعلق بالرهينة الهندية القديمة وهو وجود تمثال لاله الهنود الدرافيديين " سيفا " الذي عبد من قبل الاربيين أيضا وله ثلاثة وجوه ويوصف بأنه إله وحوش الغابات وأمير النساك والرهيبان ( : الهند حضاراتها ود يانتها، ص ٥٤

٤ - شجرة الحضارة ٣/١٧٥-١٧٦

وطيه فانه لم يكن امام العلماء\* المزيد من المعلومات للكشف عن نوعية الرهينة القديمة ، ولهذا نرى أن التوسع في هذا الشأن لا فائدة منه .

وهكذا تكمن الصعوبة في التعرف على خفايا الديانة الدرافيدية التي اعتنقها السكان الأصليون قبيل الغزو الأري<sup>(١)</sup> للهند ، إلا أن البحث معني بهذا الغزو وما رافقه من تطور في الديانة الهندية التي تبناها هؤلاء\* وأضافوا إليها معارفهم وطوسهم الدينية ، وسوف نرى كذلك كيف تطورت الرهينة على أيديهم .

ب - الغزاة الأريون ، وآثارهم في الهند :

يختلف المؤرخون اختلافاً كبيراً حول هوية الأريين فمنسبهم من نسبهم إلى بلاد التركستان ، والبعض ذكر أنهم هبطوا الهند من السهوب الأوراسية<sup>(٣)</sup> ، والآخر ذكر أنهم جاؤوا من روسيا<sup>(٤)</sup> .

ويؤكد البعض أن هؤلاء\* القوم هم ابنا\* عم الأوربيين وقد أسهب المؤرخون في وصف هؤلاء\* الغزاة ، فتعرضوا لأحوالهم وأسمائهم ولغاتهم وعقائدهم ومعبوداتهم ووصفوا المعاناة الكثيرة والآلام التي تعرض لها السكان الأصليون ( أي الدرافيديين ) على أيدي هؤلاء\* الغزاة ، ومدى التنكيل الذي لحق بهم .

١ - معنى الأري : سميت الامة الهندية الأوروبية بعد نزوحها إلى الهند بالامة الأرية ، فكلمة آري : ( ARYAN ) تطلق على الشرفاء\* . . . وهذا يدل على أنهم اعتبروا أنفسهم منذ قدومهم إلى هذه المناطق الآسيوية بالشرق\* والسكان الأصليين فيها بالأراذل وطني هذا الأصل اشتق اسم ايران . . . وبهذا يكون الأريون قد اعتبروا أنفسهم سادة البلاد والآخرين خدماً وعبيداً ) . : الهند ، حضاراتها وديانتها ص ٦٣

٢ - اديان الهندى الكبرى ، د . أحمد شلبي ص ٢٢-٢٣ ، مكتبة النهضة المصرية

ط ٤ ، ١٩٢٦ ، وانظر: الديانات القديمة لإبي زهرة ص ٢١-٢٢

٣ - تاريخ البشرية ، ارنولد توينبي ١٤٧/١

٤ - تاريخ الحضارات العام : ٥٥٠/١

٥ - قصة الحضارة : ١/٣ : ١٥

والذي يعني البحث من هذا كله هو أن الشعوب الهندية القديمة قد (اندمجت في الشعوب الغازية الجديدة ، والتي لم تكن تعرف من المدنية شيئاً بل كانت قبائل بربرية . (١)

#### - المعبودات الآرية -

لقد حمل الآريون معهم بعض المعبودات وطقوس العبادات الخاصة بهم والتي مارسوها قبل غزوهم للهند إلا أن الأمر الذي يبعث على التعجب هو انحسار تلك العبادات بعد مدة من الغزولتبرز من جديد عبادات الدرافيديين المغلوبين على أمرهم ، وسرعان ما تشكلت من كتا الديانتين ديانة جديدة منبعثة من أصول العقائد الآرية ومن التعاليم الدرافيدية .

وعلى الرغم من هذا الا ندماج العقدي بين الفئتين إلا أن الأمر إختلّف اختلافاً كبيراً على الصعيد الإجتماعي ، إذ ما لبث أن تحول الغزاة الآريون إلى وحوش كاسرة في وجه السكان الأصليين وعطوا على إبادتهم ونكّلوا بهم ، تماط كما فعل الغرب الاوربي بالهنود الحمر في أمريكا إبان العصر الحديث .

وحيث إن أعداد السكان الأصليين كانت تفوق أعداد الغزاة فقد كان من الصعب إستئصال تلك الشعوب من جذورها . (٢) ولكي يحافظ الآريون على جذورهم وجنسهم من الاختلاط بغيرهم فقد فرضوا نظاماً قاسياً تمثل بمجتمع الطبقات الذي - بفضلسه - استمرت سيطرة الآريين على مقدرات البلاد واخضاع العباد لاقسى انواع القهر والظلم والاستبداد . (٤)

١ - تاريخ البشرية : ١٤٦/١

٢ - راجع : الديانات القديمة لابي زهرة ص ٢٢-٢٣ ، والهند ، حضاراتها ودياناتها ص ٦٥

٣ - لم يكن الآريون الوحيدين الذين قدموا إلى الهند فقد دخلها من الشرق شعوب صفراء سماوا بالتورانيين الذين دخلوا أفواجا ، منذ الاف السنين " وبالتقاء الآريين والطورانيين ( أو : التورانيين ) مع السكان الأصليين بدأت الطبقات في الهند تصبح ذات أهمية كبرى في تاريخ هذه البلاد فمن الآريين كانت طبقة رجال الدين البراهمة (BRAHMAN) وطبقة المحاربين ( كشتاريا KASTARIA ) ومن التورانيين تكونت طبقة التجار والصناع ( و VAISUYA ) اما الهنود الذين اتصلوا بالطورانيين فلم يدخلوا التقسيم في اول الامر ولكن الحضارة الآرية امتدت إلى بعضهم بمرور الزمن فاجد الآريون منهم الطبقة الرابعة وجعلوها طبقة الخدم والعبيد ( شودرا Sudra ) اما السكان الأصليين لانهم انعزلوا عن الفاتحين فقد بقوا بعيدين عن التقسيم وظلوا طريدي المجتمع أو منوديين ( Untcastes ) : اديان الهند الكبرى ص ٢٥

٤ - راجع : شجرة الحضارة ٣ : ١٥٢/١

وطى الرغم من هذا كله ، فقد تمسك الشعب بمعتقداته واستطاع ان ينفذ بها الى  
عقول معتصبيه وفضاته رغم العنت الذى لاقاه على ايديهم .

وقد عرفت اللغة السنسكريتية بانها لغة الفزاة والتي تألفت منها كتب  
الفيدا فيما بعد<sup>(٢)</sup> . وليس هناك تحديد دقيق لتاريخ قدوم الاربيين لغزو الهند  
انما هناك مؤشرات تدل على انهم دخلوا مقاطعاتها الشمالية الغربية بين عامي  
١٦٠٠ و ٨٠٠ ق م<sup>(٣)</sup> . بينما يرى البعض<sup>(٤)</sup> انه تم في القرن الخامس عشر قبل الميلاد .

وقد استطاع الاربيون توحيد قبا لهم في منطقة البنجاب وكونوا احزابا ثم اتحدوا  
واسسوا ممالك<sup>(٥)</sup> لهم .

واضاف الاربيون الى عقائد هم المكتسبة من غيرهم كثيرا من المبادئ الدينية  
وسها ( تحولوا من الحرب الى التصوف الديني ، وأحدثوا تلك المجموعات من الالهة  
وتلك النظريات التي قامت عليها جميع نظم الفلسفة الهندية التي ظهرت فيما بعد  
كما تطور مفهوم الرهينة لديهم تطورا كبيرا . ، ومن مجموع نظمهم أصبحوا اسلافا  
لاعظم المجموعات الثلاث ( اى الطبقات الاولى ) التي تحتل ارفع مكانة في هذا التقسيم  
الطبقي كما انتشرت لغتهم في معظم انحاء الهند )<sup>(٦)</sup>

١ - " اللغة السنسكريتية هي اللغة الاصلية للاربيين والتي تكلموا بها قبل غزوهم للهند  
وبعد هو هي من اللغات الاوروبية التي سميت بمجموعة " سنتوم ( Centum ) التي  
تنسب اليها اللاتينية الاغريقية والكيلتية ( CECELLE ) والتوتونية ( teutonia )  
والالمانية والسلافونية ( Slavennin ) انظر الهند حضاراتها ودياناتها ص ٦٣  
اما غوستاف لوبون فانه يذهب الى ان ذلك كان فيط مضي اما الان فان السنسكريتية واللغات  
الاخرى هي اخوات اشتقت من لغة مشتركة ضائعة في الوقت الحاضر . ( حضارات  
الهند ص ٤٧٨ .

٢ - تاريخ البشرية : ١٤٧/١

٣ - تاريخ الحضارات العام : ٥٥٧/١

٤ - الاسفار المقدسة قبل الاسلام . طى عبد الواحد وافي ص ١٥١ ط ١٩٧١

٥ - تاريخ الحضارات العام : ٥٥٣/١ ٦ - شجرة الحضارة ١٥٢/٣

و يرى الشهرستاني ان بعض علوم الهند الدينية مشتقة من تعاليم الفلاسفة اليونان  
وكان لفيثاغورس أثر في هذه العلوم ( الطل والنحل للشهرستاني ١٩٩/٥ - ٢٠٠

لقد ساعد التراث الهندي العلماء في الكشف عن خفايا العقائد الهندية ،  
الا ان المعضلة التي كانت تقف عقبة كاداً في طريقهم هي تحديد زمن كتابة هذا  
التراث فضلاً عن موثقي الكتب الدينية التي اعتبروها مقدسة .

وتجدد الإشارة إلى أن كتب الآريين التي جاؤوا بها الى الهند أضيف  
اليها كثير من العقائد الدرافيدية القديمة .

وبالانتقال الى مضمون هذه العقائد نرى كثيراً من أوجه الشبه بين معتقدات  
الطرفين ، فهناك عبادة الظواهر الطبيعية ، والافلاك ، والنجوم<sup>(١)</sup> . كما قدست أنواع كثيرة  
من الحيوانات كالبقرة التي لا زالت تعبد . إلى اليوم .

( كما كانت هناك عبادات طوطمية وهي عبادة روحانية لا رواح كثيرة تسكن  
الصخور ، والحيوان ، والاشجار ، ومجاري الماء ، والجبال ، والنجوم ، وكانت الشعابين  
والافاعي مقدسات ان كانت الهة تعبد ومثلاً طمياً تنشد في قواها الجنسية العارمة<sup>(٢)</sup> .

وقد تعددت الهة الآريين تعدداً يفوق كل وصف فكل ما هو قريب من  
الانسان ، وكل ما يخشى منه أو يحب إليه يصبح آلهة بحضي الزمن حتى أن عدد هذه  
الالهة وصل إلى ثلاثين مليوناً<sup>(٣)</sup> .

---

١ - راجع في هذا الصدد : موسوعة التاريخ الاسلامي ، د . عبد الله مبشر الطرازي  
٣١٨/١ - ٣١٩ و ١٦٠/٣ - ١٦٣ ، عالم المعرفة ، جدة ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م  
وتاريخ الاسلام في الهند ، عبد المنعم النمر ، ص ٢٦ - ٢٧ ، دار العهد الجديد للطباعة  
هر ، ط ١ ، ١٣٧٨ - ١٩٥٩ م .

٢ - قصة الحضارة : ١/٣ : ٣٠ .

٣ - المصدر السابق ١/٣ : ٢٠٧ وهذا ما جعل غوستاف لوبون يقول ( . . . وطني  
الباحث الا يجهد نفسه في البحث عن هندوسى يفترض أنهم استطاعوا ممارسة دين  
بلا الهة . فكيف تجد هندوسياً لا يعبد آلهة والعالم عنده زاخر بها ، فالهندوسى يصلق للنمر  
الذى يفترس العامة وجسر الخط الحديدى الذى يصنعه الاوروبى ، والاوروبى نفسه عند  
الاقتضا<sup>٤</sup> ) حضارات الهند ص ٣٦٨

( ١ )  
وقد أطلق على الديانة الآرية فيما بعد اسم " البرهمية " ثم أطلق عليها اسم  
" الهندوسية " . ( ٢ )

١ - نسبة إلى " البرهمن " و " البراهما " ولهما مدلولات خاصة في اللغة الآرية الأولى . إذ أطلقت كلمة " برهمن " على العبادة والصلاة في البداية ، ثم على كهنوت معين ، وأخيرا على سيد الالهة ، والطبق ( واسمه البراهمانان ) على كتب الفيدا الأربعة ، وأخيرا على الطائفة المفضلة لدى الهندوس ) . : الهند القديمة ، حضاراتها ودياناتها ص ٨٩ .

ويرى البعض أن : ( هذا الاسم أطلق ابتداءً من القرن الثامن قبل الميلاد نسبة إلى براهما ( BRAHMA ) وهو القوة العظيمة السحرية الكاملة ، حسب اعتقادهم ، والتي تطلب كثيرا من العبادات كقراءة الأدعية وأنشاد الاناشيد وتقديس القرابين ، ومن براهما اشتقت الكلمة " البراهمة " لتكون طما على رجال الديسن الذين كان يعتقد أنهم يتصلون في طبائعهم بالعنصر الالهي . وهم لهذا كانوا كهنة الأمة لا تجوز الذبايح إلا في حضرتهم وعلى أيديهم ) راجع : أديان الهند الكبرى ص ٢٩ ، ويرى الشهرستاني أن " البراهمة " انتسبوا إلى رجل منهم يقال له " برهسام " قد شهد لهم نفي النبوات أصلا وقرر استحالة ذلك في العقول ( راجع : الطل والنحل ١٧٥/٥ . وقد استدرك الدكتور وافي على الشهرستاني ذلك وقال : وهي منسوبة للاله " براهما " ( BRAHMA ) وهو عند معتنقي هذه الديانة اسم للاله الخالق ولاصحة لما ذكره الشهرستاني في الطل والنحل من انها تنسب إلى رجل عظيم منهم يقال له برهسام . . ) الاسفار المقدسة قبل الاسلام ، ص ١٥١

وفي رأيي أنه لا تعارض بين الشهرستاني والدكتور وافي لان الديانات الوضعية ومنها الهندوسية قد اتخذت الهتها وأصنامها ومعبوداتها اتباعا لتقليد الآباء والأجداد الذين وجدوا في صلحهم وزعماتهم ومرشديهم قدوة ومثالا يحتذى ومع تطاول العهود عليهم اتخذوا لهؤلاء اصناما تعبد من دون الله ، وطيه فان ما ذهب اليه الشهرستاني صحيح من وجه فالبيروني حينما تحدث عن عبادة الاصنام وكيفية اتخاذ المنصوبات قال : فمن وقتئذ تعبد الاصنام بعضها ذوات اربع ايدى كط و صغنا وبعضها ذوات يدين بحسب القصة والصفة وبحسب صاحب الصورة وأخبروا أيضا بأن لبراهم ابن يسي " نارن " لم تكن له همة غير رؤية الرب وكان من رسمه في ترده اساك عصا معه . . . . ) تحقيق ط للهند ص ٨٨ طما بانه قد بدأ حديثه عن كيفية اتخاذ عبادة الاصنام عبر المعصور عند الامم السالفة كالروم واليهود والنصارى وما كان يعتقد الهندوس في هذا الصدد انظر ص ٨٤ ) من المرجع السابق .

٢ - أطلقت هذه الكلمة على الديانة " البرهمية " الجديدة . وأول ما ظهرت هذه التسمية في القرون الأولى بعد المسيح ( .  
: حضارات الهند ص ٦٠٠



## الفصل الأول

العقائد الهندوسية ذات الصلة بالرهينة ونقدها :

بالرجوع الى عقائد الديانة الهندوسية ، نجد انها تتسم بالأبهام وشدّة الفخوض<sup>(١)</sup> كما يرى الباحث فيها عجايب من كثرة التعدد كما أسلفنا سابقا. وقد ظل بعض العلماء هذه الظاهرة بان لدى الهندي اعتقاداً بان الحواس البشرية ( لا ترى من الحوادث التي ندرکها سوى ظواهرها ، ويعتقد أن وراء هذه الظواهر كائنات روحية لا حصر لعدد ها ، يمكن ادراكها بالعقل لا بالحواس . . . . . ) وسقّد ادى تسامح البراهمة ذو المسحة الفلسفية الى الزيادة من ذخيرة آلهتهم حتى ازدادت كثرة طس كثرة ، ذلك أن الآلهة المحليين والهة القبائل المختلفة قد صادفت عند الهندي سهلا ومرحبا فتقبلها وفسرها بأنها جميعاً تصور جوانب من الالهة الاصلية<sup>(٢)</sup> .

اولا : تعدد الالهة - والتثليث :

أن تعدد الآلهة الهائل ، أربك البراهمة وأوقعهم في حيرة وذلك نتيجة التخبط في معرفة الحقيقة والتوجه نحوها . ولهذا نرى بضئ الأزمنة أن العقل الهندي بدأ يشعر بالطل من هذه الكثرة ، وقد أخذ تدريجيا يتحول عنها ويحصرها في ثلاثة :

١- : براهما -

وقد اعتبر " الاله الخالق ، مانح الحياة ، والقوى ، الذي صدرت عنه جميع الاشياء " ، والذي يرجو لطفه وكرمه جميع الاحياء ، وينسبوا اليه الشمس التي بها يكون الدفء وانتعاش الاجسام وتجري الحياة في الحيوان والنبات ، ومن الأساطير التي هيكت حوله ( أن براهما كان قبل الوجود في فضاء لا نهاية له ، فرغب أن يكون كثيرا ، فخلق العالم بقوة إرادته وبفيض من ذاته ( نظرية وحدة الوجود ) وسمى نفسه الخالق ، ثم انبثق منه الاله المدمر ، وهو الاله سيفا الموكل بالخراب والفناء ، فلا يسذر من شيء أتى عليه الا جعله كالريم ، ولو ترك هذا الاله وشانه لفنيت السموات والارض ومن فيهن . ولهذا انبثق من براهما الاله ثالث حافظ مجدد وهو الاله فيشنو ( ٣ ) (Vichnou)

١ - راجع حضارات الهند ، ص ٢٨٠

٢ - قصة الحضارة : ١ / ٣ : ٢٠٩

٣ - الاسفار المقدسة في الاديان السابقة للاسلام ١٨٥-١٨٦

وللمزيد يراجع : مجلة ثقافة الهند المجلد الرابع مارس سنة ١٩٥٣ العدد الاول

٢ : سيفا

وهو عند هم الإله المخرب الحفني الذي تصفر به الاوراق الخضراء، ويأتي بالهرم بعد الشباب . . . وينسبون إليه النار لأنها عنصر من مخرب إن تأجج لا يبقى ولا يذر .

ولسيفاً هذا عبادات خاصة به ان يقوم الشيوائيون ( نسبة اليه ) باقذر عبادة عرفها البشر ، ( فقد اخترع بيسوا لهولا<sup>١</sup> في القرن الثاني عشر هذه العبادة وفادها أن هو<sup>٢</sup> زينوا معابد هم بتماثيل أعضاء التناسل للذكر والانثى حتى أنهم حلوا صوراً من ذهب وفضة تمثلها فيقبلونهم بين حين وحين هلين لهم ، وقد سميت هذه العبادة باسم زوجة سيفا وهي "كالي" ، ولا تجد عبادة أدت إلى مناظر مخالفة للذوق والأدب كعبادة كالي الهائلة . . . وفي سبيل تمجيد هذه الالهة امتزجت الدعارة بالقسوة فأريقت على مذابح معابدها دم<sup>٣</sup> الضحايا البشرية . . .

وقد ابطلت هذه الضحايا في الزمن الأخير إلى الأبد لدى الأهالي البراهمة ولا يزال يرى في معابدها من الفحشاء والمنكر من الدعارة ما يستحيل وصفه . . . (١) .  
كما تسمى هذه العبادة باسم " اللنجا " يقول فاندى عنها ( جانا اضيفنا الغربيون اخر الا مريفتحون اعيننا لجوانب الفحش التي في طقوسنا بعد ان كنسنا نارسها حتى عهد هم ممارسة بريئة ، لقد عرفت لأول مرة أن "سيفا لجام " ( نسبة الى سيفا ) ترمز الى الفاحشة من كتاب لمبشر سيحي (٢) . . .

وتباع إلى الآن تماثيل صغيرة ترمز الى عضوى التناسل عند الرجل والمرأة ، في الاسواق الهندية ، دون أى وازع من أدب أو أخلاق .

٣ : فيشنو

يعتقد الهندوس ان هذا الأخير (لحل في المخلوقات ليقى العالم من الفناء التام) (٣)

ويرى البعض ان فيشنو هو الهه الدرافيديين الذين استطاعوا ادخاله ضمن المعبودات الآرية وان نظرية التجسد في هذا الاله ترجع اليهم وعن طريقهم دخلت هذه العقيدة . . . وانتقلت فيما بعد الى اليونان عبر الثقافات الحضارتين في عهد الاسكندر ومنهم الى الرومان ومن ثم الى المسيحيين (٤) .

- ١ - حضارات الهند ، ص ٦٠٣-٦٠٥ وقارن مع قصة الحضارة ١/٣ : ٢٢٢
- ٢ - المصدر السابق ١/٣ : ٢٢٤ وقارن مع المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٥٨
- ٣ - الديانات القديمة : ٢٧ - ٢٨
- ٤ - الهند ، حضاراتها ودياناتها ص ٩٣

والى جانب هذه الالهة هناك الهة صغرى ، وقد اختلفت عن بعضها وتعددت<sup>(١)</sup> ، وتكونت منها درجات .

ووسط هذا التعدد هناك ازمة مرت على الهند شهدت خلالها ميلا الى التوحيد<sup>(٢)</sup> ، الا ان هذا التوحيد مشوب بالتثليث ، فقد زعم البراهمة ان الالهة الثلاثة براهما وسيفا وفيشنوهي اقانيم ثلاثة لاله واحد ، والاله للواحد هو الروح الاعظم واسمه بلغتهم ( آتما )<sup>(٣)</sup> .

ولا بد من القول : ان هذه المقولة قد فتحت بابا امام المسيحيين ، فيما يسمى بـ " تثليث في وحدة ووحدة في تثليث " <sup>(٤)</sup> .

وهنا ينبغي التنويه بأن مبدأ التوحيد الهندوسي مخالف تماما لمقيدة التوحيد الاسلامية ، لان التوحيد الكامل هو التوحيد (في العبادة والخلق والاعتقاد . وهو ما يعبر عنه بتوحيد الربوبية ، وتوحيد الاسماء والصفات ، وتوحيد الالهية . فتوحيد الربوبية : هو الاقرار بأن الله تعالى رب كل شئ \* ومالكة وخالقه ورازقه ، وانه المحيي المميت النافع الضار المتفرد باجابة الدعاء عند الاضطرار . . . .

- اما توحيد الاسماء والصفات ، فهو الاقرار بان الله بكل شئ \* عليم ، وخلق كل شئ \* قدير ، وانه الحي القيوم الذي لا تاخذه سنة ولا نوم ، له المشيئة النافذة والحكمة البالغة . . . .

- اما توحيد الالهية : فهو مبني على إخلاص التأله لله تعالى ، من المحبة والخوف والرجاء والتوكل ، والرغبة والرغبة ، والدعاء لله وحده ومبني على ذلك إخلاص العبادات كلها ظاهرها وباطنها لله وحده لا شريك له . <sup>(٥)</sup>

١ - تاريخ الحضارات العام : ٥٧٠ / ١ والديانات القديمة : ٢٨

٢ - اديان الهند الكبرى : ٤٧

٣ - الديانات القديمة : ٢٨

٤ - اديان الهند الكبرى : ٤٨

٥ - تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، الطبعة الرابعة ١٤٠٠ ، المكتب الاسلامي

فالتوحيد الاسلامي بعيد كل البعد عما يدعيه البراهمة وذلك لان الديانة الهندوسية متقلبة ومتطورة في عقائدها فمن هذا التطوران هذه الديانة رغم احتوائها على مبدأ التثليث فقد اكتشف العلماء وجود عقيدة الحلول والملبب والغدا\* ، فقد ادعوا ان احدي الهتهم قد حلت في رجل يدعى كرشنا ، والعجيب ان اساطير كرشنا التي تتحدث عن ولادته العجيبة وسيرة حياته وقدراته الهائلة مماثلة تماما لما تدعيه المسيحية في المسيح ( عليه السلام ) ويرى بعض العلماء تطابقا يكاد يكون تاما بين ما جاءت به الكتب الهندوسية عن كرشنا وما قد متته المسيحية من كتب عن المسيح . ( ١ )

والأمر المتعلق بموضوع الرهبنة ينحصر باله الخراب والدما عند هم اي " سيفا " والذي وصف بأنه أمير النساك والرهبان ، مما يعطي انطباعا أكيدا بان الرهبان والنساك هم الذين اخترعوا هذه العقائد ، واحاطوها بالاساطير والخرافات التي ظلت الى يومنا هذا .

---

١ - راجع : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التنير ص ٢٦ وما

بعدها ١٨ / ربيع الثاني / ١٣٣٠ هـ بيروت .

وقارن مع : الديانات القديمة ص ٢٨ - ٢٩

## ثانيا : الكارما

من ضمن العقائد المتصلة بالرهينة الهندوسية ما يسمى بـ ( قانون الجزاء ) ويطلق عليه اسم ( الكارما ) وهو يندرج تحت سلسلة الآراء المعقدة (١) التي تكتنف الديانة الهندوسية .

وهذا القانون ينادى بأن ( الانسان يحصد ما يبذر ) فللغرد - حسب اعتقادهم - (في تاريخه الروحي حرته الداخلية الكاملة) (٢) . فما يعطيه

الانسان الآن يجلب ما سيعطيه في المستقبل وما سيعطيه في ذلك المستقبل سيخلق المستقبل الذي يليه وهكذا باستمرار (٣) . . . . . وطى ذلك فقد نص الهندوس على أن هذا الجزاء يكون في الدنيا (٥) .

( فالحياة لا يمكن فهمها الا على افتراض ان كل مرحلة من مراحل وجود النفس تعاني العذاب او تتمتع بالثواب جزاء وفقا لما وقع من النفس في حياة ماضية من رذيلة أو فضيلة اذ يستحيل على فعل صغير أو كبير خيرا ( كان ) أو شرا أن يمضي بغير أثر . إن كل شيء لا بد له من أثر يظهر ذات يوم ) (٦) .

إلا أن الهندوس لما وقعوا في حيرة من أمرهم نتيجة تمييزهم لهذه الفكرة التي لم توجد لهم حلا لبعض الاسئلة التي اعترضتهم ومنها ما لاحظوه ( من واقع الحياة ) ( حيث ) إن الجزاء قد لا يقع ، فالظالم قد ينتهي دون ان يقتص منه والمحسن قد ينتهي دون أن يحسن اليه . ولذلك لجأوا الى القول بتناسخ الارواح (٧) .

وطيه فان الكارما ( ترتبط ارتباطا مباشرا بالتناسخ الذي لا يمكن فهمه دونها ) (٨)

ولهذا القانون شق آخر . . ( فالروح ) بعد ( موت جسد ها يجوز أن ترسل الى الجنة لتنعم بجزاء سريع عبر فضيلة بذاتها ، لكن يستحيل على روح أن تقيم فسي الحميم ، وقليل من الأرواح هي التي يسمح لها بالاقامة في الجنة الى الأبد ذلك لأن الروح لا بد لها بعد فترة تقضيها في الجنة أو الجحيم أن تعود الى الأرض من جديد تنفذ بحياة جديدة - ما يقضي به عليها - كارما ) (٩) .

- 
- ١ - انظر حول هذا التعقيد : تاريخ الحضارات العام ١/٥٦٨ : الفكر الفلسفي الهندي ، د . سرفالي رادا كرشنا ص ١٢ - ت : ندرة اليازجي ، دار البيقطة العربية .
  - ٢ - : أديان العالم : حبيب سعيد ص ٧٩ ، دار التأليف والنشر ، القاهرة
  - ٣ - المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٥٣ .
  - ٤ - الفلسفات الهندية . د . علي زيعور ص ١٣٢ دار الاندلس ، ط ١ : ١٩٨٠
  - ٥ - أديان الهند الكبرى ص ٦٢ - قصة الحضارة ١/٣ : ٢١٥-٢١٦
  - ٦ - أديان الهند الكبرى ص ٦٢ - الفلسفات الهندية ص ١٣٢
  - ٧ - قصة الحضارة ١/٣ : ٢١٥-٢١٦

نقد قانون " الكارما " :

ان هذا القانون فضلا عن كونه من صنع الكهنة والرهبان الهنـد وسـ لا يستند الى أي نص شرعي مؤيد برسالة من عند الله ، بل وضع تكريسا لنظام الطبقات وقسـد أريد من ورائه ( تقييد الكائن الحي بعمله ) (١) فعلى كل فرد من الطبقات الدنيا البقاء ضمن دائرته التي وضعت له والا عوقب .

وهذا القانون مفروض على كل انسان يدين بالبرهمية . وله آثار خطيرة ، ولم يلجأ الهندوس اليه الا بعد شعورهم بحرج الاسئلة الموجهة اليهم ، وعليه فان هذا المبدأ كان مشوشا في عقول أصحابه ، لذا فقد التمسوا الحلول من عقائد أخرى .  
وفكرة الجزاء والعقاب ضرورية للانسان . ولكن لا على النحو الذي ذهبت اليه الهندوسية ، التي قصرته على الحياة الدنيا ، وورقتها بفكرة التناسخ خروجا من التورط .  
وفي المقابل فان أسس تفسير واقعي وعلمي لقانون الجزاء والعقاب نجد في مبادئ

الاسلام الحنيف الذي كفل للبشرية اقامة نظام متكامل قائم على الحق والعدل ، لا يضيع فيه جزاء فرد ، ولا تهدر فيه كرامة مجتمع . فمن الركائز الأساسية لهذا المبدأ ما جاء في قوله تعالى ( فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ) الزلزلة : ٧-٨ وقوله تعالى ( من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ) فصلت : ٤٦ وقوله ( من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون ) القصص : ٨٤ ، وهذه هي القاعدة التي تحكم قانون الجزاء والعقاب في الشريعة الاسلامية ، وعليه فان الجزاء فضلا عن كونه أمرا واقعا في الآخرة فهو في الدنيا أيضا حياة طيبة جزاء من الله تعالى للعبد الصالح لقا تقواه وخشيته من ربه فمن ذلك : التوسعة عليه في الرزق ، واصلاح الذرية ، وإطالة العمر ، والحفظ من الاخطار .  
أما أثره في المجتمع : فيكون بالنصر على العدو وتارة ، أو التقدم والترقي في نظم الحضارة ، وذلك وفق سنن الله تعالى في الخلق والكون .

أما الجزاء الآخروي : ففيه النعيم المقيم . حيث : ( ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ) (٣) وفي ذلك يقول تعالى ( سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله ) الحديد : ٢١  
اما العقوبة فهي منصوص عليها في كتب الفقه الاسلامي تحت باب الحدود ، وفق ما قرره الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، . هذا في الدنيا . أما في الآخرة فان الله تعالى يحاسب الناس جزاء ما اقترفته أيديهم ( يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ) الشعراء : ٨٨ ، فالكافرون لهم عذاب شديد يوم القيامة ( يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ويقول الكافريا ليهنتي كنت تريا ) النبأ : ٤٠ - ( وأما من أتى كتابه وراظهره فسوف يدعوا ثبورا ويصلى سعيرا ) الانشاق : ١٠-١٢ . وهكذا يعيش الانسان في الاسلام واقعا طموسا بعيدا عن جنوح الخيال ، واختراع الوسائل للسيطرة على بني البشر .

١ - راجع : شري ايشوبانيشاد ص ٢٠ ٢ - المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٥٣  
٣ - صحيح البخاري ٨٦/٤ ط ، استانبول ٤ - للمزيد يراجع : بحث " نظرية العقوبة في الاسلام " لابي زهرة ، كتاب المؤتمر الرابع " بحوث في الفقه والمجتمع ص ١٣٦ ، القاهرة ١٣٨٨ هـ - وكذلك دستور الاخلاق في القرآن . د . محمد عبد الله دراز ص ٢٤٣ وطبعها ط ١ - ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م ت : د . عبد الصبور شاهين . مؤسسة الرسالة ، دارالبحوث العلمية .

### ثالثا : تناسخ الارواح

- التناسخ هو عبارة عن ( تعلق الروح بالبدن بعد المفارقة من بسند ن  
اخر من غير تخلل زمان بين المتعلقين للتعشق الذاتي بين الروح والجسد ) (١)  
وهذا السند متصل اتصالا مباشرا بما قبله ، وقد اعتبره بعض العلماء  
هو والكارما سواء (٢)  
فالكارما هو جزاء النفس على ما قدمت عبر الولادات المتكررة وهي التي  
تتحكم بصير الانسان ، كما اسلفنا .

اما التناسخ فانه تكرر الولادات وتعاقبها وانتقال النفس من جسد  
الى اخر " سواء " اكان من الانسان ام من الحيوان " .  
( " وسبب التناسخ او تكرر المولد هو :

اولا : ان الروح خرجت من الجسم ولا تزال لها اهواء وشهوات مرتبطة بالعالم  
المادى لم تتحقق بعد .

ثانيا : انها خرجت من الجسم وطبها ديون كثيرة في علاقاتها بالآخرين لا يسد  
من ادائها فلا مناص انك من أن تستوفي شهواتها في حيوانات أخرى وأن تنذوق الروح  
شارعها التي قامت بها في حياتها السابقة ) (٣)

إن الأصل الذي بنيت عليه عقيدة تناسخ الأرواح يستند الى كتب الهندوس  
القدسة والتي يرجعها الفلاسفة الهنود (الى عصر الملاحم وقد اشتقت هذه الفكرة  
من القصصتين الحماستين " رامينا ، وسهابارثا " .

وقد تضمنت هذه الاخيرة طحمة ( بها جفاد جيتا ) التي اشتهرت مؤلفها  
دينيا اكثر ما هي مقالة فلسفية ، ولم يكتبها نغرا أو مدرسة مفكرين كمنهج فلسفي بسل  
كاستورة تنبعث من حياة الانسان الدينية ) (٤)

ويذهب بعض العلماء الى ابعاد من ذلك موضعا ان هذا السند كان (ثمرة  
لجهود البراهمة حتى لا يخسروا معركة النفوذ والسلطة ازا العامة . . . فقالوا : ان  
النجاة لا تكون بالاضاحي وحدها ولا بالرياضات وحدها بل باندماج الروح الاصفر  
بروح السخلوقات " بالروح الاظم " وهذا الاندماج لا يتم الا بالتناسخ ) (٥)

١ - : التعريفات لابي الحسن علي بن محمد الجرجاني ، طادة التناسخ ،  
الدار التونسية للنشر .

٢ - انظر الاسفار القدسة في الاديان السابقة للإسلام ص ١٥٨

٣ - اديان الهند الكبرى ص ٦٣ . وراجع مجلة ثقافة الهند العدد ٢ ، ١٩٥٠ ، ص ٤٢

٤ - الفكر الفلسفي الهندي ص ١٥١

٥ - مسأسة كشمير السلسلة ص ٣٠-٣١

ولهذا فان البراهمة ارادوا وضع صيغ وطقوس بل واساطير من اجل ترسيخ هذه الافكار في عقول الناس عن طريق القصص الخرافية .

وقد اورد الشهرستاني اسطورة يستند اليها البراهمة في هذا الصدد فسن ذلك قوله ( اما تناسخية الهند فأشدد اعتقادا في ذلك لما عاينوا من طير يظهر في وقت معلوم فيقع على شجرة وهو أبداً كذلك فيبيض ويفرخ ثم اذا تم نوعه بفراخه حك بمنقاره ومخالبه فتبرق منه نار تذهب فيحترق الطير ويسهل منه دهن فيجتمع في أصل الشجرة في مفارة ثم اذا حال الحول وحان وقت ظهوره انخلق ( اي خلق ) من هذا الدهن طير فيطير ويقع على الشجرة وهو ابدا كذلك ، قالوا : فما مثل الدنيا وأهلها في الابد واروا الاكوار الا كذلك ) ( ١ )

ويوضح ابو الريحان البيروني أهمية هذه العقيدة لديهم فيقول ( كما ان الشهادة بكلمة الاخلاص شعارايمان المسلمين والتطهات علامة النصرانية والاسباب علامة اليهودية كذلك التناسخ علم النحلة الهندية فمن لم ينتحلها لم يكن منها ولم يعد من جملتها ) ( ٢ )

ويربط الرهبان الهندوس هذه العقيدة بعباد الخالص ، الذي ليسه مفهوم خطير لديهم ، وقد يؤدى الى الموت بعد تعذيب مرهق للجسد ، فالانسان عندهم يجب ان ( يكتل روحيا واخلاقيا قبل ان يحقق الخلاص ) ( وكما ان ) العدالة هي قانون الحياة الاخلاقية تماما كما ان العملة والمعلول هما قانون العالم الطبيعي وما يزرعه الانسان اياه يحمده وبما ان العدالة والكمال الاخلاقي والروحي لا تتحقق في حياة واحدة لذلك تؤمن هذه العقائد بالولادة الثانية حتى تعطى فرصة للانسان لكي يتقدم اخلاقيا ولكي ينال الكمال . . . ) ( ٣ )

ومن النصوص التي يستند اليها الهندوس في هذا الشأن ما يلي :

- ( وما ان الروح تعرف في هذا الجسد في الطفولة والشباب والشيخوخة هكذا تأخذ جسداً آخر ، ولا يضطرب الحكيم لهذا . . . )

- ( اطم ان كل ما يعلم في الاشياء لا يفنى ولا يدرك . . . )

- ( من يعتقد ان هذا يذبح ومن يعتقد ان ذاك مذبح ، كلاهما يفشلان فسي ادراك الحقيقة ، هذا لا يذبح وذلك لا يذبح . )

- ( لا يولد ابدا ولا يموت ابدا ، وعند ما يوجد لا يتوقف عن الوجود انه غير مولود ابدي ، وازلى ، لا يذبح عند ما يذبح الجسد . )

- ( كما يلقي الانسان بثيابه الممزقة بعيدا ويلبس ثيابا جديدة ، هكذا تطفي الروح المتسجدة الاجساد وتلبس اجسادا جديدة ) ( ٤ )

١ - الطل والنحل ١٨١/٥ - ١٨٢ - تحقيق ما للهند من مقولة في العقل مقبولة او مزولة لابي الريحان البيروني ص ٣٨ دائرة المعارف العثمانية حيدرآباد الدكن ، الهند ١٣٧٧ - ١٩٥٨ م  
٢ - الفکر الفلسفي الهندي ص ١٩ - ٢٠ - المصدر السابق ص ١٦٤  
٣ - الفکر الفلسفي الهندي ص ١٩ - ٢٠ - المصدر السابق ص ١٦٤  
٤ - المصدر السابق ص ١٦٤



(١) وقد انتقلت هذه العقائد الى بعض من انتسبوا الى الاسلام ، وقد ظهر  
ذلك في فرق غلاة الشيعة ، وقد رد الامام ابن حزم <sup>(٢)</sup> على تلك الدعاوى ، وفند  
مزايعهم ، وهي في معظمها لا تخرج عن الاراء الهندوسية .

وهروى ابن الجوزي عن ابن نظيف (ان شيخ الامة يعرف بابي بكر  
ابن الفلاس فقد ثنا انه دخل على بعض من كان يعرفه بالتشيع ثم صار يقول بذه هـب  
التناسخ قال فوجدته بين يديه سنور اسود وهو يسحها ويحك بين هنيها ورأيتها  
وهنيها تد مع كل جرت مادة السنانير بذلك وهو يبكي بكاء شديدا فقلت له لم تبكي  
فقال ويحك أما ترى هذه السنور تبكي كل ما ستحتتها ، هذه أمي لا شك ، وإنما تبكي  
من رؤيتها إلي حسرة . قال : واخذ يخاطبها خطاب من عنده أنها تفهم منه وجعلت  
السنور تصيح قليلا قليلا فقلت له : فهي تفهم منك ما تخاطبها به فقال : نعم .  
فقلت : أتفهم أنت صاحبها قال : لا . قلت : فأنت المنسوخ وهي الانسان <sup>(٤)</sup> .

- 
- ١ - لاحظ انتقال هذه العقيدة بين الامم في : دراسات في الفرق والعقائد  
الاسلامية ، د . عرفان عبد الحميد هاشمي ص ٨١ مؤسسة الرسالة ١٤٠٤ ط١  
وانظر كذلك كتاب : الاسلام ، سعيد حوى ١٢٧/٤ ، مؤسسة الرسالة  
بيروت ط١ ١٣٩٠ - ١٩٧٠
  - ٢ - راجع في هذا الصدد : الطل والنحل ، للشهرستاني ١١٧/٢ وما بعدها  
مطبعة ومكتبة محمد طي صبيح ، القاهرة وكذلك : الفرق بين الفرق ، عبد القاهر  
البغدادي ص ٢٥٣ وما بعدها ، دار الافاق الجديدة بيروت ط٤ ، ١٤٠٠ / ١٩٨٠ م
  - ٣ - راجع ردود الامام ابن حزم في : الفصل ١ / ٧١ وما بعدها .
  - ٤ - هذه الرواية أسندها ابن الجوزي الى ابي الحسن طي بن نظيف  
المتكلم برواية عن محمد بن ابي طاهر البزار عن طي بن المحسن عن ابيه ، .  
وقد حكى ابن الجوزي ، مقالة الفراهنة عن التناسخ ، ثم تعرض لشرح مقولسة  
الهنود عنها . راجع : تبيين ابليس ص ٨٠ ، دار الكتب العلمية ، بيروت

- نقد عقيدة التناسخ :

وجسه الدكتور محمد ضياء الرحمن الاطفي نقدا عليها الى هذه العقيدة باعتباره متخصصا ، في هذا المجال ، وذلك عند ما ناقش الادلة العقلية التي اقامها العلماء الهنود للدلالة على صحة ما يعتقدون ، فاجاب على اربعة ادلة وناقشها ورد شبهها ، وسنورد دليلين كمثال على ذلك .

(الدليل الاول : ان طبيعة الكون تثبت نظرية التناسخ ، فالشمس والقمر والكواكب كل منها تطلع وتغرب ، تظهر وتختفي ، تكون الكواكب مرة في هذا البسج ومرة في ذلك ، فكذا الارواح المتقلة .

الجواب : لم تكن الشمس يوط من الايام قمرا ولا القمر شمسا ولا الكواكب بحرا ، بل كل في فلك يسبحون بأمر الخالق ، بخلاف ارواحكم ايها الهنود وس ، فهي مرة تكون في جسم الانسان ، ومرة في جسم الكلب ، ومرة في جسم الخنزير ، وهكذا ، فقارنوا بين طبيعة الكون وطبيعة الارواح . . . . .

ومن جملة الادلة ايضا

الدليل الثالث : يقولون ان القول بعدم التناسخ يودي الى تعطيل الارواح مع أنها أزلية .

الجواب : هذا الدليل مبني على اعتقادهم الفاسد وهو أزلية الروح والمادة لأنه يودي الى احتياج الخالق الى الروح والمادة عند الخلق ، وهو غني عن كل شئ وقادر مطلق حتى في اعتقاد الهنود وس " سروشكتي مان " اي القادر المطلق (١) .

وما يمكن توجيهه من نقد لهذه العقيدة ايضا :

- ان هذه العقيدة تجعل الانسان يدور في حلقة مفرغة لا يعرف مبدؤها من منتهاها ، وهو ما يودي الى الضياع .

- ان استمرار اوار التناسخ والتقمص يودي الى القول بازلية الآجال والنفوس ، وهو ما ينافي الشرع والعقل .

- ان في هذه العقيدة اقلالا من فرض التوبة امام المسيئين للرجوع عن اخطائهم ، لانها تنادي بحتمية الارتبان للنتائج ، فهي عطية جبرية تطلب حسن الانسان حرته وارانته .

- انها دعوة لتشبيط المهتم وامانة روح التقدم . (٢)

ولهذا كله نرى التأخر في الهند يطغى على مقومات الحياة .

مجلة الجامعة السلفية ، مقال بعنوان ، عقيدة

التناسخ او جولان الروح ، المجلد الرابع عشر العدد الاول ، يناير ١٩٨٢ ، ربيع الاول ١٤٠٢ ص ٦ وما بعدها . الهند ، بنارس

انظر : - الاسلام ، سعيد جوي ١٢٨/٤ - ١٣١

## رابعاً : الاتحاد - أو "الانطلاق"

يرتبط هذا السبدأ ايضاً بما قبله ، فالكارما وتناسخ الارواح عقيدتان لازمتان للوصول الى الاتحاد . فالمرتقي في العبادة المتكشف عن الطدات الحسية يعطي لنفسه في هذه الحالة مجالاً للاتحاد والامتزاج ببراهما كما يدعون .

وذلك لان معنى ( اكتطال السيول والشهوات هو توقفها ، وتغلب الانسان على نفسه بحيث لا يبقى له شهوات ولا ميلا . بل يقتنع بما حصل عليه ولا يتطلب مزيداً . فاذا تم ذلك مع انقطاع عن الاعمال وعن علائق الدنيا وما فيها من ملان وعصيان تلك الشهوات التي تستلزم تكرار المولد . اذا تم ذلك . نجا من تكرار المولد وامتزج ببراهما ( ١ ) .

ومن النصوص التي يستند اليها الرهبان الهنود للدلالة على هذه العقيدة

ما يلي :

( من يعرف المغزى الحقيقي للفيسا : مهبط كان نوع نظامه . يصبح ملائماً لان يتحد مع براهما . ولو كان في هذا العالم .  
- من يعرف الروح من خلال الروح في كل الكائنات المخلوقة يصبح بمسقلية واحدة نحوها كلها ويدخل الحالة العليا ( براهمان ) .

- الانسان المولود ثانية من يتلو الكتب المقدسة التي ألهمها " مانو " يكون فاضلاً ويصل الى الحالة التي يريد ها ( ٢ ) .

وفي المرحلة الرابعة من المراحل التي يقسمها الهنود وس لحياة الناس وهي مرحلة الشيخوخة ، تصبح غاية الانسان الوحيدة هي الحصول ( على ذلك القدر من الحكمة ومن الروحانية ، الذي يمكنه في نهاية الامر من الاتحاد بالربوبية العليا ) ( ٣ ) .

الا ان هناك نوعاً من انواع السطارسة التعبدية التي تعتبر بلا شك اشد حالات

التطرف النسكي في حياة الرهبنة الهندوسية .

اذ ان اليوغا تمثل قمة النشاط الديني الهندي من حيث الاتحاد ببراهما . عند هم . ولا مجال لشرح الاعمال الطقسية المتنوعة التي يمارسها اليوغي لهذا الاتحاد الا ان الطابع العام لهذه الطقوس يتسم بالمغالاة التي تصل الى حد تعذيب الجسد والنفس تعذيباً شديداً تكون نتيجته الحتمية في النهاية لفظ الروح دون ترو .

ولم يقتصر التطرف على الناحية العلية في ممارسة اليوغا بل تعدى الى القول بسانه

ليس من مهمة الروح المعذبة على يد ممارس اليوغا ان ( تتحد مع براهما وكفى بل تصبح ( هي ) نفسه . ان براهما ليس الا ذلك الاساس الروحي الخبي \* . ذلك الروح اللامادي الذي لا يتفرد بنفس والذي يبقى بعد ان تطرد بالرياضة كل علائق الحواس ( ٤ ) .

١ - اديان الهند الكبرى ص ٦١ وكذلك راجع ثقافة الهند العدد الثاني ص ٤٦ سنة ١٩٥٠  
وكتاب محاضرات في تاريخ الفلسفة القديمة . د . محمد جلال شرف . مكتبة كريدية اخوان ص ٣٥  
واديان العالم . حبيب سعيد ص ٨١

٢ - الفكر الفلسفي الهندي ص ٢٧٣ ٣ - قصة الحضارة ١/٣ : ٢٢٩

٤ - يرجع ظهور اليوغا الى عام ٨٠٠ ق م ( الهند حضاراتها ودياناتها ص ١١٠

٥ - قصة الحضارة ١/٣ : ١٦٥

ومن نصوصهم الدالة على اليوفا

( قال الرب المبارك : ) من يعرف مجدى وقدرتي هذه يتحد في باليوفا التي لا تخطى  
ولا شك في هذا ) . و ( الذين يعيدونني ويتحدون في باستمرار أنصحهم قدرة الفهم  
التي يأتيون بها إلي ) ( ١ )

ابطال مقولة الاتحاد :

لقد أعطى الهندوس ذريعة كبرى لمن جاء بعدهم في توسيع مفهوم الاتحاد ،

وكان ابرز من تسك بهذه المقولة وعمل بها هم النصارى الذين اختلفت اقوالهم فيها اختلافا  
كبيراً . وقد تولى العلماء المسلمون الرد على مقولة الاتحاد وابطالها بطرق عديدة ومتنوعة  
فمن ذلك ما اورد الامام ابن تيمية بقوله :

( . . الخالق والمخلوق اذا اتحدا فان كانا بعد الاتحاد اثنين - كما كانا قبل

الاتحاد فذلك تعدد وليس باتحاد . وان كانا استحالا السى شي \* ثالثا كمسا يتحد

الماء واللين والنار والحديد . . . . . لزم من ذلك ان يكون الخالق قد استحال وتبدلت

حقيقته كسائر ما يتحد مع غيره ، فانه لا بد ان يستحيل وهذا متنع على الله تعالى ينزه عنه .

لان الاستحالة تقتضي عدم ما كان موجودا . والرب تعالى واجب الوجود بذاته وصفاته اللازمة

له يمتنع العدم على شي \* من ذلك ، ولان صفات الرب اللازمة له صفات كمال ، فعدم شيسى \*

منها نقص يتعالى الله عنه . ولان اتحاد المخلوق بالخالق يقتضي ان العبد متصف بالصفات

القديمة اللازمة لذات الرب ، وذلك متنع على العبد المحذات المخلوق فان العبد يلزمه

الحدوث والافتقار والذل والرب تعالى يلزمه القدم والغنى والعزة وهو سبحانه - قديم غنى

عزيز يستحيل عليه نقيض ذلك ، فاتحاد احدهما بالآخر : يقتضي ان يكون الرب متصفا

بنقيض صفاته : من الحدوث والفقر والذل ، والعبد متصفا بنقيض صفاته من القدم والغنى

الذاتي والعز الذاتي وكل ذلك متنع ( ٢ )

ويرد الامام الغزالي على دعوى الاتحاد بادلة عديدة منها :

( . . . ان الاله اذا كان خالقا للناسوت ثم ظهر فيه متحدا به ، فقد حدث

له صفة بعد خلقه وهو اتحاد به ، وظهوره فيه \* فنقول : اذا هذه الصفة ان كانت

واجبة الوجود استحال اتصافها بالحدوث وان كانت ممكنة الوجود استحال اتصاف البارى

بها لان صفات البارى كلها واجبة الوجود لان كل ما لزم من عدم وجوده محال فهو واجب

الوجود ، وصفات الاله يلزم من عدم وجودها محال بيبين ( ٣ )

كما انبرى حديثا بعض العلماء للرب على هذه المقولة ومن بين تلك الردود

ما يلي :

١ - الفكر الفلسفي الهندي ص ٢٠٠ - ٢٠١

٢ - فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٢/٣٣٩ وكذلك يراجع الجواب الصحيح ٢/١٦١

٣ - الرد الجليل للامام الغزالي ص ٢٢٠ ، ت عهد العزيز عبد الحق حلمسي

الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية القاهرة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤

( . . من طرق البرهنة على فساد الاعتقاد بالاتحاد ، ايراد هذه الاحتمالات :

١ - اما ان تظل كل ذات من الذاتين موجودة .

٢ - واما ان تغنى احدها وتبقى الاخرى .

٣ - واما ان تغنيا معا .

وفي الحالة الاولى لا يكون هناك اتحاد ،

وفي الثانية :

كيف يمكن الزعم بان هناك اتحادا بين موجود ومعدوم؟

وفي الثالثة :

لا يكون هناك محل للحدِيث عن الاتحاد ، بل الاولى ان نتكلم

عن الانعدام . والمستأنف واضح في جميع هذه الاحتمالات . ( ١ )

---

١ - الموسوعة على الاسلام ، انور الجندي ص ٦١ - دارالاعتصام

وكذلك عقيدة الدرر ص ٢٠٣

### خامسا : الحلول "أوالتجسد"

هذه العقيدة انتقلت الى الهند وسيرالدراردين ، الذين استطاعوا ادخال عقائدهم في ديانة الفزاة ، وهم يقصدون من هذا القول : بان الذات العليا السامية قد حلت في الانسان .

( وكان ابرز هذه الالهة تتمثل بفشنو الذي يترافيه الدراوديون انه يحل في الابطال الاسطوريين القدامى ) (١)

لقد استطاعت هذه العقيدة ان تشق طريقها الى الهند وسية كرد فعل للتمسك البرهمي الاري ، وقد اصبح فشنو فيما بعد منافسا قويا لبرهما وكرشنا ومسح مرور الزمن حل فشنو وسكن في كرشنا ) (٢)

ومن شروح الهندوس لهذه العقيدة قولهم ( تعتبر الجيتا ( كتاب مقدس عندهم ) ان كرشنا هو تجسد ( افارتارانا ) او حلول المقدس في الشكل الانساني واذا بدا الله اللانهائي في الوجود النهائي خلال الازمان فان بيانه يكون في لحظة معينة ويتخذ طبيعة انسانية واحدة بواسطة الشخص المقدس وحرر ذاته المركبة التي بها يحقق الكمال المقدس فاته كما يحيل الى ان يكون متاهيا . ان نظرية افارتا هي تعبير عن قانون العالم الروحي واذا نظر الى الله انه مخلص الانسان فانه يلزم ان يثبت نفسه ويبينها عند ما تهدر قوى الشر وتعمل على تهديم القيسم الانسانية . عالم الجيتا هو مشهد لصراع نشيط بين الخير والشر يهتم به الله كثيرا ويقدم كل محبته لكي يساعد الانسان ليقاوم كل ما يسبب له الخوف او الشر او البشاعة ) (٣)

فكرشنا على هذا الراى يكون قد حل في الانسان ليخلصه ، فهو بمثابة اله شخصي يهتم بالعالم وقد هبط الى الارض لهذا الغرض ومن الصفات التي يضيفونها اليه ( انه محبة ، وسب ذلك تجسد .

ان الكائن الاطى متسامح ، يتقبل جميع انواع الايمان والاعتقادات لا يتعصب لشكل واحد ومعين من التعبد ، اويلوغ الاشراف يكفي الاخلاص وحرارة الايمان : ليس هو لها غيورا ولا فضوليا ولا محتكرا انه يتقبل كل ميل تقي مهبط كانت طبيعته ، وذلك الكائن الاطى موجود في كل شئ<sup>(٤)</sup> وله عند هم اوصاف كثيرة اقتبس منها النصارى ما اطلقوه على عيسى عليه السلام<sup>(٥)</sup>

١ - الهند حضاراتها ودياناتها ص ١١٠-١١٢

٢ - المرجع السابق

٣ - الفكر الفلسفي الهندي . د . راد اكرشنا ص ١٥٦

٤ - الفلسفات الهندية . د . طي زيعور ص ١٦٨

٥ - راجع في هذا ما صدر " العقائد الوثنية في الديانة النصرانية " للتحرير ص ١٣٠ - ط ١٣٣٠ هـ .

وقد نالت هذه العقيدة شهرة كبيرة في الهند بسبب ترويج الرهبان لها . . . وفيه د . النوى  
ان هذه العقيدة قد انتقلت الى اليونان بعد غزو الاسكندر للهند وقد تمثلت بالاله هليود وروس  
وجوبيتر كما انتقلت الى الرومان ومن ثم الى ايران بعد زرادشت ثم انتقلت الى المسيحية التي  
نادت بحلول الاله بالسيح كما انتقلت الى القرامطة والاسماعيلية والبهائية<sup>(١)</sup> فيما بعد .  
— ابطال عقيدة الحلول :

هناك العديد من الانتقادات الموجهة الى هذه العقيدة فمن ذلك ما اشار اليه الفخر الرازي  
حيث يقول ( ان المعقول من حلول الشيء في غيره كون هذا الحال تبعاً لذلك المحل  
في أمر من الأمور وواجب الوجود لذاته يستتبع أن يكون تبعاً لغيره ، فوجب أن يستتبع عليه الحل<sup>(٢)</sup>  
ومن ذلك ايضاً ( انه تعالى لا يجوز ان يحل في غيره ) وذلك لان الحل هو الحصول  
على سبيل التبعية وانه ينفي الوجوب الذاتي ( وايضاً لو استغنى عن المحل لذاته لم يحل فيه )  
ان لا يبد في الحل من حاجة ويستحيل ان يعرض للمغنى بالذات ما يحوجه الى المحل لان  
ما بالذات لا يزول بالغير ( والا احتاج اليه ) : اي الى المحل ( لذاته ) فان الاستغناء  
عدم الاحتياج ولا واسطة بينهما ( ولزم ) حينئذ مع حاجة الواجب ( قدم المحل ) ، فيلزم  
محالات معاً ( وايضاً ) اذا حل في شيء ( فان السحل ) : ان قبل الانقسام لزم انقسامه  
وتركيبه واحتياجه الى أجزائه ( وهو باطل ( والا ) اي وان لم يقبل الانقسام : كالجواهر الفرد  
( كان الواجب احقر الاشياء ) لحلوله فيه .

وايضاً فلسو حل في جسم فذاته قابلة للحلول في الجسم والاجسام متساوية في القبول  
لتركيبها من الجواهر الافراد المتماثلة ( وانما التخصيص ) ببعض الاجسام دون بعض ( للفاصل  
المختار : فلا يمكن الجزم بعدم حلوله في البقعة والنواة وانه ضروري البطان والخضم معترف به )<sup>(٣)</sup>  
ومن المعلوم ان الله تعالى يجب في حقه جميع صفات الكمال كما يجب تنزيهه عن صفات  
النقص وشابهة الحوادث ( فتجسيد الله مستحيل لمشايبته للحوادث ، لان الجسم لا ينفك  
عن الحركة والسكون وهما معدتان ، وما لا ينفك عن المعدت فهو محدث ولان كل جسم متناه  
في المقدار ، وكل ما كان متاهياً في المقدار فهو محدث ولان كل جسم ألف من أجزاء وكسل  
ما كان كذلك افتقر الى من يركبه ويولفه وكل ما كان كذلك فهو محدث ، )<sup>(٤)</sup>  
والحلول ( محال لا يمكن تصويره بين عهدين فكيف يمكن تصويره بين العبد وربه ) .<sup>(٥)</sup>

والحلول محال لاسباب كثيرة ( ذلك لان القديم يختلف عن الحوادث لا اختلاف الطاهية في كل  
منها وهذا الاختلاف يوجب استحالة حلول القديم في الحوادث .  
كما ان الله واجب الوجود وهذا الوصف ينفي الحلول لانه في حالة حدوثة يصبح الحال  
تبعاً لما حل فيه كما يصبح معلولاً لهذا المحل وتأثيراً به بل انه ليصبح في غير الامكان تصور  
الحال الا بتصور المحل ، اذن ينتفي الحلول في هذه المرة كما استحال في الاولى ) .<sup>(٦)</sup>

- ١ - الهند حضاراتها ودياناتها ص ١١-١١٣
- ٢ - اصول الدين : فخر الدين الرازي ت : طه عهد الرواف سعد ص ٤٨-٤٩ دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٤ - ١٩٨٤ وقد رد الرازي ايضاً على هذه العقيدة في : التفسير الكبير ٢١٠/٢١ وما بعدها دار الكتب العلمية ط ٢ طهران .
- ٣ - شرح المواقف للجرجاني ت : د . احمد المهدي ص ٤٨-٤٩ مكتبة الازهر ،
- ٤ - رد افتراءات المبشرين على آيات القرآن الكريم د . محمد جمعة عهد الله ص ٨٧ ط ١
- ٥ - المؤامرة على الاسلام انور الجندي ص ٦١ ٦ - عقيدة الدرر ص ٢٠٣

- أساسا : وحدة الوجود

قبل الحديث عن هذه العقيدة ، تجدر الإشارة الى ان هذه الفكرة لم تكن لترى النور بين الهند وس لولا قيام فريق كبير من الرهبان بأول ثورة على الاساليب والطقوس البرهمية ، رافضين مبدأ سيطرة طبقة البراهمة التي انقضت كاهل الناس ، وقد اراد هؤلاء الرهبان ازالة الفوارق الطبقيّة من بينهم ، وتمثل رفضهم في الانعزال في الكهوف واتخاذ الجبال والغابات اماكن لتأملاتهم الفكرية واستغراقهم للوصول الى المعرفة الحقيقية لهذا الوجود وصلته بالخالق . . . . . وقد قادهم هذا التفكير الى مبدأ وحدة الوجود ، وتعتبر " الايشان (١) خير معبر عن آرائهم وفلسفتهم (٢) .

اما عن هذه العقيدة ، فلها اتصال بالهدى السابقة ، فالفكر الهندي حاول ربط عناصر الكون بالآلهة التي عبدها كما حاول تفسير جميع ما يتعلق بها وربطها باحواله النفسية والذاتية . وبمبدأ فكرة وحدة الوجود لسم تستقر في عقول الرهبان الا بعد عدة مراحل :

(في المرحلة الاولى : آمن الهند وسي بوجود تقديم القرابين والعبادات للآلهة ، وفي المرحلة الثانية لم تعد القرابين المادية ضرورية ، بل حل محلها مراقبات طقس ظواهر كونية تخيلها الناس ضحايا ، وذلك كالشمس والنار والهوا . .

وفي الثالثة : راقب الانسان نفسه وتصورها قربانا يصل الى براهما ، ونفسى الرابعة تجردت المسراقبات عن تصور القرابين وصار الناس يراقبون انفسهم على انهم القوة الكامنة العالمية المؤثرة ثم وصلوا من التمثل الى العينية واذعنوا ان النفس الشخصية هي عين القوة الحيوية العالمية او البراهما فصار المفكر والموضوع الخارجي شيئا واحدا (٣) .

ويذهب بعض العلماء الى ان فكرة وحدة الوجود الهندية قد اعتمدت على

اساسين : ١ - الوجود ٢ - العدم

وفسر الهندوس الوجود بانه الكامل وحده والخير وحده والدايم وحده ، والقدرم الأزلي ، ومبروا عنه ببراهما ، وفي مقابله العدم وهو الناقص كل نقص والشر كل الشر ومبروا عنه بالعالم بما فيه من كائنات حية وغيرها (٤)

١ - احد كتب الرهبان الهندوس المقدسة ، ومعناه : الجلوس في صحبه الامانة

راجع : الهند حضاراتها ودياناتها للندوي ص ١٠٦ - ١٠٨

٢ - المرجع السابق

٣ - اديان الهند الكبرى ص ٦٦-٦٧

٤ - راجع : الجانب الالهي من التفكير الاسلامي . د . محمد البهي ص ٣٢١-٣٢٢

دار الكتاب العربي القاهرة ، ١٩٦٧



وترى البرهمية ايضا (ان الوجود الكامل حل في العدم الناقص او بمعنى آخر الوجود في العدم والكامل حال في النقص والدائم حال في اللادائم ، فالبراهمة مركب من شيئين متقابلين تمام المقابلة والانسان كجزء من هذا العالم مركب من خير وشر وكمال ونقص ودوام ولا دوام فمهمة البرهمي تنحصر في امرين : التقرب من براهمة والابتعاد عن مطالب الجسم وهي الشهوات وذلك بالمبالغة في الزهد ، وكما بالغ في الزهد كان وفيما لمهتته ، ان في هذه المبالغة يتوقف خلاصه كما يتوقف عليها الى حد كبير اتحاد براهمة ، فرأى البرهمية في الوجود يوصل الى الوحدة فيه ثم يجعل هذا الوجود الواحد حالا في مقابله وهو العدم او هذا العالم (١).

ومن هذه العقولة ما جاء في "أوانيشاد برهاداراتياكا" في فصل "استمرار وصف برهمن بانه مصدر العالم ، ما يلي :

- جارجيا قال : ( اى يقول جيارجيا وهو صاحب روهى )

( الشخص الذى يوجد هناك بعيداً في الشمس . . . في القمر . . . في البرق . . . يوجد هنا في الفراغ في الريح . . . في النار . . . وفي الماء . . . في المرأة الصوت هنا هو الذى يستمر بعد أن يذهب الواحد . . . فالشخص الذى هو في كل انحاء الارض . . . الذى يشمل الظل . . . الذى يوجد في الجسد . . . هو مسن اعده . . . هو براهمن .

- ان لبراهمن شكلان : له شكل ولا شكل له . الغاني والخالد ،

(٢) . الثابت والمتحرك ، القريب والبعيد ) .

كما ان ملحمة "بهاجفاد جيتا" تذكر في الفصل الحادى عشر كيفية

تجلي الاله لارجونا فتقول في الفقرة ١٣

( هناك شاهد ارجونا الوجود بكامله باجزائه العديدة المتجمعة في واحد

في جسد اله الالهة ) (٣) .

وفي فصل خلق العالم المتنوع من الروح الواحدة تذكر الاوانيشاد برهادار

انيكافصفا خرافية واساطير عن هذا الموضوع (٤)

١ - الجانب الالهي من التفكير الاسلامي ص ٣١٥-٣٢٠

٢ - الفكر الفلسفي الهندي ص : ١٢٩

٣ - المصدر السابق ص ٢٠٥

٤ - المصدر السابق ص ١٢٢ ، وقد طق ديورانت في قصة الحضارة على هذه

الخرافات انظر ١/٣ : ٣٤

وقد قارن البيروني بين ما ذهب اليه الفكر اليوناني القديم وبين عقيدة الرهبان الهنود وس في هذه العقيدة : (١)

- ابطال عقيدة وحدة الوجود :

هناك العديد من الردود على هذه المقولة. أوجز هنا بعضها. فمن ذلك :

ان من سخف العقول السنادية بهذه العقيدة جعل الخالق تبارك وتعالى والمخلوق سواً وهو محال ، لانه تعالى لا يشابهه شيء ( لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ) (٢) ( وهو قائم بنفسه ومعناه : انه بوجوده مستغن عن خالق يخلقه وعن محل يحله ، وعن مكان يقفه قال تعالى ( اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ) (٣) مبالغة عن القيام والثبات على الاطلاق من غير حاجة الى صانع يصنعه أو موجد يوجده أو مكان يحله (٤) .

وفي معرض رده على القائلين بان : الوجود واحد بمعنى ان الموجودات

اشتركت في سمي الموجود يقول الاطام ابن تيمية ( . . . فهذا صحيح لكن الموجودات ،

المشتركات في سمي الواحد لا يكون وجود هذا عين وجود هذا ، بل الاشتراك في الاسم العام الكلي . فالاشتراك في الأسماء التي يسميها النحاة اسم الجنس ويقسمها المنطقيون الى جنس ونوع وفصل وخاصة وعرض عام . فالاشتراك في هذه الاسماء : هو مستلزم لتباين الاعيان وكون احد المشتركين ليس هو الآخر ، وهذا ما يعلم به أن وجود الحق مباين لوجود المخلوقات فانه أعظم من مباينة هذا الموجود لهذا الوجود. فاذا كان وجود الفلك مبايناً مخالفاً لوجود الذرة والبعوضة فوجود الحق تعالى اعظم مباينة لوجود كل مخلوق ، فإن الوحدة العينية الشخصية تمنع في الشيعين المتعددين ولكن الوجود واحد في نوع الوجود بمعنى أن اسم الموجود اسم عام يتناول كل واحد كما أن اسم الجسم والإنسان ونحوهما يتناول كل جسم وكل انسان . وهذا الجسم ليس هو ذاك وهذا الانسان ليس هو ذاك وكذلك هذا الوجود ليس هو ذاك . (٥)

ويقول ( ولهذا اتفق ائمة المسلمين على ان الخالق بائن عن مخلوقاته ليس في

مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من . مخلوقاته بل الرب رب والعبد عبد ( إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً ، لقد أحصاهم وعددهم عدداً و كلهم آتية يوم القيامة (٦) فرداً ) (٧) .

---

١ - انظر : تحقيق ما للهند من مقولة ص ٣٠ . ويعتبر د . الندوي ان هذه الازاء تعتبر تحولا كبيرا نتيجة لما احدثه الرهبان الهنود ضد البراهمة ان ( شكلوا نقمة تجاه هذه الطبقة وبالتالي لاقت رواجا بين الناس الا ان البراهمة استطاعوا عن طريق السوارة والخداع امتصاص الثورة والقضا عليها عبر استقالة الرهبان ) الهند حضاراتها ودياناتها ص ١٠٦ - ١٠٨  
٢ - الشورى / ١١ ٣ - ال عمران / ٢ ٤ - التصير في الدين ، لابي المظفر الاسفراييني ص ١٥٦ طالم الكتب ٧ ط ١ ١٤٠٣ هـ  
٥ - فتاوى شيخ الاسلام ٢ / ٣٥١ - ٣٥٠ ٦ - مريم / ٩٥  
٧ - فتاوى شيخ الاسلام ٢ / ٣٤٠

وطيبه فان الله تبارك وتعالى منزه عن شابهة الخلق لقوله تعالى :

( ليس كمثله شئ \* وهو السميع البصير )

و ( لو لم يكن مخالفا للحوادث لكان ماثلا لها ، ولو كان ماثلا لها

لكان حادثا ، كيف وقد ثبت قدمه ( . . . . . )<sup>(١)</sup> فالله سبحانه وتعالى هو الحقيقة

الوحيدة وراء هذا العالم حقيقة لا نهائية سرمدية ( فهو ) لا يندمج في العالم ، ولا  
يندمج العالم فيه ولا يندمج في المادة .

ولذلك فان قول اصحاب مذهب وحدة الوجود بان الله والمادة

وحدة لا تتجزأ ( مخالف للاسلام الحنيف )<sup>(٢)</sup> . . . الذي يدعوا الى ان جميع

هذه الكائنات لا بد لها من خالق . والخالق هو الله تبارك وتعالى .

---

١ - شرح جوهرة التوحيد ص ٥٢

٢ - السوامة طي الاسلام ص ٥٩

## الفصل الثاني

### الفرق الدينية في الهندوسية ومصادرها :

#### اولا : الفرق الدينية

تعددت فرق الهندوس الدينية تعددا كبيرا ، وقد غلب عليها طابع الفلسفة ومنها ما هو متأثر بالسحر ، كما أن للتقشف والرهبنة نصيبا من هذه الفسوق وقد أحصى الشهرستاني رحمه الله - سبعة عشر فرقة من فرقهم ، وقد أكلتها السبعون من مصادرها أخرى . كما لخصت ارا\* كل فرقة بقدر الاستطاعة فجاءت على النحو التالي :

- ١ - أصحاب البددة: من أهم مبادئهم ، عبادة البد ، ومعناه : عندهم شخص في هذا العالم لم يولد ولا ينكح ولا يطعم ولا يشرب ولا يهرم ولا يموت . وقد اختلفوا في وصفه اختلافا كبيرا ، وقالت كل طائفة منهم برأى يخالف الآخر ، ومن آرائهم المحافظة على عشر خصال : من بينها الامتناع والتخلي عن الدنيا والاعراض عن شهواتها
- ٢ - أصحاب الفكرة : من مبادئهم : تمجيد الفكر والعقل وهم يقومون بأنواع كثيرة من الرياضات المجهددة للوصول الى التجلي : ويسمون أيضا البكرنتينية ، وهم يصدقون أجسادهم من أواسطهم الى صدورهم لثلاث تنشق بطونهم من كثرة العلم وعطية الفكر .
- ٣ - أصحاب التناسخ : وهم أصحاب أسطورة الطير ، وقد مر ذكرها أثناء الحديث عن التناسخ .
- ٤ - أصحاب الروحانيات : ومن مبادئهم ، الايمان بمتوسطات روحانية تأتبههم بالرسالة من عند الله في صورة البشر من غير كتاب .
- ٥ - الياسنوية : كأصحاب الروحانيات بالنسبة للرسول ومن مبادئهم تعظيم النار والنهي عن القتل والذبح ، وإباحة الزنا واتخاذ الأصنام ، لعبادة متوسطات روحانية .
- ٦ - اليهودية : ومن مبادئهم عبادة الاصنام وجعل عظام الناس قلائد وأكساليسل ورفض الدنيا ، ولا معاش لهم فيها الا من الصدقة .
- ٧ - الكابلية : أتباع ملك روحاني يقال له شب .
- ٨ - البهادونية : وهم أتباع بهادون وهم أصحاب خرافات كثيرة .
- ٩ - عبدة الكواكب : يسير هو\* على مذهب الصابئة .
- ١٠ - عبدة الشمس : يعبدون الشمس ويسمون أيضا الدينكية ، ومن سنتهم اتخاذ صنم لهم بصورة الشمس ويستقربون اليه بالقرابين ( ٤ ) .

١ - راجع الطل والنحل للشهرستاني ١٧٨/٥

٢ - الفهرست لابن النديم ص ٤٨٧ ط : دار المعرفة

٣ - راجع ص ( ٤٨ ) من هذا البحث .

٤ - راجع الطل والنحل ١٧٨/٥

١١ - (عدة القمر : زعموا ان القمر ملك من الملائكة ، يستحق التعظيم والعبادة وهم يصومون من كل شهر النصف ، ولا يفطروا وأحتى يطلع القمر ، ويحتفلون في تلك الليلة ويطلق عليهم ايضا " الجندريه كنية " (١) .

١٢ - عدة الاصنام : جعلوا لمعبوداتهم اصناما لتقربهم الى الله زلفى ، وقد تأثر بهم اصحاب الروحانيات والكواكب .

١٣ - المهاكالية : هم اتباع صنم يدعى مهاكال ، ويؤمنون انه عفريت من الشياطين يستحق العبادة ، وانهم يتقربون اليه ثلاث مرات كل يوم ويسجدون له ويظوفون بسسه وسألونه حاجاتهم .

١٤ - البركسيكية : هم من عدة الاصنام ، وطريقة عبادتهم هي : وضع الصنم المعبود في شجرة باسقة ويظوفون حوله ويسجدون له .

١٥ - الدهكينية : يتخذون صنما طى شكل امرأة ويتقربون اليه بضرب اعناق الغنم ولهم طريقة سيئة جدا في احتفالاتهم الدينية حيث يهجمون على الناس وهم يركبون الفيلة فيقتلون كل من كان أمامهم .

١٦ - الجلهكية : هو " يعبدون الماء " وتتم عبادتهم بالتجرد من الثياب وستمر العورة ثم بالدخول في الماء حتى يصل الى الحلق . ويقومون طى هذه الحال ساعة او ساعتين مع التسبيح والقراءة . فاذا اراد احد هم الانصراف حرك الماء بيده ثم اخذ منه شيئا ، فيقطر به راسه وسائر جسده خارجا ثم سجد وانصرف .

١٧ - الاكنواطرية : هم من عدة النار ، ويؤمنون ان النار اعظم العناصر ، وتقوم عبادتهم على القا " القرايين النفيسة في اخذ ود مشتعل بالنار ، ويجلسون حولها صائمين يسدون انفاسهم حتى لا يصل اليها من أنفاسهم نفس صدر عن صدر مجرم .

١٨ - الكناكباترة : من سنتهم ان الانسان اذا انبذ نيا ان يشخص من بعد او قرب حتى يغتسل في نهر الكيف فيظهر بذلك .

١٩ - الراحرنية : وهم شيعة الطوك ومن سنتهم في دينهم معونة الطوك ، قالوا : الله الخالق تبارك وتعالى ملكهم ، وان قتلنا في طاعتهم مضينا الى الجنة .

٢٠ - ومن هو " فرقة تدعو الى تطويل الشعر وعدم شرب الخمر ، والحج الى جبل يقال له حور عن ، يحجون اليه ، فاذا انصرفوا من حجهم لم يدخلوا العمران فسي طريقهم اذا انصرفوا وان رأوا امرأة هربوا منها ولهم في الجبل بيت عظيم فيه صورة (٢) .

١ - الفهرست ص ٤٨٨ ، وما فصله الشهرستاني عن هذه الفرقة ١٢٨/٥ وما بعد ها وما اوضحه الدكتور سليمان دنيا في تحقيق لكتاب " التفرقة بين الاسلام والزندقة " للفرزالي ، ص ١٣٤ - ١٥٨ ط ١٣٨١ - ١٩٦٦ م . دار احيا الكتب العربية عيسى البابي الحلبي . وما نقله د . محمد جلال شرف في محاضرات لفلسفة القديمة " عن

هذا الموضوع ص ٤٤ - ٤٧

٢ - راجع الفهرست ص ٤٨٩ - ٤٩٠

ثانها :

الكتب المقدسة عند الهندوس \*

ظلت الكتب الهندوسية المقدسة مجهولة لدى العلماء الغربيين قرونا طويلة في حين ان العلماء المسلمين لم تغيب عنهم هذه المعرفة ، وذلك لاتصالهم بالهند وفتحهم لها .

وأشهر هؤلاء العلماء هو أبو الريحان البيروني ( ٣٦٢-٤٤٠ ) . الذي نزل الهند واضطلع على عاداتها وتقاليدها ودرس عقائد ها ونحلها وخرج الى العالم بمؤلفه النفيس " تحقيق ما للهند من مقولة في العقل مقبولة او مردولة " الذي يعتبر اول مرجع تاريخي اسلامي عن الهند .

كما أن هناك العديد من العلماء المسلمين الذين أسهموا بالدراسات والابحاث عن الهند واحوالها ، ونخص من بينهم القاضي ابا القسم صاعد بن أحمد الاندلسي ( ٤٦٢ هـ ) كذلك قام الرحالة محمد بن ابراهيم اللواتي الشهير بابن بطوطة ( ٧٠٤-٧٢٩ هـ ) ( ١٣٠٣-١٣٧٧ م ) برحلات كثيرة الى بلدان عديدة ومنها الهند التي التقى فيها بكثير من نساكها ورهبانها وسحرتها وتكلم عنهم (٤) ويختلف العلماء والمؤرخون حول تاريخ تدوين كتب الهندوس ، وخاصة كتابهم المشهور باسم " القيدا " الذي يعتبر بالنسبة للهندوس السجل الديني

١ - قال عنه العلامة الانجليزي " سخاوي " : ( إنه أعظم عقلية عرفها التاريخ ) ، ، والغربيون مدينون له بمعلوماتهم عن الهند وآثرهم في العلوم وقد صاغ نظرية دوران الارض حول محورها وحول الشمس ( انظر بتوسع : من منابع الفكر الاسلامي ، أنور المجندى ، ص ١٠٨ ، دار التحرير للطبع ، المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م ) .

٢ - ألفه حوالي سنة ٣٩٠-٣٩١ هـ ، راجع : الاسفار المقدسة ص ١٥٤

٣ - انظر كتاب طبقات الامم له ، ص ١٧-١٨ ، مطبعة السعادة بصر .

٤ - راجع كتاب : رحلة ابن بطوطة ، ص ٥٤٣ ، دار صادر بيروت ١٣٧٩-١٩٦٠ م

٥ - يذهب . الندوي الى ان القيدا تعتبر تاريخ الفكر الارى منذ عام ١٨٠٠ ق م ولكن هذا الكتاب لم يدون إلا منذ سنة ١٠٠٠ ق م . ( وصعتقد الباحثون ان التدوين الغني لهذا الكتاب قد تم خلال سنة ٦٠٠ ق م ) . : الهند حضاراتها

ودياناتها ص ٩٨ ، ولمزيد يراجع ايضا : الفلسفات الهندية ص ١٤٧

٦ - يطلق البيروني لفظ " بيد " على " القيدا " وربما تكون هذه التسمية متداولة في عصره أو أن الفاء في قيدا تنطق باء بالفارسية . ومعنى القيدا كما أورد البيروني : العلم بما ليس بمعلوم . وقد شرح - رحمه الله - أسما كتب القيدا ومحتوا تها

وألحق ما دار حولها من خرافات واساطير . انظر : تحقيق ما للهند ص ٩٦ وما بعدها .

والتاريخي والاجتماعي ، وهو كتاب كبير يحتوى على عدة أقسام ، دونت فيه جميع الآراء العقديّة والأناشيد المختلفة في مدح آلهتهم المتعددة ، كما دونت العادات والتقاليد الاجتماعية والسياسية وأحوالهم المعيشية وكل ما يمت إلى الآريين بصفة .

(١)  
ولا يعرف على وجه التحقيق أسماؤه واضعي هذا الكتاب ، ولكن من الثابت أنه نتاج تعاون مجموعة من كهنة ورهبان وطوائف البراهمة .

ويعتبر الهندوسان هذه الكتب المقدسة عندهم بوجهي بها من الهتهم ويرجع تقدسهم للقيسدا إلى الاتجاه الروحاني لدى الفكر الهندي والموافق على تأليه أو تقديس أي كتاب دون الحاجة إلى إهداء الأسباب (٢) .

---

١ - يذهب د . وافي إلى أن واضع القيدا هو : قيدافياسا ، أي جامع القيدا .

انظر ، الاسفار المقدسة ص ١٥٢ .

وربما يكون هذا أول هندي كتب كتابا دينيا هندوسيا ثم توالى بعد ذلك كتابة القيدا ، لأنه من غير المعقول كتابة مؤلفات ضخمة من قبل مؤلف واحد ، وعبر قرون متعددة ، وقد أشار فوستاف لوبون إلى أن " القيدا " كتب من قبل عدد من اللاهوتيين وأن إهداءها كان في عدد من القرون ( حضارات الهند

ص ٢٥٨ .

٢ - ادريان الهند الكبرى ص ٧٦

## أ - أقسام " الفيدا "

لاتصال هذا الموضوع بالرهينة ، من حيث كونه نتاج الفكر الديني عندهم ، لابد من إعطاء تلخيص بسيط لأقسام الفيدا وما يحتويه كل قسم . وتتوزع كتب الفيدا على أربعة أقسام (١) .

### أولاً : رج فيدا (٢)

أي معرفة ترانيم الثناء ، وهي مجموعة أناشيد وصلوات ، تلى في العبادة وعند تقديم الاضاحي (٣) ، وخلال القيام بالواجبات والطقوس الدينية . (٤) وفيه صور واضحة للالهة القديمة التي جلبها الآريون من موطنهم الأصلي . وهي تحتوي على ١١٠٧ انشودة وتنقسم إلى عشر كتب تمثل الحقبسة الأولى لتطور الإدراك الديني (٥) .

### ثانياً : ياجور فيدا :

معناها الفيدا الهوائية ، أي النسوية للهوا (٦) . وتشتمل على العبادات النثرية التي يتلوها الرهبان عند تقديم القرابين (٧) .

### ثالثاً : ساما فيدا

أي الفيدا المنسوبة للشمس ، وتشمل الاغاني التي ينشدها المنشدون أثناء إقامة الصلوات وتلاوة الأدعية (٨) وفيها بعض التعليقات الفلسفية والتأملات (١٠) .

---

١ - هذا التقسيم قام به " فياسا ضيفا " . . . ثم أوكل أمرها إلى تلاميذه المختلفين انظر : " شري ايشوانيشان " . أ. س. بكطي فيداناسوامي براهوبياض ، الاشاريكا المؤسس للمجتمع العالمي لوعي كريشنا ( ص ٨ دار كتب بهكطي فيدانانتا ، لسوس انجلوس ، لندن ، هومباي ١٩٧٤ .

٢ - كلمة رج : تطلق على الأشعار ، والفيدا : على المعرفة ويقصد بكلمتا الكلمتين أناشيد المعارف الروحية ( ) . : الهند حضاراتها ودياناتها للندوى ص ٩٩ وراجع في هذا الصدد الاسفار المقدسة ص ١٥٢

٣ - راجع : الفلسفات الهندية ص ١٤٧ . . .

٤ - راجع الهند وحضاراتها ص ٩٩ ٥ - الفكر الفلسفي الهندي ص ٢٦

٦ - راجع الاسفار المقدسة ص ١٥٢ ٧ - اديان الهند الكبرى ص ٤٢

٨ - الاسفار المقدسة ص ١٥٢ واديان الهند ص ٤٢

٩ - اديان الهند الكبرى ص ٤٢ ١٠ - الفلسفات الهندية ص ١٤٧



رابعاً : آثراً قيماً

(١) تشمل مقالات في السحر والرقى والتوهجات الخرافية والسحرية وتبلغ حوالي ١٨٠٠ انشودة فيها حكم وقصص شعبية ووسائل لحماية النفس من الشياطين والاعداء\* والنفوس الخبيثة ، كما يعتقدون .

(٢) هذه الكتب الاربعة تنقسم بدورها الى اربعة فروع وهي :

١ - سامهيتا : وهي مجموعة من الأناشيد ، والصلوات ، وقواعد الاضاحي ، وأناشيد جماعية ، كان آخرها في بداية الفلسفة الهندية ، وتطورت فيها العبادة ، من التعدد الى التوحيد .

٢ - البراهماناس :

هي كتابات نثرية تبحث في مغزى الشعائر والطقوس والاحتفالات التي لها علاقة بالاضاحي والذبائح وهي من على الكهنة وفيها توجيهات لكبار السن ( الذين في سن الشيخوخة ) .

٣ - الاريناكس :

نصوص دينية لساكني الغابة من المتعبدين ، وهي مخطوطات تبحث في المسائل الفلسفية وتشجع على التأمل ، وغالباً ما تكون لمن بلغوا آخر درجة في السلم الديني ، وهي حالة الترهيب .

٤ - الاوبانيشاد (٤) :

وهي مخطوطات دينية عمارة عن خلاصة للبراهماناس وفيها احتجاج فلسفي ضد ديانة البراهماناس وفيها ميول نحو توحيد عبادة الاشخاص . وهذه كما قلنا في السابق من وضع الرهيان الهنديس الذين وقفوا ضد سيطرة البراهمة .

١ - راجع : اديان الهند الكبرى ص ٤٣

٢ - راجع الفلسفات الهندية ص ١٤٧ وكذلك : الفلسفة في الشرق ، بول ماسون اورسيل . ت : محمد يوسف موسى ص ١٠٩ ، دار المعارف بصر .

٣ - عدت الى تلخيص هذه الفروع الاربعة من : الفكر الفلسفي الهندي ص ٢٦ واديان الهند الكبرى ص ٤٣ ، وراجع في هذا الصدد : موسوعة التاريخ الاسلامي

د . عبد الله مبشر الطرازي ٣١٩/١

٤ - نطلق على (الذهب الغامض الطغز الذي كان يسره المعلم الى خيرة تلاميذ ،

واحبهم اليه ، وهذه الاسفار مليئة بالسخافات والمتناقضات ) قصة الحضارة

١/٣ : ٤٣-٤٤ ، وراجع ما جاء عنها في : حكمة الاديان الحية ، جوزف كاير ص ١١٢

كما ان هناك مجموعات اخرى من الكتب المقدسة لدى الهندوس والتي يرجع تاريخ تأليفها الى القرن السادس والسابع ق.م. واهمها :<sup>(١)</sup>

١ - رامايانا : وهي تتحدث عن الافكار السياسية والدستورية للحياة الهندية ، وطرق اختيار الطوك وولاية العمود ، ومغامرات الاله فشنو ، وتبلغ ٢٤ الف مقطوعة .<sup>(٢)</sup><sup>(٣)</sup>

٢ - مهابهاراتا : وتعتبر طحمة الهند الكبرى وتشبه الاليازه والاوديسة عند اليونان .<sup>(٤)</sup>

وهي عبارة عن كتب اهتمت بالقصائد الفلسفية في ادب غير منظم ، وتشمل ٢٠٥٠٠٠ بيتا من الشعر ، وتقسم هذه الطحمة وقائع تجسد اخر لاله فشنو الذي جاء هذه المرة بصفة " كرشنا " الذي نشأ راعيا للبقر ، واسهم في عدد من الوقائع والمآثر قبل ان يقتل خطأ من قبل هيدو ، ويهجر الى بحر اللبن شواه السماوى . وقد اخذت ثلاثة نصوص فلسفية من المهابهاراتا سميت " البهاغاد غيتا - وكلاهما محشوبالاساطير .<sup>(٥)</sup><sup>(٦)</sup><sup>(٧)</sup><sup>(٨)</sup>

٣ - داراماستراس<sup>(٩)</sup>

وهي مقالات في الاخلاق والفلسفة الاجتماعية ومقالات تتحدث عن سلوك الاربين في حياتهم وتصف تنظيمهم الاجتماعى واعمالهم . الخ .

١ - راجع الفكر الفلسفى الهندى ص ٩

٢ - اديان الهند الكبرى ص ٩٣

٣ - حكمة الاديان الحية ، جوزيف كايرت : حسين الكيلانى ص ١١٥

٤ - اديان الهند الكبرى ص ٧٧

٥ - انظر حضارات الهند ص ٤٥٣

٦ - حكمة الاديان الحية ص ١١٥

٧ - الفكر الفلسفى الهندى ص ٩

٨ - حضارات الهند ص ٢٩٣

٩ - الفكر الفلسفى الهندى ص ٩

(١)  
٤ - وهناك أيضا مجموعة كتابات وأبحاث مختلفة سميت " بالسوترا " أو " شتر " ويعود تاريخها الى القرن الاول الميلادي وقد جمعت جميع الطوائف الهندية فيها معلوماتها الفلسفية . وقد اخذت طابع المناهج ووصفت عقائد كل منهج على صورة اقوال منظمة يعترضها الغموض بعض الاحيان (٢)

٥ - ثم جاءت فترة كتبت فيها التعليقات على السوترا من اجل توضيحها كما كتبت تعليقات حول هذه التعليقات (٣) واهم هذه التعليقات : تعليق شنكاريا وتعليق رامونا جاشاريا وتعليق فاشيناشاريا . (٤)

٦ - يوجا واسيستها :

منظوم يحتوي على اربعة وستين الفا من الابيات وموضوعها يختص بالفلسفة واللاهوت . (٥)

وفي هذه العجالة جدير بان نشير الى ما اوردته البيروني من كتب الهندوس التي عالجت مواضيع الفقه والزهد وطلب الخلاص من الدنيا ولم يذكرها غيره ممن المؤلفين وذلك في كتابه تحقيق ما للهند ، والذي قال فيه عن هذا الموضوع :  
( ولهم كتب في فقه ملتهم وفي الكلام وفي الزهد والتأله وطلب الخلاص من الدنيا مثل كتاب عله " كور " الزاهد وعرف باسمه ومثل " سانكك " عله " كهل " فسي الامور الالهية ومثل " ياتنجل " في طلب الخلاص واتحاد النفس بمعقلها ومثل " تابينهاسي " لكهل في " بيد " وتفسيره . وانه مخلوق وتمييز الفرائض فيسه من السنن ومثل " ميانس " عله جيمس في هذا المعنى ومثل لوكايت عله المشتري في الاخذ بالحسن وحده في المباحث ومثل " اكست ميت " عله سهيل في العمل بالحسن والخير معا ) الى غير ذلك من الكتب الاخرى . (٦)

- ١ - انظر كتاب " منوسمري " كتاب الهندوس المقدس . ترجمة : احسان حقي ص ( ه ) ، دار اليقظة العربية .
- ٢ - الفكر الفلسفي الهندي ص ١٠
- ٣ - الفكر الفلسفي الهندي ص ١٠
- ٤ - راجع : شري ايوانشاد ص ٩
- ٥ - اديان الهند الكبرى ص ٨٩-٩٠
- ٦ - راجع بتوسع : تحقيق ما للهند ص ١٠٢

يتضح من خلال استعراض اهم الكتب الهندوسية ، ان هذه الكثرة تدل دلالة واضحة على كثرة الكهنة والفلاسفة والرهبان الذين وضعوا هذه المؤلفات ودونها على مدى قرون بعسيدة .

وقد اوردت بعض الابحاث الحديثة اسما \* عدد من فلاسفة وكهنسة الهندوس والذين يرجح ان يكونوا من بين كتبة هذه الاسفار ، والتي يرجع تاريخها من القرن الاول الميلادى الى القرن السابع عشر منه .  
ومن بين هؤلاء ( ١ )

- سامكارا	- كرماريليا	- شريدهارا
- رامانوجا	- فاكساتي	- اوانا
- ياسكارا	- جاينتا	فيجنيا نيبكو ( ٢ )
- راجوناتا	- ياجانا فالكيا	- جارجي ( وهي امرأة )

وعلى الرغم من كثرة الكتب الهندوسية الدينية وتعدد ها واختلاف نصوصها وتعارضها مع بعضها البعض الا ان نظرة الهندوس الى هذه الكتب هي نظرة احترام وتقدير وهذا المفهوم مأخوذ من مبدأ تقديس تراث الاباء والاجداد او ما يسمى بالمحافظة على النزعة والتراث القومي ، وهذا يدل دلالة واضحة على تفشي عادة التقليد الاعى ، وان كان هذا التقليد لا يستند الى اصول وجذور صحيحة ، وقد لسنا بعضا مما تحويه هذه الكتب من خرافات ، واساطير .

---

١ - راجع عن هذه الاسماء في : الفكر الفلسفي الهندي ص ١١ وكذلك ص ٧٢ فيها المزيد من مؤلفي الكتب الهندوسية .

٢ - راجع قصة الحضارة ١/٣ : ٤٤ .

ب - قوانين مانو

نفرد الحديث في هذه الزاوية عن هذا الكتاب لانه يعتبر من أهم الكتب الهندوسية ، ان انه تلخيص وتعميد للاحكام والقوانين والتشريعات التي احتوتها الفيدا<sup>(١)</sup> . وكان الهدف من وراء هذه القوانين ، ضبط السلوك في المجتمع الهندي مع تحديد الطقوس والعبادات وتفصيل الواجبات والفروض وتوضيح السبادي<sup>(٢)</sup> الاخلاقية والاجتماعية التي يقوم عليها الفكر الهندوسي .

وليس هناك تاريخ قطعي لتحديد زمن كتابة هذه القوانين ، ولكن العلماء رجحوا بانه كتب في نحو المائة السادسة قبل الميلاد ، وان كاتبه أو واضعه هو الاله براهما وانه طمه الاله ( مانو ) وهذا يدوره طمه الى بهركو . هذا ما يزعمه الهندوس في وضع الكتاب .

وتحتوي هذه القوانين اثنتي عشر بابا تضم ٢٦٨٥ بيتا او فقرة تنص على التشريعات الدينية والاجتماعية والسياسية وغيرها .

وقد اهتم العلماء الغربيون بهذا الكتاب واقاموا حوله دراسات موسعة لاستخلاص المعارف والنتائج منه ، واستطاعوا بهذا العمل اعطاء صورة واضحة عن تكوين المجتمع الهندي الا ترى القديم من حيث الديانة والمجتمع والفرد والحكم .

والسر الكامن وراء اهتمام الهندوس بهذا السفر بالذات وتعلق البراهمة به على وجه الخصوص يتضح من خلال نتائج تعاليمه وتوصياته التي استطاعت ان تعيد لخدمة الهندوس الى ما كانت عليه وان تقف بوجه المد البوذي والجيني راسعا من الزمن والذي كان يهدد الكيان الكهنوتي للبراهمة . فجا<sup>(٦)</sup> الكتاب درعا واقيا لسلطتهم وتسلطهم وتكريسا لامتيازاتهم على سائر الطبقات الاخرى .

ومن الملاحظ في هذا السفر هو اشتغاله على قوانين وانظمة لم تكن موجودة في الكتب السابقة التي اهتمت كثيرا بشؤون الالهة وصفاتها ومدحها الخ . . . فجا<sup>(٦)</sup> هذه القوانين وطالجت ما بهم الشعب من شعائر وطقوس لتقديم القرابين ومعنى اخر اهتمت هذه القوانين بالدين الشعبي اكثر من اهتمامها بالالهة فقط . وهذه العلية استطاعت طبقة البراهمة الهندوس تضييق الخناق على البوذية والجينية والحد من نشاطها .<sup>(٧)</sup>

- 
- ١ - الاسفار المقدسة ص ١٥٥  
٢ - الفكر الفلسفي الهندي ص ٢٤٩  
٣ - انظر مقدمة كتاب " موسرتي " ، كتاب الهندوس المقدس ، ت : احسان حقي ص (هـ)  
٤ - قصة الحضارة ١/٣ : ١٦٣ ، ، وانظر ١/٣ : ١٦٤ حول التطور التشريعي لهذا السفر  
٥ - راجع ما قام به غوستاف لوبون من دراسات حول هذا الموضوع في " حضارات الهند " ص ٢٩٣  
٦ - هناك ايضا كتب اخرى كان لها اثر كبير في هذا المجال ويطلق عليها سوتراس ومعناها الخيوط انظر ، الهند حضاراتها ودياناتها ص ١٨٦  
٧ - راجع في هذا الصدد : حضارات الهند ، ص ٣٣١-٣٣٩ ، واديان الهند الكبرى ص ٩٨

نظام الطبقات الهندوسي ونقده :

من الغريب ان يتجرأ الناس لا اختيار فئة تقوم بسن تشريعات وقوانين مختلفة ، لكن الأغرب ان تبقى هذه الفئة مستمرة في طغيانها ، تسن التشريعات الدينية والنظم الاجتماعية ، وتقسّم من خلالها الناس الى طبقات متفاوتة في الرتبة متباعدة في الامتياز مختلفة في الحقوق والواجبات ، وان تحدد لكل طبقة قوانينها الخاصة بها ، لا يمكن ان تتعدى لغيرها .

لقد استطاع كهنة البراهمة ورهبانهم المحافظة على نفوذهم ومكاسبهم طيلة قرون عديدة يرجعها البعض الى ٢٥٠٠ عاماً<sup>(١)</sup> ، وقد مارسوا خلالها حكماً طاغياً ، وعلى نطاق واسع . فاذلوا الناس واستعبدوهم وحرموهم من ممارسة حقوقهم تحت ستار القداسة والانتفاء للعنصر الالهي ، ورغم التطور الذي شهدته الهند في العصر الحديث الا ان نظام الطبقات لا يزال معمولاً به حتى يومنا هذا رغم المحاولات الكثيرة لتغييره . (٢)

وصحيح ان دور الكهنة بدأ يتقلص الى حد ما نتيجة الانفتاح الذي شهدته الهند في هذا العصر الا ان نظام الطبقات لا يزال يعيش في مخيلة الهندوس ، وحياتهم الاجتماعية ، وقد قابلت اثناء زيارتي للهند احد الطلبة الذين يدرسون في الجامعة السلفية في بنارس وقد اسلم وترك الهند وسية طمناً بانه كان من طبقة الجنوديين .

اولاً : كيف نشأ نظام الطبقات :

لقد أتى على أم كثيرة حين من الدهر مارست فيه أنظمة عرقية معتمدة على نظام الطبقات فكانت فئة من الناس تتغلب على أخرى وتمارس ضدّها التمييز العنصري . الا أن كثيراً من هذه الأمم استطاعت تغيير أساليب وقواعد انظمتها الاجتماعية الكثيرة تبعاً للتطور العام الذي يرافق الحياة البشرية ونظراً للمفاهيم الاجتماعية الكثيرة والفلسفات التي تتوصل اليها الأمم اما عن طريق تفكيرها الذاتي أو عن طريق الاكتساب من الأمم الاخرى عبر الالتقاء الحضارى بين الشعوب ، وقد يأتي التغيير نتيجة رسالة سماوية منزلة من عند الله تبارك وتعالى على رسول أو تصحيح انحراف عبر نبي من انبياء الله صلوات الله عليهم .

١ - انظر في هذا الصدد : قصة الحضارة ١/٣ : ١٦٩

٢ - انظر : اديان الهند الكبرى ص ٦٠

٣ - انظر : الهند حضاراتها ، ودياناتها ص ١٨٧

اما بالنسبة للهند فان هذا التغيير لم يروجه النور الا في العصور الاسلامية  
الزاهرة التي استطاعت كسر قاعدة احتكار الهندوس ، والقضاء على طغيان البراهمة  
والتقدم بالهند خطوات واسعة نحو الحضارة والازدهار .<sup>(١)</sup>

لقد كان المجتمع الاري في الهند كما أسلفنا - بربرى الطباع ، وثني الديانة  
همجي النشأة ، وكانت مفاهيمه الدينية بسيطة وساذجة الا أن التقاء الاريين  
بالدرافيديين وغيرهم ، مكنتهم من تطوير حياتهم الدينية والاجتماعية رغم الهجمات  
الوحشية التي تعرض بها الفتح الاري للهند ، وخلال هذه الفترات المبكرة كان المجتمع  
الاري يتطلب افرادا يقومون برعاية الطقوس وتقديم القرابين والاضاحي وانشاد الترانيم  
لالهتهم الخاصة ، وهوؤلاء هم الذين أطلق عليهم اسم الكهنة ، . لقد كانت الطقوس  
تستلزم أربعة من الكهنة ومن بينهم ( البراهما ) ذلك الذي ارتفع شأنه فيما بعد<sup>(٢)</sup>  
ولم يكن هؤلاء الكهنة ( حتى ذلك الوقت قد أصبحوا طبقة تختلف عن الطبقات  
الاخرى اختلافا واضحا ، كان رئيس كل عائلة يقوم بدور الكاهن عند تقديم القرابين  
التي كانوا يكثرون في تقديمها طبقا لما تطلبه الديانة الفيديا<sup>(٣)</sup> .

١ - لم تستطع أي قوة أن تخضع الهند تحت سيطرتها مدة طويلة ، إلا أن هذه  
القاعدة لم تنطبق على قوة الفتح الاسلامي ، الذي أزال كل العقبات من طريقه  
ومحا الفروق الطبقيّة والعرقية وأعاد العباد الى عبادة رب العباد ، وبنى حضارة  
عريقة شامخة ، لازالت معالمها الى الآن تشهد على التقدم . ولولا التدخل  
الاجنبي وخاصة الانكليزي بالتعاون مع الهندوس الوثنيين ، دسا ، وخداط ، لما  
قامت لهؤلاء قائمة .

٢ - يوضح تونبي أن بداية تطور المجتمع الاري كان إثر المحاولة التي قام بها الاريون  
للمحافظة على عرقهم والتي قامت على أساس اللون في البداية وكان هذا الاجراء  
ضد السكان الاصليين ، وما لبث الاريون أن انقسموا ( كما حدث لشعوب أخرى في  
اماكن مختلفة متعددة في أجزاء العالم الى ثلاث طبقات هي : المحاربون ، والكهنة  
والعامّة ، وقد كانت هذه الطبقات وراثية عند الاريين كما أصبح الانقسام الطبقي  
الداخلي عندهم لا يقل صرامة عن الفصل بين الاريين وأهل البلاد ، وقد انتزع  
البراهمة مع الوقت من المحاربين ( الكشاثريين ) ما كانوا يتمتعون به من كونهم أرفع  
الطبقات ( راجع : تاريخ البشرية ١٤٦١-١٤٧٠ وكذلك : يراجع في هذا  
الصدر : معالم تاريخ الانسانية ٢٣٤/١

٣ - الهند حضاراتها ودياناتها ص ٩٥

٤ - شجرة الحضارة ١٥٧/٣

وبعد عملية الغزو الأري جاءت عملية الاستقرار والتوسع في القرى والمدن وهي الفرصة التي أتاحت للأريين الوقوف على كثير من المعارف الدرافيدية والتي أهلتهم لمزيد من التقدم العمراني والتجاري والصناعي وحتى الديني الذي رافقه أنواع كثيرة من التسلط والشمونية من قبل الكهنة ، أضف الى ذلك المعارف المستقاة من أم أخرى .

ومع هذا التوسع والانفتاح الجديد اقتضى الأمر وجود عدد كبير من الكهنة الذين ازدادوا مع مرور الزمن وأصبحت لهم بعد ذلك قواهد وامتيازات كثيرة تطورت ونمت وقد توج هذا النمو بتسلطهم الأمر بعد أن تمكنوا من إدارة البلاد حسب أهوائهم ، تطام كما فعلت الكهنة المصرية القديمة من قبل .  
وكان لتأليف الكتب الدينية الهندوسية أكبر الأثر في تدعيم سلطة الكهنتوت البرهمي والذي لاقى مع الزمن رواجا بين الناس بسبب استغلالهم لبسطة الشعب ، بادخال القرابين والانظمة والعقائد التي يريدونها .

كان لهذه العوامل الفضل الأكبر في نشوء طبقة البراهمة الذين اكتسبوا مع الزمن في نظر الهندوس صفة التقديس والخلو حتى اعتبروا عنصرا فريدا ميسزا عن بقية افراد الشعب مع الايمان بوجود عرق إلهي فيهم بل وادعاء الألوهية ايضا (٢) .

---

١ - في هذه الفترات ( كان البراهمة يعلنون في كبريا ان الكاهن يستطيع ببراعته ادارة الحفلة الدينية أو اقامة شعائرها أن يحصل على البركات التي يصبوا اليها وليه ، أو أن يسوق اليه الهلاك المحقق لو شاء ، ولم يكن القران في نظر الكاهن مجرد محاولة لاسترطاء انتباه الاله الذي قد يكون مشغولا في مكان آخر أو السذى يكون قد تزلف اليه عابد آخر منافس بل أصبح هذا القران أداة نفسية من أدوات السحر تقيد الآلهة وتضمن الحصول على البخية أو على الأقل تضمن الحصول عليها إذا لم تتدخل موثرات معادية ونفس هذه المؤثرات يمكن التغلب عليها إذا (تمودنا) السخاء مع الكهنة فهم كما يزعمون في كبريا الآلهة على الارض ) .

: تاريخ العالم ٢ / ٢٧٥

٢ - المصدر السابق .



وضمانا لهذه السلطة ، واحتفاظا بهذا النفوذ ، سن البراهمة لانفسهم قوانين تحمي هذه المكتسبات ، وتمنع غيرهم من الاشتراك فيها ، أو الاقتراب منها ولم يكتفوا بذلك بل قننوا أنظمة عنصرية وعرقية لغيرهم وقسموا المجتمع الى طبقات وفتات متفاوتة من حيث الرتبة والمنزلة ، وبنى أساس هرمي ، موزعة أعمالها ونشاطاتها الدينية بحسب ما تختص به كل فئة ، على أن يكون الولاة والانقياد للطبقة الأولى أى طبقة البراهمة ، وما عداها محكوم عليه بخدمة منها والقيام بواجبات السمع والطاعة لها .

وقد حاك البراهمة مهررات لتقسم هذه الطبقات وصاغوها بنصوص عقديّة وقوالسب دينية لاضفاء صفة الشرعية وطرح لباس القداسة عليها ، وهي في حقيقة أمرها أباطيل مستندة الى اساطير وخرافات ما أنزل الله بها من سلطان ، ومع هذا كله فان في المجتمع الهندي الى الان من يتقبل هذا بسرور .

## ثانيا :

### تقسيم الطبقات

تستند قوانين مانو الى اسطورة خرافية لتقسيم الطبقات في الهند فمن ذلك ما جاء في باب خلق العالم مادة ٣١ منها ، ما يلي :

( ولسعادة العالم ، خلق برهمن البراهمة من وجهه ، والكشتريين من ذراعيه ، والهيش من فخذيته ، والشودر من قدميه ) .<sup>(١)</sup>

وعلى اساس هذا القانون جرى توزيع مهام الطبقات كالآتي :

#### الطبقة الاولى : البراهمة

وترمز الى طبقة الانكيا من الرجال الذين يعون براهمن اي الروح الكليّة

(٢)

المجردة ، وهو الولاة هم الطبقة السميّة التي لا تخضع لغيرها من الطبقات ، ولها من الصفات ما يجعلها محترمة بل ومقدسة في نظر الطبقات السفلى .

ومن وظائف هذه الطبقة : اقامة الشعائر وتقديم القرابين والذبايح ، وترتيل

الأناشيد . وتجدر الإشارة الى أن هو الولاة البراهمة استطاعوا تدعيم هذه الطبقة

باستغلال نفوذهم لدى الناس على اعتبار أنهم الأكثر ثقافة بين الشعب وهم

معلموه وكهننته الذين لا تقام العبادات الا بواسطتهم " وهم وحدهم الذين لهم

الحق في الاعطاء والمنع والقبول والرفض " .<sup>(٤)</sup>

١ - : موسمري ص ١٩ ، وقد شرح البيروني هذا التقسيم وقارنه بنظام الطبقات

الفارسي : راجع : تحقيق ما للهند ص ٢٥-٢٦ ٢ - انظر : شري ايشوانيشاد ص ١

٣ - راجع : معالم تاريخ الانسانية ١ : ٢٣٤ ٤ - راجع الاسفار المقدسة ص ١٦٧

- واليك بعض النماذج من القوانين المتعلقة بأفراد هذه الطبقة والتي يلاحظ من خلالها مدى الطغيان والتحكم والتسلط الذي يمارسه البراهمة
- جاء في قوانين مانو من الباب التاسع فصل منزلة البرهمني ما يلي :
- ٣١٤ - على الطك ألا يغضب البرهمن حتى ولا في أوقات الحساب لأنه إن فعل ذلك فإنه يببده مع جيشه ومراكبه .
- ٣١٨ ١٨ - إن البرهمن خليق بكل إحترام سواء أكان عالماً أم جاهلاً شأنه شأن النار سواء أكانت . . . أم لم تكن .
- ٣٢٠ - يجب تعظيم البرهمن على كل حال ، ولو مارس كل الاعمال لان كل واحد من البراهمة إله .
- ٣٢١ - على البراهمة ان يوقفوا الكشتريين عند حد هم اذا ارادوا ان يعلموا عليهم لان الكشتريين خلقوا من البراهمة (١) .

#### الطبقة الثانية : الكشترية ( الجنود )

- هي طبقة تلي البراهمة في الذكاء (٢) وتتكون من الاشراف المماريين ( يتعاطون الادارة والسياسة ويسهمون في المعمار ويكونون عادة طبقة الملاكين المماريين في البلاد ، وينتمي الطك الى هذه الفئة ومنها ينتخب نسبة لحقوقه الارية والعائلية . . . وتنحصر مهمة الطك الاولي في الدفاع عن افراد الامة ، والقيام بأود طغمة من رجال الكهنوت (٣) .
- وهناك بعض النصوص التي تتعلق بهذه الطائفة منها :
- ٢ - كستاريا : الذي تقبل السر المقدس المنصوص عنه في الفيدا حسب القانون عليه ان يحيى هذا العالم كله .
- ٣٥ - خلق الطك ليحى الطبقات والانظمة ، كل واحدة حسب رتبها ، والتي تقوم بواجباتها المختلفة (٤) .
- (ولا يجوز للاكشترى ان يشغل بغير الجندية . والاكشترى يعيش جندياً حتى في وقت السلم ) (٥) .

- 
- ١ - : موسمرتي ص ٥٧٣-٥٧٤
  - ٢ - انظر : شري ايشوانيشاد ص ١
  - ٣ - : تاريخ الحضارات العام ٥٦١/١ وقارن مع فلسفات الهند ص ١٥٠
  - ٤ - الفكر الفلسفي الهندي ص ٢٦٦ - ٢٦٧
  - ٥ - : أديان الهند الكبرى ص ٥٩

### الطبقة الثالثة : الفيشيا

أي التجار ، وأصحاب الأموال والمرابين <sup>(١)</sup> ، ومهتهم القيام بأعمال التجارة والصناعة والزراعة وجميع أعمال السبوع والمعقود <sup>(٢)</sup> وأنسها ن جميع أنواع الحرف وان توصل بعض منهم الى جمع ثروة طائلة فانهم يبقون مع هذا عرضة للضرائب والتسخير . <sup>(٣)</sup>

وقد حددت مهام هذه الطبقة في كتاب طنوسمرتي ، نختصر منها بعض هذه الفقرات :

جا\* في فصل واجبات الهيش . . . ( الفيشيا )

( ٣٢٨ - لان إله المخلوقات ، كما عهد بالمخلوقات حين خلقها الى البرهمن والكشتری ، فكذلك عهد بالماشية وتربيتها الى الهيش .

٣٣٠ - على الهيش أن يكون عالما بقيمة الجواهر واللؤلؤ والمرجان والمعادن والشباب والعطور والبهارات .

٣٣١ - كما يجب عليه أن يكون عالما بكيفية بذور البذور ومصلاح الأرض وفسادها والمقاييس والمكاييل .

٣٣٣ - وعليه أن يكون عالما جد العلم بواجبات العمال والخدم كما يجب عليه أن يكون عالما ببضع لغات وطرق التجارة وأساليبها وأصول البيع والشراء <sup>(٤)</sup> .

### الطبقة الرابعة الشودرا ( أو المنبوذين )

يختلف العلماء حول هذه الطبقة ، فمنهم من إعتبر الشودرا طبقة منفصلة عن المنبوذين وعليه فإن الشودرا هي الطبقة الرابعة في تقسيم المجتمع الهندوسي . أما المنبوذون فإنهم لم يدرجوا في هذا التقسيم واعتبروا فئة بعيدة كل البعد عن الطبقات الأخرى ، وقد وصفوا بأحط الصفات الذمومة والقبیحة وأعطوا <sup>(٥)</sup> المهن المسحترة . وهناك من إعتبر الشودرا والمنبوذين طبقة واحدة ، وان صفة <sup>(٦)</sup> المنبوذين تطلق على الشودرا أنفسهم وبذلك يكون التقسيم الى أربع طبقات فقط . وهذا الرأي هو أقرب الى الصواب .

١ - انظر : حضارات الهند ، ٢٩٥

٢ - الفلسفات الهندية ص ١٥٠

٣ - تاريخ الحضارات العام ١ : ٢٦١

٤ - منوسمرتي ص ٥٧٧

٥ - راجع : اديان الهند الكبرى ص ٥٦

٦ - انظر : منوسمرتي ص ٥٨٣ والاسفار المقدسة ص ١٦٦ / ١٦٧ وحضارات الهند ٢٩٥

ومما جاء في بعض قوانين مانو عن هذه الطبقة وذلك في فصل واجبات  
الهنود والشودرا ما يلي :

( ٣٣٥ - ان اعظم عمل يقود الشودرا الى الخير والفلاح هو أن يخدم البراهمة  
الصلحاء طمًا الهود ( الفيدا ) الذين هم في الدور الثاني من الحياة .  
٣٣٦ - ان الشودرا الطاهر الذي يقوم بخدمة بكل امانة واخلاص ويتحلى  
بعذوبة البيان ويتعد عن الغرور ويلتجئ باستمرار الى البرهمن ينال في العالم  
الثاني فرقة ارفع من فرقته ) ( ١ ) .

ومن هذه النصوص نعلم مدى استئثار البراهمة في المناصب وحرمان  
الطبقات الاخرى منها ، كما يتضح معاناة المنبوذين من هذا التسلط .

وجدير هنا ان نشير الى الصراع الدائم الذي ظل دائرا بين  
الهندوس والمنبوذين ، كان نتيجة للتعسف الذي لاقاه هؤلاء من الطفلة  
وفي بحث قيم قام به العزيز الشمالي بشرح قضية المنبوذين  
( ٢ ) في الهند ، وآثارها السيئة ، والجهود التي قامت من أجل ضم هؤلاء الى  
الاسلام والعمل على ترك الديانة الهندوسية ، وهو يشير الى اللجنة التي  
ألقت لبحث قضايا المنبوذين هرا الأزهر في مصر ، وذلك بعد ان لفتت جريدة  
البلاغ المصرية انظار المسلمين عام ١٩٣٦ الى هذه المسألة ( ٣ )  
وقد أشار الشيخ عبد المنعم النمر الى هذه اللجنة وما قامت به  
من جهود في هذا السبيل ، الا ان هذا السعي لم يسفر عن نتيجة ايجابية  
وكان العائق الاكبر امام البعثة هو وجود هوة سحيقة بين المسلمين والمنبوذين  
مما اسهم في بعد هؤلاء عن الاسلام مع انه كان بالامكان استغلال الحالة المتدهورة  
بين المنبوذين والهندوس لاقامة جسر بين المسلمين والمنبوذين ( ٤ )  
الا ان العائق الاكبر في فشل محاولات المسلمين في هذا السبيل  
تلك المواقف التي يحكمها الهندوس كلما لاحت في الافق فرصة للتقارب بين  
المسلمين والمنبوذين وقد كان غاندي الزعيم الهندي الراحل وراء اغلب هذه  
المواقف ( ٥ )

١ - منوسمري ص ٥٧٧-٥٧٨ ٢-راجع هذا البحث القيم في كتاب  
مسألة المنبوذين في الهند ، عبد العزيز الشمالي ، دار الغرب الاسلامي  
بيروت ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ٣٠ - راجع المصدر السابق ص ٥  
٤- راجع تاريخ الاسلام في الهند ، عبد المنعم النمر ص ٢٣ ، ط ١ ، ١٣٧٨هـ ١٩٥٩م  
٥ - راجع مسألة المنبوذين في الهند ص ٦٥ وما بعدها .

ثالثا :  
الفوارق الطبقيّة بين الهندوس

من خلال استعراض نظام الطبقات رأينا التباين الكبير الذي يباعد بين أفراد المجتمع الهندوسي، واستكمالا لهذا الموضوع تجدر الإشارة إلى أن هذه الفوارق الطبقيّة قد شطت جميع مرافق الحياة في المجتمع ولم تنحصر في أمر واحد . ومن خلال النصوص التي اخترتها نرى هذا التباين الذي يدل دلالة واضحة على الظلم والقهر والتعنّت في معاملة الناس كما يدل كذلك على انتقاء مبدأ الأخلاق السيّئ يتغنى به الهندوس ويهدر بالتالي أسس الحكمة المزهومة ، فكيف تجتمع العبادة والحكم الرفيعة والأخلاق العالية مع قوانين مجحفة تهضم حقوق البشر وتذلّمهم .  
واليك بعضا من هذه النصوص :

بالنسبة للعبادات :

( - أما كشرافانه يقرأ " بيذ " ( القيدا ) ويتعلمه ولا يعلمه .

- وكل عمل يخص البرهمن من التسابيح وقراءة بيذ وقرايين النار فهو محظور عليه ( اي على شودر ) حتى انه ( هو ) وييش ( اي الفيشيا ) ان صح طيبها انهما قرأ بيذ رفعتهما البراهمة الى الوالي فقطع لسانهما ( ١ )  
- على الطك : بعد أن يستيقظ مبكرا ، ان يعبد بكل أدب البرهمن العالم بالوهد الثلاثة حق العلم وأن يتبع نصائحه .

- و عليه أن يعبد يوميا : برهمنيا سنا ، طالما بالوهد طاهرا لان من يعبد

الرجل السن يكون معظما وموقرا ( ٠٠٠ ) ( ٢ )

- و عليه ان يقوم بالعبادات الكطالية وان يعطي البراهمة كل ما يحتاجون

اليه من أسباب السررات ومن الأموال ليضاعف بذلك حسناته ( ٣ ) .

- ان جزاء التقدمة التي تقدم الى غير البرهمن يكون بسيطا وجزاء التقدمة

التي تقدم الى رجل يقول عن نفسه انه برهمن عالم بالوهد ( والانك )

فجزاؤه غير محدود . ( ٤ )

وفي مجال التشريع الحقوقي والجزائي :

- لا حرج على الطك ان يستعين على قضاة حوائجه ببرهمن ولو كان برهمنيا

اسما او ببرهمن مشتبه في حسبه ونسبه ولكنه يدعي انه برهمن وليتجنب استخدام

الشودر البتة ( ٥ )

١ - انظر : تحقيق ما للهند ص ٤٥٧

٢ - ضوسمري ص ٣٥٣-٣٥٤ ٣ - المصدر السابق ص ٣٦٢

٤ - المصدر السابق ص ٣٦٤ ٥ - المصدر السابق ص ٤٠٢

(- ان المطلقة التي يكون فيها ميزان الاحكام بيد الشؤدر والملك ينظر عن كسب فان ملكته تنقرض وتتلاشى كما تغور البقرة في الوحل ) ( ١ )

( ٢ )  
(- ان المطلقة التي يكثر فيها الشؤدر والملك وتسهل سريعاً بقحط أو واء )

### وفي فصل الشهادة

- على القاضي ان يجعل البرهمن يقسم بصدقه والكشترى بمركبته او بدايته او سلاحه والوئش ببقرته او بحبوه او بذهبه والشؤدر ياخذ آثام كل الذنوب ( ٣ )

### وفي فصل عقاب الشهادة الكاذبة :

- على الملك العادل : ان يعاقب الكشترى والوئش والشؤدر وينفيهم من الارض ان شهدوا كاذبين واما البراهمن فيعاقبه بالنفي فقط .

- لقد صرح ( منوجي ) " اى مانو " برهما جي : بجواز معاقبة الفرق الثلاث :

الكشترى والوئش والشؤدر بانزال العقاب عليهم في عشر اشياء من عضو ومتاع وأما البراهمة فينفون في الارض فقط من غير أن يؤذوا .

- وهذه العشرة هي : عضوا التناسل ، البطن ، اللسان ، اليدان ، القدمان

العينان ، الأنف ، الأذنان ، كل الجسم ، المال والعقار . ( ٤ )

### وجاء في الاحكام العامة :

- ان الشؤدر لا يتحرر ولا يعفى من الخدمة ولو حرره مولاه واعفاه لانه لا يستطيع

احد تحريره الا الذي قيده ( ٥ ) .

- ان استتلاف الوئش والشؤدر عن القيام باعمالهم يجعل هذا العالم كله

بارتباك واضطراب ولذلك يجب على الملك ان يجبرهما قهراً على القيام باعمالهما

الخاصة بهما . ( ٦ )

- اما بالنسبة للغوارق في تقسيم الارث :

- يقسم الارث بين الاولاد ان كانوا من اربع نساء من الفرق الاربع حسب

البيان التالي :

١ - : منوسمري ص ٤٠٢

٢ - المرجع السابق ٤٠٣

٣ - // ٤٢٥

٤ - // ٤٢٨-٤٢٩

٥ - // ٤٩٩

٦ - // ٥٠٠

(- ياخذ ابن البرهسية الارقاء العارفين بالحرث والزرع ، كما يأخذ الشور

اللحاح والمركبة والحلية وياخذ الدار حصة استثنائية وياخذ حصة حسنة غير ذلك

من الارث .

- وياخذ فوق ذلك ثلاثة أسهم ما تبقى وياخذ ابن الكشترية سهمين

وابن الهشية سهما ونصف السهم وابن الشودية سهما واحدا . ( ١ )

- ليس للشودران يتزوج من فرقة غير فرقته ، فكل اولاده يقتسمون الارث فيما

بينهم بالتساوي ولو كانوا ستة ولد ( ٢ )

- اما في احكام الميسر :

- على الطك ان يعاقب المقامر والمراهن والشودر الذي يستشبه بالمولودين

ثانية بعقاب بدني ( ٣ )

- وفي القصاص والرشوة

- اذا تعذر على الكشترى والهيش والشودر ان يحم طيهم بسه من

غرامة مالية فللطك ان يستوفي المبلغ باستخدامهم لديه ويستوفي الغرامة في مثل

هذه الحالة من البراهمن تقسيطا ( ٤ )

هذه بعض الامثلة والنماذج من النصوص الهندوسية التي فرقت

بين الناس واقامت حاجزا بين وصولهم الى الحق والعدل . ( ٥ ) .

ولا مجال هنا لمقارنة هذه القوانين المجحفة بالاحكام والتشريعات

الاسلامية التي ساوت بين الناس في الحقوق والواجبات فأعطت كل ذي حق حقه

واجرت العدل والانصاف في كل القضايا التي تهم البشر ، وعطت على ازالة

الفوارق الطبقيية بين الناس ، ومحت قوانين الرق ، وانسحت للناس العيش بسلام .

١ - : موسمري ص ٥٣٨

٢ - المرجع السابق ٥٣٩

٣ - // ٥٥٤

٤ - // ٥٥٦

٥ - ولمن اراد معرفة المزيد عن هذا الاجفاف تحيل القارى على : موسوعة التاريخ

الاسلامي والحضارة الاسلامية لبلاد الهند والبنجاب ص ٣٢١ / ١ وكذلك كتاب :

تاريخ الاسلام في الهند ص ٢٨-٢٩

ويحسن بنا استعراض بعض الآيات القرآنية الدالة على المساواة

ومحو الفوارق بين الناس .

يقول الله تبارك وتعالى ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ  
وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ) ( ١ ) .  
( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ  
تَتَّقُونَ ) ( ٢ )

هذه الدعوة العامة شاملة لجميع الخلق ، وهي توجيه للناس كافة

لا لفرقة دون أخرى . ولا شعب دون آخر أو قبيلة دون أخرى . وهذه ميزة  
الاسلام التي وحدت الناس لعبادة رب الناس . واخراجهم من عبادة بعضهم  
بعضا واتخاذهم اربابا من دون الله .

ويقول الحق تبارك وتعالى ( مَنْ عَلَىٰ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ  
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) ( ٣ )  
ويقول جل ذكره ( إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ  
وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ) ( ٤ )

ويقول الهادي البشير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

( لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى ) ( ٥ )

ويقول ايضا ( إِنَّ اللَّهَ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّىٰ لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ  
وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ ) ( ٦ )

١ - الحجرات : ١٣

٢ - البقرة : ٢١

٣ - النحل : ٩٧

٤ - النحل : ٩٠

٥ - سند الامام أحمد بن حنبل ، ٤١١/٥ ، المكتب الاسلامي ، بيروت

٦ - صحيح الامام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ٢١٩٨-٢١٩٩/٤

دار احياء التراث العربي ، بيروت ط ٢ ، ١٩٧٢ م



## الفصل الرابع :

### نظام الرهينة الهندوسي ،

الهادي ، والصور والمراحل .

اولا : الهادي

بعد الاطلاع على أهم العقائد الهندوسية ، والتعرف على مبادئها التسي صاغها الرهبان والكهنة واستعراض فرقهم وكتبهم التي قدسوها ، و طبقاتهم التي اخترعوها .

يأتي الجانب المعطي في الفكر الهندوسي الذي يعتبر خلاصة ونتيجة لما قررته هذه العقائد الوثنية .

وهذا الجانب يعتبر أخطر موضوع في هذا البحث لما ينطوي عليه من أهمية بالغة ، حيث تتمثل فيه الصور التعبدية التي يمارسها الهندوس على أيدي رهبانهم والتي هي نتاج أفكارهم ومبادئهم التي صاغوها ، ووضعوا أسسها واخترعوا اسماءها وسمياتها .

كما تتضح أهمية هذا البحث من خلال تأسيره الكبير في الأمم التي اتخذت لنفسها سلك الرهينة والتزمت به .

وتاريخ (الرهنه الهندوسي) يبدأ من أواخر العهد القدي حيث كان النساك يتواجدون على شكل افراد ( يتجنبون الاتصال بالمجتمع العادي ، ولا يزاوون اى نشاط ، ووجدوا لهم مكانا يحقق لهم وحدتهم في الغابة وهناك كانوا يعطون الارشادات لأولئك الذين كانوا يفتشون الوصول الى معرفة طبيعة الكون وطبيعة الانسان . . . . . وكان القرويون المحليون يعولون النساك عن طيب خاطر إذ كان يسعد اولئك القرويين ان يجدوا النساك بالطعام والشئ القليل الذي يساهم يحتاجون اليه من مستلزمات الراحة في مناخ كمناخ الهند وذلك مقابل الفوائد السحرية التي تحل على تلك الجماعة بسبب وجود ذلك النساك على مقربة منهم ، بل لقد وصل بهم الأمر الى الاعتقاد بأن مجرد لمس يده عند ما يدها لاخذ هدية منهم كان يغدق جزاً من قوته الروحية على مقدم الهدية ) (١) .

ولم تتضح معالم الممارسات التعبدية الهندية ولم تقعد أسسها ومبادئها الا عبر فترات طويلة من الزمن ونتيجة جهود كبيرة من جانب الرهبان الهندوس

الذين تهيأت لهم الظروف المناسبة لسن هذه القوانين ونشرها بين اتباعهم  
واتخاذها كجاري<sup>١</sup> ثابتة لا مهيد عنها لكل من التزم بهذا السلك وعمل به .

ولا حظ المتبع لهذه القوانين مدى صرامتها وتطرفها . . . ولا غرابسة  
في ذلك لاننا رأينا اثنا<sup>٢</sup> الحديث عن المعتقدات الهندوسية خطورة الاتجاه الفكري  
للرهينة الهندوسية والذي تمخض عنه القول بالاتحاد ببرهما . وكذلك القول بوحدة  
الوجود ، وغيرها من العقائد ذات الصلة الوثيقة بهاتين العقيدتين .  
فالقول بالاتحاد يبرز الصلة بين القوانين النظرية والممارسات التعبدية ،  
للرهينة . . .

لقد كان الاتجاه في هذه العقائد يمثل قمة التفكير الفلسفي والرهباني  
للهندوس ، فالتبتل والانقطاع وحرمان النفس وقهر الجسد وتعذيبه حتى الموت  
من أجل الاتصال والاتحاد ببرهما هو الهدف الاسمي والغاية المنشودة للراهب  
الهندوسي . ( ١ )

وقد مر أن ممارسات اليوغا تمثل رأس هذا التطرف والغلو ، وقبل الخوض في  
الحديث عن الصور التعبدية المغالية يجدر بنا الوقوف عند أهم القواعد والاسس  
التي بنى عليها الرهبان هذه الممارسات .

وكما مر معنا في السابق فقد قسم الهندوس الناس الى طبقات وهي فئات  
تحدد بالوظيفة . وهي الكاهن المعلم ( براهمن ) . الطك او القائد السياسي  
الحربي ( كشتاريا ) . التاجر ( قايسيا ) والعامل ( سودرا ) ويطلق على الثلاث  
المولودين مرتين ، دون طبقة الشودرا . فسنرى فيما بعد :  
كيف تشمل حياة المولودين مرتين المراحل الاربعة التالية والخاصة بالرهينة :

١ - مرحلة الطالب ( براهما سارين )

٢ - مرحلة رب البيت ( غراستا )

٣ - مرحلة ساكن الغابة ( نانابراشا )

٤ - مرحلة الراهب المتجول ( سانياسين ) ( ٢ )

---

١ - والخطورة الناجمة عن ذلك تتمثل بمحاولة الراهب التحرر من قيود الحياة  
وسجنها للاتحاد ببرهما عبر ممارسة شاقة موحية في النهاية الى ازهاق الجسد .

٢ - راجع هذه المراتب الاربعة في : الفكر الفلسفي الهندي ص ٢٠

ثانيا : المراحل الاربعه

١:- مرحلة الطالب

يكون المبتدئ\* في هذه المرحلة شابا وظيفه ان يتبع التعليمات التي يصدرها الرهبان وكبار الكهنة والتي من شأنها أن تدرسه على أمور الطاعة وكيفية العزلة والبعد عما يشير الشهوة ودراسته الكتب المقدسة وتقديم القرابين للنسار وكيفية الاستحمام واحترام الهتهم . الخ .

( ١ )

وسوف نلاحظ مدى صرامة هذه القوانين وشدتها بالنسبة للطالب المبتدئ\* فقد وضعت قواعد تحظر عليه الامتناع عن أكل اللحم وعدم لبس الاحذية ، وأمره بالنوم لوحده دائما والتسول والالتزام بقواعد النذر ( ٢ ) التي تفرض عليه . اضافة الى دراسة القيدا مدة ستة وثلاثين سنة . كما ان هذه القواعد السلوكية للطالب المبتدئ\* من شأنها تدرسه لتقبل المراحل الثلاث الاخرى وان طول هذه المدة كفيلا بتحقيق اهداف الرهبنة الهندوسي ( ٣ )

١ - يراجع في هذا الصدد : بالفلسفات الهندية ص ١١٤

وكذلك : تحقيق ما للهند ، للبيروني ص ٤٥٧-٤٥٨

وكذلك : قصة الحضارة ١/٣ : ٢٢٨-٢٢٩ والذاهب الكبرى في التاريخ ص ٥٤٥

٢ - تلتزم نظم الرهبنة على اختلاف انواعها وهذا هيبها بعبدا النذر المتضمن لمعنى القسم والحنف والزام النفس بالقسم عليه . ويشمل النذر عند هذه الذاهب : الطاعات ، والعبادات مثل نذر العفة ، ونذر الطاعة ، والتبتل والانقطاع .

ومر بنا اثنا\* الحديث عن الرهبنة المصرية شيئا من هذه النذور ، وللمزيد يراجع : معالم تاريخ الانسانية ١ : ٤٦٤ - ٤٦٩ ، كما سنلاحظ وجود شيئا من هذا القبيل عند اليونان ، وستهم الرهبانية المسيحية بهذا المبدأ وستطبقه على اوسع نطاق ، وسيمر معنا هذا الموضوع اثنا\* الحديث عن النذور الرهبانية عند المسيحية .

٣ - لقد حفل الباب الثاني من كتاب موسموتي بجميع احكام المراحل الاربعه راجع ص ٤٧ - ١١٧ منه .

من القوانين الواردة في شأن هذه المرحلة ما يلي :

- يجب على الأري أن يدرس الفيدا بكاملها مع الأومانيشاد وأن يقوم بأعمال الزهد ، وأن يقدم نذورا مختلفة تنص عليها قواعد الفيدا . ( ١ )
- يجب على من يريد أن يصبح براهمن أن يشرع في السنة الثانية بعد الحبل ( يعنسي بها الولادة ) وعلى من يريد أن يصبح كستاريا أن يشرع في السنة الحادية عشرة بعد الحبل وفي السنة الثانية عشرة لمن يريد أن يصبح فايسيا .
- وعند ما يتم ( طقس ) الشروع ، يجب أن يرشد المعلم التلميذ إلى قواعد تنقية الشخصية ، وقواعد السلوك وتقديم التضحية بالنار وعبادات الصباح والمساء .
- على الأري الذي يشرع ( يكرس ) أن يقدم المحروقات إلى النار القدسة ويعمل ما هو صالح لمعلمه . . .
- يجب أن يرشد الطالب الذي كرس إلى إتمام النذور وأعمال النظام وأن يتعلم الفيدا تدريجيا وأن يطبق القواعد المنصوصة .
- يستحم كل يوم ليظهر جسده ويقدم تقدمات النساء إلى الإلهة وإلى الحكما والكهنة ويعبد الإلهة .
- ليمتنع عن اللحم والعطور والقلائد ليتجنب النساء وايدا المخلوقات .
- ليمتنع عن دهن جسده وتكحيل عينيه وعن لبس الأحذية وعن الرغبة الحسية والغضب والعلاقة الجنسية والرقص والغناء .
- ليتسول يوميا لكي يحصل على طعامه
- على من يحقق نذر ( التلمذة ) أن يعيش دوما على الاستعطاء كما يجب أن لا يستعطي من بيت واحد على الدوام . أن استعطاء الطالب لطعامه يعادل الصوم في القيمة .
- إذا طعن بمعلمه أو صغته فإنه سيصبح حطارا في الولادة الثانية وإذا شهر به يصبح كلبا ، من يحسد معلمه يصبح حشرة .
- أن نذر دراسة الفيدا الثلاثة تحت إرشاد معلم يجب أن يتم لمدة ستة وثلاثين سنة ، أو لنصف هذا الزمان أو لربعه أو حتى يتم التلمذ تعلمها على كمالها .

١ - راجع هذه القواعد في : الفكر الفلسفي الهندي ، ص ٢٥٥-٢٥٨

### المرحلة الثانية : مرحلة رب الاسرة

هذه المرحلة تعتبر فرصة للفرد كي يزاوّل نشاطه العادي كاي فرد من افراد المجتمع ، فيحق له ان يترك العزلة ، وتبدأ هذه المرحلة من الربع الثاني من حياته فيعمل ويكسب ويتزوج وينجب .<sup>(١)</sup> ورغم هذا التوسع الذي تفرضه هذه المرحلة الا ان على الفرد متابعة بدأه في الفترة السابقة من قراءة تعاليم الفيدا .

ومن القواعد التي تفرض عليه ، ما يلي :

(- التمييز الذي درس الفيدا الثلاثة في نظام صحيح ، دون ان يكسر قواعد

الطهارة يدخل طبقة رب البيت .

- ان يتم طقوس عودته الى المنزل هذا الذي ولد مرتين يتزوج امرأة من طبقته

موهوبة بعلامات حسن الطابع .

- ليقم كل انسان في الطبقة الثانية بتلاوة الفيدا يوميا وتقديم الاضاحي الى

الالهة لان المتأثر على تقديم الاضاحي يسند الخليقة المتحركة الساكنة .

- ولكي يكسب القوت الضروري لمعيشته عليه أن يجمع الثروة باتباع الوظائف

اللائقة المنصوص عليها لطبقته دون ان ينهك جسده .

الى غير ذلك من القواعد الاخرى (٢)

### المرحلة الثالثة : مرحلة ساكن الغابة

وتأتي هذه المرحلة في حياة الهندوسي اشد من المراحل السالفة من حيث ممارسة الشعائر والعبادات .

يكون الفرد في هذه المرحلة قد تجاوز سن الاربعين فعليه حينئذ

ان يسهجر ما اعتاد عليه في المرحلة السابقة فيترك زوجته وأولاده متجها الى الغابة

فيطلق عليه اسم " ساكن الغابة " وفيها يزاوّل التعبدات وينقطع عن العالم فيصبح

ناسكا زاهدا . اما القواعد التي يجب عليه الالتزام بها فهي كالتالي :

١ - الطالب الذي ولد مرتين ، الذي طاش حسب القانون في نظام ارباب البيوت

يمكنه ان يتخذ قرارا ثابتا ، ويضع اعضاءه ، ويحيا في الغابة ، ويطبق القواعد المعطاة .

١ - يختلف نظام الرهبنة الهندوسي عن النظام الرهيني للكنيسة المسيحية في هذه الناحية ، وان كانا يتفقان في بعض الجوانب الاخرى على اساس واحدة تابعة من مفاهيم مشتركة ، . وسنرى عند الحديث عن الرهبانية المسيحية تلك القواسم .

٢ - الفكر الفلسفي الهندي ص ٢٥٨-٢٦٠ ، وراجع

في هذا الصدد : الفلسفات الهندية ص ١١٤ ، وقارن مع تحقيق ما للهند ص ٤٥٧

٢ - عندما يرى رب البيت ان جلده قد تجعد وشعره قد ابيض ويرى اولاد اولاده عندئذ يمكنه ان يلتجئ الى الغاية .

٣ - ان يهجر طعامه الذي يحصل عليه بالزراعة ، وكل ممتلكاته ، يمكنه ان يرحل الى الغاية ، كما يمكنه ان يترك زوجته لاولاده أو ان يأخذها معه .

٤ - وان يأخذ معه النار المقدسة والادوات اللازمة للتضحية يمكنه ان ينطلق الى الغاية وان يسكن هناك ، يضبط حواسه تماما .

٥ - عليه ان يقدم التضحيات وان يعيش على انواع الطعام المهيأة للزاهد كالأعشاب والجذور والثمار .

٢٦ - ( عليه ) ان يجتهد لكي يحصل على الاشياء التي تسبب الغبطة ، وان يكون نقيا ، وظيفه ان ينام على الارض العارية . وان لا يهتم بطباً وان يقاتل من جذور الاشجار وثمارها .

٢٧ - ليتقبل العطاء من البراهمانيين الذين يعيشون كزهاد وليأخذ ما يمكنه ان يقيم حياته وليتقبل العطاء من ارباب البيوت المولودين ثانية والذين يعيشون في الغاية  
٢٨ - على الناسك الذي يعيش في الغاية ان يحضر الطعام من القرية ، يمكنه ان يتناول ثلثي لقمات .

٢٩ - هذه الملاحظات وغيرها ، يجب ان يمارسها البراهمين الذي يعيش في الغاية ولكي يحقق وحدة تامة مع الذات السامية ، عليه ان يدرس النصوص المقدسة المختطفة المتضمنة في الاومانشاد ( ١ )

ومعروف ان الاومانشاد هي خلاصة التجارب للرهبان الهنوس .

### المرحلة الرابعة : مرحلة الزاهد المتجول

هذه المرحلة تعتبر اشد المراحل عنفا وقسوة من سابقتها ، ان المبالغة في مجاهدة النفس والجسد سمة خاصة بهذه المرحلة . ، والى جانب اعتمادها على الناحية العقلية ، هناك الاعتماد كذلك على الناحية الفكرية ، ان يلتزم افراد هذه المرحلة بالتأمل والتفكير واخضاع الحواس وقهر الجسد والنفس وجعلهم اكثر طواعية للعقل وذلك من اجل الغاية المنشودة عندهم وهي الاتحاد ببرهما .  
ان هذه المرحلة تعتبر في عرف الرهبان مرحلة تحرر من قيود الحياة وسجنها ان ان النفس بحسب اعتقادهم تنطلق بعد القضاء على الشهوات نحو هدفها المرسوم وهو الاتحاد بالمعبود .

١ - راجع هذه القواعد في : الفكر الفلسفي الهندي ص ٢٦٠-٢٦٢

وكما سبق القول فان ممارسة اليوغا امر مطلوب هنا ، وعند ما يبرد هذا الاسم فالمعنى الوحيد الذى يجب ان يتبادر الى الازهان هو الموت .  
ومن قواعد هذه المرحلة الامور التالية :

- ٣٣ - بعد ان ينتهي الانسان من القسم الثالث من حياته في الغاية يمكنه ان يحيا كزاهد خلال القسم الرابع من وجوده ، وعند ان يكون قد هجر كل قلق بالمواضيع الدنيوية .
- ٣٤ - ومن ينتقل من نظام الى نظام ، وعند ان يخضع حواسه يكسب الفبطة بعد الموت .
- ٤١ - طيه ان يتجول صامتا ، وهو مسلح بواسطة الطهارة ولا يهتم بالمتع التي يمكن ان تقدم له .
- ٤٢ - طيه ان يتجول لوحده وبدون رفيق حتى يحقق التحرر النهائي ، وعند ما يفهم ان المنعزل لا يخذل ولا يخذل ، يريح هدفه .
- ٤٩ - يبتهج بكل ما يدل على الروح ، ويجلس جلسة اليوجي ، ويستغني عن كل مونة خارجية ويمتنع عن المتع الحسية ويحيا في هذا العالم ، ولكنه يتوق الى الفبطة والتحرر النهائي .
- ٨١ - من يهمل كل تعلقاته تدريجيا ويتحرر من الثنائية ( التناقض ) يرتاح في برهمن وحده .
- الى جانب قواعد اخرى تختص بهذه المرحلة ( ١ )

هذه المراحل الاربعة هي الحياة التي يحياها الهندوس ، وهي كما رأينا مدعاة ، لكل تأخر ، وترك لكل تقدم ممكن ان يسهم الانسان فيه ، لعمارة الارض ، وافادة البشرية من وجوده في مجتمعه ، والخمول الذى رافق الحياة الهندية لم يكن سوى نتيجة حتمية لطك الحياة التي نادى بها الرهبان الهندوس وعطوا كل ما في وسعهم لانجاحها .

ثالثا :

العبادات في الرهينة الهندوسية  
ومعض صورها

هناك العديد من العبادات في الديانة الهندوسية التي شرعها الهندوس وهي في مجملها تتسم بالقسوة والعنف وجميعها قائم على اساطير وخرافات ، يتخللها حركات وانفعالات لا حكمة من ورائها ولا يفهم مقصودها ، وتتراوح هذه العبادات بين الصلاة ، والصوم ، وزيارة الاماكن المقدسة ، وتقديم القرابين والاضاحي ، الس غير ذلك مما افاض العلماء الذين عنوا بتتبع هذه العبادات وافردوا لها ابحاثا مطولة وفصلوا اعطالها ومناسك كل شعيرة منها<sup>(١)</sup> . وهي في مجملها تخص طائفة الهندوس .

اما ما يهم البحث منها خاصة بالنسبة لموضوع الرهينة ، فينحصر في ممارسة اليوغا ، والحج ، والصوم ، وساذكر بعضا من صور هذه الممارسات للدلالة على مدى القسوة والعنف في عبادات الرهبان .

صور من عبادة اليوغا

تعتبر اليوغا من أشد صور الممارسات التعبدية عنفا وقسوة ، لارتباطها بمعتقدتي وحدة الوجود والاتحاد ، وكما رأينا في السابق أهمية هذه العقائد بالنسبة للرهبان ، فسوف أستعرض الصور المختطفة لهذه الشعيرة عندهم والتي فيها من المبالغات ما يخرج عن الحد المألوف ، وقد وصف لنا ديورانت ببراعة ما يقوم به هؤلاء من اعطال فكانت على النحو التالي :

( على سلم المستحمين ، نرى القديسين جالسين هنا وهناك ، يحيط بهم هنود ينظرون اليهم نظرة الاجلال ، وسلمون ينظرون في عدم اكتراث وساحون يحدقونهم بالابصار ويسى هؤلاء القديسون " باليوجيين " وهم بمثابة المعبر عن الديانة والفلسفة الهندية تعبيرا ليس بعد وضوحه وغرابته وضوح او غرابة ، ثم تراهم كذلك في عدد اقل ، في الغابات وعلى جنبات الطرق لا يتحركون ، ويستغرقون في تفكيرهم فمنهم الكهول ومنهم الشباب ، منهم من يلبس خرقة بالية على كتفيه ومنهم من يضع قماشا على ردفه ومنهم من لا يستره الا تراب الرماد ينشره على جسده وخلال شعوره المزركش تراهم جالسين القرفصاء وقد لغوا ساقا على ساق ويركزون ابصارهم في

١ - راجع تلك العبادات في : تحقيق ما للهند ص ٤٥٥ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣

واديان الهند الكبرى ص ٥١ وحضارات الهند ص ٦٢٩





هذه العبادات ( ١ )

زيارة الاماكن المقدسة

يقوم الهنـدوس بالحج الى هذه اماكن يعتبرونها مقدسة ، وهي اما لزيارة شجر ، اوصنم ، اونهر ، كنهر الفانج مثلا .

ففي هذا النهر (تدوى اصوات المستحمين حوله رافعين اذرعهم الى السماء ويصيحون في نغمة الصابرين ( أوم ، أوم ، أوم )<sup>(٢)</sup> وهذه الكلمة ) غالبا ما ترد على السنة اليوغيين وتطلق عند ساعة الموت وهي الشكل الموجز للتسرد الصوتي التجاوزي اذا استطاع اليوغي ترويد هذا الصور ونفس الوقت يذكر كرشنا اوفيشنو فانه يهرز اسى هدف ) ( ٣ ) .

وتجدر الاشارة الى ان هذا النهر اصبح يشكل خطورة على البيئـة في الهند ، وذلك نتيجة استحمام الاف الهنـدوس في هذه النهر على مدار السنة ، اضافة الى صيب مجارى المياه غير المعالجة التي تفضخ يوميا وكذلك نتيجة القاء بعض الهنـدوس بانفسهم في النهر لاعتقادهم بان ارواحهم تتحرر اذا ماتوا فيه وكذلك القاء اجساد الموتى المحترقة في هذا النهر ومن لم يستطع احراق جسد الميت من الفقراء فانه يربط جثة الميت بحبل معلق بحجر ويرس في النهر وهذه العلية تتكرر باستمرار . كل ذلك ادى الى تغير كبير في مكونات هذا النهر ، ومعنى على انتشار الاوبئة والامراض . ( ٤ ) .

١ - راجع : تحقيق ط للهند ص ٤٨٣-٤٨٤

٢ - حضارات الهند : ص ٦٢٠-٦٢١

٣ - شري ايشوبانيشاد ص ٢٤

كما ذكر البيروني الاماكن الكثيرة التي يحج اليها الهنـدوس راجع : تحقيق

ط للهند ص ٤٦١

- راجع التقرير الذى نشرته جريد الرياض في عدد ١١/٣/١٤٠٥ الموافق ٣/ديسمبر ١٩٨٣ م عدد ٦٠٠٧ ص ٧ السنة ٢١ حول تلوث نهر الفانج . وقد اخبرني احد الزملاء وهو من مسلمي الهند بان الحكومة الهندية قد اوقفت عمليات القاء الجثث في هذا النهر مؤخرا . نتيجة لهذا التلوث . وقد عاينت بعضا من هذه المشاهد اثنا رحلتي الى الهند .

من خلال استعراض صور العبادات الخاصة بالرهبان يستطيع الباحث استنتاج النقاط التالية :

اولا : صرامة التعاليم الدينية وقسوتها ، اضافة الى التعميدات الكثيرة التي لا يمكن تحطها من قبل الناس العاديين ، مما يشكل عبئا يضاف الى الابعاس الناجمة عن النواحي العقديّة والفكرية .

ثانيا : ارتباط هذه العبادات بالخرافات والاساطير والسحر والشعوذة وهذا بدوره يؤدي الى خداع الناس والتدجيل عليهم باسم الدين .

ثالثا : ارتباطها بمصالح شخصية راجعة اساسا الى طبقة رجال الكهنوت البراهمة ، وكبار الرهبان الواقفين على التشريع وسن القوانين .

رابعا : صعوبة تطبيق جل هذه التعاليم مما يمسسوي الى نفور الناس واحجامهم عن مثل هذه الممارسات ، الا ان الجهل المطبق الذي يعيش في ظله الهندوس يبقى هذه العبادات فوق رؤوسهم كالسيف المسلط .

## الفصل الخامس :

### النتائج التي آلت اليها الرهينة الهندوسية

وقفت في الباب الاول على النتائج التي وصلت اليها الرهينة المصرية وتبين الغشل الذي منيت به ، و ان سنة الله تبارك وتعالى قد ضت في هذه الامة نتيجة التسلط والبعد عن منهج الله سبحانه وتعالى . ولهذا اصبحت اثرا بعد عين . فالبعد عن هذا المنهج والانحراف عن الصراط المستقيم هما الركبتان الاساسيان في اضمحلال اى امة من الامم مهبطت ، ومهبطت غطرت .

والرهينة الهندوسية لها من النتائج الخطيرة ما يصب في هذا الباب فسدت التأخر والتقهقر في الهند بادية على مجمل الحياة التي يعيشها الهندوس في هذا العصر ، رغم التفوق العسكري ، على جيرانها ، ورغم التصاق في اليدان النمرى مع الاخرين ، فان الروح الدينية تشد الناس الى الدعة والكسل ، وما نراه اليوم من مهانع ، ومعامل ، ونتاج ، طهوالا ثمرة من ثمرات الحضارة الاسلامية التي تعلمها الهندوس على ايدى المسلمين ، فلما عرفوا قيمتها ، اخذوا في تقليد المسلمين في جميع الميادين ، فضلا عن احتكاك العالم الغربي بهم ونقل بعض التقدم العلمي و التقني الى الهندوس مما اتاح لهم الفرصة لتسلم زمام الامر ونزعه من ايدى المسلمين .

فلا فضل للرهينة الهندوسية في ذلك بل هي بعيدة كل البعد عن الحضارة والتقدم ، الا ان الجوانب المهمة في هذه الموضوع تنحصر في تقييم الاسس العقدية للرهينة الهندوسية وما آلت اليه من نتائج .

فمن النتائج الحتمية التي وصلت اليها الرهينة هي اختلاط مفاهيمها بمفاهيم الكهانة وهذا بدوره اعطى الكهنة امتيازات كثيرة ، ولا يختلف الباحثون في ان الرهينة هي بنت الكهانة وربيبته ، ففي احضانها وكنفسها عاشت ونشأت وط العقائد والاراء والاثار الشفوية والمكتوبة او المدونة الا ثمرة من ثمارها ، وقد استطاعت الكهانة استغلال الرهينة كستار لاعمالها الدنيئة ، فاستمالت الرهبان لتحرير مشاريعها واستثارت طغياتها ، ولم يحرك الرهبان ساكنا الا حينما اشتد الطغيان على رقابهم وذلك عبر نظام الطبقات الهندوسي الذي فرضه البراهمة على الناس ، لهذا جاء كتاب الاوانيشاد كرد فعل على هذا التسلط ، الا ان دها الكهنة منع من اخفالى جهودهم في ابقاء سيظرتهم على الناس وذلك عبر تبيينهم لسببى عقائد الرهبان .

فحينما نتحدث عن السلبيات في هذه الاسس ، فمعنى ذلك اننا  
نشغل بذلك اعمال الكهان والرهبان على السواء لانها من نتاج افكارهما ، ولكونهما  
يتبنيان مبادئ بعضها البعض .  
ففي ظل الهيمنة الكهنوتية ارتقت هذه الطغمة سلم الاستبداد  
وحولت حياة الناس الى جحيم لا يطاق ، بفضل انظمتها وقوانينها ، اذ الى ذلك  
ما شاع فيهم من انحلال خلقي وصل الى قمة التدهور ( ١ )

١ - وصف ديورانت الاوضاع التي كانت سائدة في معابد الكهنة البراهمة وما كان يدور  
فيها من مجون وارتكاب للفحشاء دون خجل او وجل ، وفي ذلك يقول :  
( وفي كل معبد ( تامل ) مجموعة من النساء المقدسات اللاتي يستخدمن  
المعبد اول الامر في الرقص والغناء امام الاوثان ثم من الجائز ان يستخدمن  
بعد ذلك في امتاع الكهنة البراهمة وبعض هؤلاء النساء - فيما يظهر - قد قصرن  
حياتهن على عزلة المعابد وكهانها ، وبعضهن الاخر قد وسع من نطاق خدماته  
بحيث يشغل كل من يدفع اجرا لمتعته على شريطة ان يدفع لرجال الدين جزءا من  
كسبهن عن هذا الطريق وكان كثير من زانيات المعابد او فتيات الرقص يقمن  
بالرقص والغناء في الحفلات العامة والاجتماعات الخاصة .

ويحدثنا نص مقدس انه في سنة ١٠٠٤ ميلادية كان في معبد الطوك الكولبي  
( راجا واجا ) في تانجور اربعة امراة من خادمات الله ، واكسب الزمان هذه  
العادة صيغة الجلال فلم يرف فيها احد ما يتنافى مع الاخلاق حتى ان السيدات  
المحترمات كن آنا بعد ان يهيئن ابنة الى مهنة العهر في المعابد بنفس السروح  
التي يهيئ بها الابن الى الكهنوت .

وصف ( دييوا ) في أول القرن التاسع عشر معابد الجنوب بانها في بعض  
الحالات كانت تتحول الى بيوت للدعارة ولا شيء غير هذا . وكانت عامة الناس تطلق  
على خادمات الله بغض النظر عن مهنتهن في بداية الامر - الزانيات -  
( وكانت ) واجباتهن الرسمية تتألف من الرقص والغناء داخل المعابد مرتين كل  
يوم . . . ( وكان ) الرقص يثير الشهوة وليس في اشاراتهن شيء من الوقار وما فناءهن  
فيكاد كله يتألف من أشعار فاحشة تصف ما مر في تاريخ الهتهم من حوادث الاباحية  
الجنسية ( قصة الحضارة : ١/٣ : ١٧٤-١٧٥ )

ولا يفوتنا ان نتعرض للاسباب الكامنة وراء هذا الانحدار لنظام  
الرهينة ، والكهنة بشكل عام .

فالى جانب انغماسهم في الرذائل والتسلط والقهر، تظهر انشواخ  
كثيرة من الطفيلان ، ومن امثلة ذلك :  
- الابتزاز الطالي -

وقد اشتهر الكهنة به ، وذلك لقيام اعمال الشعوذة وضروب الاحتيال  
وممارسة فنون السحر والدجل . ولم يكن ليستمر هذا الابتزاز لولا تغشي الجهل بين  
العامة ، واستغلال الجهل من قبل الكهنة يعتبر جريمة اجتماعية واخلاقية .  
- التعصب العنصري:

ان احتقار البراهمة للناس وانزالهم منزلة العبيد كان له اكثر الاثر في  
تعميق الشقة بين الناس ، كما أسهم في ايجاد المناخ المناسب لبقاء التمييز  
العنصري متغشياً عبر نظام الطبقات .

- ادعاء البراهمة للالوهية  
ان هذا الادعاء يظهر التلاعب الذي يمارسه البراهمة في عقول  
الناس ، كما يتضح لنا مدى سخافة العقول التي تتقبل هذه العقائد وتنتسب  
اليها ، و تجدر الاشارة الى ان هذه الدعوى لم تنطل على بعض العقول ،  
التي نادت بالغاء مثل هذه العقيدة ونبذها ، مما حدا بالبراهمة الى رمي  
الداعين الى التحرر بالكفر والالحاد ( ١ ) . وصحيح انهم دعوا الى الالحاد

(١) يصف ديورانت الموجة التي اعترضت على ادعاء البراهمة بالانتساب الى العنصر  
الالهي ، وقد اطلق على هذه الطائفة " المشككون " ، فقد نادت هذه الطائفة  
منذ ( ٦٠٠ ق م ) بمهادى لناهضة طفيلان الكهنة ومن بينها :  
١ - انه ليس هناك عودة للروح الى تجسد جديد ولا اله ولا جنة ولا نار  
ولا عالم .

٢ - ان كل الكتب الدينية التقليدية من تأليف جماعة من الحقق والمفرورين .  
٣ - وان "ايحكم الاشياء" كلها هو ( الطبيعة ) التي تدع والزمان الذي يهدم  
وهو لا يأبهان بفضيلة او برذيلة ( بل يقسمان ) بين الناس انصبتهم  
من السعادة والشقا .

٤ - وان الناس تخدعهم خلاوة الكلام فيعتنقون الاعتقاد في الالهة والمعابد  
والكهنة مع انه في الواقع لا فرق بين فشنسو وكلب ) . انظر قصة الحضارة  
١/٣ : ٢٢٩-٢٣٠ وهكذا نرى ان من نتائج الكهانة والرهينة تحول الناس نحو  
الالحاد والشك في الدين ، تما كما هو الحال الذي آلت اليه اوربا في عهد  
الكنيسة المسيحية خلال العصور الوسطى والذي أدى فيما بعد الى بروز الشيوعية .  
وسيتعرض البحث لهذه النقطة اثنا الحديث عن الطفيلان الكنسي والباپوى .

الا ان ذلك كان نتيجة حتمية للطغيان الديني والسياسي والاجتماعي الذي مارسه البراهمة .

- ان السقيود التي يفرضها الرهبان على أنفسهم ، وطقوس العبادات التي يشرعونها للناس ، هي من باب التكليف بما لا يطاق ، مما ينتج عنه اهدار للارواح ، وضياع للاوقات ، وافقار للناس .

- ان دعوى التمسك بالاخلاق الفاضلة ونذر العفة والطهر ، واطهر السار التبتل والابتعاد عن الدنيا وما فيها ، لا تثبت امام المناظرة ، لقيامها على اساس عقدي ستنده الى خرافات واساطير . فضلا عن كونها تعطيل للفتنة البشرية ، ومنع وظائف الجسد من اتمام مهامها على الوجه المطلوب ، فالدعوة الى نهد الحياة كلية وطرح الطبييات جانبا والعمل على نشر الاستعطاء ، كل ذلك يودي الى خلل في بنية المجتمع الفكرية والاقتصادية ، والعلمية ، ولهذا فان الهند تعتبر من أكثر البلدان فقرا في العالم ، وهذا راجع الى تعطيل دور العمل في الحياة والركون الى الممارسات التعبدية التي لا طائل تحتها والتي تنهك الجسد اكثر مما تحميه ، كما ان الالتجاء الى التفكير في اوهام غير مجدية ، لا نفع فيه بل هو توقيف لحركة العقل وربطه باحزمة من الخيال والضياع .

لكل ذلك نرى ان فقدان المصدر التشريعي الصحيح ، المعتمد على اصل سماوي منزل وموحى به من الخالق تبارك وتعالى من غير تحريف ولا تبديل هو شرط اساسي من شروط الدين الحق ، لان الخالق اعلم بما يصلح شؤون الناس ، وما يناسبهم في عسرهم ويسرهم .

اما الاعتماد على تشريع وضعي من صنع البشر ، فهو بمثابة وضع الامر في غير نصابه ، بل تعد على حقوق الله تبارك وتعالى اذ له اخص خصائص الالهوية وهي الحاكمة التي تعبد الناس بها وانزل تشريعه ليرجعوا اليها في جميع امورهم . اما التشريعات الوضعية فانها غير موهلة لتصريف شؤون العباد وتقنينها ،

فالمنهج الرباني هو الكفيل بتحقيق ذلك ، لانه دين الله المتكامل القويم الذي لا زيف فيه ولا نقصان ، صالح للفرد والمجتمع ، في كل زمان ومكان .

وطا دامت امة متمسكة بهذا المنهج ، تحترم قداسته ، وتلتزم بمبادئه واهدافه وسطه ، وتتفاح عنه ، فهي بخير ، ولا يضرها من خالفها .

وان تخلت عنه ونبذته وراةظهرها فان الفساد حال بها لا محالة ، والويل واقع بها لا غرابة . وما عليها الا انتظار العذاب من الله تبارك وتعالى ، فهو يهمل ولا يهمل .

وبناء على هذه القاعدة فان اى مجتمع يرضى لنفسه الحكم بانظمة وضعيفة او قوانين بشرية لا بد له من ان يتخبط قبل ان يندثر وينهار ، وذلك من سنن الله تبارك وتعالى ولان المذاهب والقوانين البشرية تعترضها امور عدة من بينها :

١ - الالهواء الشخصية والصالح الفردية الانانية ، فيوجود هذه الامراض فان الصالح العامة تتعرض للتعطيل ، وبالتالي تقل استفادة المجتمع من هذه القوانين فضلا عن الصدام الحتمي بين فئات الناس الذى ينشأ نتيجة استئثار البعض بهذه الصالح ، وتفضيل الانانية على الصالح العامة .

٢ - قصور هذه القوانين وعدم ملاءمتها لمختلف الازمنة والامكنة ، وهذا راجع الى ضيق افق العقل البشرى تجاه القضايا الانسانية الكبرى ومشاكلها العالمية التي لا سبيل الى حلها عن طريق حلول بشرية قاصرة ، بل لا بد من تدخل العناية الالهية لتسهيل وتيسير سبلها .

٣ - اعتماد هذه القوانين على عناصر القومية والعرقية الضيقة دون مراعاة مبدأ أصل النشأة البشرية وجعلها كاساس للتعارف بين بنى البشر .

٤ - اعتمادها على التمييز العنصرى وتغليب فئة على أخرى حسب اللون والجنس والشكل .

لهذا كله ولا مور اخرى غيرها نستطيع ان نقول : ان قوانين الرهينة من هذا الضنور وعقائدها لا يمكن للعقول النيرة القبول بها مطلقا ، ورفضها هو السبيل الوحيد للنجاة من العذاب والهلاك .

والنتيجة التي آلت اليها الرهينة الهندوسية ، هي فشلها في تحقيق الامن والاطمان للناس مما نشأ عنه بروز الرهينة الجينية ، والبوذية كرد فعل لهذه الظاهرة والتي سوف نعالجها ان شاء الله في السطور القادمة .



## الباب الثالث

الاسس العقديّة

" للرهبنّة الجينيّة "

والرد عليها

(١)  
الرهينة الجينية : نشأتها وتطورها

التمهيد

أ - اسباب النشأة :

لعمل من أبرز النتائج التي تمخضت عنها الرهينة الهندوسية عبر

سيرتها الطويلة هو نشوء عدد من الفرق الهندوسية التي انفصلت عن الهندوسية تماماً ووقفت في وجه التعاليم البرهمية ، وأنكرت جملة من عقائد ها الهامة ، واقتبست منها البعض الآخر ، كما تميزت عنها بوضوح معالم الرهينة فيها .

وللحديث عن اسباب نشأة الرهينة الجينية ارتباط وثيق بالحالتين الاجتماعيتين والدينية في الهند التي شهدت على مدى قرون طويلة حالات من القهر والتسلط البرهمني ، و التي أشاعت في الاجواء نوعاً من القلق الدائم والخوف المستحكم في نفوس الطبقات الدنيا التي رزحت تحت نير التعاليم الدينية رديها من الزمن .

وقد سبق الكلام عن هذا الموضوع في الفصول السابقة ، الا ان ما يعنى البحث هنا ، هو : كيفية تقبل النفوس لعقائد جديدة بعيدة عن نطاق التعاليم الموروثة .

فقد شهد القرن السادس ق . م حركات عديدة بهدف التخلص من هيمنة البراهمة (٢) ، وكان الجو حينئذ يبعج بالاراء والعقائد المختلفة ، وكانت النفوس مهيبة ومستعدة لقبول اى فكرة معارضة لمبادئ الطبقة الاولى مهما كان لونها ، وحرى أن تأتي هذه المعارضة من قبل تلك الفئات المحرومة والمطحونة برحى الطغيان البرهمني ، وقد رأت هذه الفئات في الدعوات التي قامت بسلكها جيديا لعبور النفق الظلم الذي أحال حياتها الى كابوس مرعب .

(٣)

لقد جاءت حركة التغيير من قبل طبقة الكشترية وهي الفئة التي أسندت اليها مقاليد الحكم ، وهي أشبه بالمنصب الغفري ، وذلك لضمان سكوتها ، ولأن القرارات لا تصدر إلا من البراهمة وأن التنفيذ كان لزاماً على طبقة الكشترية ، .

١ - هذا الاسم نسبة الى كلمة "جينيا" ، ومعناه : "القاهر" راجع : قصة

الحضارة ١/٣ : ٥٨

٢ - راجع : الموسوعة البريطانية : ٨/١٠ مادة "الجينية" - ENCYCLOPAEDIA BRITANICA . V:10 . P.8 - 1974

( ) موسوعة تاريخ العالم ، وليم لانجر ، ٩٧/١

٣ - راجع اديان الهند الكبرى ص ١٠٧ ، ويذهب بول ماسون الى ان الجينية

قد تأسست تحت تأثير الاصلاح الايراني الذي وضعه زرادشت ) : الفلسفة

في الشرق "بول ماسون اوريسيل" ت : محمد يوسف موسى ص ١١٧ ، بار المعارف،

ب - مؤسس الحركة :

برز مهافيرا ، أو " مهافيرا " (١) من هذه الطبقة ، كأحد ابنا " الامرا " في بلدة ( وسلا ) (٢) من منطقة بيهار (٣) . وذلك في القرن السادس (٤) ٥٩٩ - ٥٢٢ ) ق . م . وهي الفترة نفسها التي ظهر فيها بوذا (٥) . وتجمع المصادر على انه كان بإمكانه تصد ر أمور الحكم كإبيه أو أخيه (٦) ، إلا أن سببا رئيسيا حال دون ذلك الأمر . فالصدمة الأليمة التي أحلت به إثر موت والديه معا جوعا عقب صوم طويل ، وقهر للنفس اتباعا لقواعد دينية صارمة ومتطرفنة (٨) ، ولعلمها كانا ممن يمارسون عبادة اليوغا -

هذه الصدمة قلبت حياة مهافيرا العادية ، وجعلت نفسه وعقله تائرين حائرين ، وكانت نقطة تحول في سار حياته ، فقد هانت عليه الدنيا ، ورخصت النفس ، فهام على وجهه تائها هاربا من مجتمعه منزلا بنفسه أقرى أنواع الزهد والتكشف (٩) .

١ - معنى هذا الاسم : " البطل العظيم " . وقد يطلق عليه أيضا اسم " فاراد مانا " راجع : حكمة الاديان الحية ص ١٤١ .

٢ - راجع : الهند حضاراتها ودياناتها ، ص ١٤٢ وكذلك راجع : *MAN'S RELIGIONS* , John. B. NOSS . P. 95. Macmillan Publishing CO. INC. NEW-YORK. 1980

٣ - راجع موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية ١/ ٢٢٤ - ٢٢٥  
٤ - يختلف العلماء حول تعيين سنة ميلاده ووفاته ، فإضافة لما ذكر ، هناك من يذهب الى انه ولد سنة ٥٤٠ ق . م . انظر : الهند حضاراتها ودياناتها ، ص ١٤٢ وهناك اقوال اخرى حول هذا التاريخ ، الا انه لا يوجد تاريخ متفق عليه بهمن العلماء .

٥ - راجع : مجلة ثقافة الهند : عدد ٣ ، مجلد ٢ ، ص ٣ ، سنة ١٩٥١  
ويعتبر غوستاف ليهون ان الجينية والبوذية هما شئ واحد لتشابه النشأة ، والسيرة والاراء . والحقيقة انهبط مختلفتان في كثيرة من النواحي ، وليس صحيحا ما ذكره ليهون ، بدليل انه تعرض لذكر معابد الجينية ووصف الجينوات ، وهذا غير موجود عند البوذية لعدم ايمانهم بهذا السبأ . راجع مقالته في : حضارات الهند ص ٦٢١-٦٢٣ . كما ان العديد من العلماء لم يذهبوا الى ما ذهب اليه ليهون .

٦ - راجع : اديان الهند الكبرى ، ١١١ . ٧ - الديانات والعقائد في مختلف العصور : أحمد عبد الغفور عطار : ١٠٧/١ مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٤٠١ - ١٩٨١

٨ - ثقافة الهند ، عدد ٣ ، مجلد ٢ ، ص ٣ ، سنة ١٩٥١ .  
٩ - طما بان مهافيرا قد عاصر عددا كبيرا من الرهبان الذين أشرفوا على كثير من الادييرة التي اتبعت نظام بارسفانانا في تعاليمها وهذا النظام كان من مهامه تخريج الرهبان . ومن بين هذه الادييرة مدرسة ديوبالاسا ، التي لم ترق له فهجرها ، انظر :

- EARLY INDIAN RELIGIONS . P. 147 . Reprinted 1975  
P. BANERJEE , New Delhi . INDIA

وربما اراد ان يضع حدا لحياته باتباعه لهذه الطريقة تماما كما حصل لوالديه  
الا ان الامور لم تجر كما يشاء ، ثم ما لبث ان انضم لجماعة الشحادين ، ونذر الابتكلم  
اثنتي عشر عاما ( ١ )

والامر المفاجئ حقا ، هو انقلاب هذا الزهد الى نوع جديد من الرفض للعقائد  
والمبادئ البرهمنية ( ٢ ) . ان كان في البداية ممارسة لتلك الرياضات الروحية  
على الطريقة التي رسمها الرهبان البرهميون .

وهنا يبرز سؤال عن سبب تغير الوجهة التي كان عليها ، وتحول هذه الوجهة  
الى دين جديد ( ٣ ) .

وما لا شك فيه ان مهافيرا استطاع خلال رياضته القاسية التعرف على دقائق  
وتفاصيل الممارسات التعبدية السائدة ايامه ، ومن ثم بانته له عن كتب الاساليب  
الطوية التي يتبعها الرهبان والكهنة الهندوس في تمرير عقائدهم وشراعتهم ، وبها  
بين الناس بطرق غير اخلاقية ولا تليق بالزاهدين . كما بان له زيفها وخطاها .  
كما استطاع تبيان الاسباب الرئيسية لسريان القهر والتسلط الممارس من قبل  
البراهمة على غيرهم من الطبقات الاخرى .

ولهذا كله فقد اُبي عقله تقبل مثل هذه الترهات سيما وانه وصل الى مرتبة  
عالية تسمى ( المرشد : تيرثانكارا Tirthankar ) ( ٤ ) .

لقد وازن مهافيرا بمنهج العقل الصافي امور العقائد الهندوسية  
واصطدم بالواقع العملي الممارس ، فوجد هوة سحيقة بين ما تدعيه البرهمنية الهندوسية  
من زهد وتشف ومين ما تمارسه من قهر وتسلط . وخرج بنتيجة مؤداها الشك والاحاد  
بكبرى العقائد الهندوسية الا وهي عقيدة تعدد الالهة .

وهي ردة فعل طبيعية معاكسة للتطرف المغالي للفكر الديني الوثني . وقد  
اعتبرت هذه النزعة بمثابة حركة اصلاحية ضد الديانة التقليدية ، كما اعتبر مؤسس  
الجينية صلحا في العصر الذي نشأ فيه ، والذي نصادى اضافة الى نيز الالهة :  
بازالة نظام الطبقات ( ٦ ) ، وعدم الاعتراف بالكتب المقدسة ( الفيديا ) ( ٧ ) .

١ - حكمة الاديان الحية ، ص ١٤٢ ٢ - راجع الموسوعة البريطانية ٨/١٠

وانظر كذلك : موسوعة تاريخ العالم ٩٧/١

٣ - الموسوعة البريطانية ٨/١٠

٤ - تفيد بعض المصادر ان الجينيين يعتبرون مهافيرا احد كبار المصلحين الذين تعاقبوا  
واحدا تلو الاخر والبالغ عددهم ٢٤ جينا وهي تعني " المصلح " انظر : EARLY INDIAN  
RELIGIONS. P. Bamer Jee P. 147 - Reprinted 1975 NEW DELHI.

٥ - قصة الحضارة : ١/٣ : ٥٩ ، ومجلة ثقافة الهند ، عدد ٣ ، ص ١ ، مجلد ٢ ، سنة ١٩٥١  
وكذلك الموسوعة البريطانية ٨/١٠

٦ - الفلسفات الهندية ص ٣١٧ ، وانظر كذلك : حضارات الهند ص ٦٢٢ - ٦٢٣

٧ - انظر : الفكر الفلسفي الهند ص ٣٢٥ و موسوعة تاريخ العالم ٩٧/١ - ٩٨

وهناك حافز اخر شجع مهافيمرا على الاستمرار في دعوته وهو مناصرة امسرا  
المقاطعات والاسر الحاكمة من الكشتاريين لدعوته وتأييد هم له . ومن اهم هذه الاسر:  
" فيديها " و " مغاداا " و " وانغا " . . . وكانت مقاطعة بيهار وما جاورها  
من المدن والقرى والبلدان محور نشاطه . . . كما ان بعض رجال الدين والرهبان  
قد انضم الى هذه الدعوة . (١)

— EARLY INDIAN RELIGIONS. P. 148-150

١ - راجع

الفصل الاول :

اهم العقائد الجينية ونقدها

اولا : اهم العقائد

انكر مهافيرا جطة من العقائد الهندوسية كما أسلفنا وفي طبيعتها تعدد الالهة .

فلم يعترف بضرورة وجود اله لهذا الكون مبررا ذلك بأنه في حال اتخاذا الالهة فان ذلك من شأنه العودة الى نظام الطبقات وهو الامر الذي يرفضه وينكره ( ١ ) .  
لقد ربط مهافيرا بين هاتين المسألتين لكون البراهمة مسؤولين عن ايجاد هذا الحشد الهائل من الالهة المزعومة ، والتي أثقلت العقل الهندي بالاراء المتناقضة وكبلت الحياة الدينية وعقدتها فضلا عن الحيرة والاضطراب اللذين لازما الناس أزمنا طويلة .

ومن هنا برز السبب الرئيسي الذي حدا بمهافيرا لانكار الالهية ، ولكني يصرف أنظار أتباعه عن هذه القضايا دحا الى الاتجاه نحو الاعتناء بالنفس عن طريق تهذيبها وازالة ما يعلق بها من أدران حتى تصل الى مرحلة النجاة ، حيثت الخلود التام .

وقد فلسف الجينيون هذه العقيدة بقولهم :

(٢) انه ليس من الضروري أن نفرض وجود خالق أو سبب أول ، فكل طفل يستطيع أن يفهم مثل هذا الغرض بقوله : إن الخالق الذي لم يخلق أو السبب الذي لم يسبقه سبب ، لا يقل صعوبة على الفهم عن افتراض عالم لم يسبقه أسباب ، ولم يخلقه خالق ،  
وانه لا قرب الى المنطق السليم أن تعتقد أن الكون كان موجودا منذ الأزل ، وأن تغيراته واطواره التي لانهاية لها ترجع الى قوى كائنة في الطبيعة ، من أن تعزو هذا كله الى (٣) اله

١ - وان كان هذا المبدأ قد خرق فيما بعد على يد اتباعه الذين جعلوا من مهافيرا الهيا يضاف الى سلسلة الهة الهندوس . وهنا نجد له عدة اسما منها " الوقور

( ARhat ) والصلح او الفاتح ( JINA ) راجع في هذا الصدر

مجلة ثقافة الهند مجلد ٢ عدد ٣ ص ٢ ١٩٥١

٢ - قصة الحضارة ١/٣ ٥٩ .

وخير معبر عن هذه العقيدة هو كتاب ( الستوراكريت انكا ) الذي اوضح هذه العقيدة المستندة الى مقولة الطبيعيين بقوله ( العالم أبدى ، لا حد له وهو كائن ليخلد ولن يفنى ) :  
حكمة الاديان الحية ص ١٤٦ وراجع كذلك حضارات الهند

Mam's Religions P. 99

ص ٦٢٢ وكذلك )

(١) وستتبع هذا الالحاد نخذ فكرة الروح الكلية المسيطرة ( أتمان *Atman* ) التي تقول بأن  
 أرواح البشر وأرواح الالهة متحدة بهذه الروح الكلية .  
 الا أن مهافيرا لم يستطع انكار الروح في الانسان فأقر أن لكل فرد روحه الخاصة  
 التي ينفرد بها عن بقية الأرواح .

وطى هذا الأساس فقد اهتم مهافيرا بهذه الروح ودعا اتباعه لتتقيتها . كما  
 رفض مبدأ البراهمة القائل ( باتصال الروح بالجسد على الدوام ودوران انتقالها وفق مفروضات  
 قرروها لصالحهم وتحقيق آربهم . وقد حاول ابطال مزاعم الكهنة قائلًا :  
 ( ان الروح ط دامت محبوسة وقيدة باغلال الجسد وسلاسله لن تصبح في فسحة  
 ولن تتحرر لتنتقل الى آفاق غير محدودة ولن يتسع سلطانها ، ولن تظهر عقريتها ولن  
 يتحقق نبوغها ) (٢)

وبدلا عن ذلك فقد نادى بأن الطريق ( لخلاص الجسد كامن في قهر  
 النفس وانكار الذات وهذا ط عرفه في وصاياها الخمس التي أهمها وأولها هي ( ال ( أهنسا )  
 ( *Ahimsa* ) أو عدم الايذاء لكل ذى حياة ولأن لكل حي روحا ) (٣) وصحيح أن  
 الدعوة الى قهر الجسد وتعذيب النفس ليست جديدة على الفكر الهندي . . . الا أن الأمر  
 الجديد هو الدعوة الى عدم ازهاق أي كائن ذى روح (٤)

وبالنتيجة فان هذا الالحاد قد بني على أساس من سوء فهم لسألة الايمان  
 بالله تعالى . ان أن هذه الفكرة كانت مشوشة في أذهان الجينيين وهذا يعود الى رباط  
 التقديس بالالوهية التي يدعيها البراهمة وأن الالهة عند هم لها من الصفات ط يجعلها  
 تشترك مع الصفات البشرية بأمر كثيرة فهي تأكل وتشرب وتجووع وتعطش وتتناسل . . . وهذا ما  
 عكر فكر الجينيين مما استدعى انكارهم لوجود الالهة .

وطيه فقد قاست الجينية مبدأ الالوهية عند الهندوس وقارنته من وجهة نظر بشرية  
 محضة دون الرجوع الى مقومات النظرة الفكرية المجردة عن كل هوى أو ردة فعل لأي مشكلة  
 عقدية من هذا النوع . فاثبات الالوهية لا يتم عن طريق قياس الغائب على الشاهد بل باتباع  
 الأصول العلمية والأسس المنهجية ، ودراسة المراهين القاطعة الدالة على وجود الخالق  
 عز وجل وط أكثرها ، فمنها ط هو فطري مستودع في النفس البشرية ، ومنها ط هو نظري  
 ثم ط كان عقليا أو فكريا .

والاسلام حينما يعالج هذه القضايا فانه لا يعالجها وفق الخيال والأوهام بل  
 نراه يدعو العقل البشري للتدبر والتفكر في هذا الكون الغسبح وط فيه من مخلوقات والتبصر في  
 النفس البشرية وط انطوت طيه من خفايا وأسرار معجزة لا يمكن التوصل الى سير غورها عن  
 طريق المعرفة البشرية القاصرة وكذلك بقية المخلوقات الأخرى . فاذا ط تجرد العقل عن الهوى  
 والزيغ والتخمين . وربط الأمور وفق ما يقتضيه المنطق السليم ، وأرجع الأسباب الى سببها  
 ومنسقاها وخالقها وبارئها فلا بد والحالة هذه من أن يقر بوجود الله تبارك وتعالى .

( قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذِيرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ) (٥)  
 ( وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ) (٦)  
 ( قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَى إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ  
 شَيْءٍ قَدِيرٌ ) (٧) . . . وفي أنفسكم أفلا تبصرون . . . (٨)

وهكذا فإن العقل إذا ط سار وفق هذا النهج فسيصل الى الحقيقة اليقينية الكبرى  
 التي لا ينكرها إلا هالك .

١ - راجع : مجلة ثقافة الهند ص ٢ عدد ٣ مجلد ٢ سنة ١٩٥١

٢ - الهند حضاراتها ودياناتها ص ١٤٢

٣ - حكمة الاديان الحية ص ١٤٣ ٤ - ط بان الجيني يسمح لنفسه بازهاق روحه  
 حتى شاء عبر ممارسته للرياضة الروحية ( اليوغا ) .

٥ - يونس : ١٠١ ٦ - النمل : ٩٣ ٧ - المنكبوت : ٢٠

٨ - الذاريات : ٢١

## ثانيا : الكارما وتناسخ الارواح :

يجمع العديد من العلماء على ان اصحاب الديانة الجينية يؤمنون  
بمبدأ الكارما وتناسخ الارواح ، وليس صحيحا ما ذكره صاحب كتاب " الفلاسفات الهندية  
من ان " مؤسس الجينية لم يقل بعقيدة التناسخ (١) .

وقد سبق لنا التعرف على هاتين العقيدتين من خلال دراستنا للفكر الديني  
الهندي وسي ، وبان لنا أهميتهما في تلك الديانة .

والفكر الجيني يوافق هاتين العقولتين مع اختلاف طفيف لا يوصل الى كبير  
(٢)

فرق ، وهو يدور حول محور الكارما من حيث كونها " مادية " أم " اعتبارية " .

فقد آمن الجينيون بمبدأ الكارما على اساس انها قانون الجزاء وانها تتحكم  
في كل حياة فيكافأ الانسان او يجازى على كل ما يأتي به او يجترحه من صالح او طالح  
في الحياة التالية ) . (٣) . وان النفس تتقمص جسدها الجديد اذا ما نالت من  
الجزاء حقها الموفور (٤) .

والفرق بين النظرة الجينية والهنديسية الى الكارما يتعلق بجوهرها .

ففي حين يرى الهندوس انها اعتبارية . يذهب الجينيون الى ان الكارما هي كائن  
مادي ( يخالط الروح كانه يسك بتلابيبها ، أو يحيط بها كما تحيط الشرنقة  
بالفراشة ) (٥)

وعلى هذا الأساس فقد قسم الجينيون الأرواح الى أربعة أقسام وذلك حسب

التالي :

١ - الأرواح ذات الحواس الخمس : مثل الآلهة ، الإنسان ، الحيوانات ،  
والكائنات النارية .

٢ - الأرواح ذات الحواس الأربعة :

مثل : الحشرات الكبيرة ، النمل ، النحل ، الذباب ، والفرشات .

١ - راجع : الفلاسفات الهندية : د . علي زيعور ، ص ٣١٢

٢ - راجع الموسوعة البريطانية ٨/١٠

وكذلك : *MAM'S Religions* . P. 98

٣ - حكمسة الاديان الحية ص ١٤٢ ، والفكر الفلسفي الهندي .

٤ - انظر قصة الحضارة ٦٠ : ١/٣

٥ - : اديان الهند الكبرى : ص ١١٦

٦ - كما سبق القول فإن أتباع مهابيرا حوروا مذ هيه من الإلحاد إلى الاعتقاد بوجود  
الهة ، فقد أثبتت الحفريات في مقاطعة كالينغا وجود تماثيل للمصلحين الجينيين  
وكان ذلك في حدود القرن الرابع ق . م ( وغالبا ما كانت هذه التماثيل تعبد بعد

- *EARLY INDIAN Religions* . P. 177

مهابيرا ) انظر بتوسع ( )



٣ - الارواح ذات الحاستين : وهي التي تتمتع باللمس والذوق فقط  
كالديدان ، والحيوانات الصغيرة ذات الاهداف .  
٤ - ذات الحاسة الواحدة :

مثل النباتات ، الاشجار ، الجذور ، والاجسام النباتية الطافية . . .  
الخ . ( ١ )

### ثالثا : النظرية النسبية

المعرفة في نظر الجينيين نسبية (وللحقيقة ( عند هم ) معالم عديدة  
لا واحدة ، ، وهي تختلف مع السنطرة الهندوسية ، فهي تقول ان النظر الى ماهية  
الحقيقة شيء نسبي تختلف باختلاف الناظر وهي مهمة كانت تعبر عن ذاتها باشكال  
عديدة مع العلم اننا لا نصل الى إثبات المطلق ( ٢ ) . وهذه النظرية تلحظ مثلا :  
( أن هذا الشيء قد يكون حاراً بالنسبة الى شخص ما ، وبارداً بالنسبة الى  
شخص آخر . حاراً بالنسبة الى الشخص المعين ، وبارداً فيما بعد بالنسبة اليه ايضا ،  
وذلك بنوع من التقريب أو أن شخصا بالذات هو ابن وأب وعم . . . الخ بالنسبة الى  
أقاربه الاخرين ( ٣ ) .

وقد نفى البعض أن يكون هذا الامر شك تلتزم الجينية به ، موضحا  
أنه قد ( ظن بعض المؤلفين المحدثين أن في هذا المبدأ فلسفة شكية بينما هو في  
الحقيقة مبدأ نسبي ، وقد استخلص منه العديد من التطبيقات العظيمة والاخلاقية  
يشكل خاص وطني هذا فط هو أماننا في العالم الحسي ليس حقيقة ثابتة بل هو تداخل  
علاقات مرتبط بوضعنا وأحوالنا أمام تلك الحقيقة ، فالعالم الحسي لا يستحق منا  
الجمالة والاهتمام فبالعكس ينبغي علينا نفيه والانعكاف على بناه داخلنا ، وقطع  
كل ميل نحو الواقع ، من هنا تنبع عقيدة اللاعنف ( أهسا ) والسلوك المتشطف  
والتأطي . ( ٤ )

ومهما كان الدفاع عن هذه العقيدة فان السلبية هي الطابع المميز فيها .  
والدفاع الذي تقدم آنفا لا يثبت عند البرهان ، فهذه العقيدة بحق تعتبر هروما من  
الواقع وعدم الاحساس بالسوء وولية الطاقة على عائق الانسان والتي تتعلق بأمر رسالته  
كبشر مكلف بالامانة ، وعطارة الارض . وهذا الهروب يعتبر مرضا نفسيا ناجما  
عن النظرة التعيسة للحياة فبدلا من ايجاد الحلول لمعضلات البشر وشاكله

١ - راجع : *Man's Religions* p. 99 والفكر الفلسفي الهندي ص ٣٣٢

٢ - الفكر الفلسفي الهندي ص ٣٤١ ٣ - فلسفات الهند ، جان فليوزات . ت : طي  
مقلد ص ٣٢ - ٣٣ ، المنشورات العربية ، جونبة لبنان ، وكذلك راجع موسوعة الدين  
والاخلاق ٤٦٨/٧ ٤ - الفلسفات الهندية ص ٣١٨

تفضل الجينية الانعتاق من هذه السوءولية والركون الى التأمل العقلي الذي لا يتعلق  
الا بالذات والنفس واجاد الوسائل لتعذيبها وشقاها .

فأي فكر تأقب ياترى سينتج عن نفس كئيبة حزينة ؟ أألهم سوى مادي مرسضة  
وأهداف هقيمة لا تسمن ولا تغني من جوع ؟ .

وتجدد الاشارة الى أن هذه النظرية كانت بداية لنظرية أكبر ، ونعني بها ما  
طوره الفلاسفة اليونان طي يد " هيرقليطس " ( ٤٧٥-٥٤٠ ) ق م . الذي وجد نفسي  
هذه النظرية بابا لفرضيته القايلة بأن ( الأشياء ) في تغير متصل ( وقوله ) أنت لا تنزل  
النهر الواحد مرتين . فان ماها جديدة تجرى من حولك اهدا ( ١ ) .

فالتغيير عند ه هو ( قانون الوجود وأن الاستقرار موت وعدم ، فاذا كان كل  
موجود يتغير باستمرار امتنع وصفه بخصائص ثابتة وامتنع العلم أيضا لأنه يتألف من قضايا  
ضرورية والواقع أن هيرقليطس كان لا يقصد الى هذه النتيجة لكن جماعة من السوفسطائيين  
هم الذين استخرجوها من نظريته هذه غير ملتفتين الى أن الوجود قد يتغير بالعرض  
ويبقى هو ، هو من حيث الجوهر والماهية ولما كان هيرقليطس لم يفتن الى هذه التفرقة  
فقد اعتبر الجد الأعلى للشك في الفلسفة اليونانية ( ٢ ) .

كما أن هذه النظرية قد تطورت في العصر الحديث على أيدي دة الوجودية  
وطى رأسهم اليهودي جان بول سارتر الذي طورها ليمسسل بها الى الكفر والاحسان  
واستتبع ذلك نظريات اباحية . من ذلك قوله : ( انك تستطيع أن تفعل ما تريد وليس ثمة  
من له الحق في توجيه النصح إليك وليس في نظرك شر وخير إلا اذا خلقتها ) ( ٣ ) .

### رابعا : فرضية الطادة الذرية

تو من الجينية ( بأن الطادة ذرية في تركيبها وأنها لا تغنى وأن الزمن  
لا يغنى ، وانط يعرف دورات لا يدركها العقل طولا ، وكل دورة منها ترتفع رويداً الى  
ذروة من الخير ثم تنحدر فتدخل في فلك آخر يتردى باستمرار في الشر حتى يبلغ أحد  
أعناق الفساد قبل أن يأخذ دوره في فلك جديد للخير وتستغرق هذه الدورات المتلاحقة  
ملايين ملايين القرون ، والانسان الذي لا تزيد حياته عن طرفة عين في دهر ، كيف  
يتسنى له أن يعمش ليدرك السلام لروحه وأن يتخلص من آلام الدنيا ) ( ٤ ) .  
وهكذا يظهر التناقض بين مبدأ التغيير وهذه الفرضية ، وطى أي حال  
فان مقولة عدم فنا الطادة الذرية فتحت الباب واسعاً أمام الفلاسفة والملاحدة للسقول  
بقدم العالم ، فنجد الفلسفة اليونانية القديمة تتبنى هذه النظرية وتدافع عنها بأدلة  
لا تستند الى براهين طحية بل الى تخمينات وتخيلات عقلية لا أساس لها من الصحة

- ١ - تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ص ١٧
- ٢ - انظر : محاضرات في نقد الفلسفة ، أقيت على طلبة كلية الشريعة للدكتور محمود خفاجي  
١٣٩٨-١٣٩٩ هـ - جامعة أم القرى .
- ٣ - انظر : محاضرات في المذاهب الفكرية المعاصرة للشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني  
فصل الوجودية في الفلسفة ، - محاضرات أقيت على طلبة الدراسات العليا فرع العقيدة  
١٤٠٠ هـ - ١٤٠١ هـ - جامعة أم القرى .
- ٤ - حكمة الاديان الحية ص ١٤٢ وراجع كذلك : الفكر الفلسفي الهندي ص ٣٢٧

(١)

وقد تناول العلماء المسلمون الرد على هؤلاء وأثبتوا بالدلائل العقلية والنقلية حدوث العالم وأبطلوا الزعم بقدمه . وقد اعتمدوا في نقدهم على ما يثبت حدوث الجواهر والأعراض المسميثة في هذا الكون صرهنوا على أن التغيير ملازم لها وما أن التغيير انتقال من حال إلى حال فمن المحال القول بقدمها . وفي ذلك يقول الباقلاني :

( و يجب أن يعلم أن العالم حادث وهو عبارة عن كل موجود سوى الله تعالى والدليل على حدوثه : تغييره من حال إلى حال ، ومن صفة إلى صفة ، وما كان هذا سبيله ووصفه كان محدثا ، وقد بين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هذا بأحسن بيان يتضمن أن جميع الموجودات سوى الله محدثة مخلوقة لما قالوا : يا رسول الله أخبرنا عن بدء هذا الأمر؟ فقال :

( نَعَمْ كَانَ اللَّهُ تَعَالَى وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ ثُمَّ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ فَأُثِمَتْ أَنْ كُلَّ مَوْجُودٍ سِوَاهُ

محدث مخلوق وكذلك الخليل عليه السلام ، انما استدل على حدوث الموجودات بتغييرها وانتقالها من حالة إلى حالة لأنه لما رأى الكوكب قال : هذا ربي إلى آخر الآيات (٦-٧٦-٧٩) فعلم أن هذه لما تغيرت وانتقلت من حال إلى حال دلت ( على أنها محدثة ) ، وسفطورة مخلوقة ، وأن لها خالقا فقال عند ذلك ( وَجَّهَتْ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ) . (٦-٧٩) .

ولا شك أن هذه الفرضية التي تذهب إليها الجينية ما هي إلا سعي من أجل الخلاص الذي تتأدى به ، ولهذا كان لا بد لها من اختراع نظريات جنية على الظن والتخمين لا من علم نافذ وقين . وذلك امعاناً في الدعوة إلى ترك الدنيا والالتفات إلى المقررات التي ينشئها الرهبان الجينيون . والتي من بينها عقيدة الخلاص التي سيكون الحديث عنها خلال السطور القادمة .

خامساً : الخلاص

تشارك الجينية مع غيرها من أديان الهند بفكرة الخلاص من دورات الحياة والولادة الثانية كما أنها لم تختلف عن البقية في : أن الشدة والقسوة في ممارسة الرياضة النفسية والدينية هي طريق الخلاص والنجاة من هذه الحياة ، فالنجاة عندهم ( حالة يبطل فيها نشاط الأعمال السالفة في الحياة السابقة . فالروح مع خلودها لا تعود تتقمص الاجساد الأخرى وتتخلص من الحياة الطادية إلى الأبد ) (٣) .  
أما ما تختلف به عن الهندوسية فينحصر في تحديد الهدف الأساسي من هذه الممارسات .

فقد لوحظ في الهندوسية أن الاتحاد ببرهمن هو الهدف الذي من أجله تمارس المباديات والشعائر وتعذيب الاجساد وازهاق الأرواح .  
أما في الجينية فان الغاية من هذه الممارسات هو بلوغ حالة انعدام الخلقة فسي هدوء و خلود يطلق على هذه الحالة اسم ( النيرفانا ) (٤) .

١ - راجع في ذلك : مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ١٢ / ٢١٤ وما بعدها وأصول الدين لابن منصور البغدادي ص ٥٩

٢ - راجع : الانصاف للباقلاني ص ٣٠ مؤسسة الخانجي ١٣٨٢ هـ ١٩٦٣

٣ - مجلة ثقافة الهند ص ٣ المجلد ٢ العدد ٣ سنة ١٩٥١

٤ - حكمة الأديان الحية ص ٢٤٢ وكذلك :

وطيه فان فكرة الخلاص أو النجاة في الفكر الجيني تعتبر طوراً ( من الوجود يختلف عن أطوار الحياة الدنيا الغانية وهي الفوز بالسرور الخالد الذي لا يشوبه ألم ولا حزن ولا هم ) (١)

ومعنى ذلك أن هذا الفكر ينادى بخلود الروح وهو الأمر الذي أقرته الهندوسية من قبل .

ولكي تفر الجينية من قضية الاتحاد التي نادى بها الهندوسية حاولت أن تغلف الخلاص فقالت : بأن الشخص إذا وصل الى هذه المرتبة فإنه ( ليس يذى جسم مادي وليس بطويل ولا قصير ، ولا لون يحيط بكل شيء \* ، يطلق من جميع القيود ، يكون دائم في سرور ، وطمانينة واستقرار ونعيم مقيم ، مكانه فوق الخلود الكوني ) (٢)

وهذا هو الفرق بين نظرة البوذيين الى النرفانا ونظرة الجينيين الى فكرة الخلاص ( التي هي عندهم جنة حقيقية أو سعادة تحظى بها روح الانسان لافتاء ) (٣)

ولا شك ان الجينية وجدت في هذه النظرة فرصة لترغب الناس بدنيا الجدي فبالجزء على الطاعات يأخذ حيزاً واهتماماً كبيراً من الفكر السمشري . وكان لا بد للجينية أن تأخذ هذه القضية بعين الاعتبار لسائرة عقول العامة وترغبهم بهذا الثواب المزعوم . ولهذا فقد أوجت بهذه العقيدة كبدل عن فكرة الاتحاد وذلك للتخلص من عبودية المبراهمة وبالتالي لتجذب الناس الى هذه الآمال المستقبلية الخيالية .

أما في الاسلام فان مفهوم النجاة يختلف عما قرره الأديان الوضعية ومنها الجينية إذ يرتبط بمدى التزام العبد بأوامر الله تبارك وتعالى واجتناب نواهيه وفسق ما جاء به القرآن الكريم والسنة الطاهرة ، هذا الالتزام والانقياد هو المعنى الحقيقي الذي يحمله الاسلام بين طياته. وطيه فإن الاثابة والاحسان في الدار الآخرة لا يرتبطان بأي تضحية بشرية أو قرابين أو ازهاق الأرواح أو فداء للبشرية ، بل يكونان في الجنة حيث وعد المتقون .

وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى ( مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ) (٤) . والايمان باليوم الآخر جزء من الايمان بعالم الغيب الذي تعبدنا الله تعالى به . والا فلا معنى للعبودية دون الالتزام بما افترضه الله تعالى على عباده ، وهذا الامر الغيبي ليس من باب المستحيل . فالقادر الحكيم والخالق الكريم الذي خلق السموات والأرض بالحق بيده كل شيء وهو المتصرف في هذا الكون وثوابه من باب التفضل على الخلق . ( والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم ) (٥)

١ - أديان الهند الكبرى ص ١١٨

٢ - المصدر السابق وكذلك الموسوعة البريطانية ٨/١٠

٣ - حضارات الهند ص ٦٢٢ وانظرايضاً :

- MAN'S Religions . P. 99

٤ - محمد : ١٥

٥ - البقرة : ٢٦٨

## الفصل الثاني

### العبادات الموصلة للخلاص :

ترسم الجينية مبادئ عدة للوصول الى الخلاص ، وذلك عبر تعاليم متعددة تشكل في مجموعها اطارا للسير في هذا الطريق الصعب ، الذي لا يمكن لأي فرد اجتازه دون تحمل الأعباء الجسام والآلام ، والإرهاق المستمر في سبيل الامل المنشود .

هذه الممارسات لا تعتبر في نظر الجينيين الا وائل طقوسا وعبادات وذلك لان مهافيرا رفض العبادات انسجاما مع مبدأ الالحاد الذي رسمه لاتباعه مع ان هذه المبادئ سرعان ما تغيرت عبر الاجيال لتصبح بالفعل ممارسات تعبدية حقيقية كطق التي يمارسها الهندوس تطا .

وبالرجوع الى الرجيل الاول الذي تربي على أيدي مؤسس هذه الديانة نجد أن هذا الجيل قد كتب عليه الالتزام بمبادئ الرهينة الجينية والحفاظ عليها والتقيد بمبادئها ، دون ان يشعروا ان يقوم به هو من قبيل العبادات . وربما تكون مبادئ الرهينة الجينية من أقسى درجات الرهينة في العالم وذلك لاعتمادها على مبادئ خطيرة على النفس البشرية المؤدية الى الهلاك . وقبل الوصول الى درجة الخطورة هناك مبادئ اولية تجب مراعاتها ومن ذلك :

- ١ - الاعتقاد الصحيح
  - ٢ - المعرفة الصحيحة
  - ٣ - السلوك الصحيح
- وتسمى هذه المبادئ " الجواهر الثلاثة " ( ١ )

ولكل من هذه المبادئ خصائص ، وبنود وذلك على النحو التالي :

اولا : الاعتقاد الصحيح :

ويندرج تحته أمور

- الاعتقاد بالاشياء المؤكدة كما هي ، هو اعتقاد صحيح .
- انك تصل الى هذا الاعتقاد بالحدس والفهم .
- يستقى الفهم من المصادر الخارجية ، اي الكتب المقدسة .
- والوصايا ، وتصل اليه بالمعرفة الصحيحة ، وبالمعرفة الجزئية .
- تصل الى الفهم بوصفه ، بفطريته ، بعلمته ، بمكانه ، بدعوته ، وتصنيفه .
- وتصل اليه ايضا بوجوده وعدده ومكانه واستداره وزمانه وكيفه وكمه ( ٢ )

١ - راجع حكمة الاديان الحية ص ١٤٢

٢ - هذه النصوص موجودة في كتاب " تانغارشان هيچط سوترا ، وقد ذكرها صاحب

كتاب : الفكر الفلسفي الهندي ص ٣٢٨

ثانيا :  
المعرفة الصحيحة :

المعرفة عند هم خمسة انواع :

- المعرفة العارضية - معرفة الكتب المقدسة - المعرفة فوق العارضية
- المعرفة العقلية - المعرفة الكاملة ( ١ )

ثالثا :

السلوك الصحيح

ربط يكون هذا السبب هو أهم المبادئ التي تنطوي عليها الديانة  
الجمينية لتعلقه بالجانب المادي وهو الأساس الذي بنيت عليه الرهينة عند مهافيرا .

ويتعلق هذا السبب بفكرة الخلاص الذي لا يمكن بلوغه ( بالصلاة ولا بتقريب  
القرابين ولا بعبادة الهة متعددة بواسطة الروحانيين وانما بصالح الاعمال التي يأتيها  
الانسان عن فهم وعقيدة فحسب ، وقد ظمهم مهافيرا ان خلاص كل منكم يكمن في نفسه )<sup>( ٢ )</sup>

كما يرتبط السلوك الصحيح بسبب النذر ، وهذا النذر يجب أن يكون  
مجردا عن خمسة أمور :

- ١ - عن الأذى ٢ - عن الكذب ٣ - عن السرقة
- ٤ - عن عدم العفة ٥ - عن التعلق الدنيوي . ( ٣ )

هذه النذور الخمسة يندرج تحتها تعاليم جزئية او تفصيلية ولكل من  
هذه النذور تأملات خمسة :

أ - التأملات الخمسة للنذر ضد الأذى هي

- ١ - الحذر في الكلام ٢ - الاعتناء بالعقل ( اي التأمل العقلي )
- ٣ - الحذر في السير ٤ - الحذر في رفع الأشياء وانزالها
- ٥ - الحذر في تناول الطعام . والشراب ( حذرا من قتل الكائنات  
الحية في طعامه وشرابه ) .

ب - التأملات الخمسة : ( للنذر ضد الكذب ) وهي :

- ١ - تجنب الغضب ٢ - وتجنب الطمع ٣ - تجنب الجبن
- ٤ - تجنب الطيش ٥ - التحدث حسب الوصايا المقدسة

( اي التي افضى بها مهافيرا واتباعه ) .

١ - راجع : الفكر الفلسفي الهندي ص ٣٢٨  
٢ - حكمة الاديان الحية ص ١٤٢ - ١٤٣  
٣ - الفكر الفلسفي الهندي ص ٣٣٦

ج - التأملات الخمسة ( للنذر ضد السرقة ) :

- السكن في مكان منحزل
- السكن في مكان مهجور
- السكن في مكان لا يدخل فيه أحد
- نقاء العطاء .
- عدم الجدل مع من يؤمن مثلك .

د - التأملات الخمسة ( للنذر ضد عدم العفة ) ومنها :

- رفض الاستماع إلى أحاديث الاتصال بالنساء
- رفض رؤيا اجسادهن
- رفض تذكر المتع مع النساء في الماضي
- رفض تجسس الجسد .

التأملات الخمسة ( للنذر ضد التعلق الدنيوي ومنها :

- التنكر للمحبة
- التنكر للحقد
- للذة
- لعدم اللذة .
- لمواضع الاحساس ( ١ )

ومن مجمل هذه النذور نستطيع ان نستخرج بعض الاحكام التي

يحرم على الجيني القيام بها :

( فالزراعة حرام . . . لانها تمزق التربة وتسحق الحشرات والديدان ، والجيني الصالح يرفض أكل العسل لأنه حياة النحل ، ويصفي الماء قبل شربه خشية أن يقتل ما عساه ان يكون كما ان فيه من كائنات ويغطي فمه حتى لا يستنشق مع الهواء أحياء عالقة فيقتلها ، ويحيط بهيئة بستانه حتى يقي الحشرات لذع النار ، ويكنس الارض اطامه وهو يشي خوفا من ان تدوس قدمه الحافية على كائن حي فترويه ولا يجسوزله ابدأ أن يذبح حيوانا أو يضحى به ) . ( ٢ )

ومن الواجبات المفروضة على الراهب :

- الاستجداة : فعليه القيام به لتأمين الطعام والشراب والكساء .
- حمل العصا والحكنسة لتنظيف الارض التي يمشي عليها حرصا منه على عدم افساد الحشرات .

وهذه الاعمال تلتزم بها النساء الداخلات في سلك الرهينة ايضا لدى فرقة السفاتمارا الا ان فرقة الدياغبارا لا تسمح لهن بالدخول في الرهينة ( ٣ )

١ - راجع جميع هذه البنود في : الفكر الفسفي الهندي ص ٣٣٦

٢ - قصة الحضارة ١/٣ : ١٠-٦١ وكذلك الفلسفات الهندية ٣١٨  
) و ( MAN'S Religions. P. 100

٣ - راجع بتوسع : موسوعة الدين والاخلاق ٤٧٢/٧ ) ( ENCYCL. of Religion, and Ethics. v. 7. P. 472

اولا :

### أهمية اليوغا في الرهينة الجينية

سبق الحديث عن إهتمام الرهينة الهندوسية بممارسة اليوغا ، ورأينا من خلال ذلك الصور المتعددة لهذه الرياضة الشاقة .  
والجينية تدبر بهذه الطريقة أيضا للوصول الى النجاة أو الخلاص كما تراه . ومن الممكن الاستشهاد بنصين من كتب الجينيين للتأكد من أهميتها عندهم ومن ذلك ما جاء في كتاب " تانغارشاد هيمجاماسوترا " في الفصل السادس قوله :

- اليوجا هي نشاط الجسد والكلام والعقل .  
- اليوجا هي السيلان الداخلي لطادة كارما الى الروح ( ١ ) .  
ومبني قيل عن فوائد اليوغا فانها في النهاية لا تبعد عن ان تكون طريقة تهدر فيها الطاقات والاقوات دون طائل ، والانسان موثمن على جسده لا يحق له التصرف به وفق أهوائه ونزواته كما أنه مسؤول عن وقته وعمله فلا ينبغي اضاعته فيما لا فائدة منه والا أصبح عرضة للضياع والتأخر والكسل ، وهي النتيجة المحتمة التي آلت اليها حياة الرهيان .  
اضافة الى ما تقدم فان الديانة الجينية وضعت عدة مبادئ عظيمة تلزم الأتباع بوجوب تطبيقها تطبيقا تاما وهي مبادئ متنوعة وفي مجالات عدة .  
أهم هذه المبادئ ما يتعلق بقانون اهسا ( ٢ ) او عدم الايذا ، وكذلك ما يتعلق منها برفض معاشره النساء والابتعاد عن الشهوات واللذة ومنها ما يتعلق بنذر الصمت .

ثانيا : قانون أهنسا : والنقد الموجه اليه

من النصوص الدالة على أهمية هذا القانون ما جاء في ( السوترا-كريت انكا ) وهو كتاب جيني ما يلي :  
- جميع الاحياء تكره الالم . . . وعلى هذا لا تؤذيها ولا تقلتها . هذا هو روح الحكمة ، : " لا تقتل حيا " .  
- اذا ما اعتكفت على سعادتك الروحية فلا تقتل أي حي بنفسك ولا باوامرك ولا بموافقتك .  
- من يقتل او يؤذي من أجل راحته سيفوق في نهاية حياته في حمأة ( من العذاب ) ( ٢ )

١ - راجع : الفكر الفلسفي الهندي ص ٣٣٥

٢ - راجع بتوسع عن هذا المبدأ في كسل من ( الموسوعة البريطانية ١٠/١٠٠ )

وكذلك راجع عن هذا الموضوع في : ( *Man's Religions* . P. 101 )

٣ - : حكمة الاديان الحية ص ١٤٥-١٥٠



النقد الموجه الى هذا القانون :

يلاحظ في هذه العبادى\* التزمت والتنطع الزائدين عن حدود المعقول ولا يمكن ان يعيش الانسان بهما حياة عادية .

انه لأمر محمود أن تدعو هذه النحلة الى وجوب التمسك بعدم الايذاء\* ولكن من المستهجن حقا أن تمنع عن بني آدم ما أحله الله له من الطيبات ، وتفرض عليه قيوداً ما انزل الله بها من سلطان كتصفية المياه وكمنس الارض ووضع المنديل على الأنف حتى لا تتأثر الجراثيم الصغير وتتعرض للفناء\* .

ان الحرج الذى تضعه الجينية أمام الخلق يدل دلالة واضحة على عظم المشقة التى ترهق كاهل الانسان اذا تمسك ببدأ يمنعه من أدنى حقوقه المعيشية البسيطة ، وهذا ظلم ما بعده ظلم ينبع أساسا من عدم التفقه والتبصر في معنى الحياة . . .

فمن الدلالة على سخف العقلية التى وضعت هذا المبدأ : هي مساواة

حياة الانسان وروحه بروح الدواب والطيور والهوام والحجر والشجر .

وهنا تقع الجينية في تناقض كبير حينما تبيح لاتباعها تطبيق الممارسات العظيمة كالرياضة القاسية لازهاق الروح وصولا الى ما تدعيه بالخلاص ، في حين تنكر عليهم قتل بعوضه او ذبابة مضره بالصحة .

ولأستاذ العطار راي في هذا الموضوع نستأنس به حيث يقول :

( . . . ولكن لي رأياً في أساس الجينية ، فهو سسها ما هافيرا حاقد على الحياة والمجتمع والناس لأن والديه فارقا الحياة بواسطة الانتحار جوعا حتى الموت فامتلات نفسه المفجوعة ألماً وحقداً وكراهية وبغضاً\* للسحياة فانعكس ما في نفسه على مذهبه انتقاما من الحياة بتسخير افرادها ليلقوا مصير والديه ومن لا يلقاه يفقد التذذ بالحياة وهو موت الد واقع الى الحياة الطليقة بالاطايب واللمذات الحلال .

انه دين انبعث من مريض مضطرب النفس ولكن لاغرابة في ان يجد اتباعا لان

الهند تتسع لاي دين مهم كما مناقضا لقوانين الاخلاق واداب السلوك والمجتمع وللحياة والوجود نفسيهما) (١) .

ومن نقاط الضعف التي تسجل على هذا القانون وتشكل طعننا فيه ، هو ما يتعلق بالموقف السلبي الذي يتخذه الجينيون ازاء التعرض للحيوانات والحشرات .

فالانسان معرض للاخطار الناجمة عن مهاجمة الحيوانات المفترسة او الحشرات المؤذية ، والقاطرة .

فما موقف الرهبان من مهاجمة تلك الحيوانات وتعريضها حياة الانسان للخطر ان لم نقل للموت الزوام ؟ .

ان دعوى المسالمة لا تنفع في مثل هذه الحالات ، ان العقل يأبى الاستسلام لهذه العقولة لما فيها من استكانة وخنوع بل وسخف عقلي لا يبرر لوجوده فبعض الحيوانات لا يمكن ابعاد ازاها الا بالقتل كالضواري ، وبعض الحشرات لا يمكن اتقاؤها الا بالابادة ، كالزواحف السامة وغيرها .

ولا شك ان ابقاء الحشرات يزيد من انتشار الامراض والامثلة وسببهم في افقار البلاد ، وقتل المواسم الزراعية ، والحواشي .

الى غير ذلك من الاسباب التي تدعو الى نبذ هذا الجهد .

ثالثاً - :

البعد عن النساء :

- ان النصوص الجينية تدعو الى الابتعاد عن النساء ، واعتزالهن .  
ومن ذلك قولهم :
- ( - من لا تخضعهم اللذات يعلمون بان التأمل واجبهم .  
- الأفاضل يعتبرون اللذات كالأمرض .  
- النساء للرجل الاحق اغراءً تصعب مقاومته .  
- من ينفق وقتاً طويلاً مع النساء يعرض عن ممارسة التأمل .  
- في قلب النساء رجل واحد ، وفي كلماتهن آخر وفي أحضانهن آخر .  
- كما أن الرعود أعلى الاصوات ، والقمر أبهى الاجرام السماوية ، والصندل أفضل العطور ، كذلك الذي نبت جميع الشهوات  
- المحمول على غارب الشهوة لن يبلغ مدى ( ١ )

إن الدعوة الى الحد من الشهوات واللذات أمر يتفق مع السلوك السوي لبني البشر لأن الافراط فيها باب عريض اذا فتح تصبح النفس وبالاطن صاحبها وتجترر المجتمع نحو الهلاك والويل .

والجينية اذا ارادت الالتزام بالتخفيف والتقليل من الشهوات فلا أحد يعترض سبيلها ، فالتوسط في جميع الأمور هو الحل المطلوب في هذه الحياة كي تستقيم ، ويصبح لها معنى له مغزى وقيمة .

الا أن الجينية تأبى هذا التوسط أو الدعوة الى التقليل من الشهوات ، بل فرضت على النفس البشرية كبتاً مطبقاً لاي نشاط جنسي أو عاطفي ، فألزمت أتباعها بوجود الابتعاد عن النساء وعدم الاقتراب منهن والتخلي عن اي ارتباط بهن الى حد انها ازاحت من قاموس تعاليمها مجرد كلمة هب أو ود فمن تعاليمها :

( يحيا الحكيم حياة بعيدة عن الحب بعدها عن البغضاء ) ( ٢ )

وهكذا تكون حياة الراهب الجيني خطافية من أي هدف في هذه الحياة ، ان يلاحظ في هذه الدعوة هدم لآمال الانسان وتطلعاته . واطفاً لاشراق الروح النقية . وايقاف عمل الفطرة التي فطر الله الناس عليها واغلاق لمدارك العقل الذي منحه الله لبني البشر .

١ - حكمة الاديان الحية ص ١٤٥ - ١٥٠

٢ - المصدر السابق

كما ان الدعوة الى الابتعاد عن الحياة الزوجية فيها اهدار لعطية التناسل التي هي اساس في عمارة الارض وانشاء المجتمع الامثل .

ولا يخفى على عاقل ما في هذا القانون من اناية فخرطة فهو يبيح للفرد ان يعيش حياته كما قررت الرهينة الجينية ويفرض ان يدع المجال لغيره في العيش كما اراد الخالق سبحانه وتعالى .

ان تعطيل وظيفة الجنس في الكيان البشرى خطر كبير يهدد الداعين اليه ، وذلك لما لهذه الطاقة المزروعة في كيان البشر من قوة هائلة تدفع النفس الانسانية الى افاق واسعة ، فان روعيت بدقة وانتظام عادت بالنفع والامن والسعادة على صاحبها وان اوقفت ومنعت من اداء مهمتها اضرحت شرا قاتلا يهدد كيان الفرد ، في اي لحظة من حياته بالدمار .

ولا ادل على فشل هذا المبدأ في الرهينة الجينية من تلك الحياة الخاصة التي كان يحياها الزعيم الهندي "غاندى" الذي اخذت عليه والدته العهود الجينية الثلاثة وهي تامة باجتنا ب : الخمر واللحم والنساء . ( ١ )

فالامر الغريب في تلك الحياة ما كان يشاع في العلن عن بطولته وشدة ورعه وتقشفه حتى انزلته المؤلفات والمعاجم منزلة القديسين والانبياء .

ومشاه المولى عز وجل ان يفضح هذه السيرة وذلك عند ما نشر كتاب "الحياة الجنسية لشاهير الناس" الذي تعرض مؤلفوه الى حياة المهاتما غاندى الخاصة والذي يظهر فيه هذا الزاهد على حقيقته ، فهذا الكتاب يصف مفاخرات هذا الزعيم مع النساء واساليبه الكثيرة في اختيارهن ، فمن فصول هذا الكتاب ما يذكره المؤلفون عن تلك العلاقات قولهم :

( بقيت هناك بعض الجوانب الاخرى وان كانت تفصيلية فتقاليد الهندوس من ( ٢ )

هذا الجانب الذي انغمس فيه غاندى تفترض على الرجل ان يتجنب الجنس الاخر كلية ولكن غاندى اضى بقية حياته في مزالق صعبة هي مزالق الاغراء . فقد كان على الرغم من كل ذلك عاشقا يحب النساء ، اللواتي كن مفيدات جدا لحركته السياسية وقد بدأ قصصه معهن في جنوب افريقيا اثنا عشر سنة هناك ، عندما التقى بفتاة مراهقة في السابعة عشرة من عمرها اسمها "صونيا اسلشن" . . . وكانت صونيا بدايئة

١ - راجع في هذا الصدد كتاب : مهاتما غاندى ، رومن رولان ص ٧ ، ترجمة

عمر فاخوري ، مطبعة طيارة ببيروت .

٢ - غاندى هو هندوسي ، ولا يعني ذلك الا يلتزم باي مبدأ اخر ، فطبيعة الهندوسي مبالغة الى كل تغيير مهما كان نوعه وهو على استعداد ليخلط عقائده باي عقيدة تروق له .

سلسلة من الغتيات المراهقات . . اللواتي كن يتهافتن عليه كتهافت الفراش على النار ، فالشيء الثابت ان غاندى كان يتمتع ليس بحيوية جنسية دافقة وحسب ، وانما بجاذب جنسي غريب لم تكن شهرته وحدها هي السبب في ذلك ، ولكن هو لا المراهقات يعطن كسكرتيرات اثنا الصباح ، ومدلكات في فترات الغدا\* وعند العصر ، فاذا ما جاء الليل ، انسلت احدها الى فراش الرجل الذي كان يكتفي من الثياب بقطعة قماش بيضا\* اثنا العمل ، ولا شيء\* مطلقا في الفراش ، .

وكان غاندى يفضل الليلة بعد عطية مساج تتناول كل شيء\* ، حتى انه كان يستعمل نوطا خاصا من العطر والبخور ، وخاصة في الحمام بعد الساعة العاشرة مساء ، حتى ليقال ان غاندى كان مولعا بالطقوس .

ومن الغريب ان هذه الطقوس كانت جنسية الى حد بعيد ، لقد كانت النساء ياتينه من اماكن نائية وغير متوقعة ، ومع ذلك فقد كتب يقول : " ان النضال من اجل البقاء نقياً جنسياً هو كالسير على حد السيف " .

ولكن الغريب ان غاندى حاول الابقاء على هذه العلاقات الجنسية بعيسدا عن كل فضول الى ان افتضح امر الغتيات المراهقات اللواتي كن يمنمن معه عاريات ، وكانت حجة : ان الرجل الذي يقرب نحو الستين يحتاج الى الدفء\* . ( ١ )

- ان هذا التناقض الذي يلف حياة هو لا وجود له في حياة الفرد المسلم ان الاسلام يحيط هذا الفرد بالرعاية التامة فيوضح له الطريق الذي يجب ان يسلكه منذ ان يشب عن الطوق وذلك وفق منهج متكامل ومتوازن في آن معا لا تطفئ فيه وظيفة الروح على الجسد أو العقل عليها وكذلك العكس . وبذلك فلا يمنع الاسلام من ممارسة الوظيفة الجنسية بل يحض عليها باسلوب لا تعقيد فيه ولا غموض ودون كبت أو حرمان بل يضع الضوابط الكفيلة باسعاد الانسان وتنمية روح الخير والمحبة فيه للجنس الآخر كشريك له في هذه الحياة لا على أنه من سقط المتاع أو أنه رهيب للشيطان . يقول تعالى ( وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ) ( ٢ )

ووفق هذا المفهوم فالسليم لا يحتاج الى اتخاذ الخليلات أو المحظيات سراً لان الاسلام قد أتاح له أن يعيش حياته الخاصة وفق وسيلة نظيفة ولغاية شريفة .

١ - راجع هذه التفاصيل ، وأمور أخرى في الترجمة التي أوردتها مجلة الحوارات :

العدد ١٣٠٥ سنة ١٩٨١ ، الجمعة / تشرين الثاني / نوفمبر / ص ٩٧ .

وذلك تحت عنوان ( غاندى بشر بفلسفة الجنس في خدمة . . الهنود ) وهو

ترجمة لفصل من كتاب ( The Intimate Sex Lives of Famous People .

لعدد من الكُتَّاب الغربيين .

## رابعاً

تطور و تبدل الانظمة :

ربما وجدت الجينية نفسها محرجة امام التعاليم والممارسات الروحية الصعبة التي نادى بها . وكما رأينا سابقا مدى صرامة الهادى\* التي ياخذ الجيني بها نفسه ، فهذه القوانين وجدت صعوبة في التنفيذ ، كما تركت اثارا سلبية على اتباع العاديين ( ١ ) . ان التكليف بلا يطاق لا يتلاءم مع الفطرة البشرية . ولا سباب كثيرة رجعت الجينية الى نفسها قليلا ، حينما وجدت تقاعسا شديدا من قبل اولئك المتعبدين المتعبين .

واذا\* هذا الوضع كان لا بد من تغيير في نصوص القوانين والانظمة المتبعة ، وتقسيم الممارسات بحيث تتلاءم وطبيعة افراد هذه النحلة . وهكذا اصبح هناك الجيني العادى ، والراهب المنتظم .

وقد جاءت النصوص الجينية المعدلة لتراعي هذا العادى ومن تلك النصوص ما جاء في كتاب " تانغارشاد هيجاماسوترا " :

- نذ و ر رب البيت اقل من نذ و ر الزاهد

- يجب ان يحدد رب البيت نشاطه في مكان ثابت ، ويحدد نذ و ره بوقت

اقصر ، ولا يقترف خطيئة عن عمد أو لاعد . و عليه ان يتأمل في الروح وان يصوم وان ياكل بعد ان يأكل الضيوف .

- رب البيت هو من يراقب موته الهادى\* في اللحظات الاخيرة من حياته ( ٢ )

وهكذا نرى كيف غيرت الجينية نطق القوانين فبدل الصرامة والشدة المتمثلة في التعاليم الاولى نجد التخفيف الذى شرع لفئة من العامة .

فلفظ رب البيت قد استعمل من قبل عند الهندوس ، وربما استعمله

الجينيون كذلك لهذا الغرض ان البراهمة يطلقون هذا الاسم على الهندوسى الذى يمر بالمرحلة الثانية من المراحل الاربع عندهم والتي تتيح له فرصة الزواج والانجاب وممارسة الحياة العادية .

ورغم ذلك فقد ارادت الجينية وضع بعض القيود على " رب البيت " أو

على الجيني العادى حتى يبقى ضمن الاطار المرسوم له في تلك الديانة .

فمن الامور التي فرضت عليه ما يلي :

- (١) - اجتناب الخمر ٢ - اجتناب قتل الكائنات الحية مع تحريم الذبح
- ٣ - اجتناب السرقة ٤ - اجتناب الزنى
- ٥ - اجتناب الطمع ٦ - الابتعاد عن المعاصي
- ٧ - التقليل من اعمار الحياة ومتطلباتها ٨ - الحرص على الابتعاد عن  
الساوي .
- ٩ - تحديد المناسبات الدينية باوقات معينة
- ١٠ - تحديد مدة النذور
- ١١ - تحديد ايام معيشة لممارسة حياة الرهبان
- ١٢ - يجب التصدق على الفقراء والساكين دائما ( ١ )  
ويضاف الى هذه العبادات ايضا
- (- اجتناب اكل اللحم - اجتناب الفواكه - اجتناب اكل العسل .  
اجتناب اكل الجذور - عدم الاكل ليلا ) ( ٢ )

### الفصل الثالث : السفرك الجينية وتطورات الرهبنة

اولا : الفرق :  
لم تثبت الجينية بعد موت مهافيرا طويلا حتى حل الانشقاق بين اتباعها والرهبان المنتحين اليها ، فانقسمت هذه الديانة الى عدة فرق .  
فقد اكد العلماء على وجود انقسامات عديدة في الجينية ، فالى جانب وجود فرقتين كبيرتين هناك فرقة اخرى اسسها احد اقارب مهافيرا ويدعى جمالي الذي انضم اليه . . . راهب .

الا انه لم يعرف مصير هذه الفرقة ، ولعلها ذابت في الفرقتين الكبيرتين فيما بعد . ( ١ )

اما الفرقتان الكبيرتان اللتان استقطبتا الرهبان والاتباع فهما :

- ١ - الدياغبارا ( اصحاب الردا \* الازرق
- ٢ - والسفاغبارا ( اصحاب الردا \* الابيض

وقد اختلف العلماء اختلافا كبيرا حول تاريخ الانشقاق الحاصل بين الفقتين كما اختلفوا في اسباب النزاع .

فبالنسبة للتاريخ فهناك من يرجع الانشقاق الى سنة ٨٣ ق م . وهناك من يذهب الى انه حصل في سنة ٨٠ ق م . وهناك عدة آراء اخرى ( ٢ ) .

اما بالنسبة لسبب النزاع والشقاق فهناك من يقول بان ( سيفابيهوتي كان في خدمة الطك راتها فيهارا وان هذا الاخير قد اهداه لحافا او دثارا هدية تكريما له على دخوله في الجينية الا ان الناس قد مزقوا الهدية في غياب سيفابيهوتي فحسزن وغضب وانحرف ليقيم طائفة الدياغبارا ) ( ٣ ) .

وهناك من يقول بان الفرقة والشقاق قد حدثا ( حينما هاجر راهب جيني واسمه بهاد رابا هو بيغثة من طائفته جنوبا الى اقليم الكرنات فرارا من مجاعة ظلت اثنتي عشرة سنة ببلاد البنغال ، وعلى اثر عودة هذه الفئة اتخذ الرهبان الذين فضلوا الاقامة على المهاجرة قرارا في مجلسهم الديني ان يجمعوا الكتب الجينية لكنهم لم يستطيعوا

١ - انظر : EARLY, INDIAN. P. 173-174

٢ - راجع الموسوعة البريطانية . ٨٢١

٣ - راجع : EARLY, INDIAN. P. 175



تسجيل بعض نصوص البروات ( اى الكتب الدينية ) القديمة ، ولهذا السبب جاء قانون سفاتمارا ( اى الفرقة التي بقيت ) ناقصا وهو القانون الذي تمت كتابته في صورته الحالية في مجلس فالابهي ( القرن الخامس أو أوائل السادس الميلادي ) .  
واتبع الرهبان العائدون طريقة أشد صرامة وتجنبوا المجلس واطلقوا على أنفسهم اسم طائفة الدياغمارا وقالوا ان القانون الحقيقي قد ضاع ( ١ ) .

وهناك مصادراً أخرى تذكر أن سبب الخلاف يعود الى اللباس أو الرداء الذي يجب على الراهب الجيني أن يلبسه  
فرأت فرقة أن تضع الرداء الأبيض ، وأطلقت على نفسها اسم السفاتمارا واطلقت الثانية على نفسها اسم : الدياغمارا ( ٢ )

وكانت هذه الاخيرة أكثر تشدداً إذ رأت أن على الراهبان عدم ارتداء أي لباس يوارى الجسد وأن بقاء الراهب عاريا هو المطلوب حتى لا ينشغل عن التفكير والتأمل لأن اللباس يودي إلى الإحساس بوجود المادة وهو الأمر الذي يجب أن يمتنع من النفس وان يبقى الراهب بعيداً عنه . ( ٣ )

ومن فلسفتهم في هذا المعنى قولهم : ( ان الشعور بالحياة يتضمن تصور الإثم ، فلولم يكن الإثم في الحياة لما كان الحياة . فترك اللباس هو ترك للإثم وتصوره . وعلى ذلك يجب على كل ناسك يريد أن يحيا حياة بريئة من الإثم أن يعيش عاريا ويتخذ من الهواء والسما لباساً له ) ( ٤ ) .

وللرداء عندهم تعلق بالنجاة فمن قولهم ايضاً : ( مادام المرء يرى في العرى ما نراه نحن ، لا ينال النجاة ، فليس لأحد أن ينال نجاة مادام يتذكر انه عار ، عليه أن ينسى ذلك بتاتا ليمتكن من اجتياز بحر الحياة الزاخر ، وذلك لان المرء طالما يتذكر انه عار أو أن هناك خيراً أو شرراً حسن أو قبيح فمعناه أنه لا يزال متعلقاً بالدنيا وما فيها فلا يفوز بـ ( موكشا ) اى النجاة ) ( ٥ )

- ١ - موسوعة تاريخ العالم ص ٩٩ وكذلك EARLY. INDIAN. P. 173
- ٢ - راجع وقد ترأس فرقة السفاتمارا راهب اسمه "ستهبولا بهادرا" ، كما ترأس فرقة الدياغمارا راهب واسمه بهادرا بهو انظر EARLY. INDIAN. P. 174
- ٣ - راجع بتوسع الموسوعة البريطانية ٨ / ١٠
- ٤ - تاريخ الاسلام في الهند ص ٥٠
- ٥ - مجلة ثقافة الهند ص ١٣ المجلد ٢ عدد ٣ سنة ١٩٥٠

ثانيا : اثر التطورات في مبادئ الزهينة :

هناك عدة تطورات طرأت على الفكر الرهيني الجيني كان من شأنها تحول المد الديني الى تراجع وانكماش بعد انتشار وذيوع كاد يهدد الاراء والمعتقدات السايقة والتقليدية في الهند . وهذا الفشل ادى بالتالي الى تهديد الرهينية الجينية نفسها بالانقراض . وهذا العصر خير شاهد على ذلك .  
ان اصبح الجينيون في الهند يمثلون اقلية ( ١ ) دون ان ننسى ان تفوقهم المادى الان راجع الى تخليهم عن مبادئ الزهينة التي نادوا بها مسن قبل .

ونستطيع ان نلخص مجمل التطورات التي رافقت الجينية وذلك على

النحو التالي :

١ - في مجال العقائد :

تم التحول من الالحاد وانكار الالهة الى عبادة الانسان والعودة الى تعدد الالهة وفق الطريقة الهندوسية .

وقد راينا في الفصول الماضية كيف دعا مهافيرا الى الالحاد الذي بناه على قاعدة مؤداها انه لا يجوز الاعتقاد بوجوده حتى لا يعود نظام الطبقات الى الوجود . وبعد وفاته لم تستطع الجينية الصمود امام مغريات وتحديات الهندوس وغيرها من الاراء المحلية ، كما انها من ناحية اخرى فشلت في صرف انظار العامة عن فكرة وجود الخالق ، وازاء هذا الفشل لم يجد الجينيون بدا من الرجوع الى اقامة التماثيل لمصلحتهم الرابع والعشرين . الذين قسدهم واتخذوهم اربابا من دون الله وكان اول هؤلاء واقضهم على حد زعمهم ريشابها ( Rishabha )

والثلاثة الاخرون وعلى راسهم ( Rishamemi )  
— PARSVOMATHA —  
— VAROLHAMANA — MAHAVIRA

( ٢ )

وقد اقيمت التماثيل في القصور التي شيدت من اجل ال ٢٤ جينا او ما يطلق عليهم ( الشيرثانكاراس ) في معظم الاماكن التي تواجد فيها الجينيون . وقد اعتبرت هذه القصور والتماثيل من افخم الاعمال التي قامت في الهند نظرا للبدخ والترف اللذين حظيت بهما هذه الاماكن . ( ٣ )

١ - يبلغ عدد الجينيين حسب احصاء ١٩٠١ / ١٠٣٣٤١٤٠ / مليون وثلاثمائة واربع وثلاثين الفا ومائة واربعين نسمة وهذه النسبة اقل من نصف المئة من سكان الهند . راجع موسوعة الدين والاخلاق : ٤٧٢ / ٧

٢ - موسوعة الدين والاخلاق ٤٦٥ / ٧

والذاهب الكبرى في التاريخ ص ٦٠

— Man's Religions . P. 101

٢ - احترام الجينيين للبراهمة بعد كراهيتهم لهم :

على الرغم من ان الجينية تعتبر ثورة على الهندوسية الا انها لم تستطع السير قدما للتحرر من ريق البراهمة .

ومما لا شك فيه ان سطوة البراهمة لم تترك مجالا للجينيين بالتحرك ضدها واخذ المبادرة على نطاق واسع ، ولهذا نرى الجينية قد اعترفت ضمنا بهذه القوة ومع مرور الزمن تحول هذا الاعتراف الى احترام للبراهمة ولحماهم<sup>(١)</sup> والسدوة السي عدم المساس بهم او التعرض لهم بالاذى مهما كان الامر .

وقد وجد الجينيون ذريعة لهذا التغيير استنادا الى مدتهم العام المسمى بقانون اهسا الداعي الى عدم الايذاء .

وهكذا جاء هذا القانون لتثبيط الهمم وترسيخا للذعة والكسل ، مما اسهم في ابقاء الجينية بعيدا عن الرئاسة والزعامة في الهند وابسقاؤها تحت سيطرة البراهمة .

٣ - اثر الانشاق في الرهينة الجينية :

راينا في السابق كيف انقسمت الجينية الى فرقتين رئيسيتين هما :

الدياغبارا والسفاتبارا .

وقد كان هذا الانشاق مثار كتابات كثير من العلماء<sup>\*</sup> والمؤرخين . ذلك لانه كان السبب الرئيسي في زعزعة التماسك في الرهينة الجينية ، فقد اورثها عبثا ثقيلاً لم تستطع تحطه عبر تاريخها وقد تمثل في الجدل القائم بين الفئتين حول عدة امور منها :

١ - الرسائل التي خلفها مهافيرا

٢ - مبدأ العري

٣ - مبدأ دخول النساء في السلك الرهيني .

ان هذه الامور رسخت الشقاق بين اتباع الجينية وعلى الرغم من عدم

قيام نزاع دوى بينهما الا ان هذه الخلافات اسهمت الى حد بعيد في زيادة الهوة بين الطرفين . .

١ - راجع حضارات الهند ص ٦٢٣

٢ - راجع تفاصيل النزاع في : الموسوعة البريطانية ٨/١٠

٤ - وضع القوانين والانظمة الديرية :

بعد رحيل مهافيرا احتدم النقاش بين السفاتبارا والدياغبارا حول القوانين التي ألفها مهافيرا بنفسه .

فقد أنكرت الدياتبارا هذه القوانين واعتبرتها في حكم الضائعة بينما أقرت طائفة السفاتبارا هذه القوانين .

وقد وجدت فيما بعد قوانين لعبادات جديدة أهمها :

قوانين عبادة نياغياشا . وقد اكتشفت في عهد ماتورا ( ١ ) كما تغيرت عدة قوانين عملية تتعلق بالدعوة والارشاد والتي أطلقوا عليها اسم :  
" ايساريا " وربما تكون هذه الطريقة قد أخذت عن البوذيين والتي تسمى :  
" البيهاراس " . ( ٢ )

٥ - ادخال النساء في السلك الرهيني :

لم تكن هذه المسألة قد أثيرت في حياة مهافيرا ، إلا أنها ما لبثت أن برزت بشكل حاد لتحدث خلافا في آراء الجينية ولبلة بيسن افرادها .

فالد ياغبارا ترى عدم وجوب إدخال النساء في سلك الرهينة لانهن غير قادرات على عبور قانون النجاة أو الخلاص وظيفه فانهم يحرمون دخول النساء ( ٣ ) .

اما السفاتبارا : فقد رأوا ان ما ينطبق على الرجل ينطبق على المرأة وانها تستطيع ان تمارس جميع المهام الموكلة الى الراهب دون تعب مع اجبارها على لبس الثياب .

وقد اعتبرت السفاتبارا فئة غير مرغوب فيها من قبل الدياتبارا واطلقوا عليها اسم ( هيريتكس ) . ( ٤ )

( ٥ ) كما ان العرى كان سببا في ازدياد الفرقة بين الطائفتين .

EARLY Religions. P. 182

- ١

Emcyl. of Religion and Ethics.

- ٢

V: 7. P. 472

- EARLY Religions. 175

- ٣

// . P. 174

- ٤

٥ - راجع ثقافة الهند ص ١٣ عدد ٣ المجلد ٢ سنة ١٩٥١

: النتيجة التي آلت اليها الرهينة الجينية :

كان من الطبيعي جدا ان تتغير مفاهيم الرهبان الجينيين ، الذين احسوا بضرورة ايجاد مخرج للمأزق الذي أوجدوا أنفسهم فيه ، هذا المأزق نتج عن التعاليم الصارمة في الحياة ، ومحاربة كل ما يتصل بها من قريب أو بعيد . وهنا برز التطور في ادخال بعض التغييرات على النصوص الدينية فبدل أن تكون العبادة\* والا حكام متجهة نحو ارشاد الرهبان فقط. تحولت هذه النصوص لتخاطب الافراد العاديين وتضع لهم المناهج للسير عليها في حياتهم الخاصة . فأتاحت لهم الزواج والانجاب وسمحت بتكوين البيت والأسرة إلا أنها لم تمنح وضع قيود أخرى اعتبرتها ضرورية للبقاء\* على الصيغة الجينية . . وظالما ما تكون هذه القيود متصفة بالقسوة والاحفاف رغم ادعائهم بانها من باب التخفيف .

وقد كان للعوامل السالفة الذكر اثر كبير في نشوء مرحلة جديدة ومغايرة كل التغاير عما كان عليه الوضع القديم .

فعلى اثر اهراق الكواهل بالقيود وانزال الناس منازل القهر والفقر والتسول وخاصة المعدمين من الجينيين كان لا بد من البحث عن شفرة للخروج من النفق المظلم الذي يستحيل العيش في كنفه .

فقد ضاق الناس بكثرة القوانين وقيودها ، فالزراعة حرام والفلاحة كذلك واكل اللحوم وشرب العسل كلها من باب المحرمات ، وحينما يصح التحريم والتحليل سلعة بيد الرهبان فان المقاييس سوف تختلف وكذلك الموازين ستقلب . ولهذا فمهما حاول هو\* المشرعون من ترقيع لقوانينهم المهترئة فان الخرق سيتسع على الراقع .

وهنا استطاع الجينيون استغلال بعض النصوص الدينية وتحويلها الى تشريع جديد يتيح لهم فرصة ارغد للعيش .

فقد تحول اتجاههم للتجارة التي فتحت عليهم باباً للشراء\* ، الذي لم يفلق الى الان ، وقد أدى هذا الإجراء\* إلى إضمحلال سريع لتعاليم الرهينة .

لقد أكد المؤرخون والعلماء\* على تحول الجينيين الى التجارة بشتى أنواعها حتى إنشاء\* البنوك الربوية التي أوقعت الديون بالناس وأسهمت في شحن النفوس بالبغضا\* ضد هم . ( ١ )

ولهذا كله فقد بات من المؤكد الاعتراف باخفاق الرهينة الجينية وفشلها في ايجاد المجتمع الا مثل وذلك للنتائج التي آلت اليها .

الباب الرابع

الاسس العقدية  
"للرهينة البنوكية"  
والرد عليها

التمهيد :

بعد الوقوف على الاسس العقديّة للرهبنة الجينية والتطور الذي رافقها،  
ينقلنا البحث الى فصل آخر من فصول الرهبنة التي شهدتها الهند إبان القرن  
السادس ق.م ، حوالي ٦٠٥ ق.م .

فقد عرفت الهند كما سبق القول ، ثورتين كبيرتين ضد الهندوسية  
وعقائدها ومبادئها التسلطية التي أرهقت النفوس في سبيل تربيع طائفة البراهمة على  
عرش النفوذ، والتحكم بنظام الطبقات وفقاً للمصالح ، وكسبا للامتيازات العرقية والعنصرية.  
وقد اعتبر العلماء الحركة الجينية أولى هاتين الثورتين واعتبروا  
(١) البوذية هي الثورة الثانية بعدها .

وهناك من اعتبر البوذية حركة سلمية اصلاحية ضد الهندوسية ، بسبب  
(٢)  
فلسفتها الخلاقية ترمي الى التدرج في رفع مقومات النفس الانسانية وطوها ، وعلى العموم  
فقد اعتبر هذا العصر بالذات عصر الانتقال من الطغوس الى التأمل والفكر.<sup>(٣)</sup>

ورغم ذلك فهناك من يذهب الى ان هذا العصر يعتبر عصر الانتكاس  
الشديد والتشاؤم<sup>(٤)</sup> م ولا شك أن مرد ذلك الى النظام الرهيني الذي أشاعه  
بوذا ودعمه بأرائه وتعاليمه .

ولا يهم البحث هنا الدخول في مآهات العلماء حول هذا الخلاف  
بقدر ما يهمه الإطلاع أولاً على مبادئ وأسس الرهبنة البوذية ، من حيث العقائد  
والأفكار ومن ثم متابعة التطورات والتغييرات التي واكبتها ، وكذلك التوقف للحكم  
عليها من خلال النتائج التي وصلت اليها والدور الكبير الذي قدمته لنظم الرهبنة  
التي لحقت بها وسارت على منهجها فيما بعد .

- 
- ١ - نسبة الى بوذا مؤسسة الديانة البوذية ولكلمة بوذا عدة معان منها : العالم  
والحكيم ، والمعاقل . راجع في ذلك : دائرة معارف بطرس البستاني ، مادة بوذا .
  - ٢ - راجع : البوذية ، هنري أرقون . ت : هنري زغيب ص ١٧ ، المنشورات العربية  
الطبعة البولسية ، جونبة لبنان ، ١٩٧٥ .
  - ٣ - تاريخ البشرية ، أرنولد تونبيي ٢٢٣/١ ، ت : نقولا زيادة ، الطبعة الاهلية  
للنشر، بيروت ، ١٩٨١ .
  - ٤ - المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٦١

أ - مصادر الفكر البوذي :

يرجع العطاء مصدر البحث عن العقائد البوذية وما يختص منها بالرهينة ،  
وتعاليمها ، الى الكتب التي قدسها البوذيون ، اضافة الى الآثار التاريخية التي  
اكتسبت اهمية لدى الباحثين لما فيها من نقوش وكتابات قديمة توضح بعض المراحل  
التي مرت بها هذه الديانة ، نظيرة التطورات التي حدثت داخلها .  
وهوكد بعض الباحثين على أهمية تلك الآثار لكونها تزيح الستار  
عن الغوامض التي اكتنفت البوذية بشكل عام . و التي لم يكن بالامكان التوصل الي  
حل رموزها إلا من خلال الوقوف على تلك الآثار خاصة تلك النقوش المحفورة داخل  
المعابد والقصور ، إضافة الى الكتابات المنحوتة على صناديق الذخائر الدينية ، والنصب  
والجرار التي زعم أنها حوت رفاة بوذا والتي ترجع الى حوالي عام ٤٥٠ ق م . (٢)  
أما بالنسبة للكتب التي قدسها البوذيون ، فهي مؤلفة باللغة  
البالية ( اللغة المقدسة التي كتبت بها الشريعة البوذية ) . وقد توصل العطاء  
الى حقيقة مفادها ان بوذا لم يترك سوى بعض التعاليم التي من شأنها ارشاد أتباعه  
الرهبان الى طريقته التي وقف عندها من خلال تجاربه العديدة التي مر بها ، مع  
تأكيدهم على انهم لم يترك كتابا مستقلا يوضح فيه مبادئه وتعاليمه ، وقد وجد فيما بعد  
ما يسمى ( بانجيل بوذا ) وهو موجود ومطبوع وصترجم الى اللغة العربية ، ويدعي  
البوذيون انه من تأليف بوذا ، الا ان الواقع لا يتفق مع هذه المقولة لاسباب عديدة (٥)

١ - راجع : تاريخ حضارات الهند ، فوستاف ليهون ص ٣٦٥

٢ - راجع : البوذية ص ٢٤-٢٥

٣ - انظر : الموسوعة العربية الميسرة ص ٤٢٦-٤٢٧ ، دار نهضة لبنان ،

وكذلك دائرة معارف البستاني ٦٦٢-٦٦٣/٥

٤ - معالم تاريخ الانسانية ، هـ. ولز ، ٤٧٣/٢

٥ - من اهم الاسباب الداعية الى رفض نسبة انجيل بوذا الى صاحبه :

ان ما تضمنه هذا الكتاب من مسائل عقائدية لا تتفق مع جملة الامور التي كان ينادى بها  
بوذا نفسه ، فنصوص هذا الانجيل تفيد بان بوذا كان يؤمن بوجود الاله فمن ذلك  
مثلا قوله للبرهيين : ( ان اظن ان ( تتفاناً ) يسعرف الطريق السوي الذي يوصل  
الى الاتحاد " ببهما " وهو وحده يعرف ذلك ولا احد سواه لانه في ظلم براهما ، وفيه  
ولد فهو في وانا فيه وكلانا واحد " انجيل بوذا ص ١٥٧ ، ت : عيسى سابا ،  
مكتبة صادر ، بيروت ط ١٩٥٣ ) مع ان العطاء قد بحثوا هذه القضية مطولا وشاروا  
الى ان بوذا لم يكن يتعرض لهذه القضية كما انه كان يصرف اتباعه عنها ويدعوهم الى عدم  
الخوض فيها بل وانكر وجود الله الخالق ( راجع : الموسوعة الفلسفية م . روزنتال ، ي  
يودين ، ت : سمير كرم ص ٩١-٩٢ مادة بوذا ، دار الطليعة بيروت ط ١٩٨٠ )



اما بقية المصادر الدينية الاخرى فقد وجدت صر تاليف كبار طما\* البوذية ورهبانها  
واهم هذه الكتب . :

- طريق الطهارة ( ١ )

- زهرة الشريعة المستقيمة

- القانون السنسكريتي

- وصف مسهب للبلاد السعيدة ( ٢ )

ولم يخف على العلماء ما في هذه الكتب من روايات سقيمة ، وضعها اهسل  
الغلو تعظيما لشان صاحب هذه النحلة ( ٣ ) .

---

= كما انه في تعاليمه لم يشر من قريب او بعيد الى وجود هذا الانجيل خلال ارشاده  
لتلاميذه ، كما ان حركة العربة الصفري ، - وهي فرقة من الفرق البوذية - لم تشر الى  
هذا الانجيل بينما كل الاصاب تتجه الى فرقة اخرى تدعى " العربة الكبرى " على  
ان هذا الكتاب من تاليف مؤسسها وطاها .

ويقول د . محمد اسماعيل الندوي ( كما لا نملك دليلا قاطعا على تأليفه  
( اى بوذا ) كتابا واحد من بين عشرات من الكتب المنسوبة اليه ) .  
الهند ، حضاراتها ، ودياناتها ، محمد اسماعيل الندوي ص ١٤٩  
وراجع كذلك : فلسفات الهند ، جان فيليوزات ص ٣٣

- ١ - هذا الكتاب ينسب الى " بوذاغوزا " وهو احد كتب فرقة " العربة الصفري " انظر : البوذية ص ٦٠ .
- ٢ - هذه الكتب هي للعربة الكبرى : انظر : البوذية ، ص ٦٤ ، ٦٦ ، ٦٧ ،
- ٣ - انظر في هذا الصدد : دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدى  
٣٨٤ / ٢ ط ٣ مادة بوذا دار المعرفة بيروت ١٩٧١ .

ب - حياة بوذا :

حفلت مؤلفات المؤرخين الغربيين وغيرهم بقصص وروايات عن حياة بوذا (٥٦٠-٤٨٠ ق م) وقد استمدت هذه المؤلفات مادتها من كتب البوذيين أنفسهم . وليس هناك أدنى شك أن ما تناولته هذه الكتب من روايات لا يمت إلى الحقيقة بملء نظرا لكثرة الأساطير والخرافات والأوهام التي نسجتها العقليّة الهندية المغالية<sup>(١)</sup> . ويعترف ليهون بهذا الواقع حيث يعبر عنه قائلا : ( . . فالحق أن معظم تاريخ بدهة ( بوذا ) هو كما أشار سيوسينار مقتبس من الاساطير القديمة<sup>(٢)</sup> ) كما أنه من العسير جدا التمييز بين الحقيقة التاريخية وبين الاسطورة فيما يتصل ببوذا وحوارييه ، زد على ذلك ان العالم لم يلم ( الطام صحيحا بحياة غوتاما ( بوذا ) واراها الحقيقية الا في نصف القرن الاخير وذلك نتيجة الاهتمام بدراسة اللغة البالية<sup>(٤)</sup> .

وبالرجوع الى تلك الاساطير التي سردت حياة بوذا يلاحظ وصفها لحياة أسرته ومركزها المرموق في المجتمع الهندي ومن نسبتها الى طبقة الكشترية وكيفية ولادته وما رافقها من عجائب وغرائب تخرج في مجملها عن حدود الواقع المألوف<sup>(٥)</sup> . وقد تشابهت هذه القصص الى حد كبير مع القصص التي يوردها المسيحيون عن حادثة ولادة السيد المسيح عليه السلام ، وقد قارن العديد من العلماء هذه القصص بعضها البعض فوجدوا تطابقا في معظمها . ولن نعد الى ما تناقلته الكتب المتعلقة بهذا الموضوع بل إن التعرف على اهم المراحل التي رافقت ذلك الامير الشاب هو ما يخدم البحث .

- ١ - معالم تاريخ الانسانية ٤٧٣/٢ ، وقد اختطفت اراء العلماء حول تحديد سنة ميلاده ووفاته ، راجع تلك الاختلافات في : الديانات والمعابد ١١٦/١ وكذلك في : المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٦١ .
- ٢ - حضارات الهند ص ٣٤٤
- ٣ - : الاسلام بين الاديان د محمد كمال جعفر ص ٢٥٠
- ٤ - معالم تاريخ الانسانية ٤٧٣/٢
- ٥ - راجع هذه الخرافات في كل من ( انجيل بوذا ص ١٧ وما بعدها ، وكذلك في : حياة بوذا ، أ . فارديناان هارولد ، ت : فليب عطاالله ص ١٤ ، دار الروائع الجديدة ط ١٩٧٥ ، وكذلك : البوذية ص ١٦ ، ودائرة معارف البستاني ٦٥٩/٥

ولسد غوثا ما بوداً<sup>(١)</sup> في مقاطعة كابيلافاستو والتي سميت فيما بعد باسم بنارس ، وهي احدى المقاطعات الهندية ، وقد رعاه والده وهياً له جميع وسائل الرفاهية ثم ما لبث ان زوجه من احدى الاميرات ، التي انجبت له ولدا سماه راهولا<sup>(٢)</sup> ، الا ان عدة مشاهد مؤثرة قد اوقفت هذا الامير للتفكر والتدبر واعادة النظر في هذه الحياة ، كما ان تلك الحوادث حالت بعد ذلك دون تحقيق رغبة والده في تسليمه مقاليد الحكم من بعده .<sup>(٤)</sup>

لقد كان لتلك المشاهد اثر كبير في حياة اذ قلبت مفاهيمه راسا على عقب ، فقد توقف اثنا سيره مع مرافقه ( شانا<sup>(٥)</sup> ) امام عجز هرم احد ودب ظهره وكلت رجلاه عن حمله كما شاهد بعدها مريضا طحنه الالم وأهله حوله عاجزين عن تقديم العون له ، كما مر على جثة مهترقة يأكلها الديدان ، ثم شاهد راهباً يتعبد ، وفي كل مرة كان يطرح سواً على خادمه فلا يلقي سوى جواب واحد قاطلاً : ( هكذا نهج الحياة ولا نفرلنا من هذا المعبر )<sup>(٦)</sup> .

لقد لعبت هذه الصور في مخيلته وأثرت في نفسه ويات يطرح الاسئلة دون ان يحظى باجابة مقنعة ما حدا به في نهاية المطاف الى العدول عن حياته السابقة والالتزام بجدأ الرهينة الهند وسية التقليدية طه يصل عمرها الى اكتشاف اسرار<sup>(٧)</sup> هذه الحياة ، وكان عمره في هذه الاثناء يقارب التاسعة و العشرين<sup>(٨)</sup> .

- 
- ١ - لقد سمي عند ولادته ( سيدارتا ) اى الذى حقق غايته ، ومنها اسم العائلة كما اطلق عليه اسم ساكيا موني نسبة الى القبيلة ، ولكن الاسم الذى ظب عليه هو بودا ومن معانيه : الطهم ، والشرق عليه ، او المتنور . : البوذية ص ٢٦
  - ٢ - حضارات الهند : ٣٤٥
  - ٣ - : انجيل بودا ص ٢٢
  - ٤ - انظر الموسوعة العربية الميسرة ص ٤٢٦-٤٢٧ وحياة بودا ص ٣٩-٤٠
  - ٥ - معالم تاريخ الانسانية ٤٧٤/٢ وحياة بودا ص ٣٩-٤٠
  - ٦ - : معالم تاريخ الانسانية ٤٧٤/٢
  - ٧ - حضارات الهند ص ٣٤٧
  - ٨ - الديانات والمعابد ١١٨/١

وطيه فقد قرر في د خيلة نفسه ضرورة الانتصار على الشيخوخة والمرض  
والموت (١) . وللوصول الى مبتغاه ، فقد غير مجرى حياته السابقة وهجر الاهل  
والولد (٢) ، وأرتدى سلايس الرهينة والتس طريق الغابة وحده حيث ظفر بخسة رهبان  
فاستانس بهم وقاسمهم حياة الرهينة ونال اعجابهم حينما فاقهم تعبدا وتبتلا وانقطاعا  
حتى غدا لهم مرجعا وقدوة (٣) .

ولم يشف سلك الرهينة الهندوسية غلته ، ان هذا الطريق لم يوصله  
الى مبتغاه الاساسي كما كان يرجو ، سيما وانه مارس الوانا وصورا قاسية من العبادات  
الهندوسية حتى لم يعد هناك من مزيد .  
ومن خلال هذه الوقائع نستطيع تلخيص ما توصل اليه عبر ممارسته للرهينة  
الهندوسية :

- عدم جدوى الممارسات التعبدية المقررة من قبل الرهبان الهندوس . تلك التي  
وضعت في الاساس للوصول بالفرد الى طبقة البراهمة لان بوذا كان من طبقة الكشترية  
ولم تشفع له هذه الممارسات في بلوغ تلك المرتبة لاقتصارها على العنصر البرهمي فقط .  
- عدم وضعية الاراء العقديّة للرهينة الهندوسية وذلك لعدم تمكنها من تحقيق  
اهدافه . وتطلعاته او الاجابة على اسئلته الطحة فضلا عن اقتناعه بعدم امكانية  
الوصول الى نتيجة مشرفة لرياضته ان لم ينل منها سوى ازهاق النفس وازهاق الجسد .  
دون طائل .

- تأكد من ان الاسباب الكامنة وراء الظلم والقهر المخيمين على العامة انما مردة الى  
الهيمنة البرهمية ولهذا نراه في تعاليمه يشدد على ضرورة ازالة الظلم والجهل . .  
وهكذا ادرك بوذا ان البرهمية عاجزة عن حل لغز الوجود ومشكلة الحياة .  
وهنا طيه فقد أحس بأنه أخفق في سعيه ، فعاد أد راجه وقرر العدول عن  
التبتل مؤكدا ان الوصول الى ما يريد لا يكون الا بعقل تغذى وجسم سليم . (٤)  
عن حياة الرهينة الهندوسية الرتيبة ، وطا الى الاكل والشرب ، مما أثار حفيظة  
رفاقه الرهبان الخسة وجعلهم يبتعدون عنه . (٥)

١ - حياة بوذا : ٤٩-٥٧

٢ - انجيل بوذا ص ٢٩

٣ - حياة بوذا ص ٩٩ وراجع كذلك : الديانات والعقائد ١/١١٩

٤ - اديان الهند الكبرى ٢٤٢

٥ - المصدر السابق

وتصف الحمار كيف استطاع بوذا مقاومة الشيطان ( مارا ) واعوانه وانتصاره عليهم (١) وهي في حد ذاتها شبيهة بما يورده النصارى ايضا عن السيد المسيح عليه السلام .

وفي هذه الاثناء وبينما كان سائقيا تحت ظل شجرة (٢) ان سمع صوتا من داخله يدعو الى مجاهدة نفسه للوصول الى الحق ، عندها قرر عدم مبارحة المكان حتى ولو تشقق جلده وتقطعت عروقه وانفصلت عظامه . . . الخ (٣) .  
لقد احس تحت هذه الشجرة بالسعادة والطمأنينة تملأ ان نفسه ، حسب ما يذكره البوذيون ، وشعر بعدها بالهدوء وقد تكشفت له اسرار الحياة وتم له التعرف على كيفية الانتصار على الهرم والمرض والموت ، وهو الامر الذى اطلق عليه اسم النيرفانا او الاستنارة . (٤)

اخذ بوذا يبشر بالدعوة الجديدة قبله ( مجادها ) والتي دعيت فيما بعد باسم " بيهار " وما لبثت تعاليمه ان انتشرت في اصقاع عديدة في الهند ، فكثير اتباعه (٥) ومريدوه ولقي حظوة في امين الرهبان الذين تجندوا للتبشير بدعوتهم و تعاليمه ، وقد اسهم في انتشارها بعض الطوك والامراء الذين اعتنقوا هذه الديانة وصلوا على نشرها مثل اسوكا (٢٦٤-٢٣٢ ق م) . (٦)

تلك هي اهم مراحل حياة بوذا كما تناقشتها الكتب المختلفة ، طما يسان الكثير ما ورد في تلك القصص يكتنفه التغيير والتبديل تبعاً لاختلاف الكتاب والمؤلفين حول الكثير من هذه القصص ، اضافة الى عدم ثبوت اى منها ثبوتا قطعيا . كما لا يمكن القول بوجود اتفاق تام بين الذين كتبوا سيرة بوذا وذلك لان الذين نقلوها كانوا يعتمدون على الكتب الدينية الطيبة بالاساطير والخرافات التي حكيت حول حياته .

.....

- ١ - حضارات الهند : ص ٣٤٩ وانجيل بوذا : ص ٤٤-٤٥
- ٢ - معالم تاريخ الانسانية ٤٨٠/٢
- ٣ - اديان الهند الكبرى ١٤٢
- ٤ - الديانات والعقائد ١٢١/١
- ٥ - المرجع السابق ١٢٢/١
- ٦ - معالم تاريخ الانسانية ٤٩٢/٢-٤٩٣ وكذلك اديان الهند الكبرى ١٨٠-١٨١ وقصة الاديان ، د . رفيق زاهر ص ١٢٠-١٢١ ط ١ دار المطبوعات الدولية هر ١٩٨٠ ، ١٤٠٠ .

وتجدد الاشارة الى ان مجلة اليونيسكو قد مت تقريراً مصوراً عن : "شاندى بوروبودور" وهو من أكبر المعابد البوذية في أندونيسيا ، أوضحت فيه صوراً عديدة للنقوش والزخارف التي تمثل حياة بوذا وتعاليمه ، وقد توقف التقرير عند كل نقوش على حدة وبين فيه مراحل عدة من حياة بوذا وكذلك القصص الخرافية التي رافقت تلك الحياة . (١)

ج - اراء حول شخصية بوذا :

هناك من يرى أن بوذا يعتبر فيلسوفاً . وان ما جاء به ليس ديناً بل هو فلسفة حياة . (٢) كما يذهب البعض الى امكانية اعتباره نبياً من الانبياء لان ما جاء به من حكمة وموعظة واخلاق انما يمثل وينطبق على ما دعت اليه الاديان السطوية . وقد استدل القائلون بنبوة بوذا بقوله تعالى ( منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقص عليك ... ) . (٣)

وهذا الرأي بعيد . وذلك : لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام مؤيدون بوحى من عند الله تبارك وتعالى والوحي الالهي له اعراض . فالرسول صلى الله عليه وسلم كافة يعتره : احمرار الوجه وتتابع الأنفاس ، مع تحول الوعي عما حوله الى طسك الوحي . وينجلي عنه الوحي في اليوم القارس البارد وأن العرق ليتقاطر غزيراً من جبينه وان جسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليثقل من شدة الوحي ، حتى تكاد فخذة ترض فخذ زبدونها ، وحتى تثقل ناقته فتبرك على الارض . وتزخر أذناه بأصوات حادة ، كصلصلة الجرس ، يجد الصحابة لها دوماً كدى النحل . . . . (٥)

وقد رد الاستاذ العطار على القائلين بنبوة بوذا والذين استدلوا بقولهم تعالى ( والتين والزيتون وطور سنين ) زاعمين بان التين هي شجرة التين التي استظل تحتها بوذا ونزل عليه الوحي . وفي ذلك يقول ( فليس لدينا أي دليل يثبت نبوة بوذا ورسالته وما بين أيدينا من سيرته يجعله بعيداً عن عيسى . ولا لقاءً بين ديانتيهما ، لان طكوت بوذا خال من إله . وعيسى جاء بديانة التوحيد الحق وطقوته لدى المسيحيين مشغول بثلاثمائة

١ - راجع : رسالة اليونيسكو العدد ٢٦١ ، ص ١٣ ، سنة ١٩٨٣ ، القاهرة .

٢ - الفلسفات الهندية ص ١٧٩ و ٢٣٣

٣ - الآية ٧٨ من سورة طافر .

٤ - الوحي لغة : الاشارة والكتابة والرسالة والالهام والكلام الخفي وكل ما ألقىته الى غيرك ( انظر : لسان العرب لابن منظور ، دار صادر ، ط ١٣٥٦ هـ وكذلك : القاموس المحيط للفيروز ابادى - ط ١٤٠٠ ( وحي ) الطبعة الحسينية ط ١٣٣٠ هـ والنهاية في غريب الحديث والاشتر لابن الاثير . ( باب وحا ) دار احياء الكتب العربية وفي الاصطلاح : الايحاء : الاعلام على سبيل الخفاء ، قال تعالى ( ذلك من انبياء الغيب

نوحيه اليك ) والايحاء هنا : الارسال الى النبي صلى الله عليه وسلم والوحي يكون الهام وايحاء وغير ذلك ( انظر الجامع لاحكام القرآن . للقرطبي ٨٥/٤ ط ١٣٧٦ هـ وكذلك : التفسير الكبير للفيروز الرازي ١٠٨/١١ ط ٢٠٠٠ . طهران . وكذلك : تفسير غريب الحديث لابن حجر ص ٢٥٦ فصل ( وحا ) طبعة الامم . مصر .

٥ - انظر : وحي الله . د . حسن ضياء الدين عتر ص ٥٠/٤٩ ط ١٤٠٤ هـ طبعة رابطة العالم الاسلامي مكة المكرمة .

الاب ، والابن والروح القدس (١) .

كما ان انكار يونان للذات الالهية أمر مستهجن بكل منكر وكفر والعباد ، فان الانبياء عليهم السلام آمنوا على الرسالة والوحي ، وهم معصومون : وكلفون بتليغ شرع الله تعالى ، فلا يجوز في حقهم انكار الذات العلية ، كما لا نستطيع القول بنبوة من له قصه الله تعالى صراحة في كتابه العزيز ، أولم تشر اليه السنة بدليل شرعي .

ولكثرة الاختلافات حول شخصية يونان فقد اضطرت عبارات العلام في تحديد الحالة التي وصل اليها في تجربته . فمن ذلك ما حصل لـ " ولسز " . فتارة يصف هذه الحالة بالالهام ، وذلك حينما قال ( والعقل عند ما يضطر مع سائلة جليسة معقدة يخطو خطوات ويتثبت من مواطن " قد فيه ، خطوة خطوة ، وهو لا يدرك المغام التي غنمها الا ادراكا يسيرا حتى يفوز بالنصر بفتة في شي " من الالهام غير منتظر الذي ينير له الطريق وهذا كما يخيل الينا هو ما حدث لجوتاما (٣) .

وتارة يصف هذه الحالة بأنها وهي حينما قال ( فانه جلس يتناول طعامه تحت دوحه عظيمة الى جوار نهر عند ما جاءه ذلك الشعور بالرومية الصافية والبصيرة النافذة ان خيل اليه انه يرى الحياة صافية نقية . ويقال انه جلس طيلة ليله ونهاره مستغرقا في فكر عميق ثم نهض يذيع على العالم رؤياه وما هبط عليه من وحي (٤) .

ولا شك أن هذه الحالة ليست بالالهام ولا بالوحي : وانما هي من قبيل الحدس الذي يأتي بالحلول التي تومض وتطرأ على فكر العالم أو الفكر فجأة دون أن يكون قد تعدت تكوينها ، وذلك نتيجة عملية درس وتصحيح لمعالجة قضية استعصت عليه ولم يجد اجابة لها .

وهذا ما يسهم الى حد كبير في اجهاد الفكر واتعابه خاصة اذا كانت هذه المسائل تس قضايا الانسان ، وتعنى بحل مشاكله . وان كان يونان قد توصل الى حل بعض ما يراه مشكلة فلا يعني ذلك أنه أصبح نبيا وأن الوحي قد نزل عليه . ومن الادلة على ذلك ما جاء على لسانه :

( لقد اكتشفت حقيقة عويصة كان من الصعب رؤيتها . لذا سيكون من الصعب فهمها فالحكماء وحدهم سيتمكنون منها ، ان الناس ضغفوسون في طمذات العالم وهم مع ذلك فرحون ، فكيف سيفهمون النتائج والسببات . . . ) (٥) .  
وهذا يدل على انه كان يبحث عن شيسى " ثم وجدته

١ - الديانات والمعائد ١٣٢/١-١٣٨

٢ - الالهام : ما يلقي في الروح بطريق الغيظ ، وقيل الالهام ما وقع في القلب من علم وهو يدعو الى العمل من غير استدلال بأية ولا نظر في حجة وهو ليس بحجة عند العلام ( الا عند الصوفيين ) راجع : التعريفات للجرجاني مادة : الالهام .

٣ - معالم تاريخ الانسانية ٤٧٨/٢ ٤ - المصدر السابق .

٥ - حياة يونان ص ٩٣ وكذلك انجيل يونان ص ٥٣

بعد عنا\* ، ويمكننا بعد ذلك من خلال دراسة منهج بوذا وتعاليمه ان نقرر  
امرا مطابقا لواقعه بالنسبة لهذه القضية بالذات فقد كان يمثل مدرسة فلسفية  
وكان غرضه منها التحرر من ريقه التعاليم الدينية وطقوس الطبقة الحاكمة لكسر  
نفوذها ، فلم يجد سوى النظر في القضايا الفلسفية التي تتعلق بالانسان ومسا  
يعتريه من مشاكل . وقد اتسمت هذه الفلسفة بطابع الرهينة ، لط فيها من  
قوانين وانظمة تدعو الى الترهيب ، وقد أسهمت هذه المدرسة في مد انظمة  
الرهينة في العالم بكثير من المبادئ\* والاراء\* .

وقبل التعرف على تعاليم الرهينة البوذية ، ينبغي الوقوف على اهم  
المعتقد التي تنادى بها .



## الفصل الاول : العقائد البوذية ، ونقد هـا

هناك مرحلتان هاتان في تاريخ الفكر الديني والفلسفي البوذي .

المرحلة الاولى : تتمثل في بداية عهد البوذية ، وفي هذه الفترة يتكلم العظماء عن سيرة بوذا وحياته وآرائه التي كان يبشها بين أتباعه ، وذلك من خلال خطبه ومواعظه . وقد وصف البعض هذه الفترة بأنها مثلت في مبادئها جانب البساطة كما دعت الى الكثير من البحث داخل كل نفس (١) .

اما المرحلة الثانية : فهي فترة ما بعد بوذا وهي التي تم فيها تغيير الكثير من المعالم في هذه النحلة ، وفيها تم ادخال العقائد الهندوسية (٢) . اضافة الى الطقوس والتقاليد الوافدة عبر المذاهب الهندية المختلفة والتي أسهمت في تغيير وجهة المرحلة الاولى .

وقد تمثلت العقيدة في المرحلة الاولى ببعض الآراء التي كان ينادى بها بوذا ومن ذلك : أولا : - انكار الالهية (٣) .

برزت هذه الحقيقة حينما تجاهل بوذا وجود الاله ، وهذا الأمر لم يكن في حد ذاته جديدا على الفكر الهندى ، ان رأينا سابقا كيف أنكر مهابيرا صاحب الجينية الايمان بوجود الاله ، وهاجم آلهة الهندوس .

ومرد هذا الانكار راجع الى ارتباط المفاهيم العقيدية بالواقع المرقى الذى كان يحيز الطبقات الشعبية من بعضها . بأسلوب يتسم بالعنصرية .

فمهابيرا بوذا كانا ينتميان الى " الكشترية " التي كانت تكوى بظلم الكهنوت البرهمني ، ولهذا لا نجد كبير هنا في التوصل الى الاسباب الراضية لكل ما يست الى الهندوسية برأى أو فكر .

وهناك أمر آخر يمكن أن يساعد في تأكيد هذه النظرية : وهو موقف بوذا نفسه من قواعد الرهبنة الهندوسية وما انطوت عليه من تعاليم ، ان انه لم يستطع أن يجسد فيها ما يرضي رغباته وجيب عن أسئلته : وحقق طموحه في الوصول الى المعرفة .

فلقد وجد في هذه الرهبنة ضياعا للوقت دون طائل ، وهدرا للطاقة والفكر وتشيتا للذهن دون فائدة .

لهذا قررا اعتزال ما كان عليه والاتفات الى طريق آخر ، ويمكن ربط هذا الاستنتاج بما توصل اليه " مهابيرا " الجيني أيضا أثناء قيامه بالرياضات والممارسات وفقا لتقاليد الرهبنة الهندوسية وما وجد فيها من تناقضات . فالواقع الذى

١ - شجرة الحضارة ١٨٦/٣ - ١٩٠

٢ - راجع : البوذية ص ٧٣ ، وشجرة الحضارة ١٨٦/٣ - ١٩٠

٣ - هناك من يرى : أن بوذا ( كان يهذ مسائل العقيدة لسببين ) أولهما : أنها تتناول مسائل فوق مداركنا . وثانيهما : أن معرفتها لا تسوئ الى الخلاص . والجرح يطلب العلاج والتفسيء . ولا يعنيه من أجل ذلك أن يعرف طبيعة السلاح الذى جرح

( ٤ ) : تاريخ العالم ٥٣١/٢

بعميشه البراهمة يختلف عما يروجونه ، وكأنهم يجعلون من هذه التعاليم ستارا يخفون به حقيقتهم المخزية وصولا الى الهيمنة والسيطرة .

فلا غرابة اذاً أن يصرف بودا جَسَلَّ وقته في ابعاد أتباعه عن الخوض في السائل العقدي الخاصة بالألوهية وما وراء الطبيعة<sup>(١)</sup> .

وقد حار العُلما كَثِيراً في هذه القضية واختلقت آراؤهم حول ما اذا كان بودا يقر بوجود أو نفسي الايمان بالاله<sup>(٢)</sup> . وطى الرغم من تأييد البعض لفكرة ايمان بودا باله الا أن الواقع يقول عكس ذلك . فقد ترجم د . روف شلبي كتاب ( دامابادا ) السي العربية واستطاع التوصل الى عدة حقائق منها :

- ان ( لا اله في البوذية ولا تاريخ لذات بودا ولا تعاليم معدة متقنة فكل

ما في البوذية سُلبي . . . انها دعوة الى الهروب من الحياة دون مقابل<sup>(٣)</sup> . وهذا الرأي قد ذهب اليه من قبل عدد من طوائف الغرب<sup>(٤)</sup> .

وهذا ما أراه مناسباً في تقرير حالة بودا والبوذية الاولى تجاه هذه القضية .

ط ما بان هناك من يرى : أن ضجج بودا كان ( لا أدرياً خالصاً ) في مسائل

ما وراء الطبيعة ، وكان يرفضان يبحث مع أتباعه في السائل الخاصة بالطلاق وعلاقة الروح بالطلاق ، وسألة " لا نهاية الزمان والسكان - أو نهايتها " بل وصل به السي انكار الرغبة السأججة عند الكثرين لسعرفة ما اذا كان صير جسم الرجل الذي وصل الى الاستتارة الكاملة ( النيرفانا ) هو الفناء التام بعد الموت ، أو أن مصيره نـوع من الحياة الخالدة<sup>(٦)</sup> .

١ - يذهب الشيخ ابو زهرة رحمه الله الى ان بودا " لم يتعرض لسألة الا لوهية سلب او ايجاب ، وأنه كان حائراً مضطرباً و " أن الذهب لا يؤخذ من قول المفكر عند هذه الحالة بل الذهب ما يستقر عليه الشخص ويتجه اليه ويدعو الناس الى اعتناقه . ولم يدع أحد أن ذلك كان جزءاً من مذهبه وآرائه ، وما الناس اليه بل أن منتحلي نحلته كانوا جميعاً يؤمنون بقوة سيطرة على العالم ولم يمنعه ذلك من أن يجمعوا بين عقيدتهم ومذهبه ، واذا كان من متبعيه من نحله أوصاف الاله ، فذلك دليل يظن معه أنه ليس من دعايته انكار الاله ) الديانات القديمة ص ٧٠

٢ - لاحظ في ذلك : الاسلام بين الأديان ص ٢٥٧ وما بعدها .

٣ - راجع : آلهة في الاسواق ص ٢٣٥

٤ - مثل : قصة الحضارة ١/٣ : ٨٢ وكذلك شجرة الحضارة ٣/ ٦/ ١٩٦-١٩٧ ومعاليم تاريخ الانسانية ٤٨٤/٢

٥ - مدرسة طسفية قامت عقب موت الاسكندر وانحطاط الحالة السياسية والاجتماعية بعده في اليونان ولم تأخذ هذه المدرسة جانب التحكم في الشك كالحالة التي وجدت عند السوفسطام ولكن الشاك - كما يقول ( كرم ) - رجل مغلوب على أمره فقد الايمان بالحق والخير في بيئة تهللت فيها الافكار فسدت الاخلاق الى حد بعيد فأنزل في نفسه لا يوجب ولا ينفي وانط يقول : لا أدري ) انظر تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٣٤ ، وقد اشتهر " ببيرون الاليسسي " كأحد ابرز اعلام هذه المدرسة { الوجود الالهي ص ٥٠

٦ - تاريخ العالم ٥٣١/٢

١٤ المرحلة الثانية من البوذية :

فهي تعتبر في عرف العُلما فترة التوسع والانتشار ، ليس فقط داخل الهند بل الى آفاق اخرى كالصين واليابان ودول جنوب شرق آسيا بصفة عامة . وفي هذه الفترة بالذات يمكن تسمية البوذية ونعتها بالدين الوضعي بعد أن كانت تمثل جزءاً من الفلسفة الهندية . ففي هذه الاثناء تم ادخال كثير من العقائد الهندوسية وأسستها ضمن العقائد والتقاليد والشعائر البوذية . وهذا هو السبب الذي قوض دعام البوذية في الهند ، بعد أن كان الفكر البوذي في تصاها (١) .

يضاف الى ذلك ضياع الاصول البوذية في حطة المرحلة التي تولت فيها العربة الكبرى " سوهلية الدعوة " (٢) . فقد ألغت في هذه الفترة أكثر الكتب التي قدسها البوذيون واعتبروها من تراثهم الديني . طمأ بان بوذا لم يترك كتاباً من تأليفه .

وقد اعتبر العُلما أن التوسع الكبير في العقائد البوذية كان نتيجة الانفتاح الذي طرسته العربة الكبرى أو " الطاهايانا " تجاه العقائد الاخرى . (٤)

---

١ - وقد أسهب " ليهون " في وصف أسباب تصاها وانتشار البوذية الموقت ، وارجع بعضها الى تحكم الهندوسية وصرامة الدين الذي لا يعرف الرحمة بط يمثل من قساوة حيث لا رافة فيه ولا محبة في حين ان تعاليم بوذا تعارب هذه الهيمنة وذاك التسلط . راجع هذا المفهوم في : حضارات الهند ص ٣٥٧

٢ - ولها عدة تسميات اخرى منها ( العجلة المعظم ) ، وهي الفرقة الثانية التي نشأت عقب التبدل الذي طرأ على البوذية وهجرة هذه النحلة خارج الهند مما ادى الى الانشقاق . وقد سميت بذلك تمييزاً لها عن العربة الصفري أو ما

يسمى بالهينايانا . وقد سميت بالصفري طى وجه الامتحان ، لعدم انفتاحها وقائماً طى الصور الاولى للبوذية : انظر : حكمة الاديان الحية ص ١٨-١٩ وكذلك فلسفات الهند ص ٤١ .

٣ - البوذية ص ٧٣

٤ - المرجع السابق ص ٦٧

ثانيها : الكارما :

كان العقل الهندي طيفا بفكرة التكرار الدوراني اذ كان يزعم ان كل شئ لا بد ان يدور فيعود .

وعقيدة الكارما هي من جطة العقائد التي قبلت بها البوذية . وقد تعرضت سابقا لهذه الفكرة عند الهندوس ، وقد بان أثرها على العقيدة ككل . ولا تختلف الكارما عند البوذيين عما هي عليه عند الهندوس اختلافا كبيرا . . . . . فالبوذية تضيف الى هذا القانون مفهوما آخر يتعلق بالتوبة .

وقد رفض العلط مناقشة هذه العقيدة لانها تنتمي الى عالم فكري آخذ فسي الزوال ، وما قاله " ولسز " في هذا الصدد : ( انه لا توجد أية ضرورة تدعونا لفرض أية حياة فردية معينة تستأنف . . . ( وانه ) لا وجود لشئ من هذا التكرار أو التعاقب الضبوط . . . فان كل يوم يكبر سابقه بقدر امتناه في الصغر ، وط من جيل يكبر سابقه تكرارا دقيقا مضبوطا والتاريخ لا يعيد نفسه أبدا ، اننا نعلم الآن طم اليقين ان ألوان التغيير التي طحقه لتنتهي ولا يكاد يدركها حصر ، فكل شئ جديد جدة أبدية لا نهائية ( ١ ) .

كما ان هذا القول يؤكد لنا تعارض فكرة الكارما مع العلم والواقع ، وقد أكد القرآن الكريم على أنه لا يوجد شئ أبدى ولا نهائي على صعيد هذه الحياة ، فآله وحده هو الحي الباقي قال تعالى ( يَوْمَ تَدُلُّ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ هَزْزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ) ( ٢ ) وقال ( كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَمِمَّا وَّرَجَّهَ رَبُّكَ ذُرِّيَّةً جَدِيدًا ) ( ٣ ) .

ا ط الجانب الجديد في قانون " كارما " البوذي ، فهو يتعلق بالتوبة ، فهسي لا تمنع صدور السلول عن العلة ، وانها لا تكفر الذنوب ( ويرى بوذا ان التوبة مقصودة كانت أو غير مقصودة لا تمتطيع أن تمنع صدور السلول عن العلة ولا العلى عن نتاجه ) . ( ٤ )

وبالتالي فان هذا القانون ينسجم مع موقف بوذا الالهادي ، فمن آراه مسا جا في قوله ( ان ناموس الطبيعة ليس بخاضع لذات قدسي يتصرف فيه كيف يشاء ، بل ذلك الناموس بذاته نافذ بنفسه لا يتأثر بموثر بشري أو الهسي أبدًا ) ( ٥ )

١ - معالم تاريخ الانسانية ٤٨٥/٢

وكذلك : الفلسفات الهندية ص ٢٢٣

٢ - ابراهيم : ٤٨ - الرحمن : ٢٦-٢٧

٤ - حضارات الهند ص ٣٥٦

٥ - اديان الهندى الكبرى : ص ١٥٢

ولا يخفى ما لهذا المفهوم من اثر سيى على الناس ، فمعنى عدم قبول التوبة من العاصي يحطه ما لا يطيق . وربما شعر البوذيون بهذه المساوى فاضطروا الى اضافة قانون اخر فاخترعوا مبدأ " الاعتراف امام الكاهن " <sup>(١)</sup> للتوبة والمغفرة ، وهذا ما قدمته البوذية بدورها الى من جاء بعدها .

### ثالثاً : التناسخ :

من جملة العقائد التي قبلها البوذيون عقيدة تناسخ الارواح ، وهذا المبدأ سبق الكلام عنه في اثنا عرض العقائد الهندوسية ، ويرى العلماء ان اصحاب بوذا قد تأثروا الى حد بعيد بكتب الاوانيشاس الهندوسية ( ٢ ) . التي نادى به . الا ان مفهوم التناسخ هنا يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمبدأ العام السندي وضعه بوذا وهو عدم الاقرار بوجود الاله وفي هذه النقطة يختلف البوذيون مع الهندوس .

فالبوذية توسعت فيه واخذت مدى ارحب عما عليه الهندوسية التي ارادت من وراء ارقام الطبقات الدنيا على الرضوخ لها وذلك عبر اجتياز العديد من التقصات قبل التوصل الى طبقة الكهان ، كما ارادت من اقرار مبدأ الروح الكلية ( آتان ) والاندماج فيه حصر هذا الاتحاد بطبقة البراهمة فقط .

ولقد كشفت البوذية التناقض الحاصل بين مبدأ التناسخ ومبدأ السروح الكلية ( آتان ) عند الهندوس ، وبينت ان التوافق بين هذين المبدأين عقيم ( فالإتحد بالروح الخالدة هو على صعيد نظري مباشر وسجرد من كل سببية ، فيما التناسخ على العكس يخضع لسلسلة قاسية من الأسباب والنتائج ) <sup>(٣)</sup> .

ومن هنا استطاعت البوذية توجيه السطعن بمبدأ وحدة الوجود لدى الهندوس الذي يتعارض مع مبدأ التناسخ لعدم قدرة أصحابه على تفسير تعدد الوجودات . .

وقع البوذيون في التناقض حينما ينكرون وجود النفس ، ومنعاً لهذا العرج فقد قالوا بان انتقال الرغبة من جسم الى آخر .

١ - راجع في هذا الصدد : انجيل بوذا ص ١١٤-١١٥

٢ - راجع : فلسفات الهند ص ٣٦

٣ - البوذية ص ٢٢

والبوذية في هذه المسألة تريد الفرار من الاعتراف بوجود النفس تشبها مع اللاحاد  
الذى اكتنف تعاليم بوذا ، فكما انه ( اقترح لاهوتا بغير اله فكذلك يقدم لنا علم  
نفس بغير نفس فهو يرفض الروحانية في شتى صورها حتى في حالة الانسان ) (١) .

وطى الرغم من القول بانتقال الرغبة من جسم الى آخر فان الاعتراض يبقى قائما  
فالتحليل العلمي يقول ان هذه الرغبة اما ان تكون خاصة بالجسم او شي غير الجسم  
( فان كانت شيئا غير الجسم ، فهي النفس ، سواء أسوها رغبة أم نفسا . وذلك يعود  
على أصلهم بالنقض ، وهو دى كلامهم الى نقض ط يدعون ، ويهدمون بيد ط بينونته  
باليه الاخرى .

وان كانت الرغبة خاصة من خواص الجسم ، ولازمة من لوازمه فكيف تنتقل الى جسم  
آخر وهي خاصة من خواص غيره ؟ ذلك يقتضي أن ينتقل الجسم مع رغبته الخاصة بسـه  
لانه . من غير المعقول ان يوجد اللازم من غير مسببومه والخاصة من غير المختص بها .  
لهذا كله نقول : ان انكار بعضهم للنفس يتنافى مع اعتقادهم التناسخ الثابت  
نسبته اليهم والتوفيق بينهما يوهى الى امور لا يقبلها العقل . أو يوهى دى الى هدم  
أحد الامرين - : اعتقاد التناسخ أو انكار النفس . ) (٢) .

(٣)  
والجد يسر بالذكر ان بعض العلما قد أنكروا ان يكون بوذا قد اعترف  
بسدا التناسخ . الا أن مرد ذلك يعود الى الالتباس والغوض اللذين سادا تعاليم  
بوذا ، ويحلل د . الندوى ذلك بقوله :

( والسبب في ذلك ان تعاليمه كانت تتناقضها الالسن اعتمادا على الذاكرة قرابة  
اربعة قرون . وفي خلال هذه المدة الطويلة اضيفت الى عقيدته وتعاليمه اضافات  
كثيرة ونسبت اليه أمور عدة ( كما ) نسبت اليه عشرات من الكتب ، وقد ثبت فعلا ثبوتا  
طعيا وجود الخلط والتحريف في كثير من بيروى عنه وينسب اليه ) (٤) .  
هذا ولا جدال بين العلما أن البوذية الحالية تدعى بهذا المذهب  
الذى يعتبر أحد د طام عقيدتها .

١ - قصة الحضارة ١/٣ : ٨٢

٢ - الديانات القديمة ص ٧٠-٧١

٣ - الهند القديمة ، حضاراتها ودياناتها ص ١٤٨-١٤٩

٤ - المرجع السابق .

### رامبعا: النيرفانا :

يدعي البوذيون ان " بوذا " استطاع التوصل الى معرفة اسرار الحياة عن طريق " النيرفانا " التي تعني في عرفهم : الغيبوبة ، أو الانطفاء . وقد شبهت هذه الحالة بالشعلة التي تنطفئ عند انتهاء مادة الاحتراق ( هكذا ينطفئ الفرد الذي يتوقف عن اذكا نيران عواطفه فلا تعود حياته تولد مرة ثانية تماما كالصباح الذي اذا ما انطفأ مرة لا يقوى بعدها على اذكا شعلته بنفسه ) . ( ١ )

الا ان البعض يفسر حالة بوذا في النيرفانا قائلا ( هي صفو الروح وسكينته ذلك ان النيرفانا ليست معناها الفناء كما يعتقد الكثيرون من الناس خطأ وانما معناها فناء الاغراض الشخصية الباطلة التي تجعل الحياة بحكم الضرورة نيتية او ذليلة او مروعة ) . ( ٢ )

وكأن صاحب هذا القول يريد الرد على من احتار في امر النيرفانا خاصة فيما يتعلق بصير الانسان بعد هذه العطية . ( ٣ )

واذا كان بوذا يريد من وراء فكرته هذه الايحاء لا تباعه ان من اتبع هذا الطريق فانا يكون بذلك قد توصل الى الخلاص او النجاة فاننا نستطيع القول بان فكرة الخلاص او النجاة في الفلسفة الهندية واحدة لدى معظم نحل الهند وان صر عنها باساليب متعددة .

والتأمل في حقيقة مبدأ النيرفانا يكتشف ان بوذا اراد من هذه الفكرة بالذات الخلاص من تكرار الولادات التي تمخضت عن طريق مبدأ التناسخ . وعلى الرغم من تحرر بوذا من بعض قيود المفاهيم البرهمية بشكل عام الا انه لم يستطع مطلقا التغلب من هذا المبدأ وهذا يفسر لنا مدى سطوة التعاليم البرهمية على البوذية .

وفي ميزان بوذا فان النيرفانا تعتبر خشية خلاص له ولهذا نراه يفسر اتباعه بضرورة اللجوء اليها رغم الاعتراضات وكثرة الاسئلة التي انبالت عليه لمعرفة كنه حقيقة النيرفانا التي ظلت غامضة بالنسبة للكثير من تلاميذه وهذه حادثة تدل على ذلك : ( سأل مالوكيا بوتا معلمه عن النيرفانا وما اذا كان من بلغ الكمال يستطيع

١ - البوذية : ص ٢٠ وقارن مع الديانات والمعابد ١٢٨/١

٢ - معالم تاريخ الانسانية ٤٨٢/٢

٣ - راجع تاريخ العالم ٢: ٥٣٢ وما اثاره من شكوك حول هذا الموضوع .

الاستمرار في حياته بالنيرفانا ؟ ام يبتلعه العدم ؟ . فما كان من بوذا الا ان  
ضرب مثلا لرجل ( اصابه سهم سموم . هل ينتظر كي يتداوى ليعرف ما اذا  
كان الذي اصابه راهبا براهمنيا ام نبهلا شريفاً أو فلاحاً أم خادماً من الشعب ؟  
ما يكون نتيجة هذا الانتظار ؟ موت الجريح طبعاً . . . هكذا حال الذي يريد  
الشفاء من حالات التناسخ ( ١ ) .

ورغم ذلك فان هذه العقيدة لم تختبر في عقول البوذيين ، تبعاً  
للغموض الذي يكتنفها . لهذا نجد تطوراً هاماً بطراً على هذه العقيدة بعد موت  
بوذا ان سرطان ما تأثرت البوذية بعده بالاراء الهندوسية والجنينية ، فاخذت الرموز  
والاصطلاحات الغربية تحتل قسماً وافراً من تفسير قانون النيرفانا فعبّر عن  
تأريه ( بانه ( تحرير الفرد من عودته الى الحياة ) أو ( انعدام شعور الفرد  
بفرديته . أو ( اتحاد الفرد بالله ) او هي ( فردوس حسن السعادة بعد  
الموت ) . ( ٢ )

ومن التحليلات التي وجدت بعد بوذا ولم تكن من قبل ما تدعيه البوذية  
من ان بوذا قال ( ايها السيدون ( النيرفانا ) هي طور لا ارض فيه ولا ما ، لا نور  
ولا هوا ، لافيه مكان غير متناه ، ولا عقل غير متناه ، ليس فيه خلاء مطلق ، ولا ارتفاع  
الادراك واللادراك ، ليس هو هذا العالم ولا ذاك العالم ، لا فيه شمس ولا قمر )  
( ٣ )  
ووفقاً لهذا الاطار فقد وضع البوذيون مقومات للوصول الى النيرفانا منها :

- ١ - السيطرة على النفس
- ٢ - البحث عن الحقيقة
- ٣ - النشاط
- ٤ - الهدوء
- ٥ - الغبطة
- ٦ - التركيز

وهناك ما يبنى بالحقائق النبيلة الاربع التي تضع القدم على طريق

النيرفانا ( ٤ ) .

- ١ - البوذية : ص ٤٢
- ٢ - راجع هذه المصطلحات في : قصة الحضارة ٣ / ٠ : ٨٤
- ٣ - ثقافة الهند ص ٤ ص ١٣٣ سنة ١٩٥٣
- ٤ - الحقائق النبيلة الاربع جميعها ذات صبغة تشاوية ، راجع : انجيل  
بوذا ص ٤٨-٤٩



ويضاف الى ذلك بعض الامور التي تشدد البوذية على اتباعها للوصول الى النيرفانا منها  
ما يتعلق بالفاقة التفكير الكلي مما يحيط بالفرد والانقطاع التام عن حراك والتدرج  
الطويل في هذا السبيل مرغوب بل مطلوب وقد يمتد الى حيوات بعيدة .

ويعلق احد الشراح على هذه النقطة قائلاً ( هذه السكينة طالما انها سكينة  
العالم الطبيعية ، تسمى الغيبة ، وسكينة التعدد هي ايضا الغيبة وذلك بسبب توقف  
الكلام وتوقف الفكر ) (١)

واذا هذا الموقف السلبي لم يخف البعض تهكمه على بوذا الداعي الى ايلاف  
الفكر حيث يقول ( اذا كان شرطه ( اي بوذا ) الوحيد هو خنق كل تفكير وكل احساس  
فمن الطقائي ان يبلغها جميع الصم والعميان والاعميا ) .

ومن جملة النقد الموجه الى مبدأ النيرفانا ما افاد به الاستاذ العطار من  
ان ( النيرفانا في البوذية ليس طالما ديا ولكن ميتافيزيقي انه وراء الحس . اذن انتهت  
البوذية الى اثبات ما انكره بوذا وهو المجهول ، فاذا كانت النيرفانا حالة شعورية تقوم  
على الوهم فأي موقع النيرفانا في الوجود ؟ انه الموجود نفى فيه الموجودات عند ما  
يتحقق له الصفاء والخلوص من الألم والعذاب ، ولكن أين يقع هذا الوجود ؟ ان النيرفانا  
حالة وهم تنتهي اليها الأرواح بعد التطهر من العناء الذي فرضه عليها الوجود في حالة  
الحياة وعندئذ تتساوى أرواح الناس بالالهة وتعود للمجهول الذي أنكره بوذا ) (٢)

وهكذا يكون التناقض قد أحاط بهذا المفهوم فضلا عن أن النيرفانا في حقيقتها  
لا تستند الى أساس علمي صحيح بل الى تجربة شخصية فردية طانت من الضياع والتمزق  
العراقي فلم تجد أمامها سوى اللجوء الى التخيلات والأوهام تنسى النفس بها طمها تنسيها  
الواقع المرير الذي تعيشه وتبعث فيها الأمل بالخلاص من رقة القيود المفروضة عليها من قبل  
الطقيان البرهمن .

ولا نجد في الاسلام ما يدعو الى هذا التشنت الذهني أو الإغراق في الخيال  
والوهم وذلك للضوابط التي يضعها الاسلام في عطية تربية العقل البشري وتوجيهه الوجهة  
السليمة . فالقضايا الغيبية يوليها الاسلام أهمية بالغة ، ولكنه لا يترك فيها العقل البشري  
يتخبط في تفسيرها وفق الخيال والوهم بل وفق السمعية التي جاءت في الكتاب العزيز  
والسنة الطاهرة بما يتناسب والفكر البشري أما المشاكل الفردية والاجتماعية التي تأخذ حيزا  
مهما من حياة الفرد فان الاسلام قد بسط الاحكام الشرعية المستنبطة من الأدلة التفصيلية  
الاستندة الى الكتاب والسنة أو تلك الاحكام التي توصل اليها العطاء وفق عطية الاجتهاد  
البنية على الدقة والدراسة المستفيضة . وذلك لتذليل الصعاب أمام الناس .

وبالنتيجة فان الاسلام لا يترك مجالاً لاغراق الفكر في قضايا لا طمسائل تحتها  
ووفق هذا المفهوم فان تصور الاسلام للسعادة البشرية ينطلق من مبدأ الجزاء والعقاب  
فالسعادة المنشودة تكمن فيما وعد الله تبارك وتعالى عباده المتقين ذلك بالظفر  
بجنات النعيم . ولن يكون ذلك الا بالعقل الصالح واتباع اوامر الله تعالى والانتهاز  
بما نهى عنه .

١ - الفكر الفلسفي الهندي ص ٤٣٧

٢ - البوذية ص ٤٣

٣ - الديانات والمعائد ١٢٩/١

وقارن مع : الفلسفات الهندية ص ٢٧٤

خاتمة : بهذا التفسير الدائم :

تو\*من البوذية ايظانا كبيرا بهذا المبدأ ، وهو يشغل حياة الفرد وكذلك العالم بأسره . . وهو يشبهه الى حد ما النظرية النسبية التي يعتنقها الجينيون ، وقد رأينا سابقا كيف ان هذه النظرية اتخذت قاعدة لكثير من الاحكام التي بنت عليها الجينية اراءها الفكرية . كقانون أهسا مثلا .

وسريان هذا التغيير في حياة الفرد يوضحه بوذا لاحد البراهمة حينما قال ( ان ذاتك المتحدة بك هي عرضة للتغير ، لقد كنت منذ زمن طفلا ثم تدرجت الى سن الحداثة ، فالشباب ، فالرجولة ، فهل من فرق بين هذه الادوار ؟ وهل بينها مطاوعة ؟ اليس مثلها مثل النور الاول والثاني والثالث ، يتناقص الزيت كلما اندلعت السن اللهب ؟ فهل هذه واحدة في الاس وط قبله اليوم ؟ )<sup>(١)</sup> وهكذا فالحياة في نظر البوذيين ليست مستقرة . كما يفسر ذلك ايضا

الرامبوري موضحا راي البوذية حيث يقول ( ليس في حياتنا الشاعرة شيء قائم مستقر يعبر عنه بالذات او النفس او الروح سوى تطورات متعاقبة متوالية وتقلبات متتالية مستمرة من اليديهييات ، ان الجسد يبقى مائة سنة ويزداد عليه ولكن الامر الذي يقال له الذهن والادراك والشعور لا يزال يجرى ويضى نهارا وليلا ، يفنى شيء وينبعث موضعه اخر . . فالحياة الشخصية حياة دون هي وشخصية من دون شخص ونفسية من دون نفس ، وروحية من دون روح وفكر ولا مفكر وشعور ولا شاعر . )<sup>(٢)</sup>

فالوجود الشخصي في عرف البوذيين يمثل دائما بالعرية ( التي تجرها الخيل ، هذه العرية - في حقيقة امرها - ليست الا مجموعة من الاخشاب ، والسامر وبعض المعادن ركبت بطريقة معينة ثم اعطيت هذا الاسم : " العرية " - دون ان يعني ذلك وجود جوهر متميز مستقل لهذا المفهوم من هذا اللفظ )<sup>(٣)</sup> .

وكذلك الشخص مثله كمثل العرية فط هي الا اجزاء فلما اجتمعت يقال لها " العرية " . ( ٤ ) .

١ - : انجيل بوذا ص ١٧٦

٢ - ثقافة الهند العدد ٤ ص ١٣١ سنة ١٩٥٣

٣ - الاسلام بين الاديان ص ٢٥٦

٤ - ثقافة الهند عدد ٤ ص ١٣١ سنة ١٩٥٣

وننا على ذلك فالمصطلحات : ("شخص" او "فرد" ، شخصية ، نفس ، هوية ذاتية ، وما الى ذلك ليست الا اسما منوحة لما هو في حقيقة امره سلسلة معقدة من الحوادث والخطرات نجبت عن تداخل وتشابك هدد لا يحصى من العوامل ، ان تتابع مراحل الطفولة والشباب والكهولة والشيخوخة يجعل من الاستحيل اعتبار الشخصية ذات كيان مستقل متميز وثابت ولهذا ترى البوذية انه ليس هناك مبرر للاعتقاد بثبات الهوية او الذاتية من الطفولة الى الرجولة (١) .

هذه الفلسفة التي تتادى بها البوذية تريد ان تصل الى نتيجة مؤداها ان هذه الحياة ليس فيها سوى البؤس والشقاء ، ومادامت الحياة نفسي تغيير مستمر فالاجدر تركها والابتعاد عنها ، وهذا الطرح يرتبط ارتباطا وثيقا بما قرره البوذية من احكام تتعلق بالاسباب المؤدية الى الحزن والبؤس .

فقد نصت الروابط الاثنا عشرة على انه :

( بسبب الكيان الذاتي يكون الوجود الدنيوي . . . بسبب الوجود الدنيوي يكون الموت والفناء ، وهكذا تقوم سلسلة الغم والحزن واليأس . . . ) (٢) .  
وكما حدد بوذا نظرتة نحو الكيان الفردي ، فانه حدد ايضا فكره

بالنسبة لهذا العالم ، حيث يقول عنه :

( كل ما في العالم باطل ، وكل شيء زائل ، وافراح الحياة في حلم عابر ، الناس في العالم اشباح ، ورجاؤهم سراب ) . (٣)

وعلى هذا الاساس فان هذا العالم ( ليس فيه شيء ثابت مستقر ، وما الكائنات الا تكونات وتصرفات يأتي حال ويذهب حال ، يوجد طور وينقضي طور في كل آن يتكون جديد ويعنى قديم ، لا قرار لهذا ولا لذاك ) (٤) .

١ - الاسلام بين الاديان ص ٢٥٦

٢ - حكمة الاديان السنية : ص ٢١

٣ - انجيل بوذا ص ١٣٦

٤ - فلسفة الهند القديمة ، مقالة لمحمد عبد السلام الراجوري ، ثقافة الهند ،

العدد ٤ ص ١٢٦ ، سنة ١٩٥٣

واستنادا الى ما تقدم فان هذا العالم ( يحمل ثلاث خصائص بارزة  
وسمات واضحة : ١ - انه تعس حزين ، طمس<sup>١</sup> بالام والاحزان ٢ - انه طاهر متنقل ،  
خادع لا يدوم ٣ ، انه خال من اية روح او اى معنى .  
اننا نولد في احزان ونموت في احزان وتتناوشنا الاحزان فيما بين ذلك ،  
ويبدو ان السبب الرئيس لهذه الاحزان يكمن فيما تشير اليه الخصيصة الثانية للعالم  
وهي انه طاهر متنقل لا قرار له فلا شئ<sup>٢</sup> يبقى طى حاله ، واذن فليس الكون (العالم)  
الا نوعا من الفيض المستمر ( FLUX ) للحوادث المتتابعة كشريط سينما فسي  
لا يكف عن الدوران ونحن لا نستطيع التصرف الا في ضوء الاعتقاد ( الكاذب ) فسي  
الدوام والثبات والاستقرار ولذا نجد انفسنا متمسكين بالاشياء التي نصادفها معاولين  
ادامة الاحتفاظ بها مع انها بطبيعتها طاهرة زائلة وهكذا نصدم في احلامنا وامانينا  
حتى ابان تملكنا لهذه الاشياء يعزونا الخوف من فقدانها ثم يضطرنا الواقع المرسى  
فقدنا فعلا فننألم ونحزن واذن لا ماض من الالم والحزن ، اننا لا نستطيع ان نضمن  
لمتعنا الخلود ولذا كنا - ولن نزال تعسا<sup>١</sup> ) ( ١ )

ان هذه النظرة القاتمة التي تصورها لنا البوذية عن الكيان الفردى  
والعالم انما تريد من وراءه ان خال عنصر الشك الى هاتين القضيتين . وعدم التسليم  
لحقيقتها ونفي امكانية التعرف طى جوهرها ، فاذا تم لها ذلك بالفعل واكمن  
صرف النظر عنها تماما اصبح من السهل في نظرها الالتفات نحو ط هو اجسدر  
واسلم ، الا وهو " النيرفانا " ان ان الشئ<sup>٢</sup> الوحيد الذى قد تسلم البوذية بسلامته  
من التغير والصورورة هو " النيرفانا " ( ٢ ) .

وطيه فان الهدف واضح ، وهو يشابه الى حد بعيد ما سعت اليه  
النظرية النسبية في الجينية ، التي ارادت من وراء قانونها صرف النظر عن هذا العالم  
تسهيذا للوصول الى طريق الخلاص المزعوم . وهكذا تتشابه النظريتان من حيث  
المضمون والفهوم . وصحيح ان هذه الفلسفة استطاعت ان تصف بعض جوانب التغير الظاهر  
في هذه الحياة الا ان حكمها لم يصب كبد الحقيقة فالتغير المشاهد لا يتم وفق خبط عشوائي  
بل بمقتضى ارادة ربانية خالقة مدبرة حكيمة ( اِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ  
كَلِمَةً بِالْبَصَرِ . . ) القمر : ٤٩ ( وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ) الفرقان : ٢  
( مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى . . ) ( ٣ ) فكل يجرى لما خلق  
له ولغاية يعلمها الله تعالى ويبنى طى ذلك حكم شرعى يتعلق بالايمان بعالم الغيب  
والبعث والحساب . وكل ذلك وفق علم الله تعالى وتقديره . ا ط دعوى التغير فى المفهوم  
الوضعى فالمراد منه التشكيك بكل ما يتصل بالدين من مفاهيم وقيم وعقائد .

١ - الاسلام بين الاديان ٢٥٤

٢ - المرجع السابق ٢٥٦

٣ - الاحقاف : ٣

## سادسا : اليوغا

رأينا من خلال دراستنا للهندوسية والجنينية ان مبدأ اليوغا يعتبر دأمة  
أكيدة لعقائد هيا و عليه فان هذا المبدأ يضاف الى سلسلة الاراء المستعارة التي  
استقتها البوذية من غيرها .

وقد لوحظ في السابق مدى القسوة والعنف المصاحبين لتلك الممارسة والتي  
في الغالب كانت تؤدى الى ازهاق الروح للخلاص من هذه الحياة .  
واعتراف البوذية بهذا المبدأ ليس امرا شاذا ان يعتبر من الامور الشائعة  
لدى قطاعات كبيرة من الطوائف الهندية .

الا ان البوذية تضيف بعدا آخر الى هذا المفهوم ان ( تروى التقاليد  
المسطحة . . . كيف مريونا نفسه بالدرجات التأطية الاربع قبل توصله الى الاشراف . .  
وهذه الدرجات الاربع التي توازي الحقائق القدسة ( عندهم ) تثبت تصاعديا اليوغا  
البوذية فمع الدرجة الاولى تتم السيطرة على مراقبة الحواس ، ومع الثانية تطويع المخيلة  
ومع الثالثة محو الاحساس ومع الرابعة والاخيرة قطف ثمرة التحقيق الروحي الناجز )<sup>(١)</sup>

وهكذا نرى ان اليوغا تعتبر مادة خصبة للرهبنة البوذية فهي عنصر مهم في  
تحقيق اهداف الرهبان وتطلعاتهم .

وطى الرغم من اخفاق الهندوسية والجنينية في هذا المضمار : فقد كان الاجدر  
بالبوذية الا تهبط الى هذا الدرك وهي التي تدعى محافظتها على الفلسفة والحكمة .  
فأي حكمة في ضياع الوقت دون طائل ؟ وى فلسفة تدعو الى توقف العقل عن  
العمل ؟ والخلود الى السكون والصمت دون حراك ؟ .

ولن نجد في الاسلام ذلك الخيال الفارغ لان المسلم يحرص على وقته وجسده  
وعقله وقد جاءت مقاصد الشريعة الاسلامية للمحافظة على ما يهم الانسان في هذه الحياة  
وما يعقبها فهي تحافظ على الدين ، والعرض ، والمال ، والنفس ، والعقل . و عليه  
فان الاحكام الشرعية تدور حول هذه الامور وتضع لها المبادئ الكفيلة بحماية الانسان  
ما يهدده من اخطار . وبذلك تنتفي السلبية المفرطة التي تنادى بها الرهبنة  
عبر اليوغا وبدلا عنها نرى الاسلام يدعو الى العمل والنشاط والى ما فيه خير وصلاح  
البشرية . . . . ( . . . وَقُلْ اَعْلَمُوا فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمَسْؤُولُونَ . . . )<sup>(٢)</sup> ومن  
العمل استعمار الارض ( هُوَ اَنْشَأَكُمْ مِنَ الْاَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا . . . )<sup>(٣)</sup> فعارة الارض تتناقض  
مع مبدأ اليوغا الداعي الى الكسل والدعة .

١ - البوذية - : ٤٤-٤٥

٢ - التوبة : ١٠٥

٣ - هود : ٦١

## الفصل الثاني :

### أثر التطور في الفكر الديني ونشأة الفرق البوذية :

حينما استطاع بوذا نشر دعوته الجديدة ومبادئه التي رآها قيمته باصلاح مجتمعه ، كان قوام هذه الدعوة يستند الى مجموعة من الرهبان الذين اعجبوا بشخصية معلمهم ، وعن طريقهم استطاع بوذا ادخال مجموعات اخرى في دعوته .

وبذ هب البعض الى ان بوذا لم يكن مهتما باقامة كهنوت من رجال الدين ، ولم يكن يدعو الى انشاء الاديعة والمعابد ، بل كان جل همه اكتساب الاتباع من الرهبان الجدد لضمهم الى عشيرته ، وقد سميت البوذية في هذه الفترة " بالبوذية البدائية " والتي يصفها "لنز" بقوله ( هذه البوذية البدائية تختلف من اوجه اخرى معينه عن اى دين من الاديان التي بحثناها حتى الان ، فهي قبل كل شيء ديانة خلق وسلوك لا ديانة طقوس وقرايين ، ولم تكن لها معايير ولما لم يكن لها قرايين لم يكن لها هيئة مقدسة من الكهان . وكذلك لم يقم لاهوت ، وقد وقفت موقفا محايدا من الهة الهند التي كان يعبدها الناس في ذلك الزمان فلا هي اكدتها ولا هي اعترفت بها ولا هي انكرتها بل غضت الطرف عنها جميعا ) (١)

واذا هذا الوضع فقد استطاعت البوذية البدائية التأثير على بعض العلماء الذين اخذوا يبحثون عن الجوانب الخلقية التي احتوتها تعاليم بوذا فها هو أ. هارتمن يقول ( فما هي الهداية الاخلاقية التي تقدمها لنا مثل هذه العقيدة ؟ انها تستطيع ان تاخذنا بان نعيش عيشة الرهبان اغرابا لا نعتزل الناس تلك العزلة الطالوفة بل نعيش معها في جماعات فطرية نتبادل التشجيع والتعاون ، عيشة تأمل هادى ونبت للرجية . ) (٢)

هكذا كان ينظر الى البوذية الاولى ، ولا شك ان هذه المبادئ كانت جديدة على الفكر الهندي الذي ذاق الامرين من الكابوس الهندوسي ، ولهذا كان التعاطف مع الفكر الجديد الذي نسي على نهج مؤقت . لم يدم طويلا .

اذ ان الاقدار لم تدع الحلم البوذي يطول ، فلم تستطع الرهبنة البوذية مواكبة التطور الذي طرأ على المجتمع الهندي بعد موت بوذا ، خاصة اذا لاحظنا بدقة الالتفاف الهندوسي على البوذية ومحاصرته لها بمعاكس المتنوعة

١ - : معالم تاريخ الانسانية : ٤٨٦/٢

٢ - تاريخ العالم : ٥٣٢/٢

اضافة الى عنصر اساسي ركز عليه بعض العلماء الذين اشاروا الى ان تعاليم بودا لم تكن تروق الشخص العادي (١) لاقتصا رها على طبقة الرهبان فقط .

لذلك نجد هذه التعاليم تتعرض للتغييرات والتطورات العديدة والتي شطت العقائد والعبادى والطقوس والتقاليد التى غير ذلك .

ففى الجانب العقدى :

تم ادخال عبادة الالهة الى العقائد البوذية بعد ان كانت تنادى بتجنب الخوض فى هذه المسائل ، واصبح بودا " الصلح " يمثل احدى هذه الالهة فبعد موته " استبدل التمجيل البسيط لذكرى المعلم بتاليه بودا وصار خلاص الانسان يتوقف على فضل الالهة الذى يمكن السعي اليه عن طريق ترويد السموترا او الاسفار المقدسة . (٢)

فما ورد على لسان ممثل بوذية " الهايانا " ساتفيدقا ( القرن السابع الميلادى ) قوله ( اننى مشبع بالفكرة التى تدعونى الى بذل جهدى وانا اولد ولادات متكررة لا احصل لها لاكتساب الفضائل التى ستتيح لي بعون الالهة بودا وبالصلاة ان اصبح يلسا لالام جميع الكائنات ) . (٣)

ولم يقتصر على هذا الامر بل ( قام مجمع للارباب ذ وتسلسل وطبقات فما طاد بودا الا فى المرتبة الثانية ، وتتخص بوذية المركبة الكبرى فى الفقرة التالية : ( ثمة بودا اولى موجود غير مخلوق ، عنه صدر العالم وكان من تفكره نشوء خمس شخصيات التفكير البوذى " صدر عنها بدورها " خمس شخصيات التفكير البوذى الحقيقى " بعد ها صدر على الارض " الخمس شخصيات البوذية البشرية " منبثقة عن شخصيات التفكير البوذى ، ورابع تلك الشخصيات " ساكيامونى " يليه طاتيريا خامس واخر بودا فى هذه الحلقة من التطور ) . (٤)

١ - انظر : شجرة الحضارة ١٨٦/٣ - ١٩٠٠

٢ - الموسوعة الفلسفية ، ص ٩١-٩٢

٣ - المذاهب الكبرى فى التاريخ ص ٦٩

٤ - البوذية ص ٦٦ وقارن مع : الفلسفة فى الشرق ص ١٣١ .

وبفصل لويون هذه السألة حيث يقول : ( ان بودهه ( بودا ) شاكيه موني وحده لم يكن رسول الحق في العالم ، فسيظهر بدهه ثان وثالث حاملين انوارا جديدة وقوى جديدة مرشدين الى اقصر طريق لبلوغ الكمال ، بيد انه لا بد من مرور احقاب لا تحصى بين ظهور بدهه ودهه لبط يتطلبه تكوين بدهه من زمن طويل ) ( ١ ) .

وهكذا نرى انتقال الفكر الجيني الى البوذية ، فالجينية لديهم — هذه النظرية ، وقد استقت البوذية منها هذا المبدأ .

ومن الامور التي لحقها التطور في الفكر البوذي ايضا ، قضية النيرفانا التي كانت تشكل العمود الفقري للبوذية الاولى ، ومع ذلك فان هذا المبدأ لم ينج من براثن هذا التطور . الذي ادى الى بروز منحنى جديد .

فلم يعد الهدف الرسمي ( للنيرفانا ) الفرار من الدورة الجحيمية للولادات المتتالية وهو طموح انانسي بل صار العمل على مساعدة الاخرين للوصول الى هذا الخلاص ، والمثال الاعلى لسلم يعد المعتكف التقي . . . . . بل صار البوذي العامل وهو يوشك الدخول في النيرفانا على رفض هذا الدخول ريثما يخلص من تخلفوا وما زالوا يتخبطون في شرك الاضاليل والاهام . ( ٢ ) .

وقد اصبح المبدأ العام لهذا التطور ينادى :

( انه اذا كان للمرء ان يقتدى ببوذا نفسه فان طيه ان يسعى الى تحقيق خلاص الاخرين لا الى خلاصه هو ( وهكذا ) حلت صورة " البوذيساتفا " - اي الشخص الذي يبلغ حالة التنور - محل فكرة النيرفانا ) ( ٣ ) .

اولا : التطور في الجانب العطي والفكري في الرهبنة .

أما من هذه الناحية فان نصوص الكتب الدينية في البوذية لم تعد تخاطب الرهبان لوحدهم ، تماما كما فعلت من قبلها الجينية بل تعدت الى عامة الناس وبذلك تكون البوذية الجديدة اكثر انفتاحا لتقبل التقاليد والنظم الاخرى من غيرها . ففي مجال السعادات هناك الصلاة وادعيتها عندهم ، وقد اصبح بودا محور صلاتهم ومن ذلك قولهم ( انا التجي " الي " بودا " ، انا التجي " الي " الذارط " انا التجي " الي " السانغا " تكرر ميكانيكيا مرات لا تحصى على سبحة

- ١ - حضارات الهند ص ٣٦٠ .
- ٢ - البوذية ص ٦٣ - ٦٤ وقارن مع : المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٦٤ ويذهب اورسيل الى ان فكرة الدعوة الى خلاص المخلوقات مردها الى تاثير الفكر الايراني على الفكر البوذي ، راجع الفلسفة في الشرق ص ١٣١ .
- ٣ - رسالة اليونيسكو عدد ٢٦١ ص ١٣ سنة ١٩٨٣ القاهرة .



وتحريك الشفتين فقط ، كافي لجعلها فعالة ، ثم جعلت الآلات للصلاة مؤلفة من  
اسطوانة مجوفة تدور على محور تجعل فيها الصلاة مكتوبة على دروج كثيرة وتدار (١)

وقد لاحظت انماطا من هذه الآلات الموسيقية اثناء زيارتي للهند  
وشاهدت الرهبان البوذيين وهم يضرعون عليها بالعصي ، ويرتلون على انغامها  
صلاتهم وانشيدهم . وكان ذلك في "سارنات" القريبة من بنارس ، تلك المدينة  
التي ولد فيها بوذا .

- ومن التطور الديني في البوذية انشاء "مدأ" غفران الذنوب "

ومن ذلك ما جاء في انجيل بوذا ( ولبس الزهاد رغبة الواحد المبارك فكانوا  
يجتمعون في "فيهارا" اى الدير يقيمون الصلاة بحضور الشعب الذى كان يأتي  
لسماع "دهارما" ولكن الشعب لم يكن يرضى عن سكوت الزهاد ، لانهم ما كانوا  
ينطقون ببنت شفة كانهم يكم لا يتكلمون .

واتصل الخبر "بالواحد المبارك" فامر الزهاد ان يقرأوا كلمة  
"براتيوشكا" وفيها اطمئنان عبادة . وان يدعو الناس الى الاعتراف بخطاياهم  
لينالوا مغفرة . وطى الذنوب ان يتقدم الى الزاهد الذى يرى فيه صلاحا فيعترف  
له بخطاياها فيغفرها له . (٢)

وهنا نرى كيف كانت هذه المقدمة بداية لما يسمى بالكهنوت ، واذا  
كانت البوذية في بداية عهدها انكرت على الهندوس هذا التنظيم ودعت الى ازالة  
الطبقات ، فان اعترافها بهذا المبدأ يعتبر نكسة خطيرة وتراجعا عن المسار  
التي وضعها بوذا .

والاعتراف بالذنوب امام الكاهن سوف يكون له شأن خطير في المسيحية  
التي اقتبست هذا المبدأ عن البوذيين وسوف نرى الاثار السيئة لهذا العرف  
في الفصول القادمة ان شاء الله .

١ - دائرة معارف البستاني ٦٧١/٥

وقارن مع : المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٦٣

٢ - انجيل بوذا : ١١٤-١١٥

ثانيا : ترتيب الكهنسوت :

ان من اهم التطورات العلية التي لحقت بالرهينة البوذية ما يسمى بقوانين " الفينايا " والتي تطلق على ترتيب الكهنة وتقسيماتهم ، ولا شك ان هذه القوانين قد ثبتت على ايدى رهبان المعربة الكبرى . وهي من الناحية التنظيمية تعتبر من اوائل التنظيمات في الرهينة على مستوى العالم ، وهي بالتالي تعتبر الام بالنسبة للتنظيمات التي جاءت بعدها ، وتستفيد الرهبانية المسيحية كثيرا من هذه التقسيمات وسنرى ذلك اثنا الحديث عن الاديرة والانظمة الرهبانية عند النصارى .

- التنظيم الرهيني البوذي -

هناك اقسام عدة ابتدعت من بينها قسم يدعى " سيلا " وهو خاص

بادب العوام .

وقسم اخر يدعى " السرامانه " اى مذهبوا الحواس ، يلزمهم ان يحفظوا ٢٥٠ وصية ، من بين هذه الوصايا ( لا تقتل ، لا تسرق ، كن عفيفا ، لا تكسذب ، لا تسكر ، لا تأكل بعد الظهر ، لا تغني ولا ترقص ، تجنب ملابس الزينة ، لا تستعمل فراشا كبيرا ، لا تقبل معادن كريمة ( ١ )

ومن الصفات الضرورية للدخول الى سلك الرهينة :

( تقديم الاحترام لبوذا و الشريعة والكهنوت والسيرة الجيدة ، والصحة الجيدة والعلم القليل . ومن الاوامر : ان لا يأكل الراهب الا من فضلات اطعمة العوام وان يلبس ردا\* من الخرق مطظفا ، وان يسكن بالقرب من اصول الاشجار وان يستعمل بول البقر و\* وان لا يفتخر بقوى فوق القوى البشرية ) ( ٢ )

هذه وصايا عامة للراهب من الضروري عند هم التحلي بها ، ثم

نأتي بعدها الى مراحل السيامة وهي التي يتخرج الراهب منها بعد اتمام التعاليم والفرائض المقررة ، فهناك مرحلتان :

السيامة الاولى : وهي للخروج من الحياة الزمنية ، فتكرس عزم المبتدئ\*

على التخلي عن عالم العلمانيين والانصراف بعدها الى عقيدة بوذا ، ولا تحقق هذه السيامة الاولى الا لمن اتم السادسة عشرة ، و يكون " للاكبيرهكي الجديد " ( المنتظم ) - يرافقه معلمه المرشد - ان يبقى على ثيابه العلمانية ، انما ان يبسط على يديه الطرحات الصفراء\* التي للرهبان المتسولين ، ويتقدم من جمعية الرهبان فيستمر بهم انهم بقبوله في درجة الابتداء\* ، واعداء بالتخلي الا عن المراجع الثلاثة قائلا انهم

( في بوذا ، أجعل ثقتي ، وفي قوانينه ، ومذهبه ) (١) .

وعد أن يعدد المفاهيم التي يجب ان يلتزم بها ، (بتشبح بالطرحات الصفراء ، وهي ثوبين داخليين وآخر خارجي و ما يغطي الجسد كله الا الكتف اليمنى ، وحاملاً قصعة الرهبان المتسولين ، . ( ويكون ) للمبتدئ ان يشارك معلمه السيرة . فمن شروق الشمس حتى انتصاف النهار ، يتسول قوته ويقتات ، وبعده الظهر ، يلجأ الى الحدائق او المرايد او الصوامع التي وضعها مسورون طمانيون يتصرف اتباع بوذا ، او الى عمق الغابات ، وينصرف الى سماع توجيهات معلمه وممارسة التأمل ) (٢) .

( اما السيامة الثانية ، وهي اقتبال سر الكهنوت ، فتأتي بعد مرحلة تتراوح مدتها بين قصيرة أو مديدة ، انما لا تحق الا لمن أتم العشرين ، عندها يكون للمنتسب الجديد المحتفى به يرافقه كفيلاً واحدهم معلم المرشد ، ان يخضع لامتحان يثبت موافقته لاقبال سر الكهنوت . كل هذا بعد التحقق من المواصفات التالية : خلوه من مرض معد ، او عاهة ، تتمعه بكامل حريته نفسي التصرف ( فلا يكون عبداً او مديناً او قاصراً او جندياً ) حصوله على اذن من اهله بلوغه العشرين ، حيازة الاثواب الثلاثة وقصعة التسول . ) (٣) .

وهكذا نرى كيف تتشابه الفرائض البوذية وتتعدد بعد ان كانت بسيطة ، ساذجة . ولا بد من الاعتراف بان قوانين وتعاليم بوذا البدائية لولم تكن قابلة لهذا التطور وقبول المفاهيم الغريبة لما حدث اي جديد على مفاهيم هذه النحلة . وهكذا رأب الاديان الوضعية . وهناك داخل التنظيمات طبقات للرهبان :

فمن ذلك ما يسمى (بطبقة الارية : وهم معلمو الالهيات ، ومعنى الارية هنا اي المحترمين الذين يعرفون الحقائق الاربعة .

وهناك طبقة الاشار : الذين وصلوا الى النهر الذي يوصلهم الى النيرفانا ، وطبقة اخرى سترجع الى الحياة . واخرون لا يرجعون .

ومنها طبقة الارشاة : اي العباد ، وهم في عرف البوذيين ( اتقياء معصومون لهم قوة اجتراح المعجائب وهوون النيرفانا ) (٤) .

١ - البوذية ص ٤٨

٢ - المرجع السابق ص ٤٩

٣ - المرجع السابق ص ٤٩

٤ - دائرة معارف البستاني ٦٦٩/٥

وهناك طبقات ارفع من السابقة :

وهي تشل أنواعا من القديسين اسمى من تقدم بحسب المجازات  
الثلاثة وهم الذين يعيشون لانهم كانوا تلاميذ لسقيا موني ( بودا ) .  
والبوذات والبراتيكاة او المخلصون انفسهم وهم اطي من الارشادات  
بطيون من المرات يدركون كل الحوادث . . . والبوذ يستفه وهم نوع من البوذات  
( ١ ) .  
الاصليين ( ) .

ومن المبادئ السلوكية التي استقاها البوذيون من الجينية ما يلي :  
- لا يجوز للراهب المتسول ان ياتي بيوت الخلاعة ولا بيوت الاشراف  
ولا الارامل والكفار .

- يجب قبول الصدقات او الهدايا .

- لا يجوز للمتسول ان يقبل اكثر مما يحتاج اليه للاكل مرة واحدة

- ولا يجوز اكل اللحم ولا البقول ما دامت فيها قوة النمو ( ٢ ) .

والجد يسر بالذكر ان المصادر التي تنسب الى العربة الكبرى تورده

نصوصا عن اباحة بودا بعد الاستنارة " النيرفانا " لكثير من المأكولات ( ٣ ) .

---

١ - دائرة معارف البستاني ٦٦٩/٥

٢ - المرجع السابق

٣ - لاحظ ما قدمته " اناندا " الى بودا وذلك في انجيل بودا ص ٢٤  
وما قدمه احد الشباب له : في ص ٥٢ وما اكله هو في اخر حياته و ذلك في كتاب  
حياة بودا ص ٢٢٨-٢٢٩

ثالثا : دخول النساء سلك الرهبنة :

ركزت البوذية الجديدة على فتوى كان بوذا قد اصدرها بحق ادخال النساء في السلك الرهيني على مضمون ، فمن ذلك ما جاء في انجيل بوذا ١ :  
( سألت " ياشود هارا " بوذا ثلاث مرات ان يقبلها في سنانغسا - اي الدير - فلم يجيبها الى رغبتها ، وجاءته حاضنته " براجاباتي " مصحوبة " بياشود هارا " وغيرها من النساء راجيات من " تنغنا بوذا " ان يعلن امامه نذورهن فيقبلهن تطهيرات لـ " بوذا " . ولما رأى المبارك غيرتهن وشوقهن الى الحقيقة لم يرد ما يمنعهن من قبولهن تطهيرات ) ( ١ )

وهكذا انتهى الامر بقبول النساء في الرهبنة طمأن كتاب " حياة

بوذا " يورد ما يفيد ندم بوذا على هذا الامر ومن ذلك قوله ( ولكن جاء يوم قال المعلم فيه لا تاندا : لولم تقبل النساء في الرهبنة يا آناندا لبقيت العفة صانة ولا استمرت الشريعة الحقيقية عائشة قوية لا يعكرها معكر لمدة الف سنة اما وقد دخلتها النساء فالعفة سوف تتعرض للخطر ، والشريعة الحقيقية لن تعيش كما سلك قوتها اكثر من خمسمائة سنة . ) ( ٢ )

وهكذا نرى أثر الجينية ينتقل الى البوذية في هذه السألة ، والى جانب ذلك فقد وضعت لهن عدة فرائض من بينها ( حلق الرؤوس ، والجلوس للتسول - للا ديرة ) ( ٣ ) ومن الشروط كذلك ( بعد مضي مئة سنة على ترهبها ) ( اي الراهبة ) ان تقف امام راهب في نفس اليوم الذي يصبح فيه راهبا ، وتقدم له اعق دلائل الاحترام ، وعلى الراهبات ان يتوجهن الى الرهبان ويعترفن لهن جهارا بخطاياهن ويتعلمن منهم الكلام المقدس . .

وكل راهبة تعترف ذنبا كبيرا تخضع لعقاب مدته خمسة عشر يوما ، تقوم بتنفيذ امام الرهبان والراهبات كافة ، وكى تقبل الراهبات في الرهبنة طمأن ان يبرهن

١ - انجيل بوذا ص ١٠٧

٢ - حياة بوذا ص ١٧٤

٣ - دائرة معارف البستاني ٦٦٩/٥

لمدة سنتين عن فضيلتهن ورباطة جأشهن ، ويحرم على الراهبات اطلاقا ان يوجهن  
(١) النصح والارشاد للرهبان ، اما الراهبان فيحق لهم ذلك ، (٢) .

### بعض العبادات والطقوس البوذية :

تهتم البوذية الجديدة (بسيامة الراهبان ، وغالبا ما تكون هذه  
في ايام الاعياد الكسيرة عندهم ، مصحوبة باحتفالات كثيرة ) (٢)  
اما النذور في الرهبنة البوذية فانها لا تلزم صاحبها بها مدة  
حسياته كلها ، اما طبوس الكهنة فهو مؤلف من صدرية تحتية وكسا\* يصل السسي  
الركبتين ويشد بمنطقة وردا\* يجعل على الكتف اليسرى ، وجسمها صفرا\* اللسون  
تلبس دائما حتى في الليل ، وحسب فقد ها كفقده صفة كهنوتية ، والجميع يطلقون  
لحاهم في اول القمر وتماه الا ( الرسل ) ويحافظون على نظافة اظافرهم واستانهم .  
- ومن الامور الضرورية للمتسول :

- قدح كبير ضيق الغم لا عروة له ، يقبل فيه الصدقات .
- منخل او صفاة لتصفية الماء ، وعصا او شمسية .
- سبعة ذات ١٠٨ حبات ، وموس وابرة . (٣)

وفي بداية البوذية لم يكن هناك اماكن معينة للانعزال عن الناس ، اوللوحدة  
أوللتسول ، والجولان . ثم جعل لها بعد ذلك بقليل اديرة ذات غرف تسع  
كل منها راهبا واحدا .

ويلاحظ هنا تشابها كبيرا بين هذه النظم وبين نظم الرهبانية

السيحية وهي تظهر بجلاء\* في نظام الاديرة على وجه الخصوص ، اما بقية الامور  
فتظهر في العبادي\* التالية :

- القيام بالاحتفالات حول الهياكل والمزارات وذلك بحمل الزخائر والقرايين .
- اعتراف العوام - المعمودية
- لبس الحلل لرجال الكهنوت كحلل اساقفة النصارى
- الهياكل والذابح
- تماثيل القديسين - الخدمة الدينية بايقاد الشموع - الترتيل وقرع النواقيس

١ - حياة بوذا ص ١٧٣-١٧٤

٢ - البوذية ص ٤٩

٣ - راجع : دائرة معارف المستاني ٦٦٩/٥

وما اضيف الى العبادات البوذية ما سموه بالحج الى الديار  
التي شهدت اهم الاحداث في حياة بوذا :  
(١) مثل : مدينة كيبلافتو وبود هغايا ثم مدينة بنارس ، وكوسينارا  
وفي بنارس بالذات توجد اهم المعابد عند البوذيين ، واليهما يحج الاف الناس  
حسب المواسم عندهم . ففي " سارنات " وهي ضاحية من ضواحيها يقصد البوذيون  
من جميع اقطار العالم هذه المنطقة لوجود اكبر ضريح لبوذا هناك . وحول جدار  
المعبد طقت صورته منذ ولادته حتى نهايته .

(٢) كما اضيفت (عبادة بقايا بوذا كشعره وسنه وما لم يحرق منه )

---

١ - انظر الفلسفات الهندية ص ٢٩٠

٢ - المرجع السابق ص ٢٩١

### رابعاً : المجمع البوذية :

هناك عدة مجامع بوذية عقدتها اتباع بوذا للنظر في التطورات الحاصلة في سيمرة الدعوة البوذية ، وفي نهاية كل مجمع كانت تقرر بعض التوصيات فني :  
المجمع الاول

عقد هذا المجمع ( كاسيايا ) وهو أهم تلاميذ سقيموني ( بوذا ) وكان مؤلفاً من ٥٠٠ كاهن في "رجه غريها" وقد قرر فيه الترتيب المؤسس على اطلالي بوذا ومواعظه (١).

وقد جاء هذا المجمع لوضع تعاليم المعلم الراحل التي تتعلق بالعتيدة وبالحياة الرهبانية ، ويعتبر هذا المجمع محاولة اولى لوضع القانون في مجموعة شرائعه الذهنية ، وقام "انندا" المقرب من بوذا بصياغة خطب المعلم "اوبالي" بنص قواعد السلوك الرهباني "كاسيايا" بأعداد موجز واضح لجوانب العتيدة (٢).

### المجمع الثاني :

جاء هذا المجمع بعد وقوع خلل في دير مدينة فيسالي وكان ذلك بعد موت بوذا بنحو ١٠٠ سنة (٣) . وكان الهدف من وراءه ابطال "هرطقة" مذهب شايهي المركية الكبرى ومنذئذ كان الانشقاق ، اذ ان هؤلاء لم يرضوا بما قرره اولئك المحافظون العتاق (٤).

### المجمع الثالث :

عقد هذا المجمع بامر بباداسي في باتاليبوترا ، وقد اجتمع فيه الف من الكهنة حاولوا اصلاح الخلل العظيم الذي احدثه في السياسة قوم من المشاقين الرهبان الكذبة الفاسدين (٥).

- 
- ١ - دائرة معارف البستاني ٦٦١/٥
  - ٢ - البوذية ص ٥٨-٦٠
  - ٣ - دائرة معارف البستاني ٦٦١/٥
  - ٤ - البوذية ص ٥٨-٦٠
  - ٥ - دائرة معارف البستاني ٦٦١/٥



كان ذلك عام ٢٤٥ ق م . وعندها وضع النص النهائي للقانون الذي سن الشرائع المذهبية القديمة .

وذلك القانون ينقسم الى ثلاثة مواضع كبرى :

(اولها : يتعلق بمسألة السلوك ، اى يسرد سير الرهبان ، وهو

بدوره يقسم الى عدة التزامات : الاعتراف العلني بالخطايا

- تسجيل الاعمال اليومية - نقد الخطايا ، التبشير الديني

ثانيها : يتعلق بمواعظ بوذا ويقسم الى خمسة عشر مقطعا موجزا

لحكم بوذا وامثاله .

ثالثها : يتعلق بعرض العقيدة البوذية وهي مجموعة من سبعة

ابواب في الطوائف ، أشهرها وأهمها الباب الثالث

(١)

لانه يعدر الاقوال المتناقضة لمختلف نحل المركبة الصغرى).

المجمع الرابع :

وقد صدر عنه قانون كتب باللغة السنسكريتية ( وربما كان هذا القانون

هو نفس القانون السابق ولكن ترجم من البالية الى السنسكريتية .

وعقب هذا تم ارسال دعاة الى البلدان الاجنبية لرد نحل

التانجة ( اى عدة الافاعي ) الى البوذية وقبائل اخرى وثنية من كشمير (٢) .

المجمع الخامس :

عقد في مندالاي ( بيرمانيا )

(٣)

حيث حفرت فيه نصوص التعاليم على ٧٢٩ قطعة رخامية

١ - : البوذية ص ٥٨-١-٦٠

٢ - دائرة معارف بطرس البستاني ٦٦١/٥

٣ - راجع : البوذية ص ١١٣

### المجموع السادس :

عقد في رانغون ( بئرمانيا ) وبعده اقيم احتفال سنة ١٩٥٦ بالذكرى  
٢٥٠٠ لسولادة بونزا . واتفق على العطل على توحيد الكلمة الدينية بين البلدان  
البوذية وتنظيم حملة تبشيرية جديدة لعقيدة بونزا في الهند (١).

وهكذا تكون المجامع البوذية قد اسهمت كثيرا في تدعيم  
خطط الرهبان ، وعملت على احتواء التناقضات الموجودة داخل هذه النحلة  
وان كانت هذه التناقضات لم تسفر عن توحيد تام بين البوذيين وذلك  
لوجود الخلافات العميقة بين المذاهب المختلفة والتي تمخضت عنها  
بروز : الفرق البوذية

والتي سيكون الحديث عنها ان شاء الله في الصفحات التالية

### خامسا : الفرق البوذية

كسنت البوذية في حياة معلمها تعيش تعاليم مسطرة ولكن (ضمن نظام معقد ، ثم اخذت تنمو وتتشعب فصارت لكل قرن بوذية تختلف قليلا عن بوذية سابقة بوذية لاحقة ، وطفقت تتطرق فيها مسائل من الالهيات مجردة قد نهى عنها مؤسسها وحذر منها مرديه واتباعه وزجرهم عن البحث عنها ، فبحسوا فيها حتى ادرجوها في التعليم نفسه وجعلوها كيارى<sup>١</sup> للاعتقاد . . . . . وبدأ التعارض . . . . . وانعقدت مجالس ونشأت المباحث وفشا الاختلاف واختلفت التعبيرات حتى صارت مذها فكريا وميلا عقليا ، وحدت مدارس فلسفية كل منها يحسب عن البوذية ويدعى انه هو البوذية الخاصة المنتقلة عن بانها . . . . . (١)

وبالرجوع الى التاريخ البوذي القديم نجد انه ليس من الغريب ان يحدث الانشقاق والنزاع بين البوذيين ، فمن المجمع طيه بين الروايات ان الخلافات كانت تقع في عهد بودا نفسه وكان يجتمع بالرهبان ويحل هذه النزاعات . واولى هذه النزاعات حدثا ثانيا<sup>٢</sup> تمرد بعض الرهبان في مدينة كوشامبي على بودا نفسه وامر حينها بانزال العقوبة بالراهب المتمرد طسى اوامره مما اثار حفيظة رفاقه الرهبان الذين وقفوا الى جانبه ضد معلمهم بودا الا انه استطاع في النهاية السيطرة على هذا التمرد (٢)

ويمكن القول ان هذه النزاعات الاولى كانت نتيجة خلافات شخصية ومناقشات معدودة طالبت ان عولجت في وقتها .

الا انه بعد لومي ١٠٠ عام تقريبا على وفاة بودا لم تستطع البوذية المحافظة على وقامها وتماسكها امام التيارات الهندوسية وغيرها . ولذلك فقد دب النزاع والانشقاق بين الاتباع خاصة بعد انعقاد المجمع البوذي الثاني الذي عقد في مدينة فاييالي بعد وفاة بودا بقرن من الزمان (٣)

١ - ثقافة الهند ، مقالة للرامبوري العدد ٤ ص ٩٤ سنة ١٩٥٣ م

٢ - راجع : حياة بودا ص ١٩٣ وانجيل بودا ص ١١٦ حول هذا الموضوع ويذهب اورسيل الى ان النزاع جاء "بتاثير الفكر اليوناني والايرواني على البوذية"

: الفلسفة في الشرق ص ١٣١

٣ - موسوعة تاريخ العالم : وليم لانجر ١/٩٨

ويعزو بعض العلما\* هذا النزاع الى اثر التطور الحاصل داخل الكيان  
البوذي وذلك لانتشار البوذية ودخولها اقطارا كثيرة ، فان اتباعها هنا وهناك  
اكثروا فيها القياس والتأويل حسب عقولهم وثقافتهم حتى بعدت عن اصلها  
الساذج البسيط ، ( ١ )

كما ان بروز المشاحنات بين اعضا\* المذهب الواحد ادى بالتالي الى  
تأسيس عدة طوائف وفرق ( ٢ ) .

وقد عد العلما\* الفرق البوذية وأصلوها الى خمس فرق ، . الا  
انها تعتبر فرقا كلامية اكثر من كونها فرقا لها كيانها المستقل عن بعضها ، ( ٣ )  
اما الفرق التي لها مميزات خاصة ، والتي حافظت على كيانها ومبادئها  
السلوكية وممارساتها فهي تلك التي انشقت عن النحلة الام مكونة مذها له طقوسه  
ومعتقداته وكان لها الاثر الكبير على مجريات التطور الفكري البوذي .

وقد احصى العلما\* ثلاث فرق مهمة منها اثنتان رئيسيتان هما :

الاولى : المركبة الصغرى

الثانية : المركبة الكبرى ( ٤ )

الثالثة : المركبة التانثرية .

- فرقة المركبة الصغرى ( الهينايانا ) :

وفي هذا التشبيه بعض احتقار اسبغه شايعو المركبة الكبرى على  
الذين يتسكون بحرفية العقيدة البوذية غير محاولين توسيع افاقها الى ديانة  
منتشرة تعبق بالتقوى والخلقية ( ٥ ) .

ويذهب البعض الى ( ان المركبة الصغرى تمثل تعاليم بوذا بكاملها وتدعو  
الى الاهتمام بهدى شاربها وكانها هي التي دعا اليها بوذا نفسه واتباعها مریدوه  
واتباعه (اللازمون له ) ( ٦ ) .

وتقتصر هذه الفرقة على الرهبان والراهبات فقط ( ٧ )

١ - راجع : اديان الهند الكبرى ص ١٧٧

٢ - شجرة الحضارة ص ١٨٦/٣-١٨٧

٣ - اديان الهند الكبرى ص ١٧٧

٤ - المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٦٣

٥ - البوذية ص ٥٦

٦ - ثقافة الهند العدد ٤ ص ٩٥ سنة ١٩٥٣

٧ - المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٦٤

وتراث هذه المركبة كتب باللغة البالية ، ويحتوى على الناموس

البوذى الذى يتألف من ثلاث ( مجموعات ) تسمى " تريبيتاكا " وهي :

اولا : الناموس الراهبي او الديرى / فينيايا

ثانيا : الخطب ( شسوترا ) : وهي مجموعة مواعظ تدعى سوتابيتاكا

ومدونة في القرن الثالث والرابع ق . م - بحسب ما يدعون-

ثالثا - العقيدة المجردة ( ابهيدارط )

وهناك كتب اخرى تضم نصوص اجوية الراهب البوذى ناغسينا عن

اسئلة الأمير اليوناني ميناندر ، يكثر فيها الاساطير والمخطلقات الى جانب ذلك

هناك كتب اخرى مثل ياتاكا وهي مخصصة للتبسيط ولا فهم العامة ( ١ )

ثانيا : الطهايانا المركبة الكبرى :

كانت بدايتها في مطلع القرن الميلادى الاول ، ودعت بالمركبة

الكبرى تميزا عن المركبة الصغرى ذات الوجهة الضيقة والمحصورة لشرح

العقيدة البدائية . ( ٢ )

وقد بشر بهذه الفرقة راهب بوذى اسمه " نجارجانا " ( ٣ ) وكانت

تعاليمها مخططة باراء في الكون ، وافكار مجردة عن الحياة والنجاة ، مؤسسة على

نظريات فلسفية وقياسات عقلية ، قد سمحت بها قرائح المتأخرين من الشراح والزعماء

والغالب عليها صبغة الفلسفة . ( ٤ )

ونظرا للتطور المشار اليه فقد طغى التغيير على جميع مناحي الفكر

البوذى ( وبه است البيوزية ديانة شعبية ) وتخلت ( عن صبغتها الطحدة . نفسي

العقيدة الأولى لم يكن من مجال لخالق العالم ، مزود بارادة مستقلة ويمكنه الحكم

على الاسباب والنتائج كما لم تكن اية نعمة الهية تتدخل في حركة التناسخ المتواترة

اما مع المركبة الكبرى فانفتح المجال لارادة طيا وصارحتما ان تتأله شخصية بوذا ( ٥ )

١ - راجع : الفلسفات الهندية ص ٢٦٧

٢ - البيوزية ص ٦٠

٣ - شجرة الحضارة ١٨٦/٣-١٩٧

٤ - ثقافة المسند عدد ٤ ص ٩٥ سنة ١٩٥٣

٥ - البيوزية ص ٦٥ وقارن مع : المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٦٤

وبذلك فتحت العربية الكبرى المجال للام التي انتسبت الى سلك

الرهينة فيما بعد وذلك بادخال عقيدة التثليث الى المبادئ البوذية (١)

فهذا الواقع الجديد تجسده عقيدة الاجساد الثلاثة للبوذا اي

لمفاهيمه الثلاثة ، بشريا ، والسهيا ، وكونيا ، هكذا صار للبوذا جسد

الخلق ، طالما يجول على الارض ويمارس فيها نشاطا بشريا ثم جسد النعمة

لدى دخوله العوالم الفوق-ارضية ( اي الفوق ارضية ) واخيرا جسد الشريعة

لدى تجرده من اي تمثيل ، وتسجد ذوبان في المطلق الذي هو اساس كل شئ (٢)

وهنا يبدو وتأثير الفكر الهندوسي على البوذي الذي قبل

وربما تحت ضغوط كثيرة هذه العقيدة ، وقد رأينا عبادة تعدد الالهة عند

الهندوس وخاصة فكرة التثليث ، ( براهط ، سيفا ، وفشنو ) فليس من المستغرب

اذا ان تنتقل هذه العقيدة الى البوذيين ، وسنرى كيف انتقل التثليث ايضا

الى الفكر المسيحي فيما بعد .

ولشدة ذوبان البوذية في الديانة الهندوسية فقد لاحظ لوبون

هذا الاختلاط في مباني انغكور الشهيرة ، فالرموز الموجودة فيه تتشابه الى

حد كبير بين ما هو لدى الهندوسية وما لدى البوذيين في هذا الجانب (٣)

وقد كان لفلاسفة وطما\* المركبة الكبرى اثر كبير في تطور هذا المذهب

فعلى ايدي هؤلاء\* الرهبان تمت كتابة الكثير من الكتب المنسوبة الى البوذية ومن اشهر

هؤلاء\* : - اشياها - فايروكانا - اتالوكيتسفارا .

وما لبثت هذه الشخصيات ان تحولت الى الالهة فيما بعد (٤) .

كما انتقل هذا التغيير ايضا الى خارج الدائرة الهندية ليشمل بلادا

جديدة استطاعت البوذية نشر دعوتها فيها مثل اندونيسيا وغيرها من بلدان

جنوب شرق اسيا . وقد اكتسبت الماهيانا عبادات جديدة كعبادة الاسلاف ،

ويعتبر معبد بوربودور في اندونيسيا من اكبر المعابد البوذية في الشرق ، وترجع

اهيته بالنسبة للبوذيين الى انه مشاد خصيصا لممارسة طقوس الرهينة ، بشتى

اشكالها ان تتوفر في هذا المعبد الضخم الاماكن والخلوات والمساطب اللولبية ذات

المراحل المتعددة والتي من شانها تمكين الرهبان من ممارسة شعائرهم وطقوسهم

المختلفة عبر أزمنة طويلة (٥)

١ - الديانات والعقائد ١ : ١٤٠ - ٢ - البوذية ص ٦٥

٣ - حضارات الهند ص ٣٧٠ وراجع كذلك : دائرة معارف البستاني ٦٦٢/٥  
وقارن مع : المذاهب الكبرى في التاريخ ٦٤

٤ - البوذية ص ٦٧

٥ - رسالة اليونيسكو عدد ٢٦١ ص ٨-١٥ سنة ١٩٨٣

### المركبة التانترية :

قامت هذه النحلة على يد (بهكشواستغا في القرن السادس للميلاد .  
وهو الذي ابتدع بدعة تسمى بوغانشارا او تنترا ، وهي ضرب من مذهب سيوا  
( سيفا ) السرى ) . ( ١ )

وهي قائمة على مبادئ السحر الممزوجة بتعاليم اليوفا . ( ٢ )  
واهم المناطق التي انتشرت فيها هذه النحلة : منغوليا والتبت ( ٣ ) .  
وهذه الفرقة ليست ذات اهمية بالنسبة لما قبلها .  
ومن بين الفرق التي استطاعت ان تغير في العقائد البوذية :  
- الشاكتية :

وتعني عبادة الالهة الانثوية  
وكان بوذا كما مر شديد الحذر من ادخال العنصر النسائي في دعوته .  
حتى ادخل في مذهبه النساء على مضمون اساس قاس من الانصياع والاذلال .  
ولما جاء اناندا التلميذ المفضل يسأل معلمه عن سبب هذه القسوة اجابه :  
( لانهن يا اناندا لعينات حسودات وحقوقات ) .  
ولكن تحت ضغط الايمان الشعبي الجارف من منبع . . غير ارى لاقى  
نشأة العبادة الانثوية قبولا كبيرا وخاصة في صفوف الرجال  
وتبرز ( الشاكتية ) هذه الجمعية العنصر الاصلي والقوة ( بصورة النزوة  
الجنسية التي تربط الرجل بالمرأة . كذلك البوذية التانترية تزود جميع البوذيين  
الحقيقيين بند انثوى عليهم الالتحام به ليلسوغ الوحدة الخالدة ) . ( ٤ )

١ - دائرة معارف البستاني ٦٦٢/٥

٢ - البوذية ص ٧٤

٣ - الفلسفات الهندية ص ٢٦٢

٤ - البوذية ص ٧٤-٧٦

### الفصل الثالث

النتائج التي وصلت اليها الرهبنة البوذية ونقد ها .

حينما قيل " لا يأس مع الحياة ، ولا حياة مع اليأس " كانت مقولة صادقة تنطبق على الواقع الذي تعيشه البوذية بانكارها واظروحاتها العقدية والسلوكية . فهي من هذا الجانب تغلق باب الامل في وجه الانسان وتقطع ينبوع الرجا الذي اجراه البارى عز وجل لعباده .

وهي بهذه السمة انما تعنبر عن قنوط ويأس وتشاوم يدفع صاحبه الى مظاهرات نفسية لاحد لها ، واذ كانت البوذية التي ارسى دعائمها بوذا تدعي انها تريد وضع الحلول لتعاب البشرية وكشف الظلم والقهر عن الشعوب والانتصار على الالام والاحزان والموت ، فقد جانب الصواب واخطأت الهدف ، ومرد ذلك يعود الى الاخفاق في ايجاد الدوا الناجع لتلك المشاكل ، نتيجة النظرة الضيقة الى الامور ، والاعتماد على اسس واهية لا تسمن ولا تغني من جوع .

فالبحث عن الحلول الاجتماعية والانسانية والعقدية لا يتأتى عن طريق وضع قيد مكان اخر ، ولا بوضع معضلة مكان اخرى . وصحيح ان البوذية حاولت تفسير بعض الظواهر الاجتماعية التي يعاني من مشاكلها كثير من الناس ، الا انها لم توجد حلولا جذرية لها ، وجل ما قامت به هو وضع حلول مؤقتة لامراض مزمنة كالدوا السكن يخدر صاحبه ولا يبرئه .

وظنت بهذا ان مبادئها وتعاليمها تستطيع ان تمحو القهر والظلم عن المجتمع وترفع الضيم والغبين عن الناس ونسيت في غمرة نشوتها وانتصارها المؤقت ان ما حققته لم يكن الا ردة فعل عاطفية لجيل من الرهبان الذين اغتروا بالعبارات الطنانة التي اطلقها بوذا والتي غفها باظفة جذابة وادعى فيها خلاص البشرية . وسرعان ما ظهرت على حقيقتها عند اول حركة دفاعية من قبل الهندوسية التي تمكنت من اخذ زمام المبادرة فيما بعد واحتوت الموقف كله ، فالقت بقفسها في وجه عدوها الجديد الذي سرعان ما ترنح وتهددت قواه ، وولى هاربا بميسدا عن بلده يبحث عن ركن اخر لنشر دعوته . وهكذا عادت تعاليم الهندوسية تملك المخيلة البوذية وتاخذ بالبابها ، وتلاشت سريعا من الهند بعد قرابة الالف عام . ومن هنا يتضح لنا السمة الهشة التي حملتها البوذية في معركتها الفكرية والنسكية .



ويحق القول هنا بان الاديان الوضعية ينهش بعضها بعضا ويفترس

القوى منها الضعيف فيغدو المنتصر مهيمنا ويبقى المنهزم فيها ذليلا خائرا .  
ومن ناحية اخرى فان البوذية وان لاسست في بعض الاحيان مشاعر  
الانسان وعواطفه بعباراتها الداعية الى تهذيب النفس وسمو الاخلاق . ، الا انها  
لم تستطع ان تهب لهذا الانسان سبل الكمال النفسي والخلقي ، وهذا ما غاب عن  
تعاليمها ومبادئها لبعدها عن النهج الرياني القويم الذي يصون هذه التعاليم  
ويحفظ استمراريتها .

كما وانها وان حاولت تبني مفاهيم خاصة بتحرر العباد من عبادة  
العباد يادى\* الامر الا انها لم تستطع بتعاليمها الانعطاف نحو عبادة العقيدة  
الدينية السليمة لبعدها عن الحق وانكارها لبديع السموات والارض ، وتجاهلها  
للخالق جل وعز . وحتى هذا الالحاد الذي صبغت نفسها به لم تستطع ان تحافظ  
عليه لهشاشته وضعفه امام التيار الشعبي الهندي وسي فعات الى تأليه البشر واتخذت  
فيما بعد من بوذا الهيا يعبد .

وهي في تعاليمها ايضا انما تاخذ من هذا الحياة الجانب المولم  
ولم تلتفت الى الجانب الضى\* كما اتخذت منها الجانب المعزن المبكي وتناست  
الجانب السعيد القضي الى الحب والوفام .

وطى العكس من ذلك نرى الاسلام يفتح امام البشر جميع الوسائل المتاحة  
للسعادة في هذه الدنيا والاخذ منها بقدر الحاجة دون جشع او طمع .

قال تعالى ( قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ

الرِّزْقِ (٠) (١)

وقوله ( يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا  
انه لا يحب السرفين ) (٢) ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم  
من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ) (٣)

هذه الايات المشرقة ينشرح صدر الانسان لها وتتفتح مداركه لاستقبال  
الامر الالهي دون كبت او قنوط . وهذه الحياة التي يريد لها الاسلام من الانسان  
هي وسط لا افراط فيها ولا تفريط ، فهذه الوسطية تكفل للانسان العيش البهاني\*  
الرضي في ظل رحمة الله تبارك وتعالى ، وذلك في الدنيا وله في الآخرة النعيم  
الحقيم ان احسن واتقى .

١ - الاعراف : ٣٢

٢ - الاعراف : ٣١

٣ - الاسراء\* : ٧٠

واذا تناسى هذه السلطات فقد عاشت البوذية وحدها في عالمها المنعزل في دنيا رهبانها وكهنتها الامر الذي ادى الى تفكك الروابط الاجتماعية ولم تستطع التوسع والخروج من النفق المظلم الا بعد رحيل بوذا الذي اسهم موته في تغيير وجهة سيرها كثيرا واستطاعت ضم اتباع من طامة الناس بدل الاقتصار على الرهبان .

وربما يخدع البعض بالشعارات الداعية الى التعقل والتدبير واعطال الفكر . الا ان العقل السليم يدرك تماما التناقض الحاصل في تلك الشعارات والتي وقع في شراكها كثير من العلماء خاصة الغربيين .

فقد ادعت البوذية انها تتردد من الانسان ان يعمل فكره وليسه لغاية نبيلة ، الا ان الواقع يفيد ان هذا الغاية اضحت بعد البحث والدرس مجهولة وليس لها اي بعد فكري سليم ، بل ولا تساعد الفكر على التحرك والتدبير ، بل تعمل على تقييده باوهام وترهات لا تقبل عقول الصبية بها .

واذا افترضنا جدلا ان مبدأ النيرفانا هو الغاية المنشودة ، فان البوذية بهذا لم تستطع مطلقا حل المعضلات التي تواجه البشرية ، ان الطابع السلبي يصيب هذه الحالة بطابع كسول ، ومهما ادعت البوذية ان النيرفانا تحقق للفرد الاشراق والاستنارة والانتصار على الالم والظلم والموت ، فان الواقع يكذب هذه العقولة . واذا كان ما تدعيه صادقا فلماذا لم تحاول البوذية حل مشاكلها مسع الهندوسية او غيرها من الديانات الوضعية على اقل افتراض . .

ثم هل يمكن للانسان ان يعمل في ظل النيرفانا اذا كان هذا المبدأ يدعو في مرحلة لاحقة الى الالفاء احاسيسه وشاعره وفكره وكل ما يحيط به ؟؟

وكيف يمكن بعد هذا الالفاء حل المشاكل الانسانية . ؟

وكيف يمكن التوصل الى ردة المارقين والمجرمين والمذنبين ؟

هل النيرفانا كفيلة في احقاق الحق وارساء قواعد العدل والسلام ؟

بين الناس ؟ واذا افترضنا ان البعض يصلون الى النيرفانا فهل يتأتي لجميع الخلق الوصول اليها . ؟

واذا كانت الاجابة بالسلب فم الفائدة المرجوة من النيرفانا اذا واي

هدف يجنى من ورائها . ؟

ان الغاية الوحيدة التي يمكن الوصول اليها هي : الضياع ولا شيء

غيره ، وان البوذية اتعبت نفسها واشغلت كاهل البشر بمسائلها التعسفية دون طائل وجد يربهذه النحلة ان تندثر ولا يسمع بها الا في كتب التاريخ لاخذ العبرة والعظة .

وما احسن ما قيل في الحكم على البوذية بعد استعراض ارائها :  
(انها فلسفة اخلاقية موجهة للمعزة ، للطاعنين في العمر ، ثم انها  
قائمة متشائمة ، هي فلسفة شخص قتلته سوء الظن والخيبة والغشل الدائم والرييسة  
ولذلك نجده يبشر بالابتعاد والانقطاع والانفراد بنفسه بلا معين حتى ولا مع اله<sup>(١)</sup> .

ومن جملة التعقيدات التي تضيفها البوذية الى فكرها ذلك التعنت  
في اغلاق باب التوبة امام المذنبين والعصاة ، فلم تتح لهم المجال ليتراجعوا عن  
غيهم ويرتدوا عن معاصيهم ، بل اقلت باب الندم ، وهي بذلك يدل ان تسهم  
في ارساء الامن والسلام للمجتمع ان بها تزيده زعزعة وتهدد استقراره لوقوعها  
في التناقض ، وهي وان لم تكن تدعو الى الرذيلة ، الا انها ساعدت عليها  
بطريق غير مباشر . وهي تدعي انها تريد تسليح البشر بالقيم الاخلاقية وتنسى  
ان هذا الامر لا يتحقق بمجرد وضع نظريات عقلية خالية من معالجة لب القضايا  
من اساسها .

فكيف تنتفي السرقة وابواب الرحمة موصدة دون اللصوص ، وكيف يمكن  
دعوة المذنب الى الخلاص دون فتح باب الرجاء والامل له ؟

انها اسئلة تتزاحم لتضع الفكر الديني البوذي في حيرة واضطراب .

(ومن التناقضات التي تقع فيها البوذية تلك الدعوة المبشرة بالمحبة والفضيلة والصدقة  
مع الناس ، وقد جعلت ذلك متوقفا على محبة الانسان لنفسه حتى يمكن التسليم  
بانتقال المحبة الى الغير ، ومقتضى التعاليم البوذية التخلص من هذه النفس  
وخصائصها . فماذا يحب الانسان ؟ يحب اطلاقا ما ؟ من المحب ومن المحبوب ؟  
بل ان مقتضى محبتي لغيري ان اخلصه من بدنه او من نفسه فهل اقلته ليريح ويستريح<sup>(٢)</sup> .

وان كانت البوذية تدعو الى هذه السبادة حرصا منها على الاخلاق  
فمهما قيل عن دعوى التسكك بالاخلاق ومهما نالت من اعجاب البعض فالحق يقال  
ان ما جاء به الاسلام من اخلاق لا يمكن ان يوازن بين ما تدعيه البوذية او اى دين  
وضعي اخر .

١ - الفلسفات الهندية ص ٢٨٤

٢ - الاسلام بين الاديان ص ٢٧٤

وذلك لان الانسان مهبط حاول وضع ضوابط لسلوكه وآدابه فانها ستظل قاصرة ما دامت تابعة من شاعره واحاسيسه الشخصية ، وما دامت هذه الاحاسيس فردية فحكمها على الامور غالبا ما يكون قاصرا عن الشمول والاحاطة ، وظيفه فلا يمكن تطبيق المبادئ الموضوعية لها على بقية البشر لا اختلاف الامزجة والنزعات المختلفة بين العباد .

ولهذا فقد تكون الضوابط في بعض الاحيان قاصرة عن اعطاء علاج شاف لكثير من الامراض ولعلم الانسان الضعوف ولقصور خصائصه فانه لا يسد من تعثره ازا ما يضع لنفسه من مبادئ دون استناد الى قانون عام شامل لمبلاحتياجات البشر جميعا ، كالذي صدر من لدن حكيم خبير .  
ولا ننكر ما لدعوة بعض المصلحين السابقين عبر التاريخ من اثر في نشر المبادئ الخلقية بين البشر .

الا انه ازا ذلك يجب الاعتراف ان المبادئ الخلقية هذه لم تكتل وسلم تتم الا بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم الذي بعث ليتم مكارم الاخلاق . . .  
وقد اثبت الاسلام بتعاليمه الشاملة وقواعده الراسخة انه دين الفطرة وانه دين الاخلاق والاداب والسلوك وان بقية الدعوات الاخرى لا يمكن ان تقارن به لانه دين الله القويم . . .

والبوذية وان وضعت قوانين اخلاقية ، فانما تضع هذه المبادئ لغثة دون اخرى وهم رهبانها وكهننتها ، فما جدوى هذه المبادئ على بقية الناس ، ان لم تلب احتياجاتهم ومطالباتهم في التربية ؟ ووضع هذه المبادئ لغثة الرهبان من لدن رهبان سابقين نتجة الخبرة والمعرفة الخاصة غير مضمونة النتائج لافتقارها الى اصل مساوي ونص شرعي قويم .

وخلاصة القول ان المبادئ الخلقية الموجودة في الاديان الوضعية

اما ان تكون مستقاة من اصل مساوي ثم حرفت عقائدها الدينية ، واما ان تكون

تابعة من المعرفة والخبرة الخاصة بالانسان .

فان كانت الاولى فيجب الرجوع اليها واتمها ، بالعقائد الصحيحة

والتمسك بها وسح اثار التحريف والتزييف عنها والاقرار بواضع هذه القوانين سبحانه وتعالى ، والاسلام كفيل بهذه الغاية . وان كانت الثانية فيجب تصحيحها والعودة بها الى ينبوع الاصل ، ولقد وجد الاسلام لاجل هذه الغاية فانعم به واكرم .

وقبل الختام لابد من الاشارة الى التقرير الذى وضعه د . شلبي  
عن جولته في بعض البلدان التي تنتشر فيها البوذية .

ففي هذا التقرير نلص صرخة مدوية لاستنهاض الهمم واستدراك  
التقصير اللاحق بكثير من البلدان التي تنتشر فيها البوذية انتشارا كبيرا ، طم  
بان الجيل الجديد من البوذيين لم يعد يقتنع بالعقائد والبادى\* البوذية  
ما اتاح الفرصة امام المبشرين المسيحيين لوضع الخطط تلوا اخرى لنشر العقيدة  
المسيحية بين اتباع البوذية ، وقد استطاعت فرق التبشير وبسهولة وضع هذه الخطط  
موضع التنفيذ مستغلين خلوا الشباب البوذى وتركه للبادى\* الوثنية التي لم تعد  
تلب الشاعر والا حاسيس الانسانية فضلا عن الخوا\* الروحي الذى يزرح تحته .

وهذا التقرير يدعو الى توجيه الدعاة المسلمين وطل اطل درجة  
من التخصص للاطلاع و حمل امانة الدعوة الاسلامية الى ربوع تلك البلدان ، ان ان  
الارضية صالحة الى درجة كبيرة لبث العقيدة الاسلامية السمحة بين القوم . (١)

---

١ - راجع بتمعن هذا التقرير في : اديان الهند الكبرى ص ١٨٦-١٩٢

## الباب الخامس

### الرهنسة اليونانية

## التمهيد :

من العسير جدا على الباحث التغلغل في كنف التاريخ القديم للعشور على بدايات وصور العبادات الاولى ، وخاصة بالنسبة للتاريخ الديني لليونان .

فقد ساد الغموض تلك الحقبة الاولى ، والعائدة للحياة الدينية البدائية فغابت بذلك معرفة دقائق الطقوس والعبادات التي كان عليها اباؤ اليونان الاول . ولعل السبب يعود في المرتبة الاولى الى ( الاضطراب والاختلاف الناتج عن التنوع الذي لا حد له للصور والافكار الدينية ، كذلك المراكز المتنوعة للحياة الاجتماعية التي كانت تتمركز في أعلى درجة من الممارسات الدينية ) (١) .

الا ان دراسة القرن الثامن قبل الميلاد ، قد اعطت الباحثين بمصفا من الاصل للوقوف على بعض المعارف والمعالم الدينية التي سادت آنذاك . ومع هذا فان تلك المعالم لم تكن لتعطي الصورة الواضحة والمرجوة التي ينشد ها الباحثون . . . (٢) .

وعلى الرغم من تلك الصعوبة ، فاننا سنجد في وسط الصور التعبدية القديمة والمتنوعة ، نوعا من الوحدة والتشابه في السيكولوجية الدينية ، هذا الجانب يوحى الى وحدة وتشابه في الممارسة والتطبيق وبذلك يمكننا العسشور على نقاط عامة تشمل الجميع . . . (٣) وبهذا ايضا نستطيع لسبب ذور الرهينة .  
- الاصول العرقية :

ان من الحتفق عليه بين الباحثين ان الاربيين هم الاجداد الاصليون للشعب اليوناني القديم - فقد كانوا جماعات وقبائل متناحرة متفرقة ، وتكاد الحياة الدينية تكون بسيطة وساذجة الى أبعد الحدود . إن ( لم يكن

١ - موسوعة الدين والاخلاق ٣٩٢/٦

٢ - تاريخ الحضارات العام : ٢٧٩/١ - ٢٨٩

٣ - موسوعة الدين والاخلاق : ٣٩٢/٦

لهؤلاء الأريين من كهنة سوى سدنة المقاصير والماكن المقدسة ومن رؤساء العائلات وكان ( هناك من ) يقوم كذلك بتقديم القرابين ولكن لا بيد وان ديانتهم تنطوى على خفايا كبيرة وشعور بأسرار مقدسة ، فعند ما يخرج الاغريق للقتال يلتئم من هؤلاء الرؤساء والاكابر مجلس ، ينصبون عليهم فيه طكا يتمتع بسلطات فضفاضة وليس لديهم قوانين بل لديهم العرف وحده دون اى معايير مضبوطة للسلك والاخلاق . ( ١ ) .

وعلى هذا فان البربرية الاغريقية القديمة كانت سائدة ابان تلك العصور ولكن من المعجيب حقا بل والغريب ايضا أن نشاهد المدينة الاغريقية تنمو نموا سريعا وتقطع شوطا بعيدا ، ذلك لان ( رعاة الاغريق المتبريرين شقوا طريقهم جنوبا مسافرين على عالم كانت مدينته قد أصبحت قصة طال بها العهد . إذ كانت الملاحة والزراعة واقامة المدن المسورة والكتابة أمورا معروفة من قبل ، فلم ينشأ الاغريق مدينته خاصة بهم بل حطموا مدينته واقاموا من انقاضها وعلى اطلالها مدينته اخرى . وذلك هو السبب الذى يرجع اليه عدم وجود دولة معبد في سجل الاغريق ولا مرحلة الطوك الكهنة بل وصل الاغريق مباشرة الى نظام المدينة التي لم تنبت في الشرق الا حول المعبد ، فعرفوا من الشرق فكرة ارتباط المعبد بالمدينة وتسلموها سافرة . . . ومرار الايام أصبح الاغريق أكثر تدبنا وأشد اعتقادا في الخرافات . ( ٢ ) .

لقد استقى طما التاريخ والاثار المعلومات عن تاريخ الديانة من مصادر مختلفة أهمها ذلك التراث الباقي والمتعل بالآداب اليوناني القديم من شعر ونثر وخطابة . ( ٣ ) . وعن هذا الطريق تمت معرفة الأنشطة الدينية وكانت تتضمن هذه الأعمال الموضوعات المتعلقة بالعبادات أو باللاهوت أو بالنظم الاسطورية للمجتمعات .

١ - معالم تاريخ الانسانية . ولز . ٢٢٠ / ٢

٢ - المصدر السابق ٣٣٠ / ١ - ٣٣١

٣ - توجهت أعمال خطباء ذلك العصر إلى أغراض معينة وذلك لانهم كانوا يحالين الى ان يركزوا على الموضوعات الدينية ويلجؤون غالبا الى الاثار مستغلين في كسب السامعين وجذبهم اليهم باعتبار ان الدين يمتزج في هذه المجتمعات بالسياسة والحياة الاجتماعية ويعتمد على هذه الخطب أكثر من اعتماد على الشعراء او الفلاسفة باعتبار ان كلمات الخطيب كانت توجه الى الانسان العادي . . . انظر موسوعة الدين والاخلاق ٢٠٣ / ٦ .



## الفصل الاول : الديانة والمعابد :

تشابهت الديانات القديمة خاصة الوثنية منسبها - في مادتها الاولى -  
تشابها كبيرا ، وذلك يعود الى الالتقاء الذي كان يتم بين الشعوب ، واخذ  
بعضها عن بعض .

وكما رأينا قد ما المصريين وغيرهم يتدربون من عبادة الى اخرى  
كذلك فعل اليونان من بعد . . . فالتنوع الديني والتقلب في العبادات كان سمة  
تضاف الى سمات العصر اليوناني القديم .

- وقد قسم بعض العلماء انواع الالهة التي عبدها اليونان ، فمن ذلك :  
- الهة السماء ، والهة الارض ، والهة الخصب ، والالهة الحيوانية ، والهة  
ما تحت الارض ، والهة الاسلاف والابطال ، والالهة الالهية ، .  
واما اسماؤها فما يشق على الإنسان ذكرها كما يقول " هزيبود " (١) .

الى جانب ذلك فقد ألله اليونان بعض الخصال في البشر : كالحكمة ،  
والفصاحة والبيان ، كما أللهوا مواهب التمثيل والموسيقى ، وبعض الرموز كالحب ،  
والجمال . مثل افروديت وغيرها . (٢)

كما إتخذ اليونان من مظاهر الخصب عبادة لهم ، وقد تثلت باتخاذ عضوي  
الذكر والانثى للرجل والمرأة ( ولهذا كان قضيب الرجل وهو رمز الانتاج يظهر في  
طقوس ديمتر وديونيسيس وهرمس )<sup>٣</sup> . ولعل هذه العبادة مأخوذة عن الهندوسية  
فعبادة " اللنجا " لا تزال السبى يومنا هذا موجودة في الهند .

ويأتي تأليه البشر وتقديسه في أعلى مقام ، وكان يتوزع على عائلات مختلفة  
من الشعب ( وقد تم كل هذا العمل في الوقت نفسه الذي تكون فيه الشعب اليوناني  
وقد اکتل في أوائل القرن الثامن ( ق م ) حيث انتصر تشبيه الالهة بالانسان . . .  
ولم يبق للاصنام والحيوانات الى جانب الالهة سوى قيمة الرمز او الخاصيات ) (٤)

١ - قصة الحضارة : ج ١ مجلد ٢ ص ٣٢١ ط ١٩٥٩ م  
٢ - سوسيلوجية الحضارة القديمة . د . صلاح فوال ، ص ٩٨ د ار الفكر العربي ،  
القاهرة ١٩٨٢ .

٣ - قصة الحضارة ، ج ١ ص ٢٢٣

٤ - تاريخ الحضارات العام ، ١ / ٣٩٤ ، وراجع كذلك : دراسات فلسفية واخلاقية ،  
د . محمد كمال جعفر ، ١١١-١١٢ ، مطبعة حسان ، ١٩٧٧ م وموسوعة  
الدين والاخلاق ٦ / ٤٠٥

وإضافة الى كون هذه العبادات تعتبر شرعة الالتقاء الفكرى بينهم وبين الشعوب الاخرى إلا أن هناك اسباباً تدعو للإهتمام، وهي بروز الشخصيات المحاربة التي كانت تقود الشعب نحو النصر في الغزوات المتعددة والتي انبثقت عنهما ما يسى بابطال الحروب. (فالحروب المتعددة اوجدت كثيرا من المستوطنات خارج اليونان ) وبالتالي كان قادة الاستيطان يصبحون زعماء في المستوطنات الجديدة وبعد موتهم يتحولون الى ابطال يعبدون فيها ويدفنون في أضرحة للعبادة (١).

وعلى الرغم من وجود هذه الآلهة البشرية والتوجه اليها بالعبادة إلا أنها كانت تعالى ( في غير كثير خوف او رهبة ولكن كان يتستر وراء الهة الغزاة الاحرار آلهة اخرى للشعوب المقهورة ( التي تجد من يتبعها ) خلصة بين الارقاء والنساء ولم يكن منتظرا من الالهة الاولية الأصلية ان تأتي بالمعجزات أو أن تتصرف فسي حياة الناس ) . (٢)

ولم يمنع اليونانيون أن تتصف هذه الالهة حتى بالصفات الذميمة للبشر (٣). فاباطال الحروب هو لا وصلوا الى ما وصلوا اليه بعد ان نعموا ( بشرة وفيرة ) وقد كان تلك الارض عنوان الشروة الوحيدة تقريبا ومن بين هذه الطبقات نشأت طبقة الاشراف . اما المجتمع اليوناني القديم فقد كان موزعا توزيعا على اساس الشروة والقوة اضافة الى توزيع على أساس الأصل والانتساب ، فكانت القبيلة ثم الاخصوة ثم الجينوس الذي يأتي مباشرة فوق الاسرة وهو القبيلة المحدودة والاسرة الكبيرة ، فقد طاب للاغنيا التباهي بنسبهم البطولي وحتى الالهى (٤).

١ - الاغريق تاريخهم وحضارتهم - سيد احمد علي الناصري ، ١٣٢٧-١٣٨ ، دار النهضة العربية .

٢ - معالم تاريخ الانسانية ، ولز ، ٣٣٢/١

٣ - دراسات فلسفية واخلاقية . د . محمد كمال جعفر ، ١١١-١١٢

( فالالهة اليونانية كانت في رأيهم تحيا حياة بشرية كاملة فالاله ما هو الا كائن حي بكل مشاعره واحاسيسه وقواه الجسمية والنفسية والعقلية . . . ومما اظه في الرغبات والفردات حتى السبي منها ولكن الاله كان دوما انسانا مكتمل الرجولة أو امرأة رائعة الجمال ، . . . وما دام للالهة صفات البشر فهم يلدون ويولدون ، ولهم تاريخ ميلاد . . . لكنهم أبدا خالدون . . . والاولاد والاخوات والاقرباء قد يكونون اربابا او انصاف ارباب . . . المهم أن لهم من الالهية نصيب . . . ) : سوسيلولوجية

الحضارات القديمة ص ٩٩ وقارن مع : دراسات في العصر الهلنستي ، لطفي عبد الوهاب يحيى ص ٤٤

٤ - تاريخ الحضارات العام ، ٢٧٩-٢٨٩

وقد لعب الاشراف دورا كبيرا في تاريخ اليونان القديم وتقلبت هذه الطبقة في مجالات الحكم والدولة ، ورغم التطور الذي رافق الحياة اليونانية ابتداءً من تسلط طبقة الاشراف مروراً بالملكية الديكتاتورية وصولاً الى الديمقراطية ، الا ان نمط العبادة لم يكن يتغير خلال تعاقب أنظمة الحكم هذه .  
ذلك لان الشعب نفسه لم يكن في ديانته ، سوى مقلد للام التي جاوته او التي غزاها وانتصر عليها ، وان شهدت البلاد في بعض الاحيان تياراً دينياً قويا الا ان هذه الظاهرة لم تكن هي السمة الاساسية .

### اولا : الكهانة اليونانية :

في ظل التقلبات السياسية والعسكرية كان المعبد يقوم بنشاط بين عامة الشعب ، ولا شك ان طبقة من الكهنة كانت تمارس دورها في معابد اليونان . وربما تكونت هذه الطبقة من ساعدى ومستشارى طبقة الاشراف الاول والذين ادعوا الالهية ، ان ليست هناك إلا بعض المصادر الضئيلة عن هذه الطبقة ونشاطها وممارساتها وصور عبادتها . كما ان الغموض كان سيطرا على سجل الحياة الدينية وخاصة فيما يتعلق برجال هذه الطبقة . فكان لا بد من الوقوف على الانشطة الدينية لمعرفة درجة شيوع الكهانة والرهينة على حد سواء .  
أثر الديانة الشرقية في اليونان :

واذاً هذا الوضع الصعب ، فانه لا مناص من البحث عن جذور المعرفة اليونانية ومنبع تراثها الديني الغامض للوقوف على بعض المعالم . فإضافة للتراث الادبي والشعري المعتبر من أهم المصادر التاريخية لليونان هناك مصدر اساسي لهذه الديانة والذي يعتبر عند العلماء من أهم المصادر التي استقى منها اليونان معرفتهم وطوسهم الدينية .

فاللقاء الحضارى الذى تم في منتصف القرن الثامن ( ق . م ) بين اليونان والشرق بصورة عامة قد أثمر تطورا هاما في هذا المضمار ، ذلك لان اليونان بحكم طبيعتها الجغرافية ، وخصب اراضيها ووفرة موارد ها دعت الناس الى التثبيث بالحياة والمتعة بظواهرها المختلفة . ونظرا لمهارة اليونانيين في امر البحار وكثرة تنقلهم واختلاطهم بغيرهم من الامم وغزؤهم لبلاد الشرق وخاصة مصر فان هذا اللقاء كان كفيلا ينقل مفاتيح العلوم والمعرفة ومختلف الفنون اليهم .

ويؤكد العلماء انه ( لم يعد من الشكوك ان يكون اليونانيون قد استمدوا  
بذور دينهم - السيثولوجيا اليونانية - من مصر وفينيقيا والهند (١) والصين والكلدان  
وايران ( فارس ) فسيولوجيتهم شرقية الاصل وان بدت في ثوب من الشعر والخيال  
يناسب المزاج اليوناني الذي اوحاه جوبلادهم ، وطمه فان البعثات العلمية التي  
انجزتها اليونان الى مصر لتستقي من المعارف والعلوم وتطلق عن حكائنها فمسرورب  
الحكمة ومعرفة الاسرار كانت متتالية ، ولا شك ان اليونانيين نقلوا من مصر الشيسى\*  
الكثير الذي يتصل بفروع العلم مثل علم الفلك وماقي الرياضيات والطب وما وراء الطبيعة  
الى جانب نقلهم الحكمة عن الكهنة المصريين ) . ( ٢ )

ومن هنا نعلم اهمية الشرق بالنسبة للديانة اليونانية وخاصة مصر . وقد  
فرض هذا التقارب نوطا من التشابه والوحدة وان اختلفت الصور والاشكال التعبدية  
وتبدلت الاسماء من بلد لاخر .

ثانيا :

بدايات الزهد :

وبانتقال المعرفة الى اليونان يمكن حصر مدى ذبوع الفكر الديني ، وبالتالي  
يمكن القول بان الزهد الشرقي على الاخص قد استطاع ان يؤثر تأثيرا كبيرا في حياة  
بعض اليونانيين الذين وجدوا فيه موقلا و ملاذا من الحياة الصاخبة التي كانت  
قائمة . وقد أسهمت هذه القلة على ضآلتها في ايجاد الجيل الى الزهد والترهب  
في الحياة اليونانية وكان هذا الاتجاه ممثلا في صورة فردية أولا ، وقصورا طمس  
الذين اكثروا من التأمل والنظر واقتبسوا من معين تلك المعتقدات الدينية الاجنبية .

١ - يرى بعض الباحثين ان اليونان حينما اتصلت بالهند عقب غزوات الاسكندر على  
الهند وتوطدت العلاقات بين البلدين في شتى المجالات ( اخذت فكرة التجسد  
( اى حلول الالهة في الطك ) السائدة في الهند آنذاك تدخل في العقيدة  
اليونانية فانقل الاله فشنوعندها لينال نفس التقدير والاعجاب وكذلك أصبح الاله  
هليودوروس ( HELIODORUS ) رمز التجسد كما انتقلت كذلك هذه النظرية  
الى ايران بعد زرادشت ) : الهند حضاراتها ودياناتها . د . محمد

اسماعيل الندوى ، ص ١١٢ ، دار الشعب ، مصر ، ١٩٧٠ . قارن مع :  
٢ - : دراسات فلسفية واخلاقية . ص ١١١ - ١١٢ ، وكذلك : تاريخ الحضارات  
العام ١ / ٢٧٩ - ٢٨٩ . وقد وجدت اولى الاشارات الدالة على بداية الزهد  
والاستشفاط ورد في كتابات هوميروس ( هوميروس ) من ضرورة اخذ العهد والميثاق على  
المتعبدين ، وقد جاء ذلك في العقائد عن اله اليونان " زيوس " . موسوعة  
الدين والاخلاق ٣٩٧ / ٦

كما وجدت اشارات تفيد وتوضح أول صورة للتطهر الذي أوحى به الكهنة اليونانيون الأول لفتات الشعب وذلك ( بضرورة تطهير نفسها من البلاء بطرح مياه التطهير في البحر وهذا كان طقساً دينياً معروفاً منذ القدم وكان من بين القوانين التي يذكرها هزيبود :

" الانسان العائد من جنازة مشؤومة ، سيفنى ما لم يجتهد في ان ينجب طفلاً في ذلك اليوم " . ( ١ )

ثالثاً :

بدايات الرهينة :

وهناك ظواهر اخرى تدل على وجود نوع من الترهيب والتبيل ، وان كان هذا النوع خالياً من القوانين والأنظمة كما هو الحال في الرهينة الهندية المسيحية . ، وكان الجانب الفكري الذي اتخذ هذا التيار يتمثل بالشعور ( باله سيطر على كل نفس ، ومعنى هذا أنه أتاح وجود علاقة شخصية بين كسل شخص وبين المعبد بصورة خاصة ، ومن هنا وجد الاجتهاد والاختلاف بين افراد العابدين واتخذت القرابين شكلاً آخر فبدلاً من ان تتخذ من الاشياء المطوكة أصبحت تقدم من أفعال الانسان أو ذاته وذلك بتكريس حياته كخدمة لهذا الاله . . . . فوجد التبيل والانقطاع للعبادة ( اى الترهيب بالمعنى العطي ) وهذا بدوره ساعد على ازدهار وتقدم مذهب التجسيم والتشبيه . . . وفي حالات معينة كان يقدم الاطفال باعتبارهم حصاد مزرعه الاباء حتى تنال البركة الاجيال المستقبلية . . . واخذ الأيمان كان يسبق العبادة مع المواثيق والعهود على المواظبة في جميع هذه الحالات ( ٢ )

---

١ - موسوعة الدين والاخلاق ٢٩٥/٦

وربط تفيد هذه الظاهرة : انها اول شاهد على التحريم او ما يسميه الغرب ( بالتابو ) .

٢ - المصدر السابق : ٤٠٤/٦

الفصل الثاني : العبادات وصورها واثار الرهينة في مدارس الزهد والفلسفة

اولا : - الممارسات التعبدية

- لقد قام نوع من الهيمنة على مقاليد السلطة والحكم في اليونان من قبل طبقة الكهنة ، تماما كما كان الحال في مصر ، والهند .  
الا ان هذه الهيمنة تسخّط من حيث المدة والصلاحية ، ومن حيث اللون الثقافي والعلمي . فقد تميزت الكهانة المصرية بطول مدة هيمنتها على الحياة الدينية بعكس اليونان ، كما ان اللون الثقافي المصري كان أوسع وأعمق مما للكهنة اليونان الذين لم يكن لديهم هذا البعد ولم يكن اهتمامهم منصبا الا على الخرافات والاساطير التي برعوا وتفننوا في اذاعتها ونشرها .

وبالعودة للحديث عن التيار الزهدي الذي وجد في اليونان بعد الالتقاء مع الشرق نستطيع القول بأن هذه الفئة قد تأثرت بالروح الصوفية الشرقية ( وبيدو ان هذا التيار التصوفي الذي دفعه بالمصوفين الى الانخراط احيانا قد كان خير معوان لنجاح هتافات الغيب <sup>(١)</sup> ) .

لقد شهدت بعض المدن اليونانية كمدينة كلاوس ودلفي وعلى الاخص هذه الاخيرة كثرة مميزة من طبقة الكهنة ، وقد ذاع أمرهم بين الافراد حتى بين الحكام والطوك ، ذلك لان الكهانة اليونانية قد اكتسبت نوعا من التأيد الشعبي بسبب الاساليب التي اتبعتها . كما ساد نوع من الممارسات التعبدية خالطها كثير من الوان الشعوذة ، وأطلق على هذه الانشطة الدينية " مهابط الوحي " او " هتافات الغيب " .

هاتان التسميتان اطلقتا في الهياكل والمعابد التي أقام بها الكهنة السعراقون ، وعبر هذه الوسائل استطاع الكهنة اذاعة الاساطير والخرافات واعداد المعتقدات الدينية المزعومة بكثير من الحيوية والنشاط ، وغالبا ما توجهت هذه العبادات نحو تأليه البشر والجد يسر بالذكر ان هذه الاساطير <sup>(٢)</sup> والممارسات لم تنطل على عامة الشعب فقط بل امتدت لتشمل طوك البلاد واستقطبت حكاما من خارج اليونان <sup>(٣)</sup> أيضا مما أكسب هذه المعابد أهمية كبرى في نفوس العالم وأدى الى ازدهارها وديوع صيت البلدان التي اقيمت فيها وخاصة مدينة دلفي كما اسلفنا .

١ - تاريخ الحضارات العام ٢٩٨/١

٢ - راجع هذه الاساطير بتوسع في : الافريق تاريخهم وحضارتهم ص ١١-١١٢

٣ - راجع : تاريخ الحضارات العام : ٢٩٨/١

ثانياً :

الطقوس والشعائر :

في جو الحرب والمنازعات الطاحنة ، تفتقد الشعوب كثيراً من طاقاتها وتنزف دماؤها بغزارة مما يؤدي الى اسسوأ الكوارث المادية والوجدانية والعاطفية . فلا تجد الشعوب وسيلة سوى المعابد الدينية لتلوث بها وتوكل اليها لتغطي الجانب المفقود من شاعرها .

وامام هذه الوقائع الأساوية التي عاشها الناس ايمان العصور القديمة ، فان الشعب اليوناني المخامر كان يعود بعد حروبه الطويلة مشخنا بالجراح او مثقلاً بالعوارض النفسية والاهام التي تنتابه .

وفي ظل هذه الاوساط الكريهة استطاع الكهنة استغلال هذه الاحداث لاجتذاب الهاربين من هيلات الحروب الى معابدهم واديرتهم ، ممارسين امامهم صنوفاً والوانا من المهرج والممارسات التي اتقنوها وسيطروا بها على مشاعر واحاسيس الناس .

لقد اطلق الكهنة ما يسمى بالعرافة على المرأة التي تتحدث عن الغيب مثلاً ( كانت العرافة " بيتا " عادة امرأة في الخسينات من عمرها تلف باردية غريبة وتجلس فوق قائم ذي ثلاث ارجل وعند ما يتقدم طالب المشورة يقدم الاضاحي والقرايين ويثو الصلوات للرب ثم يقوده الكهنة الى حجرة الانتظار وفي الوقت المناسب يدعس للثول امام كاهنة " ابوللو " التي لا تكاد تبدو من ابخرة مياه العين الساخنة ويضع طالب المشورة سؤاله او اسئلته امامها وتسهذي الكاهنة وهي تضع اوراق الغاروتنهيل من غاز غريب يتصاعد من شقوق الصخر ، وتحتمي المياه الكبريتية وتتمم بكلمات غريبة يترجمها أحد الكهنة الى أبيات من الشعر السداسي الموزون ويعطيها للسائل وكانت الاجابات عادة غامضة بحيث يمكن تفسيرها تحت أي ظرف بحيث تبهد والكاهنة صادقة في كل ما تقول ، وكانت المشورات تتنوع من اسئلة شخصية الى اسئلة سياسية وعسكرية خاصة بالدول مثل اقامة المستوطنات او اعلان الحروب .

ولقد اكتسبت دلفي مكانة عالية بين الاغريق وتمتع كهنتها بتبجيل ووقار واحسن الكهنة بدي سؤوليتهم ولهذا كانوا غاية في الدبلوماسية عند اعطاء اي مشورة .

١ - الاغريق تاريخهم وحضارتهم : ١١١-١١٢

وراجع كذلك قصة الحضارة ج ١ ص ٢٠٩

بهذا الاسلوب وبغيره<sup>(٢)</sup> كان الكهنة يمارسون نوعا من الهيمنة النفسية على العامة بحيث يعتقد هؤلاء ان كل ما يصدر عن الكاهن انما هو الحق وعليه يجب اتساعه في تعاليمه وكل ما يصدر عنهن من قرارات .

ومذ لك ايضا نعلم مدى الخطورة التي تمثلها هذه الناحية لما تنطوى عليه من اصدار التشريعات للبشر ، وانشاء القوانين وفق اهواء ونزعات الكهنة والرهبان . الا ان هذا التيار الذي شهدته اليونان لم يستمر طويلا ، فلما لبث ان ر انكشفت الحجب عن تلك الممارسات وبات الشعب يعرف جيدا الاساليب المخادعة وقد ساد شعور ( بان هتافات الغيب انتهازي او انه يستنشق الريح او يخضع لتاثيرات يصعب الاعتراف بها دون من الشرف فقد اتهم بالرشوة وبالخضوع للعظماء ) ( ٢ )

ولا يفوتنا هنا ذكر اعتماد الكهنة على السحر فقد وجدت صور تعبدية مرسومة خلالها صور من الوان السحر الاسود كما يسميه العلطاء . ولا ( جدال ان هذه الصور كانت مهيمنة على اساس السحر ( ان ) كان هناك اهتمام بفن السحر الاسود وفيه صيغ قريبة للايمان والتأمل . وتظهر بوضوح العقلية الهيلينية وكأنها مغطاة بسحب وهذه الصيغ هي التي كان يمارسها الرهبان بطرق معينة وخطوات محفوظة يتدرجون على أثرها في مناصبهم ودرجاتهم )<sup>٣</sup> . وقد كانت لديهم قوانين تشبه القوانين الديرية التي اوجدها المسيحيون فيما بعد كما تشابهت مع نظام القسس الا أن نقطة الخلاف بينهما تظهر في عدم

---

١ - لاحظ اساليب الكهنة في : سوسيولوجية الحضارات القديمة ص ٩٩  
٢ - تاريخ الحضارات العام ١ : ٣٦٢ - ٣٦٣  
٣ - موسوعة الدين والاخلاق ٦ / ٣٠٩ وما بعدها  
وكثيرا ما كان السحر يسخر لا غرض شخصية وكان بعضه يتعلق بالخنازير بصورة خاصة وكانت تؤخذ القطع المتعفنة منها حيث تتخذ اداة للسحر . . . ثم تنشر في الاماكن التي يراود حصول السحر بها ، وقد يرمز هذا الى طرح الذنوب القذرة عن الانسان والتخلص منها نهائيا باعادتها الى مكانها الطبيعي وهو الارض وتتخلص السماء منها . وقد كان هناك سحرة راسيون لهم القاب معينة ) . المصدر السابق ٤٠١/٦



محاولة فرض "أبولون" كإله أعلى على الدول الهيلينية وكانت ممارساتهم تتراوح بين الدوام على الصلاة ، والأدعية والترانيم مع الاحساس بالانتماء الوطني .

وتنص بعض قوانينهم على الآتي :

أولا : تقديم القرابين وقبولها من الشعب .

ثانيا : بذل النشاط التعبدى في نظام يومي مقسم على اوقات مختلفة

قد تطول بطسريقة مدهشة .

ثالثا : الاعداد لاحداث الامور الخارقة او ما يشبه المعجزات ( الشعوذة

والسحر ) .

رابعا : تقديم المعلومات المتصلة بالمركز الرئيسي الدينى الذى يمثل اقوى

الروابط والوحدة الروحية فى العالم الهيلينى .

وهذه هي نقطة الالتقاء بين السياسة والدين آنذاك مما كان يفرض طسسى

الراهب التأكد بين آونة واخرى من ولا \* العباد لاوطانهم ودولهم .

وكان يتعهد بأخذ العهد على الراهب نفسه أن يظل مخلصا للنظام وأن

يتبع الانصاف المتبادل بين أخوته وقصاد معبد ، وهذا حصلت خطوة تقدمية فسي نطاق الدين بايجاد تشريعات للمعابد تتضمن الطهارة الضرورية فى كل ما يشين ،

وأولها اراقة الدماء وإلا لم يكن لها الحق الدينى فى أن تبلغ رسالة او تقوم

بهمة . ( ١ ) .

ومن نتائج تعاليم الكهان والرهبان اليونان ظهرت على السطح

عدة مظاهر تعبدية ، منظومة على اساطير ، ومرتكزة على خرافات ، وقد اجمع

العلماء على ان هذه العبادات ظلت تعاليمها سرا احقابا طويلة ولم تعسرف

تفاصيلها على الوجه الاكمل ، الا انهم استطاعوا تحليل مراميها وتعليل الاشارات

الخاصة بها ، فمن هذه العبادات ، ظهر ما يسمى باسرار "الفسيس" ، او

( الوسيس ) . فقد ظهرت هذه (وقصدت الى تجاوز حدود المدينة ، ودعوة

الناس جميعا حتى الاجانب والارقاء الى حياة روحية أسس وأقوى ، ذلك أن فريقا

من اليونان لاحظوا الفارق بين سيرة الانسان وما يعتقد من مثل أعلى فى الاخلاق

واستوقفت نظرهم التعارض البارز بين شقاء الانسان وسعادة الالهة ، فبدأ لهم

أنه قد يكون بالإمكان ايجاد علاقة بالالهة عبر علاقة العبد بالسيد ، علاقة تغارب

فاتحاد تكفل للانسان المشاركة في السعادة الالهية ، ووجدوا عند الشرقيين  
غذاء لهذه النزعة ، فنشأت " اسرار " أو نحل سرية تعد مرديها بالنجاة من  
صائب هذه الحياة وبالسعادة في الآخرة . فأيامون شر المرض والغسرق والخراب  
والحرب وما إليها ، ويضمنون لانفسهم النجاح والتوفيق ، وبعد الموت النجاة  
من " العمة " واللحاق بالالهة فيخلصون من الكابوس الذي كان جاثما على الصدور  
والذي يلخص هذه العبارة :

( ان حياة الانسان ظل زائل ، ووجوده بعد الموت ظل الظل ) . . . .

( ان ) نحلة أوسيس ( كانت ) تعبد " ديمتر " التي كانت الهة الحرب عند

هوميروس ، فصارت عندها الهة العطل ( ١ ) .

والملاحظ ايضا انتشار عبادة " كورا " الى جانب عبادة " ديمتر " كذلك

عبادة ( ديونيسيسوس ) ( وكان ذلك عاملا هاما من عوامل نجاح هذه الاسرار . . .

ما يحلنا على الاعتقاد بانها قد انطوت على تفسير رمزي عن طريق عرض غير مباشر

وتشيل مختصر ، غير أن ذلك كله كان يستدعي فكرة الموت ، وهذا قلق الانسان الدائم

وكان المشترك في هذه الاسرار يغادر المعبد مطمئنا الى المصير الذي سيكون بعد

الاجل المحتوم ، فقد كتب " سوفوكليس " وعلى غراره كثيرون :

" طوبى ثم طوبى لاولئك البشر الذين سيذهبون بعد مشاهدة هسذ

الاسرار لمقابلة " هاديس " اما الآخرون فكل شي سيكون لهم عذابا " . ( ٢ )

وقد حققت هذه الاسرار انتصارا وذيوتا كبيرا بحلول القرن الخامس ( ق م )

حتى حازت على ثقة اليونانيين واصبحت المعابد مزارا لهم واقامت لهذه الغاية

الاحتفالات الضخمة ( وتقوم العبادة في هذه النحلة على اسطورة غامضة وتعسليم

ظلت سرا مكتوما مدى ألف عام . وكان المريدون يمشون قصة شيطونية لكي يبعثوا

في نفسهم العواطف التي إنفعل بها الإله أو الآلهة ويتلون عبارات مهمة

ويرقصون ويصيحون على صوت موسيقى صاخبة لكي يحققوا حالة الجذب والاتحاد

بالالهة )<sup>٣</sup> .

١ - تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ، ص ٦٥ - ٦٦ ، دار القلم ، بيروت

٢ - تاريخ الحضارات العام ١ / ٣٦٤

٣ - ان هذا السر كان محرما على اي انسان ان يبوح به ( والا تعرض للقتل

. . . وكان الاحتفال عبارة عن ( سرحية رمزية لها أثر في حياة ديونيسيس

ولعل بعض أسباب ازدهار هذه العبادة وشيوعها خلال هذه الفترة يعود إلى الأفكار التي انطوت عليها والتي ترجع إلى اهتمام واضعيها بالحياة الزراعية التي كان يعيش عليها أغلبية الشعب ، فاستغل الكهنة هذه الناحية فكان لهم أكبر الأثر في الاستقطاب الشعبي .

إضافة إلى توجيهها نحو الفرد بعينه دون تمييز طبقي أو عنصري ومخاطبته ( بعيداً عن كل نظام أو قانون وعن كل اثر عائلي أو مدني . . . إلى الفرد وحده كما سيكون يوم موته ) (١) .

ومن أهم العبادات التي تخص البحث تلك العبادة التي انتقلت إلى اليونان عبر مدرسة الاسكندرية واسمها " عبادة السرابيس " أو " السيرابيوم " فقد عرفنا شيئاً عن هذه العبادة التي كانت على عهد ايزيس وكيف كان الزهاد والنسك المصريون يقومون بالشعائر التعبدية في حضرتها ، .

وقد استقى الاستاذ العقاد معلومات عن " فيلون " اليهودي اثناء الحديث عن اثر العبادات المصرية في اليونان . فادها ان نحلة قوية خرجت من مصر " على قلة عدد المنتهين إليها ، وهي نحلة المنتهين ( the RAPEUTS ) التي ذكرها الحكيم الاسكندري اليهودي فيلون ، وقال ان اتباعها كانوا يجتمعون يوم السبت ويتفرقون بعد ذلك في الصوامع للتأمل والدراسة الفلسفية ورياضة الروح والجسد واسمهم اليوناني معناه " الاساة " أو " المنتهسون " وأكثر صوامعهم كانت على مقربة من الاسكندرية حول مريوط القديمة (٢) .

= واكبر الظن ان موضوعها كان اختطاف بلوتو برسفوني وتجواله من الحزينة وعودة الفتاه العذراء إلى الارض والكشف عن اسرار الزراعة وكانت خلاصة الاحتفال هي زواج خفي بين كاهن يمثل زيوس وكاهنة تمثل ديمتر وكان هذا الزواج الرمزي يشر شمرته بسرعة سحرية عجيبة فقد كان يعقبه بعد قليل على ما ينقله لنا المؤرخون اعلان صريح بان " سيدتنا قد وضعت غلاماً مقدساً " . ( راجع قصة الحضارة ٢ / ١ : ٢٤٣ )

١ - تاريخ الحضارات العام : ٣٦٤ / ١

٢ - حياة المسيح ، عباس محمود العقاد ، ٢٦٦ / ١١ المجموعة الكاملة

دار الكتاب اللبناني بيروت ط ١ ١٩٢٨

وقد ركز ولز على كيفية انتقال كثير من العبادات المصرية إلى غيرها من الامم

ومن بينها عبادة سرابيس . راجع معالم تاريخ الانسانية ٢ / ٢٤٤-٤٦٩

ان هذه الجوانب العقديّة والتعبديّة ، تكشف بصورة واضحة التماثل والتشابه الذي يعتبر القاسم المشترك بين الديانات الوضعيّة الوثنيّة وبين العقائد والأسرار المسيحيّة التي اقتبسها كهنة الكنائس ، ورهبان الأديرة ، فالس الآن لا تزال المسيحيّة تفرق بتعاليم الأسرار ، لتوهم الناس بوجود غفيا لا يعلمها إلا الرهبان . تماما كما كانت الرهبنة اليونانيّة وكهننتها يمارسون هذا الدور .

وبالعودة للحديث عن الحياة الخاصّة التي كان يعيشها الكهنة اليونان والجسدانيّ التي كانوا يدينون بها كالأظمة والقوانين التي تضبط أوضاعهم ففسد قل حديث العلماء عنها ، . (غير أن نوعا من المراسيم والتزام التطهير الجسدي كان مفروضا عليهم . كما أن هناك نوعا من التعاليم الأخلاقيّة والشعارات التي كان يطلقها الكهنة أثناء أداء المناسك التعبديّة في هياكل العبادة أوصفت باحترام الحكمة واليمين وتأديّة واجبات الضيافة (١) .

ثالثا : أثر الرهبنة في المدارس الزهدية والفلسفية :

بعد الاطلاع على بعض صور الرهبنة اليونانية ، وما انطوت عليه من ترهب وتبتل متم بالبساطة ، يجد ربنا الوقوف على الاثر الذي أحدثته في المدارس ، الزهدية والفلسفية .

وسنرى هنا مدى تأثير أصحاب هذه المدارس " كالاورفيين " والفيثاغوريين " ببعض العقائد التي صاغها الرهبان ، كذلك الامر بالنسبة لبعض الفلاسفة كسقراط وارسطو وافلاطون .

وسنرى أن هذه التأثيرات غالبا ما اصطبغت بالنساجية الفكرية والتألمية أما الجانب السلوكي فقد شهد نوعاً فائراً من الترهّب ، ويمكن أن نسميه نوعاً من الزهد . إذ لم تكتمل في هذه الاثناء صورة الترهّب على النحو الأوسع ، فلن نرى فيه قوانين وضوابط ، ولا أديرة وصوامع ، ولا تنظيمات رسمية وكهنوت هيرمسي . بل سنرى فيه نوعاً من الترف الفكري الذي ينطوي على قضايا نفسه تتعلق بالفلسفة والاخلاق .

اما الناحية المهمة في هذا الجانب فتظهر جلية في أثر الفلسفة اليونانية في السعائد النصرانية ، كعقيدة الخطيئة الاولى ، والتضحية ، وضرورة تعذيب الجسد لخلاص الروح ، وغيرها . وسوف نشاهد هذه الملامح من خلال عرض مذاهب الاورفيين والفيثاغوريين ومقبة الفلاسفة .

الفصل الثالث :

أهم المدارس الزهدية في اليونان :

اولا : الاورفية

قد يكون الحديث عن الاورفية أكثر إثارة وأقرب الى مواضيع البحث صلة من حيث نوعية التعاليم والنسك . فقد ذاع في القرن السادس ق . م . نوع من الزهد الصوفي اليوناني المتأثر بالروح الشرقية .

هذا التيار تمثل بنحلة " اورفيوس " (١) والتي دعيت فيما بعد بالاورفية

١ - يشكك العلماء بوجود هذه الشخصية الخيالية لكثرة الاساطيرة التي هيكت

حولها ، الا ان ديورانت يقر بانسه كان شخصا حقيقيا .

انظر : قصة الحضارة ، ج ١ م ٢ ص ٣٤٤

وتقوم تعاليم هذه النحلة على العديد من الآراء العقلية وما تدعى أنه مبادئ أخلاقية . ان اعتدت اعتماداً مباشراً على القصص والأساطير التي زينت بهنسا عقائد ها ، وذلك لتقبلها العامة ، كما إعتدت في أواخر عهد ها على السحر والشعوذة . ونظرا لبعض آرائها التشفية فقد أعتبرت الاورفية بانها تمثل تيارا زهديا فلسفيا وقف في وجه التيار الالمبي الرياضي الذي نشأ متمسكا بحب الجسد والدعوة الى نعيم الحياة ومتعها .

الجانب العقدي لهذه النحلة تمثل في عبادتها لديونيسيوس فقد عبسده الاورفيون وأقاموا حوله الاساطير (١) التي جذبت اليها الكثير من العامة . وفي الجانب النفسي : ألحت الاورفية ( على فصل النفس من حيث هي عنصر روحي عن الجسد من حيث هو عنصر دنيوي . . . فالنفس يمكنها ان تكون قد مرت بتجسيدات سابقة ويمكن أن يكون لها تجسيدات أخرى في المستقبل كما أن بعض الشرور التي تنزل بحياة خاصة يمكن أن يكون سببها إقتراف خطيئة سابقة على هذه الولادة ويمكن للنفس فيما بين تجسيدات مختلفة ان تقيم في الجحيم ) (٢)

(وكانت الترانيم والطسقوس الاورفية ترشد المؤمنين الى ما يجب أن يتبعوه في هذا الحساب النهائي الشامل ، شأنها في هذا شأن كتاب الموتى عند قدماء المصريين ) (٣)

---

١- تقول احدي هذه الاساطير : ان " تزوس " وهب طفله " ديونيسيوس " السلطان على العالم فغارت منه " هيرا " زوجة " تزوس " وألبت عليه طاغية من الالهة الاشداء هم " الطيطان " فكان " ديونيسيوس " يستحيل ضورا مختلفة ويرد هم عنه الى أن انقلب ثورا فقتلوه وقطعوه وأكلوه . غير أن الالهة " بلاس " ( مينيرفا ) استطاعت أن تخطف قلبه ، فتبعث من هذا القلب " ديونيسيوس الجديد " . : تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٦-٧ ، وتاريخ الحضارات العام ١/٢٩٧-٢٩٨ ، وهنذ

الاسطورة تتشابه مع مضمون اسطورة ازيزس وايزوريس وحوروس المصرية  
٢ - : المذاهب الكبرى في التاريخ . البيان ج . ويدجيرى ، ٨١-٨٢

ترجمة : ذوقان قرقوط ، دار القلم ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٧٩

٣ - قصة الحضارة ج ١ ص ٢٤٥

لقيت هذه الآراء اصداً واسعة في اليونان بصورة عامة ، وطى الاخص ظهر هذا التأشير في " الفيثاغورية " التي امتزجت تعاليمها بتعاليم الالورفية ، فقسسد انتقلت إليها عقيدة انتقال الروح من جسد لآخر (١) .

وإن من الجدير بالذكر أن المبادئ هذه والافكار التي انطوت عليها الالورفية كانت بمثابة النواة الالولى للفلسفة فيثا بعد ، وقد ارجع العلماء هذه الآراء الالولى النتيجة التي آلت إليها اسطورة " ديونيسيوس " التي حاكتها مخيلة الالورفية ومومها : " ان الانسان ركب من عنصرين متعارضين : من العنصر "الطيطاني" وهو مبدأ الشر ومن "ديونيسيوس" وهو مبدأ الخير ، فالجسد بمثابة القبر للنفس وهو عدوها اللسدود يجرى معها على خصام دائم " . (٢) .

كما تظهر الروح الشرقية الصوفية في تعاليم الالورفية والشعائر التي كانوا يقيمونها ، وتتضح أكثر في الممارسات العطية التي اعتمدت . فهناك ضرورة التطهر من الشر ، ويكون بالاستحمام باللبن ، أو بالعشاء وتضاف إليه مادة تلونه بلون اللبن . كذلك بالنسبة للقرايين غير الدموية ، وتمثيل قصة "ديونيسيوس" بط في ذلك تقطيع ثور وأكل لحمه نيئاً وتلاوة صلوات كالتي وردت في كتاب الموتى المعروف عند المصريين فقد اكتشفت صفايح ذهبية عليها إرشادات للنفس عما يجب أن تملك بعد الموت من طرق وتتلو من صلوات فكانت هذه الصفايح دليلاً قاطعاً على انهم عرفوا كتاب الموتى وأخذوا عنه (٣) .

ويقرب لنا ديورانت صورة التشابه والتماثل ، بين عقائد الالورفية وما نادى به المسيحية فيثا بعد ، خاصة فيثا يتعلق بعقيدة " الابن المقدس " و " الخطيئة الالولى " و " العشاء الرباني " . فهو يقول عن ذلك :  
( ان هذه العقيدة كانت في جوهرها توكيداً لعذاب " ديونيسس زجرهوس " الابن المقدس وموته وبعثه كما كانت توكيداً ايضاً أن الناس جميعاً سوف يبعثون فسي حياة مستقبلية يشابهون فيها على أعطالهم أو يعاقبون عليها ، وإذا كان الاعتقاد السائد

١ - : دراسات فلسفية واخلافية : ١٢١ ، والمذاهب الكبرى في التاريخ ٨١-٨٢

وقصة الحضارة ٢/١ : ٣٤٧

٢ - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٦-٧ ، وسنرى فيثا بعد أثر ذلك على كل من سقراط وافلاطون .

٣ - تاريخ الفلسفة اليونانية : ٧-٨

ان الجابرة الذين قتلوا " ديونيسيس " هم الذين تناسل منهم الادميون فقد كانت البشرية كلها ملوثة بشئ " من الخطيئة الاولى ، وكان عقابها على هذه الخطيئة ان الروح تسجن في الجسم كأنها في سجن أو قبر ، ولكن في وسع بنى الانسان أن يعزوا انفسهم بأن يعرفوا أن الجابرة قد أكلوا ديونيسيس وأن كل إنسان ينطوى لهذا السبب فسي روحه على جزء " من الالهية الخالدة وكان عباد أرفيوس يتناولون في " عشا " رباني " جماعي لحم ثور نيئاً ويحبل في اعتقادهم ديونيسيس إحياءاً " لذكرى قتل الاله وأكل لحمه واتصاها للجوهر المقدس من جديد ) . ( ١ )

هذا ويرجح أن الاورفية كانت في الأصل على صلة وثيقة بالاسرار ولا يبعد ان تكون أغلب عناصرها مستمدة من الكهنوت المصري ) . ( ٢ )

وقد اعتبر العلماء ان هذه الممارسات والتعاليم تتألف في اطراف نوع من الزهد غريب جدا على الموقف اليوناني المتسم بالاعتدال والانسجام في الحياة النفسية ( الإغريقية ) . ( ٣ )

وكما أخذ الاورفيون عن كتاب الموتى المصري ، كذلك أخذوا فكرة (الولادات المتعاقبة عن الهنود مباشرة أو بواسطة الفرس ، وكانوا يقولون ان الارض للبشر كالخطيرة للماشية ، فلا يحق للنفس أن تهرب من هذه الخطيرة ، وانما واجبها ان تنظر السسى الاجل المحدد من الالهة ، فالانتحار كفر ، إنه عدول عن الامتحان ومن شئت عن الثواب وسيأتي اليوم الذي تتسجوف فيه النفس الصالحة من " دلاب الولادات " وتستعيد طبيعتها الالهية فتحيا حياة روحية في العالم غير المنظور ومن مادتهم ايضا احترام الحياة حيثما وجدت في الانسان والحيوان والنبات ) . ( ٤ )

١ - قصة الحضارة ج ٢ م ١ ص ٢٤٥

٢ - دراسات فلسفية واخلاقية : ١٢١

٣ - المذاهب الكبرى في التاريخ : ٨١-٨٢

٤ - تاريخ الفلسفة اليونانية : ٧-٨ ، وراجع في هذا الصدد أيضا قصة

الحضارة ٢/١ : ٣٤٥



وتؤكد بعض المصادر ان عقيدة تناسخ الارواح ( قد انتقلت الى الاغريق  
عن طريق "فيريكيدس" *PHEREKIDES* وتلميذه فيثاغورس الذي كان معاصرا  
لبوذا معلم الهند ومؤسس الديانة البوذية . ) (١)

ويذكر البعض ان معوثين بوذيين من بلاط الملك اسوكا البوذي قد حضروا  
الى الاسكندرية زمن اليونان ، وأن جالية هندية كانت تتواجد هناك (٢).

وتذكرنا بعض المطامير اليونانية ببعض المبادئ الرهبانية في النصرانية  
( ان بعضها يفرض "تجارب حماسية واخلاقية صارمة تتضمن الاما وتقسفا مريسا  
وجلدا طوافا في الليل على ضوء المشاط ولباسا خاصا ) (٣)

وهذا ما دعنا ديورانت الى القول ( ان الاورفية كان فيها . . اتجاهات  
مثالية هي التي ادت الى الفلسفة الاخلاقية والرهبنة في المسيحية ) (٤)

وكما كان الحال بالنسبة للجماعات الدينية اليونانية التي سبقت الأورفية  
والتي اندثرت وانحمت . كذلك كان نصيب الاورفية ، فلما كان الدجل والخسداع  
عاطلين مهين في انحطاط الدعوات السابقة ، كذلك تسرب الخبث الى نحلة  
اورفيوس إن ( لا ريب في ان الاورفيوسيين قد جمعوا في صفوفهم دجالين وعرافين  
يجوز الاشتباه بهم ولا ريب ايضا ان السحر كان له مكانة في كتبهم القدسة ) (٥)

١ - : العودة للتجسد ص ١٩

٢ - معالم تاريخ الانسانية ٢ : ٤٦٤ وانظر كذلك : الهند حضاراتها ودياناتها

محمد اسماعيل الندوي ص ١١٢

٣ - دراسات فلسفية واخلاقية ص ١٢١

٤ - قصة الحضارة ٢/١ : ٣٤٦

٥ - تاريخ الحضارات العام : ١/٢٩٧-٢٩٨

ثانيا :  
- نحلة فيثاغورس

ألمحنا الى أن نحلة أورفيوس كان لها بعض التأثيرات على الفكر الفيثاغوري .  
الا ان الفيثاغورية ، قد أضافت الى تعاليمها نمطا من التقشف في الممارسة ، فمن  
مبادئها ما يحتم على (الافراد العيش عيشة العفة والبساطة بموجب قانون ينص على  
الطبخ والمأكل والصلاة والترتيل والدرية والرياضة البدنية ) ( ١ ) .

كما أنها نادى بتحريم أكل لحم الحيوان وبعض النبات ومارست السرية فسي  
تعاليمها الدينية والدنيوية وفرضت على أتباعها الكتمان ، وقد أوصلت عقوبة افشائه  
سر هندا سيالى الاعدام ( ٢ ) .

ثالثا :

- نحلة إيزيس ومثرا :

واقترنت نحلة " إيزيس " المصرية بنحلة " مثرا " (الفارسية في غزوبلاد الرومان  
واليونان فسماها اليونان ديمترو) نطوها صفتها المصرية وهي صفة الأومة الكبرى  
أو صفة الطبيعة الأم ، وكان عبادها يوحدون بينها وبين القمر ، ويعتبرونها من شم  
ربة البحر والملاحة ، ويرسمون لها صورا جميلة تنم عن الطهارة والحنان وفي حضنها  
طفل رضيع يشع النور من وجهه رمزا للأومة والبر والبرائة ، وكان كهانها يحلقسون  
رؤوسهم في الغرب محاكاة للكهنة المصريين وكان لها بينهم عابدون وعابدات يسمونها  
حامية البيت والأسرة ، ومن ثم شيوخ عبادتها بين الرومان الذين اشتهروا بتقاليد  
الأسرة ويتقدس حقوق الاباء ولاشك أن المراسم السرية التي تلازم نحلة إيزيس كان لها  
أثرها في تشويق الناس . . . ) ( ٣ )

أليس في هذا الوصف ما يشابه الى حد كبير تلك الصور التي يتخذها  
المسيحيون للعذراء وطفلها يسوع بين ذراعيها ، وما يطلقون عليها من ألقاب  
التقدس ما يفيد انها حامية للبلد الفلاني او القرية الفلانية ٢٢ .

١ - تاريخ الفلسفة اليونانية : ص ٢٠

٢ - المصدر السابق

٣ - حياة المسيح ، العقاد : ٢٦٥-٢٦٦

## الفصل الرابع : اثر الرهينة في الفلسفة اليونانية :

أخذت الفلسفة اليونانية حيزا كبيرا من كتابات العلماء وأبحاثهم، ذلك لان جاذبية الفلسفة اليونانية طغت على هذه الكتابات مما أثر على الابحاث المتعلقة بالدين .

فقد إتسعت آفاق الفلسفة وامتدت أفكارها لتشمل جل المعارف المتعلقة بالفكر ، والعقيدة ، والأخلاق ، وما وراء الطبيعة ، وقد أسست على أثره المدارس المختلفة .

وهنا في هذا الصدد أن نعرف عن هذه الفلسفة ما يتعلق بموضوعنا الاساسي ومدى علاقة الرهينة اليونانية والزهد بها .

وقبل ذلك لا بد من الرجوع قليلا الى الوراثة لكشف بذور هذه الفلسفة وجذورها .

فقد مر بنا في السابق ان السقراط الحضاري بين اليونان والشرق القديم وعلى الخصوص " مصر " قد اسفر عن نتائج هامة بالنسبة للمعرفة والثقافة اليونانية. وما يجب التنبيه إليه أيضا أن ما أخذه اليونانيون عن مصر ( لم يقتصر على ما كان يدون في الكتب ، بل هناك تعاليم شفوية يفضي بها الكهنة الى خلائهم بعد أخذ النيثاق عليهم بعد إفشائها لأنها من الأسرار الصونة التي لا يليق بالعامه أن يعلموها . ومن الحكماة اليونانيين الذين زاروا مصر طلابا : فيثاغورس وديمقراطيس ، وانكسندر ، وفريستندس ، وافلاطون . أولئك تربوا في معابد المصريين ونهلوا من حكمتهم ثم كتب لهم أن يسماوا بالفلاسفة فيم بعد ) (١)

وطيه فيمكن القول بان الشرق له أثر فعال في الشعراء والمفكرين بل يمكن القول أيضا ان التعاليم الشرقية هي التي ( وجهت الفلسفة وجهتها العقلية الروحية على ايدي فيثاغورس وسقراط وافلاطون . وسنجد عند هم عقائدها وتعابيرها كأصول يحاولون ترجمتها الى قضايا عقلية ثم البرهنة عليها . ولما اشتد اختلاط اليونان بالشرقيين شعر فلاسفتهم بالحاجة الى دين فعادوا الى " الاسرار " يشرحون اقوالها بل يصطنعون شعائرها وينسجون على منوالها ) .

١ - دراسات فلسفية واخلاقية : ١١٢-١١٣

٢ - تاريخ الفلسفة اليونانية : ٧-٨

هذه المبادئ والتعاليم اصبحت فيما بعد محور الفلسفة وروحها .  
لقد قعد الفلاسفة هذه المبادئ ووضعوا لها الأطر والقوالب المناسبة  
للتغيير الاجتماعي والسياسي ، وللتطور الذي رافق الحياة اليونانية آنذاك .  
وفي اقوال الفلاسفة الأول ما يشهد على ذلك فسقراط " الاب الاول " للفلسفة  
اليونانية انصبت معظم توجيهاته وتعاليمه حول النفس البشرية ومعالجتها .  
ولقد لجأ الى القواعد المنطقية المستندة الى الدين والأخلاق اليونانية ضد  
التيارات المعارضة والمهادفة الى التشكيك في القيم والمبادئ ، وهو ما قام به  
السوفسطائيون وغيرهم ، فحاول أن يوقف هذا التدهور الخلقي الذي وصل اليه  
الشباب اليوناني .

ولهذا كانت توجيهاته وتعاليمه تهتم بالنفس والسلوك .  
وانحصرت الفلسفة عنده في دائرة الاخلاق ، باعتبارها أهم ما يفيد الانسان  
" فمن مبادئه " ( أن الانسان روح وعقل يسيطر على الحس ويديره ، والقوانين العادلة  
صادرة عن العقل ومطابقة للطبيعة الحقة ، وهي صورة من قوانين غير مكتوبة رسمتها  
الآلهة في قلوب البشر . فمن يحترم القوانين العادلة يحترم العقل والنظام الالهي  
وقد يحتال البعض في مخالفتها بحيث لا يناله اذى في هذه الدنيا ولكنه مأخوذ  
بالقصاص العدل لا محالة في الحياة المقبلة ، والانسان يريد الخير دائما ، ويهرب  
من الشر بالضرورة فمن تبين ماهيته وعرف خيره بما هو انسان اراده حتما ، امسا  
الشهواني فرجل جهل نفسه وخيره ، ولا يعقل انه يرتكب الشر عدواً ، وعلى ذلك فالفضيلة  
علم والرزيلة جهل . ) (١)

ولهذا كان غرض سقراط تنبيه الناس الى وجوب التحلي بالقواعد الخلقية  
لمجابهة خصومه ، ولنبذ الخرافات والشعوذة التي كان الكهنة يمارسونها أمام أعين  
الشعب . وربط تكون هذه التعاليم هي احدى اسباب الحكم عليه بالموت .  
فمثلا ( لما سمع عن نبوءة كاهن دلفي وأنه " أحكم الناس " . . . تسائل مستكرا:  
كيف يمكن أن يكون حكيما وهذه صفة موقوفة على الآلهة؟ ) (٢)  
وصحيح أن سقراط لم ينفس في حمأة الاهداف الكهنوتية إلا أن المسحة  
التقشفية التي التزم بها الرهبان تبرز عنده من خلال فلسفته المتعلقة بالنفس  
البشرية ، خاصة حينما اعتبر أن الحياة مسرح مليء بالآلام لا يتخلص منه الانسان  
الا بالموت فقد خاطب صديقه " كريتسو " عند موته قائلا :

١ - سقراط ( ٤٦٩-٣٩٩ ق م ) فيلسوف يوناني شهير وجه البحث الفلسفي الى  
الانسان ، وكان قبله موجهها الى العالم والاجرام السماوية ، ولذلك قيل انه استنزل  
الفلسفة من السماء الى الارض ، ويعد سقراط مؤسس علم الاخلاق لأنه أول من حاول  
ان يبيني معاملات الناس على اساس علمي ( مبادئ الفلسفة ، ا.س. رابويرت  
ت : احمد امين ص ٢١٧ دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٧٩ م  
٢ - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٥٣

" يا كريستو إن طي ديناً وهو ( ديك ) لا سلكبيوس فلا تنس أن ترد  
عني هذا الدين " . ويقول البعض إن اسلكبيوس المقصود هنا هو رب الشفاء  
( المعادل لـ منحوتب عند المصريين وبالتالي فإن مقصد سقراط هو أن يقدم  
قربانا لرب الشفاء لأنه شفاء من الآم الحياة ) . ( ١ )

وسأتي وصف سقراط على لسان تلميذه واكبر مردييه . . . أفلاطون موضحاً  
زهذا أستاذة واعراضه عن الطذات فيقول :-

( . . . كان طول حياته معرضاً عن متاع الدنيا ، هائماً بالجمال الآسدياً  
إليه وكان يشتد به الهيام فيغيب عن العالم المحسوس ويستغرق في التأمل حتى يحكث  
واقفاً بلا حراك ساعات متواليه بل يوماً بليله ، ثم أنظر إليه في سجنه وقد دنا أجله ،  
ليس يكفي القول في وصف حاله انه لا يخشى الموت أو انه ينتظره بشجاعة فهو مغتبط  
به أشد اغتباط ، هو يعلم أننا ملك الالهة وأن الانتحار انتقاص على ارادتهم ولكنسه  
يرحب بالموت يأتي على يد غيره ، لان الفيلسوف يحس الشوق الى الإلهيات ويحس ثقل  
الجسم يعوقه عن اللحاق بها ، فالموت خلاص النفس ، وبداية حياة جديدة مع الالهة  
والفيلسوف الحق يجتهد ساعة فساعة أن يعيش هذه الدنيا العيشة الروحية التي  
يشتهيها وأن يتعجل الحياة الأخرى بممارسة العفة بمعناها الاسمي وهو الرغبة عن  
اللذة والتجرد عن الجسم والمران على الموت فيلبي جسمه ويصفيه من المادة بقسدر  
الاستطاعة ، لانه يعلم ان سعادته في التشبه بالله . )<sup>٢</sup>

هذه الاشارات كفيلة باجتذاب العنادين بالسلك الرهباني ، وصحيح  
ان سقراط لم يؤسس تنظيم رهبانيا الا ان آراءه الفلسفية وعبارات تلميذه  
عنه توحي بأن نمطا من الحياة المتقشفية كان يلزم سقراط في عيشته ، كما يذكرنا  
وصف افلاطون لـ استاذة بأحوال التقشف والزهد الرهباني الذي مارسه الرهبان  
المسيحيون ، بل يمكن اعتبار هذا المنحى هو من المبادئ الأساسية لنظرياتهم  
وقواعدهم التأملية والفكرية ، والتي سنشهد طرقاً منها في أبواب قادمة إن شاء  
الله تعالى .

غير أن هذه الآراء كان لها أكبر الأثر في تلاميذه من بعده ونعني به  
على وجه الخصوص " افلاطون " الذي اعتبر أمينا على الإرث الفلسفي الذي تركه  
سقراط . . .

١ - الاغريق تاريخ وحضارتهم ص ٢٩٩

٢ - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٩٨-٩٩

- آراء افلاطون (١)

تعددت آراء افلاطون الفلسفية ، فشلت ، الدين ، والسياسة ، والاخلاق  
ويمكن اعتبار ما كتبه في محاوراته والسماة " بالجمهورية " خلاصة آرائه حول  
الامور السابقة .

ففي كتابه هذا يوضح افكاره السياسية ، وقد عالج فيه تصويره لما ينبغي ان تكون  
عليه الدولة مرتبه وفق نظام هرمي وقد خرج بنظرية المدينة الفاضلة او السعيدة بعد  
تحليل لعناصر الدولة المنشودة . وقد بناها على الفكرة الدينية التي هي قوام الاخلاق  
( واساس التنظيم الاجتماعي ولولاها لما كان للحياة نظام ولا كان للعقاب والثواب معنى  
( على حسب ما يذهب اليه ) ، ان الفكرة الدينية أساس النظام في المدينة السعيدة  
وهي الهدف الاسمي الذي يرمي اليه افلاطون في كتابه الجمهورية لذلك نجد ، يقول  
للشبان : ان الامة لا تكون قوية الا اذا آمنت باله يعزى القلوب الجريحة يشجع العزائم  
الخائرة . وان تقسيم الدولة بين الفلاسفة والمماريين والعمال أمر مقدّر من الله ( ٢ ) .  
كما عالج القضايا المتعلقة بالنفس البشرية من خلال نظريتي الكهف والعربة ( ٣ ) ( ٤ )

- ١ - ولد حوالي ( ٤٢٧-٣٤٧ ق م ) الفيلسوف المعروف ، ابن اريستون وبركتيوني  
ولد في اثينا وعاش فيها معظم سني حياته التي بلغت الثمانين ، ومع انه اشتهر بالسياسة  
في البدء ، بفضل اسرته واهتماماته معا ، فقد كرس معظم حياته في التّوحيح للدرس والتعليم  
( ١٠٠ ) : الوجود الالهي ، . . . في تاريخ المذاهب الفلسفية ، سانتلانا .  
تحقيق د . عصام الدين محمد علي ، هامش ص ٢٨ ، مؤسسة الخافقين ، دمشق ، ط ١  
١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- ٢ - من افلاطون الى ابن سينا : د . جميل صليبا ص ٣٣ ، دار الاندلس ١٤٠١  
١٩٨١ - بيروت .
- ٣ - ( لقد شبه افلاطون حياة الناس في هذا العالم بحياة سجناء كهف ظلم ألفوا  
ظلامه ، وقتعوا بالضوء الخافت الذي يتسرب من كوة صغيرة ، طاكسا ظلالا متحركة ، يحسها  
السجناء أشخاصا أو كائنات ، وشتان بين هؤلاء وبين من ينطلق في الفضاء الفسيح ،  
حيث الشمس المشرقة وحيث الحقائق السافرة ، ان الفيلسوف وحده هو الانسان الذي  
استطاع ان يخرج من كهفه . وان يبصر الاشياء كما هي ، ولذا كانت اسطورة الكهف تعبيرا  
فنيا رمزيا عن المعرفة الحقّة في نظر افلاطون ) . . . : دراسات فلسفية واخلاقية  
ص ١٤٥ وانظر كذلك : تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٧٤
- ٤ - هذه النظرية في رأيه تعبير عن الفضائل الثلاثة التي تدبر ( قوى النفس الثلاث ) :  
الحكمة فضيلة العقل - تكلمه بالحق - والعفة فضيلة القوة الشهوانية تطف الا هو  
فتترك النفس هادئة والعقل هرا - ويتوسط هذين الطرفين الشجاعة وهي فضيلة القوة  
الغضبية تساعد العقل على الشهوانية فتقاوم اغراء اللذة ومخافة الألم ) تاريخ  
الفلسفة اليونانية ص ٩٥

وقد ركز افلاطون فلسفته على الجمال واتخذ من هذه الدراسات وسيلة للوصول الى نظرية الحقل ( ١ ) .

ومن خلال النظريات الثلاث نستطيع ادراك أهمية الزهد والتشكف بالنسبة له . فنظرية الكهف ترمز للسجن العام الذي يفرضه البدن على النفس كلما كانت خاضعة لرغباته وميوله . فلماذا ما تحررت وارتقت عن الرغبات والسيول استطاعت أن تتخلص من البدن نهائيا واستطاعت أن تُحصّل المعرفة اليقينية . وهذه هي النقطة التي نلمس فيها نوعا من الزهد والرهبنة ، وذلك لقهر البدن والصمود أمام رغباته .

أما نظرية العربة فتظهر فيها عملية التوازن ، والتي يعطي فيها القيادة للعقل الذي يوازن بين القوة الغضبية والقوة الشهوانية ، فلو تُركت النفس تحت رحمة القسوة الشهوانية لَدُمَّت النفس بخضوعها التام للبدن - ولو خضعت للقوة الغضبية لدمرت النفس ايضا ولو أعطيت القيادة للعقل لنجت النفس واستقامت وصلح امرها لان العقل هو الذي يعطي التوازن والانسجام بين القوتين الاخيرتين .

والنظريتان : أدتا الى بذور الزهد وقهر البدن والتخفف من مطالبه وشهواته وهذه من المبادئ الاولى التي تبنتها الرهبانية المسيحية .

وتتضح آراء افلاطون في فلسفة النفس والعلم من خلال ما يراه بالنسبة لمعرفة النفس ، فيذهب الى ( أن النفس لا تطلع على المعرفة بواسطة الاحساس بل تتذكر علمها الأبدى الذي كان لها قبل أن تتصل بالجسد ، لقد كانت النفس في السماء تسيّر مع الآلهة وراء مركبة جوهرية ، إن العالم العقلي وظيفتها الحقيقية ، إنها لسبب ما أعرضت عن تأمل المعقولات فأضاعت أجنحتها وهبطت إلى الأرض وجاورت خراب الجسد ونسيت ما كانت تعلمه من حقائق الأشياء يوم كانت في السماء فالعلم إن كان هو تذكر النفس لما نسيت من الحقائق أو هو صعود من العالم المحسوس الى العالم المعقول ولا يستطيع المرء أن يرتقي من الحوادث الى ظلها أو من الإحساس الى الصورة إلا إذا كان مؤيدا

١ - هي نظرية عقلية تذهب الى : وجود عالم مواز لوجود هذا العلم كنتيجة منطقيّة للمبدأ القائل : الخير والحق والجمال لا يخرج منها الا نظائرها وامثالها أي : الخير والحق والجمال . فهو يقول مثلا : ( ما من شيء في هذا العالم ، إلا وله في العالم العقلي معنى يقابله ، هو عطاء وجوده ومنبع حياته ، وأصل حركته ، وموضوع طمنا به . فالإنسان مثلا ، والحيوان والنبات وكل ما ثبت نوعه واستقر وجوده بخلاف الامور الطارفة ، له في العالم العلوى مثال بسيط جرد عن القشور المادية والطوارئ الحسية . . . )

الوجود الالهي . . . في تاريخ المذاهب الفلسفية ( سانتلانا ) ص ٦٨

النفس بشدة الصفا . ان ادراك الحقائق الخالدة ليس بالامر السهل لان الناس تعودوا في كهف الحياة ان يذكروا الظلال ويعرضوا عن أسبابها الحقيقية ( ١ ) .

ويركز افلاطون اهتمامه على النفس من حيث هي قوة هائلة ينبغي الانتباه اليها وظائفها ، ويحذر من ان يفسد في ابطال هذه الوظيفة : ( إن الجسد سجن للنفس لذلك فانه يجب على جميع الجهود أن تكون بعيدة عن السعي الى الارتفاع بواسطة العالم المحسوس ، ان تتجه الى التخلي عن هذا العالم ) ( ٢ ) .

هذا ما استطاع افلاطون أن يقدمه من آراء الى الزهاد والنسك

فيما بعد والذين نهلوا هذه السبيل ووضعوها نصب اعينهم .

الا ان الاخطاء الاكثر اثارا تلك التي تتعلق بمسألة شيوعية المال والنساء على اعتبار أن نظام الاسرة يغذي الانانية في نظره وأن العمل الوحيد لكسب ولا للناس جميعا للوطن هو تخريج جيل من الاطفال لا ينتسبون الى أب وأم معينة وانما ينتسبون الى الدولة التي تربيتهم وتحدد تخصصهم ، وكذلك المال ملك مشاع بين الناس جميعا يمكن لاي انسان ان ياخذ منه ما يريد . وهذا بلا شك يودي الى عكس ما اراده افلاطون وهو انهيار المجتمع وشمول الفوضى .

وليس في نهاية المطاف من القول إن مقولات افلاطون الفلسفية وآراء المنطقية لم تأت من فراغ ، فالى جانب تأثيرات استاذ سقراط جاء الجانب المصري الذي أضفى على هذه المعارف صبغة شرقية بلون صوفي . فالمعروف والمعارف الكهنوتية المصرية أثرت الى حد بعيد في أفكار افلاطون ، فمن خلال تجواله وترحاله في طلب المعرفة ( سافر الى مصر وهو يذكرها في غير ما موضع من كتبه ولا سيما ( الجمهورية ) و ( القوانين ) ذكر من عرفها معرفة شخصية وانتهاز الفرصة فذهب الى قورينا لزيارة عالمها الرياضي تيودوروس ويدرسه وطال الى مصر ف قضى زمنا في عين شمس واتصل بعدرسها الكهنوتية واخذ ينصيب من الفلك ولا بد ان يكون استفاد ايضا بملاحظة الديانة والحكم والاخلاق والتقاليد فان في مؤلفاته الشواهد العديدة على ذلك ) ( ٣ )

١ - من افلاطون الى ابن سينا ص ٢٦-٢٧

٢ - المذاهب الكبرى في التاريخ : ٨٨

٣ - تاريخ الفلسفة اليونانية : ص ٦٣ . ويلاحظ ان هذه الفلسفة التي ظهرت على يديه قد صبغت الفلسفة ( عامة ) بطابعها الخاص ووضعت لها النظام والمنهج المنطقي حتى بدت على ما هي عليه الآن ثم طادت مصر تنتفع بها في مدارس الاسكندرية وان كانت قد مزجت بالدين في صورة ما يسمى بالافلاطونية المحدثة مثلا ( دراسات فلسفية واخلاقية ص ١١٣ وقصة الحضارة ١/٣ : ٢٤٦ ط ٢ ١٩٥٧ م )



واذا هذا الحشد ، فإنه لا مندوحة من القول : ان ما تبناه افلاطون من مبادئ فلسفية واخلاقية ونظريات فكرية كانت ماثرا اعجاب الكثير من العلماء والادباء والفلاسفة ورجال الدين المسيحي وعلى الخصوص الذين بهرتهم الفلسفة اليونانية ، خاصة ما تعلق منها بالجانب النفسي والتأملي .

ومن أعجب بذهب افلاطون وسار عليه ، أحد ابرز رجالات هذه الوسط المسيحي وهو " اوغسطين ، اضافة الى العديد من اباء الكنيسة (١) فقد الف أوغسطين ( كتابا اسماه مدينة الله مستوحيا منه فلسفة افلاطون . ( ٢ )

وسيتضح فيما بعد مدى الاثر الذي تركته الفلسفة اليونانية على الفكر الديني المسيحي ، وسنرى مدى التزام الرهبانية بهذا الفكر ، وتطبيقها العملي له .

---

١ - من افلاطون الى ابن سينا ص ٣١

٢ - : فلسفة الفكر الديني بين الاسلام والمسيحية . لويس غريديه . ج . قنواتي

ت : د . الشيخ صبحي الصالح والأب فريد جبر ، دار العلم للملايين ، بيروت

ط ٢ ، ١٩٧٨ .

الكتاب السادس :

الاسس العقديّة  
الرهنية اليهودية  
والسرد عليها

### التمهيد :

شغلت الاوساط العلمية المختصة بالاثار والتاريخ في اواسط هذا القرن بثلاثة اسما\* لفرقة يهودية تمنت بدأ الرهينة في نظامها وهذه الاسما\* هي : الاسينيون - الحسيديون - جماعة وادي قمران .

ومن الغريب حقا أن تقوم في الوسط اليهودي الديني فرقة تتسادي بالرهينة و تلتزم التزاما كاملا بالمبادئ\* التقشفية والنسكية ، كاي نحلة سابقة عليها مارست الزهد والتبتل . والغريبة تكمن في كيفية اكتشاف هذه الفرقة والملابسات التي رافقت هذا الكشف ، اضافة الى تلك التطورات التي اعقبت عمليات البحث والتنقيب ، وما نجم عنها من اراء\* متباينة بين علماء التاريخ والاثار ومقارنة الاديان .

ومن خلال الفصول القادمة سوف نستعرض جميع هذه التطورات لنصل الى الاسس العقديّة لهذه الفرقة والمبادئ\* التي نادى بها وعلمت من اجلها .

### بدايات الكشف :

يتفق العلماء\* والمؤرخون على وجود فرقة يهودية قديمة مارست مبادئ\* الرهينة والتقشف في نظام حياتها ، ثم ما لبثت ان انقرضت فيط بعد ، ومع هذا الاتفاق هناك خلاف حول تحديد تاريخ نشأة هذه الفرقة والعصر الذي وجدت فيه ، الى جانب الخلاف حول تحديد اسم هذه الفرقة على وجه القطع . ولهذا نجد هذه التسميات الثلاث تتردد في ابحاث العلماء\* كل حسب اجتهاده . ولا بد من الاعتراف بان هذه الفرقة لم تكن محسطة انظار العلماء\* على الاقل قبل عام ١٩٤٧ م ، لان هذا الكشف يعتبر بالنسبة اليهم اهم اكتشاف في مجال مقارنة الاديان في العصر الحديث ، حيث تم التعرف على بعض خبايا التاريخ القديم والذي يعود الى ما قبل الميلاد بحوالي قرن أو قرنين على خلاف بين العلماء\* .

ويرجع إ هتلم العلط\* بهذا الاكشاف الى تلك المخطوطات التي  
عثر عليها عام ١٩٤٧م - ١٣٦٦هـ قرب البحر الميت جنوبي أريحا في وادي قمران  
حيث توالت الفرق العلمية والاثرية للبحث والتنقيب عن اثار تلك المنطقة القديمة .  
وتعود القصة إلى أن شابا ( في الخامسة عشرة من عمره من عشيرة  
عرب التعامرة واسمه ( محمد الذيب ) قد اشتهر اسمه بعد مرور عامين من عثوره  
على المخطوطات عندما تم استجوابه وسجلت معلوماته . وبناء على كلامه تبين  
انه وجد المخطوطات في شهر شباط عام ١٩٤٧ م ( فبينما كان ) يرضى قطيعا  
من الاغنام في المنفوح الواقعة في البرية التي تشرف على البحر الميت من الغرب  
ولما افتقد احدي معزاته اخذ يبحث عنها في تلك الكهوف حتى ظن انها قفزت  
داخل كهف فرماها بحجر ليبردها ولكنه سمع تكسيرا وانى فخارية فاثار هذا  
الصوت فضوله ونادى رفيقا له فهبطا الى الكهف حيث وجدا المخطوطات هناك ( ١ )

وقد تعددت الروايات المتناقلة حول وصول هذه المخطوطات الى علما\*  
الاثار ، وعلى اثر ما تم اكتشافه قامت بعثات وهيئات علمية ودولية بالبحث والتنقيب  
حول تلك المسغرات ومن ثم امتدت الاكتشافات الى خربة قمران والتي كانت  
في السابق معسكرا للقمرانيين اصحاب هذه المخطوطات ( ٢ ) .

ولم تغل هذه الروايات من روح الاثارة والتشويق لكثرة ما رافقها  
من عطيات فحس وتتبع وعرض من قبل العلط\* لتحديد تأريخها والتعرف على محتوياتها  
كما لم تغل من جرائم السرقة الفردية التي تعرضت لها تلك المخطوطات خاصة  
على يد المطران صوفيل ( ٣ ) وما تبعها من جرائم اغتصاب على يد سلطات  
الاحتلال الصهيوني بعد دخولها القدس عام ١٩٦٧ م .

ومتوالي الاكتشافات اخذت المراجع العلمية الغربية تكثف ابحاثها  
في تلك المنطقة وتكتشف في كل مرة كهونا ومغارات تحتوي ادراجا نحاسية وجرارا  
خزفية تتضمن اعدادا كبيرة من المخطوطات باللغة العبرية والتي اختلف العلماء\*  
بداية في تحديد زمن تاريخها ( ٤ ) .

١ - مخطوطات البحر الميت ، محمود العايدى ص ٥٤ ، جمعية عمال الطابع  
التعاونية ، عمان ، ١٩٦٧ ، وراجع في هذا الصدد : التوراة بين الوثنية والتوحيد  
سهيل ديب ، ص ٨٥ دار النقايس ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م

٢ - راجع الفصل الاول من "مخطوطات البحر الميت" ، للعايدى .

٣ - المرجع السابق ص ٣٣٢ - ٣٥٢ وانظرا ايضا : مخطوطات البحر الميت ،  
حسين عمر حطادة ص ١١١ ، دار منارات للنشر ط ١ ، ١٩٨٢ ، عمان الاردن .

وقد اصدر هذا المطران كتابا سماه "كنز قمران" ، مدارج البحر الميت شرح  
فيه قصة تلك الادراج ، ودافع فيه عن أعماله التي قام بها .  
٤ - مخطوطات البحر الميت ، للعايدى ص ٥٥ - ٧٠ .

وتكمن قيمة هذه المخطوطات لدى العلماء تبعاً لما تحتويه من أسفار  
للعهد القديم باللغة العبرية الى جانب عدد كبير من المؤلفات التي كتبها جماعة  
وادي قرمان ، وعقب هذا الحدث اختلفت آراء العلماء حول الاثر الذي يمكن  
ان يحدثه فيما بعد على اكثر من صعيد .  
فلقد اثار تلك المخطوطات العديد من الدوائر العلمية التي ابدى  
كتابها كثيراً من الآراء والتعليقات حتى بلغت الكتابة حولها الاف المقالات ونشرت  
عنها عشرات الكتب ، ( ١ ) كما طرحت هذه النصوص الكثير من التساؤلات حول  
المضامين العلمية التي تتطوى عليها هذه المخطوطات ، ويمكن اجمالها بالاتي :

- ( ٢ ) - اعتبر البعض ان هذه المخطوطات مزيفة ولا تتضمن اي قيمة علمية  
بينما ذهب فريق الى انها اصلية وتعود الى طائفة القرانيين التي حاولت اظهار  
زيف الفرق اليهودية ، كالصدوقيين والغريسيين ، وكشف حقيقتهم . وان هذه  
الفرق الضالة قد حرقت التوراة الاصلية ، وان جماعة قرمان توهم برسول اخر  
الزمان الذي سيأتي وتكون علامات النبوة في جسمه ( ٣ ) .  
كما اعتبر البعض ان هذه الاكتشافات ما هي الا على مضمخ يهدف الى  
النيل من الحقوق الاسلامية انطلاقاً من استغلال اليهود لهذه النصوص لصالحهم  
الخاصة ولا ثبات احقيتهم بفلسطين كما يزعمون ( ٤ ) .  
كما يذهب البعض الآخرون الى ان هذه المخطوطات سوف تعيد النظر  
في كثير من العقائد المسيحية التي يدعيها النصارى حالياً وانها ستكون ضربة  
موجهة الى اصول النصرانية الوثنية ( ٥ ) .  
وبؤكد البعض انه لن يكون هناك اثر كبير في تغيير نصوص العهد  
القديم الحالية لشابهة تلك المخطوطات للنصوص الموجودة الان ( ٦ ) .

- 
- ١ - الموسوعة الاثرية العالمية لمجموعة من العلماء باشراف ، ليونارد كوتريل ، :  
ت : د . محمد عبد القادر محمد ، ود . زكي اسكندر ص ٢٥٧ ، الهيئة  
الاصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ م القاهرة ، وراجع في هذه الصدد : مخطوطات  
البحر الميت ، حسين حمادة ص ٧ ، وحياة المسيح للعقاد ١١/٢١٣ .  
٢ - الموسوعة الاثرية العالمية ص ٢٥٨  
٣ - محاضرة عن " مخطوطات البحر الميت ، والبحث في اصول النصرانية الاولى "  
القاها د . فاروق عبد الله بتاريخ ٢٢ ربيع الاول سنة ١٤٠٦ هـ في جامعة  
الملك عبد العزيز بجدة ، كلية الاداب والدراسات الانسانية .  
٤ - مخطوطات البحر الميت " حمادة ص ١٣٠ .  
٥ - محاضرة د . فاروق عمر عبد الله .  
٦ - الموسوعة الاثرية العالمية ص ٢٦٠

وفي غياب غالبية النصوص المكتشفة ، وبعد ها عن ايدي العلماء المسلمين المتخصصين في هذا المجال ، فان الاسئلة لا تكاد تنقطع حول هذه المخطوطات ، وملايساتها ، خاصة اذا طمنا ان قسطا كبيرا منها لا يزال رازحا تحت الاحتلال اليهودي في القدس ، . حيث تعكف دائرة يهودية مختصة ، على دراسة محتوى المخطوطات منذ ما يزيد على ثلاثين سنة دون ان تخرج للناس الا النذر القليل من المعلومات ، ولهذا اطلق على هذه اللجنة اسم "الدائرة السحورة"<sup>(١)</sup> وتوجد مخطوطات في الاردن هي جزء من تلك الاجزاء المكتشفة .

وحيث ان هذا الاكتشاف يعتبر بركا فانه من المؤكد مضي وقت طويل حتى يتم التوصل الى معرفة ما خفي حتى الان من امر هذه المخطوطات ومضامينها ، وما الابحاث التي سنتناولها في هذا الموضوع سوى خلاصة لما توصل اليه العلماء حتى الان ، ولا بد من الاشارة الى ان المواضيع التي سيتطرق اليها البحث لا تتعلق الا بما يهم ويتصل بالرهينة اليهودية موضوع الدراسة .

#### أ : الخلاف حول التسمية :

هناك خلاف واضح بين العلماء حول تسمية اصحاب المخطوطات المكتشفة في وادي قمران ، ومرد الخلاف يعود الى ان المخطوطات لم تذكر اي اسم لتلك الجماعة<sup>(٢)</sup> ولهذا يطلق البعض عليهم اسم ( القمرانيين ) ، نسبة الى الوادي الذي نزلوا فيه ، ويطلق اخرون اسم "الاسينيين"<sup>(٤)</sup> على هذه الفرقة ، لان يوسيفوس<sup>(٥)</sup>

- ١ - محاضرة د . فاروق عمر عبد الله .
- ٢ - مخطوطات البحر الميت " للعبادي " ص ٢٧١ ، وراجع ما جاء في هذا الخلاف في ص ٢٨٢ وما بعدها ، في نفس المصدر السابق .
- ٣ - مخطوطات البحر الميت " للعبادي " ص ٢٧٣
- ٤ - (لا يعلم أحد بالضبط المعنى الحقيقي لكلمة ( أسيني ) فقد تضاربت فسي شرحها الآراء وكلها تستند الى حقيقة تاريخية أو صفة ادبية كانت تلازم جماعة الاسينيين ) راجع : " كنز قمران ، مدارج البحر الميت ، الطران اثناسيوس يشوع صموئيل ص ٢٠٨ ت : القس الفونس شوريز ، نشر تاوفيلوس جورج صليبيا ، ١٩٨٥ ، لبنان . وقد عدد هذا المصدر المعاني التي يمكن ان يكون هذا الاسم قد اشتق منها . ولكنها جميعها تخمينية .
- ٥ - مؤرخ يهودي ولد سنة ٣٧ او ٣٨ م وكانت أسرته من كبار الكهنة وقد اتبع مذاهب الغريسيين وسافر الى روما ، وقد كتب عن الفرق اليهودية الثلاثة ومن بينهم الاسينيين راجع في هذا المصدر : مخطوطات البحر الميت " للعبادي ص ٤٧-٤٨ وكنز قمران ص ٢١١

المؤرخ اليهودي أرخ لفرقة يهودية وسماهم "بالاسينيين" ، وربما تكون هذه التسمية طارئة على نحلة جماعة قمران من فرقة يونانية الاصل كانت تسمى بنفس الاسم ، وانها كانت تمارس حياة الرهبنة ابان العهد البطلمي<sup>(١)</sup> ، وقد اطلق على هذه الزمرة اليونانية اسم اخر هو "المتنطسون" اي الاطباء .  
وبناءً عليه فقد اعتبر الاستاذ العقاد ان هؤلاء المتنطسين ربط كانوا اساتذة لجماعة وادي قمران<sup>(٢)</sup> . وقد استند في ذلك الى اليهودي فيل<sup>(٣)</sup>ون الذي قال : ( ان اتباعها كانوا يجتمعون يوم السبت ويتفرقون بعد ذلك فسي الصوامع للتأمل والدراية الفلسفية ورياضة الروح والجسد واسمهم اليوناني معناه الاساة أو المتنطسون واكثر صوامعهم كانت على مقربة من الاسكندرية حول مرسوط القديمة . (٤) .  
والى جانب ذلك هناك من يذهب الى تسميتهم بـ "الحسيديين" اي :  
الأتقياء<sup>(٦)</sup> او المستحسين . وقد اعتبر البعض جماعة قمران جزءاً من الحسيديين<sup>(٧)</sup> وهي فرقة محاربة كانت كبيرة العدد متشعبة الفروع<sup>(٨)</sup> وعنها اخذت تعاليمها<sup>(٩)</sup> .

١ - راجع : اليهود في مصر في عصر البطالمة والرومان ، د . مصطفى كمال عبد

العليم ص ٢٨٨ ط ١ مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٨ م ومخطوطات البحر الميت "لحمادة" ص ٤١-٤٢

٢ - راجع : حياة المسيح ، عباس محمود العقاد المجموعة الكاملة ١١/٢١٦ دار الكتاب اللبنانية بيروت ط ١ ، ١٩٧٨ .

٣ - فيلون ( ٢٠ ق م - ٦٠ م ) فيلسوف يوناني من اصل يهودي . ولد في الاسكندرية ، اط فلسفته المستزجة بفلسفة افلاطون والتوراة فقد اثرت على الاداب المسيحية ( : كنز قمران ص ٢١٠ )

٤ - راجع حياة المسيح ، للعقاد ، ١١/٢٦٦

٥ - الاسفار المقدسة السابقة للاسلام . د . علي عبد الواحد وافي ص ٥٨

وكذلك راجع : الديانات والمعابد ، للمطار ٢/٣٧٣

٦ - داهرة المعارف ، فؤاد افرام البستاني ١٢/٣٧٢

٧ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٧٤

٨ - مخطوطات البحر الميت "للعابدي" ص ٢٧٢

٩ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٧٤

ويؤكد البعض ان هذه الفرقة هي جزء من الغريسيين التي تقف في الوسط بين اليحيين اليهودى المتمثل بالصدوقيين وبين اليسار المتمثل باصحاب يهوذا الجليلي (١)

الا انه من غير الجائز اطلاق اى من هذه التسميات على وجه السقط و ذلك لعدم توفر الادلة الاكيدة على صحة ثبوت اى اسم من التسميات السابقة ، وان الوقت لا يزال مبكرا لمعرفة الاسم الحقيقي لهذه الفرقة على الوجه العلمي الصحيح . ولكن الامر الذى يسرتاح له اطلاق لفظ جماعة وادى قمران ، وذلك لثبوت وجودهم في ذلك المكان ، او القمرانيين . كحل يبدئي (٢) .  
وانما استعملت لفظة "الاسينيين" في هذا البحث ، فذلك وفقا لما تعارف عليه العلماء حتى الان لاعلى الوجه القطعي انما من باب التجوز .

#### ب - الاماكن والاشارة المكتشفة :

ظلت الاكتشافات والتنقيبات تتوالى في وادى قمران وما جاوره مدة طويلة كان ختامها عام ١٩٥٦ (٣) حيث تم اكتشاف المغارة الحادية عشرة ، والاخيرة والى جانب الاحد عشر كهفا التي اكتشفت محتوياتها تم الكشف ايضا عن كهف المربعات التي تبعد ١٥ كلم عن الاماكن المكتشفة الاولى وكذلك امكن التعرف على خربة قمران (٥) وهي التي كانت في السابق معسكرا للقمرانيين ، مارسوا فيه حياة العزلة والرهينة بعيدا عن المجتمعات اليهودية الاخرى ، كما امكن التعرف على خربة المردي ، ووادى الدالية (٦) . (٧)

- ١ - راجع : مخطوطات البحر الميت " للعابدى ص ٢٨٧ ويرى البعض ان رئيس هذه الفرقة والذى اطلق عليه اسم " استاذ الحق " انه هو السيد المسيح عليه السلام . راجع : التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٩٧
- الا ان صاحب هذا المرجع يذهب الى ان ذلك من باب الافتراض فقط دون الجزم وذلك لاختلاف التاريخ بين " استاذ الحق " وبين المسيح عليه السلام . راجع ص ٩٠ منه
- ٢ - وقد ذهب الى هذا الراى د . فاروق عمر عبد الله في محاضراته عن هذا الموضوع
- ٣ - انظر : التوراة بين الوثنية والتوحيد ، ص ٨٦
- ٤ - مخطوطات البحر الميت " للعابدى " ص ١١١
- ٥ - المرجع السابق ص ١٢٥
- ٦ - دائرة معارف فؤاد البستاني ١٢ / ٣٧٠
- ٧ - مخطوطات البحر الميت " لحطاة " ص ٢٢



وجميع هذه الاكثة عشر فيها على اثار عمينة تراوحت بين جرار خزفية كانت تحتوى على تلك المخطوطات المشار اليها ، والى جانب ذلك عشر على قطع نقدية معدنية بلغت حوالي ٥٠٠ قطعة امدت الباحثين ببعض التواريخ التي يمكن ان تعود اليها ازمة تلك المخطوطات أو زمن وجود جماعة وادى قمران ، وهذه القطع لها تتابع زمني متصل تقريبا لحوالي ٢٠٠ سنة ويصل تاريخ ثلاث منها الى عهد الملك هيرودس (٢).

### ج - المخطوطات المكتشفة :

المخطوطات المكتشفة هي بلغات متعددة منها العبرية القديمة المعروفة باسم ( PALEO HEBREW ) وعبرية احدث واليونانية والارامية والنبطية . (٣)

ويمكن تقسيمها الى قسمين :

- قسم يختص باسفار العهد القديم

- وقسم يختص بكتب جماعة وادى قمران نفسها ألغها طائرهم وروءاؤهم أما القسم الاول :

- فقد اشتمل على الاسفار التالية : سفر اشعيا ، وضم اكبر وا قدم مخطوط  
بها في ذلك الجزء الموجود في الجامعة العبرية (٤)  
- سفر تثنية الاصحاح - نص لسفر ايوب بالارامية (٦)  
- مزامير التسابيح والشكران الموجودة في القطع الاربع المتفرقة . (٧)  
- تفسير لسفر حبقوق والتعليق عليه . (٨)  
- سفر لا موك - كتاب ( أو سفر ) اللاويين (١١)  
- ومن هذه الاسفار ايضا \* ميخا ، ونحوم ، ودانيال وطاموس والخروج (١٢)  
وصوفيل ، وهذه الاربعة الاخيرة هي مقاطع منسوخة فقط .

- ١ - انظر : العرب واليهود في التاريخ . د . أحمد سوسة ص ٢٧٧ ، العربي للاعلان والنشر والطباعة والترجمة ، ١٩٧٥ .
- ٢ - الموسوعة الاثرية العالمية ص ٢٥٨ ، الا أن البستاني يوصل هذه القطع الى خمسمائة وخمسين قطعة ، سكتها مدينة صور الفينيقية في منتصف القرن الثاني فالتقرن الاول قبل الميلاد وكانت قد نغست في جرار ثلاث بعضها من البرونز يحمل اسم يوحنا هركانس الاول ابن سيمان واسم ابنه الاسكندر ابن يوناثان والقليل جا \* باسم هركانس الثاني وهيرودس الاكبر وقد ابرز المصدر نفسه بعض الصور لهذه النقود راجع : دائرة فؤاد البستاني ٣٧٨/١٢
- ٣ - التوراة بين الوثنية والتوحيد ، سهيل ديسب . ص ٨٣
- ٤ - مخطوطات البحر الميت " للعابدي " ص ٧١
- ٥ - الموسوعة الاثرية العالمية ٢٥٩ ٦ - العرب واليهود في التاريخ ص ٢٧٧
- ٧ - مخطوطات البحر الميت ، للعابدي ص ٧١ ٨ - دائرة فؤاد البستاني ٣٧١/١٢
- ٩ - مخطوطات البحر الميت " للعابدي " ص ٧١ ١٠ - المرجع السابق ص ٨٠
- ١١ - العرب واليهود في التاريخ ص ٢٧٧ ١٢ - دائرة فؤاد البستاني ٣٧١/١٢

ويذهب البعض الى القول انه بالاستطاعة جمع (توراة كاطة من مخلفات هذه الكهوف باستثناء سفر استير وميزتها انها وردت بلغتها الاصلية مترجمة عن اليونانية كالتي بين ايدينا وانها اقدم منها بالف سنة (١) .

كما ان هذه الكتب تحيد القراءة السبعينية اكثر من القراءة الطسورية (٢)  
(٣) ( MASSORITIC )

ولا شك ان هناك مهالفة في هذا الموضوع ، طم بان هذه السائل بحاجة الى وقت " ان لا تزال امام الباحثين كمية هائلة من العمل لوصول القطع بعضها ببعض وترجمة نصوصها الصعبة (٤) وهذه العلية بحاجة الى جهود كبيرة اضافة الى الامكانيات الضخمة . (٥) .

اما القسم الاخر من هذه المخطوطات فهو يشتمل على كتب خاصة بجماعة وادي قمران واهمها :

- (٦) او كتاب النظام - قانون الجماعة - الشواهد (٧)  
- وثيقة دمشق (٨) - التقويم (٩)  
- قانون الاخلاق (١٠) - الابراج (١١)  
- الترانيم (١٢) - كتب التفسير (١٣)  
- الطحمة او " قانون الحرب او حرب ابنا النور وابنا الظلام (١٤)  
- جدول الكنوز . (١٥)

- 
- ١ - مخطوطات العابدى ص ١٣٦ والموسوعة الاثرية ص ٢٥٩  
٢ - الموسوعة الاثرية ص ٢٥٩ والقراءة السبعينية قد اشتهرت "بالترجمة السبعينية" ( VERSION de SEPTANTE ) وهي التي تمت في سنتي ٢٨٢-٢٨٣ ق م على ايدى اثني وسبعين حبراً من يهود مصر بامر بطليموس فيلادلف . راجع الاسفار المقدسة ، د . الوافي ص ١٨ وراجع كذلك : التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ٨٣  
٣ - نصوص الاسفار المسورة ( او الطسورية ) اى الضبوتة بالشكل العبرى المعروف راجع ، مخطوطات البحر الميت " لحطادة " ص ٣٦ ، وللمزيد يراجع : مخطوطات البحر الميت " للعابدى " ص ٧٠ و ٢٢٠ وما بعدها .  
٤ - الموسوعة الاثرية ص ٢٥٩  
٥ - طم بان كثيراً من القطع هذه ليس من السهل وصلها ، وربط بحاجة الى الاتخاصة لهذا العمل .  
٦ - دائرة معارف فؤاد البستاني ٣٧٠/١٢ - ٣٧١ ومخطوطات البحر الميت " للعابدى " ص ٧١  
٧ - دائرة معارف فؤاد البستاني ٣٧٠/١٢ - ٣٧١  
٨ - // المرجع السابق . ٩ - المرجع السابق  
١٠ - المرجع السابق ١١ - المرجع السابق  
١٢ - المرجع السابق ١٣ - المرجع السابق ومخطوطات " للعابدى " ص ٧١  
١٤ - المرجع السابق ومخطوطات " للعابدى " ص ٧١  
١٥ - المرجع السابق ٣٧٠/١٢ - ٣٧١

د - محاولات للتعرف على تاريخ القمranيين وهويتهم :

حاول العديد من طما\* مقارنة الاديان استقرا\* تاريخ فلسطين القديم ومراجعة النصوص الواردة في المخطوطات التابعة للقمranيين وذلك لمقابلتها بالاحداث التي جرت ايان تلك الحقب ، ومن ثم البحث عن ابرز الشخصيات التي دارت حولها تلك النصوص ، تمهيدا للتعرف على الزمن الحقيقي لنشأة هذه الفرقة وأسباب وجودها بين اليهود .

ويلاحظ أن كتابات الباحثين في هذا الصدد قد أصيبت بالحييرة والاضطراب لصعوبة الخوض في هذا الموضوع الشائك ، وتكمن الحيرة في الالتباس الحاصل في تحديد الفترة الزمنية لوجود هذه الجماعة ، إذ أن الحروب والمنازعات الداخلية والخارجية ما فتئت تتواصل إبان تلك العصور ، وقد إنعكست سلبا على أوضاع القمranيين ، مما تسبب في ضياع الكثير من أخبارهم وتواريخهم الخاصة بهم .

يضاف إلى ذلك أن النصوص لم توضح تاريخ الأحداث التي مر بها القمranيون ، كما غابت اسما\* الشخصيات البارزة فيهم والتي تصدرت الرئاسة أو الرئاسة .

وقد ازدادت الحيرة حينما أوردت هذه النصوص عبارات وإشارات عامة غير محددة من الممكن جداً إلصاقها بأي عصر من العصور التي وجد فيها اليهود في الماضي ، كما ان الشخصيات الواردة ذكرها توافق العديد من أوصاف كثير من الحكام الذين تولوا زمام السلطة في فلسطين القديمة قبيل الميلاد . وكما هو معروف فأن الحكام اليونانيين والرومانيين قد تتابعوا على حكم هذه المنطقة ، وانهم كانوا ينسبون عنهم حكما وكهانا محليين لإدارة مناطق النفوذ .

ومن امثلة ما اوردته نصوص المخطوطات من اسما\* ، مثلا : اسم

" معلم الصدق " او " معلم العدل " وكذلك اسم " معلم الكذب "

او " الكاهن الكاذب " او " الكاهن الراسع "

لقد حاول بعض العلماء اطلاق الصفات الخاصة بمعلم الكذب على الكاهن اليهودي " يشوع طوبيا " الذي سمي نفسه " ياسون " (٢) وقد عين من قبل خليفة الاسكندر انتيوخس (٣) الذي جرت في عهده مذابح واضطرابات عنيفة خلفت وراءها الاف القتلى من اليهود ، وكان ذلك في سنة ١٧٠ ق.م . (٤)

وهذا الرأي يستند الى ما جاء في المخطوط السمسى بشرح حيقوق حيث ورد فيه بعض صفات هذا الكاهن وذلك على النحو التالي ( لقد امتلاء بالفضيحة بدل المجد - ) اي ان كاهن الشر لم يظهر قلبه بل سار في طريق السكر لكي يطفئ ظمأه ... وفي نص اخر: ( يتصدم المدينة ) (٥) ...

وهناك من يرى ان كاهن الشركان يعيش حياة فاسقة ويعكف على الشراب وينغمس في الظلم والتعسف اشارة الى العبارات التالية ( وكأس يمين الرب تدور اليك وفي الفضيحة يغمس مجد هم ) . ويورد هذا المصدر ما يفيد ان الاوصاف والاشارات هذه تتشابه الى حد كبير مع عهد آخر وشخصيات مختلفة . ومن ذلك ان الكاهن الشرير يمكن الاستدلال عليه من اوصاف سيمس الذي عين كاهنا على اليهود من قبل انتيوخس الخامس ولد انتيوخس الاول وان سيمس هذا انقلب على الحسيدي المتسكين بالدين واضطهدهم وقتل ستين رجلا منهم وسلب كنوز الهيكل ولم يبسال باصوات الاستنكار اليهودي لانه كان مدعوما من القائد السوري بكداش ، وظهر هنا ان بيت طوبيا قد استقيموا من الحسيدي الذين انسحبوا من الثورة المكابية فجاء بكداش القائد الى القدس وامر ببناء مدينة الظلام بالدم واسكنها رعية بالباطل . وهنا

١ - مخطوطات البحر الميت ، للمعايدى " ص ١٨٢

٢ - هو كاهن يهودي وهو ابن سيمان الثاني ( ١٧٥-١٧١ ق م ) استغل نفوذه لاشاعة الروح اليونانية بين اليهود ( ٢ طوك ٤ : ٢٦-٢٧ ) ، قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٤٥ .

٣ - مخطوطات البحر الميت " للمعايدى " ص ١٨٢-١٨٣

٤ - راجع مختصر تاريخ سوريا ، الطران يوسف الدبس ١٤٢/١-١٤٣ ط ٢ ١٩٨٤ بيروت .

٥ - مخطوطات البحر الميت " للمعايدى " ص ١٨٠

٦ - المصدر السابق .

قال بعض العلماء ان سيمس هو الكاهن الشرير وان بكداش هو داعية (١)  
الكذب (٢) . كما يذهب نفس المصدر: أن الكاهن الشرير تنطبق أوصافه أيضا على اسكندر  
هركانوس المكابي لأن هذا الأخير قد أذاق شعبه الهزات (٣) . وعلى هذا السؤال  
يعرض نفس المصدر عدة شخصيات من نهاية العصر اليوناني الى بداية العصر الروماني  
مرشحة ومؤهلة لقبول أوصاف الكاهن الشرير ، ولكن دون الاستطاعة من تحديد زمن  
أو اسم هذه الشخصية على وجه القطع للتشابه الحاصل (٤) .

وفي المقابل فإن أوصاف معلم الحق أو معلم العدل أيضا عامة لا يمكن  
القطع بأي من الشخصيات هي صاحبة الزطمة او الرئاسة بين القمرانيين ، طط بان هناك  
من يذهب الى القول بان هذه الصفات تنطبق على المسيح عليه السلام (٥) ، والذي يسميه  
الابيونيون ( نبي الحق ) (٦) . ولهذا فان خيرا ما يقال في هذه الصدر ( ان كل ما  
بايدينا من مصادر تاريخ اليهود في حكم اليونان والرومات قليل غير موثوق به حتى يمكن  
ان يقارن مع ما جاء في مخطوطات البحر الميت ويتصل به ) (٧) .

وعلى الرغم من وضوح العبارة وط ترس اليه من صعوبة الا ان بعض  
الباحثين حشد جميع جهوده العلمية والتاريخية والدينية لاثبات ان صفات الكاهن  
الشرير او كما اسماه ( الكاهن الرابع ) "اي الكاذب" تتحقق في شخصية يونانان افوس  
( ١٦٠ - ١٤٢ ) (٩) ويحاول باحث اخر تحديد عهده بسنة ٥٠٠ ق م . (١٠)

- 
- ١ - مخطوطات البحر الميت " للعابدي " ص ١٨٠
  - ٢ - المرجع السابق ، وراجع اعطال القايد بكداش في مختصر تاريخ سوريا ، للدبس  
١٥١/١ الذي اورد به باسم بكيديس .
  - ٣ - مخطوطات البحر الميت " للعابدي " ص ١٨٣
  - ٤ - لاحظ الصفحات ١٨٤-١٨٥ من المصدر السابق .
  - ٥ - المصدر السابق ص ١٨٦
  - ٦ - المصدر السابق
  - ٧ - المصدر السابق
  - ٨ - راجع دائرة فو٥اد البستاني ٢٧٥/١٢
  - ٩ - راجع ترجمته في قاموس الكتاب المقدس ص ١١٢٥
  - ١٠ - المسيح في مفهوم معاصر ، عصام الدين حفني ناصف ص ١٤٣ دار الطليعة بيروت  
ط ١٩٧٩ م .

ويستند البستاني الى عبارات من النصوص المكتشفة والتابعة للقرانيين خاصة ما جاء في تفسير حيقوق ووثيقة دمشق حيث ورد فيه ما يلي : هو الذي عرف نسي اول عهد ، بالاطانة والوفاء ولكنه ان حكم اسرائيل زاغ قلبه وتكبر وترك الرب ، وعصى الناموس بسبب امواله ، فقد نهب وجمع اموال ذوى العنفا الذين تمردوا على الرب كما استولى ايضا على اموال الشعب (١) .

وما جاء في التفسير ايضا ( الكفر والجشع والتسلط تلك عيوبه الرئيسية انما يفوقها الكذب فهو الذي يقطر كذبا ، الذي افسد جمعا كثيرا ، ان بنى بالدم مدينة الباطل واقام جماعة بالكذب ) (٢) .

وكذلك قوله ( وما انه جاء على معلم الصدق واتباعه اسلمه الرب في ايدي اعدائه فاذلوه وأقموه في انواع الشقاء ، حتى أنهى حياته مريرا لنفسه لانه عامل بالشر أولياء الله ) (٣) .

ويستدل البستاني على معلم الصدق بالاوصاف التالية والاشارات التي وردت منسوبة الى المعلم نفسه ( حيث جاء في كتاب الترانيم المخطوط :  
( اقسمت الا ارتكب خطيئة في وجهك والا اقترف اثما امامك ، وهكذا ادخلت في الفة اعضاء جماعتي ) (٤) .

وما جاء ايضا ( اشكرك يا رب لانك آثرتني وظهرت لي عهدك . . . لقد انرت بواسطتي الكثيرين وظهرت قوتك التي لا قياس لها ، وعرفتني الى اسرارك التي لا نفاذ لها وارادت ان تتمجد بي في تدابيرك التي لا ادراك لها ) (٥) .

وبناء على ما تقدم قام البستاني بتقسيم المراحل التي مرت بالقرانيين وارجع الحوادث الى تواريخها وشخصياتها التي لعبت على مسرح الاحداث وفسق تفاسيره الخاصة واستنتاجاته (٦) .

- 
- ١ - من تفسير حيقوق ٨/٨-١٣ ، راجع دائرة فؤاد البستاني ١٢/٣٧٤
  - ٢ - // // // ١٠/٩-١٣
  - ٣ - // // // ٩/٩-١٢
  - ٤ - الترانيم ١٤-١٧/١٩ // //
  - ٥ - // // // ٤/٢٧-٣٠-٥٧
  - ٦ - دائرة معارف فؤاد البستاني ١٢/٣٧٤

وازا هذا الاختلاف بين العلماء حول تحديد الازمنة والشخصيات التي وجدت في عهد القمرانيين ، هناك في المقابل رأى قابل للاخذ والرد والمتشكك بطرح جديد لم يسبق صاحبه اليه من قبل .

فقد كشفت محاضرة د . فاروق عمر عبد الله \* ان هذه الجماعة اسست معسكرها في وادي قمران فيما يبدو من دراسة الاثار ما بين سنة ١٤٠ الى سنة ١٢٥ ق م . ، واستمرت الجماعة فيه حتى النصف الثاني من القرن الميلادي الاول ، اي حوالي سنة ٦٨ الميلادية يعني قبل تدوير الهيكل الثاني بسنتين ، ولعل بقية منهم أو من غيرهم عادت اليه واقامت فيه حتى سنة ١٣٥ ميلادية أيام ثورة اليهود الأخيرة على الحكام الرومان الوثنيين التي كانت عاقبتها الفشل التام واجلاء بقية اليهود من القدس وفلسطين وطمس آثار اليهودية فيهما واعادت تسمية القدس من قبل الرومان الوثنيين الى ايليا كابيولينا ، التسمية التي بقيت معها حتى الفتح الاسلامي العظيم وهو المذكور ايضا اي ايليا في كتب التفسير .

ويبدو ان الرومان هدموا المعسكر وأحرقوه ، وتدل على ذلك علامات الحريق الكبير على بعض اثار الهلاني ووجود بعض نصال سهام الرومان في انقاض المعسكر .

وقد زعم بعض الباحثين بان جماعة النصارى الاولى التي كانت في بيت المقدس تحت رئاسة يعقوب العدل ويطرس ويوحنا والتي انضم اليها غيرهم من الحواريين منذ رفع المسيح الى حوالي سنة ٦٤ م . اي ست سنوات قبل تدوير الهيكل الثاني ، كانوا هم ايضا على صلة قوية بجماعة وادي قمران والتشابه بينهما كبير والنظام الجماعي فيما يبدو ونفس النظام والاسماء والاصطلاحات المستخدمة نفسها .

واشار بعض الباحثين الى التشابه بين يعقوب العدل نفسه اطم النصارى الاولى بعد رفع المسيح حسب ما يقول المؤلفون المسيحيون القدماء \* والمعلم أو الهادي العدل المذكور في المخطوطات فان يعقوب العدل ( كان ايضا من طط\* بني اسرائيل معروفا بعدالته وتمسكه بالشرع وامنته على التفسير والفتوى واخلاصه في القول والعمل واجتهاداته بالعبادات وتسمى كذلك بالعدل .

وان المؤرخ النصراني القديم هيفيسوبوس يصف يعقوب العدل ببعض السمات في اللباس والعبادات التي اتصفت بها طائفة الاساة او الاسانيين الكتابية التي يزعم معظم الباحثين انهم الطائفة التي كانت في وادي قمران . ( ١ ) .

١ - هذا ما اشارت اليه المحاضرة ، طط بانها سجلت على شرائط تسجيل صوتي . ولم تنشر الى الان .

وطيه فان الحصيله التي يمكن الخروج منها بعد استعراض الاراء مجتمعة هي ان ططه مقارنة الاديان لم يتفقوا اتفاقا تاما على زمن نشوء هذه الفرقة وانتشارها وان الراى الذى يرتاح له حول تاريخ النشوء هو ما ذهب اليه د . فاروق (١) عمر عبد الله الموافق الى حد طط ما ذهب اليه البيستاني في دائرته .

---

١ - طط بان المعلومات الواردة في محاضراته قد استقاها من ثلاثة مصادر

غريبه هي :

- the DEAD SEE SCROLLS. Theodor GASTER.
- THE DEAD SEE SCROLLS. IN. ENGLISH. VERMES.
- the CRICIBLE OF CHRISHIANITY - Ed. Toymber.



## الفصل الاول

الحالتين السياسية والدينية في عهد اليونان والرومان

قبل التعرف على الاسس الدينية والمقدية لرهينة جماعة وادي قمران يحسن ايجاز الكلام عن الحالة السياسية والدينية التي رافقت نشأة تلك الفرقة ، للوقوف على بعض الظروف التي اسهمت الى حد كبير في بزوغ هذه النحلة .

### اولا : في عهد اليونان

لم يعرف اليهود في فلسطين حياة الاستقرار والهدوء لكثرة الفتن الداخلية من جهة فيما بينهم ، والحروب الخارجية التي اجتاحت الاقاليم الخاضعة للنفوذ اليوناني ، اضافة للنزاع الحاد الذي قام بين خلفاء الاسكندر المقدوني ( ٣٣٢ ق م ) الذي نشب بسبب اطاع كل فريق بما لدى الاخر من تركة هذا الاخير (١) .

وقد انعكس هذا الصراع سلبا على اوضاع اليهود السياسية والدينية والاقتصادية على السواء ، وقد كانت فلسطين من ضمن المناطق التي حكمها اليونان وكانت مطسحة بسوريا .

والدارس لهذه الحقبة من التاريخ يرى اليهود متأرجحين بين سندان السلوقيين حكام سوريا وبين مطرقة البطالمة حكام مصر (٢) .

كما ان احلك الاوضاع السياسية وغيرها بالنسبة لليهود كانت على عهد انطيوخوس الرابع السلوقي ( ١٧٥-١٦٤ ق م ) . ان ضغط هذا الاخير على اليهود لتركوا تقاليدهم وآدابهم وانذركل من يخالف امره باشد العقوبة ، ووضع لهم حكما عرفوا بشدة بغضهم لليهود فادى ذلك الى ثورتهم بقيادة العائلة المكابية عام ١٦٧ ق م (٣) .

وقبل اندلاع الثورة بقليل كان اليونان قد تمكنوا من جذب زعماء وكهنة يهود الى صفوفهم ، فتم لهم بواسطتهم تأسيس حزب ليوقف في صفهم ، وقد اقام هؤلاء الزعماء ( مدرسة وثنية في المدينة المقدسة ( القدس ) ( مكابيين ) ف عدد ١٢ ) . وتزلفوا الى انطيوخوس ( انطيوخوس ) ترويجا لطماعهم وكان من هؤلاء رجل اسمه يشوع فبدله بياسون وهو أخو أونيا رئيس الاحبار رسولت له نفسه ان يأخذ الرياسة من أخيه فوجد انطوكوس يبلغ جسيم من الطال فقلده الرقاصة (٤) .

- ١ - بلادنا فلسطين ، مصطفى مراد الدباغ ، ص ٥٩٥/١ - ٥٩٦ منشورات دار الطليعة بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ ، ١٩٧٣ م وانظر: الشخصية الاسرائيلية ، د . حسن ظاظا ص ٦٧ . دار القلم دمشق ط ١٠٠٠ هـ ١٩٨٥ م
- ٢ - الموسوعة الفلسطينية ، العميد عبد الرزاق محمد الاسود ١٣-١٤ ، دار العربية للموسوعات ط ١٩٧٨ ٣ - بلادنا فلسطين ٥٩٩/١
- ٤ - مختصر تاريخ سوريا ١٤٣/١

وفي هذه الفترة نرى صراعا عنيفا يدور بين زعماء اليهود وكهانههم للوصول الى رئاسة الكهنوت وهو المنصب الديني الذي يخول صاحبه التحكم في رقاب الناس ، وقد استعمل هؤلاء الكهنة شتى اساليب السرقة والنهب والرشوة للوصول الى مناصبهم .

وقد تمكن ياسون المذكور انفا في نهاية المطاف من مهاجمة " اورشليم " القدس بالف رجل . . . واخذ يذبح اهل وطنه بلاشفقة ولكن تقوى عليه الجمهور فزحف السيس اورشليم فاهلك من اهلها ثمانين الفا في ثلاثة ايام وباع منهم كثيرين وانتهب الهيكل وكان ذلك سنة ١٧٠ ق م ( مكاف ٤ عدد ٧ ) .<sup>(١)</sup>

كما قامت بعدها عدة حوادث عنف ذهب خلالها الكثير من اليهود ، والتي تبعها ثورة اليهود بقيادة متياس الحشموني ( او متتيا المكابي ) سنة ١٦٦ ق م . الذي استطاع شن حملات ناجحة ضد اليونان وتمكن من هزيمتهم وقد وقع المكابيون معاهدة سلام مع اليونانيين عام ١٤٣ ق م .<sup>(٢)</sup>

تولى الحكم في عام ( ١٦٠-١٤٢ ق م ) يونانان الذي يعتقد بعض العلماء انه هو المقصود ( بالكاهن التاسع الكاذب ) الذي عذب معلم الحق او معلم الصدق في عهد يونانان ثم اضطهاد جماعة وادي قمران وعلى يد هذا الكاهن . فقد كان ( صاحب ثروة طائلة جمعها من اسلاب الحرب ومصادرة الارزاق ، والاموال . . . وقد اغتته الغزوات في امدبا والبقاع وعدد من المقاطعات واسلاب اليهود المتعمردين ، وخصه الطك ( ديمتريوس ببعض الامتيازات . . . ولما ظهر الاسكندر بالاس في بطلمايس ( عكا ) سنة ١٥٣ ق م . يناوى ديمتريوس استمال يونانان ونصبه رئيس كهنة سنة ١٥٢ ق م ثم اقامه حاكما عسكريا واداريا على اليهودية وبعد وفاة بالاس نشط قائد تريفون واظن طكا انطيوخوس السادس بن بالاس ( ١٤٥-١٤٢ ق م ، فزايست هذا الاخير وعين يونانان حاكما على سورية ، ليستعدى المكابيين على منافسة عرش انطاكية ، وهو ديمتريوس الثاني ١٤٥-١٣٨ ق م .<sup>(٣)</sup>

هذه المراحل جعلت يونانان يتحول من زعيم الى متزلف لارباب الدولة السلوقية المتداعية ، لايهمه منها سوى الحفاظ على مركز مرموق فيها ، مما اثار نقمته بعض الكهنة " وابناء التقى " فتحولوا عنه ، ملتحقين بمعلم الصدق الذي نادى بقطع علاقاته مع الجاحدين والطارقين وخونة القضاة . . . . . فعزلين في قمران وربما في بر الشام " مدشنيين " منذ تلك الايام نوط من العصيان المدني وتنبه يونانان

١ - مختصر تاريخ سوريا ١٤٣/١

٢ - موسوعة التفاهيم والمصطلحات الصهيونية د . عبد الوهاب محمد السبيري ص ٣٧ مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ١٩٧٤ م مصر .

٣ - دائرة معارف فؤاد البستاني ١٢/٣٧٥

الى مغبة تلك المقاومة السلبية ، فزار قمران محاولا التخفيف من ضغط الجوع ، ومتوخيا استمالتهم الى موقفه فلم يفلح ، ان " ان الرب " حفظ اولياؤه المختارين ومعلمهم ودفع عدوهم الى يد تريغون ، الذي طمع بدوره بالطك ، فاغتال صنيعته انطيوخوس السادس واحتال على يونانان ففض عليه في عكا وطاد به الى انطاكية ، حيث اذاقه مر العذاب ، أملاً في إرغام أخيه سمعان طسي ( ١٤٣-١٣٤ م ق م ) على الانضمام الى معسكره وكان سمعان قد انتقل الى سائدة ديستروبوس الثاني وان فشلت خطة تريغون أروى نغمته فأعدم أسيره يونانان سنة ١٤٢ م ق م ( ١ ) .

وتعتبر الفترة الممتدة ط بين . عام ( ١٤٣ ق م الى عام ٨٦ ق م من اسوأ الفترات التي شهدتها فلسطين ، وقد عد المؤرخون المثالب الكثيرة التي اتصفت بها هذه الفترة خاصة في عهد هركانوس الخامس ( ١٣٥-١٠٤ ق م ) الذي اجبر الادميين سكان جنوبي الكرمل على التهود بالبطش والقهر .

كما ان ارسطوبولس الاول بن هركانوس ( ١٠٤-١٠٣ ق م ) على الرغم من قصر طكه الا انه كان ملوياً بالجرائم الكبيرة فترك أمه تموت جوعاً في السجن ومن حسده قتل احب اخوته اليه ، وسجن الاخرين ، وافطع جرائمه ارغامه هو واخوه اسكندر من يعدة سكان الجليل العرب ( الايطوريين ) . . بعد ان ضم بلادهم الى طكه على التهود واعتناق اليهودية بعد السيف .

قال المؤرخ ( توينبي ) *toymbe* إن أقدم حادث تاريخي معروف من حوادث التعصب الديني هو قيام اليهود المكابيين بقيادة اسكندر جينوس باكرام سكان الجليل من غير اليهود على اعتناق اليهودية وذلك في الربيع الاول من القرن الاول قبل الميلاد . ( ٢ )

ومن المثالب ايضا في حكم المكابيين ما نقله الطران يوسف الديس عن يوسيفوس المؤرخ قوله ( ان الشعب مقت الطك اسكندر ودخل الهيكل في عيد الظال فاخذوا يرشقونه بثمار الليمون على راسه ويقذفونه بالشتام فخرج عليهم بحرسه فقتل منهم ستة الاف رجل واخذ لنفسه حرسا من الاجانب سنة ٩٥ ولما أخذ ثورة

١ - دائرة معارف فؤاد البستاني ٣٧٥/١٢

٢ - " بلادنا فلسطين ، للدباغ ٦٠٠/١ "

٣ - بالعبرية عيد " السوكوت " ويبدأ في الخامس عشر من شهر تشرى اليهودي ( اكتوبر ) ومدته سبعة ايام ومناسبته " التاريخية " هي احيا ذكرى خيمة الشعب التي آوت ابنا اسرائيل في العراء بعد الهجرة فهي تذكرهم بايام التيه .

٤ : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٢٧٧

اليهود اقبل على محاربة الا جانب فانتصر على جنود ملك العرب وذلك المؤابيين وغيرهم وافترض الجزية عليهم وكمن له اعداؤه في مضيق وزحمة قطار من الابل فلم ينجح الا يشق النفس وقتل كثيرون من رجاله وجراً صابه العرب والمؤابيين على محاربتهم فحاربوه ست سنين وقتل من الفريقين نحو خمسين الفا وفتح مدينة كان العصاة تحصنوا بها وقبض على ثمان مائة رجل اتى بهم الى اورشليم فسقطتهم سنة ٨٦ ق م ولدى تشا على ملوك سورية بالعرب بعضهم مع البعض افتتح مدنا اخرى وعاد الى اورشليم وعكف على الملاذ ومعاقرة الخمره فاصيب بحمى الربيع ومات سنة ٧٩ (١)

وهكذا تمثل هذه الفترة التي حكم فيها اليهود المكابيون صورة دمية وحالة من الفوضى السياسية التي خلفت الكثير من التآسي والويلات في فلسطين . كما تعطي انطبعا واقعيا عن الفطرسة اليهودية التي اتسم بها اولئك الحكام اليهود الذين تذرعوا بالكهنوت ليحكموا بالحديد والنار ، كما بينت لنا هذه الحقبة ايضا مدى تكالب هؤلاء الزعماء على السلطة وعدم تورعهم عن ارتكاب الجرائم الخلقية والسياسية للوصول الى اطماعهم .

(٢) ولهذا لا نستغرب مطلقا سرعة زوال هذا الحكم الذي دام ١٢٩ سنة وهذه النزاعات التي عصفت بالمجتمع الداخلي كان لها اكبر الاثر في تقويض الاستقلال المزعوم الذي تمكن المكابيون من انتزاعه لفترة جد قصيرة ، ورغم ذلك فانه لم يمدم طويلا لقله عددهم وضعفهم الداخلي الناشيء عن انشقاتهم وانقساماتهم ، وخصوصا بعد ان شرع الرومان في توسيع سلطتهم ووسط ظلهم على البلاد والاقطار فكان ذلك عاملا على زوال الاستقلال المزعوم . (٣)

وهكذا نرى ايضا كيف كانت حالة القمرايين ابان تلك العهد ومن غير الممكن ان تستقر اى فرقة مدامت تعيش في وسط هذه اللجج المستعرة .

١ - مختصر تاريخ سوريا ١٧٢/١-١٧٣

٢ - الموسوعة الفلسطينية ، عبد الرزاق الاسود ، ١٣-١٤

٣ - بلادنا فلسطين ، الدباغ ، ١/٦٠٠

## ثانيا - في عهد الرومان

ظهرت روما على المسرح الدولي كأقوى منازع للإمبراطورية اليونانية المتداعية ، التي سرعان ما تقوضت دعائمها امام الزحف الروماني الذي كلف حروباً طاحنة مكنت الرومان من التغلب على النفوذ اليوناني بشكل عام .

وفي الشرق استطاع الرومان التغلب على السلوقيين في سوريا وأصبحت فلسطين تحت حكمهم . ففي سنة ٦٤ ق م . احتل القائد الروماني ( بومبي ) سوريا وضمها الى روما وفي السنة التالية ( ٦٣ ) ق م دخل اورشليم واخضعها لحاكم سوريا الروماني .

ولم يكن اليهود في هذا العهد احسن حالا مما كانوا عليه في عهد الاغريق وكانوا بين مد وجزر على قدر حدة الصراعات التي تنشب بين الزعماء الرومان على الحكم .

ففي عهد الامبراطور ( قيصر ) تمتع اليهود بحرية اقامة الشعائر الدينية وبحكم ذاتي ( ٤٩-٤٢ ق م ) و لما اغتيل قيصر سنة ٤٤ ق م حكم ( اوكتافيان ( وانطونيوس ) اورشليم ومينا حاكما على ( يهوذا ) والجليل المدعو ( هيرودس ) (١) وذلك سنة ٣٩ ق م وهو الذي قضى على المكابيين وازال حكمهم (٢) وفي عهد اعيد بناء الهيكل الا ان اليهود كانوا يحقنونه لقسوته وشدة تعصبه في نشر الثقافة اليونانية والرومانية ومنا المعابد للاصنام (٣)

ولما نشب الخلاف والقتال بين ( اوكتافيان ) و ( انطونيوس ) سنة ٣٠ ق م . انتصر ( اوكتافيان ) وتولى الحكم بصفته أول امبراطور روماني وسى نفسه اغسطس . (٤)

وبعد مقتل انتياتر والد هيرودس وانتحار اكبر ( اخوته ) خلى العرش لهيرودس ( وفي سنة ٣٧ ق م . دخل القدس فاتحا بمعونة الرومان وقد تزوج هيرودس عشرتسا\* وكان له ابنا\* كثيرون واشتد التنافس فيما بينهم على وراثة العرش وكان القصر مسرح عشرات المرات والفتن واشتركت زوجات الطك واقاربهن في تلك المرات . هذا الى جانب الضغائن التي حاكها هيرودس ضد اعدائه من يهود

---

١ - هو الابن الثاني لانتياتر الادوي الاصل وكانت أمه آدومية ايضا لذلك لم يكن يهوديا من ناحية الجنس مع ان الادوميين كانوا قد رضخوا للمذهب اليهودي بالقوة سنة ١٢٥ ق م . وكان قيصر قد عين انتياتر حاكما على اليهودية سنة ٤٧ ق م وقسم مدن فلسطين بين ابناؤه الخمسة وكان نصيب هيرودس في الجليل ) : قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٠٨

٢ - بلادنا فلسطين ١/٦٢٢ ٣ - الموسوعة الفلسطينية ١٣-١٤

٤ - المصدر السابق ٥ - راجع موسوعة المقاهيم والمصطلحات

الصهيونية ص ٤٢٥ ، وقد أحب الرومان هيرودس حبا جما لانه ساعدهم على توطيد حكمهم في البلاد واجتهد في نشر ادابهم وتقاليدهم ومد نيتهم فرضي عنه الامبراطور

اغسطس حتى قيل انه لم يفضل احدا عليه سوى وزيره الاول ( بلادنا فلسطين ١/٦٢٣

البلاد ، وضد خصومه من حكام الرومان . ( ١ )

فقد كان الطك المذكور قاسي القلب عديم الشفقة يسعى وراء مصلحته ولا يتراجع مهما كانت الخسائر ، ولم يكن يهتم للحقيقة ولا يهتم بصراخ المظلومين واشتهر بكثرة الحيل وقتل عدة زوجات وابناء واقارب خوفا من مؤامراتهم ، غير انسه بنى اماكن كثيرة في فلسطين . ( ٢ )

هذه النظرة القاتمة التي سادت عهد هذا الحاكم مرهونة بعدة اعتبارات منها : ان هذا الاخير لم يكن يهوديا بحسب المفهوم اليهودي لانه من ام آدومية اى عريسة الاصل وهو ما يتعارض مع الشروط التي يضعها اليهود لقبول اى شخص في ديانتهم ولهذا نرى السخط الذي يحمله اليهود على هذا الحاكم ووصفه بابشع الصفات . كما تورد روايات اهل المكتاب ان هذا الحاكم قد امر بقتل جميع الاطفال في بيت لحم زمن مولد المسيح عليه السلام ( ٣ ) وذلك حتى لا ينجو ابن داود ولا يملك على اليهود ويترفع على عرشه ( ٤ ) . ولهذا ايضا كان مكروها من المسيحيين ، يقول " الدبس " : ( ونجا يسوع بارشاد الطك ليوسف ان يهرب به الى مصر ) متى فصل ٢ عدد ١ ) وقد قضى هذا السفك غير ما سوف عليه ان اصيب بحمى محرقة وتقرح الامعاء وقد ذكر يوسيفوس ك ١٧ ف ٨ اعراض مرضه مفصلا وقد ملك في اليهودية سبعا وثلاثين سنة على ما روى اكثر المؤرخين ( ٥ ) .

( تقاسم ابنا هيرودس بعد وفاته الحكم حسب وصيته ورضيت روم بتعيينهم ولاية فقط لا حكام على الاقاليم التي عينتها لهم في سوريا وفلسطين إلا أن هؤلاء الولاة سرعان ما تقلص نفوذهم بسبب كثرة المشاكل التي أحدثوها هم أنفسهم أو بسبب القلاقل التي أحدثها اليهود بثوراتهم وتقليباتهم وقد كانت الفوضى والغتن من أهم سمات هذا العهد فمثلا قام أرخيلوس خطيبا في الشعب بعد أن انقضت أيام الحداد على والده هيرودوس ووجد برفع المظالم التي أحدثها والده فلم يكف الشعب بالوجد بل سأله الحط من الخراج ونسخ الضرائب المفروضة على البيع والشراء وتبديل رئيس الاحبار الى غير ذلك فسوّفهم باجرائه. وتألّبوا عليه فساق جنوده اليهم فقتل يومئذ من اليهود ثلاثة الاف رجل ) . ( ٦ )

١ - وقد أرخ الدبس نقلا عن يوسيفوس لهذه الفترة وبين تلك المنازعات الحادة : راجع

مختصر تاريخ سوريا ١٨٢/١ - ١٨٣

٢ - قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٠٨ ، وقتله لزوجاته وابنائيه مذكور في كتب المؤرخين

المسيحيين لاحظ : مختصر تاريخ سوريا ١٨٤/١ - ١٨٥ وما بعدها

٣ - انظر : انجيل متى الاصحاح الثاني .

٤ - انظر : انجيل متى ١/٢ - ٥ - مختصر تاريخ سوريا ١٨٦/١ - ١٨٧

٦ - بلادنا فلسطين ١/٦٢٩ - ٦٣٠

ولهذا كانت نهاية حكمه سريعة ان عطلت روما على وضع بيلاطس البنطي مكانه  
وفي عهد هذا الاخير حصلت حوادث عدة من بينها ، ما جرى لسيدنا عيسى عليه  
السلام مع قومه . ( ١ )

اما هيروود وس انتيباس ( ٤٤م - ٣٩م )

فقد ارتكب هذا الحاكم عدة جرائم اهمها :

زواجه ب ( هيرووديا ) ابنة اخيه ارسطوبولس البارعة الجمال والطاجنة ، وكانت  
هيرووديا قبلا تزوجت عمها هيروود وس قليبس ) ثم تركته اثنا حياته والقت بنفسها فسي  
احضان عم اخر هو انتباس هذا ( ٢ ) .

وينقل اهل الكتاب ان يحيى عليه السلام ( يوحنا المعمدان ) قد قطع

راسه في عهد هذا الحاكم ، و ذلك لانه اعترض على زواج انتباس من ابنة اخيه . . .

وقد كان ذلك عقب حفلة اقامها هيروود وس انتباس وفيها أرسلت هيرووديا ابنتها

الجميلة سالومة لتؤانس ضيوف الطك وسط المجون والخلاعة ورنين الكووس وان يهيوود وس

الثل ينتشي برقصها المثير فيقسم امام ضيوفه بان يعطيها ما تطلب فتطلبت حسب رغبة

امها راس يوحنا على طبق ، وبعد لحظات هوى الجلاذ بسيفه على عنق الرجل العظيم ( ٣ ) .

ويعتقد البعض ان ( يوحنا المعمدان ) كان من جماعة وادي قمران ( ٤ ) .

---

١ - راجع : بلادنا فلسطين ٦٣٠/١ وسوف نتعرض لهذا الحديث اثنا الكلام  
عن الحالة الدينية ان شاء الله تعالى .

٢ - بلادنا فلسطين ٦٣٢/١

٣ - قاموس الكتاب المقدس ص ١١٠٨ وقد ذكرت قصته في انجيل متى ١٤ : ٣-١٢  
ويعتبر يحيى عليه السلام احد الانبياء في نظر الاسلام وقد ورد ذكره في العديد من  
السور والايات في القران الكريم ومنها في سورة آل عمران .

وقد أول المسيحيون اقوال يحيى عليه السلام وما ورد على لسانه في اناجيلهم  
ليواطوا اعتقادتهم بالوهية المسيح عليه السلام ونوته . راجع في ذلك ( يوحنا

١ : ١٥ - ٢٩ - ٣٦

٤ - راجع : دائرة فؤاد البستاني ٣٧٦/١٢

ويعتبر " يحيى عليه السلام - في الاسلام - نبيا من انبياء الله تعالى ، وقد وردت في حقه

ايات كثيرة في القران الكريم من ذلك قوله تعالى ( . . يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه

يحيى لم نجعل له من قبل سميا . . ) مريم : ٧ وقوله تعالى ( يا يحيى خذ الكتاب

بقوة واتيناك بالحكم صبيا . . ) مريم : ١٢

وفي عهد اغريباس الثاني قامت ثورة اليهود عام ٦٦ م ضد هذا  
الوالي لمطلأته الرومان وتودده الي ولاتهم (١) وقد كتب يوسيفوس عن هذه الثورة  
سبعة كتب . وفي سنة ٧٠ تم تدوير الهيكل برمته واحرق كل ما كان في المدينة بيد  
الرومانيين (٢) وقد نقل عن يوسيفوس ان عدد القتلى في الحصار بلغ مليوناً ومائة  
الف نسمة (٣) . ويذهب البعض الى ان جماعة وادي قمران قد تلاشت واضمحلت  
عقب استيلاء الرومان على بيت المقدس وحرق الهيكل ومهاجمة معازل اليهود في  
فلسطين وان جماعة قمران قد نالها ما نالها وهذا ما دفعها الى دفن كتبها ولغائفيها  
في مغارات المنطقة عند ما احست ان الخطرات يهددها (٤) .

ولا يفوتنا ذكر الثورة الثانية التي قادها " باركوكبا " وذلك انه بعد (تراخي  
الايام اخذ اليهود يعودون الى خرائب القدس وبينون فيها ما يشبه اوكار الأرانسب  
واعشاش الطيور ، حتى اذا مرت ستون سنة من خرابها ظهر من ابنائها باركوكب  
" سمعان ابن الكوكب " الذي ادعى انه المسيح الذي يخلص امته من استعباد الرومان  
فتبعه عدد كبير ازجج بهم حكومة روما واقلقها ثلاث سنين الى ان ارسل الامبراطور  
هدريان قائده ففضى على الثورة سنة ١٣٥ م وصاح اسم اورشليم من الوجود ونسى  
على انقاضها مدينة رومانية خاصة اسماها " ايليا كابيتولينا " وحرّم على اليهود الاقتراب  
منها ونسى في موضع الهيكل معبدا لجوثر وزينها بالابنية الوثنية والملاهي والحمامات (٥) .

ونخرج بنتيجة من هذا التاريخ القائم مفادها ان اليهود رغم تمكنهم  
في بعض الاحيان من تكوين مجتمعات لهم في فلسطين في العصور القديمة الا انهم  
افتقدوا عنصر الثبات والتمكين في الارض خاصة ابان الفترة موضوع البحث ، كما انهم  
لم يكن لديهم ما يدعوهم لاقامة دولة مبنية على اساس ومرتكزات راسخة بل اثبتت القرائن  
انهم كانوا عصابات همجية همها الوصول الى السلطة باي ثمن ، ولم يكن هدفها  
التطلع نحو ارض الله تبارك وتعالى ، او النظر الى مستقبل الشعب والامة بقدر ما  
كانت اهدافها تنحصر في نزوة الحكم وحب السيطرة مستترة وراء الدين والكهنوت ولهذا  
كانت فترات الحكم قصيرة ، وان يسر لها ومكثت روحا من الزمن فهذا يرجع الى حبيل  
من الناس ، وذلك عبر التزلف لليونان تارة أو التودد للرومان طورا . وهذا هو دأبهم  
ايضا كانوا وحيث حلوا ، وما أشبه اليوم بالامس .

١ - قاموس الكتاب المقدس ص ٨٩-٩٠ ٢ - كانت قيادة الحملة لتيطس ، راجع  
في هذا الصدد ، مصر والعرب واسرائيل في الكتب المقدسة . د . محمد أحمد محمود حسن  
ص ٨٧ دار المعارف بمصر ١٩٨٠ م . - ويذهب البعض الى انه في هذه الواقعة  
نال الاسينيون نصيبهم فسقضى عليهم نهائيا الجيش الروماني في صيف ٦٨ م وقد اوفدت  
مفرزة الى قمران فهدمت واحرقت من طالته من سكانها ولان من اقلت بالفرار وضربت حامية  
عسكرية مخيمها على انقاض المدينة لعشرات السنوات حتى اخر القرن الاول ( انظر دائرة  
فوائد البستاني ٨٠/١٢ ٣ - مختصر تاريخ سوريا ٢٠١/١  
٤ - دائرة فوائد البستاني ٣٨٠/١٢ ٥ - مخطوطات البحر الميت للمعابد ص ٢٧-٢٨  
وقارن مع : تاريخ فلسطين القديم : ظفر الاسلام خان ، ص ٩٢-٩٣ دار النفائس بيروت ١٤٠٤/٤



### الحالة الدينية

ربما تكون الحالة السياسية سببا مهما في توسيع دائرة الخلافات الدينية بين اليهود ، وهذه الخلافات كانت على الدوام سببا للشقاق الحاصل بين فرقتهم ومجتمعاتهم ولا بد من التعرض للحالة الدينية لمعرفة الجواز الذي عاش اليهود فيه ، وهذا يعطينا بالتالي صورة لمجمل الحياة الدينية في العصرين اليونانسي والروماني .

ومن خلال استعراض صور العبادات الوثنية والنحل اليونانية المتعددة والتي مرت في الباب السابق ، رأينا مدى تأثير العقائد الدينية المصرية القديمة والديانات الشرقية الوضعية على الوضع الديني اليوناني بشكل عام .

ولم ينحصر هذا الجوعلى اليونان فقط بل خيم شبح هذه الديانات المرقعة على شعوب المستعمرات القديمة ، ومع انهزام الامبراطورية اليونانية واضمحلالها ورت الرومان هذه التركيبة السقيمة واصبحت رومو وستعمراتها سرعا لمزيج من الاديان الوضعية الوثنية المختلفة .

وقد ظلت رومو تحافظ عليها كما طورت بعضها واخترعت لها اسما وكفى جديدة لم تكن في السابق وايقنت على البعض الاخر كما هو يكامل طقوسه وتقاليده من مصادره الام .

وكان الاثر الكبير الذي تلقته رومو ناتجا عن العقائد الشرقية التي اعدت نعلها بشتى انواع العقائد . وقد عمل الاباطرة الرومان على اكتساب ود الشعوب المستعمرة وذلك بالابقاء على عباداتها المحلية دون فرض طقوس معينة وكانوا يسترضون الكهنة بشتى انواع الهبات ما اسهم في ازدياد ثروتهم ونفوذهم . ( ١ ) .

وتعتبر ديانا شعوب البحر المتوسط في تلك العصور من اهم مصادر الفكر الديني الروماني فمن سوريا مثلا كانت عبادة اودونيس وهداد وثرجاتس . ( ٢ )  
ومن مصر القديمة كانت عبادة ايزيس اله القمر واوزوريس وحوروس ( ٣ )  
ومبراميس . ( ٤ ) ومن فارس كانت عبادة مثراس ابن اهرامزدا اله النور . ( ٥ )

١ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٤٦

٢ - المرجع السابق

٣ - سوسولوجية الحضارات القديمة . ص ١٢٠

وراجع كذلك ما كتبه العقاد عن هذا الموضوع ٢٦٥/١١ من المجموعة الكاملة

٤ - سوسولوجية الحضارات القديمة ص ١١٠

٥ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٤٦ . وراجع المجموعة الكاملة للعقاد ٢٦٥/١١

ومن العبادات الموروثة عن الغرب :

عبادة "ديونيسيس" اليونانية التي اقتبست منها فيما بعد عبادة جوبيتر الروماني  
إله السماء . وهناك عبادة مارس إله الحرب وهركوليس إله الشجاعة ( ١ ) .  
أما معبوداتهم الخاصة التي نسجوها فكانت عبادة " سيبيل " وعبادة  
" آتيس " .

كما دأب الرومان على تأليه قيصر والباطرة وانطونيوس وكثير من العظماء  
المحليين في حيااتهم وبعد مطهرهم وأخذت هذه الآلهة تمتزج بعضها ببعض بتأثير  
التجارة والحرب فيزداد عددها ومعظم شأنها في كل مكان ، وتقام الصلوات بالف  
لغة لألف إله أملا في النعيم والنجاة فلم تكن الوثنية والحالة هذه ديناً واحداً  
بل كانت أجمة من العقائد المتشابكة المتناقضة المتنافسة وكثيرا ما كان يتداخل  
بعضها في بعض وتختلط اختلاطا متعمدا مختاراً ( ٢ ) .

ولم يقتصر هذا التعدد على ما ذكرنا بل انتقل التأليه إلى كل مظاهر  
الحياة ( فهناك إله لكل ملكة ولكل حاسة ولكل جزء من أجزاء جسم الإنسان بل والأكثر  
من هذا إن الطفل عند ما يذهب إلى المدرسة تخصص له أربعة آرباب إثنان منهما  
مختصان بالذهاب وإثنان آخران مهتمتان أن يعودا به سالما إلى والديه ( ٣ ) .  
هذه الحالة أدت إلى صرخة صاحت بها إحدى النساء قائلة ( إن بلادنا  
غاصة بالآرباب بحيث يسهل على المرء أن يلقي فيها ربا من أن يصادف رجلا ) ( ٤ ) .

بعض صور العبادات القائمة :

تنوعت صور العبادات الرومانية تنوعا لا يختلف كثيرا عن المضمون الذي  
رافق الحياة الوثنية اليونانية القديمة .

من هذه الصور ما جاء عن عبادة سيبيل ( التي ثبتت في كل من " ليديا "  
وفريجيا " وإيطاليا وأفريقية وغيرها من الأقاليم وظل كهنتها يخصون أنفسهم كما  
فعل حبيبها " آتيس " فإذا أقبل عيدها الربيعي صام عابدها ، وصلوا وحزنوا لموت

١ - سوسيلوجية الحضارات القديمة ص ١١٠

٢ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٤٧

٣ - سوسيلوجية الحضارات القديمة ص ١١٠

٤ - المرجع السابق

"أتيس" ، وجرح كهنتها سواعدهم وشربوا دماءهم وحمل الآله الشاب إلى قبره باحتفال مهيب فإذا كان اليوم الثاني ضجت الشوارع بأصوات الفرخ المارة عن الأهلين المحتفلين ببعث أتيس وعودة الحياة إلى الأرض من جديد وعلا صوت الكهنة ينادى أولئك العباد ( قووا قلوبكم أيها العباد المتصوفون لقد نجا الآله وستكون النجاة حظكم جميعاً ) . ( ١ )

هذه الصورة ليست هي الوحيدة التي كانت ذائعة إبان عهد الرومان فالى جانب ذلك ( كانت إيزيس الآلهة المصرية والام الحزينة والمواسية والمحسنة وحاملة هبة الحياة الخالدة تلقى من التكريم أكثر مما تلقاه سيبييل وكانت شعوب البحر الأبيض المتوسط تعرف كيف طم زوجها وكيف قام بعدد من بين الموتى وكان يحتفل بهذا البعث السعيد في كل مدينة كبيرة وكان عباده المتهجون ينادون ( لقد وجدنا أوزوريس من جديد ) وكانوا يرمزون إلى إيزيس بصور تماثيل تحل بين ذراعيها حورس ابنها الإلهي ويسمونها في الأوراد والادعية ملكة السماء . . . واما الآله ( وكانت ) هذه الطقوس أقرب العبادات الوثنية إلى المسيحية ) . ( ٢ )

وكان انتشار دين إيزيس من مصر إلى بلاد اليونان في القرن الرابع قبل الميلاد ثم انتشاره إلى صقلية في القرن الثالث وإلى إيطاليا في القرن الثاني ثم انتشاره بعد ذلك في جميع أجزاء الإمبراطورية ) . ( ٣ )

ومن الصور الخاصة بالعبادات والطقوس الفارسية التي انتقلت إلى تلك الأجواء ، عبادة " ميثراس " ( إن كانت القرابين تقرب إليه . . . كما كان عباده يشتركون في تناول طعام مقدس من الخبز والنيبيذ ، وكانت الإشارة التي يختتم بها عيد هسي دقات ناقوس وكان يحتفظ على الدوام بنار ( موقدة ) أمام القبو الذي يمثل فيه الآله الشاب يطعن الثور بخنجره . . . ويقول كهنته إن الناس كلهم سيحشرون لا محالة أمام ميثراس ليحكم بينهم ) ( ٤ )

وقد انتشرت هذه الأساطير التي تبعث في نفس أصحابها الأمل والقوة في القرنين الثاني والثالث من التاريخ الميلادى في غربي آسيا وانتقلت منه إلى أوروبا . وروى الأباء المسيحيين ما وجدوه من أوجه الشبه بين دينهم وبين الميثراسية وقالوا : إن الثانية قد سرقت هذه العبادات عن المسيحية وإنها في الميثراسية حيل مضللة احتال بها عليهم الشيطان . . . وليس من السهل أن نعرف أي الدينين أخذ عن الآخر ولعل الاثنين قد تسربت إليهما أفكار كانت وقتئذ منتشرة في جوبلاد الشرق ) . ( ٥ )

١ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٤٧ - المصدر السابق وراجع مجموعة العقاد ١١/٢٦٥

٣ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٤٨ - المصدر السابق ٣/٣ : ١٤٩-١٥٠

٥ - المصدر السابق ٣/٣ : ١٥١

ومن صور العبادات التي اخذت عن اليونانية ايضا ما كان يمثل طقوس الاورفيين الخاصة بشرب ( دم ثور يضحون به للمنقذ الميت الذي يكفر عن خطاياهم ويوحدهن بينه وبين هذا المنقذ وكان الاشتراك الجماعي في تناول الطعام والشراب المقدسين من المظاهر الكثيرة في اديان البحر الابيض المتوسط وكثيرا ما كان اهل هذه الاديان يعتقدون ان هذا الطعام ستحل فيه بهذا التقديس قوى الاله ثم تنتقل منه بطريقة سحرية خفية الى المشتركين في تناوله ( ١ ) .

وقد توجهت هذه العبادات بصورة هي اقرب الى الواقع المعبر عن الحالة الدينية التي سادت العصر الذي يستند ور الحديث عنه .

اذ ان هذا العالم كان غنيا بمن فيه من السحرة ومدعي صنع المعجزات والستيين والمنجمين والزهاد والقديسين ومفسري الاحلام العلميين ، وكانت كل حادثة غير عادية تتخذ نذيراً إلهياً سيقع من الحوادث في المستقبل . واصبح لفظ " اسكيسيز " ( *ASKESIS* ) الذي كان معناه عند اليونان تدريب الجسم تدريبا رياضيا يقصد به وقتئذ اخضاع الجسم لسلطان الروح فكان الناس يضربون انفسهم بالسياط ويبترون اعضاءهم ويجيعون انفسهم او يقيدون اجسامهم بالسلاسل في مكان واحد ، ومنهم من كانوا يموتون نتيجة لهذا التعذيب او الحرمان الذاتي ( ٢ ) .

وهنا يجب التوقف عند هذه النقطة السهام التي ستفتح المجال للبحث في صلب موضوع الرهينة اليهودية ، رهينة جماعة وادي قمران .

يقول ديورانت معقبا على كلامه السابق الموصول الى هذه النقطة :

( ولجأ جماعة من اليهود وغير اليهود رجالا ونساء الى الصحراء المصرية القريبة من بحيرة مريوط ، يعيشون فيها منفردين في صوامع وبيع ، ويحرمون على انفسهم جميع العلاقات الجنسية ، ويجتمعون في يوم السبت للصلاة الجامعة ويسمون انفسهم معالجي النفوس ( *therapeutae* ) ( ٣ ) )

هذه النقطة هي محور الرهينة اليهودية ومنها انبثقت جماعة وادي قمران موضوع هذا الباب . والتي عاشت وسط هذه الاجواء الدينية ،

١ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٥١

٢ - المرجع السابق

٣ - المرجع السابق ، وراجع كذلك معالم تاريخ الانسانية ٣/٢٣٠ ، "المسيح حياة للعقاد

وما لا شك فيه ان هذا الجو الديني الوثني الكفهر اشاع لونا من الوان  
التقلب الفكرى والديني على السواء في منطقة حوض البحر المتوسط . كما انعكس  
على عقائد اليهود .

فعلى الرغم من الادعاء بان الفكر اليهودى كان مناوئا للفكر الديني الوثني  
وانه كان خصما له ، الا ان هذا الخصم لم يكن جادا في دعوته للخلاص من الوثنية  
ولم يكن يهدف في الاصل الى التغيير من وضعه المزرى والا لط تسرب اليه شي منها .

فالواقع يشهد ان اليهود كانوا في عقيدتهم مشوشين ومضطربين وانهم  
في أحقاب كثيرة كانوا يدخلون العقائد الوثنية في دينهم .

والقرآن الكريم يفضح اليهود ويؤكد هذه الحقيقة ، حيث يقول الحق  
تبارك وتعالى ( **وَإِنَّ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَانِكُمُ الْعِجَلِ** )<sup>(١)</sup>  
وقوله تعالى ( **قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ** ) (٢) .

وقد اكد هذه الحقيقة لوبون حينما اورد العبادات الوثنية التي اقتبسها اليهود  
عن جاورهم من الامم ، من ذلك عبادة تموز ابن عشتار الذي دعي فيما بعد أدونيس  
الاغريقي كما ظلت عبادة الشمس والقمر والنجوم سائدة فيهم . وكانت عبادة الشمس  
تختلط آنذ بعبادة الحيوانات وذلك لما كان من تصوير القوم على جد رمعيد يهوه  
صور الزحافات والبهائم والاشياء الكريهة وجميع الهة ال اسرائيل (٣)

ومن معبوداتهم ايضا مولك اله النار ، وكان الغينيقيون على الخصوص  
يعبدون بعلا فاد خلته ايزابيل الصيد ونية على الخصوص الى العبريين (٤) .

١ - البقرة : ٥٤

٢ - الاعراف : ١٣٨ - ٣ - لاحظ : اليهود في تاريخ الحضارات ص ٦٥ ، ط : عيسى البابي

٤ - اضافة الى ذلك فان التفاعل بين اليهودية والوثنية ظل مستمر فمن جهة كان من  
الوثنيين من يخلصون ( العلي ) اله اليهود بعبادة الى جانب عبادتهم لالهتهم  
وكان اخرون يعتقدون عقائد اليهودية ويختلفون الى معابدهم واخرون يدخلون في  
الطة اليهودية ومن جهة اخرى كان اليهود يتاثرون بالفلسفة اليونانية اعلاهم شانس  
واعظمتهم نفوذا في اخوانهم يهود الاسكندرية وكانوا يولفون جالية غنية زاهرة اخذت  
بعظ كبير من الثقافة اليونانية حتى انهم لم يكونوا يقرأون التوراة الا في الترجمة  
اليونانية المعروفة بالسبعينية وكانوا يضيفون اليها مثل ما للاصل من كرامة وعصمة  
ولكن كان منهم الكفار اضلتهم السفسة اليونانية فاعرضوا عن الله وشريعته وكان اخرون  
يدينون يدينهم ويتحللون من قيود الشريعة بالتاويل المجازي ( تاريخ الفلسفة  
اليونانية ، يوسف كرم ، ص ٢٤٧

الجدير بالملاحظة ان اليهود ربطوا عاشوا سالحين للفكر الوثني فيما لو اتاحت لهم فرصة العيش دون فرض المكوس عليهم من المستعمرون الزامهم بالضرائب للسدولة الغازية . ولولا الناحية المالية والمادية لما قامت شعيرات اليهود على اليونان والرومان والتي على اثرها انمحن اثر اليهود من ارض فلسطين - ويضاف الى تلبد الجوا الوثني ما اشاعه اليهود أنفسهم من فرقة بين أحزابهم وجمعياتهم السرية والعلنية والتي وصلت علاقاتها فيط بينها الى حد القطيعة ان ان المنافسة بين هذه الفئات ما فتئت تتفاطل وتتضاعف الى درجة الخطورة ، وحينما وقع الصدام استصرخ المتناحرون منهم بالقياصرة تاره وبالباطرة تاريخ اخرى للقضاء على ابنا جلدتهم كل يريد الخلاص من خصمه بعد ان بلغ الامر ذروته .

ولم يكن عالم النزاع والشقاق ليستمر بين الفرق اليهودية المتناحرة لولا وجود بوادر مشجعة أسهمت في تاجيح نار الخلاف .

كما لم يكن لهذا النزاع ان يستمر بين اليهود والامبراطوريات الستمرة لولم تكن هناك جذور قابلة لبث سموم الفرقة بين هذا الشعب المتمرد والشعوب الاخرى .

هذه البوادر وطك الجذور هي نتيجة حتمية لروح العقيدة اليهودية المتقلبة والقابلة للتشردم والانقسام كغلايا الديدان المتكاثرة والمتشعبة على الدوام تشعب خيوط العنكبوت .

واذا ما استقرأنا نفسية اليهود المضطربة العائرة المتمردة لادركنا اسباب اعراضها عن خالقها ، وابطائها الخضوع لاوامره ، فتحرف كتبه ، وتقتل رسله ، وتفتال انبياءه وتطحق برهبها من الصفات ما لا يليق به تبارك وتعالى .

ومن هذا نصل الى تشخيص مرض هذه الامة ، فهي : امة تريد العيش والبقاء على دماء الاخرين ، كالحشرات والطفيليات التي تمتص دماء البشر ، ولهذا تخترع كل يوم اساليب خبيثة لهذا الغرض ، ومن هذا المنطلق تتعامل مع الشعوب بشمارها الدائم ( الغاية تبرر الوسيلة ) .

تلك هي ابرز سمات الفكر اليهودي الذي يرجع في اساسه الى تلك العقيدة المحرفة التي غيرت مفهوم الالهية واخرجت صفات البارئ تعالى من حدود الكمال الى النقص ومن التنزيه الى التشبيه والتعطيل والتجسيم كما ان الانبياء لم ينجوا من سنتهم وحرابهم وسوف نتعرض باذن الله لهذا الانحراف العقدي قبل استعراض اهم الفرق اليهودية واهم ارائها وسببها والتي ستوصلنا الى بيت القصيد وهو الحديث عن رهبان جماعة قمران والتعرف على منهجهم وعقائدهم وما دار من خلاف حولهم . وسوف نرى كيف ستكون هذه الفرقة حلقة من حلقات الوصل بين رهبنة الاديان الوضعية ورهبانية اهل الكتاب .

الفصل الثاني : العقائد اليهودية ونقد ها

اولا : موقفهم من الالهية :  
بعث الله تبارك وتعالى أنبياءه ورسله الى بني اسرائيل لهدايتهم وارشادهم الى الطريق المستقيم ، وأنزل معهم الكتب والصحف هدى ونورا ليحكموا بها بين الناس ، الا أن اليهود انحرفوا وكفروا فاستحقوا لعنة الله تعالى وفضيحه ، ومرد ذلك يعود الى عدة مواقف اتخذوها من عقيدة التوحيد التي أمروا بها .  
وطيه فان تاريخ اليهود زاخر بالهزلات والنكبات التي حلت بهم عقابا لهم لخروجهم عن طاعة الله تعالى وضرهم الكتاب بعضه ببعض واختلافهم على انبيائهم وهاهي كتبهم المحرفة شاهدة طمسهم . ولا أدل على ذلك من الزيف في العقيدة حيث شبهوا الله وجسوه ووصفوه بما لا يليق به سبحانه .

فمن ذلك ما جاء في العهد القديم ( فأكلت السموات والارض وكل جند ها وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل وبارك الله اليوم السابع وقدسه لانه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقا ) ( ١ ) .

ومن ذلك ايضا ما جاء في قصة آدم وحواء :

( وسعما صوت الرب الاله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار ، فاغتبا آدم وامرأته من وجه الرب الاله في وسط شجر الجنة . فنادى الرب الاله آدم . وقال له : أين أنت ، فقال : سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأنني عريان فاغتبت . فقال : من أطمك أنك عريان ، هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها . فقال آدم : المرأة التي جعلتها معي أعطتني من الشجرة فأكلت ) ( ٢ ) .

ولقد وصل بهم الأمر الى أبعد من التشبيه والتجسيم حيث حرفوا في سفر التكوين بما يوهم القول بتعدد الالهة ( وقال الرب الاله هوذا الانسان قد صار كواحد منا طرفا الخير والشر ، والآن لعنه بمد يده وأخذ من شجرة الحياة أيضا وأكل وحبها الى الأبد ، فأخرجه الرب الاله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها فطرد الانسان وأقام شرقي جنة عدن الكروم ولهبب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة ) ( ٣ )  
كما أن معنى اليهود أيضا إمعانا كبيرا في التشبيه والتجسيم بل ان كل نقص استحاله في حق الله تعالى لم يخجلوا من ابراده وذكره حتى غدت كل نصوص التوراة واسفارها القدسة تصف الله بصفات المخلوقات دون تنزيهه أو مراعاة للكامل الواجب له سبحانه .

١ - سفر التكوين : ١/٢-٣

٢ - التكوين : ٣/٨-١٣

٣ - التكوين : ٣/٢٢-٢٤

وزيادة طي ما سبق اليك بعضا ما جاء في العهد القديم من صفات لا تطيق بذات  
الله تعالى ولا بصفاته :

من ذلك ما أوردوه من قصص خرافية توحسي بظهور الله تعالى ظهورا عيانا  
فمن ذلك ما جاء في سفر التكوين ( وظهر الرب لابرام وقال لنسلك اعطي هذه الارض ) .<sup>(١)</sup>

ومن الصفات ايضا :

- (٢) - لقاء موسى عليه السلام وارادة قطه . - الاجتياز والخروج في وسط مصر .  
- الخروج والصعود والوقوف<sup>(٤)</sup> والنوم والاستيقاظ<sup>(٥)</sup> - التعب<sup>(٦)</sup> .  
- الحنق<sup>(٧)</sup> - الحزن<sup>(٨)</sup> - العمق<sup>(٩)</sup> - الندم<sup>(١٠)</sup> - الدعا<sup>(١١)</sup> بالويل طي نفسه<sup>(١١)</sup>  
- الزمجرة والصراخ والهتاف<sup>(١٢)</sup> - التخسنة<sup>(١٣)</sup> - الوجود في الزو بمعة<sup>(١٤)</sup>  
- التشبيه بالمخلوقات<sup>(١٥)</sup> .

كما أنهم نسبوا لله تعالى الأبوّة . من ذلك قولهم :

( هو يهني لي بيتا وانا اثبت كرسيه الى الابد ، انا اكون له ابا وهو يكسون لسي  
ابنا ولا انزع رحمتي عنه كما نزعها عن الذي قبلك )<sup>(١٦)</sup>

كما نسبوا المسنوة لله تعالى وسما أنفسهم أبنا لله :

( ان أبنا لله رأوا بنات الناس أنهم حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا )<sup>(١٧)</sup>

- 
- ١ - راجع التكوين ٧: ١٢ وكذلك ١: ١٧ وراجع ظهوره لكل من : سارة في تكوين  
١٨: ١٠-١٥ ولهاجر تكوين ١٦: ٧-١٤ ولاسحاق ٢٦: ٢ وليعقوب ٢٨: ١٦-١٧  
ولموسى سفر الخروج ٣: ٦ وسليطان ، الطوك الاول ٣: ٥ ولاشعيا ، اشعيا ٦: ١-٥  
ولارما ، أرميا ٣: ٣١ وحزقيال ، حزقيال ١: ٢٦-٢٨  
٢ - راجع سفر الخروج ٤: ٢٤-٢٦ ٣ - الخروج ١١: ٤-٥  
٤ - مزامير ٦٨: ١٨ وكذلك حزقيال ٩: ٣ و ١٠: ١٨-٢٠ و زكريا ١٤: ٣-٤  
والقضاة ٥: ٤  
٥ - أرميا ٢٣: ٢١-٢٦ ومزامير ٧٨: ٦٥-٦٦ و زكريا ٢: ١٣ ومزامير ٤٤: ٢٣  
٦ - ملاخي ٢: ١٧ ٧ - اشعيا ٦٦: ١٤ ٨ - ارميا ٨: ١٨ و ٨: ٢١  
٩ - أيوب ١١: ٧-٩ ١٠ - هناك العديد من النصوص انظر مثلا : خروج ١٢: ١٤-١٤  
صموئيل الاول ١٥: ١٠-١١ صموئيل الثاني ٢٤: ١٦ مزامير ١٠٦: ٤٤-٤٥  
ارما ١٣: ٢٦ طموس ٧: ٣-٨ يونان ٣: ١٠  
١١ - أرميا ١٠: ١٨-٢٠ ١٢ - ارميا ٢٥: ٣٠ ١٣ - اشعيا ١: ١١ ١٤ - ناحوم ١: ٣  
١٥ - اشعيا ٤٢: ١٣ و ٤٠: ٢٢  
١٦ - الايام الاول ١٧: ١٢-١٣ وملاخي ١: ٦ وصموئيل الثاني ٧: ١٤  
١٧ - تكوين ٦: ٢ وانظر ايضا ايوب ١: ٢ ومزامير ٢: ٧ ومزامير ١١: ١٢ و ٢٩: ١



ولم يقتصر الامر على ما ذكر ، بل تجاوزوا الحدود باتخاذهم الاصنام والاوثان

ومن الادلة على اثبات عكوف بني اسرائيل على عبادة الاصنام ما جاء

في اسفارهم من فضائح ولم يكن اتخاذ الاوثان مقتصرا على عصر موسى عليه السلام بل ان في عهده يشوع والقضاة نصوصا تدل على ارتكاب مثل هذا الكفر البواح من قبلهم<sup>(١)</sup>.

وقد تعقب الامام ابن حزم مراحل ارتداد بني اسرائيل عن الايمان

وعبادتهم للاوثان في عهد القضاة واورد اسما<sup>٢</sup> الولاة الذين تم في عهدهم هذا

الارتداد ، وقد بلغت حسب تتبعه رحمه الله سبع ردات ( ٢ ) .

كما تتبع د . عبد الشكور محمد امان هذه المراحل وفصلها وارجعها

الى عهودها وفق ما هو مذكور في نسخ العهد القديم المتداول حديثا والتي جاءت

على النحو التالي :

١ - من النصوص التوراتية التي تثبت عبادتهم للاوثان ما يلي :

- سفر التثنية ٤ - ٣ : ٤

- سفر العدد ٢٤ : ١ : ٣

- مزامير ١٠٦ : ١٩ - ١٠

- هوشع ٩ : ١٠

ومن النصوص الاخرى :

في - يشوع ٢٤ : ٢٣

- قضاة ٢ : ١٩

- // ٢ : ١٠ - ١٣

- // ٣ : ٥ - ١٧

وتجدد الاشارة الى ان التفصيل الذي اورده د . عبد الشكور محمد امان عن

عقائد بني اسرائيل ما يفني القارى<sup>٣</sup> ان انه يجد بيانا وافيا لهذه العقائد الضالة

والانحرافات الشاذة<sup>٤</sup> راجع بتوسع : بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية

د . عبد الشكور محمد امان العروسي ١/٢٤٢ - ٤٠٧ ، رسالة دكتوراه ، جامعة

ام القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٢ هـ .

٢ - راجع الفصل لابن حزم ١/١٤٩

المرحلة (١)	- عدد اعوام الارتداد	- اسم السفر
الاولى	٨	القضاة ٨:٣
الثانية	١٨	// ١٤:٣
الثالثة	٢٠	// ٣-١:٤
الرابعة	٧	// ١:١٦
الخاصة	٣	// ٣٤-٣٣-٢٧:٨
السادسة	١٨	// ٨-٦:١٠
السابعة	٤٠	// ١:١٣

اما في عهد الملوك فقد بلغ عدد ملوك مملكة يهوذا عشرين ملكا توارثوا عبادة الاوثان لم يستقم منهم سوى خمسة فقط (٢)

وقد ذكر ابن حزم رحمه الله ان اليهود قد اتخذوا لها اخر من دون الله اطلقوا عليه اسم "صندلفون" ويقول في هذا الصدد :  
( واعلموا انهم افردوا عشرة ايام من أول اكتوبر يعبدون فيه ربا آخر غير الله عزوجل ، فحصلوا على الشرك المجرد ، واعلموا ان الرب الصغير الذي افردوا له الايام المذكورة يعبدونه فيها من دون الله عزوجل هو عندهم صندلفون الطك خادم التماج الذي في راس معبودهم وهذا اعظم من شرك النصارى . (٣)

١ - بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية ، د . عبد الشكور محمد امان ، ١٠ / ٣٩٣

٢ - يراجع في هذا الصدد الاسفار التالية :

١ - سفر الملوك الثاني ٨ : ١٨

٢ - اخبار الايام الثاني ٢١ : ١١ و ١٠ - ١١

٢ - اخبار الايام الثاني ٣٦ : ١١ - ٢١

٣ - في مملكة اسرائيل ظلت عبادة الاصنام منتشرة فيهم راجع :

سفر الملوك الثاني ١٧ : ٧ - ٢٤

وراجع في هذا الصدد ما كتبه ابن حزم عن ذلك في الفصل ١ : ١٥٠ ،

ومطالعته د . عبد الشكور في " بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية " :

١ / ٣٩٥ - ٣٩٩

٣ - الفصل ١٨ / ٢ وتعقيبات كل من د . طسي عبد الواحد وافي في كتاب

الاسفار المقدسة ص ٢٩ د . عبد الشكور في " بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية

لقد فضح القرآن الكريم في كثير من السور والايات تلك المراحل التي انحرف فيها التفكير العقدي لدى اليهود ونبه الى الجرائم التسي ارتكبوها بكفرهم وفسقهم بحق الله تبارك وتعالى ، وقد أشار الى هذا الانحراف من خلال توراتهم المحرفة التي دسوا فيها ما شاؤوا من باطيل وخرافات وأساطير ،

ففي طلبهم من موسى رؤية الله يقول الحق تبارك وتعالى :  
( وَأَنْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ) ( ١ )

وقد بينت الآية الكريمة ضيق أفق هؤلاء القوم واهتزاز ايمانهم بعالم الغيب كما يدل طلبهم هذا على سوء الأدب لاعتقادهم على الابتزاز أسلوباً وطريقاً وكان قضية الايمان تدخل في باب المساومة كالبيع والشراء . ولهذا طلبوا من موسى عليه السلام ما طلبوا . وفيه دليل على سوء طويتهم .

وفي مرحلة لاحقة قالوا لموسى عليه السلام :  
( يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ . قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ بِبَاطِلٍ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ قَالَ أَغْرَى اللَّهُ أَبْغِيَكُمْ إِلَهًا وَهَؤُلَاءِ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ) ( ٢ )

وقد أوضحت الآية هنا مدى تورطهم في التقليد الأعمى الهني على محاكاة العقائد الوثنية ، ان مر هؤلاء الجهلة على قوم يعبدون أصناماً على صور البقر ( فلهذا أثار ذلك شبهة لهم في عبادتهم العجل بعد ذلك ) ( ٣ )  
كما يدل على ان هؤلاء ارتبط ايمانهم بالمحسوس فقط مضاهاة للوثنيين الذين طصروهم .

ولم يكتفوا بمجرد الميل الى الهوى وطلب الاشراك بالله فقط بل لم يشكروا ان اتخذوا العجل لها بمجرد غياب موسى عليه السلام لمعقات ربه .  
( وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ ) ( ٤ )

١ - البقرة : ٥٥-٥٦

٢ - الاعراف : ١٣٨-١٤٠

٣ - تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ٢/٢٤٢-٢٤٣ ، ط : المكتبة الشعبية

٤ - الاعراف : ١٤٨

وهذه الآية لها ارتباط بط سبق \* ان يخبر الله تبارك وتعالى عن ضلال من ضل من بني اسرائيل في عهد تهيم العجل الذي اتخذ له لهم السامري من حلي القبط الذين كانوا استعاروا منهم فشكل لهم منه عجلا ثم ألقى فيه القبضة من التراب التي أخذها من أثر فرس جبريل عليه السلام فصار عجلا جسداً له خوار ، والخوار صوت البقر وكان هذا منهم بعد ذهاب موسى لحيقات ربه تعالى فأطمه الله تعالى بذلك ( ١ ) .

وطى هذه الشاكلة كانت نفوس القوم تتأرجح ، فكلما وجدوا فرصة للفرار من عقيدة التوحيد تسكوا بها حتى اذا جاءهم العقاب هدلوا عن غيهم والتزموا أمر ربهم ولكنهم لم يلبثون حتى يعودوا لما نهوه عنه فزادوا وضلالا وارتكاسا .

وقد رد القرآن عليهم حينما نسبوا لله تعالى الولد :  
فمن ذلك قوله تعالى ( وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ) ( ٢ ) .  
وهذه الشبهة التي وقعوا فيها تعود الى اعجابهم بالعزير نتيجة كتابته للتوراه دون الرجوع الى نصوص مكتوبة في أسفار . ( ٣ )

وفي مجال الرد طى صفات النقص التي ألحقها بالبارى تعالى يقول سبحانه :  
( وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا هَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ مِنْهُمْ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ) ( ٤ ) .

وفي جانب آخر يرد القرآن عليهم في نسبة الفقر الى الله تعالى عما يقولون طوا كبيرا ( لَقَدْ سَبَّحَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ) ( ٥ ) .

١ - تفسير ابن كثير : ٢٤٧/٢

٢ - التوبة : ٣٠

٣ - تفسير ابن كثير ٢٤٨/٢

٤ - الطائفة : ٦٤

٥ - ال عمران : ١٨١

وقد تعقب كثير من العلما<sup>١</sup> المسلمين افتراءات اليهود على الله تعالى فمن ذلك ما أورده الامام ابن حزم في الفصل ردا على ما جاء في توراتهم المحرفة

من أن الله تعالى قال ( هذا آدم قد صار كواحد منا ) ان هذا يمتسر ( مصيبة من صاحب الدهر ، وموجب ضرورة أنهم آلهة أكثر من واحد ولقد ادى هذا القول الخبيث الفخري كثيرا من خواص اليهود الى الاعتقاد ان الذي خلق آدم لم يكن الا خلقا خلقه الله تعالى قبل آدم وأكل من الشجرة التي أكل منها آدم فعصر الخير والشر ثم أكل من شجرة الحياة فصار لها من جلة الالهة ، نعوذ بالله من هذا الكفر الاحق ) (١)

أما ما ألقوه من صفة التعب والنصب يسأل الله تعالى فهو افتراء<sup>٢</sup> وهتان . فالله تعالى قادر على كل شيء لا يمجزة شيء في الأرض ولا في السماء وهو القائل ( ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما سنا مسن لغير ) (٢)

وهذا رد عليهم في ما أورده في كتبهم المحرفة . (٣)

وطيه فان كل شبهاتهم وافتراءاتهم تدور حول تشبيه الله تعالى بخلقه وهذا باطل لان الله تعالى ( منزه أن يكون من جنس شيء من المخلوقات : لا أجساد الآدميين ، ولا أرواحهم ولا غير ذلك من المخلوقات ، فانه لو كان من جنس شيء من ذلك بحيث تكون حقيقته كحقيقته للزم أن يجوز على كل منبهط ما يجوز على الآخر وجب له ما يجب له : ويمتنع عليه ما يمتنع عليه وهذا متنع : لأنه يستلزم أن يكون القديم الواجب الوجود بنفسه غير قديم واجب الوجود بنفسه ، وأن يكون المخلوق الذي يمتنع غناه يمتنع افتقاره الى الخالق ، وأمثال ذلك من الأمور المتناقضة والله تعالى نزه نفسه أن يكون له كفو أو مثل أو وسي أو ند . ) (٤)

١ - الفصل في الطل والاهواء والنحل للامام ابن حزم الظاهري ١٥/١

مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح واولاده ، القاهرة .

٢ - ق : ٣٨ :

٣ - انظر في سبب نزول هذا الرد : "أسباب نزول القرآن" لابي الحسن علي بن الواحدي

ت : السيد احمد صقر ص ٤٢٠-٤٢١ ط ٢ - ١٤٠٤ هـ

٤ - : مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٥ / ٢١٧ ط ١ ١٣٩٨ هـ

ثانيا : موقفهم من الانبياء والرسل عليهم السلام

اذا كانت السنة اليهود السليطة وكتبهم المعرفة قد تعرضت للذات العلمية بصفات النقص وشابهة الحوادث فليس من المستبعد بعد ها ان يكون مقام الانبياء والرسل هدفا لسهام القذح والشتم من قبل اليهود بل والضرب والقتل والنشسر لانبيائهم .

وطيه فان ( الموقف الاجمالي من انبياء الله تعالى الذي وقفه بنو اسرائيل في تاريخهم الطويل وشهدت به طيهم أسفارهم ، انهم لا يراعون لانبياء الله حرمة ولا يعتقدون فيهم العصاة ، بل كانوا يكفرون بهم ويؤذونهم ويروونهم بعظائم الامور من الصفات القبيحة والخصال الشنيعة ولم يقتصروا على الايذاء والتكذيب والتجريح بل اعتدوا على عدد كبير من انبياء الله بالقتل غير مبالين بغضب الله وسخطه ) (١)

ونتيجة لعدم اعتراف اليهود بعصمة الانبياء فقد جوزوا في حقهم ارتكاب الكباير والآثام والمعربات فمن ذلك :

- ١ - اتسهم آدم بعدم الاستغفار من ذنبه ( ٢ )
- ب - اتسهم نوح عليه السلام بشرب الخمر ( ٣ )
- ج - اتسهم لوط عليه السلام بالزنى بامنته ( ٤ )
- د - اتسهم ابراهيم عليه السلام بالكذب وتسليم زوجته سارة دون مقاطعة . ( ٥ )
- هـ - اتسهم اسحق عليه السلام بالكذب ( ٦ )
- و - اتسهم يعقوب عليه السلام بالكذب ( ٧ )
- ز - اتسهم داود بالزنى ( ٨ )
- ح - اتسهم سليمان بالارتداد عن الدين . ( ٩ )

هذا فخر من فيض ما تطفح به تلك الاسفار المعرفة من وصف للانبياء والرسل بما

هم يسمون منه . فالانبياء والرسل ازكى الناس واطهرهم وافضلهم . ومثل هذه

الذنوب التي نسبها اليهود اليهم لا يمكن ان تقع من احد منهم بحال من الاحوال وهذه الاتهامات الشنيعة هي في حقيقتها تدخل في باب التعدي على حرمة

الله تبارك وتعالى فهي محاولة دنيئة من قبل حاخامات اليهود للنيل من دين

الله القويم وصراطه المستقيم وذلك اتباطا لهوى النفس وتبريرا لجرائمهم واثامهم التي

يقترفونها على الدوام واعطاء الفرصة للاجيال القادمة لاستباحة حرمة الله تحت ستار

الافتراء بالانبياء والرسل .

- 
- ١ - بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية والانبياء ٢٢٦/٢
  - ٢ - تكون ١: ٢٤ - ٣ - تكون ٩: ١٨-٢٥ - ٤ - تكون ١٩: ٣ - ٥ - تكون ١٢:
  - ٣-١ - ٦ - تكون ٢٦: ١-٧ - ٧ - تكون ٢٧: ١-٣ - ٨ - صموئيل ٢: ٢١
  - ٩ - الطوك الاول ١١: ٢-٢١ وانظر في مجال رد الطعون : اظهار الحق ص ٥٧٠

ولهذا فان جرائم اليهود في العصور السالفة والحالية تمثل انعكاسا واضحا لتعاليم التوراة المعرفة الصراحة وفق مخططات اليهود واطماعهم ، وما أضافوه من تعاليم الظنود ، وغيرها من الكتب السرية والعلنية تحقيقا لأهدافهم الدينية وهذه الصورة الواقعية توضح اختلال مفهوم النبوة والرسالة عند هم فعالة فقدان أسس وقواعد الدين القويم كقيلة يجعل هذا المجتمع متكفك الا واصر متفرق الاهداف فضلا عن الكفر والضلال .

والاضطراب في مفهوم النبوة والرسالة كان سببا من أسباب كثرة الانبياء في بني اسرائيل فمنهم من كان مرسلًا من عند الله تبارك وتعالى مؤيدا بالوحي والحق . الى جانب ذلك وجد بين بني اسرائيل صلحون ، فأطلق اليهود عليهم اسم النبوة ، كما وجد بينهم من ادعاهم زورا وهبتانا ووجود هؤلاء الكذبة كان بمثابة رد فعل للنظام الطبقي الذي انتشر بين اليهود والتمثل بسيطرة قطاع كبير من الاثرياء على مقاليد النفوذ على أشاع جوا من الحقد والضعفنة وأسهم في ابراز هؤلاء المتنبيين ( الذين يستطيعون قراءة قلوب الناس ) كذبا ) وماضيهم وخبرونهم باستقبلهم حسب يتقاضون منهم من أجور ومنهم متعصبون متوسون يستشيرون شاعرهم بالأصوات الموسيقية الغريبة أو الشرقيات القويمة أو الرقص الشبيه برقص الد رايوش وينطقون بعبارات يراها أصحابهم وحيا أوحي اليهم أي تنشأ فيهم روح غير روحهم ) . ( ١ )

وهذا ما برع فيه الكهنسة الذين استطاعوا الوصول الى مناصب مرموقة في المجتمع اليهودي وسبأت الكلام عنهم بعد الحديث عن موقفهم من عقيدة البسمعت والحساب ( اليوم الاخر ) ان شاء الله تعالى .  
اما موقف الاسلام المشرف من الانبياء والرسل عليهم السلام فهو موقف يليسق بتكريمهم واحترامهم والذب عنهم وهو مبني على أساس أنهم مختارون ومصطفون من الله تبارك وتعالى بتبليغ رسالته الى البشر ، مبشرين ومنذرين لكي لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل . ولهذا فقول اكثر العلماء منعقد على وجوب كسوة الانبياء معصومين من الكبائر ون الصفاثر يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : السقول بان الانبياء معصومون من الكبائر ون الصفاثر هو قول اكثر علماء الاسلام وجميع الطوائف ، حتى انه قول أكثر أهل الكلام ، كما ذكر ابو الحسن الامدي " ان هذا قول اكثر الاشعرية وهو أيضا قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء ، بل هولم ينقل عن السلف والائمة والمصابة والتابعين وتابعيهم الا ما يوافق هذا القول ( ٢ )

١ - قصة الحضارة ٣/٣ : ٣٤٩ وقارن مع : اليهودية د . شلبي ص ١٦١-١٦٢

٢ - فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ٤/٣١٩

و مجمل القول فان الانبياء معصومون من الكبائر بعد البعثة عدا سهواً وكذا من الصفائر عداً واذا وقعت منهم صغيرة سهواً بعد ها فانهم ينهبون على ذلك واما قبل البعثة فانهم غير معصومين من الكبائر والصفائر اللهم الا ما ينفر الطباع عن متابعتهم في رسالاتهم .

وللعصمة متعلقات اهمها : العصمة من الكفر ٢ - العصمة من المعاصي ٣ - العصمة من الخطأ في التبليغ (٢)

وللعصمة صفات منها : الصدق ، والتبليغ والامانة والفسطانة وهذه من الواجبات في حقهم طيبهم السلام .

اما ما يستحيل في حقهم فهو : الخيانة والكذب والغفلة والكتمان  
ما امروا بتبليغه ١ . (٣)

وقد ايد الله سبحانه وتعالى انبياءه ورسله الكرام بالمعجزات تصديقا لكل ما يبلغونه عنه وكانت مقرونة بالتحدي لمواجهة انحراف المنكرين وللإلزام الجاهدين

١ - والعصمة في اللغة : الضع وأيضاً الحفظ : وفي الاصطلاح : حفظ الله للمكلف من الذنب مع استحاله وقوعه . . . ) أو هي ( لطف من الله تعالى يحمله على فعل الخير ويحجزه عن الشر مع بقاء الاختيار للابتلاء والاختيار ) : مختار الصحاح للرازي مادة عصم وتحفة السريد شرح جوهرة التوحيد للبيجوري ص ١٣٤ والفقه الاكبر للسلاطي القاري ص ٩٤ دار الكتب العلمية ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م بيروت ، لبنان .

٢ - راجع : المواقف للايجي ص ٣٥٨ - ٣٥٩

٣ - راجع في موضوع العصمة ومتعلقاتها " بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية والانبياء ٢/٤١٦-٤١٧

وقد اورد الرازي في اثبات وجوب العصمة ثلاثة أوجه :  
أحدها : أن كل من كانت نعمة الله تعالى عليه أكثر كان صدور الذنب منه أقبح وأفحش ونعمة الله تعالى على الأنبياء أكثر فوجب أن تكون ذنوبهم أقبح وأفحش من ذنوب كل الأمة وأن يستحقوا من الزجر والتوبيخ فوق ما يستحقه جميع صاة الأمة وهذا باطل فذاك باطل .

الثاني : أنه لو صدر الذنب منه لكان فاسقاً ولو كان فاسقاً لوجب أن لا تقبل شهادته لقوله تعالى ( ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ) وإذا لم تقبل شهادته في هذه الاشياء فبأن لا تقبل في اثبات الأديان الباقية الى يوم القيامة كان أولى وهذا باطل فذاك باطل .  
الثالث : أنه تعالى قال في حق محمد صلى الله عليه وسلم ( فاتبعوه لعلمكم تفلحون ) وقال تعالى ( قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ) فلو أتى بالعصمة لوجب علينا بحكم هذه النصوص متابعتهم في فعل ذلك الذنب وهذا باطل فذاك باطل ، وأما جميع الآيات الواردة في هذا الباب فاما ان تحمل على ترك الأفضل أو ان تثبت كونه معصية لا محالة فذلك انما وقع قبل النبوة ( معالم أصول الدين ، فخر الدين الرازي ص ١٠٨

١٠٩ - طه عهد الرووف سعد دار الكتاب العربي بيروت . وراجع في ذلك : أصول الدين لابي منصور البغدادي ص ١٦٧-١٦٩ دار الكتب العلمية ط ٢ ١٤٠٠ - بيروت



والقرآن الكريم يورد في كثير من السور والآيات قصص الانبياء والمرسل  
عليهم السلام مع قوسهم .

كما يشير بوضوح الى معارضة بني اسرائيل لهم والاعتداء عليهم بالقتل  
من ذلك قوله تعالى :

( وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى  
ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ  
اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِّقُوا كَذِبْتُمْ وَفَرِّقًا تَقْتُلُونَ ) (١)

ويقول الحق سبحانه :

( لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ  
مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ زُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ) (٢)

وهكذا يكون موقف الاسلام من الانبياء لا نقا بهم كاشفا جرائم اليهوسود  
اعدا الحق والدين .

---

١ - البقرة : ٨٧

٢ - ال عمران : ١٨١

ثالثا : عقيدة اليوم الاخر :

ان الطائفة التي صبغت الفكر اليهودي كان لها من الاثار المتصورة  
أكثر ما أخرج اليهود من دائرة المؤمنين بالبعث والحساب ، وهذا يمثل ارتكاسا كبيراً  
وجوهرياً لعقيدة اليوم الاخر والتي جاءت بها شريعة موسى طيه السلام لكل الاديان  
الساوية والتي اعتقد بها بنو اسرائيل في بداية الدعوة ثم حرفوها بعد ذلك . فالله  
تعالى ارسل رسله وانبياءه لهداية الخلق وانزل كتبه بالحق ( إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا  
هُدًى وَنُورٌ ) (١) و " الكتب السماوية من ركائزها الدعوة الى التوحيد والايمان  
باليوم الاخر فاذا ما خلقت التوراة من هذه الركائز أو احداها فهي ليست توراة الله  
بل هي ألعمية المحرفين (٢) .

وانكار اليهود لعقيدة البعث والحساب لا يشكل مفاجأة لدارسي النفسية  
اليهودية (٣) . وما انطوت عليه اخلاقهم من مفاصد فردية واجتماعية ، أهمها : الحرص  
على متاع الدنيا ، وكثرة الجدال ، والمعنصرية في التفكير ، وقسوة في القلوب وتهور  
في الطباع والسلوك (٤) .

والتبديل والتغيير والتحريف في التوراة من الأسباب الرئيسية فسي

ايعتاد القوم عن أصول عقائدهم وعليه فقد باتت الفرق اليهودية تتضارب في عقيدة  
البعث والنشور ، وتضع تصوراتها عنهما وفق أهوائها ، وقد خلقت التوراة من ذكرهما  
تطاماً . وفي ذلك يقول ديورانت : ( طس أن اليهود قلما كانوا يشيرون الى حياة  
أخرى بعد الموت ، ولم يرد في دينهم شيء عن الخلود .

وكان ثوابهم وعقابهم مقصورين على الحياة الدنيا ولم تدرك فكرة البعث فسي

خلد اليهود إلا بعد أن فقدوا الرجاء في أن يكون لهم سلطان في هذه الأرض . .  
ولعلمهم أخذوا هذه الفكرة من الفرس أو لعلمهم أخذوا شيئاً منها

١ - المقدمة : ٤٤

٢ - الاديان في القرآن ، د . محمود بن الشريف ، ص ١٠٣ ط ٣ سنة ١٩٧٩ م دار  
عكاظ للطباعة والنشر .

٣ - راجع في هذا المصدر كتاب " دافن النفسية اليهودية . د . محمد علي الزهبي  
ط . بيروت .

٤ - لقد فضح القرآن الكريم هذه الصفات الذميمة في كثير من آياته فمن ذلك قوله تعالى :  
( وَلْتَجِدْنَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوْمَئِذٍ أُوْحِدَهُمْ لَوِيضَعُ أَلْفِ سَنَةٍ وَمَا  
هُوَ بِمُزَحَّزَجِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يَعْصِرَ وَاللَّهُ بِصِيْرِهِمْ بَعِيْطُونَ ) البقرة : ٩٦  
وفي حب الجدال ( وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُدْبِحُوا بَقَرَةً قَالُوا اتَّخَذْنَا  
هَٰذَا قَالِ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ  
يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضَ وَلَا بَكَرٌ وَأَنْ يَبَيِّنَ لَكُمْ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ . قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ  
يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْئِبُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ . قَالُوا ادْعُ لَنَا  
رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ طِينًا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ . قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا  
بَقَرَةٌ لَا ذَلِيلٌ تَشِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرثَ سَلْمَةً لَا شَيْءَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ  
فَذْبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ . ) البقرة : ٦٧-٧١

و عن قسوة القلوب ( ثُمَّ قَسَيْتُ قُلُوبَكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ  
الْحِجَارَةِ لِمَا يُسْتَفْجَرُ مِنْهُ الْاَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لِمَا يَشْقُقُ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لِمَا يَهْبِطُ

مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِمُفَاظِلِّهِمْ تَعَطُّونَ ) البقرة : ٧٤ .

و راجع في هذا الموضوع : " قصة الاديان " رفقى زاهر ص ١٩٧-٢٠٢ مكتبة النهضة . . ٤

(١) (الصرهين)

وهذا النص يفسره ويؤكد لنا ما ذهب اليه د. السبيري (٢) من : ان العهد القديم ليس فيه اشارة واحدة الى البعث أو اليوم الآخر وأن فكرة الاعتقاد بالبعث بدأت تظهر في الكتابات اليهودية لتخدم فكرة العودة للأرض ولعل هذا من الأسباب الكامنة في عدم تقبل الفرق اليهودية لفكرة البعث والحساب .

والايمان باليوم الآخر هو الركن الخاص من أركان الايمان في الاسلام وقد

شدد القرآن الكريم النكير على الكافرين لانكارهم البعث ، وقد طالجت الآيات الحكمة هذه الناحية بصورة خاصة لان البيئة الجاهلية كانت لا تعتقد بهذه العقيدة .

فالله تعالى هو المحيي والمميت وهو القادر على بعث الاجساد وهو أهون عليه ، قال تعالى ( وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ) (٣) .  
( أَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ بَدَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ) (٤) .

وأثبت هذه العقيدة لا يتم وفق النظريات والقوانين التجريبية لتعلقها

بالايمان بعالم الغيب ، فالفطرة السليمة التي وضعها الله تعالى في النفس البشرية هي القدرة على ادراك هذه الحقائق وأن ذوى الأبصار وأولى الالباب هم المتكسبون من النظر في الآيات الكونية السبوتة في هذا الوجود والاستدلال على امكانية البعث والنشور. وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك، ودعا الخلق الى التفكير والتدبر ، يقول سبحانه في ذلك ( قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) (٥)

ويقول ( وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ طِفْلاً فَخَلَقْنَا الْمَوْلُودَ الْمُتَلَفَةَ مِضْغَةً فَخَلَقْنَا الْعِضْفَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمِتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ) (٦)

ويقول سبحانه ( وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَيْتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ) (٧)

( وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْك تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) (٨)

وهكذا تأتي الآيات القرآنية لتجيب على أسئلة الحيارى التائبين في لجاج

الحياة مذكرة لها هم بأن البعث حقيقة لا ريب فيها .

١ - قصة الحضارة ١/٢ : ٣٤٥ ، ان كان قصد ديورانت بالتوراة المحرفة فهذا صحيح والا فان الكتب المنزلة من عند الله تعالى جميعها تقر بهذه العقيدة .

٢ - راجع : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ١٠١-١٠٢

٣ - الروم : ٢٧ ٤ - العنكبوت ١٩ ٥ - العنكبوت ٢٠

٦ - المؤمنون : ١٣-١٦ ٧ - فاطر : ٩ ٨ - فصلت : ٣٩

اسفار اليهود المقدسة ( التوراة )  
أو العهد القديم - ونقدها

لم يطلق على أسفار اليهود اسم العهد القديم في العهد اليهودي التي وافقت نشأة جماعة وادي قمران ، لان هذه التسمية لاحقة على وجود الجماعة ، إذ أن أول من أطلق وقرر هذه التسمية هم المسيحيون تمييزاً لها عن الاناجيل التي أطلقوا عليها اسم العهد الجديد (١) .

وقد تعددت الآراء حول معنى كلمة ( التوراة ) فيذهب البعض الى انها مشتقة من كلمة ( تارا ) بمعنى : يلقي بالقرعة لمعرفة شئعة الله ، والكلمة لم تكن ذات معنى محدد ان كانت تستخدم بمعنى ( وصايا ) أو ( شريعة ) أو ( علم ) أو ( أوامر ) ولكنها في القرن السادس ق.م . صارت تعنى الشريعة بشكل عام ثم أصبحت تشير الى البيناتوخ ( أو البيناتوك ) (٢) . أو شريعة في مقابل أسفار الانبياء وكتب الحكمة والأناشيد ، ويذهب البعض الى انها من كلمة تورة بالعبرية اي الهدى والرشاد . وينسب أهل الكتاب الأسفار الخمسة لموسى عليه السلام على اساس انها موحى بها من الله ، أما بقية اسفار العهد القديم فهي ... أسفار تاريخية مختلفة تحكى التقلبات التي مر بها اليهود . ، أما بقية أسفار الانبياء فقد سمي كل سفر بحسب اسم صاحبه كما يعتقدون .

وجميع هذه الاسفار في نظر أهل الكتاب مقدسة ما عدا بعضها التي اختلفت في قدسية ، فبعض الاحبار يضيفون اسفاراً لا يقبلها احبار آخرون (٥) .

- اما بالنسبة لمفهوم الاسلام حول التوراة فهو يختلف عما يذهب اليه اليهود فالسلمون يؤمنون بان الله تبارك وتعالى قد أنزل التوراة على موسى عليه السلام

١ - راجع : كتاب : " كنتم خيرامة اخرجت للناس " ، خير الله طلفاح ، ١٥٦/٧ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٣٩٨ هـ ، ١٩٧٨ م . ، وكذلك راجع في هذا الصدد بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية ، ١٧/١

٢ - اي الكتاب ذوالاسفار الخمسة ، راجع " كنتم خيرامة اخرجت للناس " ١٥٧/٧

٣ - موسوعة الفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ١٤٣ وهناك تسميات أخرى منها ( الناموس ) راجع : قاموس الكتاب المقدس ص ٩٧٨ ، ومنها التعاليم ، راجع : اليهودية ، د شلبي ، ص ٢٣

٤ - راجع : " كنتم خيرامة اخرجت للناس " ١٥٧/٧

٥ - اليهودية ، د . شلبي ص ٢٣٠

هدى ونورا ، قال تعالى ( إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّهَابِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً فَلَا تَخْشَوْنَ النَّاسَ وَالْأَخْشَاءَ وَلَا تَخْشَوْا بَيَاتِي سَمًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ) (١)

ولكن : هل بقيت التوراة كما أرادها الله لبني اسرائيل ، أم غيرت وبدلت ؟ ، وهل حافظ عليها هؤلاء أم حرفوها وزوروها ؟

ولا هُمية هذا السبحث وتعلقه بجماعة وادى قرمان وكتبتها ومؤلفاتها التي تخالف بقية اليهود بحسب اراء بعض العلماء يحسن ايراد بعض النقاط حول ما هية التوراه المتداولة حاليا بين أيدي أهل الكتاب ، وتاريخ تدوينها ومصادرها للانتقال الى التحريفات التي ادخلها القوم طيها .

اولا : نظرة عامة :

==

اهتم نقاد النصوص الدينية بأسفار العهد القديم وتمكنت أبحاثهم الكثيرة عقب حقبة طويلة من التوصل إلى حقيقة غادها أن أسفار التوراه دونت في أزمنة مختلفة وليس في زمن واحد، وأن هذه الأزمنة متباعدة جدا فيما بينها وتصل الى قرون عديدة ، ما يوحي باستحالة نسبتها الى موسى عليه السلام من جهة ، كما أن المفاهيم والمعلومات والاحداث التاريخية التي وردت في هذه النصوص لا تتفق مع نظريات وقوانين العلم الحديث (٢) فضلا عن التناقضات الكثيرة الواردة في هذه الاسفار ولهذا اعتبرت من قبيل الاساطير والخرافات القديمة التي نسجتها مخيلة الكهنة الامر الذي يستحيل معه قبول العقل السليم بمثل هذه الترهات ، وما رافقها من تضخيم وتغخيم لشعب مشتم محتار ، ظن صلغا انه شعب مختار تشبها مع تقوله على الله تبارك وتعالى ومكابرة على الحق ، واتباع لخطط الكهنة ابتغا جمع اليهود بعد التيه والتشرد .

١ - المائدة : ٤٤

٢ - يراجع في هذا الصدد ما كتبه " موريس بوكاي " حول الاخطاء التاريخية الواردة في التوراة المحرفة المتداولة ، وكذلك المناقشات العلمية التي لا يسلم بها العلم الحديث وذلك في كتابه " دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة " ، ص ٣٩ - ٤٧ ، دار المعارف بمصر

ثانيا : تقسيم التوراة :

===

يقسم اهل الكتاب اسفار العهد القديم كل بحسب ترتيبه الخاص ، وما يذهب اليه كل فريق . فاليهود لهم تقسيم رتبوا فيه اسفارهم بحسب تواريخهم ولم يسلم هذا التقسيم من خلافات بين الفرق اليهودية -  
فاذا جئنا الى المسيحيين وجدنا النسخة الكاثوليكية تزيد سبعة اسفار عن النسخة البروتستانتية ( ١ ) .

وما يهم البحث هنا هو التقسيم الذي ارتضاه اليهود للعهد القديم والذي يبلغ مجموع اسفارهم ٣٩ سفرا وهي على النحو التالي :

القسم الاول : اسفار موسى الخمسة ، وتسمى ايضا الناموس ( ٢ )  
وهي :

١ - التكوين :، وهي بذلك لانه يصف الخليقة ومد العالم والشعب المختار بنسوع خاص ( ٣ ) .

٢ - الخروج : واسمه في الاصل العبري ( واله شيموت ) ويتحدث عن بني اسرائيل وخروجهم من مصر ، وقد وردت فيه احكام شريعتهم بحسب ما يرونها ومن ضمنها الوصايا العشر في الاصحاح العشرين ( ٤ ) .

٣ - اللاويين : ويحتوي على طقوس الكهنة ابنا<sup>(٥)</sup> لاوي وهين واجباتهم وحقوقهم والذبايح وفروضها ( ٦ ) .

٤ - العدد : تضمن احصاءات عن الشعب المختار ، وقصة التيه ( ٧ ) .

٥ - تثنية الاشتراع : وهو تكرار وتتمة لشريعة موسى<sup>(٨)</sup> بحسب ما يزعمون ، واسم السفر بالعبرية ( اله هو ياريم ) ( ٩ ) .

---

١ - اليهودية ، د . شلبي ص ٢٣٠

٢ - قاموس الكتاب ص ٧٦٤

٣ - "كنتم خيرامة" . . . . . طلفاح ص ١٥٧/٧

٤ - قاموس الكتاب ص ٣٣٩ ، ( و "كنتم خيرامة" ، طلفاح ، ١٥٧/٧ )

٥ - "كنتم خيرامة" ١٥٨/٧ وقاموس الكتاب

٦ - قاموس الكتاب ص ٨٠٩

٧ - "كنتم خيرامة" . . . . . طلفاح ، ١٥٨/٧

٨ - قاموس الكتاب المقدس ص ٦٠٩ و "كنتم خيرامة" ص ١٥٨/٧

٩ - قاموس الكتاب المقدس ص ٢٣٥

القسم الثاني : ويسمى الانبياء ، وكذلك الاسفار التاريخية

وهو اثنا عشر سفرا وسأعدد لها فقط واحيل القارى الى المصادر التي تتحدث عنها ، والتي توسعت في مباحثها .

- |                   |                         |
|-------------------|-------------------------|
| ١ - يشوع          | ٧ - الطوك الثاني        |
| ٢ - القضاة        | ٨ - اخبار الايام الاول  |
| ٣ - راعوث         | ٩ - اخبار الايام الثاني |
| ٤ - صموئيل الاول  | ١٠ - عزرا               |
| ٥ - صموئيل الثاني | ١١ - نحميا              |
| ٦ - الطوك الاول   | ١٢ - استير              |

وتتحدث اخبار هذه الاسفار عن كل ما مر باليهود حسب زعمهم من احداث خلال عهد الانبياء اصحاب هذه الاسفار ، وما حدث لكل واحد منهم ( ١ )

القسم الثالث : اسفار الاناشيد

وعدها خمسة

- |             |                   |                  |
|-------------|-------------------|------------------|
| ١ - ايوب    | ٢ - مزاهير داود   | ٣ - امثال سليمان |
| ٤ - الجامعة | ٥ - نشيد الاناشيد |                  |

وتتحدث هذه الاسفار عن امور مختلفة منها قصص ابيوب وابتلاؤه ، وادعية متعددة نسبت اليه والى سليمان وداود . وغيرهم .

القسم الرابع : اسفار الانبياء ( الصغار ) ويسمى نبينهم

وهي سبعة عشر سفرا

- |                 |                    |            |                   |
|-----------------|--------------------|------------|-------------------|
| ١ - اشعيا       | ٦ - هوشع           | ١١ - ميخا  | ١٦ - زكريا        |
| ٢ - ارميا       | ٧ - يوشيل          | ١٢ - ناحوم | ١٧ - ملاخي اولاخي |
| ٣ - مراثي ارميا | ٨ - طاموس          | ١٣ - حبقوق |                   |
| ٤ - حزقيال      | ٩ - عوبيديا        | ١٤ - صفنيا |                   |
| ٥ - دانيال      | ١٠ - يونس او يونان | ١٥ - حجي   |                   |

وهي أسفار تتحدث عن كل ما جرى لهؤلاء المذكورين اعلاه مع قومهم

- ١ - ومن اهم المصادر والمراجع التي بحثت في تفاصيل هذه الاسفار وفسرت الاحداث التي صارت بانبياء بني اسرائيل : اليهودية ، د . شلبي ، والاسفار المقدسة ، للدكتور وافي ، وكتاب قاموس الكتاب المقدس ، وهو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية والانبياء للدكتور عبد الشكور محمد أمان ، وكنتم خيرة ، لطفاح وغيرهم .

ثالث : لغات الاسفار وتاريخ تأليفها وتدوينها :  
=====

دونت اكثر اسفار العهد القديم بالعبرية ، وان كانت التراكيب والاساليب وبعض المفردات تختلف باختلاف هذه الاسفار وتنتم عن العصور التي الف فيها كل سفر منها ولا يستثنى من ذلك الا بعض أجزاء <sup>(٢)</sup> يسيرة الفت من اول الامر باللغة الارامية وهي بعض اجزاء من سفرى عزرا ( ESDRAS ) ودانيال وبقرة واحد من سفراريا . . . . .  
وكلمتان اثنتان من سفر التكوين وردتا باللغة الارامية عن قصد ويرجح الباحثون ان ط الف بالارامية مباشرة من سفر عزرا يرجع تاريخ تدوينه الى حوالي سنة ٣٠٠ قبل الميلاد وان ط الف بها من سفر دانيال يرجع تاريخ تدوينه الى سنة لاحقة لهذا التاريخ . (٣)

وان اقدم ترجمة للتوراة ( هي الترجمة المعروفة اليوم بالترجمة السبعينية وهي المنقولة من العبرانية الى اليونانية وقد نقلت هذه الترجمة الى الاسكندرية بصرفي حوالي سنة ٢٥٠ ق م تلبية لرغبة بطليموس فلاولفوس ( ٢٨٠ - ٢٤٧ ق م ) ثم ترجمت الى اللغة الحبشية عام ٣٢٠ للميلاد ويرى المؤرخون المحققون ان المقصود بالتوراه هنا هو الاسفار الخمسة الاول من الكتاب المقدس المنسوب لموسى عليه السلام كما يدعى اهل الكتاب .

( وليس في الوسخ تحديد تاريخ قاطع للتوراة ولكن الارجح ان معظمها كان موجودا ومعترفا بقداسته لدى اليهود منذ عهد الاسكندر الاكبر ( عام ٣٣٠ ق م ) وقد اتفق معظم شراح العهد القديم على تعدد النسخ التي جمعت منها التوراه واهمها نسخة إلهيم ونسخة يهوه ونسخة الكهنة او السجلين والذائع ان بعض هذه النسخ كتب حوالي القرن العاشر ق م على ايام السلطنة الاسرائيلية وبعضها الاخر كتسب في القرن السادس ق م . اثنا عشر فترة السبي البابلوي وبعضها كتب قبل الميلاد بنحو ثلاثة قرون .

وايضا كان الامرفسان اقدمها عهدا يروى احداثا تعزى الى زها الف سنة مضت قبل تسجيلها كما انها في جملتها تتناول تاريخا بينها وبينه عدة قرون وهذا ينطوى ضمنا على ان تدوين التوراه تعرض لتعديلات كثيرة حتى تكون اكثر مطابقة للاغراض التي دعت الى كتابتها وفي راي ولزان التوراة قد انتهت الى صيغتها الراهنة حوالي سنة ١٠٠ ق م (٥)

- ١ - قاموس الكتاب المقدس ص ٧٦٣ ٢ - المرجع السابق
- ٢ - الاسفار المقدسة ، د . وافي ص ١٢ ٤ - " كنتم خيرامة " طلفاح ١٧٠/٧
- ٥ - التراث اليهودي الصهيوني ، صبرى جرجس ص ٢٢ ط ١٩٢٠ عالم الكتب ، القاهرة



ويذهب موريس بوكاي الى ان : ما اشار اليه " اد موند جاكوب " من انه لسم  
يكن هناك نص واحد فقط بل هناك ( تعدد في النصوص ، ففي القرن الثالث قبل  
الميلاد تقريبا كان هناك على الاقل ثلاث مدونات للنص العبري للتوراه ، وكان هناك  
النص المحقق ( الطاسوري ) والنص الذي استخدم جزئيا على الاقل في الترجمة  
اليونانية والنص المعروف بالسامري او اسفار موسى الخمسة ثم بعد ذلك في القرن الاول  
قبل الميلاد اتجه الى تدوين نص واحد ولكن تدوين نص الكتاب المقدس لم يتم الا في  
القرن الاول بعد الميلاد . ( ١ )

ويؤكد بعض العلماء على ( ان النسخة الوحيدة من التوراه التي كانت  
محفوظة بالهيكل ضاعت باحراقه لاول مرة على ايدي البابليين ) ( ٢ )

ومن ثم فقد قام احبار اليهود اثنا عشر الهابلي بتأليف توراه جديدة  
اعتدوا فيها على الذاكرة واضعين اطماعهم هدفا واحدا هو اجتماع اليهود مرة  
اخرى عند الهيكل بمسند اعادة بناؤه من جديد ولا يمنع هذا بطبيعة الحال من  
ادخال التعديلات عليها حتى اصيحت بنصها الحالي ( ٣ )  
وهناك اسفار كثيرة لم يعرف مؤلفوها . ( ٤ )

وتجدر الاشارة الى ان اخر الابحاث التي انتشرت في الغرب اكدت  
على بشرية التوراه المكتوبة حاليا : ان جاء في مقدمة دراسة صادرة عن الهيئة العبرية

---

١ - دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، موريس بوكاي ، ص ١٨ ، ويؤكد  
ايضا ( انه لو كانت هذه المدونات الثلاثة موجودة الان لا يمكن اقامة المقارنات للوصول  
الى راي حقا كان عليه النص الاصلي ولكن يشاء " سوء الحظ الا تكون لدينا اقل فكرة عنه  
ان اقدم نص عبري للتوراه يرجع عهد الى القرن التاسع بعد الميلاد هذا اذا وضعنا  
جانبا اسطوانات مغارة قمران التي ترجع الى ما قبل العصر المسيحي بقليل ويرد  
الوصايا التي تختلف طفيفا عن النص الكلاسيكي ، وبعض مخطوطات ناقصة ترجع الى القرن  
الخاص بعد الميلاد . . . )

٢ - التراث اليهودي الصهيوني ، ص ٢٢

٣ - المرجع السابق

٤ - راجع : بنو اسرافيل وموقفهم من الذات الالهية والانبياء ، ١٠ / ٨٢ - ٨٩ وقد اسهب  
د . عبد الشكور اطمان في اعطاء نماذج كثيرة لهذه الاسفار .

الامريكية والتي اوضحت ( ان هذه الدراسة تنبع من فرضية ان سفر التكوين كما هو الحال في الاسفار الاربعة المكونة للتوراه هي كتاب بشري من وضع البشر (١) .

كل ذلك يدعو الى الشك في هذه الاسفار ، بل والاعتقاد بانها من وضع احبار اليهود ، وانها ليست من وحي الله لط فيها من دس وتحريف وتزوير .

ويمكننا ان الحق تبارك وتعالى قد كشف جرائم اليهود في تحريفهم للتوراه والكتب المنزلة على انبيائهم ، يقول الله تعالى :

( أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرَفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ، وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِمَعْشُرِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاوِرَكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ، أُولَئِكَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ، وَهُمْ أُمَمٌ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمْثَلِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ، قَوْلَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلَ لَهُمْ مَا كَتَبْنَا بِأَيْدِيهِمْ وَقَوْلَ لَهُمْ مَا يَكْسِبُونَ ) (٢) .

ويقول ايضا ( فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاقْفُضْ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ، وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَعَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ) (٣) .

ويقول ( من الذين هادوا و يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا وأسمع غير سماع وراينا ليا بالسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا وأسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا ) (٤) .

١ - : مقالة بقلم " محمد جلال كشك " تحت عنوان " ملاحظات اسلامية عن التوراة

والانجيل ، مجلة البطاطة ، عدد ٢٢٠٨٠٤ شعبان ١٤٠٤ هـ ، ص ٤٩ ، السعودية .

٢ - البقرة : ٧٥ - ٧٩

٣ - الطه : ١٣ - ١٤

٤ - النساء : ٤٦

### النقد الموجه الى تلك الاسفار

من الاسباب الهامة التي تدعو الباحثين للشك في صحة الاسفار المقدسة وعدم نسبتها الى موسى عليه السلام : كثرة الفتن والاضطرابات التي رافقت التاريخ اليهودي ، ولا ادل على ذلك من تعدد حملات السبي المتكررة التي قام بها الاشوريون على امتداد حقب طويلة كان اولها سبي الاسباط العشرة او مطكة اسرائيل الشمالية سنة ٧٤٦-٧٢٨ ق م . حتى سقوط السامرة بيد سرجون عام ٧٢٢ ق م . ثم سبي السكان الى بابل بين النهرين .

اما السبي الثاني فهوسي يهوذا وتم على يد نبوخذ نصر في اربع مراحل اى في الاعوام ٦٠٥ ق م و ٥٩٧ ق م و ٥٨٧ ق م و ٥٨٢ ق م (١) . ولا يخفى على احد ما يرافق عادة عمليات السبي من بطش وقتل وخراب وحرقت مما يجعل من المؤكد فقدان وطف ما بحوزة القوم من اعيان . وكتب ، وما الى ذلك . زد على ذلك ان الصراع كان دينيا في اغلب الاحيان .

وعلى هذا الاساس فان هذه الاسفار لا يمكن ان تبقى على حالها من حيث الصحة والنقل واتصال السند فضلا عن التواتر مهما قيل من حجج توهي في الظاهر انها كانت محفوظة في الصدور ثم تداولت فيما بعد او انها كانت مكتوبة في مجلدات . وقد اكد الشيخ رحمة الله الهندي انقطاع سند الاسفار وعدم تواترها بقوله ( ان تواتر هذه التوراه منقطع قبل زمان يوشيا بن آمون والنسخة التي وجدت بعد ثلثي عشرة سنة من جلوسه على سرير السلطنة لا اعتماد عليها يقينا ، ومع كونها غير معتددة ضاعت هذه النسخة ايضا غالبا قبل حادثة بختنصر ، وفي حادثه انعدمت التوراه وسائر كتب العهد العتيق عن صفحة العالم رأسا ) (٢) .  
على ان العلماء يوردون اسبابا اخرى تجعلهم في شك من امر هذه الاسفار وتقدم لهم ادلة قاطعة على انها من صنع كتبة وحاخامات اليهود ولا يمكن نسبتها الى موسى عليه السلام .

فمن ذلك ما اوردته ديورانت حول سفر التكوين من ( ان العلماء مجمعون

١ - قاموس الكتاب المقدس ص ٤٥٨ مجموعة من علماء اللاهوت .

٢ - اظهر الحق ، الشيخ رحمة الله الهندي ص ٨٤

طى أن أقدم ط كتب من أسفار التوراة هـ القصتان المتشابهتان المنفصلتان هما  
عن الأخرى في سفر التكوين تتحدث احد هـ : عن الخساق باسم ( يهوه ) طى حين  
تتحدث الأخرى عنه باسم ( الوهيم ) ويعتقد هو<sup>١</sup> العلاء<sup>٢</sup> ان القصص الخاصة  
بـيهوه كتبت في يهوذا وان القصص الخاصة بالوهيم كتبت في افرايم وان هذه وتلك  
امتزجتا في قصة واحدة بعد سقوط السامرة . ( ١ )

اما بالنسبة لسفر تثنية الاشتراع فيقول عنه ديورانت :

( وفي هذه الشرائع عنصر ثالث يعرف بالتثنية اكبر الظن ان كاتبه  
او كتابه غير كتاب الاسفار السالفة الذكر وثق عنصر رابع يتألف من فصول أضافها الكهنة  
فيما بعد والرأي الغالب أن هذه الفصول تكوّن الجزء الأكبر من سفر الشريعة الذي  
أذاه عزرا ويبدو أن هذه الأجزاء الأربعة قد اتخذت صورتها الحاضرة حوالي عام  
( ٢ )  
٣٠٠ ق م .

ويفرق ديورانت بين ط وجد في عهد يوشيا وما تلاه عزرا طى الشعب ولهذا  
فالحاجة طاسة للعودة الى هاتين الحادثتين للتعرف طى ط قرره ديورانت .

- يعترف أهل الكتاب ان معظم الاسفار المقدسة قد اظفت او فقدت في عصر  
الارتداد عن الله وهذا ط صرح به قاموس الكتاب المقدس مستشهدا بالاصحاح ٢١ من  
سفر الملوك الذي أخبر عن الأحداث التي طصرت<sup>٣</sup> وقد جاء فيه ( من أجل أن منس  
ملك يهوذا قد عمل هذه الأرجاس وأساء أكثر من جمع الذي عمله الأموريون الذين قبله  
وجعل أيضا يهوذا يخطئ<sup>٤</sup> بأصنامه لذلك هكذا قال الرب اله اسرائيل هاأذا جالب  
شرأ طى أورشليم ويهسودا حتى ان كل من يسمع به تطن أذناه وأمد طى أورشليم خيط  
السامرة ومطار بيت أخاب وأمسح اورشليم كما مسح واحد الصحن بمسحه ويقلبه طيسى  
وجبه وأرض بقية ميراثي وأدفعهم الى أيدي أعدائهم فيكونون غنيمة ونهبها لجميع أعدائهم )  
( ٣ )

بعد هذه الكارثة تولى يوشيا الحكم وفي عهده وجد "حلفا" فصولا من سفر تثنية  
الاشتراع . ، وقد اكد الدبسان ط وجد فقط اربعة فصول من سفر التثنية . ( ٤ )

فالعشور طى أجزاء من سفر لايعني أن جميع أجزاء التوراة التي فقدت  
أو اظفت أو محيت قد عثر عليها كلها ، هذا اذا كانت حادثة العشور حادثة صحيحة  
ولم تكن الأجزاء المعثور عليها من تأليف شافان الكاتب بالتواطؤ مع حلفيا الكاهن

١ - قصة الحضارة ١/٢ : ٣٦٧

٢ - المرجع السابق ١/٢ : ٣٦٧-٣٦٨

٣ - سفر الملوك الاول ٢١ : ١١-١٤

٤ - مختصر تاريخ سوريا ، ص ٩٧

فهبط اللذان عشرا طى تلك الاجزاء ( ١ )

ويؤكد ديورانت أن ما عرطيه من الاسفار طى عهد يوشيا \* قري\* طى اليهود مرتين في يوم واحد \* . ( ٢ )

ثم تأتي الحادثة الثانية وهي حادثة عزرا والتي تحدث عنها ديورانت قائلا ( في سنة ٤٤٤ ق م دعا عزرا وهو كاهن وعالم اليهود الى اجتماع عام خطير وشرع يقسراً عليهم من مطلق النهار الى منتصفه ( سفر شريعة موسى ) وظل هو وزملاؤه اللاهوت سبعة أيام كاملة يقرؤون طيهم ما تحتويه لمغات هذا السفر ولط فرغوا من قراءتها أقسم الكهنة والزعماء والشعب طى أن يطيعوا هذه الشرائع ويتخذوها دستوراً لهم يتبعونه ومبادئ خلقية يسيرون طى هديها ويطيعونها الى ابد الابدين ( ٣ ) .

ثم يؤكد أن ما طسى في عهد يوشيا هو غيره ما طسى في عهد عزرا .  
ويعد أن يورد تأثيرات الأمم الأجنبية طى اليهود يقرر حقيقة هامة فادها ( ان الاسفار التي طيت طى الشعب بأمر يوشيا وعزرا هي التي صيغت منها القوانين الموسوية التي قامت عليها الحياة اليهودية كلها فيما بعد . ) .

وقد طق الشيخ رحمه الله الهندي طى ذلك بقوله ( ولط كتب عزرا هذه

الكتب طى زهمهم ضاعت نسختها واكثر نقولها في حادثة انتيوكس ( انتيوخوس ) .

وحادثة انتيوخوس هذه تعتبر من أهم الكوارث التي حلت باليهود وتراثهم

الديني وقد تحدث عنها الديس قائلا ( . . . وطاد ياسون من مقره وهاجم أورشليم

بالف رجل فهرب متلاوس الى القلعة وأخذ ياسون يذبح أهل وطنه بلا شفقه ولكن

تقوى عليه الجمهور فطرده وطات غربها في مصر ، وبلغ انتيوكس خبر ثورته فزحف السس

اورشليم فاهلك من اهلها ثمانين الفا في ثلاثة ايام وباع منهم كثيرين وانتهب الهيكل

وكان ذلك سنة ١٧٠ ق م ) . ( ٦ )

١ - راجع : قاموس الكتاب المقدس حول حادثة العثور هذه في ص ١١٢٠

٢ - قصة الحضارة ١/٢ : ٣٦٦

٣ - المرجع السابق ، ويعقب طى ذلك قائلا ( . . . طى حين ان قراءة الكتاب الاخر

( عزرا ) قد احتاجت الى اسبوع .

٤ - المرجع السابق ١/٢ : ٣٧٠ ٥ - اظهر الحق ص ٨٤

٦ - مختصر تاريخ سوريا ص ٩٧ مستشهدا بـ ( مكاف ٤ عدد ٧٠ )

## الفصل الرابع : رجال الدين اليهود ،

ان التطور الذي رافق العقيدة اليهودية والذي اشار اليه العلماء ، راجع دون شك الى وجود طبقة في المجتمع الديني اليهودي ، اذ عُدَّوا تحريف التوراة الاصلية ، وهذه الطبقة تمطت " بالكهنة " والكتبة " ، والتي سنرى طرفا منها اثنا الاشارة اليها بشكل موجز لنعرف حقيقتها وما تمثله من ضغط في المجتمع اليهودي .

### أ - الكهنة :

تطلق هذه الكلمة في عرف اهل الكتاب على خدام الدين وفي اصطلاح الكتاب المقدس عند هم تأتي من كلمة ( كاهن - أو كهنوت " اي الشخص المخصص لتقديم الذبائح " ) ( ١ )

وكان الكهنة يتولون الى جانب ذلك التشفع لدى الله من أجل الشعب ( ٢ ) . ومن هنا تبرز أهمية دور هؤلاء في المجتمع كطبقة تستغل تدبير الناس بامتهانها الوساطة ما بين الخلق والخالق .

والاعتقاد السائد بين اليهود ( أنهم أمة من الكهنة والقديسين والانبياء اختارهم الله ليكونوا بمثابة الكهنة لكل الاعداء ، ولكن شعب الكهنة كان مع هذا له كهنته المقصرون عليه ) ( ٣ ) .

والى جانب واجبات تقديم الذبائح اليومية والاسبوعية والشهرية والسنوية اضيفت الى مهامهم الخدمة في ( الاحتفالات والتطهير ) وكانوا يعتنون بالانيسة المقدسة والنار المقدسة والمنارة الذهبية والاثاث المقدس . وكانوا يطلقون الصوت في الابواق المقدسة ويحلقون تابوت العهد ويقضون في دعاوى الغير ويقدررون المال للافتداء وينظرون في شأن البرص ويفسرون الناموس للشعب ويقومون باستشارة الله بواسطة الاوريم والتيميم ( ٤ ) .

١ - قاموس الكتاب المقدس ص ٢٩١

٢ - الكتب التاريخية في العهد القديم . مراد كامل ص ٢٠ ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٦٨ م .

٣ - موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، ص ٣١٧

٤ - كلمتان عبريتان معناهما ( انوار وكلمات ) . ويرجح انهما كانا شيئين صغيرين اوريم وحجرين وكانا يحفظان في صورة رئيس الكهنة يستخدم الاوريم والتيميم في معرفة ارادة الله في الامور الكهنوتية او السياسة القومية ( قاموس الكتاب المقدس ص ١٣٦ ) ومن خلال وصفها فان قول صاحب القاموس انف الذكر ( ويقومون باستشارة الله ) يفيد ان حوارا قائما يدور بين الكهنة وبين الله بواسطة هذين الحجرين ، وهذا محال وتدلّس على الناس وافتراء على الله كما لا يصح وصف هذه الطريقة بالاستشارة كما جاء في قول صاحب ( موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ) من انهم كانوا يفصلون في الامور

وكان رئيس الكهنة اعظم الاشراف بين الاسرائيليين . . . . وكانت وظيفته ميراثا في آل هارون وكان البكر ، اذا خلا من العيوب الجسدية هو الذي يتولّى هذا المنصب وكانوا يعينون<sup>(١)</sup> في حفل كبير ) ويقوم بتقديم الذبيحة يوميا ، وكان يلبس الملابس الفاخرة ولا سيما في يوم الكفارة ، وكان يضع في هذا اليوم صورة مرصعة بالجواهر وقد نقشت على الجواهر اسما<sup>٢</sup> اسباط بني اسرائيل الاثنى عشر ، وذلك يرمز الى ان رئيس الكهنة يحل مسؤولية كل الشعب ، وهذه الرتبة هي تذكارا للشعب امام الله كما يدعون<sup>(٢)</sup> .

---

=القضائية عن طريق استخاره الله ، راجع : ص ٣١٧ من المرجع السابق . فهذه لا يمكن تسميتها استخاره ، لمخالفة الشكل والمضمون ، بل هي اقرب الى طريقة عرب الجاهلية في الاستقسام بالازلام او عادة التطير عند هم .  
اما الاستخارة فهي عند المسلمين : دعا<sup>٣</sup> بعد صلاة غير فريضة يقصد منها ( طلب الخيرة ) مختار الصحاح لابي بكر الرازي ص ١٩٥ ط ١٣٩٨ هـ ، دار الفكر .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم اصحابه الاستخارة في الامور كلها كما يعلمهم السورة من القرآن : يقول اذا هم احدكم بالامر فليركع ركعتين غير الفريضة ثم ليقل :  
اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك واسألك من فضلك فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام السفيوب ، اللهم فان كنت تعلم ان هذا الامر ، ثم يسميه بعينه - خير لي في عاجل امري وآجله وفي ديني ومعاشي وعاقبة امري فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه ، اللهم وان كنت تعلم انه شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة امري او قال عاجله واجله فاصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به )  
الشيخ البخاري كتاب التوحيد باب ١٠ ، المكتب الاسلامي ، محمد اوزدمير ، اسطنبول - تركيا ١٩٧٩ م

١ - قارن هذه الاحتفالات بما في قاموس الكتاب المقدس ص ٧٩٣

٢ - الكتب التاريخية في العهد القديم ص ٢٠

وهكذا نرى هو<sup>١</sup> الكهنة كيف يلعبون دورا مهما في حياة اليهود واليهودية<sup>٢</sup> فقد وضعوا انفسهم بين الناس والله فلم تكن تقبل توبة ولا قرابين الا اذا باركها الكاهن لان مفتاح السما<sup>٣</sup> كان في يده ( ١ ) . ( حسب ما يدعون ) كما لم يكن احد غير الكهنة يستطيع ان يقرب القرابين بالطريقة الصحيحة او يفسر الطقوس او الاسرار الدينية تفسيراً آمناً من الخطأ وكان هو<sup>٤</sup> طبقة مغلقة ولا يستطيع احد ان ينتمي اليها إلا ابناً<sup>٥</sup> ليعني ، ولم يكن من حقهم ان يرثوا مالا ولكنهم كانوا معييين من الضرائب وفرضة الروس وسائر الاتاوات على اختلاف انواعها وكانوا ياخذون العشور على نتاج الضان ، ويتنعمون بما يبقى في الهيكل من القرابين التي لم تستفد ههنا الالهة<sup>(٢)</sup> ( حسب زعمهم ) .

ولا شك ان هذه العطية تد ر عليهم اموالا طائلة كما تبرز هذه الظاهرة مدى الثروة التي يمتلكها هو<sup>٦</sup> والتي جنيت من الناس باسم السدين . ( ٣ ) .

ومن خلال مراجعة جدول فرق الكهنة في قاموس الكتاب المقدس يتضح لنا ذلك العدد الهائل الذي كان يوظف طبقة هائلة تعيش على دماء الناس وتتلاعب بعواطفهم واحاسيسهم الدينية لقا<sup>٧</sup> تجارة الخداع والغش .

١ - موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٣١٧

٢ - قصة الحضارة ١/٢ : ٢٤٦

٣ - يقول الحق تبارك وتعالى في معرض مخازي اليهود في اكل اموال الناس بالباطل : ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُمْسِكُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ) التوبة : ٣٤ قال الواحدي : ( نزلت في العلماء والقراء من اهل الكتاب كانوا ياخذون الرشا من سفلتهم وهي المآكل التي كانوا يصيبنونها من عوامهم ) اسباب نزول القرآن لابي الحسن علي بن الواحدي . ت : سيد أحمد صقر ص ٢٤٣ دار القبة للثقافة الاسلامية ، ط ٢ ، ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م المملكة العربية السعودية .

وقال ابن كثير ( ذلك لانهم يأكلون الدنيا بالدين ومناصبهم ورياستهم في الناس يأكلون اموالهم بذلك . كما كان لاحبار اليهود على أهل الجاهلية شرف ولهم عندهم خرج وهدايا وضرائب تجيب<sup>٨</sup> اليهم فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم استمروا على ضلالهم وكفرهم وعنادهم طمعا منهم في ان تبقى لهم الرياسات فاطفاها الله بنور النبوة وسلبهم اياها وعوضهم الذل والصغار وبأ<sup>٩</sup> بغضب من الله تعالى ) تفسير ابن كثير ٢ : ٢٥٠



ب - الكتيبة :

هذه الطبقة يطلق عليها اسم آخر هو " الناموسيون " (١) كانت مهمتهم كتابة الشريعة لمن يطلبها فهم أشبه بالنساخ (٢) وعن طريق صلتهم بكتابة الشريعة عرفوا بعض المعلومات من الكتب التي نسفوها فاتخذوا الوعظ وظيفه اخرى لهم بجوار كتابة الشريعة وكان الوعظ وكتابة الشريعة وسيلتين اصطنعهما الكتبة لتصيد اموال الناس وبخاصة عند ما عم الفساد وانحرف الفريسيون (٣) .

وقد تطورت هذه الطبقة واصبح من مهامها :

اولا : درس الناموس وتفسيره واصبح شرحهم مدنيا ودينيا وكانوا يحاولون تطبيقه على تفاصيل الحياة اليومية وقد اصبحت قرارات عظمى الكتيبة شرعية شفهية (٤) تدعسي التقاليد . ولا شك ان التلمود كان وليد ما ألفه الكتبة .

١ - الكتب التاريخية في العهد القديم ص ٢٦

٢ - المرجع السابق ص ٢٧

٣ - اليهودية د . شلبي ص ٢٣٢

٤ - هكذا تحولت الشريعة من الأصالة الى التحريف على أيدي هؤلاء ، فجاء التحريم والتحليل وفق أهوائهم وهذا تعد على مقام الألوهية والربوبية ، وقد فضح الحق تبارك وتعالى هذه الجريمة بقوله في محكم التنزيل ( اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالسَّيِّئِينَ مَرِيمَ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ) . التوبة : ٣١ قال الامام ابن كثير ، : وهكذا قال حذيفة ابـن اليمان وعبد الله بن عباس وغيرهما في تفسير ( اتخذوا احبارهم . . . ) انهم اتبعوهم فيما حللوا وحرّموا وقال السدي : استنصحو الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ) . . . راجع تفسير ابن كثير ٢ : ٣٤٩

وفي شان الذين يكتسبون الكتاب بايديهم وينسبونها لله يقول سبحانه ( فويل للذين يكتسبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون ) البقرة : ٧٩ ، يقول الامام ابن كثير : اي فويل لهم مما كتبوا بايديهم من الكذب والبهتان والافتراء وويل لهم مما اكلوا به من السحت كما قال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنه ( فويل لهم ) يقول فالعذاب عليهم من الذي كتبوا بايديهم من ذلك الكذب وويل لهم مما يكسبون ، يقول : مما يأكلون به الناس السفلة وغيرهم ) تفسير ابن كثير ١ : ١١٨

وعن تبديل هؤلاء لكتاب الله جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ( يا معشر المسلمين كيف تسألون اهل الكتاب وكتابتكم الذي انزل على

ثانيا : لدرس الاسفار الالهية بنوع عام وذلك من الوجهة التاريخية والتعليمية .  
ثالثا : للتعليم ، وكان يلتفت حول كل كاتب مشهور جماعة من الطلاب يتتلفون عليه .  
رابعا : العناية بحفظ الهيكل والمجامع .<sup>(٢)</sup> اضافة الى ذلك جاءت ( خطوة ثانية رفعت  
من شأن الكتبية وأطت من قدرهم ، وهي أن كل واحد منهم عنى بإنشاء مدرسة أصبح  
هو راعيا لها ومعلما بها . وكان له مریدون يسمعون تعليماته ويذيمونها ، ومن الناحية  
النظرية لم يكن يجوز لهذا المعلم أن يتقاضى أجراً من مریديه وان كانت الناحية النظرية  
كثيراً ما أهبطت وحصل الكتبية على ثراء كبير من مریديهم ومن وسائل اخرى .<sup>(٣)</sup>

وقد بلغ ( أوج نفوذهم على الشعب في أيام المسيح ( عليه السلام ) . ومع  
أنه وجد بينهم من آمن بتعاليم المسيح . . إلا أن أكثرهم قاموا ضده وتذمروا منه )<sup>(٤)</sup> .  
وقد حمل المسيحيون الكتبية سوءاً ولية ( صلب المسيح ) كما يمزعمون . ولهذا  
كان الانتقاد شديداً لهم .

وهكذا يتضح دور رجال الدين اليهود وكذلك خطورة السهام الموكلة اليهم .  
فمن هذا السبيل يمكن اخضاع المجتمع لتوجيهاتهم والزامه بمقرراتهم وتقديراتهم العقديّة  
والاجتماعية والاقتصادية وغيرها . وقد شكست هذه الفئات العمود الفقري للنحس  
الفكري والسلوكي والسياسي اليهودي عبر التاريخ ، فنجد المؤلفات اليهودية تصدر عن  
أراء هؤلاء كتابة وشرحا وتفسيرا مع الاخذ بعين الاعتبار ما تضيفه هذه السهام عليهم  
من قدسية في أعين البسطاء .

وتتبادى هذه الفئات في اضلال الرطاع عن طريق استغلال العواطف واثارة  
الشاعر وتألبيها وبث روح العداوة والاحتقار لغير اليهود وقد اخترعت ما يسمى بشعار  
" المعاداة للسامية " كستار لمحااربة كل من يتصدى لمآرب اليهود واطماعهم التوسعية  
ومن هذا الطريق استطاعت الصهيونية تنفيذ مآربها واغتصاب اراضي المسلمين فـسـي  
فلسطين وهي طى الدوام تسعى لمزيد من التوسع كلب سئحت الفرصة بذلك .

---

= نبيه صلى الله عليه وسلم أحدث الاخبار بالله تقروءونه لم يشب وقد حدتكم الله ان أهل  
الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب فقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمننا  
قليلاً أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن سائلتهم ولا والله ما رأينا رجلاً منهم قط يسألكم  
عن الذي أنزل عليكم ) : صحيح البخارى ، باب لا يسأل أهل الشرك عن  
الشهادة وغيرها ١٦٢٣/٣

- ١ - قاموس الكتاب المقدس ص ٧٥٩
- ٢ - يوحنا المعمدان بين الاسلام والنصرانية . د . احمد حجازى السقا ص ٢٤ دار التراث  
العربي للطباعة والنشر ط ١ ، مصر ، ١٩٧٨ م
- ٣ - اليهودية . د . شليبي ص ٢٣٢
- ٤ - قاموس الكتاب المقدس ٧٦٠
- ٥ - المرجع السابق .

الفرق اليهودية

اسباب انقسام اليهود الى فرق دينية تعود إلى أمور شتى ، ولكن العقائد اليهودية خاصة ما يتعلق بأصول الدين ، وفروعه ، كانت من أبرز أسباب هذه الفرقة وهذا الشعب .

كما أن روح التفرد والأناية التي تصطبغ بها الشخصية اليهودية كان لها تأثير كبير على إنقسام المجتمع الديني اليهودي ككل ، وإذا كان لليهود ما يجعلهم يعيشون بعيداً عن الشعوب الأخرى ضمن مجتمعات منغلقة فان هذه العقولة تنطبق على الوضع الداخلي إذ أن الأحقاد والضغائن تنتشر إنتشاراً واسعاً وتشكل باستمرار تهديداً للمجتمع اليهودي ، ومن الناحية التاريخية فان تفرق اليهود خاصة بعد رجوعهم من السبي البابلي قد ازداد (١) .

ورغم هذا الانقسام وحب التشردم فان اليهود يحرصون في الظاهر على اعطاء صورة مزيفة لواقعهم المنحل ، فهم على الدوام يوجهون الاعلام حول تجمعاتهم والتفافهم حول بعضهم ، إلا أنهم في حقيقة الأمر يعيشون في خداع مستمر وقصد كشف القرآن الكريم هذا الزيف ، حيث يقول الحق تبارك وتعالى ( لَا يَقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قَرْيٍ مَّحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ حُدُورِ بَأْسِهِمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعاً وَقَلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ . ) (٢)

وسوف أحاول في هذه المقالة استعراض أهم الفرق اليهودية المنتشرة إبان العصر الذي وجد فيه القمرايون للتعرف على بعض آراء هذه الفرق ، ومن ثم الوقوف على الفرق بين جماعة وادي قمران وبقية أقرانها .

أولاً : الصدوقيون

هذه الفرقة تنتسب إلى رجل يقال له صدوق (٣) ، أو صادوق (٤) ، وقد كان كبير الكهنة ، وقد ورث الصدوقيون عنه المهنة حتى عام ١٦٢ م (٥) ، وكانت أسرة صادوق تقود الشوون في القرنين الرابع والثالث في العصرين الفارسي واليوناني ( ثم ) أخذت تضع الاعتبارات السياسية فوق الدينية (٦) .

- ١ - راجع : الكتب التاريخية في العهد القديم ص ٢٣
- ٢ - الحشر : ١٤ - الفصل ، لابن حزم ٢٨/١
- ٣ - قاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٧
- ٤ - موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية . ٢٤
- ٥ - قاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٩
- ٦ - قاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٩

وقد تقرب الصدوقيون من حكام اليونان وغيرهم كما تقرب الحكام اليهم ، فكانت القيادة والسياسة في ايدي الصدوقيين في زمان الرومان اليهود وسين وكان رؤساء الكهنة انذاك منهم (١)

وانحصرت عقائدهم في الاتي :

أ - التزموا تعاليم التوراة ( المحرفة ) ورفضوا الأخذ بالا حاديث الشفوية المنسوبة الى موسى ( عليه السلام ) (٢) . وقالوا : ( إن حرف الناموس المكتوب وحده ملزم ) (٣)

ب - انكروا القيامة والثواب في الجسد ، ذاهبين الى ان النفس تموت مع الجسد (٤) . ويعتقدون ان عقاب العصاة واثابة المحسنين انما يحصلان في حياتهم (٥)

ج - انكروا وجود الملائكة والارواح (٦)

د - قالوا بحرية الارادة و ( اننا قادرون على اعطائنا ، واننا سبب الخير واننا نتقبل الشر من أجل حماقة أفعالنا وأن لا يدخل الله في صنعنا الخير أو اعرضنا عن الشر ) (٧)

(٨)

هـ - كانوا يقولون بان عزيرا ابن الله ( تعالى الله عما يصفون ) وكانت تحصل بينهم وبين الفريسيين مشاحنات وخلافات . ( ٩ ) . وقد عارضوا المسيح عليه السلام في دعوته وكانت لهم محاورات معه سجلها متى ( ٣ : ٢٣ - متى ١٦ : ٤ - ١ ) وبتهمهم المسيحيون بالمشاركة في المؤامرة على السيد المسيح ، كما نسب متى وصف المسيح لهم بأنهم أولاد الأفاعي هم والفريسيون متى ٣ : ٧ . وكان باقي اليهود يتفرون من تعاليمهم (١١) وتعتبر هذه الفرقة من الفرق التي اضمحلت مع الزمن (١٢) وأن كانت بعض افكارها لا زالت موجودة بين ظميراني اليهود .

١ - قاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٩

٢ - الاسفار المقدسة . د . وافي ص ٥٦

٣ - قاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٩ وحياة المسيح للعقاد في المجموعة الكاملة ١١ : ٢٤٥

٤ - مخطوطات البحر الميت " للعابدي " ص ٣٨ وقاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٩

٥ - الاسفار المقدسة ، د . وافي ص ٥٦

٦ - قاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٩ ٧ - المصدر السابق ومخطوطات البحر الميت للعابدي " ص ٣٨

٨ - الفصل ، لابن حزم ١ : ٢٨ ٩ - يوحنا المعمدان ص ٢٣

١٠ - قاموس الكتاب المقدس ص ٥٤٠

١١ - الاسفار المقدسة ، د . وافي ص ٥٧

١٢ - مخطوطات البحر الميت " للعابدي " ص ٣٨ و موسوعة المفاهيم ص ٢٤٠

ثانياً

الفريسيون :

هذه الكلمة مأخوذة من العبرية ( بيروشم ) اي الضعزلون ، وهذا اللفظ دليل على انفصالهم عن عامة الشعب وما يختص بالسلوك ، ومع ذلك فهم لم يتجنبوا الناس كلية بل كانت لهم صلات وتعامل ، واختلاط ، وانما كانت هذه التسمية تهكماً وتحقيراً لهم ، كما يطلق عليهم ايضاً اسم الريانيين<sup>(٤)</sup> ، وهم يشكلون احدى فئات اليهود الرئيسية الثلاث التي تناهض الفئتين الأخريين الصدوقيين والاسانيين (جماعة وادي قمران) وكانت أضيقتها رأياً وتعليماً<sup>(٥)</sup> ، وهناك خلاف بين العلماء حول أصل نشأتهم<sup>(٦)</sup> ، وقد شكك هؤلاء<sup>(٦)</sup> حزبا سياسيا دينيا أيام المسيح عليه السلام وقد تعرضوا للابادة في عهد يوحنا هركانس الاول ( ١٣٤-١٠٤ ق م ) فتدفق الفريسيون من اليهودية الى قمران إتقاءً للمظالم اكثر منهم رغبة في الحياة النسكية ، وبلغ الفريسيون ذروة اليأس والقنوط ( وازدادت على يد ) الاسكندر بن يوحانان ( ١٠٣-٧٦ ق م ) الشبل الكلب على حد التعبير الوارد في "تفسير نحوم" وناصر عليهم الصدوقيين ، ودام النزاع بين الفريقين ست سنوات باد فيها من الفريسيين خمسون الفا رجل على ما جاء في تاريخ اليهود القديم ليوسيفوس فاستنجد هؤلاء<sup>(٧)</sup> بالسلوقيين فتقدم ديمتريوس الثالث افكاربوك ( ٩٤-٨٨ ق م ) من دمشق الى شكيم ( نابلس ) حيث أوقع بجيش الاسكندر سنة ( ٩١ ق م ) ولما قفل الطك السلوقي راجعا عاد الاسكندر وانتقم من الفريسيين فعلق على الصليب ثمانمائة من وجهاتهم وقتل نساءهم وأولادهم تحسب أعينهم وهم ينازعون ، والطك يعاقر الخمر مع محظياته<sup>(٨)</sup> . إلا أنهم استطاعوا الحصول على دعم زوجة الاسكندر الكسندرا ( ٩٠ ) .

- ١ - موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ٢٨٣
- ٢ - يوحنا المعمدان ص ٢٣
- ٣ - حياة المسيح ، مجموعة العقاد الكاملة ١١ : ٢٤٤
- ٤ - الاسفار المقدسة ص ٥٦
- ٥ - قاموس الكتاب المقدس ٤٧٤
- ٦ - راجع هذا الخلاف في: الاسفار المقدسة ص ٥٥ وقاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٤
- ٧ - دائرة معارف فؤاد البستاني ١٢ : ٣٧٥-٣٧٦
- ٨ - المرجع السابق - قاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٤

اهم عقائدهم :

أ - انهم يعترفون بجميع اسفار العهد القديم والا حاديث الشفوية ، المنسوبة ( زيفسا ) الى موسى عليه السلام واسفار التلمود ، ويتضح ان فقهائهم هم الذين ألفوا التلمود ( ٢ )

ب - يقولون بالقدر ، ويجمعون بينه وبين ارادة الانسان الحرة .  
ج - وكانوا يؤمنون بخلود النفس وقيامه الجسد ووجود الارواح ومكافأة الانسان ومعاقبته في الآخرة حسب صلاح حياته الارضية أو فسادها ( ٣ )  
ولا شك ان مفهومهم هذا يختلف عن مفهوم الاسلام له ، ان يركب الفريسيون ان الاموات سينتشرون في هذه الارض ليشتركوا في ملك المسيح المسذى سيأتي آخر الزمان لينقذ الناس من ضلالهم ويدخلهم جميعا في ديانة موسى أي أن بعث هو\* سيحصل في الحياة الدنيا . ( ٤ )  
د - ومن آرائهم ايضا أن دولة اليهود لا بد أن تستعيد مكانتها ( ٥ )

وقد شاركوا غيرهم من اليهود في السوقف بوجه دعوة عيسى عليه السلام وكذلك كان الامر بالنسبة لدعوة يحيى عليه السلام ، وكانا طيها السلام يقولان بحسب ما يسمعتهم به المسيحيون ويناديانهم باولاد الافاعي هم والصدوقيون .  
كما وبخ المسيح عليه السلام بشدة رؤسائهم وادعاهم البر كذبسا وتحليلهم الناس أثقال العرضيات دون الاكتراث بجوهر الناموس ( ٦ )  
وقد انقسم الفريسيون في عصر الجيلاد الى فريقين :  
فريق منهم يتبع الحكيم ( هلل ) وهو الفريق السمع الودود في معاملة الاجانب والفريق الاخر يتبع الحكيم ( شلمى ) وهو أقرب الى الحرج والتضييق ورد الراغبين في دخول الدين من غير اليهود ( ٧ )  
ولا شك بأن الكثير من الأحزاب السياسية والدينية في اسرائيل تأخذ بافكار هذه الفرقة التي ليس لها ذكر في التاريخ الحديث .

١ - الاسفار المقدسة د . وافي ص ٥٥ وكذلك قاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٤

٢ - الاسفار المقدسة ٥٥

٣ - قاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٤ ٤ - الاسفار المقدسة ص ٥٥

٥ - اليهودية ، د . شلمى ص ٢٢٧

٦ - قاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٥ وحياة المسيح ، في مجموعة العقاد ١١ : ٢٤٤

٧ - المسيح ، في مجموعة العقاد ص ١١ : ٢٤٥

ثالثا : السامريون :

تنسب هذه الفرقة الى مدينة السامرة ، تلك المدينة القديمة التي بنيت  
نابلس على انقاضها <sup>(١)</sup> ، وقد اشتق اسمها منها <sup>(٢)</sup> ، وسميت بذلك لان عمري بن  
أخاب ( ٨٤٢-٨٧٦ ق م ) اشترى تلالا بوزنتين من فزه من رجل اسمه شامر <sup>(٣)</sup> ، وهم  
يقولون ان مدينة القدس ( هي نابلس ( شكيم ) ولا يعرفون حرمة بيت المقدس  
ولا يعظمونه <sup>(٤)</sup> ، ويقول خصوصهم <sup>(٥)</sup> انه عندما غزا سرجون السامرة عام ٧٢٢ ق م سبى  
من سكانها ٢٧٢٨ شخصا وترك بعض السكان الاصليين وان وجد انهم متمردون  
دبر خطة يقتل بها وطنيتهم الثائرة فنقل شعبا من بابل وحماة والفرزية الى السامرة  
وصار هؤلاء السامريون ، وظلوا يمارسون عباداتهم التي اعتادوها قبل المجيء الى  
السامرة <sup>(٦)</sup> ، وقد امتزجوا بالسكان واختلطوا <sup>(٧)</sup> بهم وتزوجوا فيما بينهم ، ولما عاد اليهود  
من السبي البابلي رفضوا اشراك السامريين في اعادة بناء الهيكل ، وسنوا القوانين  
التي تحرم الاختلاط بهم <sup>(٨)</sup> ، وقد قدس السامريون فيما بعد جبل جرزيم <sup>(٩)</sup> .

وما اكثر المنازعات التي قامت بين اليهود العبرانيين والسامريين والتي كان  
من نتائجها وجود هوة سحيقة بين الطرفين تعود في مجملها الى خلافات فسي  
العقائد والآراء وكذلك الخلاف حول الكتب التي يقدسها كل فريق <sup>(١٠)</sup> .

- ١ - وقد هددها القائد " فسباسيان " واقام على انقاضها مدينة اسماها المدينة الجديدة ( نيوبوليس او نابلس ، المعروفة اليوم ) راجع : حياة المسيح ، للعقاد ، في المجموعة الكاملة ٢٤٩ / ١١
- ٢ - موسوعة الفاهيم ، ص ٢١١
- ٣ - قاموس الكتاب المقدس ٤٤٨ ، وراجع مقدمة كتاب التوراة السامرية ، ت : د . احمد حجازي السقا ص ٤٥
- ٤ - الفصل لابن حزم ٧٨ / ١ - تقول التوراة العبرية ما يلي ( واتى ملك اشوري يقدم من بابل وكوث وعوا وحماة وسفردايم واسكنهم في مدن السامرة عوضا عن بنى اسرائيل فامتلكوا السامرة وسكنوا في مدنها وكان في ابتدا<sup>١</sup> سكنهم هناك انهم لم يتقوا الرب ) سفر الملوك الثاني ١٧ : ٢٤-٢٥
- ٦ - قاموس الكتاب المقدس ٤٤٩-٤٥٠ - ٧ - حياة المسيح ، للعقاد ٢٤٨ : ١١
- ٨ - موسوعة الفاهيم ص ٢١١ - ٩ - قاموس الكتاب المقدس ٤٥٠
- ١٠ - مخطوطات البحر الميت ، للمابدي ، ص ٣٦
- ١١ - الاسفار المقدسة ، د . وافي ص ٥٨
- ١٢ - الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية د . عبد المنعم الحفني ص ١١٥ ، ط ١ دار المسيرة بيروت ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ . وراجع هذه الخلافات وحول الفروق بين التوراة العبرية والسامرية في مقدمة كتاب التوراة السامرية

اهم الآراء والعقائد :

أ - يبطل السامريون كل نبوة كانت في بني اسرائيل بعد موسى ( عليه السلام )  
بعد يوشع . . . فيكذبون نبوة شمعون وداود وسليمان واشعيا واليسع والياس وظاموس  
وحقوق وزكريا وارميا وغيرهم . ( ١ )

( ٢ )  
ب - يرفضون اسفار الانبياء ويؤمنون باسفار موسى الخمسة ، ويضيفون اليها  
احيانا سفر يوشع بن نون وسفر القضاة . ( ٤ )

ج - يقدسون جبل جرزيم ويتوجهون اليه في الصلاة والحج ، على عكس اليهود  
العبريين الذين يقدسون جبل صهيون . ( ٦ )

د - يتشددون في حرمة يوم السبت ، ولا يرى عندهم نار أو نور .  
هـ - يصومون يوم الكفارة مثل سائر اليهود ولكنهم يتشددون فيه فلا يستثنون  
منه حتى الاطفال والرضع . ( ٧ )

( ٨ )  
و - يؤمنون بيوم القيامة ، وسوجود ملائكة ، وظهور المسيح في آخر الايام  
لكنهم يزعمون انه سيكون من آل يوسف على حين يعتقد اليهود انه من آل داود . ( ٩ )

وقد افرقت السامرة الى دوستانية وهم الالفانية والى كوستانية .  
والدوستانية معناها : الفرقة المتفرقة الكاذبة ، والكوستانية معناها : الجماعة الصادقة  
و يقرون بالاخرة والثواب والعقاب فيها . والدوستانية تزعم أن الثواب والعقاب  
في الدنيا ، وبين الفريقين إختلاف في الاحكام والشرائع . ( ١٠ )

١ - الفصل : لابن حزم ، ٧٨/١ ، والتوراة السامرية ص ٢١١

٢ - مقدمة التوراة السامرية ص ١٤

٣ - موسوعة المفاهيم ص ٢١١ ٤ - الكتب التاريخية في العهد القديم ص ٢٦

٥ - حياة المسيح ، للعقاد ، ٢٤٨/١١ ، وراجع تفاصيل احتفالات السامريين على

قمة هذا الجبل في كتاب " مخطوطات البحر الميت " للعايدى ص ٣٦-٣٧

٦ - التوراة السامرية ص ١٥

٧ - يوحنا المعمدان ص ٢٣ ٨ - يذكر الامام ابن حزم في الفصل ٧٨/١

ان السامريين هو\*لا\* لا يقرون بالبعث ( والخلاف الدائريين اليهود حول هذه النقطة  
متشعب وطويل ، وما نقله ابن حزم محمول على انهم لا يدينون قطعا بالبعث كما هو عند  
المسلمين ولا يقرون بما جاء مطابقا لما في القرآن والسنة النبوية الشريفة . والله اعلم .

٩ - يوحنا المعمدان ص ٢٣ ١٠ - : الطل والنحل للشهرستاني ٢٧/٣

على هامش الفصل لابن حزم ط ، محمد علي صبيح واولاده ، القاهرة . ويذكر الشهرستاني

انه قد ( ظهر رجل في السامرة يقال له الالفان ادعى النبوة وزعم انه هو الذي بشر به .



ويقول العقاد : ( من المحقق ان هؤلاء السامريين كان لهم شأن  
في تطور الفكرة المسيحية او فكرة الخلاص المنتظر على يد رسول موعود . )<sup>(١)</sup>

وما ذكره د . احمد السقا ، حول تغير " نظرة اليهود العبرانيين  
اليوم الى السامريين وانهم ينظرون اليهم على انهم اخوة اختلفوا معهم في السراى  
كما اختلف العبرانيون من قبل المسيح وفرقهم الخلف الى فريسيين وضد وقين<sup>(٢)</sup> } ليس  
على اطلاقه ، ان يرى د . المسيرى ان " بعض اليهود ينفي عن السامريين صفة  
الانتساب الى اسرائيل والايمان باله اسرائيل . " <sup>(٣)</sup>

الا انه يمكن الجمع بين الرأيين بان الخلف بين العبرانيين  
والسامريين ربما أُجِّسَ بسبب الحروب التي يخوضها اليهود ضد المسلمين  
فليس من المستبعد أن يوءخر هذا الخلف الى ما بعد ذلك . والا فالنزاع المعقدي  
قائم لا شك .

والسامريون هم أصغر طائفة دينية في العالم ، فعددهم لا يتجاوز  
٢٤٠ شخصا يعيش اغلبهم في نابلس والباقي في اسرائيل بجوار تل ابيب .<sup>(٤)</sup>

---

= موسى وانه هو الكوكب الذى ورد في التوراة وانه يضى \* ضوء القمر وكان ظهوره قبيل  
المسيح عليه السلام بقريب من طائة سنة ) . راجع الطل والنحل ، للشهرستاني ٢٧/٣

- ١ - حياة المسيح ، للعقاد ، ص ١١ / ٢٤٩
- ٢ - مقدمة التوراة السامرية ص ١٥-١٦
- ٣ - موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٢١١
- ٤ - المرجع السابق .

رابعاً : القناثيون (١)

تعتبر هذه الفرقة من الفرق المتطرفة بين اليهود (لأرائها واتجاهاتها  
فقد اتخذت طابع العنف والعدوان لتحقيق اهدافها ، وكانت وثيقة الصلة بالفريسيين  
يقول عنها ( *Guignebert* ) ( وكان في فلسطين بين الفرق الاخرى فريق وثيق  
الصلة بالفريسيين يتفق معهم في اكثر عقائد هم كالقول بالمسيح المنتظر وكسالحماسة  
الوطنية والميل للعبادة ولكن هذا الفريق امتاز بعدم التسامح ، بل بالعدوانية ضد  
المواطنين الذين اتهموا بالادينية او بقبول الضموع لغير اليهود ، وكان من سياسه  
هذا الفريق الا ينتظر اتباعه العون من الهتهم بل ان يعطوا بانفسهم ليساعدوا الاله  
على تحقيق ما يريد له لشعبه وكانوا بذلك يكونون الجناح اليسارى في فريق الفريسيين . (٢)

ومن اقوالهم : ان الله لا يعود الى شعبه الا اذا خلصت الارض للشعب (٣)  
وقد قضى الرومان على ثورتهم التي قاموا بها بقيادة القائد القناثي اليعسازر (٤)  
وهو من الغلاة الذين اطلق عليهم اسم السقارة ( *Sicari* ) من سقر الارامية  
والعربية ( بمعنى : قائد على المحارم ، فهم الذين يحطون بشدة على المحارم ،  
حيث كانوا يغيرون ويسلبون وينهبون . (٥)

---

١ - من الكلمة العبرية قنأ بمعنى : غيور ( موسوعة المفاهيم ص ٢٩٤ وقاموس الكتاب  
المقدس ص ٧١٠ - وبالارامية والعربية من قنأ بمعنى : اشتد غضبه فهم الغاضبون  
( الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص ١٧٥ . كما ان لهذه الفرقة اسماً اخرى  
منها : أ - الفيوريون (الكتب التاريخية في العهد القديم ص ٢٨)

ب - الجليليون ( موسوعة المفاهيم ص ٢٩٤ ) وقد اعتبرت . مراد كامل  
ان الجليليين والفيوريين فرقتان منفصلتان في حين انها فرقة واحدة .

ج - المتعصيون ( اليهودية . د . شليبي ص ٢٢٢ )

٢ - اليهودية ص ٢٢٢

٣ - الموسوعة النقدية ص ١٧٥

٤ - موسوعة المفاهيم ص ٢٩٤

٥ - الموسوعة النقدية ص ١٧٦

خامساً : الناظوريون

هذه الفرقة اشار اليهسا شارل جنيبير ، نقلا عن كتابات احد

المؤلفين المسيحيين من القرن الرابع ويدعى القديس " ابيفان " . ( ١ )

يقول عن اتباع هذه الفرقة :

( انهم لم يعترفوا بمعبد اليهود كمركز لطقوسهم ، ولكنهم ساروا على تقاليدهم

الاخرى ولم يقبلوا الشريعة اليهودية على انها شريعة الهية متأثرين في ذلك بالتيارات  
الفكرية الخارجية

- ثم انهم يعتبرون انفسهم " قديسين " بالنسبة الى بقية البشر وكان هذا راى

المسيحيين الاول ايضا في بد \* دعوتهم .

ومن ناحية اخرى يمكن ان نفس الاسم الذى اتخذهوه لفرقتهم بالسر جوع الى

كلمة ناظر العبرية التي ترجمها اليونان بكلمة ( هاجيوس ) اي القديس وينطبق

هذا التفسير أيضاً على اللقب الذى اطلق على عيسى وكان هو "الناظريون" فسي

اغلب الظن شديدى التحمس لفكرة حلول ملكة الله ، ولعلمهم كانوا السابقين الى

التفكير في ( المسيح المنتظر ) والى القيام بطقوس معينة من اجله على غرار ما كانت

تقوم به فرق اخرى اكثر اغراقا في الشرق منهم بالنسبة الى الاله المنفذ ، الذى تنهياً

له متأثرة في ذلك باتجاهات دينية خارجية مختلطة . ( ٢ )

ويضيف جنيبير الى ذلك القول بان وجودها يدل دلالة واضحة على اتصال

الروابط بين اليهودية بمعناها الحقيقي وبين الاديان الاخرى التي شاركت اليهودية

في فكرة ترقب او عبادة " منقذ الهى " وان تفاوتت اشكال هذا الترقب وتلك العبادة .  
( ٣ )

علم بان انتشار هذه الفرقة كان على ضفاف نهر الاردن قبل حلول

المسيح عليه السلام ( ٤ )

١ - المسيحية ، نشأتها ، وتطورها ، شارل جنيبير ، ص ٦٣-٦٤ ، المكتبة العصرية

ت : د . عبد الحليم محمود ، المكتبة العصرية ، صيدا لبنان .

٢ - المرجع السابق

٣ - المرجع السابق .

٤ - المرجع السابق

## الفصل السادس

### عقائد القمانيين :

الحديث عن عقائد جماعة وادي قمران ، أعقد من الحديث عن تاريخ نشأتها وتطورات حياتها ، ذلك لان الباحثين حينما قارنوا عقائد هذه الفرقة بغيرها من الفرق اليهودية الاخرى ، تحدثوا عن جوانب قليلة منها ، دون الخوض في مسالكها المتشعبة ، ما تعذر - والحالة هذه - اعطاء حكم نهائي بشأنها .

ومن الصعوبات التي تذكر في هذا الصدد ، ان العلط\* حينما رجعوا الى مخطوطات المعهد القديم المكتشفة في المغارات قاموا بمقارنة ما هو مطبوع بين ايدي اهل الكتاب ببعض نصوص منها مغفلين بذلك الموازنة الضرورية الكاشفة لاختلاف عقائد القمانيين ورافهم . وكل ما قام به العلط\* يعتبر مقارنات لنصوص من سفر اشعيا ونصوص من تفسير حيقوق ، .

طما بان العلط\* حينما تحدثوا عن المخطوطات المكتشفة اكدوا على وجود عدد كبير من هذه النصوص ، فكان الاجدر بهم عقد مقارنات بين الاسفار الخمسة الاولى للتوراة المخطوطة وبين ما هو مطبوع ، نعم هذا الطريق يمكن لهم التاكد بشكل واضح من اصول عقائد القمانيين خاصة فيما يتعلق بالالوهية والنبوات واليوم الاخر .

وربما يكون العذر الوحيد امام العلط\* هو عدم استكمال نشر جميع نصوص المخطوطات وهو ما يعيق فعلا عطية البحث والمقارنة .

الا ان الخشية نابعة من مغية ان تكون هذه المقارنات قد أبعدت عمدا او صرف النظر عن نشرها لما تتضمن من حقائق قد تظهر بطلان عقائد اهل الكتاب المحرفة عن الالوهية والنبوات وابطال مزاعمهم ، أو ان الدائرة اليهودية المولفة للبحث في هذه المخطوطات تستغل المعلومات المستخلصة منها كورقة ضغط على المسيحيين للمتنازل والخضوع للمقررات اليهودية .

واذا\* هذه الصعوبات فانه لا يمكن القطع باى فرضية لغياب المخطوطات عن ايدي المسلمين فضلا عن عدم وجود هيئة رسمية طمية اسلامية تتبنى دراستها وتحريصها وترجمتها لوضعها بين ايدي الباحثين المنصفين لاستخلاص النتائج واصدار

١ - راجع في هذا الصدد : مخطوطات البحر الميت\* للعايدى\* ص ٢٥٠-٢٦٥

وكذلك : مخطوطات البحر الميت\* لحطادة\* ص ٦٢

٢ - مخطوطات البحر الميت ، للعايدى\* ص ٢٤٩-٢٥٣ ، ومخطوطات البحر الميت

لحطادة ص ٦٢

القرارات المناسبة بشأنها .

وما يزيد البحث صعوبة ندرة المصادر والمراجع التي تحدث عن الفكر الديني لدى القمانيين . ، وجل ما في الامران ما بحث . حتى الآن كان استعراضا للمعومات ، بل بعض هذه الدراسات جاءت محيرة ، بل وغازية . ومن ذلك ما ذكر بان عقائد هذه الفرقة لم تخرج عن عقائد بقبيلة الفرق اليهودية وانه ( لا يختلف مفهوم الاسينيين لله والعالم والانسان في الاساس والجوهر عما ورد في العهد العتيق بل يعتمد في مجله على شئ من التفصيل والتاويل ) (١) وقد عرفنا في الفصول السابقة ما كانت تعتقده الفرق اليهودية من عقائد باطلة وارا متشعبة . فهل عقائد جماعة وادي قمران على هذه الشاكلة ، ام انها تختلف عن البقية ، واذا كانت على شاكلتها فما الداعي الى الانعزال والابتعاد عن اقرانها ؟ .

والاجابة على ذلك تكمن في تحليل الاسباب الدافعة لانعزالهم واستقلالهم عن المجتمع اليهودي فقد بلغت الفروق الى الحد الذي قال عنه بعضهم ( ولو لا صلتهم بالهيكل الاسرائيلي لم حسبوا من الاسرائيليين ) (٢) فالخلاقات في مناحي العقيدة لاشك قائمة ، وربط يظهر بوضوح اثبات استعراض كافة جوانب الموضوع .

الا انه لا بد من الاشارة الى ان بعض ما كتب عن عقائد هم جاء منيها على اساس ما ذكره خصومهم المعاصرون لهم ، وهذا ايضا يلقي ظلا من الشك على بعض النقول لاحتال وجود الدس طيهم او محاولة للطعن بهم .

واغلب الظن ان الذين بحثوا في عقائد هذه الفرقة هم من المعدن ثمن في هذا الجانب ، ولم يكونوا من اصحاب الاختصاص في مجال العقائد والاديان . ولهذا نرى اهتمامهم تنصب على الانظمة والقوانين الدينية السني شغلت هذه الفرقة اتباعها بها في حياتها النسكية واساليب التقشف والتعبد .

اما ابحاث المتخصصين في هذا المجال فقد جاءت كقدمات اولية لا يمكن ظهور نتائجها الا باستكمال نشر بقية المخطوطات وهذا ما لم يتم حتى الان .

لهذه الاسباب مجتمعة فان البحث يعطي لنفسه العذر ان قصر في تتبع اقوال العظماء وتمحيص ارائهم ، او اقتصر على مراجع دون اخرى لقلّة المادة العلمية المطلوبة

١ - موسوعة فؤاد البستاني ٢٨٠ / ١٢

٢ - الديانات والعقائد ، للمطار ٣٧٤ / ٢

٣ - وذلك : كابحاث د . علي عبد الواحد وافي ص ٥٨ في الاسفار المقدسة .

- اختلاف العُلما\* حول الاسس العقديّة :

هناك انقسام بين العُلما\* حول عقائد القمانيين ، ففريق منهم يعتمد جانب الطعن بهم مستندا الى بعض اقوال المؤرخين والكتاب الذين طاصروا هذه الفرقة ، اضافة الى بعض نصوص من كتب القمانيين المخطوطة ككتاب النظام واسبار العهد القديم .

وأولى هذه الإتهامات تتحدث عن عبادة تهم للشمس ، إذ لاحظ البعض (أن الآسنيين يستعملون لفظة الله ، والشمس ، والقدر ، في السدلول الواحد . فهل هي واحدة ؟ أم في الالفاظ بعض التورية ؟ والغوارق الخفية ؟ ، ومن هنا . . . يبدو أنهم يعبدون الشمس فلا يتلفظون بكلمة نبوية قبل بزوغها حتى إذا ما أشرقت سجدوا لها ودعوا بتوسلات وصلوات ورثوها عن آباؤهم كأنهم يضرعون إليها أن ترسل نورها عليهم ، أليس في ذلك بقايا من تأثير عبادة المصريين للشمس "آمون" ، رع" طقسست في ممارسة الآبا\* وانتقلت الى الآسنيين فجاءت تعاليمهم خليطا من المذهب المصري ومذهب الصابئة ومذهب القدرية مع المحافظة على استحقاق الاعمال للعقابا والشواب يدينها حاكم مطلق وذلك دون تمييز ودون الاجتهاد في التوفيق بين هذه النظريات التي ظهرت متضاربة متباينة هذا اذا اعتمدنا ما نقله يوسيفوس (١) .

وهذا هو المطران صوفيل ؛ أن ذلك كان نتيجة تأثرهم بأجواء السبهي (البابلي) الى جانب ذلك لاحظ البعض أن أحد أسفار مزامير الشكر يسي الله تبارك وتعالى " أمير الآلهة وملك السجّلين ورب كل روح وسيد كل عمل (٣) . وهذا اتهام لهم بتعدد الآلهة .

ومن جملة الاتهامات أيضا ، انهم كانوا يأخذون بمذهب الغنوصية (٤)

- ١ - دائرة فؤاد البستاني ٣٨١/١٢ وكنز قرمان ، للمطران صوفيل ص ٢١٦-٢١٧
- ٢ - كنز قرمان ص ٢١٧
- ٣ - مخطوطات البحر الميت " للمعابد " ص ٢٦١
- ٤ - الغنوصية أو " الغنوسيس " هي كلمة يونانية الأصل معناها المعرفة ، غير انها اخذت بعد ذلك معنى اصطلاحيا هو التوصل بنوع من الكشف الى المعارف العليا او هو تذوق تلك المعارف تذوقا مباشرا بان طقي في النفس القا\* فلا تستند على الاستدلال او البرهنة العقلية وقد اعتبر الغنوصيون عقائد هم اقدم عقيدة في الوجود وان الغنوصية اقدم ( وهي ) اوحى الله به ، فانقل من طبقة غنوصية الى طبقة اخرى ، ولا يمكن انتقاله ولا ينتهي . وهو يختلف عن غيره من العقائد الدينية بان دائرته لا تنتهي ابدا ، وقد احتفظ به مجموعة من الكهان والسحرة وتناقلوه معلنين ان بيدهم ( مفاتيح الاسرار الالهية و " اسرار القدس الاطى " وان بالغنوص الخلاص الابدى ، ذلك الوحي المتجدد والفيض الذي ينبعث دائما من السلا الاطى ولا نعرف بالدقة اين ظهر . . . هل اتى من فارس أو من الهند ؟ : نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام د . علي ساي النشار ١ : ١٨٦

ولاستدلال على ذلك اختلفت بعض النصوص الدالة على ايمانهم بنظرية المعرفة والاسرار الخفية<sup>(١)</sup> الا ان هذه النصوص في راي هذا المصدر لا تكفي لوضع اساس قرابة بين القرانيين والغنوصية ، فهو يقول حسن ذلك ( فالتشابه بين الغنوصية والقرانيين هنا لا يكفي لوضع اساس قرابه بينهما ولا شك ان المخطوطات تحتوى افكارا ومثلا تشابه تلك التي كان يدين بها الغنوصيون في نقاط مختلفة ، ومن الممكن ان تكون بينهما حلقة اتصال غير مباشرة وتاريخية غير قابلة للتعريف .

ويضاف الى ذلك القول ( بان كانت الغنوصية لم تؤثر في ديانة شريعة قران اليهودية فكل منهن قد اعترفوا بالاساس من نفس المصدر ، فالافكار تتشابه وقد توجد في البلاد المتاخمة بالمجوسية او ديانة بلاد فارس القديمة ، ولربما يقول " كون " :  
( ان مخطوطات البحر الميت تربطنا النقطة التي تدفق عليها تيار تأشير الديانة المجوسية . . ( فقد ) جرى في جدول التقليد اليهودي والتقى به . )<sup>(٢)</sup>

كما يذهب البعض الى انهم كانوا يعتقدون بتثاقب النور والظلام ونظرية الخير والشر .<sup>(٣)</sup>

اذ لمس الباحثون وجود عبارات " جهوش النور والظلام " وتنازعهما حيث تتعارض الجبهتان في داخلية كل انسان يتزعم الاطس من جهة ميخائيل امير النور متحدا مع روح النور وروح الحق ، ويقود الثانية من جهة اخرى بليلعل او ملاك الظلام مع جمهرة ارواح الظلام او ارواح الشر المسيطرة على العالم الارضي<sup>(٤)</sup> .

ويتفق المتحتمون على ان هذه النظرية مأخوذة من الفكر الفارسي وعلى الاخص الزرادشتي<sup>(٥)</sup> فحول هذا التأشير يقول النقاسد ( على الرغم من ان طبيعة التقارب بينهما نقول : ان افكار كتاب النظام ايرانية بدلا من ان نسميها غنوصية فالتأشير الايراني يظهر بصورة خاصة في الادب الذي يدور حول الروميا والذي يتضمن كتاب سفر دانيال في العهد القديم وكتاب اخنوخ غير القانونية .

وقد عثر في كهوف قران على اجزاء من هذه الكتب التي لها اوجه تقارب في نقاط عديدة في هذا النوع من الادب مع المخطوطات وكثيرون هم الكتاب الذين لاحظوا ان فكرة الاسرار الالهية التي تعبر عنها مخطوطات البحر الميت تعود الى هذا المنوع من التفكير الغيبي فكتاب دانيال يستعمل كلمة ( سر ) التي تظهر في مخطوطات البحر الميت وان الفقرات المأخوذة من مخطوطات دانيال الكثيرة التي عثر عليها في الكهوف تبرهن ان سماك يهوذا كانوا يعرفون هذا الكتاب وقد لوحظت ايضا تعابير شابهة في كتاب اخنوخ<sup>(٦)</sup> .

١ - مخطوطات البحر الميت \* للمابدي \* ص ٢٥٣ ، ٢٥٦ - المصدر السابق

٢ - كنز قران ص ٢١٦-٢١٧ - دائرة معارف فؤاد البستاني ٢٨١/١٢  
وقارن مع : مخطوطات البحر الميت \* للمابدي ص ٢٥٩

٣ - دائرة معارف فؤاد البستاني ٢٨١/١٢ ومخطوطات \* للمابدي \* ص ٢٥٩  
وكنز قران ص ٢١٧

٤ - مخطوطات البحر الميت \* للمابدي \* ص ٢٥٩-٢٦٠ وكنز قران ٢١٧

ومن الاتهامات المسجلة ضد هم أيضا ما قيل بانهم كانوا يقدرسون بعد الله تبارك وتعالى شخصا اخر يسميه يوسيفوس ( معطينا الشريعة ) وهو موسى طيبه السلام ، وانه كان في اطي مكان من القداسة والاحترام لدى العهد بين . ( ١ )  
فكلمة القداسة هنا تحيط حولها الشكوك بعض الشيء ، وذلك لان اغلب الباحثين لم يلمسوا قدسية موسى في المخطوطات ، وربما تكون الترجمة غير دقيقة أو ان معنى القداسة هنا لا يخرج عن كونه تقديرا واحتراما لا أكثر وهذا ما عبر عنه الطران صوثيل . ( ٢ )

ومن تلك الاتهامات ما نقل أنهم كانوا يعتقدون بالبعث الروحاني دون الجسدي ، جاء ذلك إعتادا على ما تحدث به يوسيفوس بشأن العقيدة الفروضة عليهم و ( القايلة ) ( بان الاجسام تغنى وان الطادة التي عطلت منها ليست خالدة لكن النفوس هي الخالدة والتي تعيش الى الابد ) وعند ما تتحرر من ريسقتها كأنها مربوطة باجسادها وكأنها في سجن بقوة سحرية ، عندئذ تذهب الاجساد الى الفناء ، وتذهب الارواح الى الخلود . ( ٣ )

وقد حلل البعض أقوال يوسيفوس هذه بقوله ( اما الأخذ بالعقاب والثواب ، فنتاج من الاعتقاد بخلود النفس وفناء الجسد ، والا فلا يمكن حصول القيامة والبعث فالنفس تتحدر من أطف الاثير فتجتذبها محاسن الجسد بتشويق طبيعي معين ، فتزلق ، وتحل فيه وتعيش متحدة به كأنها في سجن ، وتتابع حياتها وتقوم باعمالها سالحة أو طالحة على أن السعي لنيل جزاء الصلاح واجب حتى يدرك الجسد الموت والفناء فاذا حان الأجل تتحرر من قيود الجسد تحرر الافلات من العبودية فان كانت سالحة ، تعيش في النعيم ، في مكان واقع فيط ورا البحر المحيط حيث لا يكدرها طر ولا ثلج ولا حر وحيث يهب عليها النسيم اللطيف وينعشها وان كانت شقية تطرح في مكان مظلم بارد حيث تقاصسي ظابا ابديا ) ( ٤ )

على ان هذا التحليل يلقي اعتراضا من قبل باحثين اخرين ، حيث لم يتضح لهم انها ( افكارا غريزية وعقيدة غنوصية ) ان لم ترد في مخطوطات البحر الميت . وان هذه الاراء فيها ما فيها من تعاليم مدرسة الاسكندرية وقد يكون يوسيفوس اخذ بالفلسفة الاسكندرية فنسبها الى الاسنبيين في معرض الكلام عنهم وهو الذي انفصل عن جماعتهم قبل ان يدرك كنه معتقد هم . . . ) ( ٥ )

- ١ - مخطوطات البحر الميت " للمعايدى " ص ٢٧٧-٢٧٨ ٢ - كنز قران ص ٢١٧
- ٣ - المرجع السابق ص ٢٨١ وراجع كذلك : المسيح في مفهوم معاصر ، عصام الدين هفني ناصف ص ١٤٨ دار الطليعة ط ١٩٧٩ م .
- ٤ - دائرة فوارة المستاني ٣٨٢/١٢ وكنز قران ص ٢١٧ نقلا عن يوسيفوس
- ٥ - مخطوطات البحر الميت " للمعايدى " ص ٢٨١



ومن ضمن المآخذ ط لاحظه د . النشار نقلا عن فيلون ، من ان بعض

(١)

عقائد هم تدبير ( يذهب يلعب فيه طم الجن والملائكة الدور الكبير ) .

كما وجهت اليهم تهمة ترميمهم بانهم اخذوا عن الفرس المفاهيم التنجيمية

فذهبوا الى ان حياة البشر واعمالهم مسيرة على سير الاجرام السماوية وان الانسان

يتأرجح بين تقلبات قوى الخير والشر المتنازعة فيميل الى هذه أو تلك حسب ربه

فلكل برج نسبة حسابية تفرض على مواليد في انحرافهم بعالم أرواح النور أو أرواح الظلام (٢)

كما يذهب البعض إلى ان ( من بين المعتقدات التي اُشيعت عنهم القول

بانهم ( لم يشكوا ابدا في ان اسرائيل كانت شعب الله المختار ) (٣)

هذه بعض الانتقادات والاتهامات التي صدرت من قبل العديد من

العلماء ، وفي المقابل هناك من يذهب الى النقيض من ذلك .

وهذا الفريق يستند الى آراء متفرقة منها ط اعتد على اقوال بيليني (٤)

ومن ذلك قوله ( ويتباهون ويتفانون في تقوى الله ( سبحانه وتعالى ) ولا يسمع لهم صوت

قبل بزوغ الشمس حتى يومه وا فرضة الصلاة باتجاه الشمس وكانوا هم يتضرعون لتشرق ،

حتى اذا فرغوا من الصلاة صرفهم كبارهم كالا الى عله ) (٥)

وبعض ذلك قول بعض الباحثين ( انهم كانوا يشعرون بتسام روحي

له شكر موجه الى الله تبارك وتعالى الواحد الاحد ) (٦)

كما استدرج بطرس البستاني على يوسفوس حول ذات الموضوع حيث

اوضح ط ذهب اليه يوسفوس بقوله ( انهم يسمون نور الشمس نور الله . . . وراينا انهم

لا يتلفظون بكلمة طالمية ( اي د نوية ) قبل طلوع الشمس وانهم كانوا يصلون لها كل يوم

لكي لا ينقطع نورها عن العالم . . . ( كما ذكر ) يوسفوس ايضا ( انهم كانوا يعتقدون

١ - نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام . د . النشار ، ١ / ٢٦-٢٧

٢ - دائرة فؤاد البستاني ١٢ / ٢٨١

٣ - مخطوطات البحر الميت " للعايدى " ص ٢٦١

٤ - بيليني الكبير ( ٢٣-٧٣ ) هو مؤلف التاريخ الطبيعي . وقد كتب عن الاسينيين في

كتابه الخامس والفصل السابع عشر . ( راجع كنز قبران ص ٢١١ )

٥ - مخطوطات البحر الميت للعايدى ص ٣٩-٤٠

٦ - صفحات مضيئة من تراث الاسلام ، انور الجندي ، ص ١١٢ دار الاعتصام ١٩٧٩

ان كل شيء خاضع لسلطة القدر وان لاشي\* يحدث في الناس الا بما امر القدر . . .  
فاذا اخذنا ظاهر هذه الالفاظ وقربناها - بعضها من بعض - نرى ان الله  
والشمس والقدر واحد عند هم وانهم كانوا يعبدون الشمس ويعتقدون القدرة الكلية  
في القدر فيظهر من يوسيفوس ان تعاليمهم اخلاط من مذهب الصابئة ومذهب القدرية  
وزادوا عليها اعتقاد استحقات الأعتال وابدية العقاب والثواب ووجود حاكم مطلق (١)  
وقد رد البستاني على ذلك قائلًا ( فلا يخفى ما في التوفيق بين هذه  
الاراء من عدم المناسبة ان يصعب تصديق كون جماعة واحدة تعتقد بوجود حاكم  
مطلق والقدر معا . . . فالظنون ان يوسيفوس لم يدرك كنه اعتقادهم أو انه أخطأ  
في تفسير بعض خرافاتهم وعباراتهم المبهمة ) (٢)

وليس من الغريب ان يسوجه النقد الى اقوال يوسيفوس حيث يذكر  
المؤرخون انه كان قائدا في الحرب مع الجيش الروماني الذي قضى على ساكن اصحاب  
العهد ( القمانيين ) ووضع حدا للهيكل (٣)  
ونستنتج من ذلك ان ما ينقل عن يوسيفوس قد يكون مدسوسا على هذه  
الجماعة ولهذا يعتري الباحثين شك من اقواله خاصة في مجال العقائد .

وفي زحمة هذه الراء يأتي راي الدكتور فاروق عمر عبد الله بنظريفة  
تدعو الى التدبر بأمر هذه الطائفة تدبرا دقيقا للوقوف على حقائقها حيث تبين له من  
خلال دراساته الاولية لهذه الفرقة أن عقيدة التوحيد الخالص كانت منتشرة بينهم ، وقد  
ذهب إلى أن الجماعة قد بنت أسسها على النحو التالي :

اولا : كانت جماعة وادي قرمان تعتبر نفسها الجماعة الصالحة الوحيدة  
في بني إسرائيل إلى أيام وجودها . . . واتهمت غيرها من اليهود بتحريف الكتب  
فقالت مثلا : بان التوراه التي انزلها الله تبارك وتعالى على سيدنا موسى عليه السلام  
قد حرفها وشوهها وافسد معانيها المفسرون والمؤولون والمبطلون من بني اسرائيل  
ولذا فان وظيفة جماعة وادي قرمان الأولى والأكبر في اعتقادهم - هي ان يحافظوا  
على الاصول الصحيحة والتفسير والتاويل الصحيحين لها ويبينوها للناس (٤)

١ - دائرة معارف بطرس البستاني ٣ / ٥٠٠

٢ - المرجع السابق .

٣ - مخطوطات البحر الميت \* للمابدي \* ص ٢٧٦

٤ - فقرة من محاضرة الدكتور عن \* مخطوطات البحر الميت والبحث عن اصول النصرانية الاولى .

ثانيا : اعتقادهم بمجيسى \* المسيح ومجيسى \* رسول اخر الزمان  
( طيها افضل الصلاة والسلام ) والاستعداد لقبولها ولتعزير رسول اخر الزمان  
خاصة ونصرته ( طيه الصلاة والسلام ) على كفار جميع الامم .

واعتبرت الجماعة القرآنية هذه التعاليم من أهم الاسرار التي تحتفظ  
بها والتي لا تستطيع ابحاثها بين عامة اليهود الا (بتعريض ) من أبا حها للقتل على  
أيدي الفاسقين من بني إسرائيل أعداء الحق وأعوان الشياطين .  
بعد استعراض الخطوط السرية التي كانوا يتداولونها يذهب صاحب  
المحاضرة الى ان ( بعض الكتب الاخرى الخاصة بهم ) كانوا يكتبونها بخط سري خاص  
ومن النصوص المكتوبة بخط معكوس قطاعات من وصف طويل لولادة رسول عظيم يولد آخر  
الزمن يعينون تاريخ ولادته بذكر منازل المروج ثم يصفونه ويصفون بعض العلامات  
التي تكون على جسده الشريف وصفا دقيقا .  
وان الوصف وان كان مجزأ وغير كامل ، يصدق على المصطفى عليه وعلى  
اله واصحابه افضل الصلاة والسلام .

ثالثا : ان نسخة العهد القديم التي بايدينا اليوم لا تحتوي الا على  
١٥٠ زمورا من زمهر زيور داود طيه السلام وان نصوص الكتابيين التي بين ايدينا اليوم  
لا تصرح بان داود طيه السلام كان نبيا بل ينكر كثير من النصارى كونه نبيا بسبب فهمهم  
الغاطي \* للنبوة ولكن مخطوطات وادي قمران تصدق القرآن الكريم في ذلك فتقول بالنصوص  
الصريحة : ان داود طيه السلام كان نبيا وأن جميع ط أوتي من الزهور ط جاءه إلا وحيا  
من لدن العلي العظيم .

رابعا : لم تخف ( الجماعة عداوتها للصدوقيين وسائر خدمة الهيكل الثاني  
الذين عرفوا بالفسق والانحراف عن الحق . . . وان كتب جماعة وادي قمران تسمي  
الفريسيين بالسرديين والحنافيين ومعلي النفاق .

خامسا : كانت هذه الجماعة تقول ( بانه كان دائما في بني اسرائيل فسي  
كل جيل منذ الزمن الاول بقية قليلة من الصالحين لم يخونوا العهد ووقفوا به وان الله  
تبارك وتعالى لم يرحم بني اسرائيل ولم يهبطهم مع كثرة فسقهم إلا بسبب تلك البقايا  
الصالحة في كل جيل . . . . . وهم يعرفون انفسهم بالفريسي قومه .

وكانت هذه الجماعة تعرف نفسها احيانا بانها هي واتباعها جنود الله  
المرابطين : الذين يقتدون في ذلك بموسى وهوشع بن نون ( طيها السلام ) فييقون  
على الاستعداد الدائم لمجاهدوا في سبيل الله فيطردوا المشركين والكفار من الارض

كلها ، وكانوا يستفتحون في ذلك . . . . . برسول آخر الايام الذي ينتصرون به على جميع الامم ويسمون أنفسهم بالمتطوعين .  
وقد استشهد المحاضر بنصوص من سفر اشعيا \* وقارنها بنصوص من انجيل يوحنا وسفر تثنية الاشرع للدلالة على بشاراة التوراة بالرسول صلى الله عليه وسلم واثبت ما حذف من انجيل يوحنا في هذا الصدد وقابله بما للقرانيين من نصوص تثبت صحبته . موضحا احتمال ان يكون يحيى عليه السلام شاركا في هـذـه الجماعة بحسب اراء بعض العلماء .

هذا وبعد استعراض المواضيع يقرر الباحث ان عقائد القرانيين حسبما تبين له حتى الان كلها توحيدية توافق الاسلام تماما ثم انهم كانوا حذرين من الشرك ، كان ايمانهم بالقضاء والقدر واضحا جدا ، وكانوا يركزون على الالهية بالرضا بالقضاء والقدر وبكل ما أنزل الله تبارك وتعالى على اليهود بحكمته وعدله لنكتهم العهد .

وامام ذلك فانه لايسع القول سوى ان هذا البحث لا يزال بكرا ولا بد من انتظار بعض الوقت للوقوف على كامل التفاصيل المتعلقة بهذه القضية ، والى حين ذلك فلا بد من التاكيد : انه ان ثبت حرص هذه الجماعة على تعاليم موسى عليه السلام وشرعه فهي طائفة مخلصون ومن رهبان ، وان ثبت العكس فهي ضالة منحرفة .

هـذا من الناحية العقيدية ، اما من الناحية السلوكية والتعاليم النسكية فسرى ذلك كله من خلال استعراض الافكار والعبادات التي التزمت بها الجماعة وذلك للحكم عليها من هذا الجانب .

الفصل السابق :

=====

العبادات :

١ - الصلاة :

من الفرائض التي التزم بها القمرايون : القيام الى الصلاة بعد طلوع الشمس وذلك عقب التطهير بالط<sup>(١)</sup>

ومن ضمنها : الصلاة والقراءة عند الساعة الخاصة، وتكون قبل الاكل<sup>(٢)</sup>.

- كما انهم يعكفون على قراءة الكتاب ( التوراة ) وتفا سيره ، ويقوم الجمهور

بالسهر مما ثبت الليالي على مدار السنة للقراءة والصلاة الجماعية (٣) .

ولا جل ذلك فهم يقسمون انفسهم ثلاثة افواج :

الفوج الاول : يحيى الثلث الاول من الليل اى السهرة كلها .

الفوج الثاني : يحل محل الاول .

الفوج الثالث : يستمر حتى الصباح ، فيقضي الليل كله (٤) .

٢ - الصوم :

- كانوا يكثرون من الصيام حتى لقد كانوا لا يتناولون الطعام الا وجبه

واحدة كل ثلاثة ايام او يزيد (٥) .

٣ - تقديم القرابين :

ومن العبادات ايضا عندهم : تقديم القرابين وذلك في المعابد الخاصة

بهم<sup>(٦)</sup> . وقد نبذوا الذبائح الدموية في تقديمها<sup>(٧)</sup> واقتصروا على النباتية فقط (٨)

واعتبروا التطهير انقى وافضل وتجاهلوا قدسية هيكل اورشليم ، ناهبين

الى ان خلاص اسرائيل لن يتحقق من الخارج بذبح الحيوان بل من الداخل بالتنسك

والصمت والتأمل والصلاة والتكشف حتى بلوغ اسنى درجات الغضيلة والاقتراب من الكمال<sup>(٩)</sup> .

وهناك خلاف بينهم حول طريقة تقديم القرابين ، وقد حصل بين من سكن

منهم في وادى قمران وبين من سكن في مصر (١٠)

---

١ - دائرة معارف فؤاد البستاني ٣٨٣/١٢ ، حياة المسيح ، للمعاد ٢٤٧/١١

٢ - دائرة معارف فؤاد البستاني ٣٨٣/١٢

٣ - المرجع السابق

٤ - المرجع السابق

٥ - المسيح في مفهوم معاصر ، عصام الدين حفني ناصف ص ١٤٧ ،

٦ - دائرة معارف فؤاد البستاني ٣٨٣/١٢

٧ - المرجع السابق والاسفار المقدسة ص ٥٨ وافي ص ٥٨

٨ - حياة المسيح ، للمعاد ص ٢٤٦/١١

٩ - دائرة فؤاد البستاني ٣٨٣/١٢

١٠ - المرجع السابق ٣٨٣/١٢ - ٣٨٤

(١) وأنسجا ما مع مفهومهم الخاص عن المادة ، فقد حظروا على انفسهم تعاطي  
التجارة للربح لانها في مذاهبهم حرام ، وعلى خبيث<sup>(٢)</sup> ، لهذا فسقد كانوا يسزدرون  
الغنى ، واعتبروا اموالهم في الجمع والانفاق واحدة .<sup>(٣)</sup>  
(٤)  
وفي تعاطيهم الداخلي فانهم التزموا المقايضة فلا يبيعون ولا يشترون شيئا  
بعضهم من بعض ، بل يعطي كل منهم اخاه ما يحتاج اليه ما عنده وماخذ منه ما يوافق  
حاجته . (٦)

(٧)  
الا ان ذلك لم يمنع من قيام كل واحد بحرفة خاصة به وغالبا ما يبدأ صاحب  
الحرفة عليه بعد الصلاة صباحا<sup>(٨)</sup> . كما انهم اقتصروا على الزراعة والصيد وما يحتاجون  
اليه ويتصل بهما ، كما حرموا استخدام الذهب والفضة والتعامل بهما لطبعتان في  
النفوس من زهو وما يحملان عليه من جشع وشح .<sup>(٩)</sup> وكانوا يكرهون العبودية كما  
انكروا التفرقة العنصرية واقروا مبدأ المساواة بين الناس في القيمة الانسانية المشتركة  
وحرصوا على التمايش السلمي بين جميع الشعوب .<sup>(١٠)</sup> كما حرموا الاشتغال بصناعة  
الاسلحة والذخيرة وسائر الآلات الحرب لتنافر الغاية التي تقصد من هذه الصناعات  
مع أهم مبادئهم وهي أن يعيش العالم في سلام دائم .<sup>(١١)</sup>

- 
- ١ - دائرة فؤاد البستاني ٣٨٤/١٢ وكنز قرمان ص ٢١٨
  - ٢ - حياة المسيح ، للعقاد ٢٤٧ والاسفار المقدسة ، د . وافي ص ٦٠
  - ٣ - مخطوطات البحر الميت ، للمبايدى ص ٣٩-٤٢ ومخطوطات البحر الميت لحطابة  
ص ٤٦
  - ٤ - مخطوطات البحر الميت ، للمبايدى ص ٣٩-٤٢
  - ٥ - دائرة فؤاد البستاني ٣ ٣٨٤/١٢
  - ٦ - المرجع السابق ومخطوطات بحر الميت ، للمبايدى ص ٣٩-٤٢
  - ٧ - الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص ٥٠
  - ٨ - مخطوطات البحر الميت ، للمبايدى ص ٣٩-٤٢
  - ٩ - الاسفار المقدسة ، د . وافي ص ٦٠
  - ١٠ - المرجع السابق
  - ١١ - دائرة فؤاد البستاني ٣٨٤/١٢ والاسفار المقدسة ، د . وافي ص ٥٩  
وكنز قرمان ص ٢١٨
  - ١٢ - الاسفار المقدسة ، د . وافي ص ٥٩
  - ١٣ - بحوث في الاسلام والاجتماع ، د . وافي ص ٢٧١ وكنز قرمان ص ٢١٨

## العلوم

- هزف القمرانصون عن دراسة المنطق لانهم اعتبروه ترفاً فكرياً<sup>(١)</sup> .
- (٢) كما لم يبحثوا في العلم الطبيعي " لان مجاله أوسع من قدرات الانسان
- (٣) واعتبروا المنطق وطم العقولات والطبيعة لا فائدة منها .
- (٤) لكنهم كانوا يتفكرون في آثار الله سبحانه بتدبر مخلوقاته والنظر في الكون .
- (٥) - اهتموا بالقراءة المتعلقة بالاخلاق وفيما يزيد معرفتهم بها ونسبها
- كانوا يجتمعون يوم السبت في معابدهم ويجلسون كل بحسب رتبته ، وكان
- للقدماة منهم في الاخوية المحل الأعلى من المعبد وكان أحد الحاضرين يقرأ ثم إن اعضا
- آخر مختاراً من اكثرهم طم ومعارف يفسر الجمل الصعبة على الفهم ، وكانت خطبتهم
- وكتبهم تمتاز عن غيرها بما يستعملونه فيها من التشابيه والاستعارات المتنوعة . (٦)

---

١ - الموسوعة النقدية ، د . حفني ص ٥٠

٢ - المرجع السابق

٣ - دائرة معارف بطرس البستاني ٤٩٩/٣

٤ - الموسوعة النقدية ، د . حفني ص ٥٠

٥ - المرجع السابق .

٦ - دائرة معارف بطرس البستاني ٤٩٩/٣

## الاخلاق

اسهب الباحثون في وصف السجايا الخلقية التي كانت تلازم القمرائيين ،  
وهي حصرها بالاتي :

- التعاون ، ان كان سمة اساسية بين الافراد اضافة الى الاحترام المتبادل  
بينهم . (١)

- اكرام الضيف ، فقد كانوا طي فقرهم يحسنون الضيافة ولا سيما مع الاخسوة  
فانما جاءهم احد من مكان اخر ، وضعوا ما عندهم تحت تصرفه كانه له وبدأ هو يعمل  
كانه من أقرق السكان . (٢) ثم يحل ضيفا طي أحد الآخوة المكلفين بالاعتناء بالفرسما  
في الاماكن التي ليس فيها اديرة ، فيقدم له الأطعمة واللبسة وسائر اللوازم . (٣)  
- الاستئذان قبل التحدث إذا كان الإجتاع يضم عشرة اشخاص ، ويتحاشون  
البصق بحضرة بعضهم . (٥)

(٦)  
- لا يتسرب اليهم الغضب ، وانما غضبوا لمكوا انفسهم ، وهم يقدرون الامانة  
- يسعون دافئا وراء السلام (٧) ، ويأبون صناعة السلاح (٨)  
- يمدقون كل ما يقطون ولا يهلفون ، والهلف لا يكون الا عند قسم الجماعة  
مرة واحدة لتبيين الامانة والمحافظة طي الجماعة . (٩)  
- الصبر طي تحمل الاجاع والاستقام . (١١)  
- يحرصون طي الصدق والوفاء . (١٢)

(١٣)  
- اشتهروا بالطاعة والاحترام للشيوخ والاذنان لقلوبهم والخضوع لرأى الاكثرية  
- يبالبغون في نظافة الشباب ، وهو ثرون ارتداء السبيض منها . (١٤)

- 
- ١ - مخطوطات البحر الميت " للمعابدى " ص ٣٩-٤٢
  - ٢ - دائرة د فواد البستاني ٣٨٤/١٢ ومخطوطات البحر الميت " للمعابدى ص ٣٩-٤٢
  - ٣ - دائرة فواد البستاني ٣٨٤/١٢
  - ٤ - مخطوطات البحر الميت ، للمعابدى ص ٣٩-٤٢
  - ٥ - مخطوطا المرجع السابق
  - ٦ - المرجع السابق
  - ٧ - المرجع السابق وراجع كذلك قصة الحضارة ٣/٣ : ١٧٥
  - ٨ - حيا السبيح ، للعقاد ٢٤٧/١١ وقصة الحضارة ٣/٣ : ١٧٥
  - ٩ - مخطوطات البحر الميت ، للمعابدى " ص ٣٩-٤٢
  - ١٠ - المرجع السابق ودائرة فواد البستاني ٣٨٤/١٢
  - ١١ - مخطوطات البحر الميت ، للمعابدى " ص ٣٩-٤٢ وقصة الحضارة ٣/٣ : ١٧٥
  - ١٢ - دائرة فواد البستاني ٣٨٤/١٢ وقصة الحضارة ٣/٣ : ١٧٥
  - ١٣ - دائرة فواد البستاني ٣٨٥/١٢
  - ١٤ - الموسوعة النقدية ، د . حفني ص ٥٠ ومخطوطات البحر الميت ، للمعابدى ص



### "الاكل والشرب"

- اعتمد القمرا نعيمون على النبات في اكلهم ، لانهم " لا يأكلون اللحم " (١) .  
كما كانوا يأبون الذبح (٢) .

- كانت لهم حجرة طعام خاصة حيث يأخذون مقاعد هم فيها بهيئة ووقار (٣) .  
وكانهم يؤمنون هيكل مقدسا ، لكل واحد منهم رغيف غير الادم ، . . . . . بيارك الكاهن  
على الخبز ثم يأكلون وحاشا لاحد هم ان يمد يده الى فمه قبل البركة ، حتى اذا اكلوا  
عادوا الى الصلاة خالعين ثياب الطعام وينثنون الى اعطالهم حتى الغروب (٥) .  
وكما تغدوا ويتعشون ومعهم الضيوف بكل هدو وسكون واذا تكلم احد هم انصت  
الكل اليه ولا يزيدون عن كفاية الشبع (٦) .

- وازافة الى نيلهم السال امتنعوا ايضا عن شرب الخمر كما لم يوجد بينهم  
من يبيعه (٨) الا ان المطران صموئيل يذهب الى انهم لم يحرموا اكل اللحم وشرب الخمر (٩)  
- " الطب والتمريض " :

- اهتم القمرا نيمون بالطب فاذا " اعترى احد الاخوة ( فيهم ) مرض يعتسي  
به الخبرا " كل الاعتناء ، وقد كان بين الجماعة من يبذل جهدا عظيما في درس صناعات  
القداس ، ليتعرفوا منها على خصائص الحشائش ، والعقاقير والسماد والحجارة ، وطرق  
استعمالها لمعالجة اخوتهم المتألمين . حتى لا يضطروهم الامر الى تركهم تمضرون  
ويسهرون الى الموت دون ساعدة ونجدة ولثلا يسلموهم الى اطباء نجسين من غيسر  
صفوفهم اضافة الى تعاطيهم لطب الروح (١٢) . فقد كانوا " يداوون المرضى بالصلاة والاوراد  
والادعية ، وكانوا يعتقدون ان المرض ناشئ من تسلط الارواح الخبيثة على الادميين  
فكانوا لذلك يحاولون طرد هذه الارواح بالتعاون السحرية . (١٤)

- ١- الاسفار المقدسة . د . وافي ص ٦١ ، والمسيح في مفهوم معاصر ص ١٤٥
- ٢- الموسوعة النقدية ص ٥٠ والمسيح في مفهوم معاصر ص ١٤٥
- ٣- مخطوطات البحر الميت ، " للعبادي " ص ٣٩-٤٢
- ٤- مخطوطات البحر الميت " لحادة " ص ٤٧
- ٥- مخطوطات البحر الميت " للعبادي ص ٣٩-٤٢ ، ومخطوطات البحر الميت  
لحادة ص ٤٧
- ٦- المرجع السابق .
- ٧- دائرة فواد البستاني ٣٧٣/١٢ والاسفار المقدسة ص ٦١
- ٨- دائرة معارف بطرس البستاني ٤٩٨/٣ ٩- كنز قمران ٢١٥
- ١٠- دائرة فواد البستاني ٣٨٥/١٢ ومخطوطات البحر الميت " لحادة " ص ٤٨  
ودائرة بطرس البستاني ٤٩٩/٣
- ١١- دائرة فواد البستاني ٣٨٥/١٢ وحياة المسيح " للعقاد " ٢٤٦/١١
- ١٢- حياة المسيح ٢٤٦/١١
- ١٣- مخطوطات البحر الميت للعبادي ص ٣٩-٤٢ وحياة المسيح ٢٤٦/١١
- ١٤- قصة الحضارة ٣/٣: ١٧٥

" الانتظام في الجماعة وشروطه "

رتب القمريون انفسهم بحسب الدرجات والرتب والاقدمية .

- فقد وجد في هذه النحلة ثلاث درجات هي :<sup>(١)</sup>

درجة التمذة : ويقبلون فيها الصبيان فيطدون الحلم .

درجة المقسمن : وهنم الذين يقسمون اليمين ويقضون سنة في الرياضة

والتدريب على العبادة والاطلاع على الاسرار .

درجة الواصليين : ويقضي فيها سنتين ، ثم يلبس شعار الطائفة وهو

ثوب ازرق وزنار ويحمل الغأس في يده كناية عن العمل

الشاق . (٢)

ولهم في المرحلة الاولى والمرحلة الثانية شعائر متواترة يقوم بها الاساتذة

منها الاغتسال وتلاوة بعض المعهود .

- يقسم احد هم مرة واحدة يمين الامانة والمحافظة على الجماعة<sup>(٣)</sup> ولا يبوح بسرها

ولو اقتيد الى هذاب الموت<sup>(٤)</sup> ويحرم عليه القسم بالحق او الباطل مدى الحياة<sup>(٥)</sup>

- يجوز فصل العضو اذا حنث في يمينه ، وانفق مائة من الاخوان على ادانتته

بل يجوز الحكم عليه بالموت اذا بلغ الحنث حد الخيانة والكفر بقواعد الايمان<sup>(٦)</sup> .

- يقدر الاقدم فالأقدم من التحقق بهم<sup>(٧)</sup>

- وليس لاحد من القسم الاكبر أن يمسن احداً من دونه والا اغتسل<sup>(٨)</sup> .

ومن الشروط الاخرى الموضوعة لهذا الغرض :

- عدم وجود الموانع ، كالمعاهات الجسدية أو الخلقية ، كالابله ، او الاحق

او المجنون ، او الجاهل ، ومن كان ضعيف العينين لا يبصر بهما ، والكسيع او الاعرج

او الاطرش ، او القاصر .

فاذا ثبت وجود احدي هذه الملل لا يدخل الى احضان الجماعة لان الملائكة

القد يسين تقوم وسطها . (٩)

- الحرص على جميع العادات والتقاليد<sup>(١٠)</sup>

١ - حياة المسيح ، للمقاد ١١ / ٢٤٧

٢ - المرجع السابق

٤ - دائرة فؤاد البستاني ١٢ / ٣٨٠

٥ - حياة المسيح ١١ / ٢٤٧

٦ - المرجع السابق ١١ / ٢٤٧

٧ - مخطوطات البحر الميت ، للمعايدى ٣٩ - ٤٢

٨ - المرجع السابق

٩ - دائرة فؤاد البستاني ١٢ / ٣٨٠

١٠ - مخطوطات البحر الميت ص ٣٩ - ٤٢

- الاختبار لمدة سنة ، فاذا نجح رقي لاول درجة ويغس بالماء الطاهر .  
- ولا يشارك الجميع في الطعام الا بعد اختبار اخر مدته سنتان وان ذاك يقبلونه تماما . ( ١ )

- الحلف باليمين المغلظة ان يعبد الله مخلصا له الدين وان يسير بالعدل  
والحق مع كل انسان ولا يسيئ الى احد . . . وان يعرض عن الجاهلين ، ويعاون الابرار  
وان يكون أمين الروح مع الناس لاسيما اولى الأمر وأن يتعلق بالحق ويقت الكذب  
ويقاؤه .

- ان يكون نقي اليدين من كل سرقة او ظلم منزها عن اضرار السوء . ( ٢ )  
- ويتم اختيار الزعماء او القادة منهم بالانتخاب والاقتراع . ( ٣ )

### المقومات :

- فانه لا يجوز التجديف على الله ، وشترعهم اى موسى عليه السلام ، والا  
حكم عليه بالاعدام . ( ٤ )

- والاحكام كانت تلفظها بالتصويت وبعد التدقيق والتعميم ، هيئة محكمة  
لا يقل عدد اعضائها عن المائة .

فمن ارتكب احدى الكبائر ووقع في الخطايا الشائنة يطرد من بين الجماعة  
فيكون مصيره الموت المحتم لانه لا يتناول ما يجد من الطعام ، ارتباطا منه بقسمه  
ويعاداته فيضطر الى ان يأكل العشب فيضعف جسمه حتى الهلاك . ، واذا كان  
له من حظ ، او من شفيع يشفق عليه في الرmq الاخير فيعاد ثانية الى الحظيرة  
باعتبار ان ما حل به من بؤس يكفي للكفارة والتوبة الحقيقية . ( ٦ )

١ - مخطوطات البحر الميت \* للمعابدى \* ص ٣٩-٤٢

٢ - المرجع السابق

٣ - قصة الحضارة ٣/٣-١٧٤

٤ - دائرة فؤاد البستاني ١٢/٣٨٥

٥ - المرجع السابق ، وكذلك مخطوطات البحر الميت ، للمعابدى ص ٣٩-٤٢

٦ - المرجع السابق .

## التبطل و "نظرتهم الى المرأة"

تشدد القمرايون في قهر الجسد للتغلب على الشهوات التي تعتبر في عرفهم منبع الشرور والجريسة<sup>(١)</sup> ، وعلى العموم فان المادة عندهم ، صدر الشركه والسرور بهما سرور بالدنس والخيانة<sup>(٢)</sup> ، فكان همهم " كبح جماح النفس وقمع ثورة الهوى<sup>(٣)</sup> ولهذا كانت الرهينة غالبية طيبهم فحرموا الزواج واحسبوا التبطل واليمعد عن النساء ، وبهذا الامتناع فانهم لم يعرفوا للعائلة من معنى ، فاذا ما ارادوا تأمين استمرار الجماعة انتقموا اولاد غيرهم ممن يتوسمون فيهم الخبير والصلاح فاخذوا يدرونهم على الحياة الفضلى ، في رأيهم .

حتى اذا اشتعلت الفتنة في ايام هركانس الاول ( ١٣٤-١٠٤ ق م ) دخل كثير من الفرق الاخرى كالغريسيين والصدوقيين هربا من الموت وانتظموا مع القمرايين وشاركوهم في مبادئهم وكذلك اثروا في بعض افرادهم خاصة في قضية الزواج . فلما كثر الجمهور وتداخلته افكار جديدة قامت فئة منهم تقر بصوابية الزواج وضرورته لتأمين التسلسل والتناسل بين البشر<sup>(٤)</sup> .

فاذا رغب أحد هم في الزواج طيه أن يحترس من سلوك المرأة لان النساء جميعهن فاسقات ، وليس بينهن واحدة تحافظ على امانتها لرجس<sup>(٥)</sup> واحد ، لذلك يمتحن الخطيب خطيبته ثلاث سنوات فاذا اقتنع بفضيلتها تزوج منها ، ولا يساكنها وهي حامل ، ليبرهن على انه لا يتزوج لاجل اللذة ، بل لاجل التوالد ، وعاش المتزوجون وهم اقلية وحدهم مع عيالهم الا انهم كانوا خاضعين في سائر الامور لغرض الجماعة وقوانينها<sup>(٦)</sup> .

ورشح ان جماعة من النساء دخلسن في صفوف الجماعة فتيين انهن ممن المخطوبات للاسيانيين او من زوجاتهم او من بناتهم اللواتي يطلبن الزواج ، ولسم

- 
- ١ - دائرة فواد البستاني ٣٨٤/١٢ ومخطوطات البحر الميت ، للمابدي ٣٩-٤٢ والاسفار المقدسة ، د . وافي ص ٦٠-٦١
  - ٢ - حياة المسيح ، للمعاد ٢٤٧/١١
  - ٣ - مخطوطات البحر الميت ، للمابدي ص ٣٩-٤٢
  - ٤ - حياة المسيح ، للمعاد ١١ : ٢٤٦-٢٤٧ و المسيح في مفهوم معاصر ص ١٤٧
  - ٥ - الاسفار المقدسة ، د . وافي ص ٦٠ ومخطوطات البحر الميت لحياة ص ٦٦ والمسيح في مفهوم معاصر ، ص ١٤٧
  - ٦ - دائرة فواد البستاني ٣٨٤/١٢ ، ومخطوطات البحر الميت ، للمابدي ص ٣٩-٤٢ ومخطوطات البحر ، للحياة ص ٦٦
  - ٧ - دائرة فواد البستاني ٣٨٤/١٢ - المرجع السابق ٩ - المرجع السابق ومخطوطات البحر الميت ، للحياة ص ٦٦
  - ١٠ - دائرة فواد البستاني ٣٨٤/١٢ - المرجع السابق ودائرة بطرس ٣/٤٩٨

توجد ففة من النساء منفردة عن الرجال (١)

اما في حال الاغتسال والوضوء الجماعي ، فكان النساء يتقد من من الاهواض  
لابسات بعض اثوابهن ، والرجال متنطقين باليستهم ايضا . (٢)

اما الذين ابتعدوا عن الزواج ولم يتاثروا بالقاد مين طيهم من الفسوق  
اليهودية الاخرى فانهم التزموا الصمت والتفكر والندم واعتقدوا ان كل ما يباج من  
السرور هو سرور الروح او سرور الاتصال بعالم الارواح وهو عالم ساوي في اطيبي  
الاثير يرتفع اليه المؤمنون بالعبادة والرياضة والقنوت ، وقد ادت المغالاة الي قيام  
بعضهم بخصاء انفسهم . (٤)

### التقويم والاعياد السنوية

اهتم القمرايون بالتقويم السنوي ، وقد عمنوا من خلاله اعيادهم وايام  
خدمة كهنتهم ، فمن اعيادهم مثلا : الفصح ، والفطير ، والاسابيع وغيرها .  
وتخدم كل عيد اسره معينه من اسر الكهنة ، كما كانت لهم اعياد اخرى مثل :  
عيد الحمام ، وعيد الصيف ، وعيد البذار ، وغيرها ، واصل هذا التقويم انه نسخة  
عن التقويم المصري الشمسي المعائد الي اواخر الالف الخامس قبل الميلاد . (٥)

١ - دائرة فواد البستاني ٣٨٤/١٢

٢ - المرجع السابق

٣ - حياة المسيح للمقاتد ٢٤٧/١١

٤ - المسيح في مفهوم معاصر ص ١٤٥

٥ - راجع بتوسع : دائرة فواد البستاني ٣٨٦/١٢

## الدير الكبير أو " المدينة الاسينية "

بهذه القواعد والانظمة والقوانين عاشت جماعة وادى قمران فسي  
معسكرها الجماعي بل داخل دير كبير حوى جميع المرافق والانشآت الضرورية  
للعيش الجماعي المشترك المتكافئ دون الحاجة الى الاتصال بالعالم الخارجي .  
لقد حوى هذا الدير برجاً ، وجناحاً من طابقين تدور على جانبي  
غرفته الرئيسية مقاعد حجرية وقاعة كبرى فيها طاولات من الجص والاجر ينسخ عليها  
النساخ الاسفار المقدسة . عندهم وطبها معابر من المرونز .  
وفي بعض الطاولات فجوات للما المقدس يتطهر به الكتاب عند  
الشروع بالعمل . كذلك حوى غرفاً منها :  
الطابخ ، - المغاسل ، - قاعة الاجتماع والصلاة والقراءة . ولا قاعة  
المآب المقدسة المشتركة .  
كذلك ضم الدير الكبير معامل الخزافين ، والحدايين والنحاسين .  
وكذلك الاهرات ( صوامع الغلال ) والطاحن ، والمخازن والمخازن ، كما  
اقامت مقبرة بالقرب منه .  
وقد لوحظ وجود غرف نوم جماعية ولم تر غرف فردية ( ١ )  
ولا شك ان هذا النمط من الابنية سيكون له تأثير كبير في الاديرة المسيحية  
فيما بعد . وهذا ما قسّم به الرهبان الى حد ما .

---

١ - يراجع في هذا الصدد :

قصة الحضارة ، ديورانت ٣/٣ ١٧٥

و يراجع بتوسع دائرة فوامم البستاني ٣٧٨/١٢

نقد مبادئ الرهينة اليهودية

لم تكن الانظمة والمبادئ التي سبق الحديث عنها تابعة مسن اصول شريعة موسى عليه السلام ، وذلك لان نوط غربيا قد صاحب هذه التعاليم وصيغها بصيغة لم يأمر الله تعالى بها .

ومرد ذلك كله يرجع الى طبيعة الانحراف العقدي الذي اصاب بني اسرائيل بصورة عامة والذي أثر بشكل أو بآخر على فهمهم للشريعة ، وقد جرف معهم جماعة وادي قمران التي تأثرت بالمبادئ الدخيلة .

ومع ذلك فإنه يجب عدم انكار ان بعضا من التعاليم الاصلية والشريعة قد حافظت على وجودها بين القوم ، ولهذا يلاحظ وجود بعض الجوانب الاخلاقية والمبادئ السلوكية كالصدق والامانة والاخلاص في العمل وحب الافراد بعضهم لبعض الى غير ذلك مما يتفق مع الشريعة التي جاء بها موسى عليه السلام ، فهذه بقايسا من تلك الشريعة التي ذابت وانسحت في لجاج ومثاهات بني اسرائيل .

اما المؤثرات الخارجية فتتضح جلية من خلال المبادئ السلوكية والاراء الفكرية التي تتفق مع الفكر اليوناني القديم المتأثر بالفلسفة الهندية وعلى راسها البوذية والجينية ، فقد لاحظ بعض الباحثين ان التأثيرات البوذية قد انتقلت الى مصر وغيرها بعد ارسال الملك البوذي اشوكا بمبشرين الى تلك الديار . ( ١ )

فالحركة الفكرية الدينية الوثنية المعاصرة .... كانت في جوهرها مساندة للرهينة اليهودية ، ( فالجماعة بعد ان فقدت ثقتها بمؤسساتها التي تنتمي اليها اخذت تفكر بالنجاء الروحية الفردية وكان الدين ذو الطقوس الخفية الغامضة قد بعث هذا الامل في صدور الالاف المولفة من اليونان وفي بلاد الشرق الهيلنستي وايطاليا ولكن هذا الامل أو الحاجة اليه كان اليهود في انتظاره ، كان الفقهاء او المحرومون والمظلومون او المحتقرون في هذه الارض يتطلعون الى الله كي يرسل لهم من ينجيهم ويرفع عنهم نير الذل والعذاب ) ( ٢ ) .

١ - هامش : قصة الحضارة ٣/٣ : ٢١٥  
وكذلك مخطوطات البحر الميت ، لحماة ص ٤٩  
٢ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٨٢

لكل ذلك كانت هذه العبادى\* بحاجة ماسة الى تصحيح في المفاهيم  
والاراء\* الدخيلة على دعوة موسى عليه السلام ، والقمرانيون في زحمة الصراع والنزاع  
كانوا يشكلون احد الامراض المتنوعة التي انتابت بني اسرائيل ، فكان الجو مهيأ  
والحالة هذه لبعث ميس عليه السلام لتصحيح الفساد المستشري .

وسنلاحظ من خلال نقد العبادى\* مدى الانحراف الذى تطادى به

القوم ، فالنقد سيوجه الى العبادى\* التالية :

- مبدأ تحريم أكل اللحم وذبح الحيوان
- مبدأ الاشتراكية في الاموال والاعيان
- مبدأ الالتزام بالاحياد الوثنية
- في بعض الانظمة والقوانين الداخلية
- في التكتم والسرية
- في قساوة العقوبة
- في مبدأ الاغتسال من اللبس أو المصافحة بين الافراد .
- في البعد عن النساء وهدم الزواج
- في اتخاذ الدين الكبير ، والانعزال عن الناس والمجتمع .



## نفسه بدأه م أكل اللحوم وذبح الحيوانات

حرم الله تبارك وتعالى على بني اسرائيل بعض الامور واحل لهم امورا اخرى . ومن ذلك قول الحق على لسان عيسى عليه السلام ( وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيَّنَّ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَاحِلًا لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ، إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ) (١) .

وقد اشار العلماء الى ان ما حرم عليهم هو : لحوم الابل والشرب (٢)

والشحوم وفي اشياء من السمك وفي اشياء من الطير . . . فجا عيسى بالتخفيف منه في الانجيل (٣) .

ومن هذا يلاحظ ان التحريم هنا لم يكن على اطلاقه ، فقد ابيح لهم اكل بقية الانعام ، اما رهبان وادي قمران فقد حرموا على انفسهم اللحوم مطلقا واقتصروا على النبات . وهذا الرأي قد مر في الابواب السابقة ، ولو حظ وجوده عند الجينيين والبوذيين ، وقد تأثر به الى حد كبير الفيثاغوريون .

وقد اشار العقاد الى تأثر القرانيين بهذا المبدأ فقال :

( وقد نشأت الطائفة ( اى في بدايتها ) على الاغلب . بالاسكندرية في

القرن الثاني قبل الميلاد واقتبست من مدارس الاسكندرية كثيرا من انظمة العبادات السرية وبعض المذاهب الفلسفية كذهب فيثاغورث الذي يحرم ذبح الحيوان ويدعو الى التقشف والقناعة بالقليل ) (٤) .

١ - ال عمران : ٥٠-٥١

٢ - الشروب ج : الشرب ، وهو شحم قد غشي الكرش والامعاء رقيق . راجع : مختار الصحاح مادة شرب .

٣ - فتح القدير ، لمحمد بن علي الشوكاني ١ : ٣٤٣ / ، مصطفى

الباي الحلبي واولاده بمصر ط ٢ ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م

و التسهيل لعلوم التنزيل للامام ابن القاسم محمد بن احمد بن جزى الكلبسي الفرناطي ١٩٢/١ ت : محمد عبد المنعم اليونسي وابراهيم عطوة عوض ، دار الكتب الحديثة ، مطبعة حسان ، القاهرة .

٤ - حياة المسيح ، للعقاد ١١ / ٢٤٦

## مبدأ الاشتراكية في الاموال والاعيان :

تبني رهبان قمران كما مر مبدأ شيوعية الاملاك والاموال والاشترك الكلي والجماعي في امور العشيمة

وهذا المبدأ ايضا لم يكن نتيجة ردة فعل تجاه اليهودية الجامعة نحو المادية وحسب ، بل هو يدعة وجدت قبل نشوء هذه الفرقة بزمان بعيد ، فقد تلقفها رهبان قمران واقاموا بها نظاما لهم .

وقد حلل المختصون الاسباب الكامنة وراء اتخاذ القمرانيين لهذا المبدأ وارجعوا السبب المباشر الى الحالة الاقتصادية التي تقلب فيها بنو اسرائيل وبيعوا الفرض التي اتاحت لهم ( للاشراء واستثمار الاموال ، وقد افاد من هذه الفرض اكبر افادة بعض طبقات وبعض افراد من بني اسرائيل ، فطكوا الضياع والقصور وغرقوا هم ونساءهم في الترف والنعيم ، وظهرت الفروق واسعة صارخة بينهم وبين سائر افراد الشعب في مآكلهم ومشاربهم وساكنهم وسائر شئون حياتهم . )

وهذا بدوره يؤدى الى الانحدار نحو الظلم والبغي فقد ( استعملوا على غيرهم استعلاء كبيرا وكان لا بد لهم لكي يبقوا على مستواهم المعيشي والاقتصادى ان يمعنوا في ابتزاز الطبقات الدنيا وتجريدها من كل شئ ، ولم يكونوا ليخشوا من جراء ذلك جزاء ولا حسابا ، فقد كانوا هم الصغوة المختارة الذين يراقبون الناس ولا يراقبون ويحاسبونهم ولا يحاسبون . وكانوا قادة الشعب وحكامه بيد هم الحبل والعقد ، وعن طريقهم تماس الامور . ) ( ٢ )

لقد نشأت عن هذا الطغيان مظالم وويلات اخلاقية واجتماعية كثيرة من ذلك انهم كانوا ( لا يتورعون في سبيل الاثراء عن الالتجاء الى اخس الوسائل فكانوا ياكلون السحت ويهدون ايديهم للرشوة ويسلمون اموال الضعفاء واليتامس والارامل ويقرضون المعوزين من بني اسرائيل يبرها فاحش ثم يستولون على اراضيهم سدادا لديونهم او يبيعونهم ويبيعون اولادهم وزوجاتهم ببيع الرقيق ، فاستحالت من جراء ذلك معظم الاراضي الى اقطاعيات كبيرة يملكها عدد محدود من الافراد

١ - : "بحوث في الاسلام والاجتماع" ، د . علي عبد الواحد وافي ص ٢٦٩

والطبقات ، وتكسب كذلك معظم الثروات الاخرى في ايدي هؤلاء حتى لقد ضاقت  
بها بيوتهم ولم يقوالمشرطى حراستها فلجأوا الى بيت الاله نفسه ورعايته فاستحال  
بذلك المعبد الى ( بنك ) يهودى لحفظ ودائع بني اسرائيل وكان من نتائج ذلك  
ان اخذت الطبقات الصغيرة او كادت ( ١ )

لقد جرت هذه الظالم الى البؤس والشقاء كثيرا من الناس وقصد  
صراًشعيا عن هذا الوضع المزرى قافلا ( ويل للذين يصلون بيتا بيتا ويرقون  
حقلا بحقل حتى لم يبق موضع ، فصرتم تسكنون وحدكم في وسط الارض ) ( ٢ )

ولا شك أن هذا الوضع كان نتيجة حتمية لا اختلال ميزان الحق والمعدل  
عندهم وللانحراف الكبير الذى شهدته عقيدتهم الزاحفة ، فانعكس ذلك على الوضع  
الاجتماعي الذى ولد بالفعل نقمة طارئة بين الطبقات الدنيا والتي حاولت باساليبها  
التعبير عن رفضها لهذا النهج بالهروب من هذا الواقع المؤلم الى حياة جديدة  
تختلف اختلافا كبيرا عن سابقتها فهربت من التطرف الراسمالي الى التطرف الشيوعي  
وهذا ما فعلته الرهينة اليهودية .

ولا يد من الاعتراف هنا ان هذا المبدأ الجديد الذى لجأت اليه الجماعة  
كان معمولاً به منذ عهد ليكورغوس ( Lycurgues ) في القرن التاسع  
قبل الميلاد الذى حاول تطبيق هذا النظام في ( اسبرطة ) .

فقد حقق هذا الاخير ( نظاما شيوخيا مبتكرا لم يسبق اليه وذلك انه انفى  
نظام الملكية الفردية للارض واعاد تقسيمها لكونها الى ثلاثين الف قطعة  
متساوية القيمة بعدد الاسر الاسبرطية حيثئذ واعطى كل اسرة قطعة منها فاصبحت  
ملكية الارض جماعية واصبح جميع الاسر سواسية . . وجعل للدولة نفسها اى للمجتمع  
العام نصيبا كبيرا من غلة الارض ودخل الناس في مختلف مظاهر الانتاج .

وفي مقابل ذلك تنفق الدولة على جميع الشؤون العامة واعمال الحرب  
وتأخذ على عاتقها تربية جميع الاولاد الذكور وتنشئهم تنشئة عسكرية على نفقتهم  
وفي دورها الخاص ( ٣ ) .

وعلى نسط يقارب هذا النظام تم لجماعة وادى قرمان تاسيس هذا المعسكر  
الضخم وتم فيه توزيع ما يحتاجه كل فرد بنسب مقدرة .

الا ان نصيب نظام ليكورغوس كان الاخفاق حتى لقد اضطر هو نفسه الى  
تعديل القوانين هذه واعاد توزيع الارض اكثر من مرة ولم يثبت شيىء من هذا النظام  
البتة مع مرور الزمن ( ٤ ) .

١ - بحوث في الاسلام والاجتماع ، د . وافي ص ٢٧٣

٢ - اشعيا ٥ : ٨-١٠

٣ - بحوث في الاسلام والاجتماع ص ٢٧٣

٤ - المرجع السابق .

وهذا النظام هو في جوهره ينطوي على فساد (ذاتي لتعارضه  
مع اتجاهات النزعات الفردية ومع السنن التي يقوم عليها العمران الانساني ، وتعتمد  
عليها العلاقات التي تربط الناس بعضهم ببعض ) .<sup>(١)</sup>

كما ان الغاء الحوافز من اى نظام علمي يودي الى التقاعس والتواكل  
في العمل . والفشل الذي لقيه نظام ( ليكورغوس ) كان من هذا القبيل لهذا احتاج  
الى تغييره عدة مرات .

وصحيح ان جماعة وادى قمران كانت نهايتها على ايدى الرومان الفاتحين  
الا ان هذا النظام بحد ذاته ابقى الجماعة في حلقة مفرغة تدور حول نفسها فلا  
تؤثر في غيرها ولا غيرها يتأثر بها وظلت اعدادها كما هي ودافعها محدوده واهدافها  
محصوره في نطاق ضيق ، مما أورت الشلل في أركانها . ولهذا كان الفشل ملازما  
لها .

---

١ - بحوث في الاسلام والاجتماع ص ٢٦٩

نقد مبدأ الالتزام بالاعمال والتقويم المصري القديم

ان استعمال القمريين للتقويم المصري والاحتفال ببعض الاعمال

المتعلقة بمحاصيل الزراعة والثمار وغيرها من الاعمال الوثنية يجعل من هذه الجماعة

مسئدة لغيرها في نظمها ومبادئها .

ولا اعتراض من حيث المبدأ على استعمال التقويم من الناحية العلمية

فهذا امر لا بد منه لاستعماله في معرفة المواقيت والازمنة ، انما الذي يعيب

هو ظاهرة التقليد في اتخاذه تقويم للاعمال والاحتفال بها تبعا للنظام

الوثني المصري القديم .

وصحيح ان هذه الجماعة لم تكن تشارك غيرها في الحياة العامة الا انها

كانت تخضع في فترات معينة لتيارات غريبة لا تقدر على ردها نظرا لضعف النشأة

وفقدان الحيلة .

- في الانظمة والقوانين الداخلية للجماعة

تبين من نصوص الجماعة انها تصر على ضرورة خلو المنتسب اليها من

الموانع الخلقية ، وهذا يحتم وجود تفرقة بين الناس وينبئ عن غطة في قلوب

اصحاب هذا المبدأ ، كما يمنع بالتالي وصول الخير الى الغير .

فالدعوة الخالصة لا تحتاج الى مثل هذا النص ، ان انها لا تفرق بين كبير

وصغير ولا بين غني وفقير ولا بين قوي وضعيف فالكل اطم الحق سوا\* وهم جميعا يشكلون

اطار الجماعة لافرق بينهم الا بالاحسان ولا فضل الا بالتقوى .

وصحيح أن القوى خير وأحسب. إلا أن الضعيف لا يحرم من الحسب

والعدل والخير ، فلا يجوز طرده من حظيرة الايمان لضعفه الجسدي ان ربط يكون

جهاد الطلي مدعا للجهاد بالنفس ومعينا له ( يقول الحق تبارك وتعالى :

( انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم

(١)

خير لكم ان كنتم تعلمون )

فاقتصار الجماعة على فئة واحدة من الناس او جنس واحد فيه قصر نظر

ويترتب عليه خلل وفسوق بين البشر .

## مبدأ التكتيم والسريسة :

جرت المفاهيم على ان اى عقيدة دينية جديدة تلقى معارضة قوية في بداية نشأتها ، ولا بد في هذه الحالة من اتخاذ مبدأ السرية والتكتيم حفاظا على افكارها وعناصرها من كيد اعدائها ، حتى اذا طويت شوكتها واشتد عودها اصبح مسن الضروري لها اعلان الدعوة جهرة دون ابطاء ، والا فانها معرضة للفشل ان استمرت في اتخاذ مثل هذا الطابع . فاستمرار السرية والخفاء في الدعوة مقرونان بالخطورة لما يترتب عليه من نزول للنزعات الفردية داخل الجماعة ، المفضي الى التهور والتسرع في اصدار الاحكام دون اللجوء الى التعقل والتدبر ، وغالبا ما تكون هذه الاحكام في وسط هذا المجتمع المنفلق المتذمر جائرة ، نظرا لضيق الافق ، ومحدودية التفكير و انعدام الشورى .

فما يحاك في الظلام يخرج ضاها وما يزرع في الضوء ينبت ويترع ويقوى ويشتد ، في وجه الصعوبات والطبات .

ويمكن الفسشيل في ابقاء الجماعة على سريتها وتكتيمها انها لا تستند في دعوتها الى خطة مدروسة ، تقيم فيها مراحل نموها وتطورها . ولهذا فان رهبان قمران رغم تكتيمهم من الاستمرار اكثر من ثلاثة قرون او قرنين على اقل تقدير ، الا انهم لم يعلنوا على الملأ مبادئهم واراؤهم ولم يعطوا على نشرها في الخارج .

والحق ان هذه الفسرة لم تستطع التمييز بين ما ينبغي علنه في بداية الدعوة وبين ما ينبغي ان تقوم به من خطوات بعدها . فسارت على منهجها دون تغيير في اسلوب الدعوة القديمة فظلت جامدة مكبلة بنصوص كتبها الجامدة وشروط انتسابها الضيقة المتسمة بالعنصرية والفردية من غير ان تعرض بضاعتها على الاخرين .

وغير خاف ان مبدأ السرية في التعاليم مبدأ مستورد من المذاهب المعاصرة لتلك الفرقة ، فالفيثاغورية مثلا نادى بالسرية المطلقة حتى انها اعتبرت ان من يفشي سرا دينيا او دينيا يكون عرضة للاعدام (١) .

وهذا ما نصت عليه قوانين رهبان قمران الى حد ما ، وقد استنتج

د . النشار من ذلك ان هذه الفرقة اليهودية قد فتحت الباب امام فرقة يهودية حديثة تتخذ السرية طابعا لها حيث اوضح قائلا :

( وكانت لهم مذاهب خاصة سرية ، ويعتبرونها اسراراً لا تنفسي إلا لأعضاء

١ - انظر : تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ص ٢٠

الجماعة بعد انضمامهم لها بوقت طويل واختيارهم اختيارا عنيفا ، هذه هي الصورة الاولى للماسونية<sup>(١)</sup> التي ابتدعها اليهود ايضا في العصور الحديثة وجعلوها وسيلة لنشر كثير من مبادئهم ووظايتهم اقامة هيكل سليمان مرة ثانية<sup>(٢)</sup> .

كما ان هذه الجماعة ( كانت بتعاليمها السرية ملهمة لنحلة يهودية لاحقة تدعى القبالة<sup>(٣)</sup> ، أو القبالا )<sup>(٤)</sup> .

١ - الماسونية : ( من الكلمة الانجليزية ( ماسون ) اي عامل بنا\* ، وتعود جذور الحركة الماسونية الى جماعات الحرفيين في العصور الوسطى الاقطاعية ، وهي جماعات كانت منظمة تنظيم صارط شبه ديني لها طقوسها الخاصة ورموزها الخفية وقسمها السري . . . . . والمحتوى الايديولوجي للماسونية . . . عالم رجراج ولذلك فهي تغير لونها وفق ظروفها التاريخية فنجدها حركة تقدمية آنا ورجعية في آن اخر بل انه توجد الان في العالم حركات ماسونية عديدة متصارعة ولكل واحدة طقوسها الخفية السرية . . . . . : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٣٥٢

ويمسكن اعتبارها بشكل عام ( مخطط فكري اجتماعي اقتصادي ، صهيوني الفكر عميق الاهداف كبير الاثر متغير المظهر ، قاداته هم اساطين الفكر اليهودي العالمي . . . ( وهي ) تحمل اسما\* مختلفة وتعمل بسماط متعددة لتخدم اهدافا صهيونية واحدة ، وظهرت في يوم من الايام باهداف انسانية في ظاهرها حاقدة حقا اسود على البشرية كلها في اعطائها ) : شهادات ماسونية ، حسين عمر حمادة ص ٧ ، دار قتيبة ط ١ ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م وللمزيد يراجع ايضا : الماسونية في العسرا\* وحقيقة الماسونية ، للدكتور : محمد علي الرضي .

٢ - نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ، د . النشار ، ٧٦/١

٣ - القبالة : علم التابيلات الباطنية والصفوية عند اليهود والمعنى الاصلي لكلمة قبالة في اللغة العبرية هي التراث من القبول وكان يقصد بها اصلا التراث الشغوي ، المتناقل لليهودية فيط يعرف باسم الشريعة الشغوية ثم اصبحت من اواخر القرن الثاني عشر الميلادى تعنى الاشكال المتطورة للتصوف والعلم الحاخامي في اليهودية الى جانب مدلولها الاكثر عموما على كل المذاهب الباطنية في اليهودية منذ بداية العصر المسيحي ومنذ اواخر القرن الثاني عشر الميلادى . . . وينطلق المومنينون بالقبالة من افتراض ان الله قد خلق العالم عن طريق الفيض الالهي وفكرة الفيض تفترض وجود وحدة تنظيم كل المخلوقات بل وتنظم الانسان والخالق حتى يصيح الاله ومخلوقاته هما نفس الشيء . . . وترتبط القبالة بعدد من العلوم السحرية مثل التنجيم والمسييا\* والفراسة وقراءة الكف وعمل الاحجية و تحضير الارواح . . . وقد انتشر الفكر القبالي بين صفوف يهود اوربيا في القرن السادس عشر ثم بين يهود شرق اوربيا بالذات في القرن الثامن عشر وذلك بانتشار الحركة الحسيدية ومن اهم المفكرين القباليين في العصر الحديث الحاخام ابراهم كوك الفكر الصهيوني واول حاخام صهيوني استوطن فلسطين . . . . . موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ص ٢٩٠-٢٩١ وكذلك

راجع : الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص ١٦٥-١٦٧

٤ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٧٥

### تساوة العقوبة في القوانين القمرائية

جاءت الشرائع السطوية لهداية الخلق الى سبيل الحق ، واتخذت وسائل الترغيب والترهيب اسلوبا في مخاطبة البشر .  
وعدة هذه الوسائل ، الترغيب بعفو الله تبارك وتعالى ومغفرته لعباده ،  
وفتح الباب امام العصاة للتوبة والاناة اليه .

والوقوف في وجه هذا النهج هو اغلاق لباب الرجاء والامل ، وسد لابواب المغفرة ، وما قام به رهبان قمران من وضع قوانين صارمة لا رحمة فيها ولا شفقة هو من هذا القبيل .

وفي الفصول السابقة لوحظ نهي لا حدى فقرات قوانينهم ان ( من ارتكب احدى الكبائر ، ووقع في الخطايا الشائنة يطرد من بين الجماعة فيكون مصيره الموت المحتم لانه لا يتناول ما يجد من الطعام فيضعف جسمه حتى الهلاك )<sup>(١)</sup>

هذا النص ان كان المراد منه معاقبة الكفرة والطحدين فهو في موضعه ولا اعتراض عليه ، الا ان النص لم يذكر كفرة او طحدين ، وعليه فان النص يعني المذنبين والعصاة ، وفي هذه الحالة يمكن معالجتهم بالعقوبات الناجمة والرادعة ، المؤدية الى التوبة والندم على فعل المنكر .

والا فالنص يلحق اجحافا كبيرا في حق المذنبين ، والحق انه يجب التسليم بضرورة معاقبة المذنبين كل حسب جرمه مع الاخذ بعين الاعتبار ان حد هذه العقوبة يجب ان يكون مكفراً للجرم المرتكب حتى يكون الانصاف عابا وشاملا . وفي المسائل التي لاقتل فيها ولا دماء كبعض الكبائر غير المكفرة والصغائر فينبغي ابقاء باب التوبة فيها مفتوحا امام المذنب للعودة والرجوع الى الحق والصواب كما ان طرد المذنب او نفيه من الجماعة يزيد من شعوره بالظلم فلا يفكر بالعودة الى الصلاح . بل ينقلب مجرما لا يتورع عن ارتكاب المزيد من المعاصي والكبائر وفي ذلك خسارة كبيرة لكلا الطرفين .

١ - لاحظ صفحة ( ٢٨٤ ) من هذا البحث .



## مبدأ الاغتسال من الصافحة أو اللس

مطالبة هذا المبدأ بأنه ( ليس لأحد من القسم الاكبر في الجماعة ان يمس احدا ممن دونه والا اغتسل )<sup>(١)</sup> يوهي بوجود فوارق طبقية ونزعات عرقية داخل الجماعة الواحدة ، فضلا عن ميزة التعالي والكبر ، وهو ما ينافي التواضع والتسامح .

وهو في وضعه هذا ينم عن تعالي رجال الكهنوت وذلك لتدعيم قوانينهم الخاصة وفرض هيبتهم على الاخرين بغير حق ، كما يوهي باضفاً سمة القداسة طسى هو " ، وربط التمسث الطبقات الدنيا من الطبقات العليا البركة والمغفرة ، وهذا ما تجلت صورته فسيط بعد في الرهبانية المسيحية التي اتخذت رهبانها اربابا من دون الله ، وفي الباب القادم ان شاء الله سأعرض لهذا الموضوع .

### في مبدأ " البعد عمن النساء " وتحريم النكاح :

اعتناق هذا المذهب فيه مغايرة اكيدة لذهاب الفرق اليهودية الاخرى التي رأت في مجملها ( ان الزواج واجب ديني لكل قادر عليه وان من يحجم عمن الزواج مع القدرة عليه لا يقل حرمة عن القاتل لان كليهما طى حد تعبيرهم " يطفس " نور اللسه " وينقص ظله في ارضه ويبعد رحته عن اسرائيل " بل لقد رأى بعض فقهاءهم انه من بلغ العشرين وهو أعزب يجوز للقضاء ان يرغمه طى الزواج )<sup>(٢)</sup> .

ولم يرد نص في كتب اليهود يوهي بضرورة العزوبة والامتناع عمن النساء ، مما يعطي دليلا قاطعا طى ان هذا المبدأ لم يكن نابعا من البيئية اليهودية بل كان نتيجة اثر خارجي .

ولا شك ان تأشير الرهبان اليونان الذين عاشوا مع الجيل الأول من القمرانيين في الاسكندرية وحول مربوط كان كبيرا . .

فسبالاستطاعة هنا تقرير ان هذه الحقبة بالذات تمثل بحق صلة الوصل ما بين رهبنة الديانات الوضعية ورهبانية النصارى وذلك لان طما " التاريخ يقررون ان جماعة وادى قمران لم تنتهه طما الا بعد ميلاد المسيح طيه السلام بنحو ٧٠ طما تقريبا .

١ - راجع صفحة ( ٢٨٣ ) من هذا البحث

٢ - : الاسفار المقدسة السابقة للاسلام د . وافي ص ٦٠ وحول ذات الموضوع

راجع : موقف اليهودية والمسيحية والاسلام في العزوبة " مقالة لنفس المؤلف في مجلة الأزهر عدد محرم ٦٣٧٩ هـ ص ٣٠ : القاهرة

ان هذا المبدأ حينئذ قررته الرهينة اليهودية لم تكن قد اخذت بعين الاعتبار اضراره الخطيرة . .

وصحيح ان العلط لم يتحدثوا عن وجود ما يشير الى حصول جرائم خلقية داخل الجماعة ، الا ان الامر المعلن ان الجماعة كانت تتبنى اولاداً من خارج اطار القمريين ، وهذا ان دل على شي \* فانط يدل على فشل هذا النظام — اساس ، فما هو الداعي للتبني ما دامت قوانين الجماعة في نظرها مثالية وراقية؟ ان التعالي على الحق جريمة بشعة ودعوة كهذه فيها هدم لركائز المجتمع وتهديد لاستمرار النسل وعمارة الارض .

كما ان نظام التبني لا يمكن ان يقوم بحمل سوءولية بنا\* المجتمع ، وكما من الناس من يستطيع التخلي عن فلذة كبده ليعيش في مجتمع مطلق تكتنفه حياة العزلة والتفوق ،؟ هذا لعمرى بعيد كل البعد عن الواقع .

ومن الواضح ان الجماعة قد بنت نظام رهبنتها وتبنتها طبقاً لرائها المتعلقة بالمرأة فالموقف المعلن من النساء\* كما توضحه احدى فقرات قوانينهم ( انهن جميعاً فاسقات وليس بينهم واحدة تحافظ على امانتها لرجل ) ( ١ )

هذا الموقف فيه تجاوز وخطير لحقوق المرأة ومكانتها في المجتمع وتعد على سمعتها وكرامتها ، وان خالها في باب الفسق تحقير لقيمتها الانسانية اولاً ومهانة لدورها في المجتمع فضلاً عن انكار الجميل الذي تؤدية الامهات في سبيل فلسفات الكباد هن .

ولو وجد في واضح هذا القانون شي\* من الحياء والخجل لقصر الفسق على فئة معينة من النساء دون ان يعم حكمه الجميع بالاتهام والقذف .

الا ان التقليد الاعس وتتبع خطى الرهينة الجينية والبوذية واليونانية قاد واضعي قوانين رهينة اليهود الى هذا المأزق الخطر .

( ٢ )  
وقد لوحظ في السابق موقف الجينية من المرأة وموقف بوذا منها .  
وقد وقف القمريون نفس الموقف ، فما اشبه هذه بتلك .

ولهذا فان معارضة السنن الالهية في الخلق عطية متعبة نتجها الحتمية الفشل ، ولا ادل على ذلك من ان هذه الجماعة لم تستطع ان تقاوم الضغوط الخارجية فقد استطاعت الجماعات اليهودية الاخرى الولوج الى قلب القمريين وكسر نظام الجماعة الى حد ما ، وهذا ما حصل عند البوذيين من قبل وكان الزمان قد استدار كهيئته مرة اخرى .

١ - راجع صفحة ( ٢٨٥ ) من هذا البحث

٢ - راجع صفحة ( ١٥٧ ) من هذا البحث .

## نظام الديبر الكبير وسائسه

ان انشاء معسكر كبير يضم جميع مستلزمات حياة الرهبان لم يسبق ان اقيم  
منه من قبل ، فهذا الابتداء كان نتيجة لقرار الجطعة بعدم التعاون والاختلاط مع  
اليهود الاخرين فضلا عن بقية الطل الاخرى .

ان هذا الوضع يحتم انزال افدح الاضرار بالمجتمع فالعزلة والتفوق  
داخل دائرة ضيقة يمنع من اكتساب المواهب والقدرة على التلقي السليم لبيادى وطوم  
الحياة المتطورة والنافعة للمجتمع . كما يقلل الابواب امام النابيين ، ويبقى الجماعة  
تدور في حلقة مفرغة لا جديد فيها ولا تجديد .

والهروب من الشرور لا يكون بالانعزال كلية عن المجتمع ، وصحيح  
ان نصوص الشريعة الحقة لا تتغير ولا تتبدل الا ان الاحوال التي ترافق الناس تتبدل  
بصورة مستمرة ، ولا بد والحالة هذه من استنباط احكام تواكب ما يستجد من امور  
متطورة مع الزمن خاصة اذا لم تكن النصوص قادرة على اعطاء احكام مباشرة او خلست  
من الوضوح والبيان ، وعندها لا بد من الاجتهاد والاستنباط . .

ومع اقبال هذا الجانب وحصره في دائرة ضيقة تبرز المشقة والحرَج

امام الناس في امورهم العادية والمعيشية .

واذا لاحظنا الفترة التي عاشتها جماعة وادى قرمان لا يمكن لنا

التعرف على مدى القصور الذى اعترافها ومدى التأخر الذى اكتنف جوانب حياتها  
انظمت على انعقادها وانعزالها بعيدة عن أي تقدم يذكر .

وما لاشك فيه ان فكرة المستعمرة او الديبر الكبير قد فتحت اعين

اليهود في العصور المتأخرة على انشاء احياء كبيرة معزولة كلية عن المجتمعات  
السكنية الاخرى خاصة في اوربا وقد اتفق على تسميتها بالجيتو<sup>(١)</sup> ، وقد توسع

---

١ - الجيتو : هي هي مقصور على احدى الأقليات الدينية او القومية ولكن الكلمة

( جيتو ) تستخدم بشكل خاص للإشارة الى احياء اليهود في اوربا وقد اقيم اول

هي يهودى يطلق عليه كلمة جيتو في البندقية عام ١٥١٦ م ومع انه كانت توجد  
داخل الجيتو طبقات مختلفة ( من اليهود ) فكان هناك الغني والفقير والمستغفل  
الا ان الطبقة المنغلقة لهذا البناء الاقتصادي جعلت كل الطبقات تتداخل فكانت  
الاقلية اليهودية تقوم برعاية مصالح كافة اعضائها بصرف النظر عن انتمائهم الطبقي  
... وفي الجيتو كان اليهودى يهرب من العالم الخارجي لعالم كان يتصور ان كل  
ما فيه يهودى خالص فقد كان يمارس طقوسه اليهودية بكل حرفيتها وبدون حرج شم

كثيرا في استعطاله ، اذ كان طهبا لاجلام اليهود وتطلعاتهم ، حيث فيه نشوءا . .  
وترعرعوا وتمكنوا من تحقيق الكثير من اهدافهم التوسعية .

---

=

يحتج عن العمل يوم السبت حتى يعجل بعودة الساشيح المنتظر ليقود شعبه  
لارض السعاد ، وحينما كان يحاول اليهودى ان يدرس شيئا فانه كان يذهب  
الى بيت هامد راش ، - المدرسة - الطحقة بالمعبد اليهودى او يذهب الى المدرسة  
الشمودية حيث كان لا يدرس الا التوراه والشمود والمد راش ولا يقترب البتة من تاريخ  
الاخبار فقد كان كل ما يعنيه تاريخ اليهود كما جاء في كتب اليهود المقدسة  
لكل هذا كان يعيش اليهودى نفسيا في مكان كان يتصور انه فلسطين وان كان يعيش  
بجسده في احدى جيتوات شرق اورها او وسطها ) : موسوعة المفاهيم  
والمصطلحات والصهيونية ص ١٥٤ ، ١٥٥

## الترابط بين رهينة القمرايين ورهينة الجماعات اليونانية القديمة

هناك ملاح وإشارات قوية توحي بارتباط جماعة وادي قمران بغيرها  
من النحل الأخرى المعاصرة لها .

فمن خلال استقراء عقائد هذه الفرقة ونظمها الدينية وقوانينها  
يمكن الكشف عن الترابط الذي قام بين القمرايين وغيرهم ، وقد أوضح ديورانت  
في معرض حديثه عن هذا الموضوع قائلاً ( ولجأ جماعة من اليهود وغير اليهود رجالاً  
ونساءً إلى الصحراء المصرية القريبة من بحيرة مريوط ، يعيشون فيها منفردين فسي  
صوامع وبيع ، ويحرمون على أنفسهم جميع العلاقات الجنسية ويجمعون في يوم السبت  
للصلاة الجامعة ويسمون أنفسهم معالجي النفوس ( *THE RAPEUTAE* )<sup>(١)</sup> .

كما أوضح العقاد هذا الجانب بقوله ( وخرجت من مصر أيضاً نحلة  
قوية على قلة عدد المنتجين اليها وهي نحلة المتطسطين ( *the RAPEUTS* )  
التي ذكرها الحكيم الاسكندر ي فيلون وقال ان اتباعها كانوا يجتمعون يوم  
السبت ويتفرون بعد ذلك في الصوامع للتأمل والدراسة الفلسفية ورياضة الروح والجسد  
واسمهم اليوناني معناه الاساة او المتطسبون واكثر صوامعهم كانت على مقربة من  
الاسكندرية حول مريوط القديمة ويظن بعض المؤرخين ان هؤلاء المتطسطين  
هم اساتذة النساك اليهود الذين يسون الاسين او الاسيين )<sup>(٢)</sup> .

فاقرار ديورانت بمخالطة هذه الفئة اليهودية لغيرها ومحاولة العقاد  
ربط هذه الدلالات هو وبرهان واضح على ان التأثر اليهودي بالفكر اليوناني  
الخاص بالرهينة قد نبع وانبثق إبان تلك العهود وان كانت في بدايتها .  
ويمكن تأكيد هذه الحقيقة من خلال التعرف على العقائد اليهودية  
الستقيدية والتي انكرت في مجملها العزلة ودعت الى الاخذ بمهاج الحياة  
الطادية ، وقد مرت في الفصول السالفة نطاق من تلك المبادئ والاراء .

١ - قصة الحضارة ٣/٣ : ١٥١ ، ويجب لفت النظر الى أن لفظة سرايبس  
المصرية القديمة تلك العبادة التي شغلت مصر في عهد ايزيس واوزوريس قريبة جداً  
من لفظة ( سيراپوت او سيراپوس ) ( *THE RAPEUTS* ) وهذا القرب يوحي بوجود  
ارتباط بين الفئتين الا ان العلماء لم يشير الى الان الى هذه النقطة كما ان البحث  
مدعو لا يوضح هذا الترابط فيما بعد .

٢ - حياة المسيح ، للعقاد ٢٦٦/١١

ولا شك انه لم يوجد قط في مبادئ الفرق اليهودية القديمة على اختلاف مشاربها وقبل نشوء جماعة وادي قمران من نادى بالرهينة .

فمن المعروف حقا ان اليهود قساة القلوب اصحاب طبيعة مغالبيّة في الطادية وتحيل الى الانانية والتكبر والتعالي ، فمن المستغرب ان تظهر بينهم فسفة تنادى بالعزلة والعزوبية . وعليه فلا بد من تقرير حقيقة واقعية وهي ان قيام جماعة يهودية بهذا الامر لا بد ان يحصل من جراء تأثيرات خارجية ولا شك ان بعض هذه التأثيرات قد جاء عن طريق تلك الجماعات التي خالطها اليهود في ميسوط واخذوا عنها نظم الرهينة ومبادئها .

وهكذا يمكن ربط الحلقات المتعلقة بالرهينة لتصبح الصورة واضحة جنية على اساس ان الرهينة اليهودية هي صلة وصل ما بين رهينة الاديان الوضعية وبين رهبانية النصارى التي سوف نرى نشأتها وتطورها في الباب القادم بإذن الله تعالى .

---

١ - لم يكتف ديوارنت بايراد التأثير اليوناني على الجماعة بل ألمح الى ان هؤلاء لعلمهم تأثروا بآراء البراهمة والبوذيين والمجوس عبدة النار والفيثاغوريين والكليبيين وهي الآراء التي جاءت الى اورشليم ملتقى الطرق التجارية في غرب اسيا ) .

قصة الحضارة ٣/٣ : ١٧٤

ويضاف اليه ما ذكره الطران صموئيل في هذا الصدد حينما قال انها (أي الجماعة) مزيج من اليهودية - ولا شك - ومن العناصر الشرقية كالفارسية والهندية والوثنية مع اليونانية بدليل وجود آثار لكل من هذه العناصر فيها ، فالاسينية لجأت الى البرارى والكهوف سعيا وراء كمال كل فرد من اعضائها ومع ذلك فما لبثت ان انقرضت سواها كان السبب في ذلك الاضطهادات التي قاستها او نكبات الزمن الاخرى المتعددة فالنتيجة الواقعية هي انها لم تكن تحتوى على مقدار كاف من الحياة ليضمن لها استمرار البقاء وطول الحياة على مر الاجيال )  
: كنز قمران ص ٢٤٤

الكتاب السابع

الاسم العقديسة  
للرهبانيسسة السبحيسسة  
والسرد طيبها

### التمهيد :

بعد الحديث عن الرهينة اليهودية ومشاكلها وما انتهت اليه . . . . .  
نصل الى نهاية المطاف والى ما لا يد منه في سلسلة الرهينة ، لنختتمها بالحلقة  
الاخيرة والخطيرة منها وهي الرهينة المسيحية التي مارست جميع ادوار من سبقها  
واقترنت عنهم كثيرا من المفاهيم والمبادئ العقدية والعطية وطبقته واضافت  
اليها الكثير . .

وهنا تتجلى حقيقة البدعة في الرهبانية المسيحية ، صدقنا  
لقوله تعالى ( ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها  
حسق رهابتها فاتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون )<sup>(١)</sup> .  
فضم عقائد ومبادئ مخترعة الى الدين الاصيل ليصبح دينا محرفا  
بدعة ليس للنصارى ان خالها على ما جاء به عيسى عليه السلام .  
وللوصول الى ذلك لا بد من استعراض وبيان أهم أسس العقائد  
التي استقر رأى الكنيسة عليها، للوقوف على كيفية نشوء الرهبانية وتطورها  
والادوار التي مرت بها والمناهل التي شربت منها .



الفصل الاول : العقائد ونقد ها  
اولا : اسس العقائد المسيحية  
===

لقد مرت المسيحية عبر قرون عدة قبل ان تستقر على عقيدة تبني عليها اصولها ، وقد اجمعت الطوائف المعارضة للتوحيد على القول بالتثليث ووضعت له المصطلحات الخاصة به ، وهي في واقع الأمر تتناقض مع ما تدعيه من القول بالتوحيد التي اضطرت الى السناداة به خوفا من وصمها بالوثنية .

فهي تضع اسم : الاب ، والابن ، والروح القدس ، كأساس لعقيدتها الا ان الطوائف المتعددة داخل المسيحية نفسها تختلف حول طبيعة كل اقنوم من هذه الاقنوم الثلاثة وانيثاق كل منها عن الاخر .

وقد اقرت عقيدة التثليث عقب مجامع متعددة بعد ان مرت الكنيسة بتطورات كثيرة نظراً لما اعترضها من مشاكل وصعاب فكرية ودينية ، ضما ما هو نابع من اختلاف دعاتها الأوائل حول مضمون رسالة عمسى عليه السلام وشخصيته وحياته ومنها ما يرجع الى أسباب خارجية طارئة أسهمت الى حد كبير في إنحراف خبط السيرة وتوجيهها نحو طريق لا يرضى عنه المسيح عليه السلام وحواريوه الخلس .

---

١ - تتراجع المسيحية في العصر الحديث عن كثير من الآراء التي تحكمت بها في الماضي فالموسوعة الكاثوليكية الجديدة والمعترف بها رسمياً في اوساط الكنيسة تعترف ( بان التثليث لم يكن معروفاً للمسيحيين الاولين وان هذا المبدأ قد تمت صياغته في الربع الاخير من القرن الرابع الميلادي فتقول في هذا الصدد . :

( نجد من الصعب في النصف الثاني من القرن العشرين ان نقدم تفسيراً واضحاً وموضوعياً لأصل سر الثالوث المقدس وتطوره المذهبي وتفسيراته اللاهوتية فمناقشة الثالوث تمثل ظلاً من الغموض غير المستقر سواء كانت على مستوى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية أو غيرها .

وقد حدث أمران هامان : هناك اعتراف من جانب المفسرين وهلماء الانجيل وعدد كبير من غلاة الكاثوليكية بأنه لا يجب الحديث عن ثالوث العهد الجديد ( الانجيل ) دون ان يكون المتحدث مؤهلاً لذلك وهو اعتراف مؤرخي العقيدة ورجال اللاهوت بأن الحديث في ثالوث مبهم يتحرك بنا من أصول العهد المسيحي الأول إلى الربع الأخير من القرن الرابع الميلادي ففي هذا الوقت أصبح الثالوث مبدأ نهائياً ، وتهيأ الفكر المسيحي والحياة المسيحية تماماً لاستيعاب فكرة الاله الواحد في ذوات ثلاث ) : الاسلام والمسيحية ، ألفت عزيز الصد

ص ٥٥-٥٦ الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م  
دار القرآن الكريم ، بيروت ، لبنان .

وطيه فان اراء الفرق المسيحية المختلفة لم تتفق على صيغة لاعلان المبادئ الرئيسية للديانة المسيحية في القرنين الاول والثاني وذلك بسبب الاحداث الخطيرة التي غيرت معالم الدين الحق .

فبعد تقلبات عديدة وملابسات تاريخية ومجادلات عقائدية شهد هذا العالم المسيحي آنذاك عقد مجمع نيقية عام ٣٢٥ م ضم ٣١٨ أسقفا تحت رعاية قسطنطين وكان وثيا ولم يتنصر بعد وقد خرج المجمع بقرارات سميت آنذاك بدستور الايمان أعقبه مجمع آخر سنة ( ٣٨١ م في القسطنطينية تحت رعاية ( تاود وسيوس ) وقد أقرت فيه صيغة أضيفت إلى الاولى كان المؤمنون بحاجة اليها مكلمين بذلك النص الذي ألزمت الكنيسة أتباعها باعتناقه وعدم الخروج عنه . ونص دستور الايمان كان على النحو التالي :

- أو من باله واحد أب ضابط الكل خالق السماء والأرض كل ما يرى وما لا يرى

- وهرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الاب قبل كل الدهور نور من نور اله حق من اله حق مولود غير مخلوق مساو لسلاط في الجوهر الذي به كان كل شيء .

- الذي من اجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السموات ، وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء وتأنس .

- وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطي وتألم وقبر وقام في اليوم الثالث على ما في الكتب .

وصعد الى السموات وجلس عن يمين الاب .

- وأيضا يأتي بمجد ليدين الأحياء والأومات لافناء لملكه ( ١ )

- وبالروح القدس الرب المحيي المنبثق من الاب الذي هو مع الاب ،

والابن مسجود له ومجد الناطق بالانبياء .

- وكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية .

- واعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا

- وترجى قيامة الموتى

- والحياة في الدهر الآتي . آمين ( ٢ )

---

١ - الى هنا النص الذي جاء في السجمع الاول ( راجع في ذلك : المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ص ٢٥٠ ط ١٣٨٥-١٩٦٥ دار الكتب الحديثة ، مصر

٢ - راجع نص الصيغتين في كتاب الخلاصة الشبهية في أخص العقائد والتعاليم الارثوذكسية افلاطون مطران موسكو ص ٦٥-٦٦ ت : الخوري يوحنا حزبون ، طبعة كرم ، بيروت ١٩٥٧

(١) وقد حاول صاحب رسالة التثليث والتوحيد تخريج صيغة هذا الدستور من الأناجيل الأربعة ورسائل اعطال الرسل .

الا أن الناظر في العهد الجديد وما احتوته أناجيله من نصوص يظهر لنا بوضوح ان كاتبيها يمتازون بثقافة اصططفت بالوان شتى اكتسبتها من بيئة شعبية بأساطير وفلصحات ومفاهيم وثنية .

وما عرف عن أهل الكتاب من اتخاذ منطق التأويل المغالي لتفسير نصوص كتابهم ليس بغريب عليهم بدرجة تخريج أي نص وفق مفهوم العقيدة التي يدعون بها بعد تغلغل الآراء التاليفية الدخيلة على رسالة عيسى عليه السلام .

ولمنا في معرض الحديث عن التطورات التي سبقت انعقاد المجامع والاعتراضات الكثيرة التي أشيرت حوله أو الخوض في تأثير الفلصحات الوثنية القديمة على الديانة المسيحية فإن ذلك سوف يكون البحث فيه أثناء الحديث عن الآثار الخارجية على الديانة المسيحية .

وما يهم البحث هنا هو استعراض المفاهيم الرئيسية التي قام عليها دستور الايمان وارا<sup>١</sup> المسيحيين بالنسبة لعقيدة التثليث وما نتج عنها من مساوئ دينية اتخذت كاستند للأسس التي بنت عليها الرهبانية أطرها وتنظيماتها . وقبل ذلك لا بد من استعراض بعض نصوص الأناجيل التي يعتمد عليها المسيحيون في إثبات عقيدة التثليث ومن ذلك :

ما جاء في انجيل متى :

( ٢ ) ( فان هبوا ولفوا جميع الأمم وعدوهم باسم الآب والابن والروح القدس )

- وما جاء في رسالة يوحنا

( ان الذين يشهدون في السط<sup>٣</sup> هم ثلاثة : الاب والكلمة والروح

القدس وهو<sup>٤</sup> الثلاثة هم واحد والذين يشهدون في الأرض هم

ثلاثة الروح والسط<sup>٣</sup> والدم والثلاثة هم في الواحد ) .

- وكذلك ما جاء في انجيل يوحنا :

( ٤ )

( في السبد<sup>٥</sup> كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله ) .

١- لسيص منصور ، وقد نقل الاستاذ عبد الكريم الخطيب تخريج هذه الصيغة في كتابه

المسيح في القرآن . . . ص ٢٤٩ - ٢٥٣

٢- متى : ٢٨ : ١٩

٣- رسالة يوحنا (١) ٥ : ٧ - ٨

٤- انجيل يوحنا ١ : ١

ثانيا : مدلولات التثليث عند المسيحيين

حاول علماء المسيحية تفسير مدلولات العقيدة وما انطوت عليه من مفاهيم عن الأقانيم الواردة في نص دستور الايمان السابق ذكره ، وما تفتقت عنه عبارات الاناجيل من دعوى التثليث .

وسيسير البحث مع بعض الاصطلاحات للوقوف على مدلولاتها وما ترمى اليه ، وستتضح مدى عبورة هذه التفاسير .

فلفظ الاب عندهم مترادف كلمة ( الله ) : (وهو الاله ، خالق جميع الكائنات والحاكم لجميع العوالم والواهب كل المواهب الحسنة ، والله روح غير محدود أزلي غير متغير في وجوده وحكمته وقد رته وقد استه ، وعدله وجودته وحقه ) (١) .

في هذا التفسير ولأول وهلة قد تظهر بعض دلائل التنزيه إلا أن ذلك لا يلبث ان يتلاشى أمام بقية المدلولات فيها هم يقولون ( الله واحد ، وهو ثلاثة أقانيم متساوية في الجوهر . . . الله الاب والله الابن والله الروح القدس ، فالاب هو الذي خلق العالمين بواسطة الابن . . . والابن هو الذي أتم الغداة وقام به ، والروح القدس هو الذي يظهر القلب والحياة غير أن الأقانيم الثلاثة يشتركون معا في الاعمال الالهية على السواء وتطلق الصفات الالهية على كل أقنوم من هذه الأقانيم ) (٢) .

ويعترف النصارى بأن عقيدة التثليث هذه لا تظهر واضحة فني العهد القديم (٣) .

- مفهوم ( ابن الله ) :

اطلق هذا اللقب على المسيا ( مز ٢: ٧ ) وهو ( ٤٩: ١ ) وهو يدل على العلاقة المكينه ( كما يدعون ) بين الاب السطاوي والابن الازلي ، وقد استعمل هذا اللقب في العهد الجديد ما يقرب من ٤٤ مرة عن يسوع المسيح ، والله الاب يحب ابنه ( يوحنا ٣: ٣٥ و ١٧: ١٠ ) الاب هو الذي ارسل الابن ويحمل به ( يوحنا ٣: ١٦ و ١٧ و ٤٢: ٨ ) و ( غلا ٤: ٤ ) و ( عب ١: ٢ ) ويقولون كذلك : والمسيح بما انه ابن الله ( تعالى عما يقولون ) فهو اله بكل الكلمات غير المحدودة والتي للجوهر الالهي والابن ساو لله في الطبيعية ( يوحنا ١٧: ٢٥ ) ومن هذه الاعتبارات فالمسيح فريد في هذا وهو ( ابن الله ) (٤) .

١ - قاموس الكتاب المقدس ، نخبة من اساتذة اللاهوت ص ١٠٧ - ١٠٨ ط ١٩٧١

٢ - المصدر السابق

٣ - المصدر السابق

٤ - المصدر السابق .

وقد فند الشيخ محمد رشيد رضا في تفسير المنار هذه الاقوال واثبت بالبراهين

ان هذه المفاهيم وخليلة على عقيدة المسيح عليه السلام راجع تفسير المنار ١٠١/٣٩٢

يتضح ما تقدم صعوبة فهم تلك النصوص لما تنطوي عليه من غلظ  
وتناقض يجهبها العقل ، ويرفضها النطق فضلا عن مخالفتها لواقع وحقيقة العقيدة  
الصحيحة التي جاء بها عيسى عليه السلام النابضة بالتوحيد الخالص .

ولتشابك وتتضاد عقيدة التثليث فقد حاول بعض العلماء حل الرموز

التي تكتنفها والتي تستعصي على الفهم ومن ذلك قول أحد العلماء :

( بقي على المسيحيين أن يجدوا حلا للأمور الآتية :

- ما الطريق للتوفيق بين التوراة التي تقول بالسوحدانية والتي

يقدمها المسيحيون ، وبين التثليث الذي اعتنقه المسيحيون ؟

- كيف يتم فهم ( وحدة في تثليث وتثليث في وحدة ؟ )

- يقولون الابن مولود غير مخلوق والابن ليس احد من الاب فما معنى

هذا ؟ . . . . لقد حاولت جهدي ان اصل الى جواب لهذه الاسئلة عن طريق القراءة

او المعاهدة مع المسيحيين ولكني اقرر انني لم استطع فهم اجاباتهم بل صرح كثير

منهم ان هذه المسائل مسائل اعتقاد لا فهم ، فاعتضت بانها مسائل اساسية وهسي

المدخل للدين فكيف لا يفهم ؟ ولكنني لم اطلق جوابا على اعتراض ( ١ )

ولم يقتصر عدم فهم هذه العقيدة وصعوبة تصورها على علماء المسلمين

بل ان علماء النصرانية انفسهم يقرون بهذه الحقيقة التي لا يمكن اخفاؤها .

فترى صاحب رسالة الأصول والفروع بعد بيان عقيدة التثليث يقول :

( قد فهمنا ذلك على قدر طاقة عقولنا ونرجو أن نفهمه فهما أكثر

جلاء في المستقبل حين ينكشف لنا الحجاب عن كل ما في السموات والارض وما في

الوقت الحاضر ففي القدر الذي فهمناه كفاية) اي ان عقيدة التثليث لا يمكن ان تتكشف

للنفس على وجهها الا يوم تتجلى كل الاشياء لهم يوم القيامة وذلك حق فانهم لا يعلمون

حقيقتها الا يوم يحاسبهم الله عليها ( ٢ )

ويقول القس الياس مقار تحت عنوان الايمان بالثالوث في الاله الواحد (

) ان الله الواحد الشخص الروح ذوو ثلاثة اقانيم وواضح ان هذه العقيدة مسما

تتفرد به المسيحية عن غيرها من الديانات والفلسفات القديمة والحديثة ان لا مرا

ان صفحات التاريخ لم تسجل على وجه الاطلاق عقيدة اعتنقها دين او فكر كهذه التي

١ - المسيحية ، د . شلبي ص ١٣٤

٢ - محاضرات في النصرانية ، لابي زهرة ص ١٢٢

يو\* من بها المسيحيون على اننا ونحن نتأمل هذه العقيدة بشيء\* من التفصيل والتوضيح لا مندوحة لنا من الاعتراف اننا اذا\* سر من اعق اسرار الوجود والحياة واذا كان اوغسطينوس وكلفن قد اعترفا بان اللغة اللاتينية على ما فيها من غنى وجمال عاجزة كل العجز عن التعبير عن كنهها وعمقها فاننا نقول ما هو اكثر ان نقول ان بي\* ان البشر أو الملائكة أعجز من أن يسبر غورها الا اذا امكنه ان يبلغ السطحيل (١).

وهكذا فبلغت السطحيل يريد النصارى اقناع الناس بهذه العقيدة الاسطورية ، ولا عجب بعد ذلك ان يردد المسيحيون قول اوغسطين احد كبار ابا\* الكنيسة لصديقه ( لا تحاول ان تفهم لكي تؤمن بل آمن لكي تفهم ) (٢).

### الرد على عقيدة التثليث :

هناك أدلة كثيرة تقوض عقيدة التثليث وتثبت بطلانها ، وقد يعجب المرء كيف فات المسيحيين تلك الأدلة الخاصة ما كان منها يتعلق بنصوص أناجيلهم وسوف يتعرض البحث للأدلة النقلية الخاصة بنفي هذه العقيدة ثم يتناول الأدلة العقلية .

### الأدلة العقلية :

أولا : ما جاء في انجيل يوحنا قوله ( وهذه الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته ) (٣) وهذا اعلان صريح دال على وحدانية الله الحق ، ونص على أن عيسى عليه السلام مرسل من عند الله .

ثانيا : ما جاء في انجيل مرقس : ( فجا\* واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون فلما رأى أنه أجابهم حسنا سأله: أية وصية هي أول الكل ؟ فأجابه : يسوع : إن أول كل الوصايا هي : اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد وتعب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك هذه هي الوصية الأولى ) (٤).

وهذا نص آخر أوضح في الدلالة على التوحيد ونفي الشرك بالله تعالى وهو لا ينافي ما جاء به موسى عليه السلام وبقية الانبياء\* ، ولكن النصوص الوثنية هي التي أعست أبصار القوم فاضلتهم سوا\* السبيل .

١ - اقايم النصارى ، د . احمد حجازى السقا ص ٧٦-٧٧

٢ - قصة الحضارة (١) / ٤ : ١٤٢

٣ - يوحنا ١٧ : ٣

٤ - مرقس ١٢ : ٢٨

ثالثا : ما يؤيد بشرية عيسى عليه السلام ما جاء في رسائل اعمال  
الرسول : ( ايها الرجال الاسرائيليون ، اسمعوا هذه الاقوال ، يسوع الناصري  
رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم  
كما أنتم ايضا تعلمون ) (١) .

رابعا : وما يدل على بشرية عيسى في انجيل مرقس :  
( وما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهط أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا  
الابن الا الاب ) (٢) .

ومعنى ذلك ان طم الغيب منفي عن عيسى فكيف يدعى النصارى  
الوهيته وهو فاقد لصفة من أخص صفات الالهية ؟  
اما صفة الأب والابن فسيأتي الحديث عنها اثنا الكلام عن الملايسات  
التي وقع النصارى فيها . ان شاء الله تعالى .

هذه بعض الادلة النقلية من أناجيل النصارى التي تثبت القول  
بالتوحيد ، وتنطبق ببشرية عيسى وتنفي عنه صفة الالهية .

وقد خاطب القرآن الكريم أهل الكتاب ودعا هم الى تصحيح العقيدة  
فمن ذلك قول الحق تبارك وتعالى ( يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا  
عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ، إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلَّمَتْهُ آَلَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ  
وَرُوْحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةَ آَنْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ، إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ  
أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ، لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ) (٣) .

واذا ما كابتة أهل الكتاب واصرارهم على عنادهم حكم الله بكفرهم ، قال  
تعالى ( لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ، وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي  
إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ  
النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ) (٤) .

١ - اعمال الرسل ٢ : ٢٢

٢ - مرقس : ١٣ : ٣٢

٣ - النساء : ١٧١

٤ - المائدة : ٧٢

وقوله تعالى ( لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَنْ مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) (١)

وهكذا كان موقف عيسى عليه السلام الذي امر قومه بعبادة الله تبارك وتعالى

وحده ، قال تعالى ( وَأَنْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ : سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ، إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ، تَعَلَّمْتُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أُطِمُّ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ) (٢)

الى غير ذلك من الايات البيّنات التي نصت على بشرية عيسى عليه السلام

ورسالته ، وسيأتي بعضها ان شاء الله فيط بعد .

### الادلة العقلية :

غني عن القول ان نخبة من طمّاء المسلمين قديما وحدثنا جاد است اهل الكتاب والتي هي احسن اتباعا لقوله تعالى ( وَلَا تَجَادَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ الَّذِينَ هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَالْهِنَا وَالْهَيْكُمُ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ سَلِيمُونَ ) (٣)

وقد رد العظماء اقوال النصارى وما آمنوا به من عقيدة التثليث ، فقد

جاء في معرض رد الامام ابن تيمية على دستور الايمان قوله :

( وهذا تصريح بالهين ، احد هط من الاخر ، وطم الله القائم به

او كلامه او حكته القائمة به الذي سميتوه ابنا ، ولم يسم احد من الرسل صفة الله ابنا

فليس هو اله حق من اله حق ، بل اله واحد ، وهذه صفة الاله ، وصفة الاله ليست باله

كما ان قدرته وسمعه وبصره وسائر صفاته ليست بالهبة ولأن الاله واحد وصفاته متعددة

والاله ذات متصفة بالصفات قائمة بنفسها ، والصفة قائمة بالموصوف ، ولأنك

سميت الاله جوهرًا وقلت : هو القائم بنفسه ، والصفة ليست جوهرًا قائمًا بنفسه ، وهم

في هذه الامانة ( اي دستور الايمان ) قد جعلوا الله والدا وهو الاب ، ومولودا وهو

الابن ، وجعلوه مساويًا في الجوهر ، وقد نزه الله نفسه عن الانواع الثلاثة .

(و) قالوا : مولود غير مخلوق مساوٍ لاب في الجوهر ، فصرحوا بانسه

ساوٍ له في الجوهر والمساوى ليس هو المساوى ولا يساوى الاب في الجوهر الا الجوهر

فوجب أن يكون الابن جوهرًا ثانيًا والروح القدس جوهرًا ثالثًا . . . وهذا تصريح باثبات



ثلاثة جواهر ، وثلاثة الهبة ، ويقولون مع ذلك : انما ثبت جوهر واحد والها واحدا وهذا جمع بين النقيضين ، فهو حقيقة قولهم يجمعون بين جعل الالهة واحدا واثبات ثلاثة جواهر ، وقد نزه الله نفسه عن ذلك بقوله ( قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد<sup>(١)</sup> ) الاخلاص .

وقد ساق العلما كثيرا من الادلة العقلية في الرد على هذه العقيدة . كما طالج العلامة الشيخ رحمة الله الهندي هذه المسألة وبين عور سلك النصارى فيها وما اورد في الرد على دعوى الاقانيم قوله : ( لو وجد في ذات الله ثلاثة اقانيم مستترة بامتياز حقيقي كما قالوا - فمع قطع النظر عن تعدد الوجبا - يلزم ان لا يكون الله حقيقة محصلة ، بل مركبا اعتبارا . فان التركيب الحقيقي لا بد فيه من الافتقار بين الأجزاء . فسان الحجر الموضوع بجانب الانسان لا يحصل منهط أحدية . ولا افتقار بين الواجبات لانه من خواص السمكات .

فالواجب يفتقر الى الغير ، وكل جزء مفصل عن الآخر وغيره وان كان داخلا في المجموع فاذا لم تفتقر بعض الأجزاء الى بعضها اخر تألف فيها الذات الاحدية على انه يكون الله في الصورة المذكورة مركبا ، وكل مركب يفتقر الى غيره وكل يفتقر الى غيره ممكن لذاته يلزم ان يكون الله ( تعالى ) ممكنا لذاته وهو باطل .

واذا ثبت الامتياز الحقيقي بين الاقانيم فالامر الذي حصل به هذا الامتياز ان يكون من صفات الكمال أولا يكون . فعلى الشق الاول لم يكن جميع صفات الكمال مشتركا فيه الاقانيم متصفا بجميع صفات الكمال وعلى الشق الثاني فالموصوف به يكون موصوفا بصفة ليست من صفات الكمال وهذا نقصان يجب تنزيه الله عنه .

(و) لو كانت الاقانيم الثلاثة متتازة بامتياز حقيقي وجب ان يكون

التميز غير الوجوب الذاتي ، لانه مشترك بينهم وما به الاشتراك غير ما به الامتياز فيكون كل واحد منهم مركبا من جزأين وكل مركب ممكن لذاته ، فيلزم ان يكون كل واحد منهم ممكنا لذاته<sup>(٣)</sup> .

- 
- ١ - : الجواب الصحيح لم يدل دين المسيح ، للامام ابن تيمية ١١٧/٢-١١٨ ويراجع في هذا الصدد : رد افتراء المشركين على آيات القرآن الكريم د . محمد جمعة عبد الله ص ٣٧ ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
  - ٢ - راجع في هذا الصدد : الاجوبة الفاخرة للقرافي ص ١١١ ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م - وكذلك : الاعلام على دين النصارى من الفساد والاهام ، للقرطبي ص ٧١-٧٨ ، ت : د . احمد حجازي السقا ، دار التراث العربي ص ١٩٨٠ . وكذلك : " مقام الصليبان " للخزرجي ، ت : عبد المجيد الشرفي ، ص ٨٤-٨٧ ، الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس ، ١٩٧٥ وكذلك : تحفة الارباب في الرد على اهل الصليب ، عبد الله الترجمان السورقي ، ت : عمر وفاق الداغوق رسالة ماجستير ص ١٥٥ ، مكة المكرمة ١٤٠٢ هـ وكذلك النصيحة الابطانية في فضيحة الطبة النصرانية لابي نصر يحيى بن عيسى المتطهيب المهتدي ، ت : محمود قدح ، ص ١٣٥-١٤٩ ، رسالة ماجستير الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م
  - ٣ - : اظهار الحق ، للشيخ رحمة الله الهندي ص ٣٣٨ ، ت : عمر الدسوقي ، دار احياء التراث الاسلامي ، الدوحة ، قطر ١٩٨٣

والقول بالتثليث ، يوقع النصارى في التناقض ، لانهم يجمعون بين النقيضين ولا يفرقون بين الوحدة الحقيقية والوحدة الاعتبارية .

فلوان ( النصارى قالوا : ان الالههم واحد اعتبارى وهو ثلاثة لهما كان هناك نزاع في هذا المفهوم ويتوجه طيبهم ما يتوجه به على المشركين من الاستدلالات الاخرى . لكنهم يصرون على القول بالوحدة الحقيقية مع التثليث ، واصرارهم هذا نابع من انهم يدركون تماما ان القول بالوحدة الاعتبارية يعني مفهوماً الشرك والوثنية وهم ينفرون من هذا المفهوم أشد النفور ، ويتسكون بالتوحيد الحقيقي مع التثليث وهذا جمع للنقيضين ، وهو مرفوض عند الناس جميعا باى المقاييس وتحت اى ظرف من الظروف .

والنصارى يشعرون في عقولهم بهذا الحرج المنطقي الشديد ويحيلون المشكلة برمتها الى الايمان والوجدان ، ورغم الايمان والوجدان والعاطفة والشعور ظلت القضية بدون حل ( ١ ) .

ثالثا :

==== السلايسات التي وقع فيها النصارى  
حول مدلول الابوة والبنوة

وقع النصارى في ملامسات حول ما يدعونه من ابوة الله ( تعالى عما يصفون ) وبنوه المسيح عليه السلام ، وهي في حقيقتها متعددة . منها ما هو مفتعل من قبل اعداء الله تعالى كاليهود الذين دخلوا في المسيحية لافسادها كبولس وغيره او الوثنيين اليونانيين كفلوطين وفلسفته الوثنية ومنها ما هو لغوى يتعلق بالالفاظ والكلمات المترجمة من لغة الى اخرى .

فمن حيث اللفظ : ( فان الابن في اللغة العبرانية التي هي لغة المسيح تقع على العبد الصالح المطيع الولي المخلص وان الاب قد تقع على السيد المالك المدير . قالوا : وقد قال في التوراه ان اسرائيل ابني وبكرى واولاده ابناي وعلى دعوى النصارى تجب لهم الالهية وقد قال اشعيا النبي عليه السلام في كتابه ان الله ابو جميع العالم وانتم معشر النصارى تذكرون ان متى حكى في انجيله عن المسيح انه قال : طوبى لكم معشر المصلحين بين الناس فانكم تسمون ابنا الله وقال متى في انجيله ان المسيح قال للناس : ان اباكم السماوى واحد فرد وقالوا ان المسيح كان يقول في صلاته التي كان يصليها ويعلمها الناس : قولوا يا ابانا الذى في السموات انت قد وس اسمك عزيز سلطانتك نافذ امرك فسي السموات والارض لا يعجزك ما طلبت ولا يستمتع

١ - : الاسفار المقدسة قبل الاسلام . ص ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٤٧

ط الاولى عالم الكتب ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م وهناك ادلة كثيرة حاول استقصاءها الاخ سعيد عقيل سراج في : " رسائل الرسل في العهد الجديد واثرها في انحراف المسيحية ص ٥٥٤ وما بعدها ، رسالة ما جستير ، جامعة ام القرى ، ١٤٠٦ - ١٤٠٧ هـ .

منك ما أردت فاغفر لنا ذنوبنا وخطايانا ولا تعذبنا بالنار (١).

فينبغي على قول النصارى أن تكون هو "الآب" كلها آلهة وأربابا لتعلم أن اسم الآب يقع في تلك اللغة على السيد والمالك (٢). ولو صرح ادعاؤه لهم لجازان يكون اباهم يعقوب ولجازان يكون جدا ليوسف . . . . . ولجازان يكون عا (٣) وخالاً (٤) تعالى الله عما يقولون .

ولقد دار حوار بين الشيخ العلي مع أحد القسس وذلك خلال مناظرات الشيخ مع النصارى ، وقد نوه بأن هذا اللفظ له عدة استعمالات فهو يطلق على الوزير الأعظم وعلى الرئيس الديني كما يطلق على "الله" أنه آب لكل إسرائيل وآب لسداود وسليمان وللمسيحيين المؤمنين وآب للبتاني وآب لكل عهد باريفعل شقيقة الله وقد استدلل الشيخ على كل لقب ومدلولاته من هذه الاسماء بفقرات العهد القديم وذلك بما يثبت بطلان ادعاء النصارى في هذه المسألة (٤).

كما توسع الشيخ رحمة الله الهندي في إعطاء المفهوم الحقيقي والمجازي لكلمة الآب وأوضح بأنه ( لا يصح أن يكون لفظ الآب بمعناه الحقيقي . لان معناه الحقيقي باتفاق لغة أهل العلم من تولد من نطفة الآبوين وهذا محال هنا فلا بد من الحمل على المعنى المجازي المناسب لشأن المسيح . وقد طم من الانجيل أن هذا اللفظ في حقه بمعنى الصالح ) (٥).

كما أورد الشيخ نصوصا جديدة يتضح من خلالها أن كلمة الآب من اطلقت على المسيح واطلقت ايضا على غيره ، ومن ذلك ما جاء في انجيل متى ( واما انا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعينكم أحسنوا الى مبغضيك وصلوا لاجل الذين يبغضونكم لكي تكونوا أبناء أبيكم الذي في السموات ) (٦).

ومن ناحية أخرى فإن الإسلام يرفض أي ادعاء للنصارى ببثوة المسيح على وجه النسبة واللاحاق فقد قال تعالى ( وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هل لسه ما في السموات والأرض كل له قانتون ) (٧).

وقوله تعالى ( مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ) (٨).

- ١ - النص في : انجيل متى الاصحاح السادس الفقرات ٤٩ مع اختلاف طفيف لا اختلاف ترجمة الكتاب من زمن لآخر . ٢ - تثبيت دلائل البثوة للقاضي عهد الجبار ١٢٠/١
- ٣ - المختار في الرد على النصارى ، للجاحظ . ت : محمد عهد الله الشراوى ص ١٠٣ ، دار الصحوة القاهرة ط ١ ، ١٤٠٥-١٩٨٤
- ٤ - انظر : سلاسل المناظرات الاسلامية بين شيخ وقسيس ، عهد الله العلي ص ١١١ ط ١ ، ١٣٩٠ هـ . وانظر ما قدمه شارل جنيبير من أدلة قوية حول نفس الموضوع في كتابه المسيحية ، نشأتها وتطورها ص ١٠٦ . وراجع : رسائل اعطال الرسل واثرها في انحراف المسيح ص ٥١٢
- ٥ - اظهار الحق ص ٣٥١ - وراجع حول ذلك : مرقس ٢٣ : ٤٧ ويوحنا ٨ : ٤١ وقارن مع ما جاء في هداية الحيارى في اجوبة اليهود والنصارى لابن القيم ص ٦٢٥
- ٦ - متى : ٥ : ٤٤-٤٥ ٧ - البقرة : ١١٦
- ٨ - مريم : ٣٥ ، وراجع تعليقات الشيخ عهد العزيز آل معمر في : ضحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ، ص ١٤٥ ، دار تحقيق للنشر ، الطائف ١٣٩٨ - ١٩٧٨ م

وقد اعترض الترجمان على النصارى في ادعائهم بالوهية المسيح عليه السلام وقد آراءهم وفق خمسة أوجه من بينها قوله :

( الوجه الخامس : ان تكونوا جعلتموه لها لعجب مولده في كونه من غير أب فان قلتم لعجب مولده وكونه من غير أب ، فليس ذلك باعجب من كون آدم خلق من غير أب ولا أم ، ولا أعجب من كون الملائكة خلقوا من غير والد ولا والدة ولا طينة ولا مادة ولا يسس شيء من الملائكة وآدم الهة وأنتم تمنعون ذلك ( ٢ ) .

وقد أشار القرآن الكريم الى هذه الحقيقة في قوله تعالى :  
( إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكْفُرُ مِنَ الْمُحْتَرَبِينَ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا وَإِبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ) ( ٣ ) .

وقد جاءت هذه الآية ردا على نصارى نجران وعرفت بأية المباهلة لأن الرسول صلى الله عليه وسلم طلب منهم المباهلة فابوا له عرفوا من صدقه فيط يقول فخافوا وتراجعوا ( ٤ ) .

١ - هو عهد الله الترجمان ( ٨٣٢ هـ - ) كان قسيسا نصرانيا يدعى ( انسلم ترميدا ) وقد هداه الله تعالى الى الاسلام فنيذ المسيحية والتحق ببلاد المسلمين وطاش بينهم وكان يعمل ترجمانا للامبرين ابي العباس وابنه احمد الحفصيين بتونس وقد ترقى الى درجات عليا في الجيش الاسلامي وجاهد ضد الافرنج وقد الف كتابه باسم ( تحفة الاريب في الرد على اهل الصليب ) وذلك لطراى من زيف الاعتقاد وقلة الهداية والرشاد عند المسيحيين .

٢ - تحفة الاريب في الرد على اهل الصليب ، ص ١٦٨ - ١٦٩

٣ - ال عمران : ٥٩ - ٦١

٤ - ذكر الواحدى من حديث طويل قصة وفد نصارى نجران الذى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان سببا في نزول اية المباهلة ( اى الملاعة ) ومن ذلك ما جاء فيه ( فلكم رسول الله صلى الله عليه وسلم السيد والمعاقب وهط من كبار القوم فقال : أسلط فقالوا : قد اسلمنا قبلك ، قال : كذبتا منعك من الاسلام دعاؤك لله ولسد اعياد تكلم الصليب واكسك الخنزير ، قالوا : إلم يكن عيسى ولد الله فمن أبوه ؟ وخاصموه جميعا في عيسى ، فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم : أستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه ؟ قالوا : بلى ، قال : أستم تعلمون ان ربنا حي لا يموت ، وأن عيسى اتى عليه الغناء ؟ قالوا : بلى . قال : أستم تعلمون أن ربنا قيم على كل

شيء يحفظه ويرزقه؟ قالوا: بلى قال: فهل يطبك عيسى من ذلك شيئاً؟ قالوا: لا قال: فان ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء، وربنا لا يأكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا: بلى، قال: أستم تعلمون أن عيسى حبلته امه كما تحبل المرأة ثم وضعت كماً تضع المرأة ولدها، ثم غذى كماً يغذى الصبي، ثم كان يطعم ويشرب ويحسث؟ قالوا: بلى، قال: فكيف يكون هذا كما زعمتم؟ فسكتوا، فانزل الله عز وجل فيهم صدسورة ال عمران الى بضعة وثمانين آية منها (!)

كتاب اسباب النزول للواحدى ص ٥٣ ط ٢ مصطفى البايى الحلبي ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م مصطفى . بمصر .

وقد روى البخارى حديث وفد نجران عن صلة بن زفر عن حذيفة قال : جاء العاقب والسيد صاحب نجران السى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدان ان يلاعنا ( اى للمباهلة ) فقال : ااحدهما لصاحبه لا تفعل فوالله لئن كان نبيا فلاعنا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا . قال : اانا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلا أمينا ولا تبعث معنا إلا أمينا فقال : لأبعثن معكم رجلا أمينا حق أمين فاستشرف له اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قم يا ابا عبيدة بن الجراح فلما قام قال : رسول الله صلّم الله عليه وسلم هذا أمين هذه الامة . صحیح الامام البخارى كتاب المغازى ١٢٠/٥ ، المكتب الاسلامي

استانبول تركيا ط ١٩٢٩ .

وراجع في قصة الملاعة : امتاع الاسطع لتقي الدين المقرئى

١ / ٥٠٢ ت : محمود محمد شاكر ، الشؤون الدينية بدولة قطر ط ٢

وقد توسع الدكتور سيد أحمد السير في كتابه إلزام القرآن للماديين والطلين في هذا الصدر انظر ص ١٠٤ منه وما بعدها ط ١٣٩٩هـ دار الطباعة المحمدية ، مصر .

وراجع : تفسير ابن كثير في الملاعة ( ١ : ٣٦٧ / وفتح القدير ١ / ٣٤٦

العوامل المؤثرة في انحراف العقائد النصرانية

=====

هذه هي عقيدة التثليث التي يستند اليها المسيحيون فسي بناه اصولهم ، والتي تفرع عنها كثير من العقائد الاخرى كعقيدة الصلب والغدا والخلول والاتحاد ، وغيرها .

وهي العقائد التي تبني الرهبانية عليها اسمها وتقيم عليها صرحها . وقبل الولوج الى هذه الاسس لا بد من التعرف على التطورات التي مرت بها العقيدة المسيحية والعوامل التي أثرت في انحرافها ، ففي ذلك إيضاح وبيان لمسار التاريخ الديني المسيحي وما أنطوى عليه من تقلبات ، وما أدخل عليه من تعديلات كانت كقيلة بانحرافه عن الصراط السوي .

فالناظر في التاريخ الديني للكنيسة لن يستغرب مطلقا تلك الكيفية التي توصل المسيحيون اليها لإقرار عقيدة التثليث . والدخول في تفاصيل هذا التاريخ ليس بالأمر الهين ، ولهذا فان ما يهم البحث منه هو تلك المراحل التي أدت الى تطور المفاهيم والأسس العقديّة . وللوصول الى هذه النقطة يجب التعرف على النقاط التالية :

اولا :

العوامل الداخلية التي أسهمت في اختلاف آراء المسيحيين حول طبيعة السيد المسيح ورسالته .

ثانيا :

العوامل الخارجية التي كان لها الأثر الأكبر في انحراف العقيدة عن سارها الصحيح .

ثالثا :

الجهة المستفيدة من هذا التطور ، ونوعية هذه الافادة .

وهذا ما سيتم توضيحه في الصفحات القادمة بإذن الله تعالى :

أولاً : العواطف الداخلية التي أسهمت في اختلاف آراء  
المسيحيين حول طبيعة المسيح ورسالته :

لا شك ان شخصية عيسى عليه السلام كانت مثار جدل ونقاش طويلين  
ابان الحقبة المسيحية الاولى ، و ذلك قبل الرفع وحقبه .

فقبل رفعه عليه السلام بدأ الجدل يرتفع اثر مولده من فخراب ، وفي ذلك  
يقول الحق تبارك وتعالى ( إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَهُ الْقَاهِطَا  
إِلَى مَرْيَمَ ) ( ! ) وقوله ( إِنَّ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ  
فَيَكُونُ ) ( ١ ) لقد أرسله الله تعالى الى بني اسرائيل لتقوم اعوجاجهم وتعديل انحرافهم  
عن جادة الحق وهدايتهم الى سبيل الرشاد ، فقوبل بالرفض والتشهير والتشنيع كما  
اظهر القوم حقدا دفيناً في نفوسهم وتعجراً في قلوبهم وقسوة في طباعهم وميلاً الى  
البهوى وحبا للشبهوات . وقد فضح الحق تبارك وتعالى تلك النزعة حيث قال ( وَلَقَدْ  
آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ  
الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِحْتُمْ وَفَرِحْتُمْ وَتَقْتُونَ ) ( ٣ )

وقد أعقب هذا الرفض تأييد من الله تعالى لرسوله بالمعجزات قال تعالى :

( إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَطَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ  
بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ طَسَّكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ  
وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَفْخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَهْرَى الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ  
بِإِذْنِي وَإِذْ تَخْرُجُ السَّوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ  
فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ) ( ٤ )

وقد جاءت هذه المعجزات تدعياً لموقف الرسالة وانذاراً للمعاندين وازاءه

ذلك فقد قبيلت بالذهول بعد أن بهرت العيون ، فمنهم من آمن به وصدق به وانتسب  
الى حواريه . قال تعالى :

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ  
مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ، قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّا تَطَافُةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
وَكَفَرَتْ طَافِةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ) .

٥ - الصف : ١٤

٣ - البقرة : ٨٧

١ - النساء : ١٧١

٤ - الطائفة : ١١٠

٢ - آل عمران : ٥٩

ومن كفر منهم فقد كان رافضا للدعوة ، ومن . . . نهل فقد آمن بالمخلوق ونسي الخالق ، وألحق هذه المعجزات بمن جرت على يديه فخدعه بصره وخذله عقله فسقط في مغالب العقائد الوثنية وجرفه التيار ، وما كان شائعا في تلك الاوساط من أساطير وخرافات أساسها الخيال والوهم وما انتجت قرايح الكهنة .  
ومنذ ذلك الوقت بدأت الاختلافات حول طبيعة المسيح عليه السلام فأخذت نظرية التقديس تسرى بين المخدوعين فادعوا أنه هو الاله وادعى آخرون أنه ابن الله تعالى عما يقولون علوا كبيرا . . .

وقد رد الله مقالة الذين أشركوا ، حيث يقول سبحانه ( لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) (١)

وقال تعالى ( وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ وَذَلِكَ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ) (٢)

فبين الحق تعالى أن هذه العقولة مأخوذة عما سبقهم مضاهاة ومحاكاة للشرك القديم .

وعند ما تفاقم حقد اليهود عليه قاموا بتضييق الخناق ووضع العراقيل في طريق الدعوة وحبسوا مؤامرات لقتله إلا أن الله تبارك وتعالى نجاه من كيدهم برفعه، وفوت عليهم فرصة تنفيذ ما ربههم الدنيئة قال تعالى ( إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قُمْ وَرَافِعَكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرَكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ) (٣)

كانت دعواته عليه السلام واضحة غاية الوضوح ليس فيها شرك الوثنيين ولا تعقيدات الفلاسفة وخيالهم ولا أوهام الكهنة وترهاتهم ، كانت تدعو الى التوحيد الخالص ( ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وُدِّ سَبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاسْتَقِيمُوا فَتَنْتَفِعُوا مِنَ الْآزَابِ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ إِذَا كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ) (٤)

١ - الطائفة : ١٧

٢ - التوبة : ٣٠

٣ - ال عمران : ٥٥

٤ - مريم : ٣٤ - ٣٧



هذا التنزيه عن اتخاذ الولد او الشريك وذلك التوحيد كانا لب دعوات الرسل عليهم السلام ، فكانت دعوتهم حلقة ضمن هذه السلسلة المباركة قال تعالى ( قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْإِسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ) (١)

وجاءت مسألة الرفع لتزيد من حيرة عقول الغافلين المفتونين باليدع ففسرت الأحداث وفق ما أطلته عليها الالهواء والنزعات وما أشربت من عقائد وثنية . لقد جاءت عطية الرفع ردا على كيد اليهود لأنهم عزموا على تسليمه للحاكم الروماني وقد هيثوا النفوس وأغروا القوم بتنفيذ العقاب فيه ، ولما نجاه الله تعالى من أيديهم وألقى الشبه على "غير المسيح" لم يتحقق المفتونون من شخصية المصلوب وقد فند الله تعالى مزاعم القائلين بصلبه قال تعالى ( وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَأَنَّ الَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِيَ شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ) (٢)

هوؤلاء الذين اختلفوا في طبيعته أصبحت الشكوك تنهب افكارهم ان ما لبثوا ان وقعوا في شرك لم ينجوا منه لانهم القوا بأنفسهم في أحضان الشيطان فزعموا أن المسيح صلب وقد تحمل اليهود هذه الغرابة عبر التاريخ مع أن صلب المسيح لم يتم ولم يقع إطلاقا وقد بان حقد هم الدفين على أنبياء الله حينما اصبروا على تحمل هذا الإثم هم وأولادهم من بعدهم ، تقول أناجيل النصارى ( قال لهم بيلاطس فإنا أفعال يسوع الذي يدعى المسيح ؟ قال له الجميع : ليصلب ، فقال الوالي : وأي شر عمل ؟ فكانوا يزدادون صراخا قائلين : ليصلب ، فلما رأى بيلاطس انه لا ينفع شيئا بل بالحري يحدث شغب ، أخذ ما ، وغسل يديه قدام الجميع قائلا : إنني بريء من دم هذا البار ، ابصروا أنتم . فأجاب جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا ) (٣)

١ - البقرة : ١٣٦

٢ - النساء : ١٥٧-١٥٨

٣ - انجيل متى ٢٧ : ٢٢-٢٥

ومع ان نصوص الأناجيل تدعي هسولاء اليهود وتظهر سوء وليتهم عبر التاريخ إلا أن المصفوط اليهودية على الكنيسة في العصر الحديث قد أسفرت عن تبرئة اليهود من هذه الجريمة : راجع كتاب التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص ٢٦٥ د . مصطفى خالدى وعمر فروخ حول وثيقة الغاتيان بتبرئة اليهود من دم المسيح .

ومن ذلك الحين أخذت الغرية تكبر حين زعم المختفون انه دفن وقام من قبره في اليوم الثالث ) . ( ١ )

هذا ما كان من أمر القوم قبل الرفع وما أعقبه مباشرة أما التطورات

التي طرأت على عقيدة التثييث فستظهر من خلال الفترة التي ظهرت فيها الاصطلاحات الجديدة وأدخلت في المبادئ النصرانية .

وقد مر في السابق الحديث عن الحالة الدينية في العصور اليونانية والرومانية وما شهدت المنطقة من عقائد وثنية مختلفة . ( ٢ )

كما تم استعراض واقع المجتمع الديني اليهودي قبل بعث عيسى عليه السلام ، والانحراف العقدي لديهم والانشقاقات في الفرق والمذاهب اليهودية .

وتبين ان رسالة عيسى عليه السلام كانت ضرورية لمعالجة الفوضى الدينية التي كانت سائدة آنذاك والتي استشرى لسببها الى حد بعيد .

ولا تظن ان هذه الصورة لا بد من استعراض المراحل الأولى التي سبقت القول بالتثييث ، ان أن هذه العقيدة لم تكن لتظهر على أرض الواقع لولا المقدسات والليتات التي وضع بذورها آباء الفلسفة اليونانية الاوائل .

- تذهب بعض المراجع الى أن القول " باللوغوس " هو المصدر الاساسي للاعتقاد بسيد التثييث وقد ابتدع المصريون القدماء هذه الفكرة أول الأمر " قال بوتويك ( وأغرب عقيدة عم انتشارها في ديانة المصريين الوثنيين القدماء هي قولهم بلاهوت الكلمة وان كل شيء صار بواسطتها وانها منبثقة من الله وانها الله ) ( ٣ ) .

ثم انتقلت هذه البدعة الى اليونان عقب التقائهم بالحضارة المصرية فقال بها أولاً: هيروقليط ثم أخذها الرواقيون ( ٤ ) ، ( كما ) استعان الرواقيون بكلمة هيراقليط وهي ( لوغوس ) ومعناها اللفظي؛ كلمة والمعنوي : العقل المنتشر في الكون ( ٥ )

١ - راجع في ذلك من : ٢٧ : ٢٢ - ٧٠ واعطال الرسل ١ : ٤

٢ - ( انظر ص ( ٢٢٥ ) من هذا البحث

٣ - : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد طاهر التتير ص ٢٧ ط ١٣٣٠ بيروت

٤ - فيلسوف يوناني ولد في افسوس بآسيا الصغرى نبع حوالي سنة ٥٠٠ ق.م. ويلقب بالفيلسوف الباكي لانه كان يبكيه ما يراه من شقاء الناس على العكس من ديمقريطس ويرى النار أساس عنصر الموجودات ) انظر : مبادئ الفلسفة أ. س. رابهورت ص ٢٢٧

٥ - الرواقيون ( او اصحاب الرواق : احدى الفلسفات التي شاعت في الفترة الهلينيستية - الرومانية ، اسسها زينون الكيتوى في نهاية القرن الرابع ق م ، وتستمد اسمها من السرواق وهو بهون و اعمده ، حيث كان يعلم في أثينا ) انظر هاشم ص ٢٩ من كتاب الوجود الالهي لسانتانا .

٦ - مأسدة افلاطون ، محمد لطفي جمعة ص ١١٨ مكتبة التاليف شارع عبد العزيز بمصر

ولهذا فقد رأى بعض المسيحيين ان ط قاله ( هو اقرب ط يكون السي عقيدة الكلمة او المسيح ، فيقولون : ان هيروقليط كان مسيحيا قبل المسيح ) (١) ثم تلفظ هذه العقول ( بلاتو وارسطو<sup>(٢)</sup> وافلاطون الذي اطلق عليه لقب "أبي البدع" في الوقت الذي قال فيه بعضهم انه خير مهبط للمسيحية )<sup>(٣)</sup> إذ قال :

( ان الله ازلي ابدى . . . . وهو منزه عن الحركة تنزيها مطلقا . . . . وكان معه فسي الازل كائن يدعى الديمورج هو صورة الخير او الله والنموذج الحي لذاته والحاوي لجميع الشئ ) (٤)

كانت هذه المقولات مقدمة ضرورية لبعض فلاسفة اليهود كفيلون الذي استخدم أدوات الفلسفة لتأويل نصوص العهد القديم لما احتوته من تناقضات لا تتفق مع القوانين والنظريات العلمية فضلا عن الخرافات والاساطير وقد انتقل التأويل الرمزي الى اليهودية على يد فيلون اليهودي الذي مزج فلسفته بعقائد عصره وبكل منبت ولاسيما منبت الاغريقية الاسكندرانية<sup>(٥)</sup> . وهو يعتبر من أكبر ممثلي النزعة الى التأويل في العصر القديم وان كان قد سبقه في اليهودية كثيرون أولوا الكتب المقدسة في العهد القديم تأويلا رمزيا وهو نفسه يشير اليها وهو "اليهود السابقون قد فسروا ( ابراهيم - ابراهيم ) بأنه النور ( العقل ) وزوجته سارة بأنها الفضيلة . . . . والنصح بانه اما تطهير الروح أو خلق العالم . . . . لكن فيلون ذرف طيهم بأن جعل من التأويل مذاهبا قائما برأسه وضججا في الفهم .

وقد دفعه الى اتخاذ هذا المذهب الحطة التي قام بها المفكرون اليونانيون على ط في التوراه ( العهد القديم ) من قصص وأساطير ساذجة أو غير معقولة مثل ( برج بابل ، والحية التي اغرت حواء في الجنة . . . . . ) فاضطر فيلون الى الدفاع عن التوراه بتأويل هذه المواضيع الاسطورية وغير المعقولة الواردة في التوراه تأويلا بالباطن وراى ان التأويل بالباطن هو روح النص المقدس وان التفسير بالمعنى الحرفي هو مجرد جسم هذا النص المقدس . . . . ( وانه ) سيؤدي الى الكفر والاحالة ) (٦)

ومن فيلون انتقلت طريقة التأويل الرمزي الى المسيحية . . . . فقد

أضاف فيلون الى فلسفة أفلاطون الكثير من المفاهيم الخاصة عند ط جعل

- 
- ١ - تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ص ١٩
  - ٢ - راجع في هذا الصدد : العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٢٧
  - ٣ - تاريخ الفلسفة اليونانية ٢٥٨
  - ٤ - المسيح في القرآن والتوراه والانجيل عبد الكريم الخطيب ص ٣٢٠
  - ٥ - حياة المسيح ، للعقاد ، ٢٧٥/١١
  - ٦ - مذاهب الاسلاميين ، د . عبد الرحمن بدوي ، ١١/٢ - ١٣ ، دار العلم للملايين ط ١٩٧٣ ، بيروت .

( المخلوقات التي هي أدنى من الإنسان مصنوعات لله لأنها ليست بذات  
أخلاق ، والشعر هو الشر الخلقى ، ومن الوجهة الروحية طيبة الله مباشرة وغير مباشرة  
بين الانسان العاجز والله العلي لا يد من وسطا\* ، فان النفس لا تستطيع الوصول  
الى الله دفعة واحدة ، فتتدرج في صعودها إليه ، دعا فلا سفة اليونان هو\*لا\*  
الوسطا\* الهبة وأبظالا ودعاهم موسى ملائكة اي رسلا فكان أكثر توفيقا ان انهم  
يبلغون اوامر الله الى ابنائه ( حسب زعمهم ) ويحطون صلوات الانبياء الى الله )<sup>(١)</sup>  
وهنا نلاحظ كيف بدأ فيلون يحور مبادئ الفلسفة ليخدم النص التوراتي

ولم يكتف بذلك بل تعدى الامر الى تصنيف هو\*لا\* الوسطا\* الى طبقات :

الوسط الاول : هو " اللوغوس " او الكلمة او ابن الله نموذج العالم

وبليه الحكمة ، فرجل الله ، أو آدم الاول ، فاللائكة ، فنفس الله وأخيرا " القوات "  
وهي كثيرة من : ملائكة وجن نارية أو هوائية تنفذ الأوامر الالهية على ان هناك نصوصا تشعر  
بسان الوسطا\* مالم الا وجهات مختلفة للعلية الالهية وانما يتمايزون في الذهن

فقط وهمزون الى آثار الله أو حالات النفس )<sup>(٢)</sup>  
ثم يقدم فيلون للمسيحيين مادة أخرى لاستعمالها في ترويج عقائدهم

فهو يرى ( أن غاية النفس . . . الوصول الى الله والاتحاد به ومعرفتنا لله اربع درجات :  
معرفة ناقصة جدا تكتسب بالنظر في مصنوعات الله وعند هذه الدرجة يقف الأكثرون .  
ومعرفة ترقى سلم الوسطا\* ، وثالثة تدرك اللوغوس الوسيط الأعظم ورابعة تدرك الله  
ذاته وهي خاصة بأهل الكمال مثل موسى وانما تسرع النفس في صعود سلم الوسطا\*  
حالما تتطهر بالزهد وعلى الأخص بالعبادة الباطنية ويبدأ التطهير والصعود حين  
يعلم الانسان بطلان المحسوسات وزوالها )<sup>(٣)</sup>

وهو يرى العقائد أن فيلون ( قد أخذ تفسير الرموز الدينية من العبادات

السرية كعبادة ايزيس وعبادة "أوزوريس سراپيس" التي تأسست بالاسكندرية وتفرعت فسي  
اثينا وبومبي ورومة وبعض الموانى الاسيوية ثم طبق هذا التفسير على رموز التوراة )<sup>(٤)</sup>

وبهذا تكون العناصر المبدئية المكونة للفلسفة المسيحية آخذة فسي

الظهور لتبدأ مرحلة أخرى هي مرحلة التلقي عمن فيلون ومن ثم مرحلة الالتزام بما  
قاله وتطوير آرائه وفلسفته .

ان كان لفيلون ( أثر قوى في القرون الاولى للجيلاد فقد استخدم نعر

من المفكرين المسيحيين كتبه للوقوف على الفلسفة اليونانية وحاكى بعضهم منهجه في  
شرح الكتب المقدسة وظنه بعض مؤرخيهم مسيحيا وفي العصر الوسيط دخلت قطع عديدة منه

المنتخبات التي كانت شائعة )<sup>(٥)</sup>

- ١ - مذاهب الاسلاميين ١١/٢-١٣
- ٢ - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٥٠
- ٣ - المرجع السابق ص ٢٥١-٢٥٢
- ٤ - حياة المسيح للعقاد ص ٢٧٥/٥١١ - ٥ - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٥١

ثم تمثلت مرحلة التلقي عن فيلون بظهور اخطر شخصية في تاريخ المسيحية  
الديني ، هذه الشخصية أسهمت في تأسيس مدرسة كاملة نقلت آراء الفلاسفة اليونانيين  
ودمجتها في التعاليم الوثنية القديمة فجاها مزيجا غريبا ينسطوى على آراء تاليفية  
جمعت أشناتا متناقضة وآراء متباينة .

لقد حظي بهذه الشخصية " بولس اليهودي " الذي انتسب زورا الى  
حواريي المسيح ، وهو أول من قام بأخذ التأويل الرمزي عن فيلون وأضاف اليه البسوع  
الوثنية التي عاش في كنفها وارتوى من معينها ، وبذلك أرسى بولس قواعد المسيحية  
الجديدة على مبادئ مخالفة تماما لما جاءه تبه رسالة عيسى عليه السلام .

لقد اعتبر كثير من العلماء " بولس " المؤسس الحقيقي للمسيحية  
المتعارف عليها حتى يومنا الحاضر .

ولن يتعرض البحث لحياتة بولس التفصيلية ولا للاحداث التي كتسب  
عنها الكثير فهذا شأن المؤرخين ، الا أن ما يهم البحث هنا هو التعرف  
على أخطر البدع التي أحدثها بولس والتي هيبت الكثير من معالم الرسالة الاصلية .  
ولا شك أن عوامل كثيرة قد أسهمت في بناء شخصية بولس ، وتكوين  
آرائه ، التي أضفت الى ثقافته اليهودية سادة خصبة ساعدت على استعمال الادوات  
اللازمة لنشر مبادئه .

لقد كان المناخ المحيط بالسيد المسيح عليه السلام خاليا من مصطلحات  
عقيدة التثليث وكان تلاميذه يستهجنون كل ما يسمى " الى عقيدتهم وكانت شريعة  
موسى عليه السلام هي السائدة في تلك الاوساط وقد جاء المسيح لتعديل ما حرف  
منها وتقويم ما زيف على يد بني اسرائيل .

والأنجيل الموجودة بين أيدي النصارى تصرح بأن المسيح عليه  
السلام كان يقول ( لا تظنوا أنني جئت لانقض التاموس أو الانبياء ) ما جئت لانقض بل  
لأكمل ( ٢ ) .

ومن ذلك يفهم أن الذين أقروا من بني اسرائيل بدعوة عيسى كانوا يؤمنون  
بان رسالته كانت خاصة بهم وأن غيرهم من الأمم غير معنيين بها وقد وردت في

---

١ - راجع في هذا الصدد : كتاب الأنجيل والصليب ، عبد الاحد داود ص ١٦٠ طبع  
في مصر ، سنة ١٣٥١ وكذلك معالم تاريخ الانسانية ٢٠٥/٣ وكتاب الاوائل لمبايكل  
هارث .

الأناجيل نصوص تفضي الى هذا المفهوم ومن ذلك قولهم ( فأجاب ( يسوع ) وقال :  
لم أرسل إلا الى خراف بيت إسرائيل الضالة ) ( ١ ) .

لهذا فان أي إنحراف عن هذا الخط يكفي للدلالة على أن يسوع  
لعبت بالنصوص وأولتها وفق أهوائها .

لقد تكفل بولس بلعب تلك الورقة إذ أنه متهم بتحريف الشريعة لتأريه  
اليهودية القاضية بإزالة كل أثر لسد عوة عيسى عليه السلام . ( ٢ )

الى جانب ذلك هناك الأثر الكبير الذي أحدثته الفلسفة الهيلينية  
في شخصيته والتي استغلها غاية استغلال في بث مبادئه .

ان تطور مفاهيم بولس الدينية تشكلت بعد الأثر الذي أحدثته تلك  
الطوائف اليهودية التي نشأت في المهجر ابان تلك العهود وعن ذلك يقول جنبيير :  
ولم يكن يهود المهجر قد احتفظوا بالصورة الاصلية الكاملة لعادات وروح اخوتهم  
في الدين من أهل فلسطين فقد لانت تلك العادات وتلك التقاليد ولان معها تعصبهم  
وعداوتهم للاجنبي في ربوع هذه البلاد التي لم تكن لترضى بهم لولا ذلك وأقاموا  
مواصلات يومية مستمرة بمجتمعات " الكفرة " وتأثروا في قوة وعق بتيارات الثقافة اليونانية  
التي انغمسوا فيها شيئا فشيئا فانما تركنا جانبا عقيدتهم الدينية وفروض طقوسهم  
الأساسية وجدنا أن هؤلاء اليهود بعد جيلين أو ثلاثة من الهجرة لا يفرقون نسي  
لفتهم ومظهرهم وثقافتهم العامة عن الأغريق الذين يماثلونهم في الظروف الاجتماعية  
وأظهر الذين ارتقوا منهم الى أعلى مراتب التعليم إعجابا عميقا بأدب اليونان  
وفلسفتهم وامتزج فكرهم بهذا الأدب وهذه الفلسفة الى حد الشعور بأنه لم يعد في  
استطاعتهم التخلي عنها لارضاء الشريعة الموسوية ) ( ٣ ) .

ولم يكن يهود المهجر بالتطور الاجتماعي وفق البيئة اليونانية بل  
( راحوا يخلطون باليهودية بعضا من افكار ومعتقدات المشركين الوثنيين المحيطين  
بهم في نفس الوقت الذي كانت فيه طوائف من المشركين الوثنيين تعتنق الكثير من  
المعتقدات اليهودية الأساسية لتمزجها بأديانها المختلفة ) ( ٤ ) .

في هذا الجو المتقلب وفي وسط هذه البيئة عاش بولس بين هذه  
العقائد ، ان ( كان في طرسوس " سقط راسه ) كما كان في معظم المدن اليونانية  
آنذاك أتباع للأورفية وغيرها من العقائد الخفية ، يعتقدون أن الله الذي يعبدونه  
قد مات من أجلهم ثم قام من قبره وأنه إذا دعى بايمان حق وصحب الدعاة الطقوس

١- متى ١٥ : ٢٤ ٢- راجع المسيحية د . شليبي ص ٨٥ ، واقانيم النصارى ص ١٣٦

٣ - المسيحية ، جنبيير . ص ٥٨ ٤ - المرجع السابق ص ٦١

الصحيحة استجاب وأنجاهم من الجحيم وأشركهم معه في موهبة الحياة الخالدة المباركة وهذه الأديان الغامضة الخفية هي التي أعدت اليونان لاستقبال بولس وأعدت بولس لدعوة اليونان .

وكان الجو اليوناني الذي يحيط به في طرسوس يتحدث عن منقذ ينتشل البشرية ، كما كانت علوم بني جنسه من اليهود يتحدث عن ( حياة مسيح ) منتظر ، ولم لا يكون يسوع صاحب الشخصية المعجبية الغامضة الغتانة الذي لا يتردد الناس في استقبال الموت من أجله ، هو ذلك المسيح المنتظر ؟ فلما أحس في آخر سفره وهو لا يزال ضعيفا وأعمى بيدى يهودى مهتد "رحميتين" تلسان وجهه وتسكناه "فللوقت وقع من عينيه شيء" كأنه قشور فأبصر في الحال وقام واعتمد وتناول طعاما فتقوى ( وبعد بضعة أيام من ذلك الوقت دخل مجامع دمشق وقال للمجتمعين فيها ان عيسى ابن الله ) ( ١ )

هذه المقولة الخطيرة التي أحدثت ضجة كبيرة في الأوساط المسيحية الأولى لم تكن لتصدر إلا عن شخصية ذات ثقافة معينة ، فيولس أتم تعليمه ( على أساندة من اليهود بيد أنه كان متبحرا بلاهوتيات الإسكندرية الهيلينية وكانت لغته إغريقية . . . . . ويقرر بعض طلبة الأدب الكلاسيكي القديم أن لغته الإغريقية كانت غير مرضية فهو لم يستخدم لغة أثينا بل إغريقية الإسكندرية : بيد أنه استخدمها بقوة وطلاقة . . . . . وهو متأثر بطرائق التعبير الفلسفي للمدارس الهيلينية وبأساليب الرواقيين (stoaicism) ( ٢ )

إضافة الى تأثيره بلاهوت الاسكندرية المزوج بالفلسفة كان هناك تأثير من نوع آخر . " فمن الراجح ( أنه تأثر بالمثرائية إن هو يستعمل عبارات عجيبة الشبه بالعبارات المثرائية ، ويتضح لكل من يقرأ ( رسائله ) المتنوعة جنبا الى جنب مع الأناجيل أن ذهنه كان مشبعا بفكرة لا تبتدئ قط بارزة قوية فيم نقل عن يسوع من أقوال وتعليم ألا وهي فكرة الشخص الضحية الذي يقدم قربانا لله كفارة عن الخطيئة ، فما يشر به يسوع كان ميلادا جديدا للروح الانسانية ، اما ما علمه بولس فهو الديانة القديمة ديانة الكاهن والمذبح وسفك الدماء طلبا لاسترضاء الآلهة

١ - قصة الحضارة ٣ / ٣ : ٢٤٩-٢٥٣

٢ - معالم تاريخ الانسانية ٣ / ٧٠٥-٧٠٦

وانظر : رسائل اعطال الرسل في المعهد الجديد واثرها في انحراف المسيحية ص ٣٢٦

كان يسوع في نظره حمل عهد الفصح ، تلك الضحية البشرية المأثورة المبرأة من كل عيب  
ودنس . ( ١ )

الا ان الامر المثير حقا هو تحول بولس من اليهودية فجأة <sup>(٢)</sup> الى  
السيحية التي طالبا حاربها ، وهذا ما دعا العطاء الى التشكيك في نوايا بولس  
الاساسية .

اذ يرى البعض انه كان يمثل جزءا من مؤامرة اليهود الذين اجتهدوا  
في ضياع دعوة عيسى عليه السلام ، وسعتهم قوتهم اما بالسلاح واما بالفكر .  
ولما كانوا ( ط جزين ) ضياع الدعوة بالسلاح ضياعا كليا لوقوعهم تحت  
سيطرة الرومان لجسأوا الى سلاح الفكر يلبسون به الحق بالباطل ويحرفون به  
الكلم عن بعض مواضعه وعن مواضعه ( ٣ ) .

والمعجب ان الفاتيكان يعترف الى حد بعيد بموقف بولس من المسيحية وعدم  
حرصه عليها ، فقد جاء في كتاب نشره الفاتيكان سنة ١٩٦٨ بعنوان " المسيحية عقيدة  
وهي " ما يلي ( كان القديس بولس منذ بدء المسيحية ينصح لحد يثي الايمان ان يحتفظوا  
بما كانوا عليه من احوال قبل ايمانهم بيسوع ) ( ٤ ) .

هذه النوايا التي يظهرها بولس تؤكدها نصوص افعال الرسل التي توضح تلمون  
هذه الشخصية وغرابة تكوينها ، فهو يقول مثلا عن نفسه ( انا رجل يهودي ولدت نسي  
طرسوس كيليكية ولكن ربيت في هذه المدينة مؤمنا عند رجلي غلاثليل على تحقيق  
الناموس الابوي وكنت فورا لله كما انتم جميعا ) ( ٥ ) .

ويقول في رسالة أخرى ( فصرت لليهود كيهودي لا ربح اليهود وللذين تحت  
الناموس كاني تحت الناموس لا ربح الذين تحت الناموس وللذين بلا ناموس كاني بلا ناموس  
مع اني بلا ناموس لله بل تحت ناموس المسيح لا ربح الذين بلا ناموس ) ( ٦ ) .

ومن هنا يظهر بولس سوء طويته وعدم استقراره على مبدأ واضح فهو يتحسث  
بالسنة مختلفة وقبل في دعوته اي شخص يهبط حمل من عقائد ، وهذا بدوره يؤثر  
تأثيرا خطيرا على لب الدعوة لم يسببه من خلط في الاراء والمعتقدات .

---

١ - معالم تاريخ الانسانية ٧٠٦/٣  
٢ - راجع في ذلك : الذات الالهية بين الاسلام والنصرانية ، عهد الشكور محمد امان  
رسالة ط جستير من ١٩٢ مكة المكرمة - ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .

٣ - اقايم النصارى ص ٨٥  
٤ - المسيحية . د . شلبي ص ١٢٤ - ١٢٥  
٥ - افعال الرسل ٣: ٢٢  
٦ - ١ كورنثوس ٩ : ٢٠ - ٢١



ولهذا فقد واجه بولس عددا من المشاكل التي أثارها بسبب اعتراض وريبسة التلاميذ منه خاصة حينما سمعوا أنه كان يقبل في الدعوة من الأمم دون ختان الداخلين الجدد الأمر الذي أدى إلى تحريض الجميع ضده ، إلا أنه بأسلوبه المرن استطاع التفاوض مع المعارضة ( واتفق الجميع آخر الأمر على ألا يطلب ممن المهتدين الوثنيين أكثر من أن يقلعوا عن الزنى وعن أكل المخنوقة والدم وما ذبح على النصب ويبد وأن بولس يسر الأمر بأن وعد العشيرة المسيحية المعدمة في دمشق بشي " من المال المطرد الزيادة في كنيسة انطاكيا ) ( ١ )

وهكذا نجد بولس يستعمل المال لاستغلال الفرص السانحة ، فقد وجد مجتمع التلاميذ مجتمعا فقيرا بينما ( كانت كنائس يولس تضم أحيانا بين أتباعها ثروة القوم وكرامهم وكان الحوارى خصبيرا بأساليب حثهم على مساعدة الكنيسة الأم ) ( ٢ )

إلا أن إصرار الجماعة على تطبيق الشريعة كاملة أدى إلى انفصال بولس ( فكتب إلى أهل غلاطية رسالة تفيض بالغضب انفصل بها نهائيا عن المسيحيين المتهودين وأعلن فيها أن الناس لا ينجون لاستساكهم بشريعة موسى بل بايمانهم القوي العمال بالسيح المنقذ ابن الله ) ( ٣ )

وبانفصاله عن الجماعة الأم أخذ ينشر ما يؤمن به من عقائد يهود المهجر المتطونه ، وقد وضع آراءه ووط يدين به في رسائل .

وعرض على غير اليهود انجيله من أهل كورنثه ودخل كثيرون منهم فسي دينهم ( ولسعل المسيحية قد بدت لهم انها صورة أخرى من الأديان الخفية التي طالما حدثت عن المنقذين الذين يبعثون بعد موتهم ، ولعلمهم حين قبلوها قد مزجوها بتلك العقائد القديمة وأثروا في بولس فجعلوه يفسر المسيحية تفسيراً يألفه العقل الهيلينستي ) ( ٤ )

وهكذا أصبحت مصطلحات بولس تأخذ طريقها إلى الأتباع الجدد :

ك " مصطلح " ابن الله الاول ، ويكر الخلاق ، وقد انتشرت سريعا لوجود الارض الخصبة لذلك ، وهكذا افتح بولس للمسيحية الباب الى القول بالتثليث وأصبحت كلمات التي ضمتها رسائله كتابا مقدسا له وللانجيل من حرمة واحترام فتناولها الشراح والدارسون من علماء الكنيسة ورجال اللاهوت بكل ما يملكون من طاقات البحث والنظر وخرجوها على كل وجه ممكن أو غير ممكن فكانت منها تلك الفلسفة اللاهوتية التي شغلت العقل المسيحي ولا تزال تشغله بل وتقلقه وتزعجه ( ٥ )

١ - قصة الحضارة ٣/٣ : ٢٥٤-٢٥٥ ٢ - المسيحية ، جنيبير ص ١٠٤

٣ - قصة الحضارة ٣/٣ : ٣٥٩ ٤ - المرجع السابق ٣/٣ : ٢٥٨

٥ - المسيح في القرآن والتوراه والانجيل ، عبد الكريم الخطيب ص ٣١٣

ثانيا : العوامل الخارجية التي كان لها الأثر الأكبر في انحراف العقيدة عن سارها الصحيح .

التأثيرات التي أحدثها بعض أعلام اليهود في المسيحية شكلت اختراقا خطيرا لللب هذه العقيدة ، وقد حطت العالم المسيحي أوزارا ما كان ينبغي أن يتحطمها لولا وجود اللين والضعف من التلاميذ الذين أعقبوا حواربي المسيح فقد رضوا بالذوبان في الموجات القادمة من الخارج ولم يستطيعوا الوقوف في وجهه التيارات الوثنية والفلسفات الشرقية والغربية التي هبت عليهم من كل حدب وصوب .

لقد وجدوا أنفسهم وسط لحج من الظلام لم يستطع العالم المسيحي حتى اليوم الخروج منها ، من هذه التيارات ما كان قادم من مصر الفرعونية ، ومن بلاد فارس ، والهند إضافة إلى ما فرضه الغرب من فلسفة مفرقة في الخيال .

وباستعراض أهم العقائد التي تسربت إلى المسيحية يمكن ملاحظة الأثر الكبير الذي أحدثته البدع والضلالات المختلفة في العقيدة المسيحية .

#### - اثر الديانة المصرية القديمة :

رغم توغل هذه الديانة إلى قلب التاريخ السحيق ، ورغم تعاقب الأمم القديمة التي تربعت على عرش مصر إلا أنها وجدت طريقها عبر هذه الشعوب الخافية حتى وصلت إلى لب العقيدة المسيحية ، فقد استطاعت أسطورة إيزيس وأوزوريس وحوروس التأثير على العقلية المسيحية التي وجدت في شخصية حوروس ( الذي كان ابنا لسرابيس وهو وفي نفس الوقت شبيها ، مرشدا ، لهم فيما يبذلونه من جهود عنيفة لتفهم ما خلفه لهم القديس بولس من خفايا وقد كان الانتقال من هذا إلى المطابقة بين شخصية مريم وإيزيس ثم سموها بها مرتبة شبه قدسية وكان طبيعيا كذلك للمسيحية أن تقتبس وهي لا تكاد تعي الطرائق العظيمة للديانات الشائعة في ذلك الزمان فاتخذت قساوستها طريقة الروموس الحليقة والزي الخاص بالكهنة المصريين لان ذلك يبدو والطريقة المنطوق لتحييز القسس ، وتتابع البدع واحدة في اثر الأخرى وكانت نتيجة ذلك أن دفنت التعاليم " الثورية " الأصلية بطريقة تكاد تكون غير محسوسة تعبت تلك الإضافات المألوفة (١)

والقصد من القول " بالشورية " هو ذلك الرفض الذي أبدته رسالة عيسى عليه السلام لكل انحراف أدخله اليهود على الديانة الصحيحة .

لقد كان للمعابد المصرية أثر أيضا في بقية الطقوس والتقاليد الكهنوتية ( فثياب الطقوس والرمز والصفة الاصطلاحية التي اتخذتها المسيحية والتي لم يرحت ترتديها الى يومنا هذا في كثير من الاقطار قد نسجت ولا مسراة في عقائد ومعابد " جوبيتر سراپيس وايزيس " التي انتشرت عند ذلك من الاسكندرية الى كافة اصقاع العالم المتدّن في عصر الشيوكرازيا ( اعني اتحاد الالهة ) فسي القرنين الثاني والاول قبل الميلاد ) (١)

ومع خطورة هذه الاقتباسات إلا أنها تصغر اذا لم تقست بعقيدة التثليث التي كانت منتشرة في مصر .

قال العلامة دوان ( وكان قسييسو هيكل مغيث بمصر يعبرون عن الثالوث القدس للبتين يتعلم الدين بقولهم : إن الأول خلق الثاني والثاني مع الأول خلقا الثالث وبذلك تم الثالوث القدس .

وسأل توليسو ملك مصر الكاهن تنيشوكي أن يخبره هل كان قبله أحد أعظم منه أو هل يكون بعده من هو أعظم ؟ فقال له الكاهن : نعم يوجد من هو أعظم وهو : أولا الله ثم الكلمة ومعها روح القدس ولهؤلاء الثلاثة طبيعة واحدة وهم واحد بالذات وعنهم صدرت القوة الابدية فان هب يا فاني يا صاحب الحياة القصيرة (٢)

١ - معالم تاريخ الانسانية ٢ / ٤٦٩

وراجع كذلك : اقايم النصارى ص ٨٢-٨٨

٢ - العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، ص ٢٦

### اثر الوثنية الهندية في المسيحية :

كما كان للفرعونية نصيب في المسيحية كذلك الحال في الوثنية الهندية فقد كان لها حظ منها. وقد تمثل بعقيدة التجسد التي كان الدرافيديون يأخذون بها ، فقد اعتقد هؤلاء أن ( لكل صفة من صفات الله صفة انسانية وأضفوا عليها صفات أخرى وهذه هي الآلهة عندهم .

كما قالوا : " ان قدرة الله ورحمته وجبروته تجسدت في صورة إله في كل أمه من الأمم مثل البعل عند الساميين وأندرا عند الآريين وجوبيتر عند اليونان وقد عرضوا هذه الآلهة في صورقانسان ولكن الداورديين حينما أعجبوا ببعض الشخصيات الأسطورية الغذة أضفوا عليها صفات الألوهية واعتقدوا أن إلههم الأعظم فشنو تجسد فيها لمساعدتهم وشد أزهم وانقادهم من كسمل شر ومن هذه الشخصيات: راما وكرشنا وانتقلت هذه النظرية الى الرومان من اليونان والهنود والمسيحيين على السواء فهم بدورهم عرضوا السيد المسيح مجسداً فيه الله سبحانه وتعالى (١) .

كما أن عقيدة التثليث كانت بدورها قد إنتقلت من المصريين الى الهندوس ومن ثم الى المسيحيين . قال العلامة دوان ( اذا أرجعنا البصر نحو الهند نرى أن أعظم وأشهر عباداتهم اللاهوتية هو التثليث ( أي القول بأن الإله ذو ثلاثة أقانيم ، ويدعون هذا التعليم بلفظهم ( ترى مورتى ) وهي جطة مركبة من كلمتين سنسكريبيتين . أما ( ترى ) فمعناها ( ثلاثة ) ومورتى معناها ( هيات ) او اقانيم وهي ( برهمة وفيشنو وسيفا ) ومجموع هذه الثلاثة أقانيم اله واحد ويرمزون عن هذه الأقانيم الثلاثة بثلاثة أحرف وهي الألف والواو والسميم ولفظونها ( ٢ ) ( اوم ) .

اما الفرق الطفيف بين الهندوسية والمسيحية في ذلك أن الأولى تقدر ( ان الاله براهما كان قبل الوجود وأنه خلق العالم وسمى نفسه الخالق ثم انبثق منه الاله سيفا كان وهو الاله المدمر الموكل بالخراب والغناء ولو ترك هذا الاله وشأنه لغنيت السموات والارض ومن فيهن ولهذا إنبثق من براهما الاله ثالث حافظ مجد هو الإله فيشنو ) (٣) كما ان فكرة الخلاص بتقديم الاله نفسه فداه لتكفير خطيئة أولية مطبسة فيها الانسانية قد انتقلت الى المسيحية من الديانات الهندية كذلك فالبرهميون يعتقدون أن كرشنا وهو الاله فيشنو صلوا مشقوب اليدين والرجلين وطى قميصه صورة قلب الانسان ( ٤ )

١ - الهند حضاراتها ودياناتها ص ١١٢-١١٣ وكذلك انظر: اقانيم النصرى ص ٨٧  
٢ - العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ١٩ - ٣ - الاسفار المقدسة د . وافي ص ١١٣  
٤ - المرجع السابق .

### التأثيرات البوذية :

حيث إن البوذية تشكل فلسفة في العمل الطقسي ، فان أشد ما جذب المسيحيين اليها تلك الصور والأشكال التعبدية التي حفلت بها العقيدة البوذية . وقد نقل البستاني صوراً عن الطقوس والشعائر والمعادن والآلات وكثيراً من الرموز التي انتقلت الى المسيحية فمن ذلك قوله :

ف ( صور التقسيم السحرية واحداث العواصف والاقامة من الموت وما أشبه ( ذلك ) . . من بقايا المذهب الشاطاني القديم قد دخلت في البوذية عند المغول والكيموك . وصارت المواعظ ايضاً قسطاً ضرورياً من أقسام العبادة وكذلك الاحتفال حول الهياكل والمزارات بحمل الذخائر والقرايين من أثمار وأزهار وبخور وما يوفى كل مملأوم فيه واعتراف العوام وتكريس الماء المقدس والتطهيرات المقدسة أو المعمودية في منغوليا والصوم والتساييح والنشائد والبركات والصلبان ولبس اللامة حللاً خيرية كحلل اساقفة بعض النصارى ) ( ١ )

ولا شك ان ما يجرى داخل الكنائس المسيحية وخارجها من طقوس وشعائر يتشابه الى حد بعيد مع ما رسمته البوذية من قبل . ولعل التأثير الأكبر الذي إنتقل إلى المسيحية تلك المبادئ التي أسهمت في تدعيم الأسس الرهبانية لدى الرهبان وآباء الكنيسة الأولى .

ف ( البوذيون يعتقدون كما اعتقد البرهميون من قبل في فيشنو حتى أنهم يسمون بوذا " المسيح " والمولود الوحيد ومسخلص العالم ويقولون إنه إله كامل تجسد بالناسوت وأنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر ذنوب البشر ) ( ٢ ) .

ولقد وجد لوبون تشابهاً عجباً بين شخصيتي بوذا والمسيح وذلك حينما قارن بين مراحل حياة كل منهما ولا شك أن ما أضيف الى حياة المسيح عليه السلام من خرافات وترهات على يد المحرفين من اليهود وغيرهم كان مستقى من الأساطير التي نسجتها عقلية البوذيين ( ٣ ) . كما لاحظ لوبون أيضاً الزيادة في أوجه الشبه عند تعدت من الشكل الى المضمون فمن ذلك قوله ( وتزيد أوجه الشبه تلك أهمية عند الوقوف على تشابه تينك الديانتين موضوعاً فضلاً عن الشكل فكلاهما أمرتا بالاحسان والساوة والزهد وكلتاهما ناطتا الخطيئة بالنيات كمنات الأعمال وكلتاهما ابتدعتا الرهبانية ) ( ٤ )

- ١ - دائرة المعارف بطرس البستاني ٦٧١/٥ ٢ - راجع الصفات المشتركة والحوادث المشابهة لكل من الشخصيتين في كل من : المعائد الوثنية في الديانة النصرانية ومحاضرات في النصرانية وغيرها . وقارن مع : معالم تاريخ الانسانية ٤٩٠/٢ وكذلك الهند القديمة : حضاراتها وديانها ، ص ٢٢١
- ٣ - راجع : الأسفار المقدسة . وفي ص ١١٤ وراجع بتوسع : اسطورة تجسد الاله عند الصمد شرف الدين ص ٢٤-٢٥
- ٤ - حضارات الهند غوستاف لوبون ص ٣٤٤-٣٤٥

### اوجه التشابه في التثليث :

كانت البوذية تمثل انتفاضة ضد الهندوسية الا انها لم تستطع ان تغتلب من قبضه هذه الاخيرة حيث تمكنت من احتوائها والسيطرة على الكثير من مبادئها وتعاليمها ولهذا نرى التأثير الهندوسي في القول بالتثليث ينتقل طوعا الى البوذية وهكذا يقال ايضا بالنسبة للمسيحية . فهناك تشابه في صفات الأقانيم التي يضيفها البوذيون الى تثليثهم مما يطال صفات أقانيم النصارى .

قال المستر فابر ( وكما نجد عند السهينود ثالموثا مولغا من برهمه وفشنو وسيفا هكذا نجد عند البوذيين فانهم يقولون إن يوزا إله ويقولون بأقانيمه الثلاثة وكذلك بوذي جينست: يقولون عن جيفا إنه مثلث الاقانيم .

قال السيد وليمس جونس في تضرعات وتوسلات الزاهد (امورا) هذا نصها ( لك أقدم التعظيم والخشوع يا رب أنت الإله الرحيم يا شافي الآلام والأتعاب يا رب كل شي \* هي أنت برهمة وفشنو وسيفا إني أعبدك تميزت باسماك الألف وأشكالك المختلفة وشكل بوذا إله الرحمة ) . ( ١ )

### التأثيرات الفارسية القديمة في المسيحية :

كما إدعت المسيحية أن لله تعالى ابنا وأنه مثلث الأقانيم تعالى الله عن قولهم كذلك قالت الديانة الفارسية من قبل .

يقول د وان في هذا الصدر :

( وكان الفرس يعبدون إليها مثلث الاقانيم مثل السهينود تطام وهم اورمزد ومترث واهرمان ، فاورمزد الخلاق ومترث ابن الله المخلص الوسيط واهرمان المهلك ويوجد في كتابات زوسترساين الشرائع الفارسية هذه الجطة :  
( الثالثوث اللاهوتي مضي \* في العالم ورأس هذا الثالثوث مونا ) وكان الاشوريون والغينيقيون يعبدون آلهة مثلثة الأقانيم ) . ( ٢ )

١ - العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٢٢-٢٣

وراجع كذلك الديانات والعقائد ، عبد الغفور عطار ١٥٦/٣

٢ - العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٣٠

## أثر الوثنية اليونانية في المسيحية :

هناك عدة عقائد يونانية وثنية أثرت كثيرا في العقائد المسيحية من بينها فكرة : التثليث ، والبعث ، والخلص ، والعشاء الرباني المقدس والتعميد ، والاتحاد ، وغيرها .

وملاحظة صورة التثليث عند اليونان يمكن معرفة مدى تشابهها مع التثليث المسيحي .

فقد ( كان اليونانيون القدماء يقولون : إن الإله مثل الأقانيم وإذا شرع قسيسوهم يستقدم الذبايح يرشون المذبح بالطاء المقدس ثلاث مرات إشارة إلى الثالوث ، ويرشون المجتمعين حول المذبح بالطاء ثلاث مرات يأخذون البخور من البخور ثلاث أصابع ، وعن أورفيوس يقول دوان : ( كل الأشياء عليها الإله الواحد مثل الأسما والأقانيم وهذا التعليم الثالوثي أصله من مصر " وكثيرون من الآباء في الجيل الثالث والرابع قالوا : إن فيثاغورس وهيركليتوس وميلتو طموا التثليث وقد أخذوا فلسفتهم في التثليث عن أورفيوس . . . وقال العلامة فسك " : وكان الرومانيون الوثنيون القدماء يعتقدون بالتثليث وهو : أولا ، الله ، ثم الكلمة ، ثم الروح ( ١ ) .

ومعترف ديورانت بهذه الحقيقة قائلا : ( إن المسيحية لم تقض على الوثنية ، بل تبنتها ، ذلك أن العقل اليوناني المحتضرا إلى الحياة في صورة جديدة في لاوهوت الكنيسة وطقوسها . . . وانتقلت الطقوس اليونانية الخفية إلى طقوس القديس الخفية الرهيبة ، وساعدت عدة مظاهر أخرى من الثقافة اليونانية على إحداث هذه النتيجة المتناقضة الأطراف ( ٢ ) .

ومما ادعت المسيحية من أنها حاربت الوثنية حربا بلا هوادة فإن القرائن تثبت عدم صحة هذه العقولة فبمجرد النظر إلى الشعائر والطقوس والرموز التي يقوم بها النصارى في كنائسهم والأصنام التي تمثل معبوداتهم وتطائسهم قد يسيهم لا تلبث هذه الدعاوى أن تنهار أمام الواقع ، وقد هرب عن هذه الظاهرة أحد الغلطاء الغربيين بقوله ( راح كبار الأساقفة الذين عاصروا الطوك

١ - العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص ٢٩-٣٠

٢ - قصة الحضارة ٣/٣ : ٢٧٥-٢٧٦

داغوير ، أمثال القديس إيلوا ، والقديس إوان ( *OUEN* ) والقديس سوليبس يقومون دوريا برحلات راعوية يهدون خلالها ويتفنون ما تقع عيونهم من آثار الوثنية والصنية ، كما يصادرون مراكز عبادة الاصنام بعد ان يغيروا منها الاسماء والسميات ويضعوها تحت حطية أو شفاة أحد الشهداء القديسين أو على اسم أحد رؤساء الملائكة كما أطلقوا سميات مسيحية على مراكز العبادة ومواقع الحج الوثنية وألبسوا صيغا وأشكالا مسيحية المراسم الطقسية التي كانت تقام في الأرياف ناشريسن على هذه الكنيسة الرمز الصوري أو الحرفي على الأقل للديانة المسيحية (١) .

### فكرة البعث اليونانية وأثرها في المسيحية :

كان لرفع المسيح عليه السلام أثر في نفوس الأتباع ، كما مر سابقا الا أن الوثنية اليونانية استطاعت استغلال هذا الحدث الكبير لاحتواء المسيحية والالتفاف حولها ، ولهذا يرى جنبير أن أقوال بولس في هذا الصدد هي التي أوجت نيران هذه العقيدة وأيقظتها من مرقد ها ، فقول بولس ( ان لم يكن المسيح قد بعث ، فإيماننا لا سبيل له ) (٢) .

فهذه العقولة تثير الحساسية الوثنية التي كانت سائدة آنذاك ، ( ومن جانب آخر فان فكرة إله يموت ثم يبعث ليسير باتباعه نحو حياة الخلود تسربت الى ضمير المجتمعات المسيحية أو على الأقل منها تلك المتأثرة بالفكر اليوناني فلم يلبث عيسى أن تحول بها من صيغ يهودى وشخصية محلية لا أثر فيها للتراث اليوناني ولا يفهمها أهل اليونان الى عيسى المسيح السيد والمنقذ ابن الله وخليفته على الأرض الذي يهتف باسمه سائر المؤمنين وتنحنى له الخليفة كلهم اكبارا واجلال على حد تعبير القديس بولس ) (٣) .

### العشاء الرباني اليوناني وأثره :

عقيدة البعث هذه ارتبطت بشعيرة أخرى يقول بها المسيحيون ضاهية للوثنية اليونانية وهي القران المقدس أو العشاء الرباني . وقد لاحظ ويلز الذي فسر هذا الترابط بقوله ( العلاقة وطيدة ( تلك ) التي تربط البذار في الذهن البشرى بالقران والتضحية ، ذلك أن البذار أخذ يصبح أهم الاحداث الاقتصادية فكان من الطبيعي أن يربط الناس أشد ما يخطر ببالهم من الأمور روعة ووقعا وأي شيء أشد روعة من قتل رجل من الناس ) (٤) .

- ١- تاريخ الحضارات العام ، القرون الوسطى ٣ : ٣٥
- ٢- الرسالة الى اهل كورنثيا ١٥ : ١٧ ٣- المسيحية ، جنبير ص ٥٢
- ٤- معالم تاريخ الانسانية ١ / ١٢٣



( وقد تتبع ) السيرج ج فيبرز تطور هذا الترابط وواصل بينه وبين فكرة الأشخاص المخصصين للقربان الذين يقتطون في أوان البذار وفكرة طبقة من الناس مطهرة تطهيرا خاصا يوهلها لقتل هو<sup>١٠</sup> الضحايا وهي طبقة الكهنة وفكرة ( عشاء مقدس ) أو وليمة طقوسية وتُأكل فيها القبيلة أجزاء من جسم الضحية لكي تأخذ نصيبا مما للقربان من مزايا وتتخصص تلك المزايا أوتق تقمص من هـــــه البداية تطورت البيانات ذات القرابين الموسمية التي لا تزال بين ظهرانينا (١)

وقد جاء هذا التعليل تشبيها للصورة التي يراها المسيحيون يقول متى ( . . . ) وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز مبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي (٢)

فهذه العطية أصبحت من التقاليد المعمول بها في الكنائس المسيحية وهي تعني السر المقدس بين المسيح والمسيحيين و ( بموجبها يعمد المسيحي ويصبح شاركا في حياة المسيح الاله مشاركة متجددة دائمة ولا شك أن هذه الفكرة تعود في أصلها الى ديانة الألفاز المعروفة عند الاغريق (٣)

#### صلة التعميد بالاتحاد :

لكي يكون المسيحي مسيحيا لا بد له من التعميد بحسب الأصول التي يتبعها القس في الكنائس لهذا الغرض ويكون إما بالتغطيس أو بالرش طمس خلاف بين المذاهب المسيحية ، وهو بمثابة فرض ألزمت الكنيسة أتباعها به والاعتبار الرفض كافر ، ويستند المسيحيون بأقوال وأفعال نسبوها الى يحيى عليه السلام من أنه عمد عيسى في نهر الاردن (٥)

ولا شك أن التعميد المزعوم ليس له أصل سوى الأصل الوثني الذي أشاعه بولس في أوساطه فهو يقول ( لأن كلكم الذين عمدتم في المسيح فقد لبستم المسيح ) (٦)

١ - معالم تاريخ الانسانية ١٢٣/١

٢ - متى ٢٦ : ٢٦-٢٨

٣ - مدخل في تاريخ الاديان د . محسن العابد ٣٥-٣٦ دار الكتاب بصوسة ١٩٢٣ م

٤ - راجع هذا الخلاف في : قاموس الكتاب المقدس ٦٣٧

٥ - متى ٣ : ١٣-١٦

٦ - غلاطية ٣ : ٢٧ ، والاصل في التعميد هو الختان حسب الشريعة التي جاء بها موسى عليه السلام من عند الله تبارك وتعالى وقد ظل بنو اسرائيل

وقد فسر جينبير هذا النص بقوله :  
( وهذا يعني أن المسيحي يتحد بالمسيح بواسطة التعميد  
ونحن في قولنا هذا قد نتجاوز حد ود النص الحرفية ، فبولس لم يجروا قط على  
القول بان التعميد يجعل من المسيحي " سيحيا " ملما تجعل طقوس التضحية  
بالشور في عبادة سيهيل من المؤمن بها و ( لها هوأتيس ) الا أن مفهوم  
هذا التعميد تابع من نفس وجهة النظر التي يفسر بها مفهوم التضحية بالشور  
فبالتعميد " يرتدي المسيحي المسيح كما يرتدي اللباس المقدس المنجي ، وهو  
ينزل رمزيا الى عالم الأموات بغطوسه في النهر أو في إناة التعميد فاذا ما خرج  
بعد فطسات ثلاث تما ما كما خرج المسيح من القبر بعد أيام ثلاث أيقن بأنه  
سوف يمجد يوما ان اراد الله له ذلك كما مجد المسيح . ( ١ )

ان الربط بين التعميد والاتحاد هنا وثيق العلة ، ولا شك  
ان المسيحيين ، قد وقعوا فريسة في شبك الوثنية اليونانية حينما قدمت  
هذه البدعة لهم ، فلم يجدوا ماضيا من الاعتراف بها لأن التيار الوثني كان  
متغلغلا في تلك الاوساط ، وقد تولى بولس مهمة ادخال هذا التقليد المسيحي  
المسيحية بسهولة .

---

=يقومون بهذه الشعائر الى أن قام بولس بنشر بدعته ومنها الغارة الختان ،  
يقول بولس ( ها أنا بولس أقول لكم إنه ان اختلفتم لا ينفعكم المسيح شيئا لكن  
أشهد ايضا لكل انسان مختتن أنه ملتزم أن يعطي بكل الناموس . . . . ) (وقوله )  
لانه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئا ولا الفرلة بل الايمان العاطل بالمحبة )  
: غلاطية ٥ : ٢-٦ وراجع تعليق ديورانت على هذا الموضوع في : قصة

الحضارة ٣ / ٣ : ٣٥٣-٣٥٥

١ - المسيحية ، ص ١١٠

### اثر الفلسفة اليونانية في العقائد المسيحية :

مر في الفصول السابقة التعرف على كيفية دخول الديانات الوثنية المختلفة الى الفكر الديني المسيحي ، وكيف استطاعت تكوين هذا الخليط المعقد من المبادئ والآراء المتناقضة . ولم تكن القضية لتقف عند هذا الحد ، فقد تراجعت الشاكل على أبواب الكنيسة ، وناهت ظهور الرهبان عن حل تبعاتها ، فلجأ هؤلاء الى الفلسفة التي كانت رائجة آنذاك مستغِيثين بمبادئها ، لا فذيين بافكارها نتيجة لوقوعهم في الغوض الدينية التي غسوا أنفسهم في وسطها تائهين فسي لججها .

واذاً ذلك فقد عمد هؤلاء<sup>الى</sup> اتخاذ المصطلحات الفلسفية كمداد لتغذية عقائدهم ، وكأداة لحجب الحقيقة وطس معالم الحق والنور .

وغير خافط لهذه المبادئ من خطر على النفوس الوضيعة فسي صر ارتفعت فيه أسهم الفلسفة ارتفاعاً كبيراً .

وقد لاحظ العلماء الأثر الكبير الذي أحدثته الفلسفة اليونانية بالذات في الفكر الديني المسيحي ، ووقفوا طويلاً عند انبهار رجال الكنيسة ورهبانها بالفلسفة الأولى . وما استمدوه من مبادئ وصيغ مختلفة .

وقد ظهر هذا التأثير جلياً ابتداءً من القرن الثاني بعد الميلاد ولا شك ان نوطاً من الصدام قد حصل بينهما مبادئ الأمر ، الا ان الفلسفة قد استطاعت السيطرة على مفاهيم هؤلاء وحورت العقيدة الصحيحة وفق اهمسوا<sup>الفلاسفة</sup> ونزطاتهم .

وقد ضرب العلماء مثلاً لالتقاء<sup>(١)</sup> وصدام الفكر المسيحي بالفلسفة اليونانية وغير شاهد على ذلك شخصية بولس وطار حولها من نقاش .

يعترف الباحثون في هذا الشأن بأن ذلك المجتمع وجد (فيه) فلاسفة محترفون اضطلعوا بمهمة الوعظ والارشاد ، فكانوا يعضون بلحيثهم ورد انهم ينشرون تعاليمهم الخلقية في الاسر والجنطات كل بحسب مذهبهم

١ - راجع في هذا الصدد : تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٥٤

فيلتقي بهم المسيحيون ويناقشونهم وكان من بين المسيحيين جماعة آمنوا بعد فلسفة فكان طبيعياً أن يصدروا عن ثقافتهم السابقة في تبيان عقيدتهم ونقد الوثنية فيوقف البعض إلى الحق ، ويضل البعض فتتسأ البدع وتقوم المناقشات الكلامية والكتابية لتحديد معالم الدين في فوضى المذاهب والطل ، وهكذا خلقت الفلسفة المسيحية منذ القرن الثاني (١) .

ومن السهل جداً إعطاء نماذج لتأثر عدد من أساطين آباء الكنيسة بالفلسفة ، إذ ( لم يخطر ببال المدافعين عن العقيدة المسيحية يوماً أن يتبرروا من ثقافتهم اليونانية أو اليونانية - اللاتينية بل كانوا يتباهون بها ، ولقد أصبحت لدى آباء القرن الثاني ومعظمهم من المهتمين إلى المسيحية خبيرين جداً في دفاعهم عن إيمانهم الجديد .

فها هو "يوسطينوس" الفيلسوف " واثيناغورس " الأثيني " الفيلسوف المسيحي على ما ورد في كتابه الدفاعي ذاته والقديس "ثيوفيلوس" الأنطاكي الأدب وصاحب الأسلوب الأنيق "مركوس مينوسيوس" فليكس" المعاصي الروماني الذي اعتبر كتابه ( الاكتافوس بانوارهوس " تحفة من تحف الأدب اللاتيني وغيرهم كثير . . . . .  
وها هو ذا مثل آخر يدل على شيء من الإفراط وهو التوصية في حق المسيحيين "لاثيناغورس" ورد فيه الكثير من الاشارات إلى أساطير اليونان وكثير من النبذ التي لم تستمد من أفلاطون فقط ، بل بجانب أعظم من "هوميروس" و"هيروdotus" و"أيريديوس" أيضاً . . . . . لكن الاسكندرانيين بسبب الافلاطونية المتغلبة عليهم كانوا مع من بقوا في مجال نفوذهم بالقليل أو بالكثير هم الذين أبلوا خبيرين البلاء في خدمة هذه الثقافة اليونانية التي أصبحت مسيحية (٢) .

وكما مر في الأبواب السابقة فإن الإمبراطورية اليونانية كانت تدعين بمذاهب فلسفية شتى ( وكانت المذاهب الفلسفية الكبرى ( الشائعة آنذاك ) أربعة - الافلاطونية (٣) ، والرواقية (٤) ، والارسطوطالية (٥) ، والابيقورية (٦) مرتبة حسب حذوتها

١ - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٥٤

٢ - فلسفة الفكر الديني بين الاسلام والمسيحية ، لويس غريدي ج . ج . قنواي ت : د . صبحي الصالح ، الاب فريد جبر ٢ / ٨١ - ٨٢ - ٨٣ ط ٢ ١٩٧٩ دار العلم للملايين ، بيروت .

٣ - انظر صفحة ( ١٩٨ ) من هذا البحث ٤ - انظر صفحة ( ٣٣٣ )

٥ - نسبة إلى ارسطو : ( ٣٨٤ - ٣٢٢ ق م ) الفيلسوف المعروف كان ابناً لطبيب باسطاغيرا في شمال اليونان ، ظل لعشرين عاماً بادية من ٣٦٧ باكا ديمية افلاطون انظر : الوجود الالهي ص ٢٨ وهو مؤسس المدرسة المشائية ، صيداى ، الفلسفة ص ٢٠٦ - ٢٠٧

٦ - نسبة إلى ابيقور ( ٣٤١ - ٢٧٠ ق م ) فيلسوف يوناني كان يرى ان لاخير الا للذة ولا شر الا الالم وان الفضيلة تقصد لها فيها من اللذة والرذيلة انما تجتنب لها فيها من الالم

لدى المفكرين المسيحيين لذلك العهد .

اما الافلاطونية فكانت الذهاب المفضل عندهم ، عرفوها بوقوفهم على بعض محاورات افلاطون ، وعن طريق مختلف الكتاب ، وخاصة فيلسوف الاسكندرية (١) .  
لقد اعجب هؤلاء\* بهذه المذاهب لانها كانت تعترف \* بعالم معقول وصانع العالم المحسوس بط فيه من خير وجمال ، وبنفس انسانية روحية هابطة من العالم المعقول تاتق العودة اليه ، وبتحقير الجسم والحياة العاجلة والاشارة بالزهد والتطهير والخلود والاتحاد بالله ومازالوا يعتبرون الافلاطونية اسمسي المذاهب اليونانية واقربها الى المسيحية ، حتى اذا طجدتها مدرسة الاسكندرية (٢) في القرن الثالث متأثرة باليهودية والمسيحية استفلوا الافلاطونية الجديدة ايضا (

هكذا كان تأثير الفلسفة اليونانية الوثنية على طما\* ورهبان الكنيسة الذين اشبعوا عقولهم بها ، ونهلوا من معينها ، وارتوا حتى الشالسة . فكان انتصار الفلسفة على الدين هو الغالب لدى امة تركت سلاحها واستسلمت للتيارات المختلفة التي أصرت على تحطيمها وقد كان .

وسأستعرض بعض المدارس الفلسفية التي كان لها أثر في الفكر الديني المسيحي .

---

= وليست السعادة عند الانيل اللذائف ، ولم يقصر \* أببيقور قوله على اللذات الجسدية كما فهم بعض الناس من مذهبه بل اعترف باللذة العقلية وفضلها عن غيرها راجع : مبادئ الفلسفة ص ٢٠٦ ، وقد اسين\* فهمه فقيل انه يدعو الى الملاذ انظر : الموسوعة العربية المصرة ١/ ٤٣ طعة اببيقور .

١ - تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٥٤

٢ - المصدر السابق .

(١)  
أثر الأورفيسية :

لعل أبرز المذاهب الفلسفية القديمة التي لها أثر كبير في الوسط  
الفكري اليوناني وبالتالي على الفكر المسيحي تلك المدرسة الأورفية التي كان  
لها حظوة لدى الأفلاطونية الحديثة .

ويتضح هذا الأثر عبر عثور العلماء على مجموعة كبيرة من الكتابات  
الأورفية التي كانت في حوزة ( رجال الأفلاطونية الحديثة بالاسكندرية ، وقسند  
اتخذوها أساسا للاهوتهم وطقوسهم وتصوفهم ، . كذلك أثرت فكرة النار المطهرة  
والجنة وتعارض الجسم والروح والابن المقدس الذي قتل ثم ولد من جديد ،  
والعشاء الرباني وهو أكل جسم الاله ودمه وقدسيته ، أثرت هذه كلها من قسرب  
أو من بعد في المسيحية التي كانت هي نفسها ديننا ذا طقوس ومراسم خفية  
فيها الكفارة والأولى والوحدة التصوفية وتحرر الروح ولا تزال الافكار والعبادات ،  
التي تشتمل عليها الديانة الأورفية منتشرة بيننا ( اي بين المسيحيين ) هذه  
الايام .<sup>(٢)</sup>

(٢)  
أثر الأفلاطونية الحديثة :

تبين ما سبق أن التوحيد هو لب الدعوة التي جاء  
بها المسيح عليه السلام ، وأن التثليث هو العقيدة المستحدثة التي طغت فيما  
بعد على معتقدات المسيحيين بعد التحريف والتبديل ، والناظر في أسس  
العقيدة النصرانية يستطيع أن يرى أثر الفلسفة الأفلاطونية الحديثة بشكل  
واضح فيها .

هذه الفلسفة ترى أن الحقائق والأقانيم ثلاثة :

الحقيقة الأولى : الواحد أو الطبيعة العليا ، وتصف هذا  
الواحد بالوحدة المطلقة وعدم التكثر حتى في الوصف .

الحقيقة الثانية : هي العقل العام ، وهو واحد كالاول ومجرد  
عن المادة مظهره الا ان فيه تكثرا ما هو صادر عن الاول بطريق  
الفيض لا عن ارادة واختيار .

الحقيقة الثالثة : هو النفس الكلية وهي مجردة عن المادة ايضا  
مشكل الاولين الا أنها لما بعدت عن الأول أظلمت شيئا مسا

١ - انظر ص ١٨٩-١٩٣ من هذا البحث .  
٢ - قصة الحضارة ٢/١ : ٣٤٧

٣ - هي مذاهب قام على اصول افلاطونية وتمثل عناصر من جميع المذاهب ، فلسفية ودينية  
يونانية وشرقية بما في ذلك السحر والتنجيم والعرافة ( تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٨٥

وعن النفس الكلية صدرت الموجودات المحسوسة التي فيها الشرور والظلمات .

والافلاطونية الحديثة لا ترى التساوي بين هذه الاقانيم بل ترى ان الأول هو أكملها والثاني أقل منه كلالا والنفس الكلية أقل من الاثنين . . . . .  
هرى "ليون جوتيه" المستشرق الفرنسي ان اللاهوت المسيحي مقتبس من افكار هذه المدرسة فيقرر ان التشابه كبير بين اللاهوت المسيحي وبين الافلاطونية الحديثة ، حيث انها يتركزان على عقيدة التثليث والثلاثة أقانيم وان اختلفا في بعض التفاصيل . . . . .

أول هذه الاقانيم هو مصدر كل كمال ، والذي يحوى في وحدته كل الكلمات ، وهو الذي دعاه المسيحيون الأب ، والثاني ، أو الابن هو : الكلمة والثالث ، وهو اما الروح القدس . . . . .

ويجب ان يلاحظ (وهذا بعض ما يفرق اللاهوت المسيحي عن الافلاطونية الحديثة) - أن الأقانيم الثلاثة ليست في نظر هذا المذهب متساوية في الجوهر والرتبة بينما هي عند المسيحية متساوية ، فالابن الذي يتولد من الاب لا يمكن أن يكون أدنى منه كلالا ، والا صار من طبيعة الكامل أن يصدر اضطرارا عنه غير الكامل ، وهذا حط من رتبته وكذلك الروح القدس ساو للاب والابن ( ١ ) ( . . . . )

واخطر ما في هذه الفلسفة ان المرحلة القصوى منها ( يتم احرازها - لا عن طريق التجربة والعقل - بل عن طريق الوجد الصوفي وفي هذه الفلسفة تنحط الثالثة الى درك التصوف الاشرافي ) ( ٢ ) . وهو الامر الذي سيكون سادة خصبة للاسس العقدي للرهبانية المسيحية .

---

١ - يراجع في هذا الصدد : الجانب الالهي في الفلسفة الاسلامية ، د . محمد البهي ص ١٥٠ وما بعدها دار الكتاب العربي بصر ط ١٩٦٧

وكذلك : تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٨٨ ومحاضرات في النصرانية ص ٤٤  
نقلا عن كتاب المدخل لدراسة الفلسفة الاسلامية ، ليون جوتيه و قارن مع :  
الاسفار المقدسة د . وافي ص ١١٣

٢ - الموسوعة الفلسفية ، م . روزنتال . بي . يودين ص ٤١ ط ١٩٨٠

تلك هي معالم المزج العجيب التي ظهر اثرها في الفكر الديني المسيحي والتي راح ضحيتها المجتمع المسيحي الذي نهشته حتى البدع وخيمت على جميع مرافقه وكيلته بعد أن عصفت بالروح النقية التي دعا اليها المسيح عليه السلام .

لقد ظهرت هذه البدع في شتى أوجه الحياة ، وقد عهد ديورانت من هذا الواقع المرير أبلغ تعبير حينما قال :-

( فمدارسنا وجامعاتنا ، ومدارس التدريب الرياضي وملاعبه

والعبارات الرياضية والالوسية كل هذه ترجع اصولها الى بلاد اليونان ونظرية تحسين النسل وفكرة ضبط الشهوة الجنسية والسيطرة على الغرائز والعواطف وعبادة الصحة والحياة الطبيعية وذهب اشباع الحواس أكمل اشباع كل هذه وجدت صيغتها التاريخية في بلاد اليونان وقد تفرغ الجزء الأكبر من الدين المسيحي والعبادات المسيحية ولفظا ( *theology, christian* ) نفسها لفظان يونانيان من الطقوس الخفية التي كانت منتشرة في بلاد اليونان وهن من المراسم اليونانية والاورفية والايونيسية ومن العقيدة اليونانية القائلة بموت الابن المقدس لتخليص الجنس البشري ثم بعثه من بين الموتى ومن الطقوس اليونانية والموكب الدينية وحفلات التطهير والتضحية المقدسة والطعام العام المقدس ومن الآراء اليونانية من الجحيم والشياطين والمظهر والغفران والجنة ومن النظريات الرواقية والافلاطونية الجديدة عن الكمة والخلق ونحن مديون بخرافاتنا نفسها لما كان لدى اليونان من اغوال وساحرات ولعنات وتقاويل وتشاؤم وايام منحوسة (١) .

هذا الواقع المرير الذي حور العقيدة والبسها لباس الضلال والزيف

يجعل المرء يوكده ما اقربه جنبيير من ان ( الغربيين لم يكونوا قط مسيحيين في يوم من الايام ) (٢) ويمكن اضافة مقولة اخرى ان مسيحي الشرق المتقبلين لعوامل التغيير والانحراف هم أيضا لم يكونوا في يوم من الايام مؤمنين برسالة عيسى عليه السلام المنزلة من عند الله تبارك وتعالى بل هم ضحايا الغوايبة والفساد والضلال الذي مارسه رجال الدين المسيحي ، رهبانا وفلاسفة وقد أتت لهم فرصة ذهبية لتعويض ما فاتهم من خير ونفع لهم يوم جاء الاسلام وهم ربوع الارض لاخراج الناس من الظلمات الى النور فابأس اكثرهم الا كفورا .

١ - قصة الحضارة ٢٠٧/٨ ولاحظ ما كتبه د . أسد رستم عن تأثر المسيحيين باليونانيين خاصة فيما يتعلق بالرسوم والتماثيل وذلك في حربه في الكنائس ، ص ١٩٦٧ ، بيروت

٢ - المسيحية ، ص ٢٠٩



ثالثا : الجبهة المستفيدة من الانحراف :  
=====

بعد الحديث عن العوامل الداخلية والخارجية التي أسهمت في انحراف القوم عن رسالتهم ، تسبق مسألة الجبهة المستفيدة من هذا الوضع والتي يرجع اليها الفضل في ابقاء باب الانحراف مشرطا ضامنا لصالحها وامتيازاتها ورتبها الدينية التي درت عليها المنافع المادية والمعنوية .

لقد انعكست المنفعة الشخصية على طبقة رجال الدين المسيحي رهبانا ، وطاركة ، وهاوات . ، وتمكن هؤلاء من اعتلاء الزمامة الدينية لدى العامة استطاعوا ممارسة الطغیان الديني والسياسي والاجتماعي على اوسع نطاق . .

وقد ظل هذا الطغیان يتفاقم ويتطور الى ان اصبح كابوسا مزعجا يهزق فكر البشر ويهدد امنه واستقراره ، ويات يعطى بهتتى الوسائل لقتل الروح العلمية المتوثبة لدى العلماء<sup>(١)</sup> والمخترعين بصورة بشعة أدت الى كبت كل جديد وطمس كل حديث ، وظلت هذه الطبقات تحارب كل تغيير يفسح المجال للتقدم والرقى الحضارى ، وظلت أوامر الكنيسة في العصور الوسطى وقراراتها سيفها مسلطا على رقاب العلماء وقملة لاهناق الفكر الحر .

لقد حاربت الكنيسة العلم ورجاله ووقفت منه موقفا معاديا وراحت باسم السلطة الباطنية تدخل من تشاء في جناتها وتخرج من تشاء من رحمتها وتنزل اللعنات على من تشاء من معارضيه .

وكانت النتيجة الحتمية لهذا الابتزاز احتلال جيوب القسيس والرهبان بالمال الحرام وتكديس الذهب والفضة في خزائنهم . والفضائح في ذلك كثيرة سوف نراها أثناء الحديث عن الطغیان الكنسي .

---

١ - يراجع في هذا الصدد كل من : موقف الاسلام والكنيسة من العلم ، عبد الله المشوخي ص ١٢١ وطبع بعدها ، مكتبة المنار ، الاردن الزرقاء ط ١٤٠٢ - ١٩٨٢ م - وكذلك : موقف الدين من العلم ، الاستاذ الشيخ محمد نمر الخطيب ص ٦ ، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان . ط ١٤٠٢ ، ١٩٨٢

الفصل الثالث :

الاسس العقديّة للرهبانية ونقدها

الأسس العقديّة التي استقتها الرهبانية المسيحية كثيرة الا ان هناك عدة عقائد أساسية دار عليها محور الفكر الرهباني واستند اليها في قوانينه وانظّمته ، وطى ضوءها حد مسلكه وساره .

وسيقصر البحث هنا على أهم هذه الاسس ومنها :

اولا : الصلب والفداء " أو " الخلاص "

ثانيا : الحللول

ثالثا : الاتحاديّات

الأساس الأول :

الصلب والفداء " أو " الخلاص "

تستند المصادر المسيحية الى بعض نصوص الأناجيل لتأييد عطية الصلب المزعومة ، تلك النصوص التي وصفت الملابس السابقة لاعتقال المسيح وتقدّمه للمحاكمة واصدار الحكم عليه من قبل بيلاطس الحاكم الروماني بتأليب واصرار من اليهود ، وقد تهازت المؤلفات المسيحية في نشر تلك الحوادث مع اضافات سمات الحزن الطيئة بالكآبة والتعاسة ، كما أضافت اليها الشروح والتعليقات اللازمة لاثارة الناس عبر بيان الآلام والمعذاب الذي لحق بالمسيح قبل وبعد عطية الصلب كما يزعمون (٢) .

ولعظم الغربة التي لاكتها الالسنة وزورتها النصوص المشبوهة فقصود رد القرآن الكريم ردا واضحا على افتراءات اليهود وط دجوه من مؤامرات وما طق بان هان النصرارى والسنتهم زورا وهبتانا ، يقول الحق تبارك وتعالى :

( وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَأَنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ ظَمِرٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ) (٣) .

كما ينص القرآن الكريم على أخبار الله تعالى لعيسى بنجاته ، قال تعالى

( إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ارْفُتْ وَأَنْفِثْ فِي رُوحِكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فُتُوكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا

١ - راجع في ذلك : انجيل متى ٢٧ : ٣٥-٣٨ ومرقس ١٥ : ٢٤-٢٨ ولوقا ٢٨ :

٣٣ و ٣٤ و ٣٨ ويوحنا ١٩ : ١٨-٢٤

٢ - راجع كتاب: المسيح ابن مريم، جاك جومر وسامي الباني، ص ٢٢١ دار الكلمة بيروت ١٩٦٦ وكذلك سيرة المسيح وتعاليمه دنيس كلارك ص ٢٣٢ وط بعدها

دار نهل الحياة بيروت ١٩٧٧ ٣ - النساء : ١٥٧-١٥٨

كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَفُونَ (١)

وهكذا يختلف موقف الاسلام عن موقف المسيحية ازا\* هذه القضية ، كما ان بعض الآثار تدل على أن الصلوب هو غير عيسى عليه السلام ، فمن ذلك ما رواه الاطام ابن جرير عن ابن عباس قال :

لما أراد الله ان يرفع عيسى الى السما\* خرج الى أصحابه وهم في بيت اثنا عشر رجلا من عين في البيت ، وراسه يقطر ماء\* . قال : ان منكم من سيكفر بي اثنتي عشرة مرة بعد ان آمن بي . قال : ايكم يلقي عليه شبيبي فيقتل مكانسي ويكون معي في درجتي ؟ قال : فقام شاب من احد شهم سنا ، قال ، فقال : أنا . فقال له : اجلس ثم أطاد عليهم فقام الشاب فقال : أنا ، قال : نعم أنت ذاك قال : فالقي عليه شبيه عيسى ورفع عيسى من روضة في البيت الى السما\* قال . : وجاء الطلب من اليهود واخذوا شبيهه فقتلوه وصلبوه وكفروه بعضهم اثنتي عشرة مرة بعد أن آمن به . ففترقوا ثلاث فرق .

فقال فرقة : كان الله فينا ماء شام\* ثم صعد الى السما\* ، وهـولاء\* المعقوبة . وقالت فرقة : كان فينا ابن الله ماء شام\* ثم رفعه اليه . وهـولاء\* النسطورية . وقالت فرقة : كان فينا عبد الله ورسوله ماء شام\* الله ثم رفعه الله اليه وهـولاء\* المسلمون .

فتظاهرت الطائفتان الكافرتان على السلمة فقتلوهما فلم يزل الاسلام طامسا حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فأمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة . يسعني الطائفة التي كفرت من بني اسرائيل في زمن عيسى . والطائفة التي آمنت في زمن عيسى . فأيدنا الذين آمنوا على عد وهـم فاصبحوا ظاهرين في اظهار محمد دينهم على دين الكفار فاصبحوا ظاهرين (٢) .

كما ان انجيل برنابا يؤكد حقيقة تخليص الله تعالى لعيسى عليه السلام حيث يقول ( ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع دنا جمع ظهير فلذلك انسحب الى البيت خائفا وكان الاحد عشر نهارا فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل ورفائيل واوريل سفراء\* ان ياخذوا يسوع من المعالم فجاءوا الطائفة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنب

١- ال عمران : ٥٥

٢ - رواه ابن جرير عن ابن السائب قال ثنا ابو معاوية عن الاعشى عن الضهال بن جبير عن ابن عباس ( . . . ) جامع البيان في تفسير القرآن ٦٠ / ٢٨ لابن جرير الطبري ، دار المعرفة بيروت لبنان ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

فحطوه ووضعوه في السطح الثالثة في صحبه الملائكة التي تمسح الله الي  
الأبد . (١)

وقد قام الاستاذ عبد العزيز منصور باثبات حقيقة القا الشبه على شخصية  
أخرى غير عيسى عليه السلام ، وقد استخرج نصوص ادلت من كتب اهل الكتاب (٢) .

كما قام الاستاذ احمد عبد الغفور عطارد بدراسة مستفيضة ، اثبتت خلالها  
تناقض الانجيل في هذه القضية ، خاصة بين ما جاء في انجيل متى ٢٧ : ٣-٥ .  
وبين لوقا في احوال الرسل ١ : ١٥-٢٠ حول صير يهوذا الاسخريوطي .

وقد أثبت بالدليل أن المسيح عليه السلام كان قادرا على التخفي من  
القوم والظهور في شكل غير شكله العادي مستشهدا ببعض نصوص الانجيل المختلفة  
كما خرج بنتيجة فادها أنه لم يكن بالامكان القبض على المسيح عليه السلام  
مؤكدًا ومستشهدا بانجيل يوحنا ١٨ : ٣-٦ من ان الجنود حينما جاؤوا واللقبض  
عليه سقطوا على الارض ، وهذه قرينة على ان الله تبارك وتعالى قد أمدّه بقوة يعجز  
البشر عن الاساك به . (٣)

كما ان حادثة استجواب القبض عليه للمحاكمة الواردة في انجيل متى تطغى  
ظلالا من الشك على ما يدعيه النصارى ، ان المتهم كان يجيب عن كل ما سئل  
بعبارة واحدة فيقول : ( انت قلت ) (٤) ولم يعترف باي تهمة وجهت اليه .

ومعجب السر أشد العجب من قوم يدهون " صلب الاله " تعالى عا يقولون  
ويغفلون عن حقيقة واضحة وهي ان وجوده مكتولا وهلوا يستلزم منه ان يكون  
طابرا عن حماية نفسه فضلا عن حماية غيره ، ثم كيف كان الكون يخلو من الاله  
مدبر طيلة هذه الفترة ؟ وحول هذا الاله " يسرد أحد الشعراء (٦) عليهم بقوله  
أسمعت ان الاله لحاجة يتناول الشروب والمأكولا ؟  
وينام من تعب ، ويدعو ربه ويرود من حر الهجير قميلا ؟

١ - انجيل برنابا ، ٢١٥ : ١-٨ ، تاسيف الله احمد فاضل ، دار القلم ط ١

١٣٩٢ هـ

٢ - دعوة الحق أو الحقيقة بين المسيحية والاسلام ، منصور عبد العزيز ، ط ٢ ،

١٩٧٢ م

٣ - البيانات والمعاني ٣/٥٥٢-٥٥٣ وكذلك ٤٤٠-٥٤١

٤ - راجع متى ٢٦ : ٦٣-٦٤ ولوقا ٢٢ : ٧٠

٥ - راجع اقانيم النصارى ٧٢-٧٣

٦ - منظومة الامام ابو بصير في الرد على النصارى واليهود ص ٧ مكتبة المدينة المنورة قنصر

ويسته الألم الذي لم يستطع  
يا ليت شعري حين مات بزعمهم  
هل كان هذا الكون دبر نفسه  
من بعده . ؟ أم أثر التعطيل ؟  
صرفا له منه ولا تحمولا

وحادثة الصلب من وجهة أخرى تتعارض مع المنطق السليم والتفكير  
القويم ، ولهذا كان لا بد للسيحية من مخرج يبعدها عن هذا المأزق الخطير  
فأنت أن تستعير من البيانات الوثنية عقيدة تسد هذه الثغرة ، فوجدت مبدأ  
تضحية الاله بنفسه فداء<sup>١</sup> للبشرية وخلصها وهو موجود لدى اليونان ومن قبلهم  
الهندوس والصريين القدماء .

ولا تغيب عن بال أحد فكرة الخطيئة الأولى التي لها أيضا جذور وثنية  
وقد وجد النصارى فيها  
مادة خصبة لا ثراء عقيدة الصلب وتبريرا لها وطاملا مهبطا لفكرة الخلاص والفداء .

ولهذا فان المصادر المسيحية تربط بين الصورة التي رسمها سفر التكوين<sup>(١)</sup>  
عن خطيئة آدم وزوجه وبين عملية الصلب المزعومة التي اوردتها اناجيل النصارى  
ان سلمت الكنيسة بهذا العرض الاسطوري عن الخطيئة الأولى رغم الخرافات  
والا ضاليل التي صاحبها .

فالجنس البشري عرف الكنيسة يتحمل الخطيئة الأولى ويرثها الى مجيء  
المسيح المخلص حيث ( كان العدل الكامل ) كما يدعون ) يستلزم تكفير ناسب  
شرعي عن البشرية تكفيرا تاما يوازي الا حسنة ، هذا ما تحقق تماما بالتجسد  
والفداء . ( ان ) جعل الله ابنه يتجسد وبهذا التجسد جعله رأس البشرية  
ورأس جسم سري نحن ( اي النصارى ) اعضاءه فيحق ان ان يعطى باسم  
اعضائه ويكفر عنهم باسمهم ، فقد كفر عن خطايا البشر تكفيرا كاملا<sup>(٢)</sup>

ويستشهد المسيحيون على هذه العقيدة بنص من انجيل يوحنا القائل :  
( هكذا احب الله العالم حتى انه بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن  
به بل تكون له الحياة الابدية )<sup>(٣)</sup>

١ - راجع في هذا الصدد سفر التكوين الاصحاح الثالث .

٢ - خلاصة التصوف المسيحي ادولف تانكرة . ت : يوسف فرج ١ : ٢٢-٢٣

الطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٧ م

٣ - انجيل يوحنا ٣ : ١٦

وفي هذا يقول بولس ايضا : (كط أحبنا المسيح ايضا واسلم نفسه لاجلنا قربانا وذبيحة  
لله رائحة مرضية ) . (١)  
ويقول ايضا ( وكل شي \* تقريبا يتظهر حسب الناموس بالدم وبدون سفك  
دم لا تحصل مغفرة ) . (٢)

بل تذهب تحليلات النصارى عن هذه العملية لتأخذ بعداً أكبر حيث  
تصف هذا الفداء \* بأنه كان نتيجة لتشاؤم الثالث الاقدس : فهم يقولون :  
( ان الجميع كانوا في حاجة الى المعونة والفداء \* ، كما انه ليس في امكان  
ملاك القيام بعمل كهذا يستلزم قوة غير محدودة فلم يبق الا ان يتم الفداء \* الله  
نفسه جل وعلا . فتقرر في مشورة الثالث القدوس الكلية القداسة والفائقة طسسى  
ادراك الملائكة انفسهم ان يقوم ابن الله نفسه بفداء \* الجنس البشرى ) . (٣)

ولقد استغلت الرهبانية هذه الناحية بالذات استغلالا كبيرا ، حينما  
اعتبرت ان الانسان ( يوجد روحيا في حالة السقم والضعف ، فهو شقي  
جدا ومجرم أمام الله ووضعه سي \* يبعث اليأس والقنوط وقد بلغ به اليأس أنه لسم  
يعد له رغبة في طلب واسطة أو طى الأقل قبولها اذا قدمت له لكي يخرج من  
حالته التعيسة ) . (٤)

وأول استغلال للرهبانية انطلق من هذا المفهوم ان قضى بضرورة الفرار  
من غضب الله وعقابه وهذا لن يتأتى الا عن طريق الابتعاد عن كل ما يتعلسق  
بهذه الحياة وهجر الدنيا وما يقرب اليها والنظر الى المرأة نظرة شك وريبة  
لانها السبب في خروج آدم من الجنة وهدر الشرور والاثام ويتكلم ذلك كله  
بالتبتل او الاخصاء وقهر الجسد .

ومن هنا الباب ، استطاعت الرهبانية المسيحية ان تخلق وتجنيد  
اعداد هائلة من الرهبان والراهبات الذين انتشروا في الفياض والقفار بينسون  
الاديرة والصوامع ويضعون الانظمة والقوانين الخاصة بهم .

وعند ما وجدت الرهبانية نفسها محرجة امام الاسطة الموجهة اليها خاصة  
فيما يتعلق بذنوب البشر واثامهم الانية والمستقبلية اضطرت الى اختراع قوانين

١ - افسس ٥ : ٢

٢ - عبرانيين ٩ : ٢٢

٣ - الخلاصة الشبيهة ٨٣-٨٤

٤ - المرجع السابق ص ٥٤

أو الاقرار اطم الكاهن بجميع الذنوب .

وكان ذلك بابا لغرض مبدأ الوصاية على البشر ، وممارسة ابشع انسواع

الطفيان النفسي والمعنوي على الناس .

واذا ذلك كان لا بد من بيان موقف الاسلام من مبدأ الخطيئة الاولى .

فما قررت الكنيسة من انسحاب خطيئة آدم على ابناك لتشمل افراد الجنس

البشرى كله يتوقع اصحاب هذه العقيدة في الشطط ويصمم بالافراط ، ان انها

تعتبر محاولة سقيمة لارهاب الناس من أمر بني على أساس هش واعتقاد وهم .

فآدم طيه السلام بعد المخالفة التي ارتكبها و زوجته رجع الى ربه

وذلك أخذاً من قول الباري تعالى ( وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة

وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فآذلهما

الشیطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في

الارض مستقر ومتاع الى حين فطلق آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو

التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداى

فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار

(١)

هم فيها خالدون ) .

يتضح من الاية الكريمة هو الله تعالى ومغفرته لآدم ، وانحصار العذاب

على الكافرين والمكذبين وازاحة الخوف والحزن عن المهتدين بهدى الله تبارك

وتعالى .

واقفال نصوص العهد القديم لتوبة آدم فتح الباب اطم الرهبانية

لاقرار هذه العقيدة ومن ثم قامت تتبنى ايجاد مخرج مخترع لمعضلة متعللة

لا صلة للدين القيم بايجادها وصنعها .

وهذا الله تعالى لا يقتضي تقديم بشر فذاه لاي معصية وانما يتم

تكفير الاثم بالتوبة النصوح والرجوع عن الذنب والاستغفار . ورحمة الله تعالى

واسعة يقول الحق تبارك وتعالى ( قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا

(٢)

تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم ) .

فهو ينفرد كل شيء لمن يشاء ما هذا الكفر ( إن الله لا ينفرد أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد إفتري إثمًا عظيمًا ) (١)

والله تعالى خلق الخلق ويعلم مكان نفوسهم وما تسخفون صدورهم وما تكنه أفئدتهم ويعلم مدى ضعفهم وقوتهم وقد صرح القرآن بهذه الحقيقة فقال تعالى ( ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما ) (٢)

والعزم في اللغة : توطين النفس على الفعل والتصميم عليه ، والمضي على المعتقد في أي شيء كان ، وقد كان آدم عليه السلام قد وطن نفسه على أن لا يأكل من الشجرة وصم على ذلك فلما وسوس إليه إبليس لانت عريته وفتور عزمه وأدركه ضعف البشر (٣)

وإصرار الرهبانية على الحاق التهمة بالبريء ظلم وجور وتحكم في رقاب البشر فأى ذنب يلحق إنسانا لم تكن له يد في إقرار أي جرم سبق وجوده على وجه البسيطة ؟ وما ذنب أولئك الأطفال الذين ولدوا على الفطرة دون إحداث ما يوجب العقوبة ؟

وما أقسى قلب " القديس أوغسطين " حينما قرر أن الأطفال غير المعمدين صيرهم أن يحرقوا في نار جهنم خالدين فيها ، وإلى وقت قريب لم يكن سموحيا يدفن الأطفال غير المعمدين في المقابر المخصصة للكنائس المسيحية لأن الاعتقاد السائد أنهم قد ماتوا على الخطيئة الأولى (٤)

وعدل الله تعالى بأبى أنزال الظلم بعباده ( ففي الحديث القدسي عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيمن روى عن ربه أنه قال : (٥) يا عبادي إنني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا )

١ - النساء : ٤٨

٢ - طه : ١١٥

٣ - فتح القدير ، محمد بن علي الشوكاني ٣/٣٨٩

٤ - الإسلام والمسيحية ، الفت عزيز الصد ص ٧٥

٥ - رواه الإمام مسلم في باب تحريم الظلم ١٦/١٣١-١٣٢ وتام الحديث

.. يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي كلكم

جائع إلا من أطعته فاستطعموني أطعكم ، يا عبادي كلكم طار إلا من كسوته =



فتحريم الظلم مبدأ عام يقرره الاسلام ويدرج تحته حكما يتعلق بالمعصية  
وعدم انسحابها على غير مرتكبها قال تعالى :

( أم لم ينأ بها في صحف موسى وإبراهيم الذي وفي ، الا تزر وازرة فلزا )  
اخرى وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الا وفي )

ويتضح من الآية الكريمة ان هذا الحكم كان على عهد ابراهيم وموسى  
عليهما السلام .

وعدم اعتراف النصارى بهذه الحقيقة معناه وجود تحريف أكيد في شريعتهم  
لانهم يقولون بان عيسى عليه السلام لم يأت لنقض التوراة .

مع التأكيد على ان الرهبانية حينما اقرت بمبدأ الخطيئة الاولى  
وانسحابها على الجنس البشري لم تستند الى اساس شرعي يشير الى هذه العقيدة  
من قريب او من بعيد .

---

- = فاستكسوني أكسكم ، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب  
جميعا فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا  
نفعي فتتفعموني ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى  
قلب رجل واحد منكم ما زاد في ملكي شيئا ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وانسكم  
وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا ، يا عبادي لو  
أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان  
مسألته ما نقص ذلك ما عندي إلا كما ينقص المحيط اذا دخل البحر ، يا عبادي  
إنما هي أعطاكم أحصياها لكم ثم أوفيتكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد  
غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ) .

## تانيًا : الحلول

بسبب اختلاط النصوص الدينية المسيحية ، وحيرة النصاري في التعبير عما يعبدون ، فقد تداخلت مفاهيمهم عن الأقانيم الثلاثة تداخلا كبيرا <sup>(١)</sup> . فالاب والابن والروح القدس في عقيدتهم الله واحد على الرغم من اعتقادهم بان الاب اله والابن الله والروح القدس الله <sup>(٢)</sup> .

الا أن ما حرر من نصوص الانجيل على عهد بولس ومن بعده ، وما ركز عليه انجيل يوحنا الموضوع لاغراض غيبشة فقد ادعى المسيحيون بان همي هو الاله وهو المخلص . فمن النصوص التي وردت على لسان بولس قوله :  
( منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح ) <sup>(٣)</sup>  
وما جاء في انجيل يوحنا قوله : ( انا والاب واحد ) <sup>(٤)</sup> وكذلك ( الذي رآني فقد رآى الاب ) <sup>(٥)</sup>

ولا شك ان الالتباس الحاصل كان نتيجة هذه المفاهيم الخاطئة التي ادخلت على النصوص الدينية والتي يرجع سببها الرئيسي الى اعترافهم بعقيدة الحلول الوثنية التي اشاعها بولس بين تلاميذه ضاهية للعقائد الهندية واليونانية القديمة . وقد حفلت تلك النصوص بهذه الآراء . فمن ذلك ( فانه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديا ) . وكقوليه ( الله ظهر في الجسد ) <sup>(٦)</sup> وكذلك ( ولهم الاباء ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل لها مباركا الى الابد ) <sup>(٧)</sup> .

ولهذا جاء دستور الايمان بعبارة ( الذي جاء من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء تأنس ) <sup>(٩)</sup> .

وكما اشير في السابق فان الرهبانية قد ربطت هذا الجسد بعقيدة أخرى وهي ( الاشتراك في " العشاء الرباني " المتأخذ عن متى ) وفيما هم يأكلون اخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا وكلوا هذا هو جسدي وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً اشربوا منها كلكم لان هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثير لمغفرة الخطايا ) <sup>(١٠)</sup> .

١ - راجع في ذلك : اسطورة تجسد الاله ، عهد الصدق شرف الدين . ص ٤

٢ - راجع : قاموس الكتاب المقدس . ص ١٠٧ - ١٠٨

٣ - تيطس ٢ : ١٣ - ٤ - يوحنا ١٠ : ٣٠ - ٥ - ١٤ : ٩ . يوحنا (

٦ - كولوسي ١ : ٢ - ٧ - تيموثاوس الاول ٣ : ١٦ - ٨ - رومية ٩ : ٥ وكذلك راجع :

يوحنا ١ : ١٠ - ١٤ - ٩ - الخلاصة الشبهية ٦٥ - ٦٦ - ١٠ - متى ٢٦ : ٢٦ - ٢٧

وفي انجيل يوحنا ( انا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء . ان أكل أحد من هذا الخبز يحمي الى الابد والخبز الذي انا اعطي هو جسدى الذى أهذله من أجل حياة العالم . ) ( ١ )

من هذه النصوص ومن غيرها أصبح الاعتقاد سائدا في كل قداس يقام في الكنائس ان ما يقدم للحضور من خبز وخمر ان الاول جسد المسيح والثاني دمه حقيقة واصبح الرهبان المسيحيون يتغننون بهذه العقيدة فيقول أحد هم :

( ان الخبز والخمر يتحولان الى جسد الرب المولود من العذراء مريم والذي تألم وقام من بين الاموات منذ اتطام الاستحالة يكون الرب نفسه وبصورة كاملة ودائمة تحت شكلي الخبز والخمر وفي كل جزء منها ) ( ٢ )

ويقول في موضع آخر ( ان الرب قد أكد لنا باننا سنأكله حقيقة ونشربه حقيقة وليس فقط بالرمز والخيال كما يدعى " الهروتستانت . وبولس الرسول يثبت ذلك فسي :

١ كو ١١ : ٢٧ ( فإي انسان أكل خبز الرب أو شرب كأسه بدون استحقاق فهو مجرم الى جسد الرب ) ( ٣ )

---

١ - يوحنا ٦ : ٥١ وراجع كذلك يوحنا ٦ : ٥٤

٢ - العبادة المسيحية ص ٩٣

٣ - المصدر السابق ص ٩٢ وراجع في مجال الرد عليهم في هذا الموضوع بالذات ما كتبه " عبد الله الترجمان " في : " تحفة الاربب في الرد على اهل الصليب " ص ١٧٨ وما بعدها

ابطال عقيدة الحلول :

حاور العلماة المسلمون هذه العقيدة وابطلوها بأدلة وبراهين عظيمة و عقلية واضحة . وقد تتسألَّت في مجال الرد على عقيدة الحلول الهندوسية بعضا من نصوص العلماة في هذا المصدر .<sup>(١)</sup>

وجاءت ردود العلماة المسلمين على النصارى في هذه العقيدة اوسع وأشمل من حيث تفنيده وابطال المزاعم التي يدعونها .

فقد فند الامام الرازى في تفسيره كثيرا من هذه المزاعم . فمن ذلك قوله :

( وذكروا للحلول تفسيرات ثلاثة :

( احدها ) : كون الشيء في غيره - : ككون ماء الورد في الورد . والدهن

في السمس . والنار في الفحم .

وأظلم ان هذا باطل ، لان هذا انما يصح لو كان الله تعالى جسما وهم

وافقونا على انه ليس بجسم .

( وثانيها ) : حصوله في الشيء على مثال حصول اللون في الجسم . فنقول :

المعقول من هذه التبعية حصول الله في ذلك الحيز تبعا لحصول محله فيه . وهذا ايضا

انما يعقل في حق الاجسام لا في حق الله تعالى .

( ثالثها ) حصوله في الشيء على مثال حصول الصفات الاضافية للذوات .

فنقول : هذا أيضا باطل لان المعقول من هذه التبعية الاحتياج فلو كان الله تعالى في

شيء بهذا المعنى لكان محتاجا . فكان ممكنا . فكان مفتقرا الى المؤثر . وذلك محال .

واذا ثبت انه لا يمكن تفسير هذا الحلول بمعنى ملخص يمكن اثباته في حق الله ، امتنع

( اثباته ) . ( ٢ )

ومن ادلته ايضا قوله : ( . . . والوجه الثالث : وهو انه - انما أن يقال بان

الاله هو هذا الشخص الجسائي الشاهد . أو يقال : حل الاله بكليته فيه . أو حل

بعض الاله وجزء منه فيه . والاقسام الثلاثة باطلة :

اما الاول : فلان الاله العالم لو كان هو ذلك الجسم . فحين قطعه

اليهود كان ذلك قولا بان اليهود قطعوا الاله العالم . فكيف بقي العالم بعد ذلك

من غير الاله . ثم ان أشد الناس ذلا ودناءة اليهود ، فالاله الذي تقطعه

اليهود الاله في غاية العجز .

١ - راجع ص ٥٥ من هذا البحث .

٢ - التفسير الكبير للامام الفخر الرازى : ٢١٠/٢١ وفيه ادلة أخرى فلتراجع .

وامسا الثاني : وهو ان الاله بكليته حل في هذا الجسم ، فهو ايضا فاسد . لان الاله لم يكن جسما ولا عرضا . فامتنع حلوله في الجسم وان كان جسما ، فحينئذ يكون حلوله في جسم آخر عبارة عن اختلاط اجزائه باجزاء ذلك الجسم . وذلك يوجب وقوع التفرق في أجزاء ذلك الاله .

وامسا الثالث : وهو انه حل فيه بعض من أبعاد الاله ، وجزء من اجزائه فذلك ايضا محال لأن ذلك الجزء إن كان معتبرا في الالهية . فعند انفصاله عن الاله وجب ان لا يبقى الإله إلهياً . وان لم يكن معتبرا في تحقق الالهية لم يكن جزءاً من الاله ، فثبت فساد هذه الاقسام . فكان قول النصارى باطلاً (١) .

يسرد الامام الجوهري على عقيدة الحلول بقوله :

( . . . ونقول لهم : اذا زعمتم أن الكلمة تتدرع بالسيح وفسرتموه بالحلول قيل لكم : العلم السمي كلمة ، هل يفارق الجوهر أم لا ؟ فان زعموا انه يفارقه ، لزمهم فيه أن يقولوا : لم يكن للجوهر أقنوم العلم لما كان العلم متدرعا بالسيح وهذا مما يابونه .

فان زعموا : أن أقنوم العلم لم يفارق الجوهر ، استحال مع ذلك حلوله في جسد السيح عيسى - عليه السلام - مع اختصاصه بالجوهر الاول . فانه يمتنع حلوله

عرض في جسم مع بقاء ذلك العرض في جسم آخر . فاذا امتنع ذلك في العرض فلان يمتنع في ذلك - في الخاصة التي تنزله منزلة صفات النفس - أليس .

ولو جاز أن تتحد الكلمة بالسيح لجاز أن يتحد الجوهر بالناسوت . ولا فضل في ذلك . وقد منعوا اتحاد الجوهر بالناسوت (٢) .

امسا الامام ابن تيمية فقد رد على النصارى في عقيدة الحلول . من ذلك قوله :

( فان الحلول لا يعقل الا اذا كان الحال قائما بالسلح محتاجا اليه سواء أريد بذلك حلول الصفات والاعراض في الموضوعات والجواهر . أو أريد به حلول الاعيان . فان كون احد الجسمين محلا للاخر ، كحلول الماء في الظرف - هو - يوجب افتقاره اليه . . . . .

واذا قالوا : ان الرب حل في السيح كما حل في غيره ، وهو الحل الموجود في كلام داود عندهم ، حيث قالوا : " أنت حل في قلوب القديسين " ، فقد عرف ان

١ - التفسير الكبير للفخر الرازي ٧٩/٨

٢ - الارشاد الى قواطع الادلة في اصول الاعتقاد للجوهري ص ٤٩ مكتبة الخانجي ١٣٦٩ هـ

هذا الحلول: الايمان به ومعرفته وهداه ونوره والمثال العلمي . كط بسط في موضع اخر .  
ولهذا يسمى ظهورا . والشعاع الحال على الارض والهوا\* عرض قائم بذلك . وهو مفتقر  
الى الارض والهوا\* . ( ١ ) .

ويرد الامام القرطبي على هذه الدعوى بقوله :

( واما من قال بالحلول . فليس له محصول . ولا معقول . لان حقيقة  
الحلول انما هي : ان يحصل جسم أو متحيز في شيء\* . أو على شيء\* . فيسمى الحاصل  
حالا . والمحصول فيه : يسمى محلا . وتسمى النسبة بينهما : حلولا . وهو الذي  
يسميه النحوي صدرا . هذا هو المفهوم من حقيقة الحلول .

وقد يتوسع فيه فيقال : حل العرض في محله . ومعناه صار المحل متصفا  
به وصار العرض قائما به وموجودا فيه .

فان أردت حقيقة الحلول كان محالا . فان العلم ليس بجسم ولا جوهر  
على ما مر . وان أردت الثاني : فهو محال ايضا . لانه يلزم عليه مفارقة العلم الجوهر  
وتقاؤه جاهلا . ويقوم عرض واحد بمحلين . في زمان واحد . ويلزم عليه انتقال الصفة  
من محل الى محل . وحدوثها الى انواع من المحالات . لا يبره\* بها طاق . ومنتحلها  
احق جاهل . . . . .

ثم نقول لسهم بعدم ذلك في قولهم بالاختلاط ، وانها صارا شيئا واحدا  
: لا يخلو ان حيث اختلطا - : اما ان يبقى العلم موجودا بحاله والجوهر موجودا  
بحاله . أو ينعدم أحدهما أو ينعدم معا . محال ان يبقيا موجودين بحالهما مع  
فرض الاختلاط وكونهما شيئا واحدا .

فان الواحد لا يعود اثنين الا باضافة غيره اليه . وانما أضيف غيره اليه  
ارتفعت الوحدة بالضرورة على ما تقدم في التثنية . وكذلك الاثنان لا يعودان واحدا  
الا اذا انعدم احدهما . فترتفع الاثنية بالضرورة .

ومحال ان ينعدم . فانه يودي الى عدم القديم . والى عدم ما هو موجود  
في حالة وجوده . فلم يبق الا أن ينعدم احدهما دون الاخر . وذلك محال فان  
الموجود لا يخالط المعدوم ولا يمازجه . بل يبقى الواحد واحدا . وانما بطلت هذه  
الاقسام المنحصرة بطل الامتزاج والاختلاط ومصير الاثنين واحدا على ما قاله

واما من قال : بأن الكلمة انقلبت لحما ود ط . فلقد ارتكب حماقة والتزم عسسى يلزمه عليه جواز عكس مذهبه . وهو ان ينقلب اللحم والدم ط ط . والقديم حاد شكا والحادث قديم الى غير ذلك من المحالات التي لا تصدر عن من شد اطرافا من المعقولات . ولولا الحق والتقليدات ، لما وجد مثل هذا القوابح في كلام احد من المخلوقات ( ١ ) .

وتجدد الاشار الى ان هذه العقولة قد انتقلت الى الفرق المغالية من الرفضة الحلولية . وغيرهم .

وقد رد الاطام البغدادي على الذين تسربت اليهم هذه العقيدة بقوله : ( ... وقول الحلولية باطل . لانا قد دللنا على أن الاله ليس من جنس الجواهر والاعراض ولانه قد ثبت عندنا أنه حي بلا روح فيستحيل وصفه بانتقال روح منه الى غيره . ولو كان الصانع محدثا لافتقر الى محدث له . ولو كان محدثا ايضا محدثا لافتقر الى محدث ثالث . وهذا يتسلسل لا الى نهاية . وهو محال . وط ادى الى محال فهو محال . وضح باستحالة ذلك ووجوب كون الصانع قديما ( ٢ ) .

وهكذا نجد في براهين العلما المسلمين ط يكتفي لا بطلان عقيدة الحلول التي يدعيها النصارى .

والناظر في نصوص أهل الكتاب يجد ط يشير الى مناقضة هذه الدعوى التي يلتزم بها النصارى .

ففي رسائل اعطال الرسل . جا ط يلي :

ايها الرجال الاسرائيليون : اسمعوا هذه الاقوال ، يسوع الناصري رجل قد تهرهن لكم من قبل اللسه بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده في وسطكم كما انتم ايضا تعلمون ( ٣ ) .

فهذا النص يثبت بوضوح شخصية عيسى عليه السلام البشرية وانه ليس من باله بل هو مؤيد بالمعجزات من الله تعالى . اما ادعاء المسيحيين بان الاله قد حل فيه فان ذلك لا سبيل الى صحته مطلقا بل هو بهتان .

١ - الاعلام بط في دين النصارى من الفساد والاهام . ص ١٣٠ - ١٣١ ط دار التراث العربي .

٢ - أصول الدين لابي منصور البغدادي ص ٧١ - ٧٢ ط ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ وهناك ادلة اخرى كثيرة جمع بعضها الزميل سعيد عقيل ونقل آراء العلما حول هذا الموضوع اعتمادا على شرح المقاصد للتفتازاني . وهاكرا الافكار للادي . والتفسير الكبير للرازي . والشامل للجويني . انظر : رسائل اعطال الرسل واثرها في انحراف المسيحية ٤٦٥/٢ - ٤٧٤  
٣ - رسائل اعطال الرسل ٢ : ٢٢

والقرآن الكريم يعرض شخصية المسيح بوضوح وهو أكد على بشريته بجلاء  
وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى :

( مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأَمَّا  
صِدْقُهُ كَانَا يَتَأَكَّلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤفَكُونَ ) (١)

فهذا الانك هو الذي يعنى أبحار القائلين على الله ما لا يعلمون من  
البهتان والافتراء وأنه حل بعيسى ابن مريم .

وما جاء في الكتاب العزيز ( قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا  
وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالْعَمَلَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي  
جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا . ذلك عيسى ابن مريم  
قول الحق الذي فيه يحترق ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضي أمرا فإنما  
يقول له كن فيكون وأن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ) (٢) .

هذه كلها اشارات توضح بشرية عيسى عليه السلام وأنه يسرى عليه ما  
يسرى على بقية البشر من احكام واعراض يشترك فيها مع غيره . ومن كانت هذه صفاته  
فمن الاستحيل حلول الله تعالى فيه او غيره . فهو تعالى منزه عن الحد والمكان  
أوالحيز . فليس الكمال المطلق .

١ - الطائفة : ٧٥

٢ - مريم : ٣٠-٣٦

٣ - التوبة : ٣٠



### ثالثا : الاتحاد

يعبر عن هذه العقيدة بمباراة يرددها المسيحيون فيقولون : اتحاد اللاهوت بالناسوت . اى : اتحاد الذات الالهية بمعى ابن مريم . اما المقصود من هذا الاتحاد فهو يختلف باختلاف الفرق المسيحية المتعددة .

ولا يد من الاشارة الى ان هذه العقيدة قد أقرت في عام ٤٥١م وذلك حينما انعقد مجمع خلقيدونية (إن) أقرت الكنيسة تعبيرنا للمعنى " الصحيح " للوهية المسيح . طى انه من طبيعة الاب . وانه انسان بالمعنى الصحيح من نفس طبيعتنا نحن البشر . وقد تقرر هذا الاتحاد بين الالهية والانسانية اتحادا لا لبس فيه ولا تجزؤ ولا انقسام (١) كما يزعمون .

وتتخصم مذاهب الفرق المسيحية حول اتحاد اللاهوت بالناسوت وذلك

على الشكل التالي :

(٢) قالت الهقوية : ان (الاتحاد) كان كاتحاد الماء يلقى في الخمر

فيصيران شيئا واحدا .

(٣) وقالت النسطورية : كاتحاد الماء يلقى في الزيت فكل واحد منهما باق بحسبه

وقالت الطكيكية (٤) : كاتحاد النار في الصفيحة

١ - راجع في هذا الشأن : أسطورة تجسد الاله ص ٣

٢ - ( هم اتباع يعقوب البرادعي ولقب بذلك لان لباسه كان من خرق برادع السد واپ ( وهم يقولون ) ان المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين " احدهما " طبيعة الناسوت والاخرى طبيعة اللاهوت . وان هاتين الطبيعتين تركبتا نصارا انسانا واحدا وجوهرا واحدا ) هداية الحيارى ص ٦٤١ وقد اطلق عليهم فيما بعد اسم ( الارثوذكس ) انظر اقايم النصارى ص ٦٢

٣ - ( نسبة الى ( نسطور ) أو نستور بطريرك القسطنطينية سنة ٤٢٨م . . ( وقد ذهب الى القول : بان مريم العذراء لم تعد الإلاه بل ولدت الانسان فقط . ثم اتحد ذلك الانسان بعد ولاته بالاقنوم الثاني اتحادا مجازيا لان الاله وهبه السحبة والنعمة نصار بمنزلة الابن . . . غير ان النسطوريين قد انحازوا في صورهم الاخيرة الى الرأى القائل بامتزاج اللاهوت في الناسوت . اى الى القول بالطبيعتين ) الاسفار المقدسة د . وافي ص ١١

٤ - ( وهم الروم نسبة الى دين الملك لا الى رجل يدعى ملكانيا . ( يقولون ) ان الابن الازلي الذى هو الكلمة تجسدت من مريم تجسدا كاملا كسائر اجساد الناس . وانه صار انسانا بالجسد والنفس اللذين هما من جوهر الناس . والها بجوهر اللاهوت كمثل ابيه لم يزل . وهو انسان بجوهر الناس مثل ابراهيم وموسى وداود . . . وهو شخص واحد لم يزد عدده وطبيعتان ولكل واحدة من الطبيعتين مشيئة كاملة فله بلاهوته مشيئة مثل الاب . . وله بناسوته مشيئة كمشيئة ابراهيم . . ) هداية الحيارى ص ٦٤٠ وقد اطلق عليهم

وسوف استعرض - ان شاء الله تعالى - اقوال العلماء المسلمين في رد هم طي هذه الاضطرابات بعد الاشارة الى ما اضافته الرهبانية المسيحية الى هذه العقيدة من زيادات .

فما لا شك فيه أن هذا الاساس العقدي في شكله الاجمالي مأخوذ عن الاديان الوضعية القديمة . وقد سارت الرهبانية في هذا الطريق ضاهاة لها . كما انها اتجهت الى القول بانحساب هذا المفهوم طي بقية البشر وادعت ان ذلك يتم عن طريق التبتل وفق مبادئ ونظم الرهبان .

فمن عرفهم أن الاشتراك في حياة الاله لن يتأتى الا عبر مراحل نسكية تقشفية أسموها بالحياة الرهبانية أو الحياة المسيحية بصورة أعم .

وقد اشار علماء التصوف المسيحي الى هذه العقيدة بقولهم :  
( شاءت الجودة الالهية ان تشركنا - لا في حياة النفس الطبيعية فحسب - بل في الحياة فائقة الطبيعة . اى حياة النعمة التي هي اشتراك في الحياة الالهية نفسها . . . . . وما اننا أخذنا هذه الحياة بقوة استحقاقات سيدنا يسوع غير المتناهية أكمل علاقتها المثالية ، دعيت بكل صواب : الحياة المسيحية . . . . . وتكتمل الحياة باقترابها من ذاتها . فالكمال المطلق هو الحصول على هذه الغاية . وهذا ما نبلغ اليه الا في السماء . هناك نتطك الله بالشهادة الطوباوية والحب النقي . وهناك تبلغ حياتنا طي ازدهارها عندئذ نكون فعلا شباها ( اى اشباه ) بالله لاننا نراه كما هو . . . . . لاننا نحن أمثاله . لانا سنعاينه كما هو . اما على الارض فلا نستطيع ان نحصل الا على كمال نسبي باقترابنا دون انقطاع من هذا الاتحاد الداخلي بالله الذي يوهبنا للشهادة الطوباوية ) .  
(٢)

وفي هذا ايضا يقول أحد الرهبان :

( لهذا فالادب والفلسفة والعلم لا يمكنها ان تكشف الحقيقة المحجوبة

وراء الكلمة الا لذاك الذي اتحد بالله واستنار بنوره ) . (٣)

= فيط بعد اسم ( الكاثوليك ) اقانيم النصارى ص ٦٧  
وقد انقسمت الكنيسة بسبب هذا الاختلاف الى كنيستين :  
احدهما ( الكنيسة الشرقية اليونانية ويقال لها كذلك الكنيسة الشرقية فقط . وكنيسة الروم الارثوذكسية . . . . . والشاييمون لها أكثرهم في الشرق وبلاد اليونان وتركيا وروسيا والصرب وغيرها .  
وثانيهما : الكنيسة الغربية اللاتينية ويقال لها كذلك الكنيسة الغربية فقط . وكنيسة روما والكنيسة الكاثوليكية . وقد تنسى كذلك الكنيسة البطرسيية . . . . . والشاييمون لها أكثرهم في الغرب . في بلاد ايطاليا وفرنسا وبلجيكا واسبانيا والبرتغال وأمريكا الجنوبية وبلاد اخرى ) الاسفار المقدسة . د . وفي ص ١١٨  
١ - الفصل ٤٣-٤٤ / ١ - خلاصة التصوف المسيحي . أدولف تانكرة . ت :  
يوسف فرج ص ٧/١ - ٣ - " نسكيات " اسحق السرياني . ت . اسحق ط الله  
ص ١٠ - منشورات النور ببيروت ١٩٨٣ وراجع : الكرمل لألبير أبونا ص ٨ ط ١٩٧٨ بغداد

مقول آخر :

( ترتكز العبادة الالهية بجميع أقسامها على التأمل في الصفات الالهية فمن حيث ان الله هو الخير الاعظم الكلي الكمال . الذي هو أعلى من أن يقاس به شيء ينبغي ان يضطرم قلبنا بنار محبته الكلية الطهارة وان نبذل الجهد للاتحاد معه ) (١)

ولقد سارت هذه العقيدة في عقول الرهبان والراهبات . ولكثرة ما رددتها أسنتهم فقد ظن القائلون بها انها حقيقة واقعية . فها هي سانت تيريزا الافيلية تقول :

( عندما كنت على وشك ان أكتب هذا ( لقد ) اتصلت للتو . وكنت تحست تجربة هذه الصلاة حينها تلك الصلاة التي أكتب عنها الان . كنت أفكر فيما تعطه الروح اثناء ذلك . عندما قال الرب هذه الكلمات لسي :

( انها تموت في نفسها كلية - ايها الابنة - لتثبت نفسها أكثر وأكثر معي . انها لم تعد تلك التي كانت تحيا ولكنها أنا . وكما انها لا تستطيع ان تعي ما تفهمه فانها وهي لا يفهم ) (٢)

---

١ - الخلاصة الشبهية . افلاطون موسكو ص ٤٤

٢ - التصوف طريقا وتجربا وذهبا . د . محمد كمال ابراهيم جعفر ص ٢٩٥ .

دار المعرفة الجامعية ١٩٨٠

## \* ابطال عقيدة الاتحاد

تعقب العُلماة المسلمون أقوال الفرق المسيحية حول هذه العقيدة وكشفوا

عوارها وناقشوا اصحابها مناقشة طيبة رصينة .

وقد جاءت ربودهم العديدة متفقة فيما بينها - بصورة عامة - . وسوف

استعرض نموذجاً من هذه الأدلة وابهين آراء بقية العُلماة الاخرين في هذا الصدد .

يعترض الاطام القرآني على القائلين بالاتحاد فيقول :

( والسؤال عليهم : ( اى على اليعاقبة ) ان حقيقة اللاهوت والناسوت

ان بقيتا بعد الاتحاد على حالهما ، يظل قولهم صارتا طبيعة واحدة . وان تغيرتا

عن حالهما فهذه حقيقة أخرى لا "لاهوت" ولا "ناسوت" فلا تصفوا المسيح - عليه

السلام - بأنه إله . ولا انسان .

ويلزمهم ان القديم الاله صار محدثاً . والمحدث صار قديماً لضرورة

اتحاد الحقيقة . وأن يصير الخالق مخلوقاً . والمخلوق خالفاً لضرورة اتحاد الحقيقة

أو نقول : اللاهوت ، والناسوت إن بقي لكل واحد منهما خصوص ذاته فهما حقيقتان

قطعا لا حقيقة واحدة . فلا اتحاد . وان ذهبت خصوصية كل واحد منهما عما بالضرورة

لان الخصوصية للذات من ألزم اللوازم . فاذا عدم اللازم عدم الطرزم . واذا عدمت

الحقيقتان فلا اتحاد بالضرورة لان اتحاد الذاتين فرع وجودهما . والعدم نفي محض

فلا اتحاد معه . فالاتحاد باطل جزئياً .

اما الرد على النسطورية : ( فالسؤال عليهم ان : الطبيعتين

ان كانتا في شخص واحد فذلك باطل . لان الطبيعتين لا تقومان في محل واحد

وان كانتا في شخصين فذلك يكذب به الحس . فان عيسى عليه السلام كان شخصاً

واحداً . فيكون مذهبهم من قبيل السفسطة . ومخالف الضروريات . وكفى بذلك بطلاناً ) .

اما الطكيبة : ( فالسؤال عليهم ) ان نقول : قولكم

الحقيقتان لم تتحدا . وانما حصل الاتحاد في الشخص . كلام غير معقول . فان الاتحاد

ان اريد به الامتزاج فقد صارت الحقيقتان واحدة . وهو مذهب اليعاقبة . فعليك

ما عليهم . وان اريد ان الحقيقتين اجتمعتا في شكل واحد ، فهذا هو الحلول لا الاتحاد

وهو محال . فان العالم يلزم ان يكون اصغر من جماعة من اليهود . فانه كان في اليهود من هو اعظم هيكلًا من المسيح عليه السلام . وهو كان سباحًا قليل الغداه كثير الاسفار ومن هذا شأنه يكون ضئيل الجسم . والحال اهدا اصغر من المحل فيكون ذلك اليهودى العيل البدن اعظم من المسيح الذى هو اعظم من الله تعالى وهو لا يقوله عاقلاً ( ١ )

هذا نموذج لحوار الملط المسلمين مع فرق النصارى المختلفة والقائفة بالاتحاد .

أما ابطال هذه العقيدة بالصورة الاجطالية فقد رد الملط على ذلك بادلة كثيرة . من ذلك :

سأ أشار اليه الامام ابن تيمية حيث قال :

( قولهم ) اتحدت الكلمة به اتحادا برها من اختلاط او تغير أو استحالة : كلام متناقض ايضا فان الاتحاد ان يصير الاثنان واحدا . فيقال قبل الاتحاد كان اللاهوت جوهرًا والناسوت جوهرًا اخر .

وان شئت قلت : كان هذا شيئًا وهذا شيئًا . أو هذا هيئا قائمة بنفسها وهذا هيئا قائمة بنفسها . فبعد الاتحاد اما ان يكونا اثنين كما كانا . أو صار الاثنان واحدا .

فان كانا اثنين كما كانا فلا اتحاد . بل هما متعددان كما كانا متعددين وان كانا قد صارا شيئًا واحدًا . فان كان هذا الواحد هو احدهما فالآخر قد عـسـدم وهذا عـسـدم لاحدهما لا اتحاد .

وان كان هذا الذى صار واحدًا ليس هو احدهما فلا بد من تغيرهما واستحالتهما . والا فلو كانا بعد الاتحاد اثنين باقيين بصفاتهما لم يكن هناك اتحاد .

فاذا قيل : اتحد اتحادا برها من اختلاط أو تغير . أو استحالة . كان هذا كلامًا متناقضًا ينقض بعضه بعضًا . فان هذا انما يكون مع التعدد والجماع لا مع الاتحاد .

يوضح ذلك : انه اذا اتحد الماء واللبن والماء والخمر ونحو ذلك كما كان الحاصل من اتحادهما شيئًا ثالثًا ليس ماءً محضًا ولا لبنًا محضًا . بل هو نوع ثالث وكل من الماء واللبن قد استحال وتغير واخطط . واما اتحاد بدون ذلك فغير

١ - الاجوبة الفاخرة . للامام القرافى ص ١١٠ . وانظر في هذا الشأن ما اورد

الامام ابن حزم في الفصل ٤٢/١ - ٤٣ وكذلك قارن بما اورد الامام الرازى في تفسيره

٢١٠/٢١ وكتاب تمهيد الاوائل للباقلاني ص ١٠٧-١٠٨

معقول . ولهذا عظم اضطراب النصارى في هذا الموضوع وكثر اختلافهم  
وصار كل منهم يرد على الآخر ما يقوله . ويقول هو قولا يكون مردودا . فكانت  
اقوالهم كلها باطلة مردودة . ان كانوا اشتركوا في أصل فاسد يستلزم أحد أمور  
كلها باطلة . ( ١ )

اما الاطام القرطبي فقد ناقش النصارى من زاوية

اخرى فهو يقول :

( واما من قال : ان الاتحاد هو ظهور وفيض ومثله بانطباع الصورة في  
المرآة . فهذا المثال انما كان يصح لو كان العلم صورة محسوسة بالبصر  
ويكون جسد المسيح صقيلا تنطبع فيه صورة المقابلات وكل ذلك معدوم في سألتننا  
بالضرورة فتخيله فاسد وباطل بالضرورة . فكما لا تتمثل ذات الحياة والادراكات  
في المرآة كذلك لا تتمثل الكلمة في جسد المسيح ثم ان جاز انطباع علم الله في جسد  
البشر فلم ينطبع في كل ما شبهه في الجسدية . . . واما التشثيل بنقش الخاتم  
بعمود منحرفا في الشمع والمنحرف في الخاتم يعود ناتئا في الشمع فذلك لا يتصور  
الا في الاجسام .

وان جاز في غير الاجسام فيلزم ان يكون كل واحد منهما - اعني - اللاهوت  
والناسوت يوتر في الاخر . ويحل فيه ، فيكون الناسوت حل في اللاهوت وذلك محال عند  
كل فريق .

والامر الثاني : ان النقش في الخاتم يوضع مقلوب الكلمات . ثم  
تنطبع مستقيمة في الشمع . ولو وضعت في الخاتم مستقيمة لانطبعت في الشمع منعكسة .  
فيلزم على ساق هذا المثال : ان تنطبع الكلمة في الناسوت . اما بالاستقامة أو بالعكس  
فان انطبعت فيه بالاستقامة فأقوم الكلمة في الجوهر بالانعكاس .

وان انطبعت فيه بالانعكاس فلم تبقى الكلمة في الناسوت على حقيقتها فسي  
اللاهوت بل هي منعكسة فلا تبقى حقيقة العلم على ما كانت بل هي ليس بعلم وهذا  
كله ما يلزم على ارائهم الفاسدة وتحكماتهم الباردة . ( ٢ )

١ - الجواب الصحيح لابن تيمية ٢/٢٦٧-٢٦٨ . وانظر ما اورده الامام  
الجويني في : الارشاد ص ٤٨

٢ - الاعلام للامام القرطبي ص ١٣١-١٣٢ - وانظر بقية الادلة في : النصيحة الايطانية  
ص ١٣٥ . منحة القريب المجيب ص ١٣٤ . أصول الدين للرازي ص ٥٠ والرد الجميل

للفزالي ص ٢٦٨-٢٦٩

اما صورة الاتحاد المزعومة التي أحدثتها الرهبانية عن طريق الادعاء ان الاتحاد ينسحب ايضا على بقية البشر . فهذه المزاعم والتخيلات ان هي الا اضافات احلام لا تمت الى واقع الحقيقة بصلة . بل هي اوهام يلقبها العقول الباطن على اولئك الذين أرهقوا انفسهم وارواحهم باعمال مجهدة للعقل والسرور فتأتي هذه التخيلات وتلك الاوهام لتصور ما يدور في العقل الباطن على أنه حقيقة فتخدع الحواس وتستسلم . لأنها في واقع امرها مرهقة ومتعبة كتعب اصحابها وسقمهم وخفة عقولهم .

ولقد تسببت هذه الاضاليل التي ما يسى بالتصوف الفلسفي المزعوم في الاسلام . . . ووجدت متسعا عند أصحاب الأهواء والمصالح والنزعات فاعتنقوا هذا القول البارد وأظهروه في ثوب قشيب لا تباعهم ومن يريد السير في طريقهم .

وكان غرض القساطين بالاتحاد هو : اسقاط التكاليف الشرعية عنهم وتجاوز الحدود طمعا بسمعة دينية أو منصب كهنوتي يدرب عليهم اموالا طائلة او زمانة فارغة .

وتحست هذا الستار تصبح المحظورات في حقهم مباحة . وعلى غيرهم محرمة فضلا عن دعوى بلوغ المقامات المقدسة التي تتم عبر الاتحاد المزعوم والذي من شأنه - حسب اعتقادهم - ان يعفيهم من العبادات بحجة انشغالهم به .

وهذا الاعتقاد كما اشرنا اليه من قبل هو مضاهاة للرهبان البراهمة فيها هو أحد هم يقول ( في اللحظة التي تتجلى أو تنبعث فيها المعرفة في نفسي حيث أصبح متحدا مع براهما لا أكون مكلفا بعمل أو فريضة ) (١) .

( وعند الغنوصيين عموما : التأمل في الكائن الاطى يجعل الاعمال الظاهرة سوا . لا نتيجة لها . وهذا هو الاصل في رفض كل الامور الشرعية والنواميس الخلقية حتى الوصايا العشر تصبح محتقرة لان اتحاد الروح بالوحدانية العظمى ترفعه الى ما فوق الاشكال الدينية المحدودة ) (٢) .

---

١ - العقيدة والشريعة في الاسلام : جولد زيهر ص ٣٥٤ ط ٢ - محمد يوسف موسى واخرون . دار الكتب الحديثة بصر . وكتبة الشئى ببغداد .

٢ - نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها . د . عرفان عبد الحميد فتاح . ص ١٨٠-١٨١

ويتضح من هذه الدعوى أنها مبنية على أساس قيام الحوادث في ( القديم  
تعمالي . وجمع للرب والمعبد في مرتبة واحدة . والغاية للبينونة المطلقة  
التي أقامها القرآن الكريم بين عالم الربوبية وعالم الخلق .  
وكل ذلك خرق لحدود الله تعالى وتجاوز على حرمانه وهتك لاستسار  
التنزيه ) . ( ١ )

يقول الامام ابن تيمية في وصف هذه الحالات الشاذة والغريبة  
على العقيدة الاسلامية .

( ولكن هذه الحال - حال الغيبة - تعترى كثيرا من السالكين . يغيب  
احدهم عن شهود نفسه وغيره من المخلوقات . وقد يسمون هذا فنا اصطلاما . وهذا  
فنا عن شهود تلك المخلوقات . لا أنسها في نفسها فنيت . ومن هنا دخلت  
طائفة في الاتحاد والحلول . فأحد هم يذكر الله حتى يغلب على قلبه ذكر الله  
ويستغرق في ذلك فلا يبقى مذكور مشهود لقلبه حتى يتوهم انه هو الله وان الوجود  
هو الله ) . ( ٢ )

هذا الوهم وذاك الخيال هما من وحي العقائد الرهبانية  
التي تسربت الى تلك الفرق المغالية . والناظر في حقيقة المفاهيم الاسلامية  
وتعاليمها الصحيحة يدرك براءة الاسلام مما الصق به زورا وبهتانا تعنت  
ستار الزهد والعبادة .

فالمبادات الاسلامية كقيلة بايصال العباد الى ما يرضي الله  
تعالى عنهم دون اللجوء الى مبادئ غريبة .

يقول الحق تبارك وتعالى :  
( وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْشَرُوا  
بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَ وَمَا كُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ) . ( ٣ )

١ - نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها ص ١٨٠-١٨١

٢ - مجموعة الرسائل الكبرى للامام ابن تيمية ١٤٩/١ - ١٥٠ مكتبة انس بن مالك

١٤٠٠هـ

٣ - الانعام : ١٥٣



## الفصل الرابع :

أثر الانحراف العقدي على نظرة الرهبانية الى النفس البشرية والزواج والمرأة  
والرد عليها .

لقد مر الحديث عن الاسس العقدية التي بنت الرهبانية عليها صرحها الفكري والعقلي والاخلاقي ، ومن الواجب القول ان هذا الصرح لم ينجز الا بعد اجيال متعاقبة تخللتها احداث ومنازعات وانقسامات كثيرة فرقت المسيحية التي فرق متعددة تنال كل واحدة من الأخرى للبقاء على عرش السلطة الكنسية .

ولقد استطاعت هذه العقائد الانحراف نحو ضعفاء خطير ظهر أشهره على السلوك المعطي للحياة المسيحية ككل ، وعلى الرهبانية على وجه الخصوص إن صبغت هذه الحياة بالسلبية والجفاء ، ودعتها إلى نبت كل ما أباحه الله تعالى لعباده من الزينة والطيبات من الرزق .

كما تطور الأمر بستكوين مجتمعات رهبانية أفرزت أجيالا من الرهبان ، دعيت بأعدادها موقف الكنيسة تجاه خصومها . ، حتى إذا ما تسنى الأمر لهؤلاء بتسليم مقاليد السلطة وارثين بذلك الإمبراطورية الرومانية ، وجدوا زخارف الدنيا قد أحطيت بهم ، فأعترفوا منها ما وسعهم ، فاعترفوا وظلموا واستبدوا ، وتمت على أيديهم أشنع صور الطغيان الديني والدنيوي .

وقد رضي البابوات أن يمسثوا هذا الدور فكتبوا بذلك تاريخا حافلا بمداد أحمر نتيجة الجرائم البشعة التي ارتكبوها ، وسودوا صحائف أعمالهم بالمخالفات السيئة والمخالفات لتعاليم المسيح عليه السلام الصحيحة . كما خرجوا - حتى - عن تعاليم رهبانيتهم المتبعة خروجا تجاوز كل الحدود .

وقد وضعت الرهبانية الأطر العامة لحياتها وسلوكها الخاص وفق الأسس العقدية التي تم تحريفها وتزييفها ، وقد سنت قوانينها الديرية وفق نظرات ثلاث :

اولا : النظرة الرهبانية الى الحياة والنفس البشرية

ثانيا : النظرة الرهبانية الى الزواج

ثالثا : النظرة الرهبانية الى المرأة .

وسوف اتناول كل واحدة على حدة مبينا أثر الانحراف فيها .

أولاً : النظرة الرهبانية الى الحياة والنفس البشرية :

عند الكلام على عقيدتي الصلب والفداء\* ، ظهر بوضوح مدى الارتباط الشديد بينهما وبين فكرة الخطيئة الأولى ، وعليه فإن نظرة الرهبانية الى الحياة تأخذ شكلاً يوافق هذا الأساس العقدي .

فما دامت الحياة في نظرهم مليئة بالشروع والآثام نتيجة الخطيئة الأولى التي أوحى بها سفر التكوين في الاصحاح الثالث . . . وما دامت مظاهرها الخادعة تعيق الوصول الى الغاية المنشودة : وهي الاتحاد بالسيح . . . . فينبغي إذناً الإبتعاد عنها والهروب منها ، اتقاءً لشرها وتغادياً لعواقبها الوخيمة ، وذلك تقرباً من السيح في السموات . . . !!!

وقد استغلت الرهبانية بعض النصوص الواردة في الاناجيل للدلالة على أنّ ما تختاره من سلوك انبسط هو تابع من اساس شرعي لا مربة فيه ، عطا بان التحريف الذي تسرب اليه العقيدة المسيحية تابع من تلك الاناجيل المزعومة ، فمن ذلك ما جاء في متى : ( حينئذ قال يسوع لتلاميذه إنّ أراد أحد أن ياتي ورائي فليترك نفسه ويحمل صليبه ويتبعني ، فان من أراد ان يخلص نفسه يهلكها . ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها لانه : ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ) (١)

ومن قول بولس ( فان كنتم قد قتم مع السيح فاطلبوا ما فوق حيث السيح جالس عن يمين الله ، اهتموا بما فوق لا بما على الأرض ) (٢)

وقول متى ( وكل من ترك بيوتاً أو اخوة أو اخوات أو أباً أو أمّاً أو امرأةً أو أولاداً أو حقولاً من أجل اسمي يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الابدية ) (٣)

ومن قول لوقا :  
( ومن لا يحمل صليبه ويأتي ورائي فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً ) (٤)

وان اقسى نص جاء في هذا الصدد مما ورد في لوقا ( ان كان أحد يأتي إلي ولا يبغض أباه وأمه وامراته وأولاده واخوته واخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر ان يكون لي تلميذاً ) (٥)

١ - متى ١٦ : ٢٤-٢٧

٢ - كولوسي ٣ : ١

٣ - متى ١٩ : ٢٩

٤ - لوقا ١٤ : ٢٧

٥ - لوقا ١٤ : ٢٦

واتباط لظ جاء في لوقا أنفساً فقد تفنن الرهبان في معاملة الأهل والأقارب حتى أقرب الناس إليهم ، فهذا اسحق السرياني أحد أبرز الرهبان القديس بهم يقول في نسكياته :

( خير لك ان تشرب سوط زطافا من أن تأكل مع امرأة وان كانت أمك أو أختك خير لك ان تسكن مع اثنين من أن تنام مع شاب حتى لو كان أخاك في الجسد ) ( ١ )

وهكذا تصبح الحياة في نظر الرهبان تمعة ، وهكذا يجب التخلصي عن كل ما يستالى هذه الدنيا بصله ، وترك مشاكلها والانمزال عن الناس وقطع الصلة بالأقارب والأهل والإمتكاف واتخاذ حياة التبتل . تقول إحدى فقرات القوانين الديرية :

( ينبغي للمجاهد أن يستبعد عن كل امتلاء ولو من الخبز والما وأن يجمع عقله في صلته ليكمل قربانه الروحاني ويتذكر خطاياها دائمة ويحزن عليها وليكن كل ما يعطيه ويقول من أجل مرضاة الله لا من أجل مجد الناس وأن يتفقد تدبيره دائمة لكي لا تكون سكناه في البرية غير مذهب الرهبنة فانه قد سكن البرية كثير من اللصوص وهي ماوى للوحوش والطيور الموزونة أما الراهب فانه يسكنها هرباً من سجن العالم الذي يشغله عن عبادة الله التامة ) ( ٢ )

هذه النظرة القاتمة للحياة نابعة من المنهج العام الذي يربط قلوب الرهبان بأسس لم تكن في يوم من الأيام من منهج عيسى عليه السلام ولا من مبادئ دعوته إذ كان عليه السلام يحارب الإنفطاس في الظلام والشبهوات التي وقع فيها بنواسرائيل وطادى فيهم قسوة قلوبهم المتحجرة ، فاستكت كلطاته بالروحانية فكانت أدعى الى لين القلوب وترقيتها ، لا لكبتها وتمزيقها .

أما المنهج الذي ارتضته الرهبانية لنفسها فقد بنته على قاعدة تصور سواد الدنيا في عين ناظرها ما أدى الى انعكاس هذا السواد على جميع شاعر الرهبان وسلوكهم وفكرهم وحصرها في هذه الدائرة الضيقة ، وكان الأجدر بها التوسط لا الغلو .

ولا شك أن هذا الغلو قد نتج عنه عواقب وخيمة أقلها ضعف وهزال بنينة

١ - كتاب " نسكيات " لاسحق السرياني ص ٤٣

٢ - بمستاني الرهبان ، لآباء الكنيسة القبطية ص ١٢٩ ، الطبعة الثانية

تنقيح : لجنة التحرير والنشر ببطرانية بني سويف والبهنسا ، مصر

القائمين على مبادئ\* الرهينة . مما يؤدى في نهاية المطاف الى اطاقه كل تقدم بنا\* في ركب الحضارة والرقى .

وهذا ما حصل بالفعل في أوروبا العصور الوسطى . ومن أجل ذلك قامت الثورات فيط بعد ضد الكنيسة منادية بالاصلاح كمرأ لهذا الجمود والقمشل .

كما ان هذه النظرة تؤدى الى احداث خلل في بنية المجتمع ككل . مما يجعله والحالة هذه في شلل تام فضلا عن تفكك عرى العلاقات بين افراد الامة . لان دعوى الانعزال عن الناس فيها حجب العنصر الايجابى المعطاء\* في النفس البشرية وايقاف الوظيفة التي خلقت من اجلها . الا وهي عارة الارض . وتعطيل هذا المسدأ يؤدى الى حرمان المجتمع من ثرة التعاون والتراحم والتآخي الذى وهبه الله تعالى لبني البشر .

كما ان الركود يزيد من مشاكل الحياة وهمومها ويلغها بالحزن والكآبة وسوف يظهر ذلك بوضوح في الفصول القادمة ان شاء الله تعالى .

وعلى العكس من ذلك : نرى الاسلام يضع تصوره للكون والحياة وفق ضهج متوازن متكامل يتسم بالحكمة والدقة المتناهية في جميع المجالات . ليعطى الانسان دفعة قوية تمكنه من الجمع بين خسرى الدنيا والاخرة وذلك وفق تعاليم ربانية ثابتة لا خلل فيها . فلا افراط ولا تفريط .

فهو يعلمنا ( أن الروح لا تسوعن طريق سحق الجسد ، وان الفرائض الانسانية ليست مفضورة على الشر ، فلا يجب وأدها . وانما يجب السيطرة عليها بحكمة وضبط سارها وتوظيفها في الافراض التي تجعل حياة المرء ثرية فاضلة . و ( أن هذا العالم لم يخلق سدى ( ان ) ان له مغزى وهدفا . ويجب على الانسان ان يحيا حياة طبيعية طيبة في هذا العالم وان يقدر أنعم الله ويستمتع بما اتاه الله . وكذلك يتقرب اليه ويعمل لخدمة أقرانه وبعد نفسه للاخرة ) (١)

والاسلام يحض على الاعتدال في كل الامور ويدهو الى التوسط في كل شئ\* ( وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ) . (٢)

١ - الاسلام والسيحية : ألفت عزيز الصد ص ١٠٨-١٠٩

٢ - البقرة : ١٤٣

وقد طالج الاسلام وظائف الانسان العامة في هذه الحياة بحكمة ودراسة  
كما عمل على تربية الروح والعقل والجسد وحدد وظائف كل طاقة منها . وأعطى الجرعات  
المناسبة لغذائها ونشاطها . ( ١ )

ومن النفحات الطيبة التي يشيعها الاسلام في النفس البشرية ما جاء في  
قوله تعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ  
لَا يُحِبُّ السَّعْتَدِينَ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ) ( ٢ )

ويقول تعالى ( قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ  
مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَذَلِكَ نَفَصَّلُ  
الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ) . ( ٣ )

ويقول ايضا ( وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ  
الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ) . ( ٤ )

بهذه الروح المنفتحة التي يشيعها الاسلام في ربوع أهله تصبح الحياة  
في نظر المؤمنین زاخرة طامرة بكل ما يفيد الانسان دينا ودنيا وآخرة . .

اما دعوى الانعزال بحجة عدم الانشغال بالدنيا فحجة قاصرة . وهي  
نظرة الى الحياة بعين واحدة . وما على اولئك الغافلين الا ان يحاولوا ازالة  
الغشاوة عن الاخرى ليسروا الحياة على حقيقتها كما يعيشها المسلمون العاطفون  
المخلصون لربهم .

١ - راجع في هذا الصدد : منهج التربية الاسلامية ، محمد قطب . ١٩/١ وذلك  
للقوف على خصائص المنهج الاسلامي في تربية الروح والعقل والجسد .

٢ - الطائفة : ٨٢-٨٨

٣ - الاعراف : ٣٢      ٤ - الاسراء : ٢٠

- ثانيا : نظرة الرهبانية الى الزواج :

انطلاقا من المفهوم السابق عن الحياة والنفس البشرية ، فقد التست

الكنيسة من الاناجيل نصوصا تفضل العزوبة على الزواج ، فتركت هذه الوظيفة السامة تركا كليا تفرقا لعمل القلب وعدم انشغاله عن المسيح كما يدي الرهبان .

وربط كانت نصوص العهد القديم الداعية الى الزواج والتكاثر والانجاب أدعى لحيرة عقول المسيحيين على اعتبار أن تاريخ اليهود وتعاليمهم هي جذور للتاريخ المسيحي وتعاليمه .

فمن نصوص العهد القديم ما جاء في سفر التكوين قوله :

( فخلق الله الانسان على صورته وعلى صورة الله خلقه ذكرا وانثى خلقهم وباركهم الله وقال لهم أشعروا واكثروا واملأوا الارض واخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الارض )<sup>(١)</sup> .

وقوله ( وقال الرب الاله ليس جيدا أن يكون آدم وحده فاصنع له معيناً

نظيره ) . ( ٢ )

ولن يتعرض البحث لقصص العهد القديم وما حفل به من أخبار زواج بني اسرائيل وانبيائهم وتناسلهم عبر التاريخ فهي أكثر من أن تحصى .

ولقد تناسل المسيحيون هذه القضايا في زحمة النصوص التي تصيد لها اصحاب البدع للجيل من التعاليم الحقة التي امر بها المسيح كما تناسلت الكنيسة تحت المسيح على الزواج وانه قد حضر عرسا في قرية قانا . وأن حضوره هذا دليل عظمي على اعترافه بالزواج والا فانه مخالف لما أمر به وهو تناقض واضح .

الا أن العامل الحاسم في اقرار المسيحيين للتبتل يعود الى البذور القوية التي وضعها بولس في رسائله ، فالناظر فيها وتحديدًا في رسالته الى أهسسل كورنثوس الاولى يقول ( وأما من جهة الأمور التي كتبتم لي عنها فحسن للرجل ان لا يمس امرأة ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امراته وليكن لكل واحد رجلها

وفي موضع آخر يقول :

( ولكن أقول لتغير المتزوجين وللارامل انه حسن لهم اذا لبثوا كما اناس

١ - سفر التكوين ١ : ٢٧ - ٢٨

٢ - سفر التكوين ٢ : ١٨

٣ - راجع انجيل يوحنا ١ : ٢ وما بعده ، وقانا هذه في الجليل تبعده عن الناصرة  
١٣ كيلومترًا ، راجع في ذلك سيرة المسيح وتعاليمه ، دنيس كلارك ص ٤٩ وقاموس الكتاب المقدس ص ٧٠٩

ولكن ان لم يضبطوا انفسهم فليمتزوجوا لان التزوج أصلح من التحرق . وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا بل الرب أن لا تفارق المرأة رجلها وان فارقته فلتطبخ غير متزوجة أو لتصالح رجلها ولا يترك الرجل امرأته .

أما العذارى فليس عندى أمر من الرب فيهن ولكنني أعطي رأياً كمن رحمه السرب أن يكون أمينا ، فأظن أن هذا حسن لسبب الضيق الحاضر أنه حسن للانسان أن يكون هكذا :

أنت مرتبط بامرأة فلا تطلب الانفصال ، أنت منفصل عن امرأة فلا تطلب امرأة لكنك ان تزوجت لم تخطئ\* وأن تزوجت العذراء لم تخطئ\* ولكن مثل هو\* لا يكون لهم ضيق في الجسد وأما أنا فإني أشفق عليكم فأقول هذا أيها الاخوة الوقت منذ الآن مقصر لكي يكون الذى لهم نساء\* كأن ليس لهم ، والذين يبيكون كأنهم لا يبيكون والذين يفرحون كأنهم لا يفرحون والذين يشترتون كأنهم لا يملكون والذين يستعطون هذا العالم كأنهم لا يستعطونه لأن هيئة هذا العالم تزول .

فأريد أن تكونوا بلا هم غير المتزوج يهتم في ط للرب ، كيف يرضي السرب وأما المتزوج فيهم في ط للعالم كيف يرضي امسراته .

ان بين الزوجة والعذراء فرقا . غير المتزوجة تهتم في ط للرب لتكنون مقدسة جسدا وروحا وأما المتزوجة فتهتم في ط للعالم كيف ترضي رجلها (١) .

هذا النص المضطرب والمخل ، يجعل القارىء في حيرة من أمر بولس ففي بدايته يقرر أن من الحسن الالتزام بالتبطل ويدعو المسيحيين أن يكونوا مثله دون زواج وفي وسط النص يستدح الزواج ويقر بأنه خير من التحرق .

وصحيح أنه فصل الحالات المختلفة وأعطى نصائح الخاصة ازاها إلا أن التردد بشأن الزواج وعدمه بدا واضحا على دعوته .

وقد حلل د . شعلان نفسية بولس بعد دراسة مستفيضة حول تردده وما اعتراه من اضطراب في هذا النص وخرج بنتيجة مفادها ان بولس ( دخل في المسيحية لغاية محددة وبفكر معين يريد تنفيذ تلك الغاية لكن بذلك\* وحيلة ، انه لا يريد ان تكون معارضة لما استقر في أذهان الناس من قول المسيح بشأن الزواج معارضة صريحة وقاطعة بل يريد أن يكون متفقا في بعض الاحيان غير متفق في أحيان كثيرة أخرى حتى لا يتهم بأنه مبطل لشريعة المسيح . . . ومهما يكن من أمر فان دعوه

بولس هذه بجانب طلب المسيح من أحد أتباعه أن يبيع أملاكه ويتخلص من كل شيء\*  
ويجيئ\* فيتبعه هذه الدعوة كانت فيما بعد الاساس الأول الذي اعتمد عليه معتقدو  
فكرة الرهينة (١).

الا أن الأثر الذي أحدثته دعوة بولس كان لها انعكاس على سائر رجال  
الكنيسة فيما بعد ، فها هو ترتوليان وهو من كبار رجال الكنيسة المسيحية (١٦٠-  
٢٤٠) م يطلق دعوة بولس ويشرح ما رمى اليه من التبتل في نصيحته فيقول :  
( ان الأفضل من حالتين لا يلزم ان يكون خيرا في ذاته ، فلإن يفسد  
الانسان حيناً واحدة أفضل من أن يفقد كلتي عينيه . ولكن فقد عين واحدة ليس  
من الخير في شيء\* فكذلك الزواج : فهو : لمن لم يقو على العفة أفضل من ان يحرق  
بنار جهنم ولكن الخير أن يتقى الانسان الأمرين معا : فلا يتزوج ولا يعرض نفسه  
لعذاب النار وان قصارى ما يحققه الزواج انه يعصم الفرد من الخطيئة على حين  
ان التبتل يروض المرء على اعمال القديسين وبذلك له السبيل الى منزلة الاشراق  
ويتم له أن يأتي بالمعجزات ) (٢).

ومع مرور الوقت بات من الضروري بالنسبة للكنيسة وضع ترتيبات معينة  
لتنظيم أمور القسس والرهبان ففي القرون الثلاثة الأولى لم يكن يطلب الى القسس  
ان يظل عزبا ( ان ) كان في مقدوره ان يحتفظ بزوجته اذا كان قد تزوج بها قبل  
رسامته ،

ولكنه لم يكن يجوز له أن يتزوج بعد أن يلبس الشياح الكهنوتية  
ولم يكن ( كذلك ) يجوز لرجل تزوج باثنتين أو بأربعة أو طلق زوجته  
أو اتخذ له خلية أن يصبح قسيسا (٣)

الا ان العكوف على نصوص بولس أدت ببعضهم الى استنتاج أن ( كل  
اتصال بين الجنسين خطيئة ، ولذلك كانوا يعارضون في الزواج بوجه عام ، وتمتلك  
سامعهم من الهلع اذا سمعوا ان قسا تزوج وقد اطن مجلس جنجرا ( Gengha )  
الديني ( حوالي ٣٦٢ ) ان هذه الاراء لا تتفق مع الدين ولكن الكنيسة مع ذلك  
ظلت تطالب قساوستها وتطع عليهم الحاحا متزايدا أن يظلوا بلا زواج (٤)

- ١ - نظام الاسرة بين المسيحية والاسلام . د . محمود عبد المسيح الشعلان  
١ : ١٧٢ دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م
- ٢ - كتاب : بحوث في الاسلام والاجتماع . علي عبد الواحد وافي ص ٢٧١  
وقاله عن موقف اليهودية والمسيحية والاسلام من العزوبة في مجلة الازهر  
عدد محرم ١٣٧٩ هـ .
- ٣ - قصة الحضارة ٤ / ١ : ٩٣-٩٤
- ٤ - المصدر السابق .



وطى الرغم من مراقبة الكنيسة لرجالها فان هذه القيود لم تضنح  
من انتشار الزنا والفاحشة بين رجال الكهنوت الذين أمكن لهم استغلال النصوص  
لصلحتهم وقد أدى ذلك إلى انحطاط مكانة القس في أعين الشعب ، ولهذا  
فان مجمعا مقدسا عقد في عام ٣٨٦ م أشار طى رجال الدين بالعفة المطلقة  
وبعد عام من ذلك الوقت أمر البابا سيريسوس ( *SIRICIUS* ) بتجريد  
كل قس يتزوج أو يبقى مع زوجته التي تزوج بها من قبل وأيد جبروم واجرور واطسطين  
هذا المرسوم بقواتهم الثلاثة (١).

ومنا عليه فان الكثير من فقهاء الكنيسة المسيحية ينظر الى ( هذه الحقائق  
على أنها من الأمور السلسلة في الدين بالضرورة أي التي لا يجوز إنكارها ولا الشك  
فيها حتى أن مجمع ( ميولانس *MEDIO LANENSE* ) المسيحي قد حكم في  
أواخر القرن الرابع الميلادي على الراهب " جوفينيان *JO VEMIAN* ) " بالطرد  
من الكنيسة لأنه طرض المبدأ المسيحي الذي يقرر أن التبتل خير من الزواج (٢)  
وتجد الإشارة إلى أن فرقة ( المارسيونيين *MARCIONITES* ) وهي  
فرقة مسيحية اعتنقت مذهب مرسيون ( ذهب ) الى ما هو أبعد من ذلك فحرمت  
الزواج تحريماً باتاً على جميع افراد نحلقتها كما فعلت فرقة الحسيديين من  
اليهود ( الاسينيين ) وواجبت على كل متزوج يرغب في اعتناق مذهبها من الذكور  
والاناث أن يفترق عن زوجه وبدون ذلك لا يمكن قبوله ولا تعميده .  
ومع أن الفرق المسيحية الباقية الى عصرنا الحاضر لم تأخذ بهذا المذهب  
فان نظرة المسيحية الى التبتل على أنه الحالة المثلى والى الزواج على أنه مجرد  
ضرورة قد أدت بالتدريج الى نظام العزوبة المفروض على الرهبان وطي القسيسين  
في المذهب الكاثوليكي (٣).

الا أن هذا المذهب والجزر وعدم الاستقرار على قانون قاطع أرفع القائلين  
بعدم زواج الرهبان إلى عقد مجمع لهذا الغرض ، ففي ( أوائل القرن الرابع  
الميلادي أصدر مجمع الفيرا *ELVIRA* ) في اسبانيا قراراً بتحريم الزواج والابتعاد  
عن كل شهوات الجسد على كبار رجال الكنيسة .

وفي أواخر القرن الحادي عشر أصدر البابا جريجوار السابع أمراً بوجوب

١ - قصة الحضارة ١ / ٤ : ٩٤ ، وكان سيريسوس هذا أول من وضع قانوناً بوجوب  
العزوبة فيما بعد انظر : الزواج ، عمر رضا كحالة ١ : ٣٧ مؤسسة الرسالة ط ٣

١٩٨٤ - ١٤٠٤ هـ

٢ - الاسفار المقدسة د . وافي ص ٨٤ ٣ - موقف اليهودية والمسيحية والاسلام  
من العزوبة ص ٣٣-٣٤

المعزوية ، على جميع القساوسة والرهبان كبارهم وصغارهم حتى لا تتدنس صفاتهم الكهنوتية بالاتصال الجنسي ، ومع أن هذا القرار قد لاقى في مبدأ الأمر معارضة شديدة في كثير من المناطق المسيحية ، فإنه لم يكد ينتهي القرن الثالث عشر الميلادي حتى كان نظاماً مقرراً في الكنيسة الكاثوليكية ومطبوقاً على جميع القساوسة والرهبان والراهبات من النساء<sup>(١)</sup> .

وقد أسفرت هذه القرارات عن اضرار جسيمة ، وخلل عميق في مفهوم المسيحيين للزواج وأهدافه . فالتحلل الخلقي والفساد الاجتماعي الذي وقع فيه القسس والرهبان كان في جانب كبير منه يرجع الى عدم السماح لهم بالزواج وهذا ما دعا مارتن لوترزيم حركة الاصلاح الهروتستانتية الى الثورة على الكنيسة ( وكان لوتر قد نذر نفسه لله ولن يتزوج . ولم يكف بأنه عاد فتزوج ، بل تزوج راهبة كانت تاذرة نفسها لله مثله )<sup>(٢)</sup> .

وكان اسم هذه الراهبة كاترينا وقد قال لوتر في ذلك ( قد عزمت على رغم اعدائي ان أتزوج راهبة ليعلموا أنهم لم يخلصوني )<sup>(٣)</sup> .

وقد وجهت انتقادات كثيرة الى قرارات حظر الزواج على الرهبان خاصة في الغرب ، كذلك الامر بالنسبة للشرق .

ان تلاشت قرارات البابا سريسيوس جيلاً بعد جيل فكانت حياتها قصيرة الاجل . اما ما جاء بعده من قرارات فقد تبنت الهروتستانتية مقاومته<sup>(٤)</sup> .

يقول أفلاطون مطران موسكو : ان الكنيسة الارثوذكسية لا تفرض المتولية على المزمع على الكهنوت ( ف المتولية مباحة متى كانت عن رضى واختيار لا عن الزام واجبار وهذا هو المراد بقول يسوع المسيح ( انه يوجد خصيان خصوا انفسهم لاجل ملكوت السموات ) متى ١٩ : ١٢ ، لذلك كان فرض عدم الزواج على الكهروس مخالفاً لقوانين الكنيسة وطاداتها كما هو مضاف للطبيعة الانسانية )<sup>(٥)</sup> .

هذا الاعتراف شاهد على العنت والمعاناة التي شهدتها المجتمع المسيحي من جراء القيود المفروضة عليه والتي انعكست آثارها السلبية على افرادهم . ليس فقط على الرهبان وحدهم بل على الافراد العاديين وقد رسم الاستاذ محمد قطب بعضاً من هذه المعاناة التي يعيشها المسيحي العادي في مجتمعه وفق الصورة التالية :

- ١ - موقف اليهودية والمسيحية والاسلام من المعزوية ص ٣٠٤
  - ٢ - محاضرات في النصرانية لابي زهرة ص ٢١٦ - ٥ : نفاق اليهود ، مارتن لوتر . ت : عجاج نويهض ص ٤٤ . دار الفكر : ط ١ ، ١٣٩٤ هـ - ٣٠ - تاريخ الاصلاح في القرن السادس عشر ، للعلامة " ميرل دو بينيه " . ت : ابراهيم الحوراني ص ٤٧٦ ، منشورات مكتبة الشعل ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٢ م .
  - ٤ - قصة الحضارة ٤/١ : ٩٤
- وقد اذ ان لوتر المعزوية وألف كتاباً عن ابطال الرهبانية ، راجع : تاريخ الاصلاح ص ٣٦٩ و ٢١٠
- ٥ - الخلاصة الشبهية ص ١٣٩

(ولكن بقية الشعب المسيحي يتزوج على أي حال ، ولا يأخذ نفسه بالرهينة والانقطاع عن شهوات الحياة ، فهل تنتهي المشكلة عند هم بالزواج ؟ كلا إن الصبي الذي ينشأ في جو العقيدة المسيحية ، ينشأ وفي نفسه عقيدة تستنكر الجنس وتستقذره وذلك من وحي الاشعاط الدينية التي يلقبها اليه رجال الدين والكتب المقدسة ويطلقها من أبيه ومن مدرسه ومن كتب النماذج والتحذيرات فإذا كبر هذا الصبي ووصل الى سن المراهقة فالبلوغ ، فهناك الأزمة العنيفة التي يصطدم بها على غير انتظار . هناك الدفعة الجارفة التي تنادي به أنا الليل واطراف النهار : أن أقبل واستجب ، واستمتع بتلك اللذة العارمة التي تثبت في أطوار جسدك ، وفي الجانب الآخر ذلك السيف الحلست او ذلك السوط المرتفع في الفضاء يهدد تهديداً لا ينقطع ويكاد يهوى على ظهر ذلك المراهق السكين بل هو يهوى عليه فعلا بين الحين والحين تسكسه يد خفيه لا تبين ، يتخيل أنسها يد الله أو يد القسيس أو يد الوالد أو المدرس أو من يكون من صور الرادعين والزاجرين عند ذلك يبدأ الصراع ثم لا يكف ابداً .

دفعة الجسد متجددة لا تنقطع وايحاءات الدين التي تصور الجنس ونساء وقذارة تلك الايحاءات التي ترسبت في نفس الفتى وهو طفل صغير تظلم هي الأخرى متجددة لا تنقطع ومن هذا الصراع تنشأ كما أسلفنا العقدة النفسية والاضطرابات العصبية التي تترك أثراً لا يسحوه بعد ذلك أن يتزوج هذا الفتى أو الفتاة في مقبل الأيام بل أثبت الطب والتحليل النفسي أن كثيرا من أسباب الشقاء الزوجي يرجع أصله الى عقد الصبا والمراهقة وأن الزواج لم يحلها بل كبرها كما يكبر المجهر النقطة الصغيرة . ( ١ )

هذه هي الصورة المزرية التي يعيش في كنفها الانسان المعادي في الوسط المسيحي ، فكيف يعيش الرهبان ، ؟ لا شك أن التعاسة والكآبة تأخذ حيزاً كبيراً وأضخم ما تأخذ من أي إنسان آخر . ولن أتعرض الآن للصورة الشرقة التي يشيعها الاسلام في ربوع أهلها فذاك سيكون الحديث عنه بعد استعراض موقف الرهبانية ونظرتها الى المرأة . كي تستكفي الصورة التي يراها الرهبان بالنسبة للنساء .

---

١- الانسان بين الطادية والاسلام ، محمد قطب ،

### ثالثا : نظرة الرهبانية الى المرأة

الدعوة السحوية التي أطلقها بولس شتتت بها أفكار المسيحيين ، وانعكست سلبا على أوضاع الرهبان والمسيحيين أجمعين ، إذ أضى الزواج في عرفهم بؤرة للمعصية ومفتاحا للذنوب والخطيئة .

وتبعاً لذلك إنعكس الوضع على موقف رجال الكهنوت من المرأة ، التي راحت ضحية لتعاليم بولس ومن لف لفه .

لقد صب بولس جام غضبه على المرأة ، مطحدا برجال الكهنوت التي أخذت كلامه بشي\* من التقديس والإحترام ، فهو يقول بشأنها :

( ولكنني أخاف انه كما خدعت الحية حواء\* بكرها هكذا تفسد انهانكم عن البساطة التي في المسيح ) ( ١ )

وقوله أيضا ( ولكن لست آذن للمرأة أن تعلم ولا تتسلط على الرجل بسبل تكون في سكوت لان آدم جبل أولا ثم حواء\* وآدم لم يفرغ ولكن المرأة أقيمت فحصلت في التعدي ) ( ٢ ) .

فاصرار بولس على ترديد تهمة الخطيئة كانت سببا رئيسيا لاعلاء شأن البتولية على الزواج في الشريعة المسيحية . ( ٣ )

هذا ما تفتقت عنه قريحة بولس وهذا ما بشر به من تعاليم ضد المرأة فقد حطها إثم الغواية. وألحق بها جرم التعدي ولهذا نراه فيما بعد يتخذ قرارات بشأنها تلزمها بالصمت والخضوع ومن ذلك قوله ( لتصمت نساءكم في الكنائس لأنه ليس طأنوا لهن أن يتكلمن بل يخضعن كما يقول الناموس أيضا ولكن أن كن يبررن أن يتعلمن شيئا فليسالن رجالهن في البيت لأنه قبيح بالنساء\* أن تتكلم في الكنيسة ) ( ٤ )

وقوله في موضع آخر ( أيها النساء\* اخضعن لرجالكن كما للرب لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضا رأس الكنيسة وهو مخلص الجسد ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح كذلك النساء\* لرجالهن في كل شي\* ، أيها الرجال احبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضا الكنيسة وأسلم نفسه لاجلها . . . ) ( ٥ )

١ - رسالة بولس الى أهل كورنثوس ١١ : ٣

٢ - ١ تيموثاوس ٢ : ١٢-١٤

٣ - انظر : نظام الزواج في اليهودية والمسيحية د . محمد شكرى سرور ص ٦٦ ، دار الفكر العربي بمصر ط ١٩٧٩-٧٨ م وقارن مع : الذات الالهية بين الاسلام والنصرانية ص ٢٠٤

٤ - ١ كورنثوس ١٤ : ٣٤-٣٥ ٥ - افسس ٥ : ٢٢-٢٥

ولكن ماذا ينفع الحب في هذه الحالة بعد أن وصمها بالفجوة وقبول الخداع ، وماذا ينفع الحب بعد أن وجه اليها تهمة التعدي . وكيف ستكون نظرة الرجل اليها بعد زعزعة الثقة بها .

ولا أدل على ذلك من موقف رجال الكنيسة الذين تتبعوا خطا بولس فمن ذلك ما قاله القديس يوحنا الدمشقي ( المرأة أخت الخديعة ومارس الجحيم وهم السلام ، بسببها طرد آدم من الجنة ... )

وقال القديس سيربان :

المرأة هي الأداة التي يستخدمها الشيطان للسيطرة على أرواحنا .

وقول القديس أنطون :

المرأة هي منيع سلاح الشيطان وصوتها فصيح الأفعى ( ١ ) وقد بحث مجمع ماكون ٥٨١ م فيما إذا كان للمرأة نفس وهل تعد من البشر ( ٢ )

هذه الأقوال جعلت موقف المرأة يهتز أمام المجتمع المسيحي الذي ظل إلى قبيل الثورة الصناعية عرضة للطعن والشتم فضلا عن اعتبارها قطعة من اثاث المنزل يحق لزوجها بيعها وشراؤها متى شاء .

إما الإسلام فإنه لم يلبجأ إلى هذا الموقف المعادي منها ولم يتخذ قرارات ضدها ولم يتعرض لمكانتها ولم يصمها بالفجوة والفساد . ففي قصة آدم طيبه السلام لم يكن اللوم منصبا عليها وحدها ، وفي ذلك يعرض القرآن الكريم موقفه الواضح حيث يقول الحق تبارك وتعالى ( فقلنا يا آدم ان هذا عدوك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ، ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظلمون فيها ولا تضغن ، فوسوسا اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وطك لا يبلى ، فأكلا منها فبدت لهما سوءتهما وطفقا يخصفا من طيها من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ( ٣ )

وهكذا يكون الأكل قد وقع منهط وان الفجوة لم تلحق بداية بالمرأة كما هي الحال في سفر التكوين ، كما تظهر المفارقة فسي ان الوسوسة كانت لآدم في حين ان العهد القديم يلقى اللوم على المرأة بالفجوة . وطيبه فان الإسلام قد كرم المرأة واعطاها حقوقها التامة في وقت كانت اوضاعها المزرية في مقام لا تحسد عليه . وقد حرص الإسلام على صلاحيتها واعتبرها دعامه أساسية في عطية التربية والتوجيه ، وحضر على اعتبارها مساوية للرجل في انسانيتها ومن حيث كونها مخلوقة من نفس واحدة قال تعالى : ( يا ايها

١ - الإسلام والمسيحية ص ١٩ - ١٢٠ ٢ - بعد جدال طويل عنيف كان الجواب ان لها نفسا وانها بشر ولكنه كان بأكثرية قليلة وان كانت الفكرة الغالبة طيبهم ان المرأة خالية من الروح الناجية ما عدا السيدة مريم ( : المرأة في الشعر الجاهلي . د . احمد محمد الحوفي ص ٣٤ - ٤٢ ط ٢ دار الفكر العربي مطبعة المدني .

الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما  
رجالا كثيرا ونساء ( ١ )

وقد أعطاهما حقوقها الطالية وحرية التصرف بطمكيتها الخاصة ولم يفرض  
عليها قيودا تنزل من مكانتها ( ولهن مثل الذي طيهن بالمعروف وللرجال  
طيهن درجة ) ( ٢ ) . وذلك للسوءولية الأجتاعية التي يتحطها الرجال تجاه  
الانفاق وتدبير الشؤون العامة . ولقوله تعالى ( الرجال قوامون على النساء  
بط فضل الله بعضهم على بعض وما اتفقوا من أموالهم ) ( ٣ )

كل ذلك كان ضمن توجيهات تحمي المرأة من الوقوع في المخاطر . وقد  
حصنها وذلك بتربية نوازع الخير فيها . وهذبها بتعاليمه السمحة ، كما وجسه  
الرجال للمحافظة طيها والعناية بأمرها ومعالمتها معاملة قائمة على الود والاحترام  
ودعا الى تعليمها وتثقيفها ثقافة تطبق بوضعها كام واخت زوجة وابنة ( ٤ )

وهكذا يتضح الفرق بين نظرة الاسلام اليها وبين نظرة الرهبانية وموقفها  
منها .

وبعد فهذه هي الأسس التي بنت طيها الرهبانية نظرتها  
الى الحياة والنفس البشرية والزواج والمرأة .

وباستقراء الاسباب التي أدت الى اتخاذ مثل هذه المواقف  
يمكن حصرها بالاتي :

- اولا : التأثيرات الاجنبية على الرهبانية ونظمها ومبادئها .
- ثانيا : نظرة الرهبان الى حياة المسيح الخاصة
- ثالثا : نظرة الرهبان الى الاضطهادات والحروب التي ألمت بهم .

وسيتبع البحث كل أثر على حدة للوقوف على الزائق التي  
وقعت فيها الرهبانية .

---

١ - النساء : ١  
٢ - البقرة : ٢٢٨  
٣ - النساء : ٣٤  
٤ - يراجع في هذا الصدد السور والايات على النحو التالي : النساء : ٣٢  
السرور : ٢١ ، التوبة : ٧١ ، النحل : ٩٧ ، الاحزاب : ٣٥  
الى غيرها من السور والايات . ولا ننسى الاحاديث الكثيرة الواردة في كتب  
السنة والتي أمرت بتكرهم المرأة ومعالمتها معاملة لائقة .

اولا : التأثيرات الاجنبية على الرهبانية ونظمتها ومبادئها

ان الاسس العقديّة للرهبانية المسيحية امتازت بقابلية فريضة احتوت واجتذبت بموجيها مبادئ وطرقا شتى يمكن وصفها بالتلون والقدرة على معايشة الآراء التاليفية .

وصحيح أن الرهبانية بدعة نست وترعرعت داخل الجحطات الأولى التي تلت عهد الحواريين ، إلا أن هذه البدعة لم تكن لتتفقم لولا المؤثرات الخارجية الأخرى التي باركت هذا النمو وعلت على رهايته ونطاه .

فما إن حل القرن الثالث الميلادي حتى غدت الرهبانية هذه قائمة على سوقها تنهل مبادئها وقوانينها من انظمة الرهبنة السابقة عليها .

وقد تعرض البحث في الأبواب السابقة لمبادئ الرهبنة البدائية عبر التاريخ المسحيق ابتداءً من المصرية مروراً بالهندية ووصولاً الى اليهودية التي كان لها دور بارز في سد الرهبانية بالنظريات والأطر الجاهزة فكانت بحق تمثل صلة الوصل ما بين رهبنة الاديان الوضعية ورهبانية النصارى .

وهقر الكُتَّاب المسيحيون بهذه الصلة التي تربط رهبانهم بالاسينيين رواد وادي قمران فمن ذلك ما قاله بطرس البستاني ( ١ ) ومن أول من اعتزل ديبنياس الاسينيون الاسرائيليون ففسى بعض المؤلفين بالاسينيين الذين يضايقون أنفسهم بالصيام والذين ينقطعون بضع ساعات نهاراً وليلاً الى التضمرات والصلوات والذين يبذلون أموالهم وأيامهم في سبيل إطالة الفقراء وعيادة المرضى والاعتناء بهم وكان الاسينيون من النصارى يسكنون عادة المدن ويلبسون أثواباً فاخرة اللسبون مخصوصة بهم كأثواب الحكما القدماء ( ٢ ) .

كما بحث الرهبان المعاصرون قضية ما اذا كان للرهبانية المسيحية بالفعل سوابق في البيانات الوثنية ( ك ) البوذيين مثلاً ولدى الافلاطونية الجديدة في اليونان وفي البلاد اليهودية بواسطة شيعة الاسينيين المعاشين على ضفاف البحر الميت ( قمران ) واعترافاً بالواقع المشهود لم ينكر المسيحيون أن بين هذه الطرق وبين الرهبانية المسيحية بعض أوجه الشبه ( ٢ ) .

١ - دائرة معارف بطرس البستاني ٦٨٨/٨

٢ - تاريخ الكنيسة الشرقية الاب البيرابونا ١ : ١٦٢ الطبعة

العصرية ، الموصل العراق .

وقد طُلَّت هذه الظاهرة بانها تابعة ( من طبيعة الانسان بالذات ومن غرائزه الدينية ) تحت كل سطر وفي جميع العصور كانت نفوس اكثر سخاءً وأشد تعطشا الى الكمال ، إنها بحثت في الممارسات الدينية والحرمان ، والآلام الارادية عن واسطة للتقرب أكثر فأكثر من الله وصولا الى طهارة أسس ( ١ ) .

وان الانسان ( التواق الى الكمال قد وجد في مختلف الأجيال طريقه الى هذا الكمال - حسب - فهمه في الإماتات وضبط النفس وقهر الحواس ) ( ٢ )

وهذا الكلام وان إستشف منه سمو الهدف ، إلا أن الواقع يهوك : ان الانسان مطور على حب التعمد ، وان الطريق الذي يخطه الانسان بنفسه ولعبادته هو غير الصراط الذي وضعه الخالق له عبادة ومنسكاً وطريقاً نحو الكمال وهنا منشأ الضلال الذي يقع فيه الرهبان .

فالا جتهاد الانساني الذي نجد في القوانين الخاصة بالرهبانية هو اجتهاد محدود ألزم الرهبان انفسهم به وصولا الى كمال مزعوم ، ومعنى ذلك أن طريقته لم تكن تابعة من رسالة سلاوية موحى بها من عند الله تبارك وتعالى بل هي محض نظريات فردية بنيت على أساس معاناة الانسان وتقصفه وقهر حواسه وصولا الى هدف يظن أنه سام . وما هو الا ابتداء في الدين ، وخروج عن تعاليم النبي المرسل .

وقد يتساءل المرء عن مدى نفع هذه الطرق التشفية مادامت لا تستند الى عقيدة صحيحة أو شريعة سائوية واضحة .

وتكمن الإجابة عن هذا التساؤل في معرفة أثر الفراغ الروحي الصحيح الناشئ عن البدع الكثيرة واختراع العقائد واحدة تلو الأخرى . فط ان تتجمع واحدة في بيئة حتى تظهر لها طبقة كهنوتية تحاول بشتى الطرق المحافظة عليها بينما أنظمة لها جاذبة من نفسها وصية على هذا التراث المخترع وتبقى متمسكة به حفاظا على منصبها ورتبتها الكهنوتية .

ومن هنا تكمن الحاجة الملحة الى ارسال الرسل وانزال الكتب السائوية لدى هذه الاعترافات كلما تاه البشر في خضم التيارات المختلفة .

١ - التنظيم الرهباني في الكنيسة البارونية ، الاب يوسف محفوظ . ت : الاب يوحنا خليفة ص ٣٤ ، المركز الوطني للبحوث العلمانية في باريس طبع في بيروت ١٩٧٠ مطابع مؤسسة الارز .

٢ - تاريخ الكنيسة الشرقية ١ / ١٦٧



ولا شك ان هذه التأثيرات الخارجية قد انعكست على السهادى'  
السلوكية للرهبانية المسيحية كما هو الحال بالنسبة للأسس العقديّة .

وأكثر ما تتضح هذه التأثيرات في كل من :

أولا : النذور الثلاثة

أ - الفقر

ب - العفنة

ج - الطاعة لرئيس الدير .

ثانيا : في لباس القسس والرهبان

ثالثا : في اتخاذ الأديرة والكهوف للاعتزال

رابعا : في الطقوس الكنسية وغيرها .

وسيتعرض البحث لبعض هذه التأثيرات خلال فصول

قادمة إن شاء الله تعالى .

ثانياً : نظرتهم إلى حياة المسيح عليه السلام الخاصة

يعتبر الرهبان المسيحيون عيسى عليه السلام هو الراهب الأول . . .  
ولهذا فإن نشوء الرهبانية عندهم يبدأ به ، فهم يزعمون أنه قد شق لهم ( طريق  
الخلاص والحياة فقراً وعبدة ، وطاعة صليب حيا بالله الاب (١) ) وان الحياة الرهبانية  
قد انبثقت من تعاليمه ومن حياته المثلى الذى اسسها في جوهرها واضعا لها  
العبادى الأساسية داعيا النفوس الأكبر سخاء الى انتقالها ليتشبهوا به طس  
اكل وجهه مسكن ( ٢ ) .

ويستند هؤلاء الى ما جاء في لوقا ( وقال للجميع إن أراد أحد  
أن يأتي ورائي فليترك نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعني (٣) ) الى غيرها من الأقوال (٤)  
يقول ترتوليان : ( إن جسم المسيح نفسه قد جاء من بتول عذراء . . .  
والقديس يوحنا المعمدان ( JEAN BAPTISTE ) يحيى بن زكريا طيبها  
السلام والرسول بولس وجميع اخوانه الحواريين الذين سجلت اسماؤهم في سفر  
الخلود آثروا التبتل وحثوا الناس طيه . . . . وقد فتح السيد المسيح للخصيان  
ابواب السطة لان حالتهم قد باعدت بينهم وبين قربان النساء . ولو أن آدم لم  
يمصر به لعاش طهورا حصورا ، ولتكاثر النوع الانساني بطرق أخرى غير هذه الطرق  
البهيمة ولعمرت الجنسة بفضيلة من الطاهرين الخالدين (٥) ) .

ويظهر هذا الكلام مدى الافتتاح على الله تبارك وتعالى وعلى سننه  
في الخلق ، كما انه تزيّد وسوء أدب مع العزة الإلهية وتقول لم يسبق إليه أحد .  
وقد عنى ترتوليان بقوله ( وقد فتح السيد المسيح للخصيان . . . . )  
ما ورد في متى ( لأنه يوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات من استطاع  
أن يقبل فليقبل (٦) ) .

١ - الحياة الرهبانية ، رهينة مارجا ورجيوس دير الحرف ، ص ١٥ ، منشورات النور

٢ - الرهبانية الباسيلية الشورية . د . أ . حاج ٣٤/١ ، ط ١٩٧٤ ، لبنان

٣ - لوقا ٩ : ٢٣

٤ - راجع لوقا ١٤ : ٢٧ وكذلك كولوسي ٣ : ١-٢

٥ - الاسفار المقدسة . د . وافي ص ٨٣

٦ - متى ١٩ : ١٢

وقد مشى أورجيين حسب وصية هذا النص وخصى نفسه ، إلا أنسه  
كان شديد الحرص على عفته كما يعتقد علماء المسيحية ، وإن كان في واقع أمره  
قد تتبع المعنى الحرفي للنص ولم يفقه المعنى الحقيقي الذي يرمى إليه لوصحت  
نسبته إلى المسيح عليه السلام .

وإزاء هذا الوضع فإن البحث معني بالتطرق إلى :

حياة كل من عيسى ويحيى عليهما السلام ، وموقف الاسلام من  
الستبل والخصاء . وذلك للتوصل إلى نظرة الاسلام إلى الزواج ومكانته .

إن موقف الاسلام من عدم زواج عيسى عليه السلام لا يتفق مع ط براء  
الرهبان من أنه هو الراهب الأول ، فوضعه الخاص لا يمكن القياس عليه سيما  
وأنه قد واجه أمة منحرفة في دينها عن الصراط المستقيم ، نتيجة الأمراض التي  
اهترتها والأوبئة التي فتكت بها والناجمة عن اشتغالها باكتناز الأموال وهتك  
الأعراض وانحراف كلي في الأخلاق والمعاملات .

ونظراً لقصر زمن رسالة عيسى عليه السلام في قومه وضخامة الجهد  
الذي بذله في التبليغ والانداز ، فقد شغل بهذه القضايا وأعطاهما جل إهتمامه  
فضلاً عن الضائقات التي لاقاها في حياته اليومية من قبل اليهود وغيرهم ، كما  
لا يخفى على المسيحيين وكتاب التاريخ ما كان يقوم به عليه السلام من تنقلات بين  
المدن الفلسطينية وقراها للوعظ والارشاد .

وقد جاء رفعه كما سلف مبكراً وهو لا يعد و سن الكهولة عاملاً  
مهماً في عدم زواجه ، فلو كتب له البقاء أكثر لما تأخر عن الزواج ، والله اعلم .  
ومن مواقفه عليه السلام من المرأة ما يعطي انطباًاً عن عطفه  
وحنانه تجاهها ، وقد حفلت الأناجيل التي يعترف بها النصارى بالقصص والروايات  
التي تصور مواقف عديدة للمسيح من المرأة ولكنها تتسم بالتقديس والاحترام لها  
وعدم المساس بمكانتها الاجتماعية .

١ - لاحظ تلك الأحداث التي مرت بالمسيح من خلال الآتي :

أ - حديثه مع المرأة السامرية بالقرب من قرية سوخار وكيف وهبها بلين ورفق انظر :  
يوحنا ٤ : ٤-٤٢ / ب - حنانه على الأرملة واقامة ابنها من الموت في قرية  
ناييم ، انظر لوقا ٧ : ١١-١٢ / ج - قبوله الطبيب من المرأة الخاطئة التي دهنته  
به ، انظر : لوقا ٧ : ٣٦-٥٠ / د - شفقتة على ابنه بايرس وشفائه للمرأة التي  
نزفت دماً في كفرناحوم ، انظر متى ٩ : ١٨-٢٦ / هـ - شفاؤه لابنه المرأة السورية  
الغنيقية في اقليم صور وصيدا انظر : متى ١٥ : ٢١ / و- نزوله في بيت مرثا ومرثم  
ونصحه لهما في " بيت عنيا " انظر : لوقا ١٠ : ٣٨-٤٢ إلى غير ذلك من القصص .

ولم يقتصر الحال على المسيح عليه السلام بل ان التلاميذ قد وقفوا أيضا  
من المرأة بما يتناسب مع تكريم المسيح لها وطفه عليها ، وقصصهم مدونة في اناجيلهم<sup>(١)</sup>  
فلم التعالي عن الحق . ؟

ومن جهة ثانية فإن طما\* مقارنة الاديان مدعوون لمعاينة تلك  
الدراسة التي ظهرت حديثا في كتاب " الكاهن والسلالة والكنز " وهي لثلاثة  
باحثين غربيين هم : مايكل بيجنت ، ورتشارد لي ، وهنري لنكولن .<sup>(٢)</sup> الذي سن  
حاولوا إقامة البراهين تاريخيا على ان قصة صلب المسيح مفتعله وان هناك ما يفيد  
انه عاش حتى عام ٤٥ م وان هذا يدل على احتمالات زواجه من مريم المجدلية  
مستشهدين بعدة قرائن تاريخية معتدة على اناجيل منعت الكنيسة تداولها  
كانجيل "توما" وحكمت بتحريمها الى جانب دلائل اخرى ليست موضوع هذا البحث .

ط الحديث عن يحيى عليه السلام :

فان القرآن الكريم قصطينا ط يبين حاله فقد قال الحق تبارك وتعالى  
( هناك ما ذكرها ربه ، قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء\*  
فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في السجرات ان الله يبشرك بيحيى صدقا بكلمة  
من الله سيدا وحسورا ونبيا من الصالحين ) .<sup>(٣)</sup>

والحضور عند طما\* اللسفة له عدة معان منها :

- الناقة الضيقة الاحليل .

- الذي لا يأتي النساء\* .

- الضيق البخيل (٤)

وقد نقل أغلب المفسرين معاني هذه الكلمة وبينوا الاراء المتعددة

في تفسير الآية و المقصود من قوله تعالى (سيدا وحسورا ) .

وقد اختار هذا المفسرين والمحققين : ان المراد من ( الحصور هو

الذي لا يأتي النساء\* لا للمعجز بل للعبء والزهد وذلك لأن الحصور هو الذي يكتر  
حصر النفس .<sup>(٥)</sup>

١ - راجع في ذلك : اعمال الرسل ١ : ١٣-١٤ وكذلك رساله يوحنا الثانية ١ : ١٦  
ورسالة يعقوب ١ : ٢٧ وغيرها . وراجع تعليقات العقاد حول الموضوع في حياة  
المسيح ١١- /٣١٨

٢ - راجع : مجلة المسلمون العدد ٢٢- الى ٣٣ من ١٠ / ٦ / الى ٥ / ٨ / ١٤٠٢ هـ  
عرض وتحليل د . محمد ابراهيم الشوش . السعودية .

٣ - ال عمران : ٣٨-٣٩ ٤ - راجع : تاج اللسفة وصحاح المسربة ، للجوهري

ت : احمد عبد الغفور عطار ، مادة حصر . ٥ - : التفسير الكبير للفخر الرازي

٣٦/٨-٣٧ ، ط ٢ دار الكتب العلمية ، طهران ، وكذلك ارشاد العقل السليم الى  
مزايا الكتاب الكريم لابي السمود ١ / ٤٧٦ ، مطبعة السعادة .

وقد وافق الإمام ابن كثير القاضي عياض في رده على من قال ان يحيى عليه السلام كان "هيما" أولا ذكر له ، بل قد انكر هذا كبار المفسرين والنقاد وقالوا : هذه نقيصة وصيب ولا يليق بالانبياء عليهم السلام وانما معناه أنه معصوم من الذنوب أي لا يأتيها كأنه حضور عنها ، وقيل : مانعا من الشهوات . وقيل : ليست له شهوة في النساء ، وقد بان لك من هذا أن عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل في كونها موجودة ثم يمنعها . . . . ( ١ )

واتما لهذا القضية الهامة فقد عرض العلماء مسألة كون العزوبة افضل أم الزواج ، وفي ذلك تفصيلات كثيرة وارا متعديدة .

فمن ذلك ما اوضحه الفخر الرازي حينما فاضل بين العزوبة والزواج بقوله ( احتج اصحابنا ( اي الشافعية ) بهذه الآية ( ال عمران ٣٨-٣٩ ) على ان ترك النكاح أفضل وذلك لانه تعالى مدحه بترك النكاح وذلك يدل على ان ترك النكاح أفضل في تلك الشريعة واذ ثبت أن الترك في تلك الشريعة أفضل وجب أن يكون الامر كذلك في هذه الشريعة بالنص والمعقول أما النص فقوله ( أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ) واما المعقول فهو أن الأصل في الثابت بقاءه على ما كان والنسخ على خلاف الاصل ( ٢ )

وهذا الرأي مرجوح . عند الجمهور .

وقد رده الإمام محمد رشيد رضا بقوله ( . . . نقول إن الآية ليست نصا ولا ظاهرة في ذلك واذنا سلمنا أنها تدل عليه فلا نسلم أنها تدل على أن ترك التزوج أفضل مطلقا . وليس يحيى بأفضل من أبيه ولا من إبراهيم الخليل ومحمد خاتم النبيين والمرسلين وسنة النكاح أفضل سنن الفطرة لأنها قوام هذه الحياة الدنيا وسبب بقاء الانسان الذي كرمه الله وخلق في أحسن تقويم وجعله خليفة في الارض السى الأجل السسى في علم الله ) . وسوف تتضح المسألة أكثر عند الحديث عن محاربة الاسلام للتهنل والخصا . ان شاء الله تعالى .

واتما للقضية يحيى عليه السلام فانه يحسن الاستئناس برأى العقاد في هذه المسألة التي ألع اليها أثناء الحديث عن السنذ ورين من بني اسرائيل وان يحيى عليه السلام كان طما من اعلامهم المعد ودين وفي ذلك يقول :

١ - تفسير ابن كثير ١/٣٦١

٢ - التفسير الكبير للفخر الرازي ٨/٣٦٧-٣٧

٣ - تفسير القرآن الحكيم ( تفسير المنار ) محمد رشيد رضا ٣/٢٩٧-٢٩٨  
دار المعرفة ط ٢ ، بالاونست . وراجع ما ابداه الالوسي في تفسيره :  
روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ١/١٤٨ ١٣٩٨ هـ  
١٩٧٨ م دار الفكر بيروت .

( ولا يشترط في النذرى والسندور أن يهجر العالم ويعتزل الناس في الصوامع ولكنه يراض على حياة التنطس فلا يجوز له شرب السموم ولا أن يدنس جسده بملاسة الموتى والأجسام المحرمة ، وعليه أن يرسل شعره ولا يحلقه قبل وفاة نذره ان كان منذورا لأجل سسى .

وقد يندر الطفل قبل مولده ويمتد نذره طول حياته ويقال حسن السندور انه بمثابة النبي في سنن الفتوة . قال النبي عاموس بلسان يهوا اله بنى اسرائيل ” وأقمت من بينكم انبياء ومن فتياكم نذريين لكنكم سقيتم النذريين خمرا وأوصيتم الانبياء ان يدعوا

والنبوة هنا بمعنى الانذار بما سيكون وليس النذريون طائفة موحدة ولكنهم ينتمون الى كل مذهب يوافق حمة الشباب وهذا الذى جعلهم قوة ذات بال في عصر الحيلاد خاصة لانهم جميعا فتان معمورة قلوبهم بالاطل ، معقودة نياتهم على الاصلاح ، يؤمنون بانهم رواد الدعوة الى المسيح الموعود ويتربون ظهوره للترحيب به والاصفا اليه ولا تحيط بهم طائفة معينة او مذهب محدد . ( ١ )

ووفق ذلك كله فانه يجب التأكيد على ان يحس عليه السلام باعتبر من وجهة النظر الاسلامية نيسيا جا لتقويم اعوجاج بنى اسرائيل والتبشير بقدم المسيح عليه السلام .

• نظرة الاسلام الى الزواج •

=====:====:

## نظرة الاسلام الى الزواج

بعد استعراض نظرة الرهبان الى حياكل من المسيح وحين عليها السلام ، وبوقف الاسلام من هذه القضية .

يأتي الحديث عن نظرة الاسلام الى الزواج وأحكامه في الشريعة

الاسلامية ومن ثم التحدث عن مكانته .

فقد سن الاسلام الزواج لحكم عظيمة ومقاصد رفيعة وأهداف نبيلة ،

وحض الشباب عليه وندب المسلمين اليه ، مبتغيا من وراء ذلك الأمور التالية :

اولا : عتارة الارض ، قال تعالى ( هو أننبشأكم من الأرض واستعمركم

فيها ) (١)

ثانيا : محافظة على النوع الانساني ، قال تعالى ( والله جعل لكم

من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم

من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وينعمة الله هم يكفرون ) (٢)

ثالثا : وقوله تعالى ( يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس

واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا

الله الذي تسالون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا ) (٣)

تحصين المجتمع من الانهيار الخلقي

قال عليه الصلاة والسلام ( يا معشر الشباب من استطاع منكم

الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع

فعلية بالصوم فإنه له وجاء ) (٤)

رابعا : تسكين النفس البشرية من غواة الشهوة الجنسية وتغيب الحياة

قال تعالى ( ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا

اليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ) (٥)

١ - هود : ٦١

٢ - النحل : ٧٢

٣ - النساء : ١

٤ - رواه البخارى ٦ / ١١٢ ط ١ استنبول

٥ - الروم : ٢١



(١)

وقوله تعالى ( هن لبا س لكم وأنتم لباس لهن ) .

الى غير ذلك من المقاصد الرفيعة كالمحافظة على الانسان وسلامة

المجتمع من الأمراض والتعاون بين الزوجين لبناء الأسرة السليمة وتأجيج طائفة  
الابوة والأبوة ليبقى التراحم سنة المجتمع السليم (٢)

لكل ذلك حظى الزواج في الاسلام بمكانة رفيعة ، واهتم

العلماء بتوجيه الاحاديث والآيات ، واستنبط الفقهاء الاحكام الشرعية من الأدلة  
التفصيلية وبينوها وفق ما أشارت إليه الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة  
وقد استدلل الفقهاء على مشروعية الزواج من الكتاب والسنة :

اما الكتاب فمن قوله تعالى ( فانكحوا ما طاب لكم من النساء

مثنى وثلاث ورباع فمن خفت ما تعدوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ذلك أدنى  
الا تعولوا ) (٣) وقوله تعالى ( وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم  
واما لكم ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله والله واسع عليم ) (٤)

اما السنة فمن قوله صلى الله عليه وسلم ( يا معشر الشباب

من استطاع منكم الباءة فليتزوج ) (٥)

ومن خلال مطالعة الأحكام الفقهية يلاحظ أن أقوال الفقهاء تدور

حول توقان النفس الى النكاح وعدمه والقدرة على المؤونة وانتفاؤها .

ولهذا فالنكاح ترد عليه الاحكام الشرعية التالية :

- الواجب - الحرمة والكراهة - السنة ، - الندب والاباحة (٦)

أما نوع أو صفة الزواج شرطا بحسب طلب الشارع فيعرف عند الفقهاء

بحسب احوال الناس ومصالحهم (٧)

فلا خلاف بين العلماء على ان من تاققت نفسه للنكاح وخشي العنت كالخوف

من الوقوع في الزنا يجب في حقه النكاح (٨)

١ - البقرة : ١٨٧ - ٢ - راجع ما كتبه المرحوم الشيخ عبد الله ناصح

طوان بهذا الخصوص في : تربية الأولاد في الاسلام ١/٢٩-٣٢ دار السلام

للطباعة والنشر ط ٣ ، ١٤٠١ - ١٩٨١ م حلب ، بيروت .

٣ - النساء : ٣ - ٤ - النور : ٣٢

٥ - رواه البخارى ، وقد تقدم - ٦ - الفقه الاسلامي على المذاهب

الاربعة ، عبد الرحمن الجزيري ٤/٤ ، دار الارشاد والتأليف مصر .

٧ - الفقه الاسلامي وأدلتها ، د . وهبة الزحيلي ٣١/٧ دار الفكر بيروت ط ١

١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م - ٨ - راجع في هذا الصدد : كتاب الافصاح عن معاني

الصالح لابن هبيرة ٢/١١٠ والمغني لابن قدامة ٦/٤٤٦ ، وفتح القدير

ولا فرق بين الوجوب والغرض عند الجمهور هنا (١) . وقد حدد الفقهاء  
طية الوجوب أو الغرضية في هذه المسألة بأن التحرز عن الزنا فرض ولا يتوصل اليه  
إلا بالنكاح وما لا يتوصل الي الغرض إلا به يكون فرضاً (٢) .

أما إذا تبين الإنسان ظلم المرأة والاضرار بها فيما إذا تزوج فإن النكاح  
يحرم عليه ، بان يكون في حالة المعجز عن تكاليف الزواج او لا يعدل ان تزوج  
بزوجة أخرى لأن ما أدى الي الحرام فهو حرام (٣) .

كما يحرم النكاح عند الحنابلة في دار الحرب الا لضرورة ، فاذا كان أسيراً  
فانه لا يباح له الزواج على أي حال (٤) .

ويكون النكاح مندوباً او مستحباً : وذلك في حال الاعتدال بان  
يكون الإنسان معتدل المزاج بحيث لا يخشى الوقوع في الزنا ان لم يتزوج ولا يخشى  
ظلم زوجته وحالة الاعتدال هذه غالبية عند أكثر الناس (٥) .

---

= لكامل الدين ابن الهمام ١٨٧/٣ ط ١ مصطفى البايي الحلبي ١٣٨٩ هـ  
وبداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد ٢/٢ دار الفكر مكتبة الخانجي  
وكذلك : تبين الحقائق شرح كنز الدقائق ، فخر الدين عثمان بن طي الزيلعي  
٩٥/٢ ط ١٣١٣ هـ بولاق ، والبنية على الهداية ١٢-٩/٤ ومغني المحتاج  
٣ : ١٢٥ لابن زكريا يحيى بن شرف النووي ط ١٣٧٧ هـ

١ - الفقه الاسلامي وأدلته ٣٢/٧

٢ - راجع المسوط لشمس الدين السرخسي ١٩٣/٢ ط ٢ دار المعرفة

وراجع ما استعرضه بتوسع : احكام الزواج والطلاق في الاسلام ، د بدران  
ابوالمينين بدران ص ٣٦ وما بعدها ط ٣ ١٩٦٤ دار المعارف بمصر .

٣ - الفقه على المذاهب الاربعه ٤ / ٦-٥ والفقه الاسلامي وأدلته ٣٢/٧

٤ - الفقه على المذاهب الاربعه ٤ / ٧

٥ - الفقه الاسلامي وأدلته ٣٣/٧

كما لا خلاف بين العلماء على أن النكاح من السنة (١)  
ودليل الجمهور على ذلك قوله عليه السلام م ( يا معشر الشباب من استطاع  
منكم الباهة فليتزوج ) (٢)

وط جاء في الصحيح : عن انس بن مالك رضي الله عنه ( قال ) جاء ثلاثة  
رهط الى بيوت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عيادة النبي صلى الله  
عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا واين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم  
الط وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وط تأخر قال أحدهم : أما أنا فإني أصلي  
الليل أبدا . وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال آخر : أنا أعتزل  
النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنتم الذين قلتم  
كذا وكذا أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلى وأتزوج  
النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني (٣)

ومع ذلك فقد ذهب الظاهرية كابن حزم وغيره الى القول بفرضية النكاح (٤)  
الا ان الخلاف بين الفقهاء دار حول مسألة ما اذا كان النكاح أفضل أم العبادة  
في حال الاعتدال .

فقد ذهب الشافعية إلى أن العبادة أفضل من النكاح ، قال الإمام  
النووي رحمه الله تعالى ( وجمهور أصحابنا أن ترك النكاح لهذا والتخلي للعبادة  
أفضل ولا يقال النكاح مكروه بل تركه أفضل ) (٥)  
ويستدل الشافعية على ذلك بـ :

١ - قوله تعالى في مدح يحيى عليه السلام ( . . . . وسيدا وحصورا ) (٦)  
والحضور الذي لا يأتي النساء مع القدرة على اتيانهن فلو كان الزواج أفضل لما  
مدح بتركه .

(٧)  
٢ - قوله تعالى " زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين ) .

- 
- ١ - راجع : المجموع شرح المذهب ، باب النكاح ص ٢٨٧
  - وكذلك المبسوط ١٩٣/٢ ، والمغنى لابن قدامة ٣/٣
  - ومواهب الجليل لشرح مختصر خليل ٤٠٣/٣
  - ٢ - رواه البخارى وقد تقدم
  - ٣ - صحيح البخارى ١١٦/٦
  - ٤ - المحلى لابن حزم ٤٤٠/٩ ت : احمد شاکر المكتب التجارى بيروت
  - ٥ - صحيح مسلم بشرح النووي ١٧٤/٩ المطبعة المصرية ومكتبتها
  - ٦ - ال عمران : ٣٩
  - ٧ - ال عمران : ١٤

كما انهم قاسوا النكاح على السبيع فقالوا : النكاح من الاعمال الدنيوية فهو كالبيع ( ١ ) .

(ورد السبكي التعليل الاول : بانه ليس المراد بالاية الاستطاب وانما المراد الحلال ، لان النساء محرمات باية حرمت طيكم امهاتكم . . . ) ( ٢ ) .

كما رد الاحناف على استشهاد الشافعية بحالة يحيى عليه السلام فما قاله الكمال بن الهمام : ( فالأولى في جوابه التمسك بحاله صلى الله عليه وسلم في نفسه ورده على من أراد من أمته التخلي للعبادة فانه صريح في عين المتنازع فيه وهو ط في الصحيحين ) وان نفرا من اصحاب النيبسي صلى الله عليه وسلم قد سألوا ازواجه عن عله . . . . ( ٣ ) الحديث . فرد هذا الحال ردا مؤكدا حتى تبرا منه ، وبالجملة فالأفضلية في الاتباع لا فيما يخيل للنفس أنه أفضل نظرا الى ظاهر عبادته ، ولم يكن الله عز وجل يرضى لأشرف أنبيائه إلا بأشرف الأحوال وكان حاله الى الوفاة النكاح . فيستحيل أن يقرره على ترك الأفضل مدة حياته وحال يحيى بن زكريا طيهط السلام كان أفضل في تلك الشريعة وقد نسخت الرهبانية في ملتنا ولو تعارضا قدم ( حينئذ ) التمسك بحال النبي صلى الله عليه وسلم ) . ( ٤ ) .

كما أجاب العيني رحمه الله على ذلك بقوله ( والجواب عنه أن الشافعي

يرى شرع من قبلنا شرطا لنا فكيف يحتج بما لا يراه ؟ ونحن نقول شرع لنا ما لم ينص الله على انكاره . وقال الشافعي : النكاح معاملة فلا فضل لها على العبادة قلنا : هذا نظر الى ظاهره دون معناه وليس له أن ينظر الى الصورة ويترك المعاني فانه ليس عن أصله ذلك ولو كان التخلي للعبادة خيرا من النكاح نظرا الى صورته ما قطع النبي صلى الله عليه وسلم حكم الصورة بالسنة وليس في مدح يحيى طيه السلام ما يدل على أنه أفضل من النكاح فان مدح الصفة في ذاتها لا يقتضي ذم غيرها وذلك أن النكاح لم يفضل على التخلي للعبادة بصورته وانما تميز عنه بمعناه في تحصين النفس وبقاء الولد الصالح وتحقيق السنة في النسب والصهر فقضاء الشهوة يعني بحالعه والتيسير بمقاصده وهذا أمر تفتن له أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه ومن قال بقوله . . . ) ( ٥ ) .

١ - مغني المحتاج ١٢٥/٣ - ٢ : الفقه الاسلامي وادلته ٢٤/٧

٣ - الحديث في البخاري ١١٦/٦

٤ - فتح القدير على الهداية لابن الهمام ١٨٨/٣-١٨٩

٥ - عدة القاري شرح صحيح البخاري ، بدر الدين العيني ٦٦/٢٠ دار احياء

التراث العربي بيروت ، لبنان ، طبعة صورة عن طبعة ادارة الطبعة المنيرية .

( ١ ) ما قياس الزواج على البيع فهو قياس مع الفارق ،  
ان أن البيع عقد معاوضة محض والزواج ليس كذلك لان فيه تخصيصاً  
للنفس وحفظها من الوقوع في الفاحشة وفيه حفظ الدين وتحصيل النسل وتكثير  
الامة وكلها مصالح لا يشتمل عليها البيع ، ما يجعل فعل الزواج راجحاً على فعل  
النوافل وهو ما ذهب اليه اكثر الائمة ( ١ ) .

ولا شك أن ما ذهب اليه الجمهور أرجح وأصوب ما ذهب اليه الشافعية  
ذلك لأن (من تأمل فقط يشتمل عليه النكاح من تهذيب الأخلاق وتوسعة الباطن  
بالتحلى في معايشة أبناء النوع وتربية الولد والقيام بمصالح السلم العاجز عن  
القيام بها والنفقة على الاقارب والمستضعفين واعفاف السحرم ونفسه ودفع  
الفتنة عنه ومنهجه ودفع التقدير عنهن بحبسهن لكفايتهن مونة سبب الخروج ثم  
الاشتغال بتأديب نفسه وتأهيله للمعبودية ولتكون هي ايضاً سبباً لتأهيل غيرها  
وأمرها بالصلاة . ( ٢ )

ورغم هذا الخلاف الا ان الشافعية يرون أن الزواج في حالة الاعتدال  
انما هو مندوب أو مستحب وفي هذا ، اشارة الى الميل المطلق عموماً نحو الزواج وعدم  
تأييد العزوبة باسم التبتل والعبادة . والله تعالى اعلم .

---

١ - : احكام الزواج والطلاق في الاسلام ص ٣٩

٢ - فتح القدير بين الهمام ١٨٩/٣

وراجع في هذا الصدر ايضاً : اعلاء السنن ، ظفراحد المعثاني

التهانوى ١١/٢-٣

### مكانة الزواج في الاسلام :

من فضائل الاسلام على المجتمع ، اهتم به بتوجيه المسلمين نحو  
الغطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها ، فشرع لهم النكاح وسنه لهم ابتغسا  
العفة والتحصن من الفحشاء ولأسباب اخرى مر ذكرها .

ولم يكن المسلمون ليخالفوا تعاليم دينهم الحنيف ،

ولهذا فانهم سارعوا الى نهج نبيهم صلى الله عليه وسلم كان عليه  
اخوانه الانبياء عليهم السلام . من سنة النكاح قال تعالى ( ولقد ارسلنا رسلا  
من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية ) ( ٢ ) .

قال الامام ابن كثير في تفسير الآية ( وكما أرسلنا يا محمد رسولا بشريا  
كذلك قد بعثنا المرسلين قبلك بشرا يأكلون الطعام ويشون في الأسواق وبأتون  
المنزوجات ويولد لهم وجعلنا لهم أزواجا وذرية ، وقد قال تعالى لاشرف  
الرسل وخاتمهم ( قل انما انا بشر مستطكم يوحى الى ) . ( ٣ )  
وروى الامام احمد عن ابي ايوب قال ( قال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ( أربع من سنن المرسلين : التعطر والنكاح والسواك والحياء ) ( ٤ ) .

١ - الجن : ٢٣

٢ - الرعد : ٣٨

٣ - الكهف : ١١٠ ، وراجع تفسير ابن كثير ٢ : ٥١٨-٥١٩

٤ - : سند الامام احمد ٤٢١/٥ المكتب الاسلامي / دار الفكرط

بيروت . قال الامام ابن كثير وقد رواه ابو عيسى الترمذي عن سفيان بن وكيع  
عن حفص عن غياث عن الحجاج عن مكحول عن ابي الشمال عن ابي ايوب فذكره ثم قال  
وهذا اصح من الحديث الذي لم يذكر فيه أبو الشمال ولفظه ( أربع من سنن المرسلين  
الحياء والتعطر والسواك والنكاح ) تفسير ابن كثير ٢ / ٥١٨-٥١٩  
وراجع عارضة الاحوذى بشرح صحيح الترمذي ٤ / ٢٩٨-٢٩٩ مكتبة المعارف لبيبان  
وقال الاستاذ الارناؤوط : هذا رواه احمد والترمذي ورواه ابن ابي خيثمة وغيره  
من حديث طريح عن ابيه عن جده نحوه ورواه الطبراني من حديث ابن عباس ولعل  
الترمذي حسنه بهذه الشواهد فقال حديث حسن قريب ( : جامع  
الاصول في احاديث الرسول ٤ : ٢٩٣ في الهامش .

ويقول الحق تبارك وتعالى ( وانكحوا الايامي منكم والصالحين من عبادكم  
واما ثكمم ان يكونوا فقرا\* يفتنهم الله من فضله والله واسع عليم ) (٢)

وروى ابن كثير عن ابن أبي حاتم بسند ه عن ابن عبد العزيز قال بلغني  
ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه قال : اطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح  
ينجز لكم ما وهدكم من الغنى قال تعالى ( ان يكونوا فقرا\* يفتنهم الله من فضله )  
(٣)

وعن ابن مسعود : التسموا الغنى في النكاح : يقول الله تعالى ( ان يكونوا فقرا\* . . . ) الآية . (٤)

ومن باب الترغيب في الزواج ايضا فقد عمل الاسلام على تسهيل أمره  
وتيسير سبله ، اخرج الحاكم بسند ه عن ابي هريرة رضي الله عنه أن النبي  
صلى الله عليه وسلم قال : ثلاثة حق على الله أن يعينهم : المجاهد في سبيل  
الله والناكح يريد ان يستعف والمكاتب يريد الاداء .

قال هذا حد يث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ( ٥ )  
وقد درج الصحابة الكرام رضوان الله عليهم على حبس بعضهم البعض  
على النكاح فمن ذلك ما رواه البخاري بسند ه عن سعيد بن جبير قال  
قال لي ابن عباس : هل تزوجت قلت : لا قال : تزوج فان خير هذه  
الامة كان اكثرهم نسا\* يعني النبي صلى الله عليه وسلم ) . (٦)

---

١ - الايامي الذين لا ازواج لهم من الرجال والنساء . الصحاح للجوهري

ط ( ايم

٢ - النور : ٣٢

٣ - تفسير ابن كثير ٢٨٦/٣

٤ - تفسير ابن كثير ٢٨٦/٣

٥ - المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص للمحافظ الذهبي ، وقد

وافق الحاكم ، انظر ٢ : ١٦٠ - ١٦١ ، دار المعرفة للطباعة والنشر مكتب

المطبوعات الاسلامية حلب .

٦ - اخرجه البخاري في كتاب النكاح باب ٤ الحديث الثالث ١١٨/٦ ط استانبول

يقول الامام العسيمي رحمه الله في معنى ( فان خير هذه الامة . . . )  
المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اكثر نساء من غيره ، و الامة الجماعة (١)

وقد وجه الرسول صلى الله عليه وسلم اصحابه الى اختيار الزوجة صاحبة  
الخلق والدين ، فمن ابى ههنا رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
قال ( تنكح المرأة لارب ، لطلبها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدِينها ، فاظفر  
بذات الدين تربت يداك ) (٢)

كما بين الرسول صلى الله عليه وسلم صفات اخرى للنساء المراد الزواج  
بهن ، ومن ذلك ما رواه ابو داود عن معقل بن يسار ، قال : جاء رجل الى النبي  
صلى الله عليه وسلم فقال : اني اصبت امرأة ذات حسب وجمال وانها لا تطرد  
افسأ تزوجها ؟ قال لا ثم أتاه الثانية فنهاه ثم أتاه الثالثة فقال : تزوجوا السود  
الولود فاني مكاثر بكم الامم (٣)

١ - عدة القارى شرح صحيح البخارى ، بدر الدين العيني ٢٠ / ٧٠

٢ - صحيح البخارى ٦ / ض ١٢٣

٣ - مختصر سنن ابى داود ، للحافظ المنذرى ٦ / ٣ ، ت : محمد حامد  
الفتي ، مكتبة السنة المحمدية .

وفيه قال الامام السخاوى : اخرج ابو داود والنسائي والبيهقي وغيرهم  
من حديث معقل بن يسار مرفوعا : تزوجوا الولود الودود فاني مكاثر بكم الامم .  
ولا احمد وسعيد ابن منصور والطبراني في الاوسط والبيهقي واخرين  
من حديث حفص بن عمر اخي انس عن عمه انس قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالبائة وينهى عن التبتل نهيا  
شديدا ويقول : تزوجوا الودود الودود فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة وصححة  
ابن حبان والحاكم ( . . . . )

مع : المقاصد الحسنة في بيان كثير من الاحاديث المشتهرة على  
اللسنة ، للحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوى ص ١٦٥ ، ت : عبد الله محمد  
الصديق ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م



نهى الاسلام عن التبتل والخصاء :

في حيدود هذه التوجيهات يلاحظ ان الوسيلة النظيفة التي وضعها الاسلام للغاية السامية ، تعطي الطاقة الكامنة في الانسان الحرية في اداء مهنتها التي انتهت بها ، فلم يعمل على كبتها أو حرمانها من اداء وظيفتها وفق ما أمر الله به ، وذلك حتى لا ينقلب أثرها رأسا على عقب ، فتلحق بصاحبها أفدح الضرر . ماديا ومعنويا .

وصحيح أن الاسلام أتاح لهذه الطاقة حرية العمل ، إلا أنه لم يوسع من دائرتها بل وضع لها ضوابط ، خاصة فيما يتعلق بمرحلة المراهقة .

وقد سرفي السابق توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم للشباب ، وذلك لسراطة هذا الضابط في حال عدم القدرة على الزواج .

فالصوم هو الضابط الضروري لمعالجة مكان النفس التواقفة الى ممارسة الوظيفة الجنسية في هذه الحالة ، ولأنه أنجع الوسائل لدرء مخاطرة فقة الجسد وعنفوان الطاقة .

ولأن الصوم أقدر على ضبط هذه الطاقة من أي وسيلة أخرى ، فقد أختير كوسيلة اضي واضمن من الخصاء او التبتل .

والرهبانية حينما فرضت التبتل أو أقرت بالخصاء فانما تكون بذلك قد حرمت الناس من اداء وتعطيل الضحة الربانية التي وهبها الله تعالى للبشر ، من اجل عطرة الارض ولن يكون ذلك الا بالتناسل .

ولهذا نرى الأحاديث الكثيرة تدور حول هذا المفهوم فمن ذلك ما رواه الاطام البخارى بسنده عن سعيد بن السيب قال : سمعت سعد بن أبي وقاص يقول رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ولو أن لك لاختصينا (١) .

و في رواية له عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم ليس لنا نساء فقلنا يا رسول الله ألا نختصي فنهانا عن ذلك (٢) .

والمراد بالتبتل هنا الانقطاع عن النساء وترك التزويج أما معنى قوله تعالى ( وتبتل اليه تبتيلا ) فالمراد الانقطاع اليه والتعبد لترك الزواج فإنه لم يوهبه

١ - صحيح الاطام البخارى ١١٨/٦ - ١١٩

٢ - المرجع السابق ١١٩/٦

النبي صلى الله عليه وسلم . وقوله : الخصاء يكسر الخاء وبالمد مصدر خصي الفحل اذا سللت خصيته ... (١)

وقد استشهد الامام ابن حجر بـ ما أخرجه الطبراني من حديث عثمان بن مظعون نفسه أنه قال ( يارسول الله اني رجل يشق على العزوبة فاذن لي فسي الخصاء قال : لا ولكن عليك بالصوم ) الحديث . ومن طريق سعيد بن العاص . (ان عثمان قال : يارسول الله اذن لي في الخصاء فقال : ان الله قد ابدلنا بالرهبانية الحنيفة السمحة ) (٢)

ويحقب ابن حجر على ذلك بان الحكمة في منعهم من الاختصاص : ( ارادة تكثير النسل ليستمر جهاد الكفار والا لوان في ذلك لأوشك تواردهم عليه فينقطع النسل فيقتل المسلمون بانقطاعه ويكثر الكفار فهو خلاف المقصود من البعثة المحمدية ) (٣) ومن الفاسد أيضا : ( تعذيب النفس ، والتشويه مع ادخال الضرر الذي قد يفضي الى المهلاك ، وفيه ابطال معنى الرجولية وتغيير خلق الله وكفر النعمة ، لأن خلق الشخص رجلا من النعم العظيمة ... ) (٤)

هذا ولا ينبغي السطاح لدع أن ينال من حث الاسلام على النكاح والسترغيب فيه بدعوى أن هذا النهج يؤدي الى الانغماس في الطذات والفسق في الشهوات التي تسيطر على حياة الانسان ، فتدعه يخلد الى الدعة والكسل . فهذه الشبهة وغيرها تنتفي (٥) بمجرد معرفة اهداف الاسلام العليا والغرض من وجود الانسان في هذا الحياة ، وكما وضع الاسلام ضوابط لمرحلة ما قبل الزواج

١ - عدة القارى ٢٠ / ٧٣

٢ - فتح البارى بشرح صحيح البخارى للحافظ بن حجر ١١ / ١٩ ، مصطفى البابى الحلبي ١٣٧٨ هـ

٣ - المصدر السابق .

٤ - منهج السنة في الزواج . د . محمد الأحمدى ابوالنور ص ٤٨ ط ١ دار النصر للطباعة ، ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م ، القاهرة .

٥ - انظر الى تلك التربية التي أخرجت نذاج فريدة من الرجال وذلك في محاضرة عبادة بن الصامت في رده على القوقس الذي أراد اخافة المسلمين حين قال : ( وما منا رجل الا وهو يدعور به صباحا ومساءً ان يرزقه الشهادة والا يرد به الى بلده ولا الى اهله وولده . وليس لاحد منا هم فيما خلقه ، وقد استودع كل واحد منا ربه

كذلك فعل بالنسبة لم بعده ، وتوجيهاته في هذا الباب كثيرة و مستعددة

والاسلام بخصائص تصوره الغريدة فسر حقيقة هذا الوجود وبين أهمية ارتباط الانسان بم حوله من موجودات كما بين أهمية ارتباطه بخالقه من خلال القرآن الذي أنزله الله تبارك وتعالى دستورا لهداية الخلق .

فالقرآن الكريم والسنة المطهرة وضعا الوسائل الناجعة لتحقيق هذه الاهداف ، واوجدا البدائل والحلول للمشاكل الانسانية التي عانت وتعانسي منها البشرية .

والمشكلة التي يدور البحث حولها ، وهي ظاهرة الرهينة ، قد أوجد الاسلام نهجا وطريقا أفضل منها وأسلم .

وهذا ما سيعالج أثناء الحديث عن : موقف الاسلام من ابتداء الرهبانية وحكمه عليها ، ان شاء الله تعالى . وذلك بعد استيفاء الحديث عن الجوانب المتعلقة بالرهبانية وتطوراتها ، وما رافقها من مشاكل . وهو موضوع الفصل القادمة .

---

أهله وولده ، وانما هنا ما أمانا ، وأما ( قولك ) إنا في ضيق من معاشنا وحالنا فنحن في أوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا لأنفسنا منها أكثر مما نحن فيه ، فانظر الذي تريد فيبينه لنا ، فليس بيننا وبينكم خصلة نقبلها منكم ) . - : حسن المعاوضة في تاريخ مصر والقاهرة ، للحافظ جلال الدين السيوطي ، ت : محمد ابوالفضل ابراهيم ، ١ : ١١٢-١١٣ دار احياء الكتب العربية عمسى الباهي الحلبي ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م ط ١

هكذا يرى الاسلام أجياله ، وهكذا يعيش المسلمون من أجل دينهم فلا يضيعونه من أجل دنياهم ولو فتحت عليهم زخارفها ، فلا يأخذون منها الا بقدر حاجتهم وما يعينهم فمسي ادا رسالتهم .

## الفصل الخامس

### أثر الاضطهادات في نشأة الرهبانية

واجهت دعوة عيسى عليه السلام كثيرا من المعن والصعوبات ، التي كانت سببا في عدم استمرارها مدة طويلة .  
وتأتي مواقف اليهود المعلنة والهيبة في طبيعة المؤامرات التي هيكت لهذا الغرض وقد تقدم الحديث عن هذا الجانب في الفصول السابقة .

وقد انتقلت المعن والاضطهادات التي نزلت بأتباع عيسى عليه السلام الى يد (الرومان الذين مارسوا أشنع أنواع التعذيب النفسي والجسدي ، الأمر الذي أثر بشكل خطير على المطرزين من جهة وعلى الذين أعقبوهم ، كما امتد الخطر أيضا الى الانجيل الذي جاء به عيسى عليه السلام حيث تعرض في زحمة النكبات الى التحريف والتبديل<sup>(٢)</sup> ، مما أدى الى اختلاط التعاليم الصحيحة بالاراء والمعتقدات الوثنية وغيرها .

وبشكل عام كانت المعن ايمان عهد الاباطرة وحتى بداية القرن الرابع الميلادي ( ٣٢٥ م ) بيئة صالحة وأرضا خصبة لزرع مفهوم الرهبانية ونموها وذلك نتيجة لهرب المضطهدين الى البراري والجبال من بطش اعدائهم .

ومن الصور التي ينقلها المسيحيون عن هذه الاضطهادات ما جاء في كلام الأب البير أبونا حيث يقول ( كانت المسيحية حتى قبيل مرسوم ميلانو سنة ٣١٣ تعيش تحت وطأة الاضطهاد وعلى هامش الحياة العامة ، فكان على المسيحي أن يختار البطولة والتضحية وأن يستعد في كل حين للشهادة ، يدلي بمسما طام الطوك والولاء ويبدل دمه في سبيل الحقيقة فكانت فكرة الاستشهاد ترافق المسيحي دوما ولا تسمح بان يتعلق قلبه بحطام الدنيا أو مجدها أو مناصبها الرفيعة ، فكان الله هم الوحيد وهو يصوب دوما الى ساعة الجهاد الأخيرة التي فيها يتحرر من قيود الجسد وينضم الى المسيح في المجد ، هكذا قبل أن تتكون الحياة الرهبانية باطارها القانوني كان المسيحيون يعيشون بحسب روحها وكان الشهيد يحقق فكرة الراهب بتجرده عن كل شيء<sup>(٣)</sup> وباعطائه ذاته لله حتى الموت ) .

١ - راجع : ملامح من التاريخ القديم لليهود العراق ، د . احمد سوسة ، مركز الدراسات الفلسطينية ، جامعة بغداد ، ط ١٩٧٨

٢ - راجع : محاضرات في النصرانية لابي زهرة عن تاريخ كتابة الأناجيل المزورة واثر الاضطهادات في التحريف والتبديل ، ص ٣٥ وط بسعد ها .

٣ - تاريخ الكنيسة الشرقية ، ألبير أبونا ص ١٦٥

وفي هذا اعتراف واضح ان الرهبانية لم تكن موجودة على النمط الذي اتخذته  
السيحيون فيما بعد والذي طوروا فيه ديانتهم لتستجبه نحو الابتداء وهو  
ط سيوضح فيما بعد .

ومن ناحية أخرى فان النظرة الاسلامية الى هذه الاضطهادات كانت  
في محلها ، حيث يعترف المسلمون بأن النكبات قد وقعت باتتباع المسيح عليه  
السلام ، كما وقعت وتقع باصحاب كل دعوة ورسالة سماوية ، وان ذلك من سنن الله  
تبارك وتعالى ، ( الم ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون  
ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ) ( ٢ ) .

هذا وقد تتبع المؤرخون الأحداث التي رافقت عمليات التعذيب  
وانواعها ، وما نجم عنها من هرب ونزوح من قبل اتباع المسيح عليه السلام  
ومن ذلك ما ينقله داوئي حيث يقول :

( وعند ما بدأ ظهور الاضطهاد في القدس ، بعد اعدام استفانوس فر  
من المدينة كثير من اتباع السيد المسيح وأطلقوا في سفرهم حتى بلغوا فينقيا وقبرص  
وانطاكية ( ٣ ) .

ويوضح ولسر صورة الاتهامات والعقوبات التي كان يلغاها هؤلاء ومن ذلك  
أن جريمة المعارضين للوثنية ( في عرف الاباطرة ) كانت ( بمنزلة الخيانة العظمى  
وتجازى بالاعدام فان صح انه كان رجلا ذا مرتبة وطم فان تلك الظروف ط كانت لتزيد  
في جرمه وانما هو يحرق أو قل يشوى على نار بطيئة وانما بجلاده وقد امتلأوا حماسة  
لانتقام للاهانة الشخصية التي لحقت بالاباطرة يفتنون في انزال العذاب ألوانا  
بالمسكين دون أن يستطيعوا لصبره قهرا ، وأن يغيروا من ابتسامة الثبات والزراية  
التي ظل محتفظا بها على محياه ) ( ٤ ) .

١ - روى الامام سلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا طويلا  
عن قصة الراهب والفلام ، انظر صحيح سلم بشرح النووي ١٨ / ١٣٠ ، وهو  
الحديث الذي يشير الى قصة اصحاب الأخدود وقد بسط المفسرون المسلمون  
القول في أسباب نزول سورة البروج التي وردت في القرآن الكريم ، راجع في ذلك :  
التفسير الكبير للفخر الرازي ٣١ / ١١٧ وط جاء فيه حول هذا الموضوع ، كما ان  
الامام ابن كثير أورد احاديث عدة ونقل روايات مختلفة عن الحادثة وقد انتهى الى  
القول بأن أحداث القصة كانت في زمن الفترة بين عيسى ومحمد عليه السلام مستندا  
الى ط جاء في رواية ابن اسحق . انظر تفسير ابن كثير ٤ / ٤٩٢ وط بعدها .

٢ - السننكوت : ١ - ٣

٣ - جيم : انطاكية القديمة ، جلانفيل داوئي ، ت : ابراهيم نصحي ص ١٥٨ ط ١٩٦٧ القاهرة

٤ - معالم تاريخ الانسانية ، ولز ٢ / ٧١٥

ولم يقتصر الأمر على ذلك إذ ( ان السلطات بذلت جهدا كبيرا في تصيد نسخ الكتب المقدسة كما حدث أيضا في أماكن كثيرة هدم فيها معظم الكنائس كما طشت السجون بالاساقفة والقساوسة المسيحيين . . . . وكانت هناك تهمة مدنيّة عديدة توجه في آن واحد الى المؤننين لتسهيل الأمر عليهم نذكر منها :

الانتساب الى دين غير مشروع

الانتما لجملعات سرية ، والتأم على الحاكم

رفض اطاعة الاوامر ، ان كانوا جندا والتهرب من واجبات الحياة العامة

والخاصة بل وممارسة السحر . ( ١ )

( ٢ ) وينقل ابن العبري أسما<sup>(٢)</sup> الاباطرة الرومان الذين تقلدوا الحكم من زمن اضطهاد المسيحيين حتى بداية القرن الرابع الميلادي أي الى زمن تولي قسطنطين مقاليد الامبراطورية والتي انتهت على أيديه أيام التعذيب .

ومن بين هؤلاء<sup>(٣)</sup> الاباطرة :

الاسم : مدة الحكم

نهرين	١٤
طريانوس	١٩
سوريانس قيصر	١٨
مكسيميانوس قيصر	٣
فيليبوس قيصر	٣
ارلارينوس قيصر	٩
اورليانيوس قيصر	٦
ديوقليديانوس قيصر	٢٠

( ٣ ) الى جانب هؤلاء<sup>(٤)</sup> هناك فليريان وجاليسير وديدكلسيان وتراجان ،

وطيبيريوس ( ٤ )

١ - راجع في ذلك ، المسيحية نشأتها وتطورها شارل جنيبير ١٦٩

وما نقلت عن تعذيب نهرين لهم وايقاد اجسام ضحاياه وجعلها مشاطل للسير على ضوئها ، وذلك في : محاضرات في النصرانية ص ٣٥ وكذلك ، المسيحية د . شلبي ص ٧٠ وما بعدها .

٢ - تاريخ مختصر الدول ، غريغوريوس الطيطي المعروف بابن العبري من ص ٦٩ الى

ص ٧٨ ، ط ٢ - المسيحية ، جنيبير ص ١٦٩ ، ومحاضرات في النصرانية ص ٣٤

وطيه فان الأحداث الدامية لم تكن لتزدون أن تتسرك أثرا  
نفسيا صعبا على المضطهدين ، خاصة بعد انقضاء الفتن واضمحلال المحسن  
ولم تكن عهود السلام اللاحقة لتبشر بتقدم لموسى نحو ديانة قائمة على التوحيد  
الخالص ونبذ كل ما يستلزم العقائد الوثنية والاجنبية بصفة .  
فما إن صدر مرسوم ميلانو سنة ٣١٣ م ( حتى حل السلام في الكنيسة  
وأصبحت المسيحية ديانة معترفا بها .

ثم غدت دين الأباطرة الرومان وشعوبهم . . . فلم  
يعد المسيحي يلاقي غنا من جراء دينه بل اكراط وجاها ، بيد أن هذه الحالة  
أثارت في فكر المسيحيين تساؤلات كثيرة ، : هل يمكن للمسيحي وهو في العالم  
أن يتبع المسيح يحمل الصليب ؟ وهل يمكنه في وسط العالم أن يحقق خلاص  
نفسه ؟ . وكان جواب كثيرين منهم نفيًا (١) .

هذه الاسئلة لم تكن لتطرح لولا الإنحراف العقدي الذي تكلمت  
فصول البحث عنه في السابق ، والتي تمت على أيدي بولس ومن سار على نهجه ، ذلك  
النهج الذي ألزم الأتباع بما لا يطاق حتى جاءت الاجابات الكثيرة بعدم القدرة  
على السير وراء المسيح كما يعتقدون .  
ومعنى ذلك أن هذه السدود التي وضعت في طريق الدعوة الصحيحة ما  
هي الا حركات مفتعلة للوصول الى حافة الانهيار .

وهذه هي النتيجة التي وصل اليها المسيحيون ، وبعدها تمخضت  
قرايحهم عن البدع التي ابتلوا بها فلماذا حصل يا ترى؟:

يجيب الأب المير على ذلك فيقول ( وان تضائل أمام المسيحيين حقل  
الجهاد والكفاح في سبيل دينهم والذود عنه ، شعروا أن شمة شهادة أخرى  
غير شهادة الدم ، يتحتم عليهم آداؤها ، لاسيما وأنهم لاحظوا أن جموع المؤمنين  
وجماهير الهواة المتفرجين شرعوا يغزون مواضع الصلاة ، ففتشوا عن وسيلة تمكنهم من  
آداء الشهادة للمسيح (٢) .

فالتفتيش هنا هو مريب الغرض في الموضوع ، وهو القضية الرئيسية التي

يجب أخذها بعين الاعتبار لما تنطوي عليه من أدلة تثبت ابتداء المسيحيين للرهبانية

١- تاريخ الكنيسة الشرقية ص ١٦٦

٢- المرجع السابق .

مداقنا لقوله تعالى ( ورهبانية ابتدعها ما كتبناها عليهم ) (١)

وسيتعرض البحث لجوانب هذا الابتداء اثنا عشر الحدِيث عن موقف الاسلام من الرهبانية وحكمه عليها .

فلم يكن تفتيش هو "الهوالة عن وسيلة تابعة من اتباع نص شرعي صادر عن مصدر سطاوى أو وحي السهي ، ولم يكن هذا التفتيش كذلك معمولا به قبيل هذا الوقت بل كان الجهاد والكفاح حسب ما مر سالفا هو الذائع بين الاوائل الذين ضحوا وقد موالد ما والأرواح خالصة .

بل يمكن وصف هذه النزعة بما يسمى فورة الشباب المتحمس لاى جديد دون اجتهاد مني على أسس سليمة . لهذا جاءت نتائج أعمالهم بناطس مقدمات فاسدة . فما الداعي الى سلوك هذا الطريق الوعر دون الرجوع الى المصدر الأساسي للتشريع ، ثم كيف يرجعون الى الشريعة وقد تم تحريف نصوصها وعمل على تزويرها؟ ، إنه لسؤال صعب بالفعل . . . .

ففي غياب النص الشرعي ووجود التحريف والانحراف العقدي الذي جلل الأناجيل والرسائل ، فإن حتمية الإبتداء لاشك واقعة ، الأمر الذي ترتب عليه عملية تعطيل الجهاد وايقاف حركة الدعوة .

يقول الأب الدير أبونا ( . . . . . ) واذا بهم ينفردون في عزلة عن الناس في أماكن بعيدة عن ضوضاء العالم ويعكفون على الصوم والصلاة ، وهناك ممن يقول إن الأمر الذي دعا بعض المسيحيين الى اعتزال العالم ليس الاضطهادات ولا الخوف من تسرب روح العالم اليهم إنما هي الرغبة في تحقيق مثل التنسك العليا ، وفي الكرازة بالقول والحياة ، فبعد ان بشرت الكنيسة المدن ، توجهت الى البرارى برهبانها وكانت فكرة التنسك تراود كل مسيحي يريد امتثال الشورات الانجيلية ، وقد أدت هذه الرغبة ببعض المسيحيين منذ القرن الثالث الى الانفصال عن المجتمع جزئيا أو كليا في المعتزلات النائية في البرارى والجبال (٢)

وهكذا يتبين كيف نسجت الرهبانية خيوطها ، التي بنت عليها صرحها ، فكان الاساس واهيا ، فلا المسيح أمر أتباعه بالانعزال في البرارى والجبال . ولم يقل لهم التسوا قوانين عزلتكم ممن جاء قبلكم من الرهبان ولم يقل لهم حرماوا

١ - الحديد : ٢٧

٢ - تاريخ الكنيسة الشرقية ، ص ١٦٦-١٦٧



ما أردتم أو حللوا ما ترون ، بحسب أهوائكم . .  
 ولو عرضت أعمالهم عليه لتبرأ منهم ولننذ أفكارهم وترهاتهم . ويكنسي  
 انهم دعوا الى تعطيل الحياة واتخاذ سبيل السلبية طريقا وسلوكا في حين  
 أنه عليه السلام لم يهدأ ولم يكل من أجل انفاذ ما أمره الله به .

من هنا يتبين كذلك أن الرهبانية تأسست مسيحية ، وسوف نرى كيف نمت  
 وترعرعت بفنذا\* وطرد اجنبي ، وان هذا الابتداء الداخلي لم يكن ليستمر لولا وجود  
 العوامل الخارجية والتيارات الاجنبية التي أمدته بالقوانين والانظمة المرعية لديها .

الفصل السادس : الانظمة والقوانين الديرية : نشأتها ، تطورها  
اشارها ، ونقدها

لم ينتظم عقد الرهبانية المسيحية كطبقة لها نفوذ واسع وسلطة  
عريضة الا بعد تطورات عديدة شهدتها الكنيسة وأتباعها .  
فقد بدأت حركة الرهبان حركة فردية كحالة منفصلة عن الواقع القائم  
ابان عصر الحواريين الذي اتسم بالجهد والاستشهاد ، وهذه الحركة الفردية لم يكن  
يربطها اى رابط فيما بينها ولا يجمعها اى تنظيم معين ، الا ان سطات الاتصال  
الخارجي بالفكر الغربي تظهر من خلال التطورات التي اعقبت هذه الحركة .  
ويمكن متابعة التسلسل الذي مرت به الرهبانية عبر التعرف على بذورها  
الاولى التي بدأت في مصر . فمن هذه المراحل :

#### اولا : أوائل التنظيمات الديرية

يعتبر " انطونيوس " ( ٢٥١-٣٥٦ م ) مفتح الطريقة النسكية مع نداء الانبا  
بولس ( ٣٤٧ م ) الذي اختار الصحرا الشرقية في مصر قرا له وسكن مغارة هناك  
مدة تسعين سنة . ( ٢ )

وطيه فإن الظاهرة قد بدأت في مصر على يد هذا الأخير ، وهناك من يرى أنه  
قبل انطونيوس وجد ( سيحويون متواريين في ضاحيات مدتهم منفردين . . . يعيشون  
حياة العزلة ، وانطونيوس نفسه عند ما رفض حياة العالم كان على علم بواحد من اولئك  
النسك كان يعيش منذ سنين طويلة في ضاحية : " كيمو " ( *Quemau* ) ( ٣ )

وتتلخص سيرة انطونيوس هذا بأنه ( شاب أمي من أنحا طيبة الدنيا ، وزع أملاكه  
الموروثة وهجر أسرته ووطنه ، ونفذ كفارة الرهينة في تعصب أصيل جرى ذلك أنه بعد  
أن قض فترة طويلة شاقة في إعداد نفسه للرهبنة بين القيسية ووفي برج

١ - ولد سنة ٢٥١ في حضان عائلة مسيحية ثرية في بلدة قمن أو ( قيمان ) من أعمال  
مركز الواسطي التي تقع على بعد نحو ٩٠ كلم جنوبي القاهرة المصرية ولم يكن مصري  
الأصل بل ابن مهاجرين يونان سكنوا مصر وأبواه مسيحيان أثريا من التجارة ) انظر :  
تاريخ الكنيسة الشرقية ١/١٦٨

٢ - المرجع السابق . وراجع كذلك : معالم تاريخ العصور الوسطى ، محمد رفعت واحد  
حسونة ص ١٠٥ ط ٢ ١٩٢٦ ، مصر

٣ - التنظيم الرهباني للكنيسة الطارونية ، الأب محفوظ ص ٣٤ . ويصل ديورانت التي  
القول بأن انطونيوس هذا لربما تأثر بالمبشرين الذين أرسلهم أشوكا الى الشرق وكذلك  
بالجماعات اليونانية ( السرايين والمنتسطين ) أو الاسينيين اليهود ) انظر : قصة  
الحضارة ٤/١ : ١١٩

غرب مهجور ، تغلفل في جردة داخل الصحراء في رحلة ثلاثة أيام الى الشرق من نهر النيل ، حتى اكتشف بقعة منعزلة يتوفر فيها الظل والماء ، ، واستقر أخيراً فوق جبل قلزم الى الغرب من البحر الأحمر ، حيث لا يزال هناك دير قديم يحمل اسم القديس وذكره ، ولحقه السحبيون الى الصحراء (١) .

وقد تكاثر عدد الرهبان وازدادت معهم صوامعهم فوق ( رسال ليبيا وعلى صخور طيبة وفي مدن وادي النيل والى الجنوب من الاسكندرية استوطن خمسة الاف من النساك جبل النظرون (NITRIA) والصحراء المجاورة ولا يزال في مقدور الجائل أن يطالع خرائب خمسين ديراً أقامها تلاميذ أنطونيوس في تلك التربة الجردة (٢) .

وقد أوجد هذا الراهب نوعين من النسك الرهباني هما : الحبسا والسياح (٣) .

وهكذا يتضح أن هذا المسلك إسم بالنسك الفردى الذى يعيـش الراهب فيه عزلة لوحد ، منفرداً عن غيره .

وقد لاقى هذا النوع انتقادات من قبل سقيا الرهبان الآخرين : وذلك لما ينطوى عليه من خلل واضطراب كبيرين ( وعلى كثير من الأخطار كما في الروحانيات ( الروحانيات ) كذلك في الماديات : إن حياة العزلة التامة ليست علمياً خلاصية إلا لبعض الأنفس المحظوظة الخارقة في التقوى ( على حد ) تعبيرا الأب محفوظ ) فالناسك في قلايته لم يكن له الفرصة لممارسة فضيلة الطاعة ( كما يسمونها ) أو أن يتم فرض المحبة نحو القريب . فضيلة جوهرية انجيلية

... وهكذا كان هناك متوحدون ( منفردون ) يمارسون تقشفات جسدية في اغراق غريب فيتعرضون للمجيد الباطل ان يعتبرون أنفسهم أكمل من السوى فهذه الخطة انحرفت الرهينة عن خط الكمال الذى رسمه لها الرهبان الاولون (٤) .

وهكذا أيضاً تكون الاعتراضات واردة داخل المجتمع الرهباني المسيحي نفسه أم الصورة التي ينقلها الرهبان عن أنطونيوس فهي كثيرة جداً ، ويغلب عليها الطابع المغالي (٥) . الا ان النتيجة التي يخرج منها المرء : (ان هؤلاء الذين

١ - " اضحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ، ادوارد جيون ، ت: لويس

اسكندر ٣١٩/٢ - ٣٢٠ دار الكتاب العربي للطباعة ١٩٦٩ مصر .

٢ - المرجع السابق وانظر كذلك : تاريخ أهل الذمة في العراق ، د . توفيق سلطان اليوزكي ص ٢٧٣-٢٧٩ دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٣-١٩٨٣ ط١ العراق .

٣ - بستان الرهبان لعدد من آباء الكنيسة ص ٥

٤ - التنظيم الرهباني للكنيسة المارونية ص ٣٦ ٥ - تاريخ أهل الذمة في العراق ص ٢٧٣

تنسكوا على طريقة أنطونيوس ظلوا يغير قانون ثابت يجمعهم وانما جمعتهم شخصية معلمهم الذي أمرهم بالطاعة لرئيس الدير والخضوع له وفرض عليهم القيام بتوفير الطعام والكساء بأيديهم وضع السرهبان من الاشتراك في الحياة العامة والزواج<sup>(١)</sup>.

### الرهبانية الجماعية :

العزلة التامة التي قررها أنطونيوس حرمت الكثيرين من نعم الله تعالى التي انعمها على البشر ، فأورثهم جفوة في القلوب وتحجرا في الطباع لبعدهم عن قرنائهم واخوانهم في الانسانية ماد أدى بالبعض الى مج هذه الطريقة ولغظ هذا الاسلوب ان ( أحس النساك أن كثيرين من المدعوين الى هذه الحياة . . . لا يسعهم العيش في العزلة التامة ، وأنهم بحاجة الى اخوتهم ليطلقوا منهم العطف والساعدة لحياتهم الروحية وان بالحياة الرهبانية تخطو خطوة كبيرة على يد . . . باخوميوس . ( ٢ )

لقد استطاع هذا الأخير وضع أول قانون رهباني ألزم أتباعه به وهدد اتباعه قائلا ( لن أتسك بكم اذا لم تتقيدوا بجميع التعليمات التي اعطيتكم )<sup>(٣)</sup>.

ان هذا التهديد يوحي ببداية الطغيان الروحي والنفسي الذي مارسه آباء الرهبان الأوائل على أتباعهم ، وهذا ما أدى الى قبول أي قانون أو نظام يصدر عن باخوميوس وأنداده الآخرين .  
وقد أضاف باخوميوس الى نظامه مبدأ الحياة الجماعية والساواة فسي السلوك بين الرهبان ، فمن المقررات التي أرساها - :الطاعة له وللاب الأباتي وأصبح الأباتي هو الرئيس بالمعنى القانوني للكلمة فسلطته هي الأقوى وما من أمر يتم في الدير بدون اذنه وعندئذ فالراهب الباخومي لن يستطيع تنفيذ أمر على هواه ولا يمكنه أن يترك الدير دون أن يلتصق سبقا الإذن فيحصل عليه من قبل الرئيس وكل تلكه منه عن الإجتطاط العامة دون إذن الرئيس تعرض للشموم الشديد )<sup>(٤)</sup>.

١ - تاريخ اهل الذمة في العراق ص ٢٧٣-٢٧٩  
٢ - كان فلاحا، سرح سنة ٣١٤ م من الجندية وكان ذووه وثنيين يسكنون في ضواحي اسنيه الى الجنوب من طيبة ، واهتدى الى الديانة المسيحية وطلق العلم على يد فالمون بالقرب من خنيوبوسكيون ( قصر السيد اليوم ) راجع : تاريخ الكنيسة الشرقية ص ١ : ١٧٠ وقصة الحضارة ٤/١ ١١٩

٣ - التنظيم الرهباني ص ٣٧

٤ - المرجع السابق .

ومن ذلك الحين تبدأ ولادة السلطة الجديدة التي ستظهر فيما بعد كقوة أكبر وتبنى على أساسها سلطة الكنيسة العليا التي مهدت لظهور الطيفان الكنسي بشتى أنواعه . والتي تمثلت بسلطة البابا في روما .

وفيما بعد، إنضمت الى القانون الباخومي عدة ديارات انجذبت بفعل

الحماس الذي أبداه الاتباع اضافة الى الاديرة التي انشأها النساء ( ١ )

وقد منح الرئيس العام للأديرة سلطة المراقبة على حفظ

القوانين في الأديرة ، ومهام القبول النهائي في جمعية الرهبان وكذلك فرض العقوبات ( ٢ ) .

وقد كان لإنتشار الأديرة وكثرة عدد الرهبان في المدن والأقاليم

المختلفة فرصة كبيرة لولادة المجمع الدينية ، فقد أمر باخوميوس جميع الرواسا\* وجمع (الاخوة من الرهبان ) أن يجتمعوا مرتين في السنة وفي الثالث عشر من آب ،

ليتحققوا من حفظ القوانين في الجمعية كلها ( ٣ ) .

وهكذا تمت في عهد باخوميوس ولادة السلطة الكهنوتية عن طريق

تحكم رئيس الدير بالرهبان وتحكم المجمع بالتشريعات والقوانين .

- الجمع بين الطريقة الفردية والجماعية :

وقد تابع سيرة باخوميوس راهبان هما: يقول ( BG-DULL ) وابن

أخيه شنودي ( Schemouli ) ٣٨٨ م اللذان إتسمت طريقتهما بالقسوة . إذ ابتدع شنودي هذا أمراً لم يكن على عهد سابقه فقد فرض على جميع رهبانه منذ توليه السلطة في ادارة الجمعية عهدا بالطاعة خطيا . ومبدأ كهذا يعتبر من الامور الخطيرة إذ يترتب عليه مسائل تتعلق بقضية الولا\* وهو ما سيشار اليه (٤) فيما بعد ان شاء الله .

كما جمع هذا الاخير بين العزلة والحياة الجماعية معتبرا الثانية مرحلة

لتثقيف بعض النفوس المختارة ( ٥ ) .

١ - تاريخ الكنيسة الشرقية ( - : ١٢٠ )

٢ - التنظيم الرهباني ص ٣٨

٣ - المرجع السابق ص ٤٠

٤ - المرجع السابق ص ٤١

٥ - المرجع السابق

(١) ومن مصر انتقلت الحياة الرهبانية وقوانينها الى كل من فلسطين وبلاد الشام والعراق وآسيا الصغرى . (٢)

( وقد أدخل " هيلاريون الغزى الحياة الرهبانية في فلسطين في القرن الرابع وفي القرن الخامس اشتهر أوطيسس (٤٧٣) ككاتب للرهبانية في الأرض المقدسة وفي الجبال المجاورة لانطاكية في سورية الغربية وفي برية كليسيس ( طبيسة السورية) نشأت فرق عديدة من النساك . ولديهم قضي يوحنا الذهبي الفم والقديس هيرونيوس رداً من الزمن .

اما في آسيا الصغرى والمناطق المجاورة ( فقد انتشرت الحياة الرهبانية بواسطة اوسطائيس مطران سبسطية في ارمينية نحو ٣٨٠ وبالاخص بواسطة تلميذه الشهير . باسيليوس مطران قيصرية قبل وقية واليه يعود الفضل في سن قانوني الحياة الرهبانية : القانون الكبير ، والقانون الموجز ، ( وقد اصبحا عمادا للقوانين التي وضعها الموسوسون الآخرون في الاجيال اللاحقة ) (٣) .

كما أدخل اثناسيوس فكرة الرهينة وممارستها في رومة حيث فتح تلاميذ انطونيوس مدرسة لهذه الفلسفة الجديدة حين رافقوا مطرانهم الى أعتاب الفاتيكان وأثار المظهر الهمجى الغريب لهؤلاء المصريين في أول الأمر فزع الناس واحتقارهم ولكنه دفعهم في النهاية الى استحسانه والتحمس لتقليده وحول أعضاء السناتو والسيدات الثريات بنوع خاص قصورهم وقلايتهم الى بيوت دينية (٤)

وهكذا توسعت الأديرة وازدادت أعداد الرهبان ازيد يساراً مضطرباً في الشرق والغرب وتنوعت القوانين الرهبانية واختلقت من دير الى آخر حسب ما ذهب اليه كل نحلة أو فرقة من الفرق النصرانية . (٥)

وقبل التوسع في دراسة القوانين الديرية ، ينبغي التوقف قليلاً لملاحظة أسباب سرعة تطور الرهبانية وازدياد الرهبان .

- 
- ١ - راجع : معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، د . محمود سعيد عمران ص ١٦٠ ، دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٢ م .
  - ٢ - انظر : تاريخ أهل الذمة في العراق ٢٧٣-٢٧٩
  - ٣ - تاريخ الكنيسة الشرقية ١/١٧١
  - ٤ - اضحلال الإمبراطورية الرومانية ٢/٣٢٠-٣٢١
  - ٥ - مع الأخذ بعين الاعتبار ان " البروتستانت انتقدوا انظمة الأديرة لما كان يتخللها من فساد خلقي تغشى بين الرهبان نظراً لتحريم الزواج انظر : تاريخ الاصلاح في القرن السادس عشر ص ٣٦٨

ثانياً :

أسباب سرعة تطور الرهبانية وازدياد عدد الرهبان :

قد يتساءل المرء عن الأسباب التي تدفع آلافاً الى اعتناق مبدأ الرهبانية مع ما يرافق تلك الحياة من تقشف وعزلة وصعوبة في العيش ، ولا شك أن هناك دوافع كثيرة ساعدت بشكل أو بآخر على سرعة نمو هذا النمط من الحياة وأسهمت الى حشد بعيد في انتشار هذه الظاهرة التي بدأت فردية وأخذت تنمو حتى تعدد تطرق حياتها وتشعبت سبلها .

وقد توغل جيبون في دراسة هذه الظاهرة نظراً لمعرفة وخبرته بخفايا المجتمع المسيحي وخبايا الأوضاع الشاذة التي رافقت تطور المسيحية ، ونموها .

وقد حلل أسباب سرعة انتشار الرهبانية وذبوع امرها ، وقد جاء مطابقاً للواقع مجيباً فيه على اسئلة تخفى على الكثير من العلماء فمن ذلك قوله :

( هو "التعسا" الذين اعتزلوا الحياة الاجتماعية كانوا مدفوعين الى حياة الرهينة بدافع من العبقرية الخرافية ، وهي عبقرية مبهمة لا تخبونها رها وكان عزمهم المشترك يستند الى السبل الذي ضربه ملايين من الجنسين ، من كل عمر ، ومن كل مرتبة ، وكان كل مهتد من الداخلين الى رحاب الدير ، مقتنعاً بأنه عبر الطريق الشائك الوعر الى السعادة الأبدية غير أن فعل هذه الدوافع الدينية كان يحدده بصور مختلفة خلق الناس ووضعهم . فالعقل قد يقهر أثرها والعاطفة قد توقف ذلك الأثر . . .

غير ان هذه الدوافع الدينية كان لها الأثر في ضعف العقول من النساء والأطفال ، وكانت قوتها تزداد بفعل ندم على خطيئة خفية أو محنة طارئة ومن الجائز أنها كانت تستند بعض العيون من بعض الاعتبارات الدينية كاعتبارات الغرور او الصلحة ، وكان من الطبيعي أن يسود الإعتقاد بأن الرهبان الأتقياء المتواضعين الذين نبتوا في العالم لكي يعلوا على (١) خلاص أنفسهم هم أجدر الناس بان يتولوا حكم المسيحيين حكماً روحياً )

هكذا أصبح للراهب مكانته في نفوس الأتباع الجدد الذين كانت تسيطر عليهم هيبة الكهنة بما تخفي وراءها من الفاز خفية لا تظهر للرعياع ( ومن ثم فان الرهبان ذوى الصيت الذائع الذين ارتبطت سمعتهم

بشهرة طاقتهم ونجاحها علواً جاهد بين طي مضاعفة أعداد اترابهم الاسرى فكانوا يدسون انفسهم وسط الاسر النبيلة الغنية ويستخدمون فنون الطق والافعال المنقاة لجذب اولئك المهتمين الذين يمكن أن يقدموا على مهنة الرهبنة من ثرائهم ويضفوا طيبها من مكانتهم ، وكان الوالد الساخط يولول على فقدان ابن ريبا كان ابنه الوحيد كما كانت العذراء الساذجة يضلها الغرور ويدفعها الى خرق قوانين الطبيعة وكذلك كانت السيدة الثرية تتطلع الى الكمال الوهي حين تنبذ ميراث الحياة العائلية) (١)

في هذا الجو الذي اشاعته الرهبانية في الأوساط المسيحية أمكن تعبئة النفوس وشحنها لتقبل هذه الحياة ما شجع الأباطرة والتمدين والامراء والاعنياء و(جعلهم) يتبارون في بناء الاديرة وايقاف الاوقاف طيبها واغداق الهبات اليها . (٢)

وهذه الدوافع الدينية التي كسفت في نفوس اولئك الفارين من نط الحياة الاجتماعية الى حياة العزلة كانت هدفا لشباك الرهبان لاصطياد الطرائد البشرية وما أهون بيع الكلام مقابل شهرة واسعة وجاء عريض . كما ان استغلال تلك الدوافع الدينية والفطر السليمة تعتبر تجارة استحل الرهبان اقتناصها وتحولها لمصلحتهم تحت ضغط الطفيلان النفسي الذي مارسوه تخويفاً من إثم طبراً وزلّة طارئة وما أشبع هذا الاستغلال المومى الى الانحراف عن الصراط السوى .

وما تجدر الاشارة اليه أن هؤلاء المتاجرين بمواطن الناس لم يكونوا من الناحية الدينية والخلقية بأحسن من أي عاص مهتم كانت معصيته . فالأساليب الخادعة ، الهنية على الدجل ، كانت السمة الظاهرة للاغلبية . (٣)

هذا ولا بد من الاشارة الى بقية الاسباب التي لا يمكن تناسيها ما دام الحديث يتصل بالاسباب المومدية الى انتشار وزيوع الرهبانية ، فمن الاسباب التي ترد في هذا الشأن ما يعتبر أخطر وأعمق ما مر في السابق . ان

١ - اضمحلال الامبراطورية الرومانية ٢٢٣/٢ - ٢٢٤

٢ - تاريخ اهل الذمة في العراق ص ٢٧٣-٢٧٦

٣ - والغريب ان القاضي عبد الجبار قد أورد صوراً من الخدع والاحتيال التي يتقنها الرهبان ، وقد اظهر بعض المكاشفات التي تدور بين هؤلاء ومن ذلك قوله ( والغفنا من النصرى يقولون : هذه الآيات والمعجزات انما هي من احتيالات الجبالقة والرهبان ومن يبغض العمل ويغفر من الكد ، ويسمونهم بلغتهم السريانية ( طازق معنات ) معناه انه ترهب ولزم الدين ليأكل من غير طاله ويستريح من الكد والرهبان اذا ما تشاحوا على ما ياخذون يقول أحد هم لصاحبهم ( النصرى يفضلونك علينا ويعطونك أكثر مما يعطوننا ومالك من فضل طينا ، كلنا قد فر من العمل وانما نحن نصلى للنصرى . . . ولهم من المكاشفات ما يطول شرحه . . . وربط جالس الراهب الى الجاطيق بمثل هذا لينفق عنده ، فيقول له الجاطيق يا أخي ما ينبغي ان تعمل



( ان الأديرة كانت لميعة بجمهور من الدهم\* المغمورين الحقرا\* ، الذين كانوا يربحون في أديرتهم أكثر بكثير مما ضحوا في دنياهم ، فالغلاخون والمبيسد والصناع كانوا يهربون من الغاقة والازدرا\* الى مهنة شريفة يخفف من معنبا الظاهرة حكم العادة ، واستحسان الناس ، والتراخي الخفي في النظام ، كما أن رعاييا روما الذين تعرضت ثرواتهم وأشخاصهم لخراج باهظ غير متكافئ\* كانوا يهربون من ظلم الحكومة الايمراطورية اما الشبان الجبنا\* فقد كانوا يفضلون كفاة حياة الرهينة على أخطار الحياة العسكرية ، وكذلك كان سكان الولايات من كل مرتبة ، هم الذين تملكهم الذعر وعدوا إلى الفرار أمام المتبررين ، كان كل هولاء\* يجدون في الأديرة طوى وفداء\* ، وهكذا غصت هذه الأماكن الدينية المقدسة بفرق كاملة من هولاء\* الناس ) (١)

وبعد قراءة ما بين الأسطر فلن يعجب أحد من إفتخار الرهبان بذكر تاريخ الأديرة ونمو الرهبانية وانتشارها في أصقاع الإمبراطورية والتفنن بأصولها ورسوم جذورها في التاريخ .

ومعرفة هذه الأسباب الدافعة الى ازدياد اعداد الرهبان تتكشف الحقائق ، ويستدل الستار عن الفصول التي لعبتها الرهبانية ترويجا لبهاقتها .

وبعد ذلك لا بد من التعرض للقوانين الديرية وط تخضع عنها ممن فرائض وواجبات ، ألزمت الرهبانية أتباعها بالسير عليها .

معنى هذا فأنا أعرق بالصنعة ، هبنا خدنا غيرنا ، بعضنا يعرف بعضنا والصنعة واحدة ، وأنا طازق معناطاً مظك ، فلا تيك .

وبعقب القاضي عبد الجبار على ذلك قافلا : ومثل هذا يرحمك الله تجد كثيرا من القسيسين والرهبان إنا وأوا راهبا أو جاطيقا أو قسا أو طرانبا قد أدعت له المعجزات ونفق على النصارى يقول بعضهم لبعض : انظروا بأى شي\* نفق هذا على النصارى الجبال ونفذت حيلته فيهم واستوت ) . انظر : تثبيت دلائل النبوة ، للقاضي عبد الجبار الهذاني . ت : عبد الكريم عثمان ١ : ٢٠٧ - ٢٠٨ . دار العربية للطباعة والنشر بيروت .

١ - اضمحلال الايمراطورية الرومانية ٢ / ٣٢٥-٣٢٦

٢ - راجع ما كتب عن انتشار وتعدد الرهبانيات في كتاب : الرهبانية الباسيلية الشورية ١ / ٣٦-٣٧ د . أ . حاج ١٩٧٤ الطبعة ٢ وط كتبه بطرس البستاني في دائرة معارفه ٨ / ٦٨٧ .

ثالثا :

## امثلة لبعض القوانين الديرية وتطورها

بعد استعراض أهم الأسباب المؤدية الى اتساع رقعة الرهبانية تجد ر الإشارة الى ان القوانين الديرية ، اتخذت اشكالا مفايرة فسيط بينها تبعاً لتعدد الفرق والمذاهب في المسيحية .

وليس من السهل تعداد الأديرة والرهبانيات التي تأسست في الشرق والغرب ، ولكن تكفي الإشارة الى أنه ما إن يعدد رئيس دير الى تنظيم قوانينه حتى يخلفه تلاميذ ينشئ كل واحد منهم طريقة نسكية وقوانين توافق او تخالف رئيسه السابق ، وهكذا الى ان تجمع في العالم المسيحي ، أديرة وقوانين من الصعب حصرها في مؤلف واحد .

طما بان معظم تلك القوانين قد نسجت على نوال قانون انطونيوس ، واخوميوس واسيلي الذين مر ذكرهم في المباحث السابقة .

وتعداد الأديرة والجمعيات الرهبانية ليس بالامر السهل كما مر ، فهو عمل يحتاج الى وقت وجهد كبيرين ، الا انه تكفي الإشارة الى أهم الرهبانيات التي تأسست ابان العصور الوسطى والتي تحولت جهودها في العصر الحديث الى اعمال التبشير خاصة في العالم الاسلامي ، ودول العالم الثالث بشكل عام .

وأهم هذه الرهبانيات :

- رهبانية الاباء البندكتيون

- جماعة الفرنسيسكان

- جماعة الدومنيكان

- جماعة اليسوعيين

- الجسويتودينزم ( النظاميون ) . ( ١ )

الا ان القوانين الديرية الخاصة بالرهبان فانها تختلف كما سبق القول بحسب اختلاف الفرق المسيحية وما يهم البحث هو ما يختص بالفرائض والواجبات المقررة على الرهبان . لذا سيقتر هنا على بعض النماذج من هذه القوانين لمعرفة تلك المقررات .

١ - تراجع : ما نشره الدكتور عبد الجليل شلبي من حلقات في جريدة المسلمون العدد الثامن والتسعين والتاسع والتسعين تاريخ ١٩ / ربيع الآخرة ١٤٠٧ الموافق ٢٠ / ديسمبر ١٩٨٦ حول جماعات التبشير ضمن سلسلة التبشير والاسلام .

### الرهبانيسة السريانية :

تأثرت هذه الرهبانية الى حد كبير بالتقشف الانطوني والنسك الباخومي وكانت العزلة من أهم السلطات التي يلتزم بها الراهب ، اضافة الى وجود عدة التزامات يفرضها القانون منها :

- ١ - لا يقبل في الدير أي راهب دون أن يحمل كتاباً من نية من الرئيس
- ٢ - عدم السطوح بمفادرة الدير دون إذن الاسقف المكاني
- ٣ - يمر الهمدي\* باختبار يمتد الى سنة واحدة على الاقل . ( ١ )

### الرهبانيسة الباسيلية ( ٢ )

- هذه الرهبانية تعتبر صدى للنسك الباخومي ومن أهم مبادئها :
- ١) - رفض نظام العزلة واختيار النسك الجماعي
  - ٢ - استقلالية الأديار عن بعضها بحيث يكون لكل دير الحق بصياغة قوانين جمعياته .
  - ٣ - سلطة الرئيس في الدير مطلقة .
  - ٤ - مدة اختيار الهمدي\* تخضع لتجارب قاسية
  - ٥ - تقام حفلة للمتدرج علنا وذلك لحفظ العفة ( البتولية ) امام رؤساء الكنائس .
  - ٦ - على الراهب ان يرتبط بالتعهد بالقوانين ( فاذا خالفه وهجر الرهبنة مرتدا الى العالم ارتكب في عرف الرهبانية جريمة تدعى القديسات ( ٣ )

- 
- ١ - راجع : التنظيم الرهباني للكنيسة الطرونية ص ٤٥-٥٤
  - ٢ - نسبة الى باسيليوس : الذي جاء قانونه الدير يمد باخوميوس . وقد انتشر في الشرق . وكان عقل باسيليوس قد تذوق علم أثينا وبلاغتها . وكان طموحه اكثر من ان يشبعه منصب رئيس اساقفه . . . . . فانسحب الى تيطس حيث عاش في عزلة موحشة وفي فترة من الوقت رأى من المناسب ان يسن القوانين للمستعمرات الروحية التي نشرها بكثرة على طول شاطئ البحر الاسود ( راجع اضمحلال الامبراطورية الرومانية ٣٢١/٢ ، وكذلك قصة الحضارة ٢: ٢/١ ١٢٤-١٢٥
  - ٣ - راجع : التنظيم الرهباني للكنيسة الطرونية ص ٥٧-٦١

## الرهبانيسة المارونية (١)

تأثرت الرهبانية المارونية بقوانين عدة منها ، قانون انطونيوس وباسيليوس واغوستينوس ، وهذا الاخير كان ينسب اليه قانون تيناه في القرن الثالث عشر الرهبان الدومنيكان .

وقد شهد القانون الماروني تطورات عدة بعد التزامه بالصيغة البدائية التي كان معمولا بها قديما ، وقد حصلت هذه التطورات خلال العصور الوسطى - واهم الالتزامات التي كانت تفرض على المبتدئ\* :  
اولا : يمر المبتدئ\* بمرحلة تجربة تتراوح بين ٣ سنوات الى ٣ أو ٤ اشهر حسب ارادة الرئيس الذي يتقبل النذور .

ثانيا : ضرورة المواظبة على الصلوات .

ثالثا : ضرورة لباس الاسكيم بعد التجربة

رابعا : ابراز النذور الثلاثة : العفة ، الفقر ، الطاعة .

خاصا : يضاف الى ذلك نذر ، الصوم ، وهو الانقطاع عن أكل اللحم

وكان على الفتى المشرح أن يدخل الكنيسة ويجثو أمام رئيس الدير

بحضور جميع الأخوة ويقول ( انا الاخ فلان ( أو الاخت فلانة ) انذر واحد اللسه

الضابط الكل والطوباهية العذرا\* مريم والطهاوى انطونيوس وجميع القديسين ولك

يا ابانا ان امكث كل ( ايام ) حياتي خاضعا للقانون الاول الذي اعطانا اياه

الطهاوى انطونيوس وايلاريون وأثبتته سيدنا البابا انشنيوس ، سأحيا خاضعا

للتطاعة دون تلك وفي العفة .

ويجيبه الرئيس ( وأنا فلان اذا حفظت طاهدت عليه أعدك بالحياة

الأبدية آمين (٢) .

١ - نسبة الى كاهن ناسك اسمه مارون (٣٥٠-٤١٠ م) عاش بجوار اقاميا أي قلعة الضيق اليوم في سوريا ، ويعود سبب تأليف هذه الطائفة الى الاختلاف في الرأي بين الخلقيد ونهين ( نسبة الى مجمع خلقيدونيا ) وشغور الكرسي الانطاكي على اشرار الفتح العربي فألف أتباع مارون أو بيت مارون عصبة واحدة وكانوا ينتخبون لهم بطريركا خاصا لهم يرجعون اليه في جميع شؤونهم ثابتين على تعاليم المجمع الخلقيد ونسبي الذي يعلم أن فسي المسيح اقنوما واحدا وطبيعتين كالميتين ، وحضا لمزاعم نسطور أو طيخا الكافرين ( على حد تعبير بطرس فهد ) .

راجع في ذلك : الكنائس الشرقية عبر التاريخ ، الاباتي بطرس فهد ص ٦٢-٦٣

مطابع الكريم الحديثة جونيه ١٩٧٢ م ، وراجع ايضا : طرمارون ، قديسو القورشية

اسبيرو جبور ص ٥-٩ ، المنشورات الارثوذكسية ١٩٨٢ مكتبة السائح طرابلس ، لبنان

٢ - راجع : التنظيم الرهباني للكنيسة المارونية ص ٩٧ الى ١٠٤

ويتضح من هذه الفقرة الاخيرة مدى نفوذ الرئيس ومدى الصلاحيات التي تخوله منح الحياة الابدية لمن حافظ على ما عاهد عليه .  
وستتضح الصورة بشكل أوضح أثناء الحديث عن الطغيان الديني الذي طرسته الرهبانية ، انطلاقاً من مبدأ الوصاية على البشر .

اما العقوبات بالنسبة للرهبانية الطارونية فقد نصت على :

- أن من يهجر الحياة الرهبانية ويرجع الى العالم يرتكب تدنيس القديسات  
واذا اتخذ الراهب الجاحد امرأة فانه يرتكب خطيئة المفسق (١) .

#### الرهبانية النسطورية :

تنسب هذه الرهبانية الى نسطور (٢) وقانونها يشمل عدداً كبيراً من القيود التي تفرض على الرهبان ، وربط تكون مواد هذا القانون أوسع من غيره ، ومن شروطه :

- ١ - لا يقبل " راهبا " من كان عبداً ، الا باذن مولاه وان كان حراً وله اباة فبموافقتهم .
- ٢ - ويقبل راهبا من قتل خطأ .
- ٣ - ان يستنذر الفقر والعفة والطاعة وكل ما يستعمله طهوا لا ممن سلكات الدير ويتعهد بعدم امتلاك أي شيء . وعدم بيع الا وانسي التي يستعيرها من العَمْر .
- ٤ - يتعهد بعدم الزواج وأكل اللحم .
- ٥ - ان يقطع علاقته بأهله ولا يرجع اليهم ( ولا يحاد شهم ولا يلبس ثيابهم على سبيل البركة . ولا يتعاطى اشغالهم وعند قبوله في سلك الرهبنة لا يحق له ان يأخذ من بيت أبيه شيئاً سواه . كان أبوه غنياً أم فقيراً ، حياً أم ميتاً ، فان اعطاه أبوه شيئاً على سبيل البركة او اخوته بعد موت أبيه يكون ذلك في سبيل البر ، وان مات هذا الراهب ولم يكن قد أخذ من أهله شيئاً وخلف قلاية

١ - راجع : التنظيم الرهباني للكنيسة الطارونية ص ١٠٨-١٠٩

٢ - ظهر في زمان المأمون وتصرف في الاناجيل بحكم رأيه و اضافته اليهم اضافة المعتزلة الى هذه الشريعة قال ان الله تعالى واحد ذو اقانيم ثلاثة ، الوجود والعلم والحياة وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات ولا هي هو واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكانية ولا على طريق الظهورية كما قالت اليعقوبية ولكن كاشراق الشمس في كوة أو على بلور او كظهور النقش ( في الخاتم ) : الطل والنحل ، للشهرستاني ، على هامش الفصل ٣/٣٧

فليس لأقاربه فيها شيئا فكلما أنه لا يرثهم لا يرثونه ، لكن ماله لا خوته الروحانيين  
وإن إلتس أبواه أو اخوته شيئا طى سبيل البركة يدفع لهم . وإن مات أبوه  
الراهب وله أخت أو أخوات صار الميراث لهن (١)

فإن قبل الرهبان بموجب الشروط السابقة كان عليهم الالتزام بما يلي :

أولا : طى الرهبان أن يعيشوا عيشة طبيعية معتدلة دون افراط  
في تهديم صحتهم كما فعل الرهبان الأوائل بتعذيب أجسامهم تخلصا  
من العالم الفاني وتقربا من الله لأن الله لا يطلب إلا مبلغ الاستطاعة .

ثانيا : يقوم الرهبان ببعض الأعمال لخدمة الدين فبعضهم يقوم بالطبخ  
والبعض الآخر يزرع المحاصيل والحبوب وإصلاح الأرض . ويقاب  
المخالف . فمن يتخلف عن الحصاد مثلا تكون عقوبته التوبيخ . . .

ثالثا : يقسم اليوم الى ثلاثة أقسام ، القسم الأول للعمل ، والثاني  
للقراءة والصلاة والثالث للنفاذ والهدوء .

رابعا : ينام الرهبان في بيت واحد طى الأرض وينام رئيس الدير  
والمرض طى الأسرة وينع الراهب من خلع ملابسه عند النوم . ولا  
يحل وسطه ولا ينام إثنان طى مخدة واحدة

خامسا : يشترط طى كل راهب أن يكون مرتباً في كل أموره ولا يبقى خارج  
عمره أكثر من ثلاثة أيام ولا يشرب فيها الخمر . (٢)  
الى غير ذلك من الفرائض الأخرى .

١ - نصارى العراق في العصر العربي ، جاسم صكيان الربيعي .

١١٤-١١٥ ، كلية الآداب جامعة بغداد ، ١٩٧٤م

٢ - ربط أدرك الرهبان هنا مدى خطورة ما ذهب اليه الأوائل من تعذيب الجسم  
فلم رأوا حكمة هذا السلك أعرضوا عنه ، لأنه يحل الإنسان ما لا يطيق .

وطى الرغم من ذلك فإن التعمت في الالتزام بالواجبات والفرائض

عاد لتؤكد تعسف الرهبانية تجاه حياة الناس ، .

٣ - نصارى العراق في العصر العربي ص ١١٥-١١٧

## اديرة النساء وقوانينها

لقد أحدث باخوميوس في المسيحية بدعة لم يسبق اليها ، وهي ادخال النساء الى الاديرة والالتزام بالترهب فقد شعر هذا الأخير بأن (قلب اخته مريم يحيل نحو حياة التقوى والفضيلة ، لذا ارسل بعضا من اخوانه يبنون لها بيتا فسي قرية تينيسي على مقربة من ديره الأول وأقاموا فيه معبدا صغيرا وبعد قسمليل من الزمن أتت نساء كثيرات يضعن أنفسهن تحت ادارة وسلطة مريم ، وهكذا نشأت أديرة كثيرة للنساء ايضا). (١)

ان هذا الاجراء لم يكن وليد البيئة التي نشأ فيها الحواريون أتباع المسيح عليه السلام بل هو كما لوحظ وليد الفراغ الذي أحدثه غياب همس طيمه السلام وتعاليمه الصحيحة .

وان استند الرهبان الى نصوص مزيفة تدعم آراءهم بضرورة ترهب الرجال فانهم لن يجدوا مطلقا نصا يؤيد دعواتهم بالترام النساء في الاديرة واتخاذ طريق الراهبات .

واظب الظن ان هذا الجهد قد استوحاه باخوميوس من البوذية التي (٢) أقرت قوانين للراهبات واتخذت لهن أديرة للعيش فيها .

ويعتبر جيروم من أقدم آباء الكنيسة في الدفاع عن عزوبة النساء وادخالهن مسلك الراهبات وتعتبر رسائله الى العذراوات من أشد الوصايا حطسا في هذا الصدر (٣)

١ - تاريخ الكنيسة الشرقية (١ / ١٧٠)

٢ - انظر : ص ( ١٥٧ ) من هذا البحث

٣ - كتب جيروم الى احدى الفتيات يقول لها ( انه لا يعارض في الزواج ولكن الذين يتجنون به ينجون من سدوم . . . . . ومن الأم الحمل وصراخ الأطفال ، وتساب البيوت ، وذاب الغيرة ، وهو يعترف بأن طريق العفة شاق أيضا وأن ثمن البكورية هو اليقظة الدائمة . . . ان فكرة واحدة قد تكفي لضياح البكورية . . فليكن رفاقك هم صفر الوجوه الذين هزلت أجسامهم من الصوم . . . ليكن صوتك حداثا يتكرر في كل يوم ، اغسل سريرك ورشي مخدعك كل ليلة بالماء . . . ولتكن عزلة فرقتك هي حارسك طمس الدوام . . . ودعي الله عريسك هو الذي يلعب معك في داخلها . . . فاذا ظنبتك النوم وجسارك من خلف الجدار ، ويد يده من خلال الباب ، ومسح بطنك ، فصحوت من النوم وقت واقفة وناديت " إنني أهيم بحبك " فتسمعينه يقول ( إن أختي حبيبتني جنة مغلقة ، ومن ط غير مفتوحة ، وينوع مختوم . . . ويقول جيروم إنه لما نشر

بعض القوانين المتعلقة بالراهبات :

وضعت قوانين عدة لادبسة الراهبات ، كما وضعت رئيسات لضبط النظام  
بينهن وحددت الواجبات الصلوة بهن . . ويمكن اجمال هذه الواجبات بالآتي :

- ١ - على الراهبات ان يقصن شيئاً من شعورهن على هيئة صليب ،  
ويلبسن الثياب السود ويعشن عيشة جماعية لا تفضيل فيها .
  - ٢ - لا تقتصر واجباتهن على الصلوات بل ترتيل الأناشيد في جنازة  
الموتى يوم دفنهم وكذلك في الايام التالية ، بيد أنه لا يسمح لهن  
بالذهاب الى المقبرة .
  - ٣ - يعهد اليهن واجب الشطاسة ليدهن طالبات العباد والتثبيت  
بالزيت بعد أن يكون الكاهن قد دهنهن في جبهتهن .
  - ٤ - يسمح لهن بترتيل المداريس ( الكتب الدينية ) والأناشيد الروحية  
بينهن وليس في الكنيسة .
  - ٥ - يشترط في رئيسة الدير أن تكون متقدمة في السن ومشهود لها  
بحياتها العفيفة ، وكان يتم تعيينها عن طريق الانتخاب .
  - ٦ - يسمح للرئيسة بتوزيع القران على الراهبات والنساء والاولاد .
  - ٧ - على الراهبات أن يتجنبن كثرة الثثرة والمحادثات الطويلة ، وحفظ  
السنتهن من النيمة . .
- هذا الى جانب قواعد أخرى و ارشادات تتعلق بالطعام واللباس  
الخاص بهن ( ١ )

هذه الرسالة " حياها الناس بوابل من الحجارة ، ولعل بعض قرائها قد أحسوا  
في هذه النصائح بلوعة سقيمة في رجل بيد وأنه لم يسلم بعد من حرارة الشهوات .  
ولط ماتت بليسا ( BLISLA ) الفتاة الزاهدة - الموجه اليها تلك  
الرسالة - بعد بضعة أشهر من ذلك الوقت ( ٣٨٤ م ) أخذ الكثيرون يتندون  
بالزهد الصارم الذي طمسها إياه جيروم ، وأشار بعض الوثنيين بالقائه هو وجميع  
رهبان روم في نهر " التيبير " لكن جيروم لم يتندم على ما فعل ، ووجه  
الى أمها الثكلى ، التي كان العزن أن يذهب بعقلها رسالة تعزية وتقريع )  
قصة الحضارة ٤ / ١ : ١١٠-١١١

٢ - راجع هذه القوانين في : نصارى العراق في العهد العربي ص ١٢١



## تطور القوانين الديرية في الغرب وأثرها

بقيت أنظمة الأديرة وقوانينها تتأرجح بين عدو وجزر لا يستقر لها قرار ، فهي تزيد أحيانا وتنقص أخرى بحسب فتور الهمة ، أو قوتها ، حتى ظهر ( بندكت " ٤٨٠-٥٤٣ ) (١) حيث تمكن من وضع نظام حذت حسنه وه الأديرة أوروبا ونالت في أوساطها شهرة كبيرة .

ومن أهم مقرراته :

- ١ - ان من يدخل الدير يقسم ويتعهد أن يعيش فقيراً أعزب وأن يطيع رئيسه طام حيا .
- ٢ - وأن حياة الراهب صارت حياة كد وكدح متواصل في الكنيسة والدير والحقل لكل ساعة من ساعات اليوم عمل خاص فجعلت الأديرة تقوم بالزراعة ورفعت من شأنها وضاعت في حاصلاتها فضلا عن انها أرست معاهد للعلم .
- ٣ - ولما كانت الرهبنة تُفسرُ أحيانا بالعزلة قاوم ( بندكت ) هذه الفكرة اشد مقاومة فحتم على اتباعه ان يعيشوا ويناموا معا ويحلبوا معا ويقوموا بكل صغيرة وكبيرة - لا أفراداً - بل بهيئة مجتمع .
- ٤ - وكان كل دير يقوم بجميع شئون نفسه ولا يخضع لأسقف طام سوى البابا شخصيا .
- ٥ - وقد اغفل بندكت في قبول الرهبان كل الفروق الاجتماعية والمالية والجنسية فظهرت المساواة داخل الأديرة بين الروماني والشمير والمسيحي والحر . (٢)

١ - بدأ بندكت حياته راهباً متوحداً ومتقشفاً متبتلاً في أحد الكهوف بمنطقة تقع في وسط ايطاليا إسمها سوبياكا . . وأدرك طام كان يعانيه الرهبان المتوحدون ( أي الشمزلون ) من مصاعب نتيجة الحياة التي كانوا يحيونها . فقام بتأسيس دير الأمل في مونت كاسينو حيث إلتف حوله عدد من الرهبان فوضع لهم قانونه المعروف باسمه حوالي سنة ٥٢٩ ) عالم العصور الوسطى ج . ج كوستون ص ١٧١ - ١٧٢ . ت : د . جوزيف نسيم يوسف ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨٣ مصر الاسكندرية .

٢ - راجع في هذا العدد : معالم تاريخ العصور الوسطى ص ١٠٦

وطى الرغم من الاحتياطات التي راعاها بندكت في قوانينه ومحاولة سد الشغرات التي وجدت في القوانين القديمة إلا أن ذلك لم يمنع مطلقاً من تدهور الحياة الرهبانية ، لقيامها أصلاً على مقاومة السنن الالهية في الخلق . ، إذ أن الفساد ط لبث ان اعترى البندكتيين فازدادت الشرورة ، الموقوفه على الاديرة التابعة لهم وتدهورت اوضاع الرهبان ، وياتت الحاجة ماسة للاصلاح فعقد " دير كلوني " سنة ٩١٠ م الى تفادى ذهان هذه النحلة وشجع هذا الدير الحرب الغربية ضد المسلمين في اسبانيا كما شجع حركة الحج الى الاراضي المقدسة .

وقد تخرج من هذا الدير الراهب ( هلد برند ) الذي تولى المنصب البابوي باسم غريغوري السابع ( ٥٩٠-٦٠٤ ) . ( ٣ )

١ - من صور الانحلال والتدهور التي تعرضت لها الاديرة البندكتية : ان اثنين من رهبان فرنسا . . قتلوا مقدم الدير سنة ٩٣٦ م وفرضوا سيطرتهم على الدير حيث عاشا عيشة اقرب الى الامراء ، فصار لكل منهما زوجة واولاد ، واتباعه الذين ينعمون بخيرات الدير وضياعه ) . : اوربها العصور الوسطى ، د . سعيد عبد الفتاح طاشور ٢٤٢/٢ مكتبة الانجلو المصرية ط ١٩٨٠

٢ - ظهرت جماعة دير كلوني في فرنسا في بداية القرن العاشر وكان اساس نظامها الاستقلال التام عن السلطات الدينية والدنيوية والاتصال المباشر بالبابوية . . راجع : عالم العصور الوسطى ص ١٧٢-١٧٣

٣ - كان هذا الرجل قد وضع الأساس المتيقن الذي بني عليه نفوذ بابوية روما في الأمور الدينية والعلمانية على السواء فكان يسمى الى استقلال الكنيسة الغربية عن زميلتها الشرقية فسي بيزنطة في الناحية الدينية كما وضع اللبنة الاولى لاستقلال البابوية من الناحية السياسية ، وقد هيأت الظروف التي أحاطت بنهاية التاريخ القديم وبداية العصر الوسيط فرصة طيبة لتحقيق اهداف البابوية في الناحيتين الدينية والدنيوية ) .

: مقدمة الدولة والامبراطورية في العصور الوسطى ، ل. م. هارتمان

ج . باراكلاف . ت : د . جوزيف نسيم يوسف ص ٤٧ دار المعارف بمصر ١٩٢٠ م  
وراجع في ذلك ايضا : تاريخ الاصلاح ص ٨

ثم انتعشت الاديرة في القرن الثالث عشر بظهور فرنسيس<sup>(١)</sup> السدي  
اسس جماعة "الاخوان الفرنسيسكان" الذين شرعوا بجوبون البلاد حفاة يملأين  
رثة، إلا أن هذه الجماعة فرطت عند ما لاعتزال مؤسسها وُجُوه افرادها التي  
بحبوحة العيش ووضعت نفسها تحت سلطات البابا<sup>(٢)</sup>.

كما عاصرت هذه الفرقة فرقة اخرى دعت باسم جماعة (الدومنيكان)<sup>(٣)</sup>  
التي اعتد عليها البابا في تنظيم محاكم التفتيش ولما أدرك البابا عظم  
الخدمات التي يؤدها هؤلاء الرهبان الشحاذون للكنيسة رفع شأنهم وأباح لهم  
تأدية الواجبات الدينية التي كانت قاصرة على القسس فنشأ العدا بين الطائفتين  
- الرهبان، والقساوسة - وفاز الألون ونالوا رضا الخاصة والعامة<sup>(٤)</sup>  
وقد أفاض الدكتور الشيخ عبد الجليل شلبي في تفصيل أعمال وأهداف هذه  
الجماعات الرهبانية وشاركتها في العديد من الانشطة المعادية للاسلام<sup>(٥)</sup>.

١ - اسمه الأصلي "جان" وهو من بلدة أسيسي في ايطاليا وقد عاش عيشاً لشحاذين  
( ١٢٠٨ ) وقد تمركزت جماعته في أكواخ صغيرة، وقد جاء فرنسيس في حلسة  
لهيئ التاسع على دباط من أجل السلام ( كما يقال ) ولما طرد من فلسطين وجد  
جماعته قد استقرت في دار فاخرة تتم عن العيش السريع والرفاهية فطردهم .  
: محاكم التفتيش، نشأتها ونشاطها د . اسحق عبيد ص ٣٠ ط ١٩٧٨  
دار المعارف بمصر .

٢ - راجع معالم تاريخ العصور الوسطى ص ١٠٨

٣ - اتباع "دومنيك" الذي ولد في قشتاله باسبانيا ودخل سلك الكهنوت وكان ضالماً  
في اللاهوت وفي علم الكلام . وشارك في المجمع اللاتيراني سنة ١٢١٥ وقد انصب  
اهتمامه على التبشير ( : راجع : محاكم التفتيش ص ٣٠  
وراجع كذلك : العيشة الهنية في الحياة النسكية لافرام الديراني ص ٣٩٢ ،  
الطبعة الادبية ببيروت ١٨٩٩ م .

٤ - : معالم تاريخ العصور الوسطى ص ١٠٨-١٠٩

٥ - راجع : التبشير والاسلام، الحلقات ٩٠٨ ، من جريد المسلمين الاعداد

٩٧ و ٩٨ من ١٢-١٨ ربيع الاخر ١٤٠٧ هـ و ١٣-١٩-١٩٧٦

رابعا :

### أثر القوانين الديرية في الصور المغالية للرهبانية

إذا كانت الرهبنة الهندية وطنى وجه الخصوص الجينية منها تعتبر في نظر العظماء مثلثة لأقصى أنواع الرهبنة ، فان الرهبانية المسيحية تعتبر بحق وتحمل قمة هذه الانواع ، ، وذلك لما رافق ورافق هذه الحياة من ضروب في تعذيب الجسم وقهر الروح ما يخرج عن الحد المألوف .

وان كانت الجينية قد خفت ضوءها واضمحللت قواها لكثرة ما انزلت باتباعها من عنت و ضنك ، فان الرهبانية المسيحية تكاد تلقى نفس الصير ، ولا أدل على ذلك من تلك الصرخة التي اطلقتها مجلة المشرق المتخصصة بالحياة المسيحية ، التي وصفت حالة الرهبانية بعين دامة وقلب منكسر حينما قالت . . . ( اما اليوم وقد تغيرت الاحوال والا مزجة فاضطرت الرهبانية ان تراعي في الطالب مزاجه ومقدرته على العمل ، فلا تكلفه من الاشغال ، ولا تفرض عليه من المعوقات ، ما كانت تكلفه اياه وتفرضه عليه من قبل ، ورفقا عن كل هذه التسهيلات نرى الدعوات تقل عن الماضي . . . وربط كان حسب ذلك النقص فتورا في الدين نراه اليوم بعين دامة لينسل في قلوب الكثيرين ويدس فيهم روحا عصرية فاسدة هي روح الكبرياء والاناية . . . ) (١)

ترى ما الذى جعل الرهبان يتراجعون عن مقاصدهم ؟ وما الذى يدفعهم الى التخلي عن التزاماتهم وقوانينهم الديرية ؟

ان في عرض الصور المغالية للمناسك الرهبانية اجابة شافية على الاسئلة وما على أصحاب الرهبانية الا العدول عن ارائهم والتبصير ما هو أنفع لهم ولبرعتهم التي تتقاسم معهم الآثام العريضة ، .

وسوف استعرض بعضا من صور الغلو الرهباني المتسم بالقسوة والشدّة طما بان الوسط المسيحي ينظر الى هؤلاء المغالين بعين الرضا والقبول معتبرين أصحابها قد يسين وشغفا\* وخذ على ذلك امثلة :

اولا : مكاربيوس الاسكندري :

" نشأت بين النساك الفرادى منافسة قوية في بطولة النسك يتحدث عنها " دوشيسن " ( Abbé Dachesne ) بقوله : ان مكاربيوس الاسكندري لم يكن يسمع بعمل من أعطال الزهد إلا حاول أن يأتي بأعظم منه " فاذا امتنع

غيره من الرهبان عن أكل الطعام المطبوخ في الصوم الكبير امتنع هو عن أكله سبع سنين  
وإذا طالع بعضهم أنفسهم بالإمتناع عن النوم شوهد مكارهوس وهو يبذل جهده  
الستيمت لكي يظل مستيقظا عشرين ليلة متتابعة وحدث مرة في صوم كبير أن ظل  
واقفاً طوال هذا الصوم ليلاً ونهاراً لا يذوق الطعام إلا مرة واحدة في الأسبوع ولم  
يكن طعامه هذا أكثر من بعض أوراق الكرنب .

ولم ينقطع خلال هذه السدة عن ممارسة صناعته التي اختلفت بها وهي صناعة  
السلال ولبيت ستة اشهر ينام في مستنقع ويعرض جسده العريان للذباب المسام (١) .

ثانياً : بيساريون ، سراييون ، وراقهيا

ومن الرهبان من أوقفوا على الغاية في اعمال العزلة ، من ذلك  
سراييون الذي كان يعيش في كهف في قاع هاوية لم يجروا على النزول اليها الا عدد  
قليل من الحجاج ، ولم يصل جبروم وولا الى صومعته هذه وجد فيها رجلاً  
لا يكاد يزيد جسده على بضعة عظام وليس عليه إلا خرقة تستر حقبة ، ويغطي الشعر  
وجبهه وكفيه ولا تكاد صومعته تتسع لفراشه المكون من لوح من الخشب وبعض  
أوراق الشجر (٢)

ومن النساك من كانوا لا يترقدون قط أثناء نومهم ومنهم من كان يداوم على  
ذلك أربعين عاماً مثل بساريون او خمسين عاماً مثل باخوم . ومنهم من تخصصوا  
في الصمت وظلوا عدد كبيراً من السنين لا تتفرج شفاههم عن كلمة واحدة . ومنهم  
من كانوا يحلون معهم اوزاناً ثقلاً أينما ذهبوا . ومنهم من كانوا يشدون أعضاءهم  
باطواق أو قيود أو سلاسل ومنهم من كانوا يفخرون بعدد السنين التي لم ينظروا فيها  
الى وجه امرأة . . . (٣)

ثالثاً : سمعان العمسودي (٢٩٠-٤٥٩)

بنى سمعان لنفسه في عام (٤٢٢م) عموداً عند قلعة سمعان في شمالي  
سوريا وطاش فوقه ثم رأى أن هذا اعتدال في الحياة يجلبه المارفاخذ يزيد من  
ارتفاع العمد التي يعيش فوقها حتى جعل سكنه الدائم فوق عمود يبلغ ارتفاعه  
ستين قدماً ولم يكن محيطه في أعلاه يزيد على ثلاثة أقدام وكان حول قمته سور  
يمنع "القديس" من السقوط على الأرض حيث ينام ، وطاش سمعان على هذه

١ - قصة الحضارة ٤/١ : ١٢٠

٢ - المصدر السابق ٤/١ : ١٢١

٣ - المصدر السابق ٤/١ : ١٢٣

البقعة الصغيرة ثلاثين طما متوالية معرضا للمطر والشمس والبرد ، وكان اتباعه يصعدون اليه بالطعام وينقلون فضلاته على سلم يصل الى اعلى العمود ، وقد شد نفسه على هذا العمود بحبل حرز في جسده ، فتعفن حوله وتتن وكثرت فيه الديدان ، فكان يلتقط الدود الذي يتساقط من جروحه ويعيده اليه ويقول :

"كلي ما اعطاك الله" . وكان يلقي من منبره العالي مواظ على الجاهلير التي تحضر لمشاهدته (١) .

رابعاً : انطيوخوس وانطونيوس :

لمسته سيرتها اقل غرابة فان الأول بنى حائطا في وسط صخر والاخر انفرط على ذورة جبل عال وكان كل منبهط يصرف نهاره منتصبا على قدميه يتأمل ويحيت شهواته ويكبد جسده عذاب الجوع والمطش .

وكان أكثر أولئك النساك يدفعون الناس بمثل الوسيلة الآتية وهي : انهم يحطون على اكتافهم خشبة ثقيلة فاذا أثقل النعاس أجفانهم لشدة التعب وطول السهر تسقط الخشبة الى الارض فيهرب النعاس من صوت وقعها (٢) .

ان هذه الصور المغالية لم تكن الا صدى لما كان الرهبان يتلقونه من رؤسائهم من قوانين واوامر ، تلك الاوامر التي يجب التقيد بها فلا يجوز مخالفتها ، فهي بمثابة الامر الالهي الذي لا يجوز عصيانه . وقد كانت المطامرات العنيفة بمثابة تدريبات للرهبان .

فمن صور هذه الاوامر ان واحدا من اولئك الرؤسا\* ( امر راهبا جديدا ان يقفز في نار مضطربة فصدع الراهب الجديد بالاصر... (٣) كما ان هذا الرئيس قد امر راهبا جديدا آخر ان يخرس عصارثيسه في الارض وصقيها حتى تخرج ازهاراً فلبث الراهب عدة سنين يذهب الى نهر النيل على بعد ميلين يحمل منه الماء ليصبه على العصا ،... (٤) .

ومن ذلك ما تراهى لجبرائيل الأهدني حيث رأى معلمه يونان وأمره ان ينشر صخرة كانت تعوقه عن توسيع كنيسة دير قزحيا (٥) .

- ١ - قصة الحضارة : ٤/١ : ١٢٣ وراجع كذلك في هذا الشأن : معالم تاريخ اوربا في العصور الوسطى ص ١٦٠ ، وراجع كذلك صرامة التقشف ضمن مقال عن "الحياة النسكية في لبنان خلال القرن السادس عشر للخوري بطرس غالب مجلة الشرق ٢٧/٢٦٠ وكذلك راجع : اضمحلال الامبراطورية الرومانية ٢/٢٣٦-٢٣٧
- ٢ - الحياة النسكية ، مجلة الشرق ٢٧/٢٦٠
- ٣ - قصة الحضارة ٤/١ : ١٢٢ و اضمحلال الامبراطورية الرومانية ٢٢٧٢
- ٤ - قصة الحضارة ٤/١ : ١٢٢
- ٥ - الشرق ٢٧/٢٦٠

هذه الأوامر وان كانت بمثابة تمرين للراهب إلا أنها كانت مصحوة بالعقوبات ان لم يذعن الأمر بالانصياع والطاعة لرئيس الدير .  
 ان ( كانت اعمال الراهب ، وكلطته ، وحتى افكاره تحدد ها قواعد صارمة او يحدد ها رئيس متقلب المزاج ، واذا ارتكب اتفه الذنوب عوقب بالتشهير المشين او الحبس او الصيام غير المعادي او الجلد القاسي اما العصيان او التضجر ، أو المطاللة فانها كانت تعتبر في حداد الخطايا الرهيبة الموقوتة . . .  
 كانت مثلا قاعدة كولمانوس السائدة في الغرب تقضي بتوقيع عقوبة طاعة جلدة كقصاص للذنوب التافهة . وقبل عصر شارلمان كان رومانيا الاديرة ، يقطعون اطراف الرهبان ويفقأون عيونهم وهي عقوبة اقل قسوة بكثير من السجن او القبور المشيدة تحت سطح الارض والتي ابتكرت بعد ذلك ( ١ )

ان هذه العقوبات كانت بمثابة السيف المسلط على رقاب الرهبان . وهكذا بات من المؤكد ان الراهب يعيش بين فكي كاشة ، واحدة دينية نتيجة التزم والتعننت في النصوص الدينية التي صاغها بولس ورواد فكره المتطسور والاخرى دينية ممثلة برئيس الدير أو من ينوب عنه .  
 سيفان سلطسان على رقبة هذا الياغسس الذي لا ذنب له إلا أنه وقع في أيدي زمرة الرهبان الذين وقعوا مثله من قبل في حمة هذا الصمير .  
 وازا ذلك فإن الآثار السيئة التي ترتبت على ظهور هذه الحالات فسي الحياة الرهبانية قد تقام اوارها وطادت بالويل والثبور على اصحابها .  
 وهذا ط سيكون الحديث عنه في الصفحات المقبلة .

## الاثار السيئة المترتبة على الغلو في الرهبانية

ان التشدد والضيق والمعنت المصاحب للحياة الرهبانية ارتدت  
اثاره السيئة على حياة أولئك الرهبان التعساء ، وقد كان هذا الوضع كفيلاً  
بانعكاس اثاره السد مرة ايضاً على المجتمع المسيحي ككل .  
فعلى صعيد الاديرة لم يكن الحرمان الجنسي والتعذيب الجسدى وكذلك  
النفسي سوى عوامل سوء أدت الى انحراف خطير في لسلوك الرهباني وهدت بها مراض  
خطيرة كالجنون وغيره .

ولقد اعترف العلما بهذا الافراط وذاك التفريط واثبتوا العجز عمن  
تحقيق الحياة الرهبانية ، من ذلك ما قاله ديورانت وغيره :

( لم ترض الكنيسة عن هذا الافراط في التقشف ولعلها كانت تحس بشي  
من الفخر الوحشي في هذا الانزال النفسى وبشي من الشراهة الروحية في هذا  
الانكار الذاتى وبشي من الشهوانية الخفية في هذا الفرار من النساء ومسمن  
العالم كله و سجلات اولئك الزهاد حاظة بالروى والاحلام الجنسية ، وصوامعهم  
تتردد فيها أصداً أنينهم وهم يبقا ومون المغريسات الخيالية والأفكار الفراميسية  
وكانوا يعتقدون أن الهوا الذى يحيط بهم خاص بالشياطين التي لا تنفك تها جمهم  
ويبدو أن الرهبان قد وجدوا ان حياة الفضيلة في العزلة أشق منها لو أنهم عاشوا  
بين جميع مغريات المدن .

وكثيراً ما كان الناسك تختل موازين عقله فيها هوذا روفنس يحد ثنا عن راهب  
شاب دخلت عليه في صومته امرأة جميلة فلم يستطع ان يقاوم سحر جمالها  
ثم اختفت من فورها في الهوا كط ظن هو ، فلما كان من الراهب الا ان خرج هائلا  
على وجهه الى أقرب قرية له ، وقفز في فرن حمام طام ليطفى النار المستعمرة  
في جسمه ) ( ! )

ومطهروى في هذا الصدد ايضاً : ( ان فتاة استأذنت في الدخول الى  
صومعة راهب طاعة ان الوحوش تطارد ها فرضي ان يوبها وقتاً قصيراً ولكن حدث  
في تلك الساعة ان ست جسمه صادقه فاشتعلت نار الشهوة فيه كأن سني التقشف  
الطوال التي مرت به قد انقضت دون ان تحدث فيه أقل أثر .  
وحاول الراهب ان يسبك بها ولكنها اختفت من ذراعيه وعن عينيه



ويقول الرواة ان جماعة من الشياطين اخذت تغني وتهلّل طربا وتضحك من سقطته . ويقول روفينس ان الراهب لم يطق حياة الرهبنة بعد تلك الساعة ، فقد عجز كما عجز "بفنوس" في مسرحية "تيسين" لأناتول فرانس عن أن يبعد عنه رؤيا الجمال التي ابصرها او تخيلها ففاد رصوعته وانغمس في حياة المدينة وسار وراء هذء الروءيا حتى أوصلته آخر الأمر الى الجحيم . ( ١ )

وقد صور جييون تلك الآلام والأحاسيس المحزنة التي كانت تفتاب الرهبان من آونة لاخرى ، : "حتى النوم وهو آخر ملان للبوءسا" التعساء ، كان يقاس وحسب في صرامة ، وكانت ساعات الفراغ التي يقضيها الراهب ترفيء بظء دون مسلسل او متعة لهذا كان قبل انتهاء كل نهار يتهم الشمس مرارا وتكرارا بالتكوء الذي يثير الابل .

وفي هذء الحالة المتعبة المجهدة كانت الخرافة تطارد اولئك البوءسا المتعلقين بها وتعذبهم ، وراحة البال التي ذهبا الى الدير ينشدونها كانت تزعجها فكرة التوبة المتأخرة ، والشكوك الدنسة ، والشهوات الاثيمة ، ولانهم كانوا يعتبرون كل دافع طبيعي خطيئة لا تفتخر فقد كانوا يرتعدون دوما على حافسة هابوة ملتبهة لا قرار لها ، وفي بعض الاحيان كان الجنون او الموت ينقذ هولاء الضحايا البائسين من كفاهم المولم ضد العرض والياس .

( ولهذا ) أقيم في القرن السادس مستشفى في أورشليم لعدد صغير من اولئك التائبين الزاهدين الذين فقدوا صوابهم . ( ٢ )

هذء الامراض كانت تشغل الاطباء ، فيها هو الطبيب العربي ابو الحسن المختار ابن الحسن بن عهدون ، المعروف بابن بطلان البغدادى ، النصراني المتوفى سنة ٤٤٤ ( ١٠٥٢ م ) استعرض الامراض التي تعترى الرهبان في الاديرة ، ومن بعد من المدينة ، وذلك في كتابه " كناش الاديرة والرهبان " ( ٣ )

١ - قصة الحضارة ٤ / ١ : ١٢٤

٢ - اضمحلال الامبراطورية الرومانية ٢ / ٢٣٥

٣ - مقدمة كوركيس عواد على كتاب الديارات لابي الحسن الشابشتي

ص ٤٦-٤٧ ، منشورات مكتبة المشى ، مطبعة المعارف بغداد ١٣٨٦-١٩٦٦  
وراجع كذلك : نوار المخطوطات ، ت : عهد السلام هارون ، المجموعة  
الرابعة ص ٣٤٥-٣٤٦ ، ط ١ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة

سادسا :

النذور الثلاثة : مناقشتها ، ونقدها

نظرا لخطورة القوانين الديرية وما يترتب عليها من آثار سيئة

فقد رأيت من الضروري بيان خطر القوانين المتعلقة بالنذور الثلاثة المقررة على الرهبان ، وتكساد الجمعيات الرهبانية ، الشرقية ، منها والغربية ، تجمع على فرضية هذه النذور ، إلا ما شذ منها بعض الشيء . فهي بشكل عام القاسم المشترك . ولذلك فمن الضروري التوقف عندها لنرى أهميتها لدى الرهبان ومن ثم مناقشتها ونقدها وتفنيد حججها .

وردت في نصوص القوانين الديرية نذور يلتزم الرهبان بها ، ومن فيسّر الجائز مطلقا الخروج عليها وهذه النذور هي :

- نذر الفقر - نذر العفة - نذر طاعة رئيس الدير

اولا : نذر الفقر : على الراهب الالتزام بنذر الفقر المؤبد الذي رفض الاملاك الخارجية ، . . . او الممكن اكتسابها ، واذا كان النذر احتفاليا فيرفض حق الاختصاص نفسه حتى ان كل ما يقصده من افعال التملك يكون قانونيا غير جائز<sup>(١)</sup>

وطيه فان التملك ممنوع في عرف الرهبان وعلى الرغم من اعتراف الشرهين بحرمان الرهبان من الطمأنينة والاستقلال إلا أنهم يتطاولون في تطبيقه بحجة أنه يقرب من الكمال فهم يقولون مثلا :

يفرض النذر تضحيات شاقة : لأنه يحرم الراهب هذه الطمأنينة ، وذلك الاستقلال اللذين يخلو بهما الاستعمال الحر لارزاقه ، فيتحمل أحيانا بعض حرمانات تفرضها الحياة المشتركة . انه لشاق وبذل الالتجاء الى الرئيس كط كان الراهب في عوز الى ضروريات الحياة إن في ذلك اذن أعطى فضيلة يلزمنا النذر بها ، لا يجعلنا نعمل الى الكمال فقط بل نقرنها منه<sup>(٢)</sup> .

وقد التزمت جمعيات رهبانية كثيرة حالات الفقر حتى أطلق على أصحابها اسم الرهبان الشحاذون<sup>(٣)</sup> ، كالفرنسيكان والد ونيكان وراهبات الفقراء الصغار وغيرها من الجمعيات التي انتشرت في اوروبا خلال العصور الوسطى ، وقد بقي القليل منها في الوقت الحاضر .

١ - خلاصة التصوف المسيحي ١٤٢/١ ٢ - المصدر السابق .

٢ - راجع : تاريخ الحضارة في القرون الوسطى والحديثة ، محمد كرد طي ص ٧٧/٧٨ مطبعة التقدم ، مصر ٤ - العيشة الهنيئة ص ٥٩٥ ومعاليم تاريخ العصور الوسطى ١٠٨

وقد فلسف بعض الرهبان هذا النذر فلسفة فارغة تتم عن قلة ادب مع  
الله تبارك وتعالى ، ضاهاة لقول اليهود من قبل ومن ذلك قولهم : ( الفخر :  
هو حركة تفكير داخلي وخارجي تتجدد يوماً بعد يوم ، هو طفولة متزايدة نصير  
فيها متواضعين أكثر فأكثر وأطفالاً أكثر فأكثر على مثال الرب نفسه طي مثال الله  
فالله هو الفقير الأبدى ( تعالى عا يقولون ) إنه كل شيء ولكنه لا يريد أن يمتلك  
شيئاً بل يبذل كل شيء حتى ابنه الوحيد أي نفسه ) .<sup>(١)</sup>

وكما هو معلوم فقد رد الله تعالى مقالة اليهود الآثمة حيث قال تعالى :  
( لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَا سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ  
الانبياءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِ ذُو قَرْبَاةٍ عَذَابَ الْحَرِيقِ ) .<sup>(٢)</sup>

### ثانياً : نذر العفة

يقصد بالعفة هنا التبتل وذلك يكون بالابتعاد عن النساء وعدم التزوج  
وهي في عرفهم " انتصار على شهوة الجسد وانعتاق عن مهام وهموم الحياة العائلية  
ستدلين بقول بولس ( ان غير المتزوج يهتم فيط للرب كيف يرضي الرب وأمسأ  
المتزوج فيهتم فيط للعالم كيف يرضي إمرأته فهو منقسم )<sup>(٣)</sup> . . . فعلى الراهب  
كي يحفظ طهارته طدى حياته أن يسهر وصى ( اي ) ان يبيت حواسه الخارجية  
وفضوله ويكبح زيفان المخيلة والحس )<sup>(٤)</sup>

ويستشهد الرهبان أيضا على ذلك بسفر الروميا ومن قوله ( ثم نظرت  
واذا غروف واقف على جبل صهيون ومعه مئة واربعة واربعون الفا . . . هو لا هم  
الذين لم يتنجسوا مع النساء لانهم ابكار ) .<sup>(٥)</sup>

### ثالثاً : الطاعة لرئيس الدير

لقد نصت القوانين والتوصيات على ان سكن " الراهب " هو الاديار  
حيث يعيش تحت نهر الطاعة مع اخوته ويعترف الرهبان بأن الطاعة هي الصلحة  
المشتركة ، يعلنها الرئيس ولكنها تتجاوز الرئيس والمرووس معا فعند ما يطيسع  
الرهبان يخد مون حياة الكنيسة وبنائها ( ٦ ) .

١ - الحياة الرهبانية ، رهبنة طارجا ورجيوس د بير الحرف ص ٩٠ ط ١٩٨٤ ،

٢ - ال عمران : ١٨١ - ٣ - ١ كو ٧ : ٣٢-٣٣ - ٤ - خلاصة التصوف

السيحي ١٤٢/١ - ٥ - روميا ١٤ : ١-٥ وانظر الحياة الرهبانية ٩٢-٩٣

٦ - راجع التنظيم الرهباني : ١٠ - والحياة الرهبانية ص ٩٥ وقد انتقد البروتستانت  
هذه النذور . راجع تاريخ الاصلاح ص ٢١٨-٢١٩

- مناقشة قوانين النذور الثلاثة والاطار الناجمة عن الالتزام بها :

سرفي الصفحات السالفة رأي الرهبان في النذور الثلاثة ، والغرض من وجوبها على الطرزمين في السلك .

ولرب قائل يورد الاعتراض التالي : ان النذر مشروع عند أهل الكتاب ولا يحق هنا التمرض لا حكامه عند هم لخروجه . عن نطاق البحث . . . ٢٢ .  
وطيه فان الاجابة تكمن في معرفة مضمون المناقشة المطلوبة في هذا الموضوع ، فلا أحد ينكر مدلول الاعتراض لحساسية هذا الجانب ولن نتطرق اليه لهذه الغاية .

الا انه من الحق دراسة الاثار المترتبة على هذه النذور والساوي التي تعتبرها ، وفي بيان ذلك همرة لا ولي الا بصار ، ولعدم الوقوع في نفس الاخطار . ولهذا فانه من الواجب بيان رأي الاسلام في النذور اولاً ومن ثم التمرض للاخطار الناجمة عن التزام الرهبان بتذورهم .

فمن رحمة الله تبارك وتعالى على عباده انه لم يكلف نفساً الا وسعها وط شدد قوم على أنفسهم إلا شدد الله عليهم لخروجهم عن الوحي والانتقال من باب السعة الى باب الحرج والضيق .

وما لاشك فيه ان صور النذور عند أهل الكتاب لم تأخذ طابع العنف والقسوة ابتداءً ، كما صورته الرهبانية فيما بعد .

فقد أخبرنا القرآن الكريم عن نوع من نذور أهل الكتاب وذلك في قوله تعالى ( إِنَّ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . . . ) (١).

كما جاء لفظ النذر في قوله تعالى ( فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرًّا وَهَئِي إِلَيْكَ بِجَذْعِ النَّخْلَةِ تَسَاقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا فَكَلَسِي وَأَشْرَبِي وَقَرِّي هُنَا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ) (٢).

١ - ال عمران : ٣٥

٢ - مريم : ٢٤ - ٢٦

ففي قوله تعالى ( فقلوبني إني نذرت للرحمن صوما ) أي صمتا عن الكلام وقيل بمعنى الصيام لان من شرطه في شريعتهم الصمت وانما أمرت بالصمت صيانة لها عن الكلام مع المتكلمين لها ولان همس عليه السلام تكلم عنها فاخبرها بانها نذرت الصمت بهذا الكلام ، وقيل بالاشارة ، ولا يجوز في شريعتنا نذر الصمت (١) .

وتعريف النذر في الاسلام هو : لغة : الوعد بخير أو شر .

وشرعا : الوعد بخير خاصة ، وقال بعضهم هو التزام قرينة لم تتعين

وقال الراغب : النذر ان توجب على نفسك ما ليس بواجب ، لحديث  
(٢)  
أمر ( .

وهو يعتقد بنذر الناذر اذا كان في طاعة الله (٣) . ولا يكون النذر الا في طاعة الله لما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ( مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعهُ وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلَا يَعْصِهِ ) (٤) .

واذا كان النذر مشروطا بشي \* فإنه يجب بحصول ذلك الشيء \* والا فإنه يحنث ويطيه الكفارة وذلك في مسائل مختلفة مسبوقة في كتب الفقه باب الأيمان والنذور . وقد وردت عدة أحاديث تفيد النهي عن النذر ، فقد روى الامام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ( إِنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَا تَنْذِرُوا فَإِنَّ النَّذَرَ لَا يَغْنِي مِنَ الْقَدَرِ شَيْئًا وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ ) (٥) .

كما روى الامام البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال :

(نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النذر قال انه لا يرد شيئا انما

يستخرج به من البخيل ) . (٦)

ويفسر ابن الاثير النهي عن النذر بقوله ( انما هو تأكيد لامره وتحذيره عن التهاون به بعد ايجابه ولو كان معناه الزجر عنه حتى لا يفعل لكان دل ذلك ابطال حكمه واسقاط لزوم الوفاء به ان كان النهي يصير معصية فلا يلزم الوفاء به .

وانما وجه الحديث . انه قد اطمهم ان ذلك امر لا يجزئهم في العاجل نفعا ولا يصرف عنهم ضررا ، ولا يرد قضاء ، فلا تنذروا على أنفسكم تدركون بالنذر شيئا لم يقدره الله لكم ، أو يصرف به عنكم ما جرى به القضاء طيكم فاذا فعلتم ذلك

- 
- ١ - التسهيل لعلوم التنزيل ٨/٣ ٢ - الفقه الاسلامي وأدلته ٣/٦٨  
٣ - الافصاح ، لابن هبيرة ٢/٣٢٩ ٤ - صحيح البخاري ٧/٢٣٣  
٥ - الافصاح ٢/٣٢٩ ٦ - صحيح مسلم بشرح النووي ١١/٩٨  
٧ - صحيح الامام البخاري ٧/٢١٣

فاخرجوا عنه بالوفاء ، فان الذي نذرتموه لازم لكم ( ١ ) .

وقد أيد الامام النووي ما ذهب اليه الطازرى من احتمال ان يكون (سبب النهي عن النذر كون النساذر يصير ملزماً له فيأتي به تكلفاً بغير نشاط قال :  
ويحتل أن يكون سبب كونه يأتي بالقربة التي التزمها في نذره طى صورة المعاوضة للأمر الذي طلبه فينتقص أجره وشأن العبادة أن تكون متحضرة لله تعالى قال القاضي عياض ويحتل أن النهي لكونه قد يظن بعض الجهلة أن النذر يسرد القدر ويمنع حصول القدر فنهى عنه خوفاً من جاهل يعتقد ذلك وسياق الحديث يوهد هذا والله اعلم ) .

وقد وردت أحاديث كثيرة تشير الى نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الوفاء بالنذور والشاقة التي لا يحتطبها الانسان والتي ترهق كاهله فمن ذلك :  
ما رواه الامام البخارى بسنده عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ تَعْدِيْبِ هَذَا نَفْسَهُ ( لِرَجُلٍ ) وَرَأَى يَشِيَّ بَيْنَ ابْنَيْهِ** ( ٢ )

وفي روايه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ( رأى شيخاً يهادي بين ابنيه فقال : **مَا بِأَلْ هَذَا ؟** قالوا : **نَذَرْنَا نَفسَهُ** ، قَالَ **إِنَّ اللَّهَ عَنْ تَعْدِيْبِ هَذَا نَفْسَهُ لَغَنِيٌّ وَأَمْرُهُ أَنْ يَرْكَبَ** ) . ( ٤ )

وفي هذا الحديث اشارة الى عدم جواز نذر ما لا يحتل . ومن ذلك ايضا ما رواه الامام البخارى عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً يطوف بالكعبة بزمام أو غيره فنقطعه ) . ( ٥ )

وفي رواية ( أن النبي صلى الله عليه وسلم مر وهو يطوف بالكعبة بانسان يقول انساناً بخزامة في أنفه فقطعها النبي صلى الله عليه وسلم بسننه ثم أمره أن يقول **هَبيده** ) . ( ٦ )

كما تشير أحاديث أخر بالنهى عن الغلو في النذور ، وترك ما لا يطاق منها فقد روى البخارى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : **بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه فقالوا أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد**

- ١ - جامع الاصول في احاديث الرسول لابن الاثير الجزرى ت: عبد القادر الاناوط ٥٣٩/١١ ط ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م ٢ - صحيح مسلم بشرح النووي ١١ / ٩٨-٩٩ ٣ - صحيح البخارى ٢٣٤/٧ ٤ - صحيح مسلم بشرح النووي ١١ / ١٠٢ ٥ - صحيح البخارى ٢٣٤/٧ ٦ - المرجع السابق .

وَلَا يَسْتَنْظِلُ وَلَا يَتَكَلَّمُ وَيَصُومُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّةً فَلَيْتَكُمْ لَيْسْتَنْظِلُ ،  
وَلَيْقَمَدُ وَلَيْتُمْ صَوْمَهُ . ( ١ )

كما أوضحت أحاديث أخرى النهي عن نذر ط لا يطك العبد من ذلك ط  
رواه الاطام مسلم من حديث عمران بن حصين قال . . . ( . . . ) . . . لَنَذْرٌ فِي مَعْصِيَةٍ  
وَلَا فِيهَا لَا يَطُكُ الْعَبْدُ ( ٢ ) .

والخلاصة ان نذور الرهبانية هي بمثابة الزام وفرض على الرهبان لا يجوز  
تركها عند هم والا عدت خروجا عن السلك الرهباني .

وقد لوحظ ط تتسم به هذه النذور من مشقة وعنت ، وقد استعرضت نظرة

الاسلام الى النذور وان مفهومه عندنا يختلف عما هو عند المسيحيين ، ذلك لانه  
لا يقدم خيرا بل يؤخذ من البخل او الشحيح والمسلم مأثور بالبذل والعطاء  
والانفاق في وجوه الخير ، وقد نهى عن البخل والتقتير .

وطيهه فاني ساتعرض فيما بعد للاخطار الناجمة عن النذور الثلاثة  
للمعبرة والمعظة ، ومناقشتها ، وتنفيذها كلا على حدة .

---

١ - صحيح الاطام البخارى ٢٣٤/٧

٢ - صحيح مسلم بشرح النووي ١١/٩٩-١٠١

## الاطار الناجمة عن الالتزام بالنذور الرهبانية :

غني عن القول ان امراضا اجتماعية وخلقية قد تمخضت عن التزام الرهبان بنذورهم وتقيدهم بالقوانين المفروضة عليهم .

وسأبدأ بتفنيد كل نذر على حدة :

اولا : نذر الفقر :

تكفل الله تعالى برزق الناس ، فقد رلهم أقواتهم وهباً لهم سبل معيشتهم فهو الخالق الرازق المعطي الطانع المعز الخذل . وليس معنى ذلك أن يرتي الانسان في احضان التواكل ويستسلم للدعة بل هو مدعو الى الضرب في ضاكب الارض قال تعالى ( هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَاشْكُرُوا فِي ضَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ) ( ١ )

وذلك تحقيقاً لمطارة الارض وتحكيم شرع الله تعالى فيها ، الى جانب ذلك فهو مدعو لبراز ايمانه عند الشدائد والمحن بالصبر على سنة التحميص والابتلاء قال تعالى ( أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ) ( ٢ )

هذا الابتلاء متعدد الأشكال فقد يكون بالفقر أو بالغمى أو بالمرض ، أو بفقد الأبناء والآباء ( وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّمْرَاتِ وَبِشْرِ الْعَابِرِينَ ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ ) ( ٣ ) .  
( وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ) ( ٤ )

وسنة الابتلاء طامة لجميع الخلق فقد ابتلى الله بني اسرائيل تحميصاً واختباراً قال تعالى ( وَقَطَعْنَا هُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّطًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ) ( ٥ ) .

كما ابتلى الله المسلمين في كثير من المواطن ، كغزوة احد ، وحنين وغيرها كثير .

واذاً ذلك فط على العبد اطم هذه المحن سوى الصبر والاحتساب ، فهب السبيل لدرء أخطارها ، وتجاوز الابتلاء . ومن العبادى المعينة على ذلك الصبر والتواضع لله تعالى والاعتدال في أمور الحياة والترفع عن مباحجها ومغرياتها

١ - تبارك : ١٥ - ٢ - المنكبوت : ٢-١ - ٣ - البقرة : ١٥٥-١٥٦

٤ - محمد : ٣١ - ٥ - الاعراف ١٦٨



واتباع ما اباحه الله تعالى من النعم دون تقثيرها واسراف .  
 ( وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا  
 أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ) (١)

هذا التوسط المستنبط من الآية الكريمة هو وسيلة ناجعة لتحقيق الغرض المنشود ، إما اختراع حالة الفقر مع القدرة على تحاشيه ورده والسماح باهدار كل ما يمت الى الحياة الكريمة بصفة ، وترك ما يقيم الانسان عليه ، واتخاذ التسكع وسيلة للكسب (٢) ، فهو انكار لنعم الله تعالى على عباده ، كما انه سمع للربها والسعة ، وهما من الأمور المحيطة للعامل .

فما الداعي الى انكار انعام الله وفضاله ؟ قاله تعالى ( يُحِبُّ أَنْ يَرَىٰ أَثَرَ النِّعْمَةِ عَلَىٰ عِبَادِهِ ) (٣)

والاسلام يحض على هذا فقد روى ابو الاحوص عن ابيه قال ( أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَيُّ ثَوْبٌ دُونَ ( بِال ) فَقَالَ لِي : أَلَيْكَ مَالٌ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : مِنْ أَيِّ الْمَالِ ؟ قُلْتُ : مِنْ كُلِّ الْمَالِ ، قَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ : مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ ، وَالغَنَمِ ، وَالسَّخِيلِ ، وَالرَّقِيقِ ، قَالَ : فَإِنَّ آتَاكَ اللَّهُ مَالًا فَلْيَمْرَأْ ثَرِيْعَةً اللَّهُ عَلَيْكَ وَإِكْرَامَهُ ) (٤)

والزام الناس بما لا يطيقون بيورث الكآبة والقنوط من رحمة الله تبارك وتعالى ولهذا جاءت الاستعانة ( اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْقِلَّةِ وَالذَّلَّةِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ ) (٥)

فاذا قصدت الرهبانية من وراء هذا النذر التواضع لله والتذلل له ، فلا يكون عن طريق الاستجداء والاستعطاء والتسكع أمام الناس كما فعل رهبان الفرنسيسكان والدونيكان وغيرهم ، فهي خصال تحط من كرامة الانسان التي منحها الله له ( وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ) (٦)

إما الطريق الأمثل فهو سبيل التوسط والاتزان ( وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ طُورًا مَحْسُورًا إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ) (٧)

١ - القصص : ٧٧

٢ - راجع ما فعله الرهبان في هذا الخصوص : " تاريخ الحضارة في القرون الوسطى والحديثة ، محمد كرد علي ص ٧٧

٣ - أخرجه الترمذي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده باسناد حسن ، راجع جامع الاصول ٦٥٨/١٠

٤ - أخرجه النسائي ، ورواه الامام احمد في السنن ٤٧٣/٣ واسناده صحيح

انظر : جامع الاصول ٦٥٨/١٠ - ٥ - رواه ابو داود والنسائي باسناد حسن راجع جامع الاصول ٣٥٦/٤ - ٦ - للاسراء : ٧٠ - ٧ - للاسراء : ٣٩ - ٣٠

فإذا اخطت هذه الموازين وترك الانسان لهواه أمر التشريع كما فعلت  
الرهبانية بنذر الفقر فإن الحياة تتخذ طابع السلبية وتتحدرنحو الهاوية .

ولعل بعض المنظمات الرهبانية أدركت تلك المذلة التي يرتكبها غلاة  
الرهبان ، فسنت قوانين من عندها فرضت على الرهبان القيام بالاعمال اليدوية<sup>(١)</sup>  
تدركا لهذا الموقف المخزي .

ومهما حاولت الرهبانية لتفادي هذه المعضلة الا ان المشكلة الاساسية  
التي تواجهها تبقى دون حل وهي معضلة المتسكنين في القلايا والمحابس الذين  
يعبسون انفسهم في الكهوف والمغارات النائية في اطالي الجبال<sup>(٢)</sup> . واغلب الظن  
ان هذه البدع أخذت تقل تدريجيا في العصر الحديث لأنها تنافي الفطرة الانسانية  
التي فطر الله الناس عليها .

ومن مراقبة حركة التاريخ وما نجم من بدعة نذر الفقر والحرمان يعلم ان  
أنهن الرهبان وامراضهم وحالاتهم المزرية ادت بشكل او باخر الى ردة فعل  
عكسية في المجتمع الكنسي .

فهذه اكبر سلطة رهبانية تعيش منذ تسلمها مقاليد السلطة وسطمجتمع  
الكرادلة والاساقفة حياة طيبة بالترف والبذخ. وهال السيدة " دايانك مودادى سارا<sup>(٣)</sup>  
واك " ما رأته من أبهة الكرسي الباهوى وما يحيط به من مآذيل يندى الجبين لها .  
وهكذا يتناسى الرهبان ما عاهدوا عليه من نذر للفقر ضاربهين قرارات  
مجامعهم عرض الحائط وهذا الغشيل نابع من العناد الذى ترتكبه الرهبانية  
بفرض قوانين تعارض الفطرة البشرية وتقتل فيها روح الخير والسعادة .

١ - راجع : تاريخ الكنيسة الشرقية ١٨٤ / ١

٢ - راجع مجلة الشرق ٦٥٣ / ٢٧

٣ - هذه السيدة أسلمت وتسمت باسم " خير النساء " دى سارا واك وكتبت كتابها  
بعنوان " من رومة الى مكة " وقد شرحت فيه رحلتها الطويلة قبل اسلامها ومقابلاتها  
للبابا وانتقدت فيه الكنيسة واعمالها وما قالت في هذا الصدد ( وطى الرغم ما كنت  
اشعر به في بدو زيارتي لرومية لم أتطالك نفسي من الدهشة لهذا الظاهر التسي  
لاحتالي كأنها تشيلية اشبهت بحياة الساحر ، واعتراني ألم عيق في نفسي لشاهدة  
العظمة المتجلية في ملكة الغاتيكان من الظاهر الطادية وأبهة القصور وثن الاثاث  
زد على ذلك ما شاهدته من الرزى المدني للكاردينالية ما آثار في كثير من الفصور  
الروحي ، ففكرت أنئذ بالمسيح وحياته وتقشفه وصبره وقناعاته وكل ما كان يتحلى به من  
شظف العيش . . . رأيت البابا الوريث الزمني يتقدم بموكبه الطكي محمولا على الظهر  
جالسا على أريكة تحف بها المجوهرات من كل جنب فيفشى لمعانها الابصار . . . )

راجع ص ٤١ من الكتاب المذكور . ت : رافت شنبور ، طبعة اللوا طرابلس الشام ١٩٣٥  
لبنان . وراجع في قضية الترف والبطر : الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٦٤٣ / ٦  
د . جواد طي . وعن رذائل الاكليروس راجع : تاريخ الاصلاح ص ٥٧٤

## ثانيا : نـنذر التبتل

مر الحد يث عن رفض الكنيسة السماح للرهبان والقسس بالزواج . وقد

بينت أحكام النكاح في الاسلام ومكانته . .

ولم يقتصر النقد الموجه الى هذا المبدأ على المسلمين ، فقد وجهت

انتقادات من قبل بعض المسيحيين ايضا :

يقول صاحب ( ربحانة النفوس ) ان هذه العادة لا يوجد لها برهان

في الكتاب المقدس ، وانما دخلت بالتدريج ، لما خامرهم من توهم أفضلية البتولية

وظنهم أنها أركن من الزواج ، ومدح من جاء على أثرهم لها مدحا بالغاً النهاية

في الاطراء فحسبوا من الواجبات الأدبية المأمور بها ، ووضع نظام وقوانينهم

لوجوبها في الجيل الثالث ، حتى قاومتها كنائس اخرى ، ورفضت بدعة البتولية

وقوانينها ، لمغايرتها للطبيعة ، وضادتها لنص الكتب الالهية واستقرارها أديرة

الراهبات بأنها في بعض الاماكن كانت بيوتاً للفواحش والفساد (١).

وفي كتاب البراهين الانجيلية ضد الباطيل البابوية ( يقول :

( ان ذم الزيجة خطأ لانها على الافضل لان الرسول أخبر بان الزواج

خير من التوقد بنار الشهوة وأن الأكرهين من رسل المسيح كانوا ذوي نساء ، تجول

معهم ، ومن المعلوم أن الطبيعة البشرية تفصب الانسان على استيفاء حقا ومن

العدل أن تستوفيه وليس بمحرم طيبها استيفاءه حسب الشريعة . ولا استطاعة

لجميع البشر على حفظ البتولية .

ولذلك نرى كثيرين من الأساقفة والقسس والشمامسة لا بل من الباباوات

المدمنين للعصمة قد تكرر سوا في هوة الزنا لعدم تحصنهم بالزواج الشرعي .

هذا وان ذات النذر بالامتناع عن الزواج هو غير طائل ، لتضمنه سلب

حقوق الطبيعة وكونه يضع الانسان تحت خطر السقوط في الزنا ويفتح بابا واسعا

لدخول الشيطان .

وكان الراهب بندر . على نفسه مقاومة أمر الله وعدم وجود ألوف . . .

ربما كانت تتولد من ذريته فكانه قد قتلها . وهذا النذر لم تأمر به الشريعة الانجيلية

قط . فالطريقة الرهبانية هي اختراع شيطاني قبيح لم يكن له رسم في الكتب المقدسة

ولا في اجيال الكنيسة الاولى ، وهو ضرر على انفس الرهبان وعلى الشعب فمن

يقاومه يقاوم الشيطان . وهو لا الهبان لا نفع منهم للرعية ، انما هم كالامراة الذين

بتخذون لانفسهم قصورا خارج العمران ، فيتعمون وحدهم في اديرتهم  
ويسلمون اموال الشعب بالحيل والمخادعات وهم كسالى بطالون ، يعيشون من  
اتعاب غيرهم ، خلافا لسلوك رسل المسيح . والمبشرين القدام ، الذين لم نسر  
واحدا منهم انفرد عن العالم في مكان نزهته ، واحتال بان يعيش من اتعاب الشعب<sup>(١)</sup>

هذه شهادة سيحية على ما يرتكبه الرهبان من اخطا  
نتيجة تسكهم بهذا الهدأ .<sup>(٢)</sup>

اضافة الى ذلك فان الغضائح التي تزكم الانوف والتي يرتكبها  
الرهبان والراهبات اكثر من ان تحصى . والمؤرخون اعرف بهذه القضايا .

فعلى الرغم من شدة التعاليم الدينية والدعوة للحفاظ على تطبيقها  
كل ذلك لم يكن الرهبان من قهر الحاجة الجنسية لديهم ، بل عكست فعلها  
لدى اولئك المتعبد بين المتبطين من ذكور واثناث .

( وان الاخبار التي استقيت من حياة الرهبان والمتعبدين تبين الحاجة  
التناسلية وعطشها ) فقد كانت تحركهم وتدفعهم اليها كما أصبح الاقناع الجنسي  
على العموم مستحيلا عند رؤساء الكنيسة خلا بعضهم ، وهو عدد ضئيل ، فلم  
يثبت الطارئة والكنهنة أمام قوة الضرورة الجنسية .

فقد روى ( MEZERAY ) في القرن الثامن لليلاد أن معظم  
الطارئة والقساوسة في فرنسة الذين لم يتزوجوا ، كانوا يحصلون على نساء ( خليات )  
يشبهن الحظايا ) ما جعل المصلحين في القرن السادس عشر يهاجمون عزوبة  
الكنهنة بقوة ) وقسوة ، فقرر مجمع ( Miban ) بأن يكون للحظايا زى خاص  
بهن وأن يمنعن من ارتياد الفنادق والمؤسسات العامة ، وخصص لهن بعض  
الأحياء ليقيم فيها ،، ووضعت تلك المحال تحت رقابة الطارئة والسلطات المدنية .

ومن العوامل التي ساعدت الكهننة على ذلك نقصان عدد الرجال بسبب  
سفرهم مع حملات الحروب الصليبية ، فازداد عدد النساء اللائي يقين بدون زوج  
وحصل في ( WILRZBOLLER ) في أواخر القرن الخامس  
عشر أن السكان رفضوا أن يسافروا او ينضموا الى تلك الحملات الصليبية لعدم

١ - محاسن التأويل للقاسي مجلد ٩ ج ٦ ص ٦٠ وراجع عن ذلك : تاريخ الاصلاح

٢ - راجع كذلك ما كتبه الدكتور الشعلان عن نقد بعض المسيحيين لهذا الهدأ  
وذلك في كتابه : نظام الاسرة بين المسيحية والاسلام ، ١ : ٣٠٨ وطبعها

اطمئنانهم على نسايتهم خوفا من زيارات الكهنة لهن ، ولط فشا مرض الزهري في اوربا سنة ١٤٩٣ م بواسطة بحارة كوليس أصحاب هذا المرض الساري الفتاك اظب الكهنة تقريبا (١).

وقد أفرد الأستاذ عبد الكريم التتير فصلا مطولا عن فحش الباهوات وفسقهم وتعرض لحياة العديد من القمص .

ويمكن اعطاء بعض النماذج عن تلك الفضايح التي لطخت سمعة رجسالة الدين المسيحي عبر التاريخ ، طط بأن القصد من وراء هذا العرض ليس التشهير انط هوللتنبيه وأخذ العبرة لعل القاصمين على الرهبانية يبتغيروا رأيهم واسلوبهم في الحياة والعودة الى ط امرالله تبارك وتعالى

اولا : حياة القديس داماسوس الاول ( ٣٦٦-٣٨٤ )

لقد وجه " ارسنيوس وحزبه " اتهامات الى هذا القديس ووصفوه بأنه رجل زاني (٢).

ثانيا : القديس سكمتوس الثالث ( ٤٣٢-٤٤٠ )

اقببت دعوى ضده بتهمة افتضاض بكارة احدى العذارى ، وقد الف مجمع للحكم على " قداسته " (٣).

ثالثا : يوحنا الثامن ( ٨٧٢-٨٨٢ )

هذا البابا لم يكن رجلا بل امرأة ، وای نوع من النساء ؟ من النساء الزانيات ، وكان الشعب مغشوشا " بقداسته " ولم يشك احد في انوثته الا معارفه الذين كانوا يمسون له او بالاحرى ( لها شهواتها ) ومنما كان هذا البابا ماشيا في احتفال في مقدمة الكروينالات والبطارنة محاطا بالزينة والانوار علامة على قسوة وجلال البابية أتي ( لقداسته ) المخاض وذلك في أهم شارع من شوارع روما (٤).

١ - كتاب : " الزواج " عمرضا كحالة ٤٠/١

٢ - راجع : " تاريخ الفحشاء " أو تاريخ الآداب العمومية ص ١٦٥-١٧٤ ط في ٢٠ ايلول ١٩١٢ لبنان ، وقد استند المؤلف في بحثه الى مصادر غربية كثيرة منها - محافل الباهوات ، ليالي ، و- تاريخ البابية ، لريدل ، وجرائم النصرانية لغوت وهويكر - و الخوري والمرأة والاعتراف للاب شينكوى الى جانب العديد من المصادر الاخرى راجع ص ١٦٧ وط بعدها .

٣ - المصدر السابق ص ١٦٦-١٦٧ ٤ - المرجع السابق . وراجع كذلك : تاريخ الاصلاح ص ٧

اما تاريخ حياته فهو : ابنة أحد المرسلين الانكليز . . . كانت لها علاقة غير شرعية باحد رهبان ( فولد ) لذلك لبست ثيابا كالرجال وهربت مع طاشقبا الى اثينا وهناك طات حبيبها بعد مدة قصيرة بعد وصولها .

وبعد موت العاشق رجعت هذه الزانية الى روما وهناك بسبب معارفها المتنازعة صارت خوري فكردينال ثم ارتقت فصارت بابا وظلت الى أن عرفت أنوثتها وذلك لما ولدت طفلا لم الجمهور وهسي ماشية في مقدمة احد المحافظ العظيمة ومنذ هذا الوقت حتى أيام لاون العاشر ( ١٥١٣-١٥٢٢ ) فسي القرن السادس عشر اى لمدة نحو ستة أجيال ونصف كانوا يقيمون في روما احتفالات ( و ) التي لا يمكن وصفها هنا حيث تحدث عند انتخاب كل بابا وذلك للكشف طيه كي يتأكد ما اذا هو ذكرا وانثى ( ) .

رابعا : اسكندر السادس ( ١٤٩٢-١٥٠٣ )

ان قداسة هذا البابا كان من الادنيا ولم يكن له أقل سلطة طى شهبوات وقد أقام حفلات الرقص والخلاعة والسجون في قصره وقد أثار بأعماله الشنيعة سخط الكثير من الناس فقد أقدم طى ارتكاب جريمة الزنا بابنته لوكريسيا بورجيا التي كانت في الوقت ذاته خليفة أخوها ، وكانت ثمة معارك خفية تضطرم في ذلك العريسن بين عماد الجطل والهوى المحرم ، وكان جان سفورزا زوج لوكريسيا أشد الناس تأييدا لهذه التهم ( ٣ )

وينقل بوركارت لمحة من لمحات المجتمع الروطاني الذي طاش فيه هذا البابا فيقول ( وكان يسود ذلك المجتمع الروطاني " الرفيع " يوشذ نوع من الفساد الشامل ، وتغلب فيه حياة الفجور والمرح ، وما قولك بمجتمع يقدم فيه سيده وزعمه الروحي . - البابا - أسوأ المثل الأخلاقية فيمصطفى الخليعات جبارا . وينتزع الزوجات من أزواجهن ويقتني فيه شيوخ الدين من كرادلة وأساقفة الخليعات جبارا وتتنقل فيه الزوجات الشرعيات زوجات الأما والكبرا بيمن أحضان العشاق من مختلف الطبقات ويفرغ طم التهنك والخلاعة ويغفل فسي حفلاته وفي مرجه ومجونه كل مظاهر الحشمة والحيا ( ٤ )

١ - تاريخ الفحشا ١٦٧-١٦٨

٢ - اسمه الحقيقي رود ريجو بورجيا ثم تحول الى اسكندر السادس ، راجع محاكم التفتيش د . اسحق مبيد ص ٣٤ الطبعة ١ ١٩٧٩ دار المعارف بمصر .

٣ - انظري المآسي والصور الغوامض ، محمد عبد الله عنان ص ٢١ طبعة دار الكتب

المصرية ١٩٤٤ م وقارن مع : محاكم التفتيش ص ٣٤-٣٥

٤ - المآسي والصور الغوامض ص ١٧ ، نقلا عن مذكرات ( بوركارت ) ، وربما

كان الاسم الصحيح ( بيركارد ) راجع كذلك محاكم التفتيش ص ٣٥

### خامساً : بيوس التاسع

يتحدث التنوير في العشرينات عن هذا البابا فيقول : اذهب الان الى روما وهناك الروم الكاثوليك يدلونك على البنيتين الجميلتين اللتين ولدتا للبابا بيوس التاسع ( ١٨٤٦-١٨٧٨ ) من صاحبتيه وهناك يخبرونك عن اسطوخموس صاحبات اخرله - ثلاثة منهن راهبات - وهؤلاء كان يعاصبهن منذ كان خوريانا وطراناً (١).

ومن اضطلع على محاكمة السيولميوتاكيل وما ألفه عن غرام البابا بيوس التاسع تحت عنوان "البابوات الثلاث أو أسرار روما" بجزأيه يعرف تماماً مدى صحة ما نقله التنوير فسي كتابه .

تلك الفظائح لم تكن وحدها على هذا المستوى الذي وصلت اليه بل هناك مؤسسات دينية اخرى تطرق إليها هذا الفساد .  
ولرب قائل بان حياة الأباطورة كانت تدعو الى مثل هذه الميائل وربما كانت الاديرة انظف اخلاقا واشد عفافا من الاباطرة .

الا ان الواقع يكذب هذه العقولة ، فقد ترجم محمد فريد وجدى ما نقلته دائرة معارف لاروس الفرنسية حالة الاديرة خلال القرون الوسطى ومن ذلك :  
( ما قاله ( دويتز ) بعد أن زار الاديرة في النمسا وفي السالك الأخرى التابعة للطك فرديناند الاول سنة ١٥٦٣ قال : انه رأى طفة وعشرين ديرة تحتوى على ٤٣٦ راهبا و ١٦٠ راهبة و ١٩٩ سريه و ١٥٥ امرأة متزوجة و ٤٤٣ طفلا .  
وقد كتب هذا الكاتب حينه يقول ( انه يخشى ان يتكلم على راهبات زمانه تفاديا من ان يظن انه تكلم باسباب ومجون عن محلات الفسق والفحش والمهرلينات الهوى بدل أن يتكلم عن حظائر الطهر التي تعيش فيها العذارى الواقفات أنفسهن لعبادة الله لأن الاديرة الدينية لم تكن اليوم هي تلك المعابد المخصصة لسعبادة الله بل صارت بيوت فسوق ومحلات اجتاع اهل الدائرة من الشباب الذين لا هم لهم الا قضاة شبهواتهم البهيمية ) (٢)

ولمست هذه الامور من الشؤون المنعزلة ولا الخاصة بزمان دون زمن ففي الازمنة القديمة لام القديس نسيبريان ( والقديس بازيل عذارى زمانهما الاتسي

١ - تاريخ الفحشاء ص ١٧٤

٢ - راجع : أسرار روما ، ورواية البابوات الثلاث . ت : طانيوس عبده ، مطبعة الانصاف ، الناشر ، ابراهيم خليل ، بيروت .

٣ - دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدى ، مادة رهب : ط ٣ وعن الفجور والدعارة في الاديرة راجع : تاريخ الاصلاح ص ٣٦٨

وقفن حياتهن لله على ما ظهر من عدم عفتهن ، ورأى " جان كرهزوستوم " انه لا يكفى قتل الراهبة التي تخون عفتها ، بل رأى ان تقطع او تدفن حية مع شريكها في الاثم (١) هذه شهادة كافية للدلالة على فشل ممارسة الرهبان لنذر التبتل والمعة ، ومن الدلائل الأخرى على ذلك ما ذكره ابو الحسن الشابشتي في وصف الدير والرهبان من خلال كتابه " الديارات " وما كان يدور فيها من فسق ومجون ، وما قيل من اشعار الغزل في الرهبان والراهبات . ( ٢ )

هذا ما كان يحصل في العصور القديمة والوسطى ، أما في العصر الحاضر فان هذه الفضائح تفاقمت وتعدت الى ما لا يمكن السكوت عنه .

فالأمراض الفتاكة أصبحت تهدد كيان المجتمع البشرى من جراء ما اكتشف من أمراض مبيته كالايديز والهربيس وغيرها . فضلا عن الأمراض المعدية كالزهري وغيره مما بات يشكل خطراً على حياة الانسان ، وقد كشف الدكتور محمد علي البار حقائق مذهلة عن انتشار الزنا في المجتمعات الغربية خاصة في مجتمعات الرهبان ورجال الكنيسة . . . ( ففي تحقيقات بارعة نشرتها " الديلي ميل " عام ١٩٧٠ ذكرت أن الاحصائيات تدل على أن ما يقرب من ثلثين بالغة من الرهبان والراهبات ورجال الكنيسة يمارسون الزنا . . . وان ما يقرب من أربعين بالغة منهم يمارسون الشذوذ الجنسي ايضاً ، وانتشار الزنا في رجال الكنيسة ورهبانها وراهباتها قديم الا انه لم يكن بمثل هذا الشروع .

ولا شك ان الكنيسة تتابع تطور المجتمع الغربي وقد أباحت كثير من الكنائس الغربية الزنا كما أن بعضها قد أباح اللواط . . . وفي بعض الكنائس في الولايات المتحدة يتم عقد قران الرجل على الرجل على يد القسيس .

واذا طعنا أن روتشيلو الكاردينال الفرنسي المشهور كان مصاباً بمرض الزهري أشد الأمراض الجنسية خطورة فاننا لا نستغرب أن تنشر مجلة النيوزبيك في عدد هذا الصادر في ١٩٧٤/٧/١ أن أحد كبار كرادلة فرنسا مات وهو في أحضان إحدى العاهرات في باريس ، وقد نشرت مذكرة إحدى العاهرات في فرنسا فجاء فيها أسماء ثلاثة بابوات وأحد عشر كرادلة ( ٣ ) .

وتبعاً لهذا التطور فقد انتشر مرض الايدز بين الرهبان ، ففي رسالة نشرتها جريدة المسلمون تبين ان (طاربو رفشيرو وهو راهب اصيب بمرض الايدز وقد اعتزل حياة الدير لانه اصيب بهذا الداء أثناء وجوده هناك بين ستين راهباً وقد اعترف ان الدير " فهو انجلند " رغم وجود الصمت فيه الا انه لم يمنع قيام علاقة خاصة بين الرجال الستين ( ٤ ) .

١ - راجع : مادة رهب في دائرة معارف القرن العشرين ، ط ٣ - ١٩٧١ نقلاً عن دائرة معارف لاروس ٨٩٧/٣

٢ - راجع كتاب " الديارات " لابي الحسن الشابشتي ، ت : كوركيس هوان .

٣ - مجلة المجتمع عدد ٦٤٨ ٢ ربيع الاول ١٤٠٤ ص ٣٦ الكهيت

٤ - جريدة المسلمون العدد ١٠٥ السنة ٣ ، ٩ جلد في الاخرة ١٤٠٧ هـ



## ثالثا : طاعة رئيس الدير

هذا المبدأ يعتبر من أهم الثغرات المحدثة في السلك الرهباني وهو بالتالي هدف لأقوى الطاعن الموجهة الى الكنيسة ورجالها .  
فالطاعة الصحيحة الواجبة لولي الأمر بحسب قوله تعالى ( . . أطيعوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ . . . )<sup>(١)</sup> تأخذ طابعا حساسا لدقّة المسؤولية الطقاء على الولي ، ولا يمكن بحال من الاحوال ان يكون مفهوم هذه المسؤولية كما يراها الرهبان والقسس .

فالطاعة الحققة تكون لمن عني يتطابق شرع الله تبارك وتعالى في الأرض وانزال الناس عند حكمم الباري وقضائه ، والاطار العام الذي ينبغي ان يعمل على تنفيذها يتمثل في اقامة الحدود ، والفصل في المنازعات ، والسهر على مصالح الناس ، وتسهيل أمور حياتهم الدينية والدنيوية والدعوة الى الله تبارك وتعالى قولا وعملا وجهادا .

ونعني بالامور الدينية : ارشاد الناس نحو تطبيق أوامر الله تبارك وتعالى التعبدية ، صلاة وزكاة وصيام وحج ، وحشهم وتذكيرهم بها والمحافظة عليها من غير أن يرتبط هذا العمل بأي شعار يوجب تقديس ولي الأمر أو رفع مرتبته ومنزلة وايصالها الى مرتبة الوسطاء والقدسين كما تفعل الرهبانية برؤوساء الأديرة وكبار رجال الكهنوت .

فالا سلام يوجب طاعة ولي الأمر فيما لا يتعارض مع طاعة الله تبارك وتعالى ان لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

فان لم تكن هذه الطاعة وفق المنهج القويم فان النظام باسره يكون عرضة لخلل دائم يورث الفشل الذريع وينتهي الى الاضمحلال لانه يحل المجتمع عبثا ثقلا ، وهذا السبب ناجم عن اتباع الناس لاوامر هؤلاء الرهبان وهم بشر معرضون دائما للخطأ والزلل .

والانسان اذا امتطى حياقة القيام بمعصية التشريع فقد تعدى حدود بشريته طمعا في نيل رتبة المشرع ، وهو يعلم ان الله تبارك وتعالى وحده هو الذي يشرع للناس طابعا بهم من أمور دينهم ويفرض عليهم العبادات والطاعات التي يراها لهم .

ولا يمكن بحال من الاحوال قبول دعوى الرهبان بان ط يودونه من طاعة لروءساً الاديرة انما هو تطبيق لشرع الله وضماجه ، وان صاموا وان ضلوا . ذلك لان شرع الله تبارك وتعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وط يطبقه الرهبان يخرج عن هذا النطاق ، ان أن السحة البشرية المتدعة بادية على القوانين والانظمة الديرية ولا مجال لانكار أو افعال أسما<sup>١</sup> واضعياها ، وليس للرها نية اى مستند شرعي صحيح يثبت ان عيسى عليه السلام قد وضع هذه القوانين وتلك القواعد التي تتحكم بالحياة الديرية .

ومن راقب انا جيلهم يعلم انه عليه السلام لم ينمزل في مغارة عسنة مجتمعه ولم يأو<sup>٢</sup> الى كهف في جبل أو أنه ذهب جسده بحمل أو حديد أو أرهق نفسه بالافلال بل نراه يخالط المجتمع ويعظ الرجال والنساء على السوا<sup>٣</sup> ويناقش السماتدين من اليهود وغيرهم -

من كل ذلك يتبين لنا أن الانحراف عن الصادي<sup>٤</sup> التي جاء بها عيسى عليه السلام انما جاءت نتجة الايحات التي بشها بولس وتتبعها انطونيوس وباسيليوس ومن لف لفهم فهو<sup>٥</sup> هم الذين ابتدعوا تلك القوانين ثم توالس المتدعون عبر تاريخ الكنيسة مستوحين قواعدهم من سبقهم من الرهبنة اليهودية وبقية الاديان الوضعية الوثنية .

غير أن أهم ما انطوت عليه هذه الطاعة هو تطور وضعها وتساقم أمرها الى حد أن عدت هذه الشخصيات البشرية من دون الله . . . واقل درجات الشرك عندهم انهم اتخذوها واسطة تقربهم الى الله زلفى مضاهاة للاديان الوثنية القديمة التي قدست فيسها رجال طرسوا سلطانا روحيا هائلا على الجاهير واحاطوا بهم هالة من الغموض والاسرار واصبحوا هم الوسطا<sup>٦</sup> بين الناس والبهتهم التي فكفوا عليها .

وقد كان هذا هو شأن المسيحية المعرفة التي نسجت ادمغة المخيلة الاوروبية القديمة ، لانها دين وضعي وان تصح بالمسيح عيسى بن مريم وبالوحي الرباني وزعم انه من عند الله ومن ثم كانت له كهانه وكان له رجال دين وكان هو<sup>٧</sup> الكهان البابا - على راسهم وسطا<sup>٨</sup> بين الناس وبين الله ( ١ ) .

١ - بتصرف عن : مذاهب فكرية معاصرة الاستاذ محمد قطب ص ٢٧ دار

الشروق ط ١٤٠٣ - ١٩٨٣ م

لقد لغت القرآن الكريم الإتياء الى حقيقة هذا الانحراف العقدي  
 فقال تعالى : ( اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ  
 ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ) (١)  
 كما تعرض المفسرون لمعنى ومرمى هذه الآية بالشرح ، فأشاروا الى  
 فضائح اليهود والنصارى في قضية هذا الانحراف المنفي الى اطاعة أحيارهم  
 ورهبانهم طاعة عمياء أطلوا لهم فيها الحرام وحرموا عليهم الحلال (٢) ، وعظموهم  
 ورفعوهم الى مقام الألوهية والعبادة بالله .

وقد استشهد المفسرون بحديث هدى بن حاتم الطائي رضي الله عنه :  
 قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال : يا  
 هدى اطرح عنك هذا الوثن ، وسمعته يقرأ : ( اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا  
 مِنْ دُونِ اللَّهِ ) قال : إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا  
 لهم شيئاً استحلوه ، وإذا حرّموا عليهم شيئاً حرّموه (٣) .

١ - التوبة : ٣١

٢ - راجع في هذا الصدد كل من : تفسير ابن كثير ٢/٣٤٨ وكذلك : التسهيل  
 لعلوم التنزيل ٢/١٣٥ وفتح القدير للشوكاني ٢/٣٥٢  
 ٣ - هذا الحديث رواه الترمذى وفيه ( غطيف بن أعين ) قال في تحفة الاحوذى :  
 غطيف بن أعين الشيباني الجزري ويقال بالضاد المعجمة : ضعيف من السابعة كذا  
 في التقريب . وقال في تهذيب التهذيب في ترجمته : روى له الترمذى حديثاً واحداً  
 وقال ليس بمعروف في الحديث . راجع تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى ٨/٤٩٢  
 ط ٢ ، ١٣٨٧ هـ ، ١٩٦٧

وقد ذهب بعض العلما الى ان هذا الحديث يتقوى بطرواه الطبرى  
 عن محمد بن بشار قال حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال حدثنا سفيان بن حبيب بن  
 ابي ثابت عن ابي البختري عن حذيفة انه سئل عن قوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم  
 اربابا من دون الله اكانوا يعبدونهم قال : لا كانوا اذا احلوا لهم شيئاً استحلوه  
 واذا حرّموا عليهم شيئاً حرّموه ( راجع : جامع البيان ١٠/٨١ وقال الاستاذ  
 الارناؤوط بعد ان ذكر صادر حديث هدى وما ذكره الترمذى من حال غطيف  
 بن اعين : لكن في الباب عن حذيفة موقوفاً اخرجه الطبرى رقم ٦٦٣٤ وط يتقوى به )

ها مش جامع الاصول ٢/١٦١

وقد نقل الامام الرازي خلاصة الآراء في هذه الآية خاصة في السألسة الثانية ما اورد من مسائل فقال ( الاكثرون من المفسرين قالوا : ليس المراد من الارباب انهم اعتقدوا فيهم انهم آلهة العالم ، بل المراد انهم اطاعوهم في اوامرهم ونواهيهم ، نقل أن عدي بن حاتم كان نصرانيا فانتبه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يقرأ سورة براءة فوصل الى هذه الآية ، قال : فقلت : لسنا نعبدكم فقال : ( أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه ، فقلت بلي : قال : انهم ربطوا وجدوا في كتاب الله ما يخالف أقوال الأحرار والرهبان فكانوا يأخذون بأقوالهم وما كانوا يقبلون حكم كتاب الله تعالى ) (١)

وقد فند الرازي رأى الخوارج في قولهم : انه تعالى لما كفرهم بسبب انهم اطاعوا الاحبار والرهبان فالفاسق يطيع الشيطان فوجب الحكم بكفره . . . فاجاب بقوله ( ان الفاسق وان كان يقبل دعوة الشيطان الا انه لا يعظمه لكن يلعبه ويستخف به اما اولئك الاتباع كانوا يقبلون قول الاحبار والرهبان ويعظمونهم فظهر الفرق . . . ) (٢)

وقد اشار صاحب الظلال رحمه الله الى بعض الحقائق التي تتعلق بضمون هذه الآية فمن ذلك ما قاله ( ان العبادة هي الاتباع في الشرائع ينسب القرآن وتفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاليهود والنصارى لم يتخذوا الاحبار والرهبان اربابا بمعنى الاعتقاد بالوحييتهم او تقديم الشعائر التعبدية لسيبهم . ومع هذا فقد حكم الله سبحانه عليهم بالشرك في هذه الآية وبالكفر في آية تاليسة في السياق بمجرد أنهم تلقوا منهم الشرائع فاطاعوها واتبعوها فهذا وحده دون الاعتقاد ، والشعائر يكفي لاعتبار من يفعله شركا بالله ، الشرك الذي يخرج من عداد المؤمنين ويدخله في عداد الكافرين . . . .

- ان النسب القرآني يوصي في الوصف بالشرك واتخاذ الأرباب من دون الله بين اليهود الذين قبلوا التشريع من أحبارهم واطاعوه واتبعوه وبين النصارى الذين قالوا بالوحيية المسيح اعتقادا وقد موا اليه الشعائر في العبادة ، فهذه كظك سوا في اعتبار فاطمها شركا بالله .

ان الشرك بالله يتحقق بمجرد اعطاء حق التشريع لغير الله من عباده ولو لم يصحبه شرك في الاعتقاد بالوحيية ولا تقديم الشعائر التعبدية له كما هو واضح من الفقرة السابقة ) (٣)

- ١ - التفسير الكبير للفيخر الرازي ١٦/٣٦-٦-٣٧ ط ١ الطبعة البهية المصرية ١٣٥٧-١٩٣٨ ٢ - المرجع السابق ١٦/٣٧-٣٨  
٣ - في ظلال القرآن ، سيد قطب ٣/١٦٤٢ ، دار الشروق ط ١٠  
١٤٠٢-١٩٨٢ م

وما أفساد به العلق\* قديما وحديثا صحيح ولا شك فسي تفسيره ، لسا  
أشار اليه القرآن الكريم من دلالات واضحة . من أنهم اتخذوا أحبارهم ورهبانهم  
أربابا من دون الله ..

والناظر في صادر العقائد النصرانية يرى هذا الامر بوضوح فمن ذلك  
ما قاله صاحب خلاصة التصوف المسيحي :

( ان القديسين الذين يحظون بالله في السما\* يعبتون بتقد ينسنا  
وساعد ونا على النجاح في الفضائل بشفاعتهم القوية وامنتهم الشريفة التي تركوها  
لنا : فعلينا ان نحترمهم وما انتمهم شفعا\* اقويا\* طينا ان نستغيث بهم  
وما انهم امثله لنا طينا ان نقتدى بهم ..  
اذن نكرم في القديسين :

( ا ) مقام من الثالوث الحية الذي تنازل وسكن فيهم وزين نفوسهم  
بفضائل ومواهب وأثر في قواهم ليجعلنا نصد ر عن حرية اعلا استحقاقية ونحهم  
النعمة علامة الثبات .

( ب ) - ابنا\* الاب بالتبني : أحبهم حبا عجيبا وأحاطهم بعنايته الابوية  
فعرفوا أن يقابلوه على ذلك باقترابهم شيئا فشيئا من قداسته وكمالاته .  
ج ) اخوة يسوع واعضاؤه بحب وثبات .

د ) معابد الروح القدس وعطاله الخضع المسلمون قيادهم الى الهاماته  
بدل ان يتبعوا بمعنى ميل الطبيعة المنشودة ( ١ ) .

ويقول الاب اوليه ( لذلك تستطيعون أن تعبدوا باحترام عميق  
حياة الله المنبثة في كل القديسين وتعظموا يسوع المسيح مقومهم جميعا ومكلمهم  
بروحه الالهي ليكونوا جميعهم واحدا فيه . . . ) ( ٢ ) .  
ويقول ايضا ( طينا ان نستدعهم لننال شفاعتهم القوية وبسهولة اكثر  
نحن بحاجة اليه من النعم لا شك أن وساطة يسوع وحدها ضرورية وكافية بذاتها  
لكن بحصر المعنى ، بما ان القديسين هم اعضا\* يسوع القائم من الموت يضمن صلواتهم  
الى صلواته ان كل جسم المخلص السرى يصلي ويقتصب قلب الله اغتصابا عذبا ) ( ٣ ) .

وما يضاف الى قولهم ( واذنا تناولنا الامر من ناحية اخرى فلدي ينسنا

١ - خلاصة التصوف المسيحي ٦٥-٦٦/١

٢ - المرجع السابق ٦٦/١

٣ - المرجع السابق

ايضا عبادة خاصة للقديسين شفعائنا ان نرى في اصطفاثنا اياهم  
شعما\* دلالة على العناية الالهية فعلينا ان نستفيد منها ( ١ )

من هذه النصوص وغيرها نعرف كيف حرقت الديانة الصحيحة ، وكيف  
اصبحت ديانة وضعية .

فمن الواضح ان واضعي هذه العقولات قد جانبوا الصراط السدى  
سار عليه عيسى عليه السلام وحواريوه الخالص .

وهم بذلك يرتكبون جريمة الشرك بالله تعالى وقد ارتضوا بسان يكونوا  
وسطا\* بين الخلق والخالق وان يعبدوا من دون الله تعالى عا يصفون .

كما ان ادعا\*هم بانهم رجال دين اكبر دليل على زيف هذه الديانة  
ذلك لان الدين المنزل من عند الله تبارك وتعالى لا يوجد فيه من يطلق عليهم  
رجال دين (لنا يوجد رجال صالحون من جهة وطما\* وفقها\* في الدين من جهة  
اخرى وليس لهؤلاء\* على الناس سلطان الا سلطان السعية والتقدير ومكان  
القدوة الصالحة في النفوس ) ( ٢ ) .

وهكذا فان الدين المنزل من عند الله يفترق في هذا الشأن عن الاديان  
الصنوعة على يد البشر في خصلتين اثنتين على اقل تقدير  
( الاولى : ان يكون الذين يعلمون الدين للناس اقرب في سلوكهم الى حقيقة  
هذا الدين ومقتضياته اى اكثر وعيا واكثر اخلاصا واقرب الى الله كما كان المهاجرون  
والانصار بالنسبة للجيل الاول من المسلمين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .  
والثانية : ان يكونوا متفقيين في أمر الدين لهجيوا الناس على اسلقتهم  
التي تخطر لهم بشانه سواء\* في الجانب التعبدى المتصل بالعقيدة والشعائر  
او الجانب المعطى المتصل بالشرعية . . .

وأمر طبيعي أن يكون لثل هؤلاء\* الرجال موضع التقدير والاحترام من بقية  
الناس ولكنهم بحكم طبيعة الدين المنزل من عند الله لا يكونون موضع التقدير .  
اولا : لانهم يعلمون الدين الحق والدين الحق يجعل التقدير لله  
وحده وليس لاحد من البشر .

ثانيا : لانهم يعلمون الدين بجانبه ، ما يتعلق منه بالعقيدة والشعائر  
وما يتعلق بتنظيم أمور الشخصية الدنيا يقتضى الشرع الرباني فيخاطبون فسي

١ - خلاصة التصوف المسيحي ٦٢/٠

٢ - مذاهب فكرية معاصرة ص ٢٦

الناس جانبهم الروحي وجانبهم العقلي والمعطي التطبيقي ، فيظل ارتباط الناس بهم ارتباطا واحدا لا سحر فيه ولا غموض ولا اسرار ، ومن ثم لا يصبحون في حسن الناس وسطا\* بينهم وبين الله وانما وسطا\* بينهم وبين المعرفة وفرق بين الوسايطين كبير (١).

هذا هو مفهوم رجال الدين في الرهبانية والكنيسة المسيحية وذاك هو مفهوم العلماء والفقهاء في الاسلام ، والناظر في التاريخ الاسلامي المريق يجد اعلاما وعملقة عظاما من طوائف الاسلام في شتى المجالات ، كما يجد في التراث الاسلامي ما يبهر العقول لكثرة المؤلفات التي قام هؤلاء الافذان بتدوينها ونشرها في سبيل العلم والتعليم ، ولم يكن الغرض من ذلك دعوة الناس الى تقدسهم او انزالهم مرتبة الوسطا\* بين الحق والخلق . انما كان الغرض ابتغا\* وجه الله سبحانه وتعالى بنشر دينه واعزاز كلمته في ربوع الارض . ولو علم اولئك الرهبان ما لمنزلة المعالم في الاسلام ديننا وديننا

لادركوا بحق انهم يعيشون في خيالات واوهام ، وان الحياة التي ينشدونها هي ما هي الا سراب ، وخداع ، واوهام لا اساس لها من الصحة ، بل هي حياة زائفة من صنع صناديد الكنيسة التي استطاعت اغراق الرهبانية في زحمة المتاهات ، واستغلالها ابشع استغلال في سبيل تحقيق اغراض بعض اصحاب النفوس المريضة ، الساعية الى الطفيان .

وسوف اتمعرض للآثار السلبية المترتبة على هذا الاستغلال في الصفحات

التالية . ان شاء الله . تعالى .

## الفصل السابع :

### الاشارة السلبية المترتبة على استغلال الكنيسة للرهبانية

استطاعت الكنيسة بعد تكوينها وبث جذورها في العالم المسيحي استغلال الرهبان في تدعيم سلطتها ، وتقوية نفوذها ، ونشر دعوتها قسرياً مخطف اصقاع العالم المسيحي . وقد ترتبت آثار سيئة على الاستغلال انعكست على المجتمع ككل ، ابرزها ، قيام السلطة البابوية باشع جرائم الطفيان عبر تاريخ الكنيسة الطويل والذي يبرز بشكل واضح ايمان العصور الوسطى ، وللموصول الى هذه الحقائق ، كان لا بد من التعرف على النقاط التالية :

- نشأة فكرة الكنيسة وتطورها
- امداد الرهبانية للكنيسة بجيوش الرهبان لتدعيم السلطة .
- تطور مفهوم الاسقف
- طفيان السلطة البابوية ، المادى والمعنوى والاقتصادى والسياسى والدينى .

من خلال هذه النقاط المطروحة يمكن تقييم الاعمال التي قامت بها الرهبانية عبر التاريخ ، ومدى الاثار التي احدثتها ، والنشائج التي آلت اليها ، وذلك للوصول الى اعطاء حكم الاسلام فيها .



أولا :

## نشأة فكرة الكنيسة وتطورها

ما لا شك فيه ان فكرة الكنيسة بمفهومها الحالي لم تكن واردة مطلقا في اذهان الجيل الاول الذي تربى في احضان دعوة عيسى عليه السلام ، .

وتعجز نصوص الاناجيل عن تلبية رغبات المسيحيين بسند قوى ليوثيد واهم به دعواتهم من ان المسيح عليه السلام قد امر بانشاء كنيسة او دعا الى ذلك . حتى مفهوم الكليروس وطبقة رجال الدين المسيحي لم تكن واردة من قريب او بعيد ابان القرنين الاولين .

وقد وجد الباحثون غموضا يلف الاسباب الداعية الى نشوء الكنيسة ، الا ان التتبع التاريخي لها ، ادى بالمعز الى كشف بعض الجوانب المحيطة بهذا الموضوع ، فقد كان المسيحيون ( يجتمعون في حجراتهم الخاصة او في معايند صغيرة وقد نظموا أنفسهم على مثال المجامع اليهودية واطلقوا على كل جماعة منهم اسم (الالكيزيا EKKLESIA) وهو اللفظ اليوناني الذي كان يطلق على الجمعية الشعبية في حكومات البلديات ، وكانوا يرحبون بالعبيد كما كان يرحب بهم في عبادات ايزيس وشراس ، ولم تبذل اية جهود لتحريرهم ولكنهم كانوا يواسون بان يقال لهم انهم صبيشون في ملكوت يكون الناس فيه جميعا احرارا ) ( ١ )

هذه الاجتماعات وتلك التجمعات ساعدت كثيرا على ايجاد نوع من الهيئات الدينية البدائية ، وقد تمكنت فيما بعد من دراسة نظم ومناهج غريبة عن كيانها الاساسي فاخذت منها ما تمطيع تطبيقه على شكلها التنظيمي ، وقد كان لتنظيمات " يهود المهجر " واليهود الوثنيين أثر كبير في هذه الهيئة المسيحية الجديدة بالهادى الاساسية لهذا التنظيم ومن ثم كان لابد من احداث وظائف ورتب ادارية وكهنوتية لهذه التجمعات .

وقد فرضت الضرورات انواع الوظائف وسبي الموظفين بأسماء اخذت عن

اللغة الشائعة مثل :

- بريسبيتروس : اى شيخ
- ابيكوبوس : اى مشرف
- دياكونوس : اى خادم

وقد تطورت معاني هذه الكلمات فيما بعد على التوالي الى :

- قس ، واسقف ، وشطاس .

وقد استطاع منصب الاسقف ان يحظى بتأييد القطاعات الاخرى مما اتاح له فرصة السيطرة على الوظائف الباقية . ( ١ )

وفي تطورات لاحقة : صورت الجطاطات المسيحية هذه نفسها بعد تكوينها على ان كل واحدة منها تعتبر نوط من ( التلخيص لكنيسة السيد الكبرى ، راسها الشرعي الاسقف الذي يتخذ في ذلك قدوة من المسيح راس كنيسة الله ( الكبرى ) واخيرا قد اصبح الاسقف على اثر نمو الطقوس الدينية رئيسا للعبادات الجطاطية ( ٢ )

كما اصبح مفهوم الاسقف في عرفهم يعستبر ( مثل الله في الكنيسة ولا يصح لاحد أن يأتمر بأمر غيره فيها ومخالفة ذلك رجز من وحي الشيطان ، وكانت الفكرة الضمنية المتعارف عليها بطبيعة الحال : ان الاسقف لا يقوم بعمل الا بالاتفاق مع هيئة ( البريسبيتروس ) ( و الدياكونوس ) ولكن ايجيناس يقول : لتكنن اعينكم معلقة بالاسقف حتى ينظر اليكم الله " ، ويقول : طيكم بتمجيد الله والاسقف .

... وقد صار المسيحيون في بداية القرن الثالث او حوالي ذلك يؤمنون طامسة بأن وحدة التنظيم يجب ان تكون موازية لوحدة الايمان وأن لا تقل اهمية عنها . . . .

ومنذ ذلك الحين بدأ العمل في تيرير الامر الواقع ( ٣ )

وهو تسددهم سلطة الاسقف وهبوط سيمتعرض له البحث بعد الحديث عن : اسداد الكنيسة باعداد الرهبان وساعدة الرهبانية لسيها في بسط نفوذها .

١ - راجع : المسيحية ، جنبير ص ١٣٥ وراجع : تاريخ الاصلاح ص ٤

٢ - المسيحية : ١٣٧ - المرجع السابق

## ثانياً : اعداد الكنيسة باعداد الرهبان

لم يكن بإمكان أي تنظيم مسيحي الوقوف على قدميه دون الاعتداد طمس عناصر مؤهلة طمياً ودينياً تمكنه من تحقيق أهدافه .

كما لم يكن بوسعهم أيضاً الاعتداد على الطبقات الدنيا من المجتمع إذ ظل العلم محصوراً وحكراً على الرهبان سواءً في العصور الأولى للمسيحية أو في العصور الوسطى (١) . كما لم تكن الأديرة قادرة على ضبط عناصرها الكثيرة المختلفة داخل أطوارها الرهبانية لفشل الأنظمة الممتدة والمخالفة للسفطرة البشرية التي مر الحد يث عن صورها في الفصول السالفة .

فكان لابد أمام طبقات معينة من الرهبان الخروج عن نطاق أدبهم لتأخذ دورها في المجتمع المسيحي الواسع ، والمنفتح في الوقت ذاته على كل غريب خاصة على العالم الخارجي فلم يعد أمام هذه الفئات سوى التنازل تدريجياً عن قوانين نذورها الديرية .

وأمام هذين العاطمين كان من الطبيعي جداً أن نرى المؤسسات المسيحية تنهض على اكتاف خريجي الأديرة من الرهبان وأصبح كل دير حصناً ضيقاً ونقطة دفاع عن الباطن فيما بعد ، وقد تفاقمت هذه الأعداد تفاقماً كبيراً طمياً بأن تلك الأديرة أسهمت إلى حد كبير في عملية التبشير المسيحي التي فرضت نفسها ( عن طريق التسرب اليومي البطيء المشترك على الصلات بين المدينة والقرى وفي بعض الحالات الأخرى اتسم انتشارها بأعمال مفاجئة مثل تبشير قرية باكلها أو مجموعة قرى في يوم واحد وكانت في غالب الأمر تسير على أسلوب الأبدال أي تحول لصالحها من الأساطير والخرافات السائدة معتدة على عبادة القديسين لديها . تلك العبادة التي يسرت كثيراً من مهتها التبشيرية : فتقيم تماثيل قديسيها محل الشخصيات الإلهية الصغيرة التي اعتادها الفلاحون وأحيوها حياة لا اعتقادهم بانها تؤدى لهم العديد من الخدمات اليومية التي يطلبونها منها وهكذا بدأت القرى وكأنها أخذت بأهداب المسيحية ، وتقدم العمل التبشيري فيها كثيراً في نهاية القرن الخامس ( ٥ )

١ - راجع : عالم العصور الوسطى في النظم والحفارة ص ٩٩

٢ - المرجع السابق ١٧٩ - ١٨١

٣ - المرجع السابق

٤ - معالم تاريخ العصور الوسطى ص ١١٠

٥ - المسيحية ، جنيف ، ص ١٧٩ وقارن مع : تاريخ الحضارات العام ٣٥/٣

على أن اعداد الرهبان قد مكن الكنيسة بالفعل من بناء مؤسساتها الدينية والاجتماعية بصورة واسعة .

وهكذا صيغ مبدأ الكنيسة وفق مفاهيم الرهبان أنفسهم وضمن مخططهم وكذلك عقدت المجامع الكثرية وفق آرائهم وتطلعاتهم . حيث أقروا فيها ما رأوه مناسباً لحالهم ومكاسبهم وذلك وفقاً للعقائد التي أطيح عليهم وهي في غالبيتها تعريفاً للعقيدة الصحيحة .

وعلى هذا النحو بدأت تتشكل عبر الزمن طبقات من رجال الدين أسهمت في تكريس نظام الكليروس . كطبقة معترف بها . كما كان من الضروري ان تكون شرائحها العاملة من الرهبان أنفسهم وبذلك أمكن للكنيسة مجدداً إيجاد المناصب التي مرزكرها ومنها منصب الاسقف الذي تطور مفهومه تطوراً خطيراً ليصبح فسي

١ - ما كانت الرهبانية لتصل الى تقرير وتمهيد عقائد ما وما حورته منها الا عبر مجامع عامة استندت اليها ودعت للاعتراف بشرعيتها . وما كانت هذه المجامع لتعقد لولا الغرض الدينية التي أصابت المجتمع المسيحي إبان العصور الأولى . على أن أوائل هذه المجامع كان معناها باقرار عقيدة التثليث وما تفرع عنها من آراء تأليفية . اضافة لما أقر من قوانين وانظمة تتعلق بشؤون الكنيسة . الا ان أخطر مقرراتها تلك التي تعلقت بمقررات الحرمان وصحكوك الغفران ومحاكمة كل العقائد التي تخالف مبدأ التثليث وتعريض اصحاب العقائد الصحيحة للقتل والطرده من رحمة الكنيسة كما حدث لآريوس الذي نادى بعقيدة التوحيد .

كما أن أبرز مقررات هذه المجامع وأخطرها : ما تعلق منها بفرض شرعية الأناجيل الأربعة ورسائل أعمال الرسل ، لما حوته من عقائد توافق هوى الرهبان ونزعاتهم الداعية الى الحلول والاتحاد .

وهكذا صيغت الاناجيل بصيغة القداسة وتم احراق ونهب الكثير من الاناجيل الاخرى التي تخالف العقائد الوثنية في الديانة النصرانية .

وقد كانت اعداد هذه الاناجيل كثيرة الا ان المجامع المتتالية استطاعت ان تحرم قراءة أو تداول اي واحد منها لا تقرأه الكنيسة .

وقد كان انجيل برنابا احد تلك الكتب التي حوربت وحرمت قراءتها لما يتضمن من مخالفة عقائد التثليث والصلب وبنوة المسيح والوهيته .

وقد تعددت تلك المجامع . وقد سميت بالمجامع المسكونية وكان أبرزها :

في النهاية نواة لبطرسي بالكرسي البابوي أو خليفة عيسى - عليه السلام - وممثل  
الله تعالى - بزعمهم - في الارض .  
وهذا ما سيكون الحديث عنه في الصفحات التالية ان شاء الله تعالى .

م ١٢٤٥	- مجمع ليون الاول	م ٣٢٥	- مجمع نيقية
م ١٢٧٤	- مجمع ليون الثاني	م ٣٨١	- مجمع القسطنطينية الاول
م ١٣١١	- مجمع فينسا	م ٤٣١	- مجمع انفسوس
م ١٤١٨-١٤١٤	- مجمع كونستانس	م ٤٥١	- مجمع خلقيدونيا
م ١٤٣١	- مجمع بازل ( متم لسابقه )	م ٥٥٣	- مجمع القسطنطينية الثاني
م ١٤٤٢-١٤٤٨	- مجمع فرارا - فلورنسا	م ٦٨٠	- مجمع القسطنطينية الثالث
م ١٥١٧-١٥١٢	- مجمع اللاتران الخامس	م ٧٨٧	- مجمع نيقية الثاني
م ١٥٦٣-١٥٤٥	- مجمع ترنت	م ٨٦٩	- مجمع القسطنطينية الرابع
م ١٨٧٠	- مجمع الفاتيكان	م ١١٢٣	- مجمع اللاتران الاول
		م ١١٣٩	- مجمع اللاتران الثاني
		م ١١٧٩	- مجمع اللاتران الثالث
		م ١٢١٥	- مجمع اللاتران الرابع

هذه أهم المجمع التي عقدت حتى العصور الوسطى . وقد استغلت الرهبانية تلك  
المجمع كسلاح في وجه خصومها الدينيين والسياسيين وجعلت منها ستارا لتبرير ارائها  
المتعلقة بالعتيدة والشريعة والسلوك ومع تطور الفاهيم الكنسية استطاعت الرهبانية  
استغلال المجمع لابرار قوتها ويطشها وطفخيانها على العالم المسيحي . ولهذا فقد  
قامت باصدار القرارات التي تدعم موقف البابا تجاه الامبراطورية وتأييد شروطه التوسعية  
وط نفوذ في المجالين الديني والزمني .

وهكذا جعلت الرهبانية من هذه المجمع أعلى سلطة تشريعية لاصدار احكام التحريم  
والتحليل وفق اهوائها ونزقاتها . ناصبة نفسها كبديل عن تشريع الله تعالى وحكمه  
وقد صدق الله تعالى حيث يقول ( اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ) التوبة  
: ٣١ . وأحيل القارى الى المصادر والمراجع التي تحدثت باسهاب عن المجمع انفسه  
الذكر والملابس التي دارت حولها ومن ذلك : محاضرات في النصرانية ص ١٤٣ . وكذلك  
المسيحية د . شلبي ص ١٩٤ وأوروبا العصور الوسطى د . طاشور ٢/٢٢٥ . وفلسفة  
الفكر الديني ٢/٢٧٤ . والاسفار المقدسة د . وافي ص ١٣٢-١٣٣ ط ٨٤ وكذلك  
" يا اهل الكتاب " د . روف شلبي ص ٢١٢ .

ثالثاً : تطور مفهوم الاسقف :

بعد التوسع في انتشار الجمعيات المسيحية المختلفة وتركيز الكنيسة لجهودها (شاع الاعتقاد بان النظام الاسقفي الطلي انما انشأه الحواريون انفسهم وتقدمت كل كنيسة بقائمة للاساقفة ترجع بها الى الحوارى الذى انشأها او ان لم يتيسر لها الاعتقاد على حوارى فالى تابع من اتباعه او مندوب كنيسة حواريه كان له الفضل الاول في تاسيسها .

واتخذ لسلطة الاسقف رمزا من ذلك الكرسي ( الكاتيدرا ) الذى زعموا انه قد جلس عليه سائر الخلفاء . فاذا قيل مثلا " كرسي بولس " فانما يعنى ذلك : " سلطة اسقف روما " . وطى هذه السلطة هي " سنن الحواريين " مثلها في ذلك مثل " شروط الايمان " . ولن يبحث الباحثون عن تبريرات انجيلية للنظام الاسقفي الطلي الا في عهد متأخر ، ولقد وجدوه في انجيل متى (١)

١ - : المسيحية ، جنيف ص ٩ ١٢٧-١٣٩ ، وط وجد في انجيل متى هو الاصحاح ١٦ : ١٨-٢٠

وقد زعمت الكنيسة ان المسيح قال لبطرس كبير الحواريين : انت بطرس وطى هذه الصخرة ابني كنيسة وابواب الجحيم لن تقوى عليها ، وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات ، فكل ما تربطه على الارض يكون مربوطا في السموات وكل ما تحلوه على الارض يكون محلولاً في السموات ، ) وانه قال ( اني اهب سلطاني لكنيسة ) . ورتبت الكنيسة على هذا الزعم ان المكان الذى مات فيه بطرس وهو روما لا بد ان يكون مقرا للنفوذ الديني الذى يبسط ذراعه على الارض كلها مثلما في الكنيسة

وان كل ما تقوله الكنيسة وطى رأسها البابا واجب الطاعة لأنه من أمر الله .

اما القولة التي نسبوها الى المسيح وأطوها على هواهم فهي لاتعني ان تكون هناك كنيسة بالمعنى الذى صار اليه الامر في الكنيسة الاوروبية ولا رجال دين لهم وجود متميز وسلطان على المؤمنين بذلك السدين ، انما هي طى فرض صحتها لا تعني اكثر من قول الله عن المؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم ( ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ) سورة الطفقون : ٨ فهي عزة يمنحها الله للمؤمنين بدينه . يعتزون بها في الارض طى الكفار والمنافقين وليمت سلطانا ذاتيا يمارسونه طى المؤمنين ولكن هذا الفهم الخاطى " والتاويل المعوج سارت الامور في المسيحية المعروفة فصار لها كنيسة ورجال دين يرأسهم قداسة البابا ويرسمهم ذلك البابا اى يضعهم في مناصبهم وصار لهم طى الناس ذلك السلطان المعروف في التاريخ الاوربي الذى لم يكن سلطانا عاديا وانما وصل الى حد الطغيان المتعدد الألوان )

: مذاهب فسكرية معاصرة ص ٢٧-٣٠ وقارن مع : العلية ، نشاتها وتطورها واثارها ، سفر عبد الرحمن الحوالي ص ٨٢-٨٤ دار مكة ط ١٤٠٢-١٩٨٢ م وراجع الانتقادات الواردة حول هذا الموضوع في : تاريخ الاصلاح ص ٥

ازاء هذا التطور في توسيع مفهوم ومهام الاسقف كان لابد من الوقوف عند نقطة هامة تظهر مدى خطورة الاقدام على مثل هذا الاجراء .

فمع هذه البداية التي كانت نواة لتشكيل الجهاز الخاص الذي قامت على اساسه سلطة البابا فيما بعد كان مؤشر هذا الانحراف قد بدأ يحل شيئا فشيئا نحو اغراق الرهبانية في مهمة لا تتفق مع شععارات الزهد والتبتل والتشف المرفوعة من قبل القاصمين عليها .

فالطام شهوة الرتب الكهنوتية والمناصب البراقة تمكنت طبقات معينة من الرهبان من استغلال الحاجة الى ملء المناصب ، ففتحت اعينها للجاء العريض واذانها للسمعة الواسعة الممدقة ، نتيجة للسهام الدينية والاجتماعية التي نيطت بها ، وقد دعي هولاء فيما بعد " برجال الدين العظماء " تميزا لهم عن غيرهم وبشطب هولاء الاساقفة وقساوسة الكنائس الكبرى وقساوسة كنيسة الابرسيات (١) وينقل جيرون صورا للاسلوب الذي كان يتم فيها تنصيب هولاء ومن ذلك قوله ( كان الناسك ينتزع من صومعته على غير رغبة منه ويوضع على العرش الاسقفي وسط تهليل الناس وكانت اديرة مصر وبلاد النبال ( فرنسا ) والشسرق موردا ، منتظما متصلا بجيوش منه القديسون والاساقفة وسرطان ما اكتشفت الاطماع ذلك الطريق السري الذي يؤدى الى الحصول على الثروة والوصول الى المناصب ومن ثم فان الرهبان ذوى الصيت السذاج الذين ارتبطت سمعتهم بشهرة طافتهم ونجاها علوا جاهدين على مضاعفة عدد اترابهم الاسرى (٢) . للفرض نفسه .

كانت هذه المناصب التي تدرك كاسب جمة من الصعب التنازل عنها كما لا يمكن تجاهلها من قبل الرهبان ، وكان لابد من التنازل عن شين ما . وهكذا فتحت الدنيا امام هولاء الذين وجدوا في هذا الفتح الكبير حياة تنسي ألم الجوع المعوى والتحرق والكبست الجنسي على حد سواء . حياة تغني عن عيشة الفقر والابتذال والتسكع اطولته تحت رحمة رئيس الدير او من ينوب عنه .

لقد كان من الصعب التوفيق بين الحياة الاولى والحياة الجديدة التي ضمنت لهم الرفاهية والتمتع بما هج الحياة على اوسع نطاق ودون ضابط . وكان من الطبيعي ايضا ان يستجيب هولاء لنداء الفرار المكبوتة ، فغضب هولاء بالنذور الرهبانية الثلاثة فرض الحائط ونهلوا من معين الشهوات لئلا لهم وطاب دونوازع من دين . وقد اتخذوا المظاهر الدينية البراقة ستارا لاهلهم .

١ - عالم المعمور الوسطى ص ١٢٥

٢ - اضلال الامبراطورية الرومانية ص ٣٢٤/٢

وقد أدت الأوضاع الجديدة الى سن تشريعات تتناسب والظروف الراهنة فكان لا بد من التنازل عن بعض الشروط التي يجب ان تتوفر في الاسقف .

ولاول مرة اعتبرت شروط انتخاب الاسقف مرنة الى درجة كبيرة فقد (طلب الى المرشح لهذا المنصب ان يقدم دليلا على أخلاقه الطيبة وضمان ذلك أن يكون متزوجا أو أرملًا) - (١)

وهكذا تم بهدوء تجاوز المعضلة التي لا يمكن ان تمر لولا الضغوط الطلحة التي مورست على الاديرة من الداخل والناجمة عن الاوضاع الشاذة .

وبدأت سلسلة التنازلات تتوالى واحدة تلو الاخرى انما لبثت ( الصراع على المنصب يأخذ ابعادا خطيرة والسوانا من المعارك على الكراسي الدينية فهناك التنافس والتآمر للحصول عليها يزداد عن الحد فضلا عن بيع المناصب والرشا التي عرفت باسم السيونية) (٢)

وقد كانت المسؤولية التي كلف بها الأسقف تتضمن :

( الادارة الدينية والاخلاقية اضافة الى سلطة التنظيم والعقاب ، وكان له ايضا ان يعزل كل مخطئ يقوم في رأيه بعمل غير لائق فلا يقبله في طقوس القربان ، وينفيه نفيا خارج حدود الجماعة . . وكانت وظيفته تعتمد خاصة على اقامة الطقوس القدسية فهو يعمد ويصح بالربان وتلك هي الصلاحية التي جلبت له من بين كل صلاحياته أكبر قسط من التقدير والنفوذ وأن أهيمته في هذه الناحية لسوف تزداد بعد ذلك بتأصيل المفهوم السحري لطقوس الاسرار الفعالة فسي شعائر العبادة ، فاذا اضفنا الى كل ذلك ما فرض على الاسقف من عبادة المرضى (٣) وحث الناس على الصبر ومعتاد الاطال لديهم لادركنا دور وجوانب سلطاته المختلفة )

١ - المسيحية جنبيير ، ص ١٣٩ الا ان مبدأ زواج القسس وعدمه ظل بين مدار وجزر مددا طويلا ، وقد عقدت لاجله المؤتمرات ، وكانت القرارات تدبر هذا الزواج لاحبا في التبتل هذه المرة ، بل خوفا من انتقال أملاك الكنيسة الكثيرة الى ورثة الرهبان ( راجع في ذلك : معالم تاريخ العصور الوسطى ص ١٣٤ - ١٣٤ )

٢ - راجع ما قرره مجمع روما عقب تفشي هذه الجرائم وذلك في : اوربا العصور الوسطى د . سعيد عبد الفتاح عاشور ٧١٣/١ ط ١٨٧ - ١٩٨١ مكتبة الانجلو المصرية .

٣ - المسيحية ، جنبيير ص ١٤٠ - ١٤٥



ولم يكن لهذه السلطات من حدود في الحقيقة سوى استغلال الأسقف لها مطاراً لبعض ألوان المقاومة لدى صفار الموظفين . . . إلا أن الأسقف انتصر على هؤلاء فجردهم من الصلاحيات .

وبعد انتصاره النهائي انتظم موظفو الكنيسة الآخرون الذين لم يعرفوا بالاكليروس إلا في القرن الثالث ، لقد انتظموا إلى جانبه في ( هيئة ) أو فسي طائفة خاصة متميزة بين جمهور المؤمنين ( المسيحيين ) (١) .

وحتى هذا الوقت ورغم التوسع في التنظيمات المختلفة للكنيسة فقد ظل ولاؤها قائماً للباطرة ، ويتضح ذلك من خلال ما وجسه ترتليان في عام ١٩٧ م إلى محكمة خيالية وهي معروفة باسم الدفاع أكد فيها للرومان أن المسيحيين ( لا ينقطعون عن الدماء لجميع الباطرة وسلامة الأسرة الحاكمة ويطلبون إلى الله أن يهب البلاد جيوشاً بأسلة ومجلس شيوخ ، وفيّ ، أمين ، وان يمن على العالم بالهدوء ) (٢) .

وقد أقامت الكنيسة في عهد قسطنطين كثيراً سيما وان هذا الأخير قد استفلسها في تثبيت دعام امبراطوريته ( بعد ان اقنع الباطرة بضرورة كسب اصوات الجماهير ايا كان اللون الذي ترتديه وكان للمسيحية نصيب كبير بعد ان تنامت قوتها واصبحت اعدادها صالحة للساومة ) (٣) .

وقد اقتنع قسطنطين أخيراً بأنه طاجز عن سحقها فاش التحالف معها (٤) . وقد تحدى المؤرخون عن الانتصار الذي احرزته الكنيسة تجاه تدعيم سلطاتها ونمو قوتها ازايا الدولة الرومانية .  
الا ان هذا الانتصار لم يكن الا نكبة في ارض العلط فقد هب جنيبر عن هذا الواقع بقوله :

( والواقع ان المسيحيين كانوا قد دفعوا ثمن الانتصار دفعوه غالباً بحيث نستطيع القول في شيء كثير من الجزم بان مؤمني عصر الحواريين لم يكونوا لينظروا إلى هذا الانتصار لو قدر لهم ذلك الا على انه نكبة كبرى ) (٥)

- 
- ١ - المسيحية بجنيبر ، ص ١٤٢
  - ٢ - قصة الحضارة ٣/٣ : ٣٠٧ وقارن مع تاريخ اورها العصور الوسطى ، هـ.أ. فيشر ١١/١ ت : محمد مصطفى زبسادة ، السيد الباز العربي دار مصر ١٩٦٦
  - ٣ - المسيحية ، جنيبر ص ١٨٢
  - ٤ - عالم العصور الوسطى ص ٤٤
  - ٥ - المسيحية ، جنيبر ص ١٨٢ وذلك يعود لتسلط رعاة الكنيسة على اولئك المؤمنين على حد تعبير " هرل " راجع : تاريخ الاصلاح ص ٤٥٧

والنظرة الاولى الى احوال المسيحية تكفي ( لان تبين ان الانتصار طمس اعداء الدولة فدفعها الى اتجاه جديد لم يكن من نصيب اتباع المسيح حقيقة . انما كان من نصيب حكامهم "أي الكنيسة" . وان تلك الامتيازات التي تمتع بها المؤمنون عامة في أعقاب الحل الوسط الذي اتخذه قسطنطين لم تأتهم سوى نتيجة لاتفاق بين قوتين بل بين حكومتين تبحث كل منهما أولاً وقبل كل شيء عن صلاحها الخاصة ( ١ ) .

وقد اعتبر العلماء ان تحول قسطنطين الى المسيحية أتاح للمسيحية ان تصبح هي الامبراطورية الرومانية في قالب كنسي ( ٢ ) .

وهكذا هيى للاكليروس مناخ جديد لانشاء تنظيماته ( خلال القرن الرابع . وكان لاقامة الاساقفة المركزيين والبطاركة أثر طموس في تنسيق التسلسل الوظيفي بالكنيسة التي اتجهت بذلك شيئاً فشيئاً نحو الطقسية الباطنية .

كما كان لعقد المجالس والمؤتمرات الكنسية المتعددة أثره في تدعيم وتوضيح مفهوم الكاثوليكية للباطن لدى هذا الكليروس وسمح له في نفس الوقت بتوحيده نظمه وتوسيع أبعاده عقائده اكثر فاكثر وسارت تلك الهيئة المسيحية الكبرى بدفعه هائلة من النشاط فهدت وكانها تجذب اليها لتستوعب كل ما احتفظ به العالم الوثني من جوهر حي . وحتى الطقوس والمراسم التي اتشح بها الكليروس وازدان ، نراها تتضخم وتزداد بريقاً فهي قد تبنت كل زخارف المعبادات القديمة ( ٣ ) .

ومن زاوية اخرى فان الكنيسة وهي ( السطة للشعب المسيحي كنه بالنسبة الى الدولة كانت تعيل الى تشكيل تنظيماتها الادارية على غرار تنظيمات الدولة نفسها . والى اتخاذ الاطارات الرسمية حدودها لها . بل نلاحظ انها توشك ان تكون واحداً من الفرعين الاساسيين للادارة العامة مع حفظ جريانها وامتيازاتها المكتسبة التي تستطيع الدفاع عند ما تقتضي الضرورة ذلك . وتنمو روح الحكم فيها كما تنمو الاجهزة الادارية تحت تأثير الطمع الذي لم يكن منه بد . في الوظائف من كل جنس . وكرر فعسل ( على ) ما حققت من مكاسب في صفوف

١ - المسيحية ، جنيفير ص ١٨٢

٢ - تاريخ اوربا العصور الوسطى فيشر ١٠٦/١

٣ - المسيحية ص ١٨٢ - ١٨٣

## الارستقراطية .

وبذلك نزهت الى الانفصال يوط بعد يوم عن جمهور المؤمنين البسطاء  
والى التدخل المتزايد فى التدبيرات السياسية الا انها باتخاذها هذه الوجهة  
لم تفقد استقلالها فحسب بل تشربت شيئاً فشيئاً بمشاغل الحياة الدنيا حتى اهتمت  
عليها فى بعض الاحيان مفاهيم رسالتها واسباب وجودها ( ١ ) .

هكذا تكون الرهبانية قد تخلت عن مفاهيم العزلة ، ولولا الكبت  
والحرمان وشدة التقشف لما حل بها من انفصام فى شخصيتها الامر الذى حولها  
من النقيض الى النقيض . وهاى الاغراض الدنيوية هى الهدف الذى يسعى  
اليه الرهبان الجدد . ولا بأس ان تكون هناك شعائر وتراويل وطقوس كستار  
وتغطية للاعمال التى تدأر فى الخفاء .

١ - السهبية ص ١٨٣

وتجدد الاشارة الى ان هذا التحول قد أسهم فسيما بعد فى أقول نجم  
البابوية راجع فى هذا الصدر : الدولة والامبراطورية فى العصور الوسطى  
ل . م . هارتمان ص ٥٣ وكذلك تاريخ الاصلاح فى القرن السادس عشر ص ٦

## رابعاً : الطغيان البابوي والكنسي

كانت هذه مقدمات ضرورية لبروز السلطة البابوية وطيغيانها على المسرح المسيحي . وقد اعتبر العلماء ان ( من اقوى اسباب هيمنة الكنيسة على هذا المجتمع يتمثل في العمل على ادخال العقائد المنادية بان الكنيسة هي الواسطة في غفران الذنوب . ودخول الجنة ، وقد كان الاهتمام بشؤون ما يسمى بالحياة الاخرى شغلهم الشاغل ، ومن شدة خوف الناس من عقاب الآخرة كانوا يعكفون في بيوتهم ويكرسون حياتهم للعبادة يعذبون انفسهم في هذه الحياة كيما يخف عقابهم في الآخرة ، ولما كان رضا الكنيسة ضرورياً لغفران الذنوب وكان غضبها ما يؤدى الى غضب الله ودخول النار ، فقد أصبح للكنيسة سلطان قوى على الجميع . )<sup>(١)</sup>

أما الأمر الآخر فهو : ما قامت به الكنيسة من عمل بهدف الاستقلال عن الحكم الامبراطوري الروماني .

فقد بقيت ( الكنيسة تحت حكم الإمبراطورية الرومانية حين كانت قوية ، فلما ضعفت الحكومة المركزية ودخل البرابرة الأقاليم الرومانية أخذت الكنيسة تتخلص تدريجياً من تدخل الحكومة في شؤونها ورقابتها عليها . وجاهر أحد أساقفة رومة في القرن الخامس ( بأن العالم تحكمه قوتان قوة الكنيسة وقوة الملك والأولى تفوق الثانية لان الكنيسة مسؤولة أمام الله عن أعمال الجميع حتى الطوك انفسهم )<sup>(٢)</sup> .

وبما أن التنافس بين الامبراطورية والبابوية أصبح في مرحلة من المراحل شديداً جداً فقد ظب الطابع الفكري المسيطر على رجال الكنيسة وبدأ واضحا تبني الكنيسة لفكرة الامبراطورية التي تهدف الى السيطرة على العالم ولو بالقوة اذا اقتضت الضرورة ذلك ، وهكذا احتفظ ( المسيحيون ) بالفكرة الامبراطورية .<sup>(٣)</sup>

١ - معالم تاريخ العصور الوسطى ص ١٠٢ .

٢ - المرجع السابق .

٣ - عالم العصور الوسطى ص ٥٢ .

ويعتبر المؤرخون ان ظارات البرابرة ( كالكقوط ، والجربان وغيرهما ) ،  
 على أرجاء الإمبراطورية الرومانية كانت من أهم العوامل المساعدة التي مكنت  
 البابوية من النهوض واستلام زمام الأمر ، إذ لم يعمل البرابرة على السساس  
 بأمن الكنيسة ورجالها<sup>(١)</sup> ، بل نكلوا فقط بالمؤسسات الرومانية وتوايعها . وكسان  
 ذلك يمثل هونا كبيرا للكنيسة إذ عمل على ازالة السلطة الامبراطورية تدريجيا  
 من طريقها .

وط بهم البحث هسنا معرفة أهم الشخصيات البابوية التي علت  
 على توسيع نفوذ الكنيسة والتي أسهمت في تسيير الدفة ومن ثم التعرض  
 بايجاز لاهم الأحداث التي رافقت نمو هذه السلطة والاسباب التي أدت الى  
 اضلالها والطفيان الذي طرسته على جميع جوانب الحياة السببية .

---

١ - يقول كلستون عن ذلك ( وحينما اكتسح البرابرة في أثناء غزواتهم  
 الحكام والقضاة الرومان كانوا يستبقون عادة الأسقف في أسقفيته والقس في مذبحه )  
 : عالم العصور الوسطى ص ٥٢ وهامش ص ١٠٣ منه  
 ولاحظ : تاريخ العصور الوسطى ، فيشر ١/١٥١

أهم الشخصيات البابوية وآثارها على الكنيسة :

أولا : البابا هلدبرند (١٠٧٣-١٠٨٥) م .

(١)

من أهم الشخصيات التي برزت على الساحة البابوية : البابا "هلدبرند"

( ١٠٧٣-١٠٨٥ ) الذي أصبح إسمه فيما بعد غريغوري السابع ، ففي بدايته حياته ( حين سكرتيرا للبابا ( ليو التاسع ) ومنذ ذلك الوقت صار صاحب النفوذ الأكبر في الأمور الدينية وبقي كذلك إلى أن مات سنة ١٠٨٥ وعند هلدبرند السط الأطل للبابوية وكان ضعيل الجسم ذا عزيمة لا تغل وحقين لا يتزعزع فسي ان الكنيسة صاحبة السيادة في العالم كنه تستمد نفوذها من الله مباشرة ، وتمتد هي طوك الارض وامراها بالنفوذ وكان يعتقد ان البابا له مركز فذ فسي العالم فهو الذي يولى الاساقفة ويخلصهم وله الحق في خلع الاباطرة لانسه سيدهم الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

وقد بدأ تنفيذ خطته بان جعل انتخاب البابا بواسطة الكردينالات وهم الرومسا<sup>١</sup> الدينيون في رومة ، وبذلك تخلص من القوة الزمنية التي كانت تسيطر على انتخاب البابا واستحدث البابوات على اجراء<sup>٢</sup> الاصلاح في الكنيسة واعلاء شأن البابوية وكلفتها ، وكان مقتنع تامم الاقتناع بلزوم تفوق البابوية وتوليها رئاسة العالم المسيحي المتحد .

ولما وصل غريغوري السابع الى كرسي البابوية سنة ١٠٧٣ اعلن خطأ

النظرية القائلة بان الامبراطورية ظل الله في الارض وقال :

ان الامبراطورية لا يمكن ان تكون كذلك لانها تعتمد على القوة الفاشمة واما الكنيسة فتعتمد على الفضيلة وهي بهذا معصومة من الخطأ . . . واستنتج ان رئيس الكنيسة يجب ان يسيطر على الناس جميعا .

وراي غريغوري انه يجب ان تكون الكنيسة وحدة متجانسة تخضع لرئيس واحد هو البابا وعلى ذلك حتم على الاساقفة ان يقسموا يمين الولاء<sup>٣</sup> لسه وحرهم استقلالهم المحلي وأعلن حقا استئناف جميع القضايا المهمة اليه رأسا ثم اعلن أن كلمة البابا هي العليا في الكنيسة وأن ارادته فوق اكبر هيئة دينية وهي المجالس الطبية ، ثم ارسل نوابه الى كل المطالك ، يمثلونه امام المطوك والامرا<sup>٤</sup> وينفذون ارادته وكانوا له بمشابهة عميون وسفراء<sup>٥</sup> يخبرونه بما يجسرى من الشواون المسخلفة وأخذ يكتب للملك يذكرهم بتبعية ارضهم للسرسلول بطرس ويطلب اليهم ارسال الاشارة . (٢)

١ - راجع في ذلك : تاريخ الاصلاح ص ٨

٢ - راجع : معالم تاريخ العصور الوسطى ص ١٣٧

وقارن مع : تاريخ اوربوا العصور الوسطى ، فيشر ١٤٧/١

### ثانيا : البابا اريان الثاني ( ١٠٨٨-١٠٩٩ )

جند هذا البابا جميع جهودة للسنيهل من المسلمين وهو الذي افتتح عصر التوسع الصليبي ضد العالم الاسلامي في مؤتمر كليرمون الكنسي في أواخر نوفمبر من عام ١٠٩٥ م .  
 وكانت الخلافات على اشد ها بينه وبين ملوك الغرب فقد اوقع قرار الحرمان في المؤتمر المذكور ضد قسليهب الاول ملك فرنسا ، كما واصل سياسة سلفه جريجورى في الافتتات على سلطان الامراطور ولذلك لم تكن العلاقات طيبة بينه وبين خصمه الامراطور الالطاني هنرى الرابع ، وكانت بينهما جولات وصولات انتهت بانتصار اريان الذي اصدر قرار الحرمان الكنسي ضد هنرى .  
 ولعل هذا يفسر لنا سبب عدم اشتراك الامراطور الالطاني وملوك الغرب في الحملة الصليبية الاولى التي دعا اليها هذا البابا (١) .

### ثالثا : البابا انوسنت ( ١١٩٨-١٢١٦ )

تعلم هذا البابا في مراحلہ الاولى في جامعتي باريس وبولوني بايطاليا القانون وصار ضليعا فيه فصيغ احكام البابوية بصيغة قانونية .

وتتلخص خطة هذا البابا بما يلي :

- ( ١ ) ان يصبح البابا السيد المطلق في ايطاليا وعلى ذلك منزع الامراطور من تثبيت نفوذہ في تلك البلاد .
- ( ٢ ) ان يكون البابا الرقيب الاعلى على ملوك اوربا .
- ( ٣ ) ان يخلص بيت المقدس من ايدى المسلمين وان يخضع الكنائس الشرقية وخصوصا الكنيسة الشرقية البيزنطية كنيسة القسطنطينية لسلطة البابا وان يقضى على الطغديين في كل مكان ( ٢ )

وقد استطاعت الكنيسة البابوية تنفيذ خطته ومن جاء بعده تنفيذها تمثل باستمرار الحروب الصليبية ضد المسلمين . الا ان الله تعالى رد كيدهم خائبين .

لقد جعل انوسنت من البابوية المركز الاكثر تمجيذا بالنسبة للمسيحيين

١ - راجع : الدولة والامراطورية في العصور الوسطى ص ٥٠ - ٥١

٢ - معالم تاريخ العصور الوسطى ص ١٤٣

طى وجه الارض (١) اذ اعتقد اعتقادا حرفيا ان البابوية خليفة المسيح فـطى الارض وان البابا ملك فـطى "امور الدين والدنيا" (٢).

(١) اما الابرشية المقدسة لروما فهي من وجهة نظره انها ( تجلس فـطى مكان متوسط بين الله والبشر هي أدنى من الله ولكنها اطن من البشر ) (٣).

ويكاد يتفق جميع المؤرخين ان البابوية بلغت اوج عظمتها في عهد انوسنت بعد ان اصبحت الامبراطورية تحت رحته ، بعد ان دانت له كافة دول الغرب بالولا . (٤)

ومن خلال رسالته عرفت قوة شخصيته ، فقد كتب هذا البابا رسالة جاء فيها ( ان الله خلق الشمس والقمر ليتضىء الناس بالشمس ، وليخفف السقر من ظلام الليل وانه عز وجل خلق في الكنيسة العالمية سلطتين اولاهما سلطة البابوية لتشرف طى رماية ارواح اتباعها ، وتانهبط الطكية لتحكم فـطى الاجساد ، ولكن سلطان الاطى يفوق بكثير سلطان الثانية فكما يستند القمر ضوءه من الشمس كذلك تستند الطكية قوتها من البابوية ، ومن الذى يجروء طى وضع الجسد فوق الروح؟ في تلك العصور التي عرفت في التاريخ باسم عصور الايمان والتي هيمنت فيها الكنيسة الكاثوليكية بيد من حديد طى صائر الناس وطى حياتهم الخاصة والعامة ، حتى ان كل من كان يخرج طى تعاليمها وقبولها كان يعرض نفسه لاشد انواع العقاب ، وما اكثر أسلحة الكنيسة التي كانت ترهب بها معارضيتها في ميدان العمل السياسي .

وقد سيطرت هذه الافكار فيط بعد طى البابوية ، ففي القرن الرابع عشر قال البابا بونيفاس الثامن ( ١٢٩٤-١٣٠٣ م ) بان الخضوع للبابا الروماني شرط ضرورى لخلاص جميع البشر ، وقد ورد هذا الرأى في المنشور المقدس المعروف باسم ( *U NANSAMCTAM* ) (٥).

١ - راجع : الحلة الصليبية الرابعة د . اسيت غنيم ص ٤٧ ، دارالمجمع العلمي

بجدة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

٢ - تاريخ اوربا العصور الوسطى ، فيشر ، ٢٣٢:٠

٣ - الحلة الصليبية الرابعة ص ٤٨

٤ - الدولة والامبراطورية ص ٥٢

٥ - المرجع السابق ص ٦٠-٦١



هذه النظائر هي التي أسهمت في جعل القوانين الكنسية عقيدة متأصلة في أعماق الناس وأن هانهم . وقد تمخض عن هذه العقيدة نظريات عدة نادى بها أنصار البابا . من أهمها :

- ( ١ ) - نظرية الوحدة : تقوم على أن العالم المسيحي عبارة عن وحدة اجتماعية ودين واحد وعلى مذهب روما الكاثوليكي ( ٢ ) .
- ( ٢ ) نظرية السيفين : وتنادى : بأن الله تعالى له ملك الدين والدنيا ويبدع سيفان سلوان احدهما يمثل سلطانه على الأرواح والآخر على الأبدان ويعنون بذلك سلطة البابا والسلطة الزمنية العلمانية الا أن سلطة الروح تفوق سلطة الجسد ( ٣ ) .
- ( ٣ ) هبة قسطنطين : وتقوم على ان قسطنطين الكبير ( ٣٠٥-٣٣٧ ) لما شفى على يد البابا سلفستر الأول كافأه باصدار قانون يبيح للبابا لبس التاج واستعمال الصولجان كالأباطرة ( ٣ ) . وقد أثبت كولتون انها زورت سنة ٧٥٠ م ( ٤ ) .
- ( ٤ ) نظرية هبة بسين القصير : تنادى بأن : بسين هذا قد وهب البابوية بالإضافة الى كيانها الروحي جميع ايطاليا ، وذلك اعترافا بفضلها عليه في تأسيس البيت الكارولنجي . ( ٥ )
- ( ٥ ) نظرية " مدينة الله " وصدرها كتاب أغوسطين نفسه الذى ألفه عقب كارثة روما عام ٤١٠ على يد القوط وقد نادى ( انه إذا جاز أن تتحطم مدينة الانسنان المبنية على القوة الطادية فإن مدينة الله لا تزال بسخير وإذا كان بوسع البشر قتل الجسد فان الروح لاقدرة لهم على المساس بها ) ( ٦ ) .

وكانت هذه النظرية من أكثر النظريات قبولا لدى الحزب البابوي .

وعلى هذا الأساس استمر تدفق البابوات خلال القرون الوسطى ، واستمر ارتفاع نفوذ البابوية وهبوطها تبعاً لقوة البابا أو ضعفه .

الا أن السمة الغالبة على تلك العصور هي هيمنة الكنيسة على مرافق الحياة

لكن الأمر الذى أرق الكرسي البابوي هو الصراع المتفان بين البابا وسلطة

الاباطرة . ولهذا فإن الصدام بينهما لم يهدأ قط حتى الموت "هارولد لامب" الس

إطلاق لفظ السنوات السوداء على تلك الفترة المضطربة لم تخللها من أحداث رهيبه اهتز لها كيان العالم الاوربي ( ٧ ) .

١ - راجع : الدولة والامبراطورية ص ٥٤-٥٩ ٢ - المرجع السابق ٣ - المرجع السابق

٤ - راجع : عالم العصور الوسطى ص ٢٤٨ ٥ - راجع : الدولة والامبراطورية ص ٥٥

٦ - المرجع السابق ص ٥٧-٥٨ وقد طق كولتون على هذا الكتاب بقوله ( انه يعتبر كتاب شعوذة قوامه الزيف والمهاترة حتى ان اقل القراء حساسية يمكنهم ان يلمسوا فيه احيانا حرية مطلقة في تفسير الكتاب المقدس ) عالم العصور الوسطى ٢٦٨

٧ - الدولة والامبراطورية ص ٥٢-٥٣

ولم تأت شهادة "لامب" من فراغ ، فقد سبقه العديد من  
الاوربيين وطني رأسهم بطرس ديبوا الفرنسي ( ١٢٥٠-١٣٢١ م ) صاحب الكلمة  
الشهيرة عند طوما التاريخ والتي قال فيها ( ان الباهوت كثيرا ما اشعلوا نيران  
الحرب بدلا من ان يعطوا على اخذها . ) ( ١ )

كما نادى مارسيليو أوف بادوا المعاصر لسابقه ( بأنه ليس للبابا  
أي ضرورة في المسيحية ) . ( ٢ )

ومع ذلك ( فقد انتصرت الباهوية في صراعها العاطفي ضد الايمراطورية  
والقوى الزمنية الأخرى في الغرب ، ولكن هذا النصر الكبير كان يحمل في طياته  
بذور الضعف والخذلان ذلك لان الكنيسة اللاتينية كان قد فشى فيها الفساد  
كما خرجت الباهوية عن رسالتها الروحية التي قامت من أجلها مارأثار الشكوك  
في أذهان الناس حول الكنيسة وتعاليمها والباهوية وتصرفاتها .

وببدأ ( هنا ) نجم الباهوية في الأفول ، وبنفض الناس من حولها  
ويتخلون عنها نتيجة انصرافها عن رسالتها الروحية وانشغالها في العطل طمس  
بسط سيادتها الزمنية على حساب الحكام والملوك والباطرة الذين اذلتهم  
باسلحتها بغير حساب . ) ( ٣ )

وقد كانت مؤشرات هذا الأفول ظاهرة للعيان ، وذلك حينما لم يعبأ  
الباهوت بأى قانون او سلطة تحد من نفوذهم ، فقد كانوا يشبهون سلاح الحرمان  
بوجه اى معترض على ممارسات الكنيسة واراتها المخالفة لروح وتعاليم المسيح عليه  
السلام .

وما اكثر الاسلحة التي حارب الباهوت بها الناس ، ومن خلال  
الجدول التاريخي لاسم الباهوت الذين تقلدوا كرسي بطرس في روما وغيره  
نعلم مدى معاناة الشعوب المسيحية الراضحة تحت حكم القرارات الصادرة عنهم  
فمنذ نشوء هذا المنصب عام ٣١٤-٣٣٥ في عهد سلفستر الاول ،  
مارك وحتى ١٤٠٦-١٤١٥ م على عهد جريجورى الثاني عشر والعالم ( ٤ )  
المسيحي يعيش هذه المأساة المظلمة . فما يقارب الف عام من الزمن وهي ليست  
بالامر الهين من عمر البشر . ظلت هذه الشعوب تذوق مرارة قرارات الحرمان  
الباهوية .

١ - عالم العصور الوسطى ص ٢٧٥

٢ - الدولة والامبراطورية ص ٦٢-٦٣

٣ - المرجع السابق ص ٥٣

٤ - راجع الجدول المدرج في كتاب : اوربيا العصور الوسطى د . سميد عاشور

١ : ٦٦٣-٦٦٤ وراجع كذلك : ميلاد العصور الوسطى . هـ . سانتال . ب . موس  
ص ٤٢٣-٤٢٤ ت : عهد العزيز جاويد ود . سيد الباز العربي عالم الكتب ١٩٦٧ القاهرة

والغريب حقا ان تخضع هذه الشعوب تحت طغيان كهنوتي يمارس سادية  
باساليب متسوية تنفيذاً لما ربه واشباها لنهمه .

الا ان الخطوة التي حدثت من هذا الجبروت والتي اعتبرت نقطة تحول  
في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية تلك المبادرة التي أقدم عليها مجمع كونستانس  
عام ١٤١٤م - ١٤١٨ ) الذي أكد تفوق سلطة المجالس العامة على البابوات ،  
والذي أحال بصفة مؤقتة حكما مطلقا دام عدة قرون الى حكومة دستورية ( ١ )

وقد انعقد هذا المجمع اثر اللفظ الذي حدث بين بابوات الغرب  
حيث تقاسم العالم المسيحي آنذاك ثلاثة منهم .

وهو : البابوات هم كليمنت السابع وهو فرنسي  
والبابا اريسان السادس مؤيدا من انكلترا وولندا وايطاليا  
والبابا اسكندر الخامس ومن بعده البابا هنا الثالث والعشرين  
( ١٤١٠-١٤١٥ م ) ( ٢ )

وهكذا عاش الغرب مهازل الصراع على كرسي البابوية الأمر الذي دعا  
الى وجود اصوات تتادى بضرورة اجتثاث هذا السرطان الخبيث من الجسم  
المسيحي ولكن الوضع لم يكن بالأمر الهين وذلك للأسلحة التي استعملها  
البابوات في وجه العباد والتي اقضت مضاجع الناس قرونا متعددة .

وسوف نلاحظ الواثماً من هذا الطغيان خلال الصفحات القادمة  
ان شاء الله ، وذلك اثنا الحديث عن الطغيان الروحي ، والعقلي والفكري  
والعلمي والسياسي والطلي .

١ - عالم العصور الوسطى ٢٨٠ - محاكم التفتيش ص ٨٢

٢ - أوروبا العصور الوسطى ١/١٤٤-٥١٥

## أ - الطغيان الروحي

ان الخداع الديني الذي مارسه رجال الدين المسيحي عبر تعاليمهم وأسرارهم التي لا تحصى ، كان لها أثر كبير في تغيير وجهة العقائد الدينية الأصلية ، إذ استطاع الرهبان صرف الناس عن التوجه الى الله تبارك وتعالى وحده مباشرة وحالوا دون رجوعهم الى المصادر الاصلية حتى لا يكشف زيفهم وخداعهم . وعوضا عن ذلك اوجدوا عقائد ومبادئ لا صلة للدين القويم بها واطلقوا شائعات بين الناس تفيد بوجود اسرار خفية لكل عقيدة وقد سميت هذه الاسرار باسم أسرار الكنيسة السبعة . وقد ابطل مارتن لوثر خمسة منها وابقى : المعمودية ، والعشاء الرباني . ( ١ )

١- : راجع تاريخ الإصلاح ص ٢١٨ - ٢١٩  
و تشمل هذه الأسرار الى جانب أسرار اللاهوت العقائد التالية :

أ - سر المعمودية : ويقصد به العطاء أو التغطيس عند الولادة أو عند الدخول في المسيحية فهو عند هم يمنح النعمة التي تمحو الخطيئة الجديدة والخطايا الأخرى .

ب - سر الهيرون : الهيرون هو الزيت الذي يمسح به المعمد الجديد ( فيقوم المعمد أي القسيس أو الشطاس أو غيرهط ) باستدعاء البركسة الالهية - حسب زعمهم - مع العلم بان الهيرون يقدر من قبل الأساقفة ويسلم للكهنة .

ج - سر التوبة : يقولون إن هذا السر هو الذي بواسطته ينال المؤمن من الله نفسه غفران خطايا الشخصية التي يعترف بها أمام الكاهن بتوبة وندامة .

د - سر الشكر : وهم يزعمون : انه السر الذي يتناول به المؤمن جسد الرب المقدس ودمه الكريم منه تحت شكل الخبز والخمر .

هـ - سر الكهنوت : هو السر الذي ينال به المدعوون لاقتباله بواسطة وضع الأيدي وصلاة رئيس الكهنة سلطان تعليم كلام الله وتقدير المؤمنين بالاسرار المقدسة والخدم الكنسية وقيامتهم الى الخلاص حسب ما يزعمون .

و - سر الزواج : وهم يدعون انه السر الذي ينال به الزوجان المقترنان بالوعد الحر المتبادل بينهما النعمة الالهية التي تقوى علاقتها الطبيعية وترقيها محولة اياها الى علاقة ظاهرة الى اتحاد مماثل لاتحاد المسيح والكنيسة .

ز - سر المسحة : هو السر الذي يعطى بصلوات الكاهن ومسحة الزيت المقدس النعمة الالهية لشفاء الامراض والمعجز الجسدي والنفسي ومغفرة الخطايا وتقوية النفوس في الايمان والرجاء ( راجع في ذلك : العبادة المسيحية ص ١٠٢ / ٨٨ )

هذه الاسرار شككت بمجملها ضغطاً معنوياً وروحياً على النفوس وارهقت

كاهل الناس بطغيان من الصعب التقلت من قبضته .

لقد جعل رجال الدين هذه الاسرار امورا مبهمه وطفزة ليزداد اعجاب البسطاء بها ، واحاطوها بهالة من التقديس اعاننا في التموه ، كما جعلوا من انفسهم وسطاء اطاحوا لاسرارها اوليتقرب الخلق بهم الى الخالق مقابله جعل لهم يختلف بحسب المتقدم .

واصبح من العسير جدا على الناس معرفة دينهم الا عن طريق الكهنة ، ورجال الاكليروس الذين تفننوا في احتكار العلم (١) ولم يقف الامر عند هذا الحد ان هولاء لم يتيحوا للناس الفرصة لمناجاة الله تبارك وتعالى دون واسطة والا اعتبرت صلواتهم وادعيتهم واعمالهم باطلة . واي معترض او مخالف لاراء عقائد الكنيسة اعتبر ( هرطقيا ) اي مبتدع ومخالفاً للكنيسة . وحينئذ يسلط على هولاء قرارات الحرمان والطرده من رحمة الكنيسة والكهنوت وعامل بالشدة .

وقرارات الحرمان هذه سيف مسلط على رقاب الناس ، وما ابتدعت الا منعا لاي مساس بمصالح الرهبان والكهنة ان وجد هولاء في هذه التجارة فرصة طيبة لاقتناص الشهرة والناصب ، والفرق في لجج الشهوات التي لا تعد ولا تحصى ولقد وجد الاكليروس ضالته فانشأ في سبيل تحقيق هذه الاغراض اداة طيبة سميت فيم بعد باسم " محاكم التفتيش .

وقد قام على هذه الهيئة رهبان الدومنيكان والفرنسيسكان يرأسهم مفتش عام يخضع عند تعيينه لموافقة البابا (٢)

فمن وصف بالهرطقة فانه يتعرض لفنون شتى في التعذيب الجسدي يصل الى ازهاق الروح او شنقا واطحرقا ،

وقد ملأ المؤرخون صفحات كتبهم بالصور الواقعية للاحداث الدامية التي اقتعلتها محاكم التفتيش وما نجم عنها من جرائم تقشعر لسهولها الأبدان خاصة الجرائم التي ارتكبت بحق غير المسيحيين وعلى الأخص ما نزل بالمسلمين في اسبانيا من ويلات وكوارث أزهقت فيها أرواح لا تعد ولا تحصى . (٣)

١ - راجع : ط قاله كولستون في عالم العصور الوسطى ص ١٠١

٢ - محاكم التفتيش ص ١٠٥

٣ - راجع ما كتبه د . عبد الجليل شلبي في العدد ١١١ من جريدة المسلمون ٢١ رجب ١٤٠٧

١٤٠٧ هـ - ٢١ مارس ١٩٨٧ عن هذه الجرائم ضمن سلسلة التبشير والسلام .

كما ان صور العذاب هذه لم تقتصر على غير المسيحيين إذ احتسب المسيحيين انفسهم لا قوا من الطغيان الكنيسي ما لا يطاق ، كما لم يفلت ممن قبضة محاكم التفتيش الرهبان الذين ارادوا التحرر من الطغيان .

وقد صور . موس . حالة اصحاب مذهب الطبيعة الواحدة للمسيح الذين عارضوا اصحاب مذهب الطبيعيتين فيقول :

( وطورد رهبان وحدة الطبيعة في سوريا وارمينية واراض الجزيرة وحرموا من الطعام وضربوا بالسياط واحرقوا احياء في الاسواق وقبضوا فزاهم اسقف انطاكية على يوحنا التلاسي وأمر باعدامه بالتعذيب البطش<sup>(١)</sup> .

وأخطر من ذلك بكثير تلك الصور المروعة التي تحدثت عن احراق جون

هيس .

فقد اتهم (جون هيس) بالهرطقة لانه ندد ببيع صكوك الغفران<sup>(٢)</sup> للاثم

( لان فردوس النعيم ) لا تورث بالسرشوة والريح الحرام ، وقال . . ( ان دل هذا على شيء فانط يشير الى افلاس البابوية ما ديا بعد ان اقلست معنويها وعند ما التقت الجموع حول هذا الميشر الثالث عمرا سك بقرار البابا عن الغفران واحرقه بالنار .

وقد حكم على هيس بالاعدام بعد تفتيق تهمة ضده واحراجها تخان مواقف ما كان يريد ها ، وقد اقتيد الى بقعة عند اسوار المدينة وتم احرقه في ٦ يوليو ١٤١٥ م .<sup>(٣)</sup>

١ - ميلاد العصور الوسطى . ه . موس ص ١٩٩

٢ - في سنة ١٤١٢ وقع البابا يوحنا الثالث والعشرين في صدام مع لاد زلاس ملك نابلي وقررت البابوية شن حرب " صليبية " ضد ملكة نابلس . ولكن البابوية كانت تحتاج الى مال وفير لتمويل هذه الحملة الصليبية ومن ثم فانها اقدمت على بدعة خطيرة في تاريخ الكنيسة الا وهي بيع ( صكوك الغفران ) لسح كل الخطايا والاثام بالطل واكتطت المهزلة البابوية بهذا القرار . . . محاكم التفتيش ص ٨٢ وراجع نص صك الغفران في : محاضرات في النصرانية للسشوخ ابي زهرة ص ٢٠٦

٣ - محاكم التفتيش ٨٣-٨٤ وراجع كذلك : معالم الحضارة في الاسلام . هـ الله ناصح طوان ص ٤٤٤ دار السلام ط ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ القاهرة .

ومثل هذا المصير لاقاه ايضا سافونا رولا سنة (١٤٩٨م) وهو الذي دعا الى ضرورة السلام الاجتماعي والمعية واحترام حرية الفرد وفكره . كما انه يعتبر واحدا من أهم دعاة الاصلاح الديني الذين جاؤوا قبل مارتن لوتر . . . . .

وكان البابا اسكندر السادس يتحين الفرص للقضاء على سافونا وحزبه بسبب هجومهم على مفاصله التي فاحت رائحتها في كل جنات اوربا ، فسراح البابا بتهم سافونا وحزبه بالخيانة ضد الوطن وبالتطاول على الكنيسة الأم . ثم أرسل أوامره الى فلورنسا بان تمنع سافونا من الوعظ بسبب اراءه ( المهترطقة ) واعتل سافونا الامر . . . . . الا انه عقب سرحية مفتعله استطاع البابا الايقاع به عبر محكمة خرج منها هذا الاخير (سافونا ) خائبا و هجم نفر من حزب اربابنا على المدير الذي كان يتوارى فيه سافونا وقبضوا عليه مع اثنين من اتباعه المخلصين . . . . . ثم هب الرطاع يقتلون كل من تقع عليه ايديهم من حزب سافونا . . . . . وبعد ها تم اعدامه حرقا في ٢٣ مايو ١٤٩٨ م مع رفاقه ( ١ ) .

هذه صورة من الاف صور التعذيب والاجرام التي ارتكبتها البابوية بحق اتباعها .

ولكن اتسعرض لظلم فعلته الكنيسة مع كالفن ومارتن لوتر وجون ويكسف فهذه قصص قلط يجهلها الناس وهي شهيرة جدا لتعلقها بالاضطهاد الديني . وهكذا نعلم مدى الطغيان الديني الذي وصل وفاق كل تصور . والحقيقة التي يجب ان نتقال : ان التيلد الحسي لدى البابوات افقد هم القدرة على التمييز السليم بين الصحيح والسقيم فاعما هم الطمع وجللت الغشاوة اعينهم وسويدا قلوبهم واصبحوا كالمجرمين لا يعرفون ما يفعلون سوى اسباغ نهجهم الفاسد واشباع نهمهم من كل محرم .

وقد لخص ويلز هذه الحقيقة بعد افلاس زعما الكنيسة قائلا ( ولم تعد لهم بعد رغبة في رؤية ملكة الرب موطدة في قلوب الناس ، فقد نسوا ذلك الامر واصبحوا يرغبون في رؤية قوة الكنيسة التي هي قوتهم . متسلطة على شعون البشر وكانوا في سبيل توطيد تلك القوة على اتم استعداد للساومة مع اي شيء حتى البغض والخوف والشهوات . المستقرة في قلوب البشر ، ونظرا لان كثيرا منهم كانوا على الارجح يسرون الرهبة في سلامة بنسيمان ماد فهم الضخم المحكم و سلطته المطلقة ، لم يسمحوا باية مناقشة فيه ، كانوا لا يحتلون اسئلة ولا يتسامحون

١ - محاكم التفتيش ص ٨٩-٩٢

٢ - اهيل القاري الى : تاريخ الاصلاح في القرن السادس عشر حول ما تعرض اليه مارتن لوتر من قرارات الحرمان واحراق كتبه : انظر ص ٤٠٢-٤٠٨ من المرجع المذكور .

في مخالفة لا لأنهم على ثقة من عقيدتهم بل لأنهم كانوا غير واثقين منها . وكانوا يريدون ممن حولهم موافقتهم على رأيهم لأسباب تتصل بالسياسة وقد تجلى في الكنيسة عند ما وافى القرن الثالث عشر ما يساورها من قلق قاتل حول الشكوك الشديدة التي تنخر بنا\* دعواتها باكله وقد جعله اثرا بعد عين .

فلم تكن تستشعر اى اطمئنان نفسي ، وكانت تتصيد البهراطة في كل مكان كما تبحت المعاجز الخائفات فيط يقال - عن اللصوص تحت الاسرة وفي الد والسب قبل الهجوع في فراشهم . ( ١ )

هكذا حجز زعماء الكنيسة على الناس مجرد المناقشة فيما ابتدعوه من عقائد وما افتعلوه من اسرار ارادوا بها تغليف حقيقة عقائد هم الموثقة التي ورثوها عن اسلافهم الرومان واليونان من قبل ، وما اصرارهم على التمسك بها وعدم افشائها إلا لمن يريدون . الا دليل على استمرارهم لتجارة بيع التعاليم الدينية التي تغنن كهنة ازيس واوزوريس من قبل في اتقانها وتمثيل ادوارها . بل اين هم أولئك الذين يدعون أنهم اصحاب دين سواى من اولئك الذين لا دين لهم سوى عبادة الفراعنة والظواهر الطبيعية .

وها هي أوروبا العصور الوسطى وما بعد ها للأسف تراث جاهلية القرون الأولى وتأبى أن تطرحها حفاظا على مكتسباتها وكأن كهنة نفسي وأوسيس قد ظهرت من جديد بصورة الاكيروس السحبي .



## ب - الطغيان العقلي والفكري

لم تكف الكنيسة بفرض هيمنتها وطغيانها على الصفا الروحي بل اظقت جميع المنافذ الموصية الى اثاره الطريق امام السالكين . وعطلت كل فكر يمس فكرها واسرارها من قريب او بعيد مما احدث هوة عميقة في الحركة الفكرية الانسانية .

فلقد (أصر رجال الاكليروس على هذه الاسرار وطى الزعم بانها هسي الحقيقة تضليلاً بوعي او ضلال منهم بخير وعي - فلم يكن امامهم الا ان يستخدموا سلطانهم الطاغى لمنع المناقشة في هذه الامور لكي لا تتكشف عن وهم لا وجود له الا في اذهان واضعيه او لا وجود له حتى في اذهان واضعيه). (١)

كما لم تكف الكنيسة بهذا فقد ( وضعت نفسها في موضع الاله بل افترضت لنفسها على الناس ما لم يشأ الله سبحانه وتعالى ان يفترضه لنفسه على عباده رحمة بالناس . فالله وحده هو الذى يحق له ان يتعبد عباده بأمرور ليست من الضرورى ان يدركوا حكمتها ليعلم - سبحانه - من يطيعه بالغييب ولكنه من رحمته - قد جعل ذلك في امور التعبد وليس في امور العقيدة التي جعلها الله سهلة وميسرة وفتوحة بلا الغاز ولا غموض ليستوعبها كل ( عقل ) وطامس اليها كل قلب . اما الكنيسة فجعلت ذلك في أمور العقيدة وجعلت لنفسها حقوقاً اكثر مما افترض الله على العباد ) . (٢)

ومن وجهة النظر الاسلامية فان الاسلام رفض المنحى الذى اتجه اليه رجال الكهنوت في منع وصول العلم والفكر الى الناس وشرح ما دى\* الدين ببسر وسهولة ، وقد اشار القرآن الكريم الى الموقف الذى يجب ان يقفه العلماء تجاه القضايا العقيدية . قال تعالى ( هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ، وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ) . (٣)

( فهذا النص القرآني نجد فيه إشارة الى المحكم والمتشابه ويجمع المفسرون والعلماء على أن أصول العقيدة وكذلك أحكام الشريعة هي من المحكم

١ - مذاهب فكرية معاصرة ص ٣٣

٢ - المرجع السابق ص ٣٥

٣ - ال عمران : ٧

الذي لا يدخل التشابه فيه وأن الأمور المتشابهة التي تحددها الآية والتي اختلف المفسرون في تحديدها والتي منها طس سبيل المثال الصورة المفصلة لا حوال الجنة وحوال النار وصفة العرش وط الى ذلك من الامور ليست من الاصول التي يكفر المختلفون في تأويلها .

ثم ان الراسخين في العلم وهم ليسوا فئة محددة كثرة رجال الكهنوت لا يزعمون أن عندهم تأويلها ، ولا أن تأويلها سر خاص بهم يحتجونه عن الناس ثم يهايونهم بالايان به بلا دليل . بل تنص الآية طس أن الله وحده هو الذي يعلم تأويلها أي حقيقتها لأنه سبحانه هو المعلم الخبير الذي يعلم كل شيء طس إطلاقه إنما الراسخون في العلم يعلمون فقط بان الآيات كلها محكمها ومتشابهة من عند الله ويعلمون أن علم هذه المتشابهات هو عند الله وحده (١) .

وبدل أن يخوض الناس في (مناهات عقلية ليس لهم فيها فائدة تطلب أو منفعة تكتسب كالتي وضعتها الفلسفة المسيحية في علم الالهوت والفلسفات اليونانية التائمه في بحر عقلي لا قرار له . نجد الاسلام يدعو العقل صراحة الى التفكير والتدبر في آيات الله التي بشها في الأرض والتي تنطق بوجود الحقيقة الكبرى التي لا مراة فيها وذلك ليصل في أمر العقيدة الى اليقين بل نعم طس الذين يرفضون التفكير اتباعا للمهوى أو اتباعا لط ورثوه من عقائد الابهاء والاجداد ، أو اغلاقا للحس والبصيرة ، عن التأمل والتفكير . (٢) .

قال تعالى ( بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ) (٣) .

وقال ايضا ( وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلِ نَتَّبِعُ مَا أَفِينَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا أَوْ لَوْ كُنَّا آبَاءَهُمْ لَا يَعْزِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ) (٤) .

وقد أثنى الله تعالى على أولى الألباب الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض ليهديهم هذا التفكير الى الإيمان بالله تعالى . وقد عنى الإسلام بالتربية العقلية عبر تحديد النظر العقلي (صوننا لطاقتة من التبدد وراه الغيبيات التي لا سبيل للعقل البشري أن يحكم فيها . وهو يعطي الانسان نصيبه من هذه الغيبيات بالقدر الذي يليق حله للمجهول ولكنه يكل أمر ذلك الى الروح فهي القادرة على ذلك. المزودة بوسائل الوصول الى العقل فوسيلته الى الله والى معرفة الحق هي ( الروح ) تدبر الظاهر للحس والمدرك بالعقل ومن ثم يحدد الاسلام مجاله بهذا النطاق ولا يتركه يفسر في التيه الذي غرقت فيه الفلسفة من قبل واللاهوتيان ، فلم تصل الى شيء حقيقي يستحق

١ - مذاهب فكرية معاصرة ص ٣٤-٣٥ ٢ - المرجع السابق ص ٣٦-٣٧

٤ - البقرة : ١٧٠

٣ - الروم : ٢٩

ما بذل فيها من جهد ، ان لم تكن قد غشت مرآة الفكر البشرى وشتتت  
ما ينعكس عليها من اضاءة ( ١ )

وقد بين الاسلام مجال التدريب العقلي ، واتخذ في ذلك الامر وسيلتين

الاولى : وضع المنهج الصحيح للنظر ، وذلك عبر تفريغ  
العقل من كل المقررات السابقة التي لم تقم على يقين . وانما قامت على مجسرد  
التقليد او الظن فينمي على القلدين الذين يقولون :

( إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ) ( ٢ )

ثم يسأمر بالتثبت من كل أمر قبل الاعتقاد ( وَلَا تَقْفَا مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ  
إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ) ( ٣ )

الثانية : فهي تدبر نواحي الكون ، التي تطبع العقل  
بطابع من الدقة والتنظيم .

فالنواحي الكونية تجري في دقة عجيبة ونظام لا يخل ، وفوق ما يوجبه  
ذلك للقلب البشرى من تقوى الله الصانع المدبر والتوجه اليه في كل امر فانسه  
يعود بالعقل على دقة النظر وانضباط الاحكام . ( ٤ )

( خَلَقَ اللَّهُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ بِالْحَقِّ ، اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِيْنَ ) ( ٥ )

فالسيلتان السابقتان كفيلتان بايصال العقل البشرى الى الحكمة  
المرجوة من هذا الوجود ولذلك نجد الاسلام يوجه الطاقة العقلية اول ( ما يوجهها  
الى التأمل في حكمة الله وتدبيره وهو أقرب ما يكون الى ملكة الروح . . . .

فالتأمل المطلوب ليس مقصودا لذاته ، وليس مقصودا به أن يصبح فلسفة  
يتعاطل فيها الفلاسفة ويغضون ويبهمون ثم لا ينتهون الى شي \* انما غايتسه  
اصلاح القلب البشرى واقامة الحياة في الارض على أسس من الحق والعدل  
الازليين الكاشين في بنسبة الكون ونية الحياة . ( ٦ )

ان هذه التوجيهات وتلك التنبيهات كفيلة باراحة الانسان  
من متاعب تفكيره الذي يضيغ بالهواجس وهي القمينة بانزال الطمأنية والسكنية على  
قلبه لأنها تضعه في مكان أمين من تلاعب وساوس شياطين الانس والجن وحينما  
يلتزم الانسان بأمر الله تعالى ويقف عند حدوده ويعرف كيف يتعامل مع مخلوقات  
الله تبارك وتعالى وفق منهج القرآن الكريم في الهدى والرشاد تصبح حياته

- ١ - : منهج التربية الاسلامية ، محمد قطب ١/٩١-٩٢  
٢ - الزخرف : ٢٣ - الاسراء : ٣٦٢ - ٤ - منهج التربية الاسلامية  
١ : ٩٤-٩٣ ٥ - المنكوت : ٤٤ ٦ - منهج التربية الاسلامية ١ : ٩٤-٩٥

الارضية لموتها السعادة والحيور وهي مقدمة أساسية للحياة الاخرة ، حياة الجنة  
ونعيمها التي أعدّها الله تبارك وتعالى لعباده المؤمنين :

( إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ) (١)

وهكذا يرتبط الانسان في الأرض بعالم السوء فلا هو ينقطع  
عنها ، ولا هو يتشتت في الغاها ، بل بكل أمر هذا التدبير الى روحه  
التي تسبح خالقها فتعرف من الحقائق ما لا يمكن للعقل ان يدركه ، . كل  
ذلك بلا واسطة ، بلا كهنوت ، بلا رهبان . بل ينزل الى ذلك بالقرآن  
وحده السوي الى تلك الحقائق التي تغيب عن كثير من الناس . والله  
الهادي الى سوا الصراط .

## ج - الطفيلان العلمي

ما كتبه العلماء والمؤرخون عن الطفيلان العلمي والفكرى لدى الكنيسة  
إبان عهود الباطنات المظلمة لم يكن من باب الافتراء أو التضليل والخداع ، بل  
ان القراءة التاريخية المتأنية للحركة العلمية إبان العصور الوسطى تنطق بحقيقة  
واقعية مفادها ان هذه الفترة تعتبر بحق عصوراً قاتمة السواد .

وقد اشار العلماء الى ان التحكم الذي انطوى عليه تفكير الباطنية  
في مجال الطفيلان الروحي والديني قد استثمر للتحكم ايضاً في مجال العقل  
البشرى والتفكير العلمي الغني والتقني . حيث وجهت الكنيسة جهودها لصيغ  
التعليم العام صبغة كهنوتية وبعاد اى علم لا يخدم مصلحة الكنيسة ومكاسبها .

يقول "موس" عن واقع التعليم آنذاك ( ان الغرض الوحيد من التعليم  
ببلاد الغرب في ذلك العصر هو اعداد الكهنسين للاضطلاع بواجباتهم . فكانت  
المعرفة اللازمة لفهم الصلوات اللاتينية وفي حالة التلاميذ الذين هم أكثر تقدماً  
دراسة المعلومات الضرورية للاحاطة بالأدب السيجي الجدلي والتفسيرى وحساب  
عيد القيامة وسائر الأعياد ودراسة نظام الكنيسة القانونى والادارى ) (٢) .

هذه المواد التي انصب الاهتمام الكهنسي عليها كانت الشغل الشاغل  
للتعليم العام في المعاهد والمؤسسات والأديرة الأوروبية أما باقى المواد العلمية  
فقد أهملت إهملاً كبيراً فضلاً عن سوء التربية التي تغشت بين رجال الدين . فلم  
تراع الكنيسة جانب الرأفة ازاء الطلبة بل أظهرت القسوة في تعليمها ( ما جعل  
( الجرمان - الالمان ) يظهرون نفوراً قوياً من التعليم ، حتى ان ثيودريوسك  
ملك القوط الشرقيين حرّم إرسال أبنائه القوط الى المدارس محتجاً بأن الصغار  
الذين يشبون على الخوف من عسا المعلم لن تكون لديهم في المستقبل الشجاعة  
الكافية لمواجهة السيوف والحراب ) . (٣)

وليت الأمر قد اقتصر على هذا الحد فبدل ان تعكف الأديرة والمعاهد  
الكنسية على دراسة العقائد السيجية لتمحيصها وتبسيطها للناس واستخراج

١ - راجع في هذه الصدد : مذاهب فكرية معاصرة ، للاستاذ محمد قطب ، ص ٤٧٥  
والعلمانية ، لسفرين عبد الحمن الحوالى ص ١٤٥ وما بعدها  
٢ - ميلاد العصور الوسطى ، هـ . سانت موس ص ٤٠٣  
٣ - أوروبا العصور الوسطى ٢ : ٣٣١ راجع اعترافات جيورجيت في ٢ / ٣٢٩

الصحيح<sup>(١)</sup> من السقيم والعمود بها الى نقاوة التوحيد ، ان بالرهبان والقسس وبقية  
الاكليروس يفسحون المجال (أمام الخرافات التي وجدت طريقها الى التعاليم الرسمية  
للكنيسة الغربية والتي لقيت التأييد من غريجورى الكبير بما كان له من سلطان ونفوذ  
قوى- وطنى الرغم من ادراك اوغسطين لم تنطوى عليه عبادة المقدسات والاثار الدينية  
من اخطار فانه اجازها في اشد صورها تطرفا حتى اذا انقطعت المواصلات واضطربت  
ظروف العيش وغلب الارتباك على المعايير والثقافات انتعشت بواعث الاشاعات  
وسرعة التصديق وقوى الاعتقاد في الأعاجيب والشياطين وفي قوة مفعول السحر  
وادواته<sup>(٢)</sup> .

الى جانب هذا أضحت اللغة نفسها وهي عام كل عالم محاربة من قبل  
البابوات فيها هو (البابا جريجورى ٥٦٠-٦٠٤) اشتهر بكراهيته للاسلوب  
البلاغي الكلاسيكي وتفضيله اللاتينية الدارجة بالاضافة الى اعتقاده الراسخ فسي  
عدم جدوى كافة الدراسات التي لا تساعد في فهم العقيدة المسيحية<sup>(٣)</sup> .

واثر ذلك اختفى من الغرب تماما كل تمكن حقيق واجادة لللسان  
اليوناني<sup>(٤)</sup> وقد تفاقم الوضع اكثر من ذلك الامر الذى دعا شارلمان الى الشكوى  
من رجال الدين ( فكتب الى رومانوس الاديرة يشكو من ( جهلهم ) وكثرة الاخطاء  
المتواترة في المخطوطات الدينية بل في الانجيل نفسه وبأمرهم بالمعناية بالمدارس  
والتعليم لاصلاح هذه الاوضاع )<sup>(٥)</sup> .

هذا الجهل قد تمكن من نفوس رجال الدين على الرغم من وجود عدد  
من كبار رجال الكنيسة التي يفتخر بها المسيحيون كاوغسطين وقد أفضى عهدهم  
الى تنامي العقائد الوثنية في الديانة وبلوغ الشعوذة شأوا كبيرا ( ان لم توفق  
المسيحية الي تغيير الوضع في هذه الناحية فان الدولة الرومانية قد اضعفت  
قدرا كبيرا من نظمها وطرائقها على الكنيسة المسيحية الظفرة وكذلك فعلت  
الوثنية في القرون الوسطى حيث نفقت على العقول مراثيا وهي تلفظ آخر  
أنفاسها )<sup>(٦)</sup> .

١ - لاحظ ما ابتدته دايانك مودادى ساراواك في كتابها : من رومة الى مكة ص ٨٠ .

٢ - ميلاد العصور الوسطى ص ٤٠٥ و وكذلك : عالم العصور الوسطى ص ١٠٨ .

٣ - اوربوا العصور الوسطى ٣٣٢/٢ ٤ - ميلاد العصور الوسطى ص ٤٠٤ .

٥ - اوربوا العصور الوسطى ٣٣٢/٢ ٦ - ميلاد العصور الوسطى ص ٤٠٦ .

ويظهر الطغيان العلمي جليا في عدم افساح المجال امام المدارس  
 المستقلة لممارسة دورها التعليمي ، ان لم يسمح لاي فرد ان يفتح مدرسة داخل  
 حدود الاسقفية أو يباشر تدريس الفنون الحرة دون تصريح من الموظف والا تعرض  
 للمحاكمة . ( ١ )

وطى الرغم من ان الكنيسة ضغفت بثقلها من اجل طغيانها  
 العلمي والعقلي الا انها لم تستطع ايقاف المد الحضاري الذي بدأ فجره بالبيزوغ  
 عبر تلك المدارس والمعاهد التي لم تكن للرقابة الكنسية سلطة عليها مما اتساح  
 الفرصة لبروز جامعات اوربية في القرن الثاني عشر في ايطاليا وباريس وغيرهما  
 والتي استطاعت بجهود ضخمة ان تضل الى شسبي\* من التحرر والاستقلال عن  
 السلطة البابوية ومع ذلك فقد ظلت الكنيسة متمسكة ببعض الشروط خاصة فيما  
 يتعلق بالموافقة على قبول الطلبة حيث اشترطت ان يكون ذلك عن طريق الاسقف .  
 وظل الوضع هكذا الى قيام ثورة الجامعات في اوربا التي اتفقت فيما  
 بينها على ضرورة التحرر من كافة القيود حتى حققت استقلالها عن السلطات الكنسية  
 والعلمانية جميعا ( ٢ )

ولقد احتضنت هذه الجامعات ( العلوم والمعارف الواسعة التي  
 أتت بها النهضة الاوربية في القرن الثاني عشر الذي جعل الجامعات مركزاً لثورة  
 فكرية ضخمة ازادت قوتها منذ القرن الثالث عشر ) ( ٣ )

وغير خاف : ان هذه النهضة العلمية لم تكن لتري النور  
 لولا الاحتكاك الذي شهدته اوربا عبر التقائها بالحضارة الاسلامية التي كان  
 لها الفضل الاكبر في اثراء عملية التعليم وانكا\* روح التحرر من اى سلطة ارضية  
 غير شرعية مما اعطى العقل الاوربي فرصة عظيمة للانفتاح والوقوف في وجهه  
 جيروت الاكبيروس وطغيانه .

و قد تنبهت الكنيسة الى هذا الامر الخطير ولهذا فقد عطلت كل ما  
 في وسعها لابعاد هذا الاشعاع الفكري من الوصول الى الناس . لشعورها  
 بالخطر الناجم عن هذه القفزة العلمية التي تهدد كيانها ،  
 وقد كان لنظريات وقوانين العلم\* المسلمين وكتبتهم اثر كبير في دفع  
 الحركة العلمية والفكرية الاوربية الى الامام ، ولهذا فقد شنت الكنيسة  
 حملاتها السعورية على كل ما يمت الى المسلمين من علوم بصلية وحاربت كتبهم

١ - راجع : اوربا العصور الوسطى ٢ / ٣٤٠

٢ - المصدر السابق ٢ / ٣٥١ وراجع كذلك تاريخ الحضارات العام ٣ / ٢٥٥

٣ - المصدر السابق ٢ / ٣٥٢

وطما هـم (١).

والدارس لؤخائسر الحضارة الاسلامفة بمعب من ذلك التراث وطسك الكنوز العلمفة الفف اؤرففها فك الحضارة .  
كما فسطفف ان فقف طس فك الجهوء الفففة الفف قام بمهـا  
العلماء المسسلمون فف سبفل فحقق ازء هار البشرفة ورؤاؤها (٢).

(٣)  
ومن أمثلة الطففان العلمف ما فعرض له " بسفر أبفلار " المعلم الفرنسف الفف فؤراً وطالب بالفحرر من رفقة الكنفسة . فما كان من مجمع سمنس عام ١١٤٠م الا ان اصءر حكمه على فسارة "أبفلار" الفف ءارء عزائمه فهجر العالم .

كما فعرض فبفبفر ءى لافورفبفه للاكراء فاجبر على الفراجع عن ارائه امام مجمع رمنس عام ١١٤٨ امام الكنفسة . (٤)

ومن أمثلة اضهاد الكنفسة للعلماء ما فعرض له الطفبفب ( بطرس البانو سنة ١٣١٦م طس بفء محاكم الففشف الا ان الفففة اء ركفه قبل ان ففء بفء المحاكم الفف فلقاء ط روج من فذهب الانفبفبوء ( اى البشر الذين فقفنون فف الفهفة الفقابلة للارض ) وفبرها من فذاهب العلم . (٥)

١ - راجع فف هءا الصءء : اوروا العصور الوسطف ٣٥٣/٢ وكذلك : ففارفء

الحضارات العام ٤٢٥/٣

٢ - والفراجع فف هءا الشأن كففرة أهمها : حضارة العرب لفوسءاف لوفون

وروائع حضارءنا ء . مصطفى السباعف . وأسس الحضارة الاسلامفة . للشفء عبء الرحمن

هبنكة السفءانف . ومعالم الحضارة فف الاسلام واءرها فف النهضة الافورفبفسفة

عبء الله طوان . وشن العرب فسطف على الفرب لزففرفء هونكه . والاسلام

والحضارة العربفة لسءء كرف على . وءراث الاسلام لشاؤء ووزورء . والحضارة الاسلامفة

فف القرن الرابع الهجرى لاءم مفءز . وحضارة الاسلام واءرها فف الفرفف العالمف

لجالل مظهر . وحضارة العرب فف العصور الاسلامفة الزاهرة . مصطفى الرفعمف . وفبرها

٣ - معالم الحضارة الاسلامفة ص ٤٤ ٤ - فافء الحضارات العام ٣٢٦/٣

٥ - موقف الاسلام والكنفسة من العلم ص ١٢١



كذلك الامر بالنسبة لكوبرتيكوس وط قام به من جهود طسمية لم تكن لتوافق الكنيسة  
كذلك الامر بالنسبة لجاليليو ( ١٥٦٤-١٦٤٢ ) الذي قامت حطة ضده لانه اكتشف  
بمنظاره ان هناك سيارات أخرى تزيد عن السبعة التي ذكرتها النصوص المقدسة  
عندهم حيث جاء في سفر روميا يوحنا اللاهوتي الاصحاح الاول ١٩-٢٠ :

فاكتب ما رأيت وط هو كائن وط عتيد ان يكون بعد هذا ســـــ  
السبعة الكواكب التي رأيت على يميني واليسع المنا بالذهبية ( ١ ) .

هكذا كانت العقلية الكنسية تفرض طغيانها على العلقا وتنسج  
وصول المعارف الصحيحة الى العقول المستتيرة .

وبذلك سودت الكنيسة صحائف اعمالها بالجرائم المتنوعة  
فكانت بحسب نكبة للبشرية .

## الصراع بين العقل والرهبانية

من خلال ما تقدم نجد نوعاً من الصراع العلني بين موقف الرهبانية من العلم وموقف العلماء منها .

وإذا ما عدنا إلى طبيعة هذا الصراع فسوف نجد أن الأولى تتسكك بطغيانها لإثبات مدعياتها وأرائها التحكيمية في رقاب البشر واخضاعهم لتعاليم الكنيسة مستندة إلى النصوص الدينية والأسرار المقدسة المزعومة .

أما القوة العلمانية الحديثة فقد ضجت من تقاسم هذا الطغيان وأساليبه التعسفية بحق العلم والعلماء .

لهذا فقد قامت من أجل إثبات وجودها وإزاحة هذا الوضع فهيات نفسها لثورة طارئة للتعبير عن نفسها فضلاً عن أهمية دورها في المجتمع . إلا أنها لم تستطع وزن الأمور بميزان الاعتدال وتمحيص مسائل العقيدة تمحيصاً يعتد على النزاهة والحياد والبحث عن الدين الأصلي، بل راحت في حدة الصراع مع القوى الكنسية ترفض أي تداعيات دينية ينير البصر ويوقظ البصيرة وهكذا نجد كلا الطرفين يرتكب الأخطاء دون وعي للاخطار الناجمة عن موقفه المتعننت .

وبعد استعراض موقف الإسلام وسطوته ورعاية صدره تجاه العلم والعلماء وحضه لهم كان لا بد من الوقوف قليلاً أمام منهج الخصم اللدود للكنيسة وما قام به لدرء طغيانها والأسلحة التي شرعها في وجهها .

فمن المعروف عند العلماء أن أوروبا قد خضعت عبر تاريخها الوسيط والحديث تحت سيطرة ما يسمى بسيادة النص والدين ويعنون به خضوعها لتعليم الكنيسة. ثم انتقلت إلى مرحلة سيادة العقل وهو عصر التنوير لتصل في النهاية إلى سيادة الحس .

أما مرحلة سيادة العقل :

فقد ظهرت نتيجة للخصومة التي تفجرت بين الدين والعقل في القرن الثامن عشر الميلادي فقد اتجه أعداء الكنيسة للعمل نحو إخضاع الدين للعقل وقد أطلق على هذا العصر عصر التنوير وكان من رواده " بلانش وفشت " (١)

١ - فيشته ١٧٦٢ - ١٨١٤م) ابن فلاح من سكسونيا كان من رواد فلسفة النقيض بعد أن درس اللغة وفقهها والفلسفة، له (البيادى الأساسية لنظرية المعرفة ١٧٩٧ وأيضاً (القانون الطبيعي) . موقف الإسلام من نظرية ماركس للتفسير المادي للتاريخ، أحمد العوايشة ص ٦١ ط ١ ١٤٠٢ - ١٩٨٢ دار مكة

والضابط الفكري لهذا العصر تميز بالاتي :

اولا : نمو شعور العقل واحساسه بنفسه وبقدرته على ان ياخذ مصير مستقبل الانسانية في يده ، بعد ان يزيل كل عبودية ورثها من قبل وهي عبودية الكنيسة وتعاليمها ، حتى لا تحجبه عن التخطيط الواضح لهذا المصير .

ثانيا : الشجاعة والجرأة التي لا تتأرجح في اخضاع كل حدث تاريخي لامتحان العقل وكذلك في تكوين الدولة والجماعة والاقتصاد والقانون والديين والتربية : تكويننا جديدا ، على الاسس السلبية المصفاة التي لكل واحد منها .

ثالثا : الايمان بتعاون جميع المصالح وبالاخوة الانسانية على اساس من هذه الثقافة وحدها ، المستمرة في التزايد والنمو .

ومعنى ذلك كله : وجوب سيادة العقل كمصدر للمعرفة على غيره . وغيره الذي ينازعه السيادة في ذلك الوقت هو ( الدين ) اى المسيحية الكاثوليكية ، اولا وقد تكون معها البروتستنتية كذهب عرف للاصلاح الديني هناك . فللعقل - في نظر اصحاب التنوير - الحق في الاشراف على كل اتجاهات الحياة وما فيها من سياسة وقانون ودين .

والانسانية هي هدف الحياة للجميع وليس الله او المجتمع الخاص او الدولة الخاصة . وكما يسمى هذا العصر بـ " عصر التنوير " يسمى ايضا بالعصر الانساني ( وكذا يسمى بعصر أُل ( *DEISM* ) اى عصر الايمان الفلسفي ياله ليس له وحي وليس بخالق للعالم ان كل سميات هذه الاسماء تعتبر من خواصه . ( ١ )

١ - تنوير عن : الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي

د . محمد اليهي ص ٣٢٢-٣٢٣ - الطبعة الخامسة ١٩٧٠ د

الفكر ببيروت . وللمزيد يراجع كذلك : المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٢٠٠

## سيادة الحس

انتهى عصر التنوير بانتهاء القرن الثامن عشر تقريبا وابتدأ عصر اخر من عصور الفكر الاوروبي بظهور فجر القرن التاسع عشر ، وموضوع الصراع العقلي عند الاوروبيين واحد لم يختلف عن ذي قبل هو : الدين ، والعقل والطبيعة .

ولكن تحيز القرن التاسع عشر بفلسفة معينة ، لان اتجاه التفكير فيه مال الى سيادة ( الطبيعة على الدين والعقل معا ، والى استقلال الواقع كمصدر للمعرفة اليقينية مقابل الدين والعقل .

وقد وضع للمذهب تسمية " المذهب الوضعي " وهذا المذهب في الوقت الذي انكر فيه على الكنيسة دينها ، وضع دينا جديدا بدلا عنه هو : دين الانسانية الكبرى ويقوم هذا الدين على عبادة وطقوس .

اما الاسس التي قام عليها هذا المذهب فهي :

اولا : تقدير الطبيعة وتقييمها وحدها كمصدر للمعرفة ، والطبيعة او الحقيقة او الواقع او الحس كلها تدل على معنى واحد في نظر الوضعيين وتقدر هذه الفلسفة الطبيعية لا كمصدر مستقل فحسب للمعرفة بل كمصدر فرعي للمعرفة اليقينية او المعرفة الحقة ومعنى تقديرها للطبيعة على هذا النحو :

ان الطبيعة في نظرها هي التي تنقش الحقيقة في عقل الانسان وهي التي توحي بها وترسم معالمها الواضحة ، هي التي تُكَوِّنُ عقل الانسان .

ثانيا : الانسان لا يطل على طبيعة من خارج الطبيعة اى لا يطل على طبيعة وراءها كما لا يطل على ذاته الخاصة انما يأتي من وراء الطبيعة خداع للحقيقة وليس حقيقة . . . وكذا ما يتصوره العقل من نفسه وهم وتخيل وليس حقيقة ايضا . . .

ثالثا : ان عقل الانسان في منطق هذه الفلسفة اى ما فيه من معرفة وليد الطبيعة التي تتسل في الوراثة والبيئة والحياة الاقتصادية والاجتماعية . . . انه مخلوق ولكن خالقه الوجود الحسي . . . انه يفكر ولكن عن تفاعل مع الوجود المحيط به . . . انه مقيد مجبر وصانع القيد والجبر هو حياته المادية . . . ليس هناك عقل سابق على الوجود المادي . (١)

١ - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٣٢٢-٣٢٣ ، بتصريف

رابعاً : كما انه ليست هناك معرفة سابقة للانسان عن طريق الوحي  
- فعقل الانسان ومعرفته يوجدان تبعاً للوجود الانساني الطارى وهما انطباع  
لحياته الحسية الطارئة التي يتنفسها .

خامساً : الطبيعة هي التي تنطق عن نفسها ، ويجب على الانسان  
ان يعتمد منطقها اذا اراد ان يعيش فيها ، ومنطقها واحد لا منطقتين  
( المولاهيين ) ولا منطقتين ( العقليين ) ولا منطقتين ( أصحاب النظرية السيكلوجية )  
في معرفة الانسان هو الذى يخط الطريق المستقيم في حياة الانسان . وهو  
الذى يحدد أهدافه .

سادساً : وطريق الانسان في حياته الطبيعية يبدأ من الفرد وينتهي  
بالجماعة . وان : الفرد نفسه ليس غاية وحياته التي يعيشها ليست هدفاً  
لسميه انما غايته الاخيرة التي يجب ان يسعى اليها وذهب فيها كما يذهب  
العابد الصوفي صاحب عقيدة ( الاتحاد ) فيما يؤوله ويعبد . هي الجماعة  
وطالما كانت الجماعة هي غاية الفرد الاخيرة فهي معبوده وتذهب حرته فيها لتبقى  
لها الحرية وتغنى حياته في سبيلها لتبقى لها الحياة الابدية الخالدة ( ١ ) .

هذا هو منطق الهاربين من طغيان الكنيسة وقد بيد ولاول وهلة  
ان هو لا قد فازوا بما ارادوا نتيجة لحقيقة استندوا اليها ( الا ان نظرية  
فاحصة الى هذا التخبُّط في خطواته المتعثرة تكشف للباحث المتثبت  
ان الهاربين من ( الله ) لكي يهربوا من قبضة الكنيسة - لم يصلوا الى اية  
حقيقة مضبوطة يصح ان تكون عذراً او حجة لمن يريد ان يقول ( انه يلجأ  
الى هذا هرباً من معيانات ما وراء الطبيعة .

والا فإى شيء " مضبوط " وصلت اليه الفلسفة العقلية المثالية مثلا :  
ما هو هذا العقل الذى وكلت اليه أو المعرفة بعيداً عن الله وعن الطبيعة؟  
ماذا نعرف عن ماهية العقل؟ او عن خصائصه؟ وماذا نعرف عن طريق عمله  
وتأثيره وتأثيراته . أين يقع هذا العقل ؟ أين يوجد ؟ ما طبيعته ؟ ما قانونه ؟  
كلها اسئلة لا جواب طيبها حتى في القرن العشرين ؟

ثم هذه المقولات التي ابتدعتها هذه الفلسفة وجعلتها حتمية وبنيت  
طبيها قاضياها . . . ما هي ؟ ، ما هو مبدأ النقيض الذى قام عليه الذهاب  
والذى اعتد عليه كارل ماركس فيما بعد ما هو؟ ما قيمته الواقعية ؟ انه ليس  
سوى مقوله عقلية مجردة لا تتعامل مع الواقع في شيء ( ٢ )

١ - الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٣٢٢-٣٢٣

و : المذاهب الكبرى في التاريخ ص ٣٢٠-

٢ - راجع : خصائص التصور الاسلامي ، سيد قطب ص ٧٨ ، وراجع في مجال

هكذا عطت الكنيسة طى ارهاب الفكر البشرى وهكذا هرب هذا الفكر الى احضان الالحاد ، ولولا ذلك الموقف المجرم الذى وقفته البابوية من العلم والعلما\* لم تطور هذا الوضع الى ميلاد الفكر الشيوعي فى اوربا والذى استغله اليهود ابشع استغلال لهدم مقومات الاديان والابقا\* طى تراث\* الشعب المختار\* تنفيذاً للتوسع اليهودى ، وهو الموقف الذى ابقى شعلة الانفصام بين العلم والدين مشتعلة فى ربوع اوربا وامريكا وتصديره الى بقية ارجاء العالم . وتظهر بوضوح جريمة الكنيسة فوق التنفير من الدين فى فصلها بين نزعيتين فطريتين سويتين متكاملتين .

( اولاً : نزعلة التعلم .

ثانياً : نزعلة العبادة

وقد انشأت الكنيسة بينهما هداوة لا وجود لها فى اصل الفطرة وصداء لا ينبغى ان يوجد فى النفس السوية . فتتمزق النفس الواحدة مرقسا وتشير فى داخلها القلق والاضطراب . ( ١ )

مع ان النظرة الاسلامية الى العلم تراعى هاتين الفطريتين وتغذيهما طى حب التعلم والالمام بكل ما ينفع الانسان فى دنياه واخراه وفق ما قرره الاسلام من مبادئ وتشرىح فانظر الى ما انزل الله تعالى طى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم حيث يقول ( اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْاِنْسَانَ مِنْ طَلْقِ اِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْاَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْاِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ) ( ٢ )

انها دعوة صريحة للقراءة والعلم وان الله سبحانه . علم الانسان ما خفى عليه وهي تنطق كذلك بان مرد العلم اليه وليس لى مخلوق اخر .

ثم تأتي الايات القرآنية لتوقظ الانسان وتدعوه للارتقا\* الى العلم لتعلمو درجته عند الله ( ... يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ) ( ٣ )

كما تطلب منه الرجوع الى البارى لهزيمه طما ( وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ) ( ٤ )

لان الله تعالى هو العالم ما كان وما سيكون ويعلم ما فى السموات وما فى الارض . ولا يخفى عليه شى\* ويده مفاتيح الامور فهو السميع وهو الرازق واذا اعطى فلا حدود لعطايه

الرد طى الهدأ الشيوعي فى كتاب : نقض اوهام المادية الجدلية د . محمود سعيد  
رضان البوطى ص ٥٧ وما بعدها وكذلك راجع : موقف الاسلام من نظرية ماركس

للتفسير المادى للتاريخ ص ١٤١

١ - مذاهب فكرية معاصرة ص ٥٠

٢ - العلق : ١

٣ - المجادلة : ١١

٤ - طه : ١١٤

هذه الحقائق لا يعلمها الا العلماء الراسخون في العلم  
الذين يقفون عند حد ود الله فلا يتعدونها لخشيتهم وخوفهم من ربهم ولأن علمهم  
هو الذي قادهم الى هذه الحقيقة ( إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ  
عَزِيزٌ غَفُورٌ ) (١)

وهكذا يرفع الاسلام الغشاوة عن أعين الناس ليروا الحقيقة التي طسها  
الكهان والرهبان وهزيل كل عقبة تقف في طريق العلم .

فاذا ما تغذت نزعة العلم ونزعة العبادة انطلقت النفس البشرية الى  
الافق الارحب لتعبر عن كيانها ولتتطارد ورها في محيطها الدنيوي حيث  
الاتصال بالخلق وفق منهج الاسلام لعطارة الارض ونشر الحق والعدل .

وحيث الاتصال بالخالق عبر العبادة والتضرع والشكر له وفق ما  
جاء به الاسلام من نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف ، هذا الشكر الذي  
لا يعرفه الا اولو الالباب ( إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ  
وَالنَّهَارِ آيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَطَى جُنُوبِهِمْ  
وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا  
عَذَابَ النَّارِ ) (٢)

بهذا المفهوم تقدم المسلمون خطوات كبيرة في مجال الحضارة  
ولم يحل بين تقدمهم اى عائق حتى وصلوا الى القمة الساقية ، فكانت حضارتهم  
الزاهرة ارقى حضارة وصلت اليها البشرية عبر تاريخها الطويل .

في حين ان الحضارة الغربية لم تصل الى التقدم الذي نشدته الا بعد  
ان ازاحت من طريقها سلطة الكنيسة تلك السلطة التي فصلت بين نزعتين العلم  
والعبادة ، كما انها لم تصل الا بعد ثورات عديدة سالت على اعقابها دماء  
غزيرة ، فازهقت النفوس ، وحرقت المدن ، ونهبت البيوت ، وشردت الاسر  
ورمست النساء ، ودمت الاطفال ، وعم الخراب ربوع العالم المسيحي حتى  
وصلت الثورة الى غايتها وعند ذلك ضربت الكنيسة ورجالها وازاحت عنها كسايس  
الدين الذي كتم انفساسها اظلاماً طويلة .

فهل ترجع الى رشد ها وتبحث عن الدين الاصيل ؟

وهل ترموى الرهبانية عن غيها فتقر بالحق وتزيل عنها ما طق بها  
من أدران ؟ وتتعرف على الدين القويم ، دين الله وصراطه  
الستقيم ( إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ) (٣)

١- فا طر : ٢٨

٢- ال عمران : ١٩٠

٣- ال عمران : ١٩

## هـ - الطفيلان السياسي

في الحديث عن النماذج البابوية تبين كيف استطاعت الكنيسة في عهد جريجوري السابع ( ١٠٧٣ - ١٠٨٥ ) ان تخطو خطوات كهيرة نحو تدعيم سلطتي البابا الدينية والزمنية ، والتي افرزت فيما بعد تسلطاً رهيباً وضياعاً خلال العصور الوسطى طمأنا المسيحيين على اختلاف نزعاتهم الدينية والذهبية لم يسد ر بخلد هم في يوم من الايام ان يؤسسوا دولة او يستلموا زمام اى سلطة . بل لم يحلوا قط باى قوة عسكرية أو سياسية بل ظل شعارهم ( اعطنا لقيصر لقيصر وما لله لله ) .

كما ظل الولاة للباطرة الوثنيين قائما وكانت الصلوات والدعوات تقام لاجل هذا الغرض .

الا ان الاحداث العسكرية التي عصفت ياوروبا خاصة ط نجم عن هجمات البرابرة من دمار وخراب واكتساح الاجزاء الغربية من هذه القارة اسهم الى حد كبير في ازالة جميع العوائق السياسية والعسكرية أمام الاكليروس للتقدم نحو السلطة الزمنية .

وعلى الرغم من توفر تلك العناصر المشجعة لم تجرؤ الكنيسة بادئ الأمر على مثل هذه الخطوة لأنها كما سلف القول لم تضع ذلك في اعتبارها من قبل .

١ - لاحظ مثلا موقف البابوية البيزنطية الشرقية من الباطرة خاصة في عهد الامبراطور جيستينيان ان سياسة الدينية الخاصة باصراره على ممارسة الاستبداد القيصري البابوي قد اوجدت سابقة من السيادة الدينية العليا للباطرة البيزنطيين التاليمين ( الذين تسكوا بها ) وظلوا يمارسونها حتى نهاية الامبراطورية البيزنطية وظل الامبراطور البيزنطي حتى النهاية راسا للكنيسة كما هو راس لدولة وذلك انقذ خلفاءه من التعرض لمواقف ماثلة لما حدث للباطرة في الغرب مثل هنرى الرابع وحادثة كانوسا وفرديريك بربروسا ومقابلة البندقية ) .

المراجع : امبراطورية جيستينيان ، د . اسمنت غنيم ص ٩٠ دار

المجمع العلمي بجدة ١٣٩٧ ، ١٩٧٧ م .



( لذلك نرى البابا ليو الثالث ٢٩٥-٨١٦ م يدعو شارلمان ( ٨٠٠ م-٨١٤ م ) لاطاعة تاسيس الامبراطورية الرومانية ويعطيه الولاة وكذلك الحال بالنسبة للبابا يوحنا الثاني عشر ( ٩٥٥-٩٦٤ م ) الذي عرض التاج على اوتسو الكبير ( ٩٦٢-٩٧٣ م ) والذي جدد الامبراطورية الرومانية المقدسة بعد ان كان خلفاء شارلمان يودون بها ) . ( ١ )

وكأن البابوية قد أحست بما للامبراطورية من مكاسب سياسية ومصالح دينية لهذا أقدمت على نفض يديها والتتصل من الامبراطورية وذلك في عهد جريجورى السابع الذى استطاع تغيير وجهة العالم الغربي عن صراعه مع الامبراطورية انما ليثبت ان نادى بـ ( ان العالم بأسره دولة مسيحية واحدة يسيطر عليها بابا له العصمة وله القدرة لا يحده قانون ولا يرعه وانع وهو الذى يخلع المسيحيين من الطوك ويحل عروشهم ويقطعهم من رحمة الكنيسة ويحل رحمتهم من طاعتهم ، واعتقادا منه بان الوقت حان لبناء قوة حربية تابعة للكنيسة الكاثوليكية نادى جريجورى بهذا هب التبطل بين رجال الدين تحت رقابسة البابا وحده ، باعتباره خليفة المسيح في الارض واطن استعداد العمل في كل ما من شأنه أن يحقق استقلال الهيئة الكنسية ولو أدى ذلك إلى فسخ العسرى العائلية بين المتزوجين من رجال الدين في ألمانيا ) . ( ٢ )

ومن هنا دخل الصراع السياسي بين البابوية وبين الامبراطورية حصول مسألة التعيينات .

ولقد ( طانت المسيحية الغربية الأبرين من هذا الكفاح الذى كانت له أسوأ العواقب بالنسبة للكنيسة والبابوية كما أدى في أواخر العصور الوسطى الى انحلال الكنيسة والخروج على سلطانها وتدهور البابوية والقضاء على سلطة البابوات .

وعلى اية حال ففي عام ١٠٧٥ سرطان ما قام النزاع بين جريجورى وهنرى حول مسألة التقليد العلماني . . . عند ما أصدر البابا مرسوما بعدم تدخل الامبراطور في تنصيب رجال الدين في مناصبهم الدينية واقطاعاتهم الدينية وكان من نتيجة ذلك ان قام اساقفة هنرى واتباعه الالمان بخلع جريجورى في مجمع ورمز عام ١٠٧٦ بايحاء من الامبراطور نفسه بينما رد البابا

١ - : الدولة والامبراطورية ص ٤٨-٤٩

٢ - : تاريخ اوربا العصور الوسطى ، فينشر ١٤٧/١

على ذلك يعرمان هنرى ورجاله الذين اشتركوا في المجمع المذكور . وكان من أثر ذلك أن قامت الحرب بين الرجلين التي انتهت برضوخ هنرى لطالب البابا واذلاله في حادثة كانوسا (١)

وانتهى الامر بمعقد اتفاقية ورمز سنة ١١٢٢ بينه وبين البابا كاليكستس الثاني ١١١٩-١١٢٤ التي تم بمقتضاها حل مشكلة التقليد العلماني الذي سبب المتاعب المباشرة بين المعاهلين .

ولكن هذا الحال لم يكن يعني باى حال زوال الاسباب الرئيسية الجوهرية للنزاع بينهما . فقد كان كلاهما يتنازع السلطان الأعلى على العالم المسيحي اذ سرعان ما بدأت المرحلة الثالثة من النزاع بين القوتين بتولي فرديريك الاول برباروسا عرش الامبراطورية في ١١٥٢ (٢)

وقد امتد حكم هذا الاخير حتى سنة ١١٩٠ وكان السبب هذه المرة هو التدخل الامبراطوري الالمانى في حكم ايطاليا ، وكان من نتيجة ذلك ان توالت الحملات الامبراطورية على ايطاليا وقد انتهت بهزيمة فرديريك في الحملة الخامسة والاخيرة ( ١١٢٤-١١٢٦ ) اطم حلف المدن اللماردية المضار الى صف البابا للحصول على استقلالها .

وكما انزل جريجورى السابع الامبراطور هنرى الرابع في كانوسا من قبل كذلك انزل البابا اسكندر الثالث ( ١١٥٩-١١٨١ ) م الامبراطور فرديريك برباروسا وان لم يمعن في ذلك كما فعل سلفه ( ٣ )

ولم تقف الامور عند هذا الحد من الصراع اذ تطورت في عهد البابا انوسنت الثالث ١١٩٨-١٢١٦ الذى أخذ يمد أنفه في فرنسا ويتدخل في شؤنها الداخلية على عهد ملكها فيليب . . . حتى اذا ما اراد هذا الاخير ان يقف موقفا حازما من البابوية ان بالبابا انوسنت يوقع قرار العرمان على بلاده سنسنة ١٢٠٠م وعندئذ تأرنب الأسد واضطر الملك فيليب اوغسطس الى الانطمان واصلاح أموره مع البابوية . ( ٤ ) .

١ - الدولة والامبراطورية ص ٥٠-٥١

٢ - المرجع السابق ص ٥١

٣ - المرجع السابق ص ٥١-٥٢ وكذلك معالم العصور الوسطى ص ١٣٩-١٤٠

٤ - اوربوا العصور الوسطى ١/٥٠٦-٥٠٧

وكذلك فعل هذا البابا الشيخ نفسه في إنجلترا حيث أصدر قرار  
الحرمان بحق الطك هنا وبلاد سنة ( ١٢٠٨-١٢٠٩ ) م (١)

والأخطر من ذلك موقف هذا البابا من الحملة الصليبية الرابعة  
التي كانت متجهة إلى الشرق الإسلامي ثم تحويلها إلى القسطنطينية سنة ١٢٠٤م (٢)

وهكذا نجد أن أخطر الأسلحة التي استعملها البابوات هو سلاح قرار  
الحرمان الذي يعتبر من أولى أسباب الطغيان الكنسي .

وإزاء ما قامت به الكنيسة من أعمال في هذا المجال نجد أنها ارتكبت  
في حق دين الله جريحتين :

الأولى : أنها عزفت عن تطبيق شريعة الله تبارك وتعالى (٣)  
واقامت مكانه تشريع الإباطرة الرومان فكانت ورثة ذلك التشريع الوثني .

الثانية : أنها استخدمت سلطانها الذي حازت من أجل  
الحصول عليه وارتقت الدنيا في إخضاع الناس جميعاً طوكهم ووطعهم لها وهي  
هي وجبروتها فجعلت من رجالها أرباباً من دون الله وهدت الناس لهم  
من دون الله ( سبحانه ) حتى حق عليهم قوله تعالى فيهم ( اتخذوا أربابهم  
ورهبانهم أرباباً من دون الله ) (٤)

فمن ناحية الدين المنزّل فقد شوّهته بفصل العقيدة عن الشريعة  
وتقدّمه للناس عقيدة صرفة بلا تشريع أي سخا شوها لا يمثل دين الله  
الحقيقي ثم ادعت للناس أن هذا هو الدين وزرعت في عقول الناس تصوراً خاطئاً  
بان الدين علاقة خاصة بين العبد والرب محلها القلب ولا علاقة له بواقع الحياة  
على الأرض فسملت على الشياطين فيما بعد اقتلاع آثاره . . . لأنه لم يكن عميق  
الجذور في واقع الحياة . (٥)

ولا شك أن شياطين الإنس من اليهود عرفوا كيف توكل الكف فوجدوا  
في سخافة البابوية خير مطية لتحقيق ما خططوا له من مكائد . وقد استطاعت  
تنفيذ مآربها عبر محاربة الكنيسة ، بل وإيصال من تريد من رجال الكهنوت  
إلى سدة الكرسي البابوي لإصدار ما تريد من قرارات وبرامير .

١ - أوروبا العصور الوسطى ٥٠٧/٢

٢ - المصدر السابق وانظر كذلك الحملة الصليبية الرابعة وسوءولة انحرافها ضد  
القسطنطينية . اسمت غنيم ص ٥٠ و ٧٢-٧٣ دار المجمع العلمي بجدة ١٣٩٨هـ

٣ - مذاهب فكرية معاصرة ص ٤٤

٤ - التوبة : ٣١ - مذاهب فكرية معاصرة ص ٤٥

## و - الطفيلان الطالبي والاقتصادى

عند ما تم الحديث عن النذور الثلاثة التي التزمت الرهبانية بها ، توقف البحث عند نذر الفقر ، وتبين مدى التزام الرهبان بالتقشف ، وكيف اداروا الظاهر للدنيا ،

كما تقرر أن هذا الاجراء كان نسطا غير سوى لأنه يدعو الى السلبية في الحياة ويورث الاتكال فضلا عن التأخر الذي يضر حياة الإنسان نفسه والمجتمع ككل . كما أن الاعتداد على الهبات والصدقات وط تجود به أيدي الناس من فضلات الاموال كقيل بفتح الأبواب أمام ضعاف النفوس والضائير لاقتناص الفرص واستمرا هذه التجارة تحت ستار كثيف من الحجج الواهية .

وفي غياب العقيدة الصحيحة والغفلة عن مراقبة الله تبارك وتعالى تصبح الطريق سهلة لكل عايت .

كما مر الحديث كذلك عن رهبنة الاديان الوضعية وكيفية استغلال الكهنة لخاصيتهم لاقتناء هذه التجارة المعرمة . وتكوين ثروات ضخمة مما حدا باخناتون مصر الى استئصال شأفتهم . وكأن الزمان قد استدركهيبته الأولى فتكررت المسأسة مرة أخرى في العالم على يد الرهبانية التي نجحت في اعادات تشييد دور الكهنة الفراعنة تحت مظلة الجبروت والطفيلان المايوى .

لقد درست تلك المناصب على الاكليسوس اموالا طائلة وازدادت معها املاك الكنيسةازدياداً فاحشا الامر الذي انعكس سلبا على الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية واورث القوم خصائص فادحة .

ان جانبها كبيرا من تلك الاموال كانت مخصصة للفقراء والساكين الا أن النذر القليل فقط كان يصل الى هؤلاء التعساء ويذهب الباقي الى جيوب القسس والرهبان .

وقد كشف القرآن الكريم هذه الجرائم فمن ذلك قوله تعالى ( يا ايها الذين آمنوا إن كثيرا من الأعبار والرهبان لياكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ) (١)

فبدل أن يخفف الرهبان من الآم الفقراء والبؤساء راحوا يمارسون أشنع أنواع الاستغلال الديني كما أنهم بدل أن يغيروا من أنظمة الامبراطورية

١ - التهمة : ٣٤

ولا حظ ما اورده د . جواد علي حول هذه الجريمة وذلك في كتابه :  
المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٦ / ٦٤٣ ، دار العلم للملايين  
ط ٢ - ١٩٨٠ م

الموروثة ، علسوا على نقل هذه الانظمة برمتها اليهم خاصة فيما يتعلق بنظام الاقطاع . وقبلوا لانفسهم اختيار لقب لصوص الارض والطل .

وقد ضرب المورخون جطة من الامثلة على ارتكاب هذه الجرائم من قبل هذه الطغمة الباغية -

وقبل التعرض لامثلة الطغمان المالي والاقتصادى تجد رالاشارة السى ان هذه الاتهامات لم تكن موجهة من أعداء الرهبان أنفسهم بل من سجلات تلك الأديرة الرسمية كالمساقفات الحسابية وتقارير الاساقفة الزائرين وتصرفات البندكتان او الاغوسطينيين او اعضاء مجامع الرهبان الذين يعيشون على الصدقة والاحسان<sup>(١)</sup> .

يقول كولتون عن هذا الانحراف :

( ولقد دلت دفاتر الحسابات على ان ايرادات الاديرة الضخمة لم يكذب صرف عشرها على الاغراض الخيرية ، وغالبا ما كان الرهبان يضمنون على الفقراء فلا يعطونهم الطال الذى قرر الواهبون تخصيصه لهم ، والذى لم يكن ملكا للاديرة التي كانت مجرد حارسه عليه . . . )<sup>(٢)</sup>

ويتحدث ديورانت عن دور الكنيسة الاقطاعية والاملاك الضخمة من قصور واديرة ورقبيق والتي درت عليها كهدايا وهبات وما الى ذلك حتى " اصبحت اكبر ملاك الاراضي وأكبر السادة الاقطاعيين في أوروبا . . . وكانت املاكها الرضية أي المادية وحقوقها والتزاماتها الاقطاعية ما يجلب بالعماركل مسيحي مستمسك بدينه وسخرية تلوكها السنة الخارجيين على الدين ومدرا للجدل العنيف بين الاباطرة والبابوات . وهكذا اصبحت الكنيسة جزءا لا يتجزأ من نظام الاقطاع<sup>(٣)</sup> " .

ان هذه الثروات الضخمة لم تكن لتنمو على هذه الشاكلة لو لم تكن :-

( الادارة البابوية المتراصة الاطراف بحاجة لميزانية ضخمة تسد مطالبها وتفسي بظاهرها وهنا استطاع البابا ان يحصل من الاملاك والاراضي البابوية على نفس العوائد والرسوم التي حصلت عليها البابوية من الاديرة والبلوك والامراء الذين ينشدون حمايتها في مختلف انحاء أوروبا كذلك اعتادت بعض البلاد الغربية

١ - عالم العصور الوسطى ص ١٢٨-١٢٩

٢ - المرجع السابق ص ١٨٢

٣ - قصة الحضارة ١٤ : ٤٢٨-٤٢٩

ولا حفظ : تهافت العطلانية ، د . عماد الدين خليل ، ص ٨٦ ، مؤسسة الرسالة

١٣٩٩ هـ - ١٩٦٩ م .

وحكامها ان يدفعوا ضريبة سنوية معينة للبابوية كما ادى ازدياد نشاط المحكمة البابوية الى اضافة مورد مهم نتيجة للرسوم القضائية التي تفرض على المتقاضين ثم جاءت الحروب الصليبية لتهيئ \* للبابوية مورد اجديدا ضخما .

اذ أخذ البابوات في القرن الثالث عشر يفرضون ضريبة ايراد على رجال الكنائس لتمويل الحركة الصليبية (١)

فاذا اضفنا الى كل ذلك صكوك الغفران التي اكرت البابوية من بيعها لطالبي التوبة والمغفرة والرسوم التي كان يتقاضاها البابا عند تقليد رجال الدين مهام مناصبهم الجديدة اذ ركنا في النهاية ان البابوية لم تعد م وجـود مصادرها متعددة أسدتها بما احتاجت اليه من اموال تفي بظواهرها ومطالبها (٢)

ان هذه المخازن تدل دلالة واضحة على الحضارة التي قد شهدتها الرهبانية ، كما تدل على ما انتجته قرايح الرهبان من ظلم وطغيان ، في الوقت الذي كان الاسلام بسطه حته وعدله ينشر الا من والامن والنور في كل قطر حصل به أوكل مصراوغل فيه . وخذ على ذلك مثلا بسيطا .

ففي الوقت الذي استطاع المسلمون فيه الوصول الى كبرى المدن في اسيا الصغرى على سليمان بن قنطش (٣) على تحرير كثير من عبيد الارض الذي يمس كانوا يفلحون ضياع كبار الملاك البيزنطيين وبذلك اكتسب ولا \* تلك الفئة التي طالما قاست الكثير من الاستعباد والظلم ، ولعل هذه الحقائق كلها هي التي جعلت من الصعب على ال كومستين وعلى رجال الحملات الصليبية التي اخذت تغد من المغرب منذ اواخر القرن الحادي عشر استرداد اراضي الاناضول من الاتراك (٤)

١ - والجدير بالذكر ان هذه الحملات لم تقتصر فقط على اراضي الخلافة الاسلامية بل تعدت الى الاراضي المجاورة للبابوية . فقد جردت حملات كثيرة ضد المسيحيين ايضا .

٢ - اوربوا العصور الوسطى ١ / ٥٠٨

٣ - سليمان بن قنطش احد اقارب ملكشاه ( ١٠٧٢ - ١٠٩٢ ) الذي تمكن من بسط نفوذ السلاجقة على ثلاثة ارباع اسيا الصغرى تقريبا وقد اعتبر رجلا قويا لوقوفه ضد خطر الصليبيين الذي بات يهدد العالم الاسلامي ( راجع : جهاد المسلمين في الحروب الصليبية . د . فايد حطاب محمد طشور ص ٦٤ ، مؤسسة الرسالة ط ٣ ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ .

٤ - الحركة الصليبية ، د . سعيد عبد الفتاح طشور ١ / ٩١ ط ٣ ١٩٧٨ م مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة .

## الفصل الثامن :

### موقف الكنيسة المعادي للإسلام وآثاره

منذ بزوغ فجر الإسلام وإلى يومنا هذا ظل أهل الكتاب يتخذون موقفا معاديا للإسلام وأهله ، على الرغم من إسلام عدد من كبار زعمائهم ورجالات الدين منهم . كعبد الله بن سلام وصهيب الرومي والنجاشي وغيرهم ممن هداهم الله تبارك وتعالى للحق ، .

كذلك دخلت في دين الله تعالى شعوب كثيرة إبان الفتوح الإسلامية الكبرى كما عاشت شعوبهم في كنف الإسلام في أمن وسلام وقد حفظ المسلمون لأهل الذمة حقوقهم دون أن يحسوها بسوء (١)

إلا أن الحقد الدفين لدى أعداء الحق جعلهم يفضون أعينهم عن رسالة الإسلام وهدية فجعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ، وذلك كله عرضت عليهم عقيدة التوحيد الصافية .  
وزاد من تعنت هؤلاء سرعة انتشار الإسلام في بقاع الأرض المرادى هدد طغيان الكنيسة ورهبانها خاصة حينما زلزل المسلمون إيوان كسرى وقوضوا عرش قيصر .

وقد نجم عن عداوة زعماء الكنيسة ورهبانها للإسلام عدة جرائم منها :

#### أولا : الحروب الصليبية :

ولأسباب آتفة الذكر فقد بقي النزاع بين الإسلام والمسيحية قرونا متعددة نتيجة للحملات الصليبية إبان العصور الوسطى (٤٩٠ - ١٠٩٦ م حيث دخل الصراع مرحلة خطيرة إذ أسفرت البابوية عن وجهها الكالح بالدعوة التي وجهتها الرهبانية عبر أكبر بوق لديها وهو " بطرس الناسك " الذي دعا جراس هذه الحروب استجابة لأمر البابا إريان الثاني (٢) ، ما جعل طوك وأمراء أوروبا يطلقون هذه الدعوة لاجتياح العالم الإسلامي واحتلال بيت المقدس وأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

وسرطان ما استجابت الكنائس برهبانها ضاربة أجراسها لجمع الناس وتهيئتهم لغزو ديار الإسلام واستتصاليه من الأرض .

١ - راجع في ذلك : أحكام الذميين والمستأنسين في دار الإسلام ، د . عبد الكريم زيدان ، مكتبة القدس ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٢ ، ١٩٨٢ م .

٢ - الحركة الصليبية د . سعيد عبد الفتاح عاشور ١٢٦/١ - ١٢٧

وقد لبى مسيحيو الغرب الدعوة رغبة من قرارات الحرمان ورغبة فسي  
صحكوك الغفران التي باتت الكنيسة تستعظمها وتصدرها كلما ارادت توسيع  
دائرة نزواتها التي لا تقف عند حد .

وبوصول الحملات الصليبية الى الديار الاسلامية قامت الصليبية بايتم  
الجرائم الوحشية التي ارتكبت بحق الامنين المسلمين ، وقد شهد بيت المقدس  
بالذات مذابح رهيبة ارتكبتها عماد الصليبيين .

كما قامت بعض الفرق المسيحية في الشرق باعمال لا تقل خطورة عما  
قام به اهل الغرب ، ان على هؤلاء على مساعدة طلائع الصليبيين منذ وصولهم  
الى السواحل الاسلامية خاصة سواحل الشام واعتهم بالعمون والتأييد (٢)

حتى بعد انتهاء الحروب الصليبية بقي الرهبان خاصة في بيت المقدس (٣)  
وغيرها يمارسون مهنة التجسس على المسلمين لحساب الصليبيين تحت ستار الدين  
ولباس المتبتلين من الدومنيكان والفرنسيسكان ، مستغلين بذلك ساحة الاسلام  
وطيبة قلوب المسلمين ورايتهم لاهل الذمة وخاصة في عدم تعرضهم للرهبان  
والقسس وضعاف المسيحيين .

- 
- ١ - راجع : مقدمة . د . حسن حبشي لكتاب اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس  
ص ٥ ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٨ م . وانظر تلك المذابح الفظيعة التي  
ارتكبتها الصليبيون في بيت المقدس بشهادة واحد من افراد الحطمة الصليبية  
وذلك في ص ١١٩-١٢٠ من نفس المصدر .
- ٢ - راجع في ذلك : اضاة توضيحية على تاريخ الطارونية . د . زكي النقاش ص ٣٧  
- ٣٨ ، دار لبنان ، ١٩٧٠
- ٣ - راجع في ذلك : وثائق دير صهيون بالقدس الشريف . د . احمد دراج ص  
٣٢-٣٩ مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٨ .
- وانظر كذلك : المطالسيك والفرنج لنفس المؤلف ، ص ١٢ و ٧٧  
دار الفكر العربي القاهرة ١٩٦١
- ويعترف الاب ايجي لوربول اليسوعي بجهود الرهبان الالمان الذين  
اطلق عليهم اسم الفرسان الالمان في اسعاف الصليبيين اثنا حطتهم على بلاد  
الشام وانهم بذلوا النفس والنفس لاجلهم ، راجع : مجلة المشرق ١/١٩٦٩-١٩٧٤



وبالرجوع الى أهيم العوايل التي أسهمت في احيا\* الحملات الصليبية نجد الآتي :

اولا : كانت البابوية في نزاعها مع السلطة الزمنية بحاجة الى مناخ يتيح لها تثبيت دعائم نفوذها الجديد في اوربا ، وقد وجد البابا في تقسيم الاسلام وانتشاره بين الناس في الاندلس وآسيا الصغرى مررا لابعاد خصوصية السياسيين من طوك وامرا\* اوربا عن ساحة النفوذ .

ثانيا : كانت الكنيسة بحاجة ماسة للاموال نتيجة الكساد الذي اصاب اوربا والناجم عن التأخر في شتى المجالات الامر الذي دعا الكنيسة الى جمعها بطرق شيطانية فاصدرت ما يسمى بصكوك الغفران لكل من يشارك في تمويل الحملات الصليبية كما فتحت مغفرتها لكل من شارك بنفسه في تلك الحروب .

ثالثا : حالة الفوضى التي عمت اوربا نتيجة التسلط والقهر ما شجع المغامرين والغاربن من ربة الكنيسة للاشتراك في الحروب هربا من الحالة المزمنة. اذ الى ذلك حالة الفقر التي ظبت على اهل اوربا ما اسهم في اغراء\* ، هؤلاء\* لنهب بلاد المسلمين وخيراتهم . ( ١ )

هذه هي اهم الجوانب التي تخص البحث وهناك عدة اسباب اخرى لا مجال لذكرها .

الا ان النتيجة التي يمكن الخروج منها : ان تلك الحروب هي ممن اولئك الذين لسن يرضوا عن الاسلام والمسلمين حتى يدخلوا في طنتهم ( ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع طنتهم ، قل ان هدى الله هو الهدى ولن اتبعن اهلوا\* هم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير ) ( ٢ )

هكذا يريد الحاقدون ، ولله ما اراد ، ولقد غشلت الحملات الصليبية في تحقيق اغراضها وتحطمت راياتها على صخرة صمود المسلمين واستبسالهم في الدفاع عن عقيدتهم وامايتهم .

ولن الرغم ما تكبده الصليبية ورهبانها الا انها عاودت بالتآمر مع اليهودية لمحاربة الاسلام واهله ، فاستطاعت عبر الدس والخداع ازالة معالم

١ - راجع بتوسع : اوربا العصور الوسطى ٤ / ١ ٤٤١

٢ - البقرة : ١٢٠

الخلافة الاسلامية ، وتشتتت وحدة المسلمين وذلك في بداية القرن العشرين ، وقد تلقت البلاد الاسلامية طعنه نجلاء وخسارة فادحة بسقوط الخليفة العثماني السلم واقتسام الدول الغربية اجزاء الدولة وثبتت طائسم الاتحاد عبر نشر القوميات واثارة العرقيات والنعرات الاقليمية بين الشعوب الاسلامية الامر الذي ادى الى تفسخ وحدة المسلمين وابقائهم تحت السيطرة السياسية والاقتصادية للاستعمار الغربي .

ولم تهدأ ثورة الرهبان فيقطن المسلمين في يوم من الايام فعلى الرغم من الملايا والشورور التي لحقت بالمسلمين من جراء سقوط خلافتهم ، الا ان الرهبان اشهروا اسلحة متعددة لا تقل خطورة عن السلاح الحربي ذلك هو سلاح التبشير .

وهذا ما سيكون الحديث عنه اشنا استعراض الجريمة الثانية . من الجرائم التي يرتكبها الرهبان ضد الاسلام واهله .

---

١ - تجدر الاشارة الى ان الرهبان قد استعملوا السلاح في الحرب اللبنا نية التي لا يزال اوارها مستعرا حتى هذا اليوم ، وقد اسسوا حركة اسمها الحركة الكسروانية سنة ١٩٧٥ م دعوة من رهبان جامعة الروح القدس الكسليك بمزمنة الاباتي شربل قسيس ثم الاباتي يولس نعمان . راجع في ذلك مجلة التضامن العدد الرابع ص ٢٢ تاريخ ١٩٨٣/٥/٧ م - لندن

## ثانياً : التبشير

افاض العلماء والدعاة المسلمون في الحديث عن التبشير وادواته وآثاره السيئة ، كما كشفوا خططه واهدافه من خلال مؤلفاتهم وبحاثهم المتعددة . وقد يكون اقحام الرهبانية في التبشير مدعاة لاعتراض البعض على اساس انه لا صلة للرهبانية بالتبشير والمبشرين .

ولا يعدم الجواب من عرف شخصية الواقفين خلف ستار هذه الاداة ، كما لا يخفى دور الباطنية وحكومة الفاتيكان في عطية تمويل المشاريع ، وكذلك دور مجلس الكنائس العالمي في تدعيم الخطط الرامية الى تنصير المسلمين في اوطانهم وابعادهم عن دينهم الحنيف ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً . وقد يعجب المرء من رصد الميزانيات الضخمة من أجل تنفيذ هذه المشاريع ، الا ان العجب يزول حينما تتكشف له صلة الرهبانية المستمرة بالسكنة والمحبة بالجمعيات التبشيرية المسيحية .

فمن خلال التعرف على هوية القائمين على هذه العمليات تستطيع ان تعرف انهم غير مسجونين في ايدى كبار القسوس والرهبان . كما أن دعوتهم تنادي على الدوام الى الامتثال " بالحياة المسيحية الخالصة " وهي في اُسس معانيها لديهم تلخص بالالتزام التام بالحياة الرهبانية وقد مرت هذه العقول اثناً الحديث عن مبدأ الاتحاد في المسيحية .<sup>(١)</sup>

وصحيح ان المبشرين الجدد لا يدعون ابتداءً الى التسكك بالحياة الرهبانية ، الا انهم يمهدون السبيل امام الناس لتقبل هذه الحياة فبعد التدرج في استجلابهم تصبح الطريق معبدة الى بث سومهم فسي طرائد هم .

الا ان هؤلاء المبشرين حينما ظموا بفشل تجارتهم الخاسرة وقد اثبتت عبر التجارب ضآلتها<sup>(٢)</sup> ، فقد عمدوا الى تغيير الوسائل ، فباتت خططهم تقضي بتاهيل اطباء والمعلمين واصحاب المهن الضرورية والقادرين على تنفيذ هذا الدور . لان شخصية الرهبان والقسوس لم تعد مقبولة لدى الناس .

١ - يرصد لدول الخليج وحدها سنوياً ١٣ مليون دولار أمريكياً وذلك لسبع

منظمات تبشيرية ، : راجع : التبشير المسيحي في منطقة الخليج ص ٧

٢ - راجع ص ٣٦٠ - ٣٦١ من هذا البحث وخلاصة التصوف المسيحي ٧/١

٣ - راجع بعض هذه المحاولات واخفاقاتها في كتاب : وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الاسلامي . د . حسان محمد حسان ص ٤٧ - ٤٨ ، دار الاصفهاني ،

كما ان بعض المشاريع الفاشلة التي مني بها المشرون في بعض الأقطار الاسلامية دعتهم الى تغيير الاهداف ايضا ، فبدل ان يكون التبشير يستهدف ادخال المسلمين في النصرانية أصبح التبشير يسعى الى زعزعة العقيدة الاسلامية على الأقل (١) . وادخال أصحابها في التيه الفكرى .

والى ذلك يشير زعم المشرين المدعو " زهير " الراهب حيث يقول :  
( لقد قبضنا ايها الاخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر الى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الاسلامية وانكم اهدتم نشأنا في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ولا يريد ان يعرفها . . .  
واخرجتم المسلم من الاسلام ، ولم تدخلوه في المسيحية وبالتالي جاء النشئ الاسلامي طبقا لما اراده له الاستعمار السبهي : لا يهتم بالعظام وحب الراحة والكمال ولا يعرف همه في دنياه الا في الشهوات . . . فاذا تعلمت للشهوات واذا جمع المال للشهوات وان تبوأ اسم المراكز ففي سبيل الشهوات يوجد بكل شيء ) (٢)

في هذا النص يكشف زهير عن صلة التبشير بالاستعمار وتوافق الاهداف لاجتثاث العقيدة من صدور المسلمين .

كما يستدل من ذلك ايضا ان التبشير قد أصبح يمثل اداة في يده الاستعمار يدخل به البلاد الاسلامية بهدف السيطرة الاقتصادية والسياسية والعسكرية ، طمأن نظم الدول الاستعمارية الغربية هي التي علت من قبل على تحطيم النفوذ الكنسي تخلصا من الطغيان الباهوى ، وذلك وفقا لما تكشف اثنا الحديث عن صراع الكنيسة مع العلم . ولكن الامر عندما يتعلق بالاسلام واهله تصبح القضية محل بحث بل مجال تنفيذ لخطط جهنمية يقع المسلمون عن علم او غير علم في براثنها .

وتدلنا اعداد المؤتمرات التبشيرية واهدافها المعلنة وغير المعلنة على مدى اهتمام القائمين عليها لتنفيذ هذه الخطط . ويمكن تلخيص بعض هذه المؤتمرات كالآتي :

- ١ - راجع : هذه القضية في كتاب التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص ٤٦ ، خالدى وفروخ .
- ٢ - : اساليب الغزو الفكرى للعالم الاسلامي ، علي محمد جريشة ومحمد شريف الزبيق ص ٦٣ دار الاعتصام ١٩٧٨

- ( ١ ) - مؤتمر القاهرة ، سنة ١٣٢٤ هـ ( ١٩٠٦ م ) المنعقد  
في منزل زعيم الثورة العربية السلم في باب اللوق تحت سمع  
الحكومة وبصرها
- ( ٢ ) مؤتمر ادنبرج سنة ١٣٢٨ هـ - ١٩١٠ م في إنجلترا .
- ٣ - مؤتمر لكنسو سنة ١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م بالهند
- ٤ - مؤتمر القدس سنة ١٣٤٣ هـ ( ١٩٢٤ م )
- ٥ - مؤتمر القدس سنة ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م
- ٦ - مؤتمر القدس سنة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م ( ١ )
- ٧ - مؤتمر كولوراد و سيرنغ المنعقد سنة ١٩٧٨ م ( ٢ )

الى غير ذلك من المؤتمرات التي يتزعمها كبار القسس والرهبان .

وتجسد ر الاشارة هنا الى نقطة اخيرة تتعلق بموضوع الرهبان وهي

تلك النشاطات المشبوهة التي يمارسها هؤلاء في المحافل الطاسونية ومدّها  
بالا مكانات الطادية والبشرية وهو ما كشفه شاهين مكاربوس<sup>(٣)</sup> . ضمن حديثه عن  
دور الرهبان في تدعيم تلك المحافل .

١ - راجع : " اساليب الغزو الفكري " ص ٣٢

٢ - التبشير المسيحي ، أحمد فون دنفر ص ٧

٣ - راجع : تاريخ الطاسونية المصلية ص ٩٨-٩٩ شاهين مكاربوس دار مارون عبود

ط ١٩٨٤ م .

## الباب الثامن

أثر الرهننة في البندع الضالعة  
والفرق المفالية المنتسبة للاسلام

ثالثا :

### أثر الرهبانية في الفرق المغالية والبدع الضالسة

كان للفتوح الاسلامي نتائج عظيمة ايمان . عصور الخلافة الاسلامية المختلفة ، وبرز هذه النتائج تمثل في دخول الناس في دين الله أفواجا . لقد كان لهذا الدين في قلوب أبناءه محبة عظيمة ، واخلاص دائم . وذلك لنقاته وتميزه عن بقية السبل والنحل بانه دين الفطرة ، دين الله القويم وصراطه المستقيم ، ولهذا فان اعداء الاسلام ادخلوا بعض عقائد هم المنحرفة تشويهها وتحريفها ، والله من وراءهم محيط .

وبالرجوع الى اصول الاسلام وفروعه يمكن وضع قاعدة اساسية لوزن اى فكر د خسيل ، او عقيدة فاسدة مدسوسة عليه ، وذلك وفق ميزان لا يأتيسه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عرف اركان الاسلام ، و ذلك فيما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بني الاسلام على خمس : شهادة ان لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ، واقام الصلاة وايتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان ( ١ )

كما بين عليه الصلاة والسلام اركان الايمان ، من ذلك ما جاء في الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه من حديث جبريل عليه السلام ( الإيمان : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ . . ) ( ٢ )

وطيه فان الاسلام ينفرد عن العقائد الشركية والبدعية بالتوحيد الخالص ، فأهل السنة والجماعة يوجبون لله تعالى الكمال في صفاته واسماؤه وافعاله بحسب ما ورد في القرآن الكريم من آيات ، والسنة الطاهرة من احاديث وذلك بعيدا عن التجسيم والتشبيه والتعطيل ايظنا بقوله تعالى ( لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ) ( ٣ ) .

١ - صحيح الامام البخارى ، كتاب الايمان ٨ / ١

٢ - رواه الامام مسلم ، انظر صحيح الامام مسلم بشرح النووي كتاب الايمان ١ / ١٥٧

٣ - المشورى : ١١

كما ان توحيد الالهوية والربوبية وتوحيد الاسماء والصفات هي من لسوازم هذا التنزيه . ( ١ )

كما ان العلماء والفقهاء متفقون على ان اصول الدين الاسلامي النابعة من الكتاب والسنة هي المعتمدة عندهم لا غيرها ولا خلاف في شيء ( منها ) . ( ٢ )

كما انهم متفقون على ان الجهادى الاخلاقية والسلوكية التي بها الاسلام ، وفق منهج القرآن والسنة هي السبيل الوحيد لنيل الزهد المقرب الى الله تعالى دون غيره من البدع التي ادخلت عليه زورا .

ذلك هو السبيل الوسط الذى سار عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فسي سيرته الذاتية والعلمية وتبعه السلف الصالح باعتدال بغية تهذيب النفوس وتقويم الاعوجاج والارتقاء الى القيم السامية النابعة من روح الاسلام الصافية ، وهذا يتم ( باخلاص النية لله تعالى في الظاهر والباطن والسر والعلن والارتفاع بها جميعا الى مستوى الاحسان الذى وصفه النبي صلى الله عليه وسلم : ( هُوَ اَنْ تَعْبُدَ اللّٰهَ كَاَنَّكَ تَرَاهُ فَاِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَانَّهُ بِرَاكَ ) ( ٣ )

و عليه فان ط عرض من عقائد الاديان الوضعية وط تبين من انحرافات اهل الكتاب المعقديّة والسلوكية سواء ط تعلق منها بالتجسيم او الحلول او الاتحاد او وحدة الوجود ، لاصلة للاسلام بها من قريب او بعيد وان كل ط يتعلق بها او يتفرع عنها لا وجود لسه ولا اصل في عقيدة التوحيد التي جاء بها الاسلام .

تلك هي القاعدة المطلوبة لتمييز الغث من الشين ، ووزن اى عقيدة يجب ان يكون وفق هذا الميزان الدقيق .

ووفق هذا المفهوم ايضا فان الزهد الاسلامي النابع من الكتاب والسنة والذى ترعرع في مدرسة النبوة لاصلة له اطلاقا بغيره كما يجب التنويه بان هذا الزهد قد استفل استفلا كبيرا عقب انتشار البد الاسلامي شرقا وغربا ، ودخول الناس في هذا الدين اتاح للاعداء فرصة الطوج اليه ، فقد اخطفت مشارب الداخلين كل بحسب اختلاف النوايا والغايات ، فمنهم من وجد في الاسلام ما يغنيه عن ضلالات وجور الاديان المخرقة ، ومنهم من وجد فيه خطرا طى كيانه كالشعبوية والزنادقة ، وخرقي اهل الكتاب ، وخاصة رجال الدين منهم الذين ارادوا التيسيل

١ - انظر : دعوة التوحيد ، د . محمد خليل هراس ص ١٤ ، مكتبة الصحابة طنطا

٢ - راجع : التبصير في الدين ، لابي الطاهر الاسفراييني ص ١٨٢ - ١٨٣

ت : كمال يوسف الحوت ط ، ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م بيروت .

٣ - انظر نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها د . عرفان عبد الحميد فتاح ص ٥ ، ط ١٣٩٤ هـ

١٩٧٤ م المكتب الاسلامي ، بيروت .

وراجع حديث الاحسان في صحيح مسلم بشرح النووي ١/١٥٧



من الاسلام ، وذلك كما فعل " يوحنا الدمشقي " (١) في العهد الاموي ، وكذلك  
سوسن النصراني الذي اسلم ثم تنصر في العهد العباسي وهو أول من نطق  
بالقدر . (٢)

كما سارت تيار آخر ادى الى وجود الزندقة ، ودعاة هذا التيار لا ينتمون  
الى دين سواى بل الى مذاهب وثنية عرفت بفارس والهند والجزيرة مثل المجوسية  
والسننية والمشبهة والمناوية والصابئة (٣)

وقد استطاعت هذه الفرق ان تشق طريقها الى البيئة الاسلامية عبر  
الدين تارة وتحريف النصوص ووضع الاحاديث تارة اخرى ترويحاً لخلالاتها  
وبدعها ، فاستغل الزهد الاسلامي الصافي لهذه الغاية فمزج بهذه التعاليم  
الوافدة مما اتاح الفرصة . أطام التصوف الفلسفي أن يأخذ مكانه في المجتمع  
الاسلامي .

وقد كان للمعارف التي حطها أهل الكتاب عن عقائدهم وآرائهم  
وممارساتهم المستقاة اساساً من بناييع الرهبانية وفلسفتها في الطبول  
والاتحصان اثر في المنحى الصوفي الفلسفي وقد تمثل هذا بما وجد في كتابات  
محيى الدين بن عربي والحلاج وابن الفارض والسهروردي ومن سار في هذا  
الاتجاه متتبعا لما قرروه ، ممن دان بهذه العقائد الوافدة الأمر الذي عكس  
اجواء المجتمع الاسلامي الصافية .

هذا الوضع استدعى بقاء طوائف الاسلام وجهابذته في حالة استنفار  
طبي دائم نتيجة لهذه الاخطار المحدقة بالامة .

- 
- ١ - راجع في ذلك : تاريخ الفرق الاسلامية ، طي مصطفى الغرابي ص ١٢٧ ط ٢  
١٩٨٥ مكتبة الانجلو المصرية .
  - ٢ - راجع : الحياة العلمية في الشام فسي القرنين الاول والثاني للهجرة  
خليل داود الزرو - ص ١٢٤-١٢٧ دار الافاق الجديدة ط ١ بيروت ١٩٧١
  - ٣ - المصدر السابق ص ١٣١
  - ٤ - لاحظ : كتاب المجددون في الاسلام من القرن الاول الى الرابع عشر ، عهد  
التمتع الصحيدى ص ٢٥١ ، القاهرة مكتبة الاداب .
  - ٥ - راجع : صرع التصوف ، برهان الدين البقاعي ، ص ٢٢٤ : عهد الرحمن  
الوكيل ، فصل عن التصوف الفلسفي وصلته بالنصرانية ص ٢٢٤ .

كما يجب الاعتراف بان تلك الهادي\* الخاصة بأسس العقيدة الرهبانية منها والسلوكية قد أثرت بشكل خاص في الفرق الباطنية التي وجدت في التشيع فرصة كبيرة وستارا لتحقيق اهدافها في زعزعة الكيان الاسلامي .

وقد ازداد انتشار الفرق الباطنية في عهد الدولة الفاطمية (٢) ازيد يسارا . خطيرا ، فالى جانب ما تلقفته من تعاليم منحرفة عن الاسلام فقد ارتبطت الباطنية بتيارات ذات اتجاهات سياسية واجتماعية واقتصادية خطيرة وضيقة . (١) اخطورتها فترجع : الى كونها تمثل انصرافا عن المجرى التقليدي للامور وظهورها في شكل انقلابات محورية وافتقارها الى ضوابط راسخة أو معايير يمكن التفاهم عليها .

اما عنفها فلأنها لا تستطيع ان تحقق اهدافها بالوسائل الشرعية المقررة ، ولهذا تلجأ الى المطش ان تكنت ، والاستتار المتأمر في دور التمهيدي والتقية الفادرة في ظل سلطان الخصوم (٣) .

كما لا بد من تسجيل حقيقة لا غاص من الاعتراف بها وهي ان ضعف دولة الخلافة السنية بان تلك العهود دينيا وسياسيا واجتماعيا كان كفيلا بالاسهام في عملية تفريخ هذه الطفيليات .

ولهذا فلا غسرابة من وجود اثر الفلسفات اليهودية والسيخرية الغنوصية وان يتطور هذا النهج في الفكر الصوفي الفلسفي الذي مثله أصحاب فكرة وحدة الوجود وهو ما يخالف لب العقيدة الاسلامية الصحيحة .

وطيه فان الحكم على هذه التيارات بالكفر والالحاد حكم في محله . وانه يجب التبسري من هذه البدع والتحذير منها . وفضح نواياها السيئة للاسلام ، وقد استطاع بعض المستشرقين الغربيين توجيه الطعن للاسلام مسن خلال الاستشهاد بارا\* وعقائد هذه الفرق الضالة .

كما تجدر الاشارة في هذا الصدد الى تلك الصفحات المشرقة التي سجلها طما\* اهل السنة والجماعة في فضح كل ما يست الى القضية بعلمة سوا\* على مستوى كشاف الستار عن تلك الشخصيات التي وقفت خلف تلك العقائد او على مستوى الرد عليها ورصدها والتصدي لها بحزم ونشر ما كتبوه

١ - راجع تلك الفرق الضالة ومقالاتها في كتاب : فضائح الباطنية لابي حامد الغزالي ت : د . عبد الرحمن بدوي مؤسسة دار الكتب الثقافية الكويت ، حولي .  
٢ - راجع ما وجد مسن فرق في : مذاهب الاسلامية د . عبد الرحمن بدوي ٩ / ٢ دار العلم للملايين بيروت ط ١ ١٩٧٣  
٣ - المصدر السابق ص ٥ / ٢

قد أسهم كثيرا في إجلال حقيقة الاسلام الصافية وازالة الشبهات التي الصقت  
بهذا الدين زورا وهتانا (١).

ولا شك ان المستشرقين يعرفون تلك الحقائق ولا يمكن ان تغيب عن  
بالهم الا ان الحق الدفين والتعصب الديني اليهودي والصليبي الاعسسي  
قد افلح في الغاء عقولهم وشل ضمائرهم وجعلهم ابواقا لدعاية فارقة في اسواق  
الضلال والاحاد .

- 
- ١ - من المؤلفات القديمة في التراث الاسلامي التي برع العلاء في رصد الاراء  
المخالفة لاسلام الحنيف - ؟
- (١) مقالات الاسلاميين ، لابي الحسن الاشعري ، ت ٤٢٩ - مطبوع
- (٢) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين لفخر الدين محمد بن عمر الخطيب  
الرازي ( ٥٤٤-٦٠٦ ) . مطبوع
- (٣) - الفرق بين الفرق ، لعبد القادر بن طاهر البغدادي ت ٤٢٩ ، مطبوع
- (٤) الفصل لابن حزم ، والطل والنحل للشهرستاني
- (٥) فضائح الباطنية للامام الغزالي ( ت : ٥٠٥ ) مطبوع
- (٦) كتاب في الرد على الاسطخيلية ، لابي عبد الله بن رزام . راجع : الفهرست  
لابن النديم ص ٢٦٤ ط دار المعرفة .
- (٧) كتاب في الرد على الطحدين لسعد بن محمد بن ابي عثمان الفسائي  
القيرواني النحوي ( راجع : مقدمة فضائح الباطنية ص ، أ ، ب .
- (٨) كشف الاسرار وهتك الاستار لابي بكر الباقلاني ت ٤٠٣ هـ - ١٠١٢ ، راجع  
مقدمة فضائح الباطنية ص ب .
- (٩) التنبيه والرد على اهل الاهواء والبدع لابي الحسن الططبي ت : ٣٧٧ هـ  
طبع سنة ١٩٤٩ - راجع مقدمة فضائح الباطنية ص : ج
- (١٠) كشف الاسرار الباطنية لاسماعيل بن احمد البستي ( مخطوط ، راجع  
مقدمة فضائح الباطنية ص : ب ، ج
- ١١ - كشف أسرار الباطنية واخبار القرامطة لمحمد بن طالم بن ابي الفضائل  
الحطاي البستاني طبع في مصر سنة ١٩٤٩ راجع : فضائح الباطنية
- ١٢ - منهاج المسئنة لابن تيمية ت ٧٢٨ مطبوع
- ١٣ - الاعلام بالتوبيخ لم ذم التاريخ : لشمس الدين السخاوي ت ٩٠٢ هـ مطبوع  
في مصر سنة ١٣٤٩ هـ
- (١٤) ظبيس ابلهيس لابن الجوزي مطبوع
- (١٥) اظافة اللهبان لابن القيم مطبوع

هذا وان دراسة مجتمع الكوفة بشكل خاص في العصور الاولى  
دراسة طيبة منهجية كليل بازاحة الستار عن تلك الاديان التي لعبتها الطل  
والنحل المختلفة في عملية تشويه العقائد الاسلامية .

وبماجاز كبير فان مجتمع الكوفة التقى فيه ففلاعن مسيلمة الكذاب  
واصحابه ( شذان الناس واشرارهم ، مع خيارهم ، واتى الصحابة كما اتى  
الناصرى والمهرودي ، واقبلت القبائل العربية كما اقبل السوالي وانتشرت الزندقة  
والسحر والنسرنجات وكان فيها العثمانية ( اصحاب عتبان رضي الله عنه ) كما  
كان فيها حب طبي وال البيت ، وانتشرت الطقات المتعارضة والمجامع المتنافرة  
ولما استفحل النزاع بين العلوية والعثمانية اطلت رؤوس السجامع السرية والمراكز  
المتغلغلة الخفية وجانب هذا كله هناك النصارى ايضا . ينساون بتجسس  
الالهوية ، كان هؤلاء جميعا يرقبون بعيون بسيطة سهلة يتطكون بها ارض الاكاسرة  
والقياصرة ويقوا في انتظار الفرصة السانحة لتزيف الجماعة وتفريق الكلمة  
وكان النزاع بين الهاشميين والامويين فرصتهم السانحة ( ١ ) .

وقد استفحل اهل الكتاب حب ال البيت في اشاعة مذهب الغلوفسي  
الفرق المغالية حتى اذا ما تحقق هذا الامر سهل عليهم تمرير عقائدهم فنجسد  
مثلا غلاة الرافضة يولمونهن طيما والائمة من بعده بل يؤمن بعضهم بطول الاله  
ببعض قاداتهم .

يقول الشهرستاني عن الغلاة ( المغالية ) هم الذين ظفوا في حقيق  
اشتمهم حتى اخرجوهم من حدود الخلقية وحكموا فيهم باحكام الالهية فمرط شهبوا  
واحدنا من الائمة بالاله وربط شهبوا الاله بالخلق وهم طى طرفي الغلو والتقصير  
وانسبا نشأت شهباتهم من مذاهب الطولية ومذاهب التناسخية ومذاهب  
اليهود والنصارى ان اليهود شهبوا الخالق بالخلق والنصارى شهبوا الخلق  
بالخالق فسرت هذه الشهبات في ان هان الشيعة الغلاة حتى حكمت باحكام  
الهيئة في بعض الائمة . ( ٢ )

وقد احصى العلما<sup>(٣)</sup> كثيرا من الفرق الباطنية المغالية التي تؤمن

١ - نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام . د . النشار ٢ / ٦٦

٢ - الطل والنحل للشهرستاني بها مش الفصل ٢ / ١١٥ .  
طبعة صبيح ، القاهرة .

٣ - فبالاضافة الى كتب التراث الاسلامي القديمة هناك كتب حديث منها :

التي تؤمن بالحلول وغيره .

- 
- =
- ١ - الاسلام بلا مذاهب ، د . مصطفى الشكعة ص ٣٠٦ دار النهضة العربية  
بيروت ط ١
  - ٢ - عقيدة الدرور ، محمد احمد الخطيب ، مكتبة الاقص ، الاردن ط ١ .  
١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م
  - ٣ - الحركات الباطنية في الاسلام ، مصطفى غالب ص ٢٥٥-٢٨٧ ص ١٠٥  
دار الكتاب العربي ، بيروت وصاحبه باطني
  - ٤ - دور اليهود في الفرق الباطنية ، احمد محمد احمد مغربي ، رسالة  
طجستير ، جامعة ام القرى بنكة المكرمة ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م .
  - ٥ - مذاهب الاسلاميين ، د . عبد الرحمن بدوي ، ج ٢ ، دار العلم  
للملايين ، ط ١ ، ١٩٧٣م

ولا أدل على تسرب الأسس العقديّة للرهبنة إلى ما يدعى "التصوف الفلسفي" من تلك  
العبارات التي تنادي بفكرة الحلول . فمن ذلك ما ورد في شعر الحلاج : (١)

انا من أهوى ومن أهوى أنا  
فإذا ابصرتني ابصرتني  
نحن روحان حللنا بدننا  
وإذا ابصرتني ابصرتني

وهذا ما تدعيه النصرانية كما وقد سرينا في الأبواب السالفة الكلام عن تلك  
العقيدة ، ورأينا ردود العلماة المسلمين عليها .

(٢) كما تتجلى عقيدة وحدة الوجود في عبارات الجبلي حيث يقول :

فمهما ترى من معدن ونباتاته  
ومهما ترى من أبحر وقفاره  
وحيوانه مع إنسه وسجاياه  
ومن شجر أو شايق طال أعلاه  
إلى قوله :

ومهما ترى من عرشه ومحيطه  
فاني ذاك الكل ، والكل مشهدي  
وإني رب للأنام وسيد  
وكرسيه أو رفرف عز مجلاه  
أنا التجلي في حقيقته لا هو  
جميع السورى اسم ، وذاتي سواه

وهذا أيضا ما نادى به العقائد الهندية من قبل .

وقد قارن البيروني بين ما يقوله الهندوس من عقيدة الاتحاد وما يقربه بعض  
التصوفة حيث يقول :

( والى طريق " باتنجل " ذهب الصوفية في الاشتغال بالحق فقالوا : ما دست  
تشير فلمست بيوحد حتى يستولي الحق على اشارتك بافنائها عنك فلا يبقى شير ولا اشاره ،  
ويوجد في كلامهم ما يدل على القول بالاتحاد كجواب أحدهم عن الحق : وكيف لا أتحقق  
من هو " أنا " بالانية و " لا أنا " بالآينية . إن عدت فالعودة فرقت وان أهطت فبالاهمال  
خففت وبالاتحاد ألفت . وكقول أبي بكر الشبلي : اخلع الكل تصل إلينا بالكنية فتكون ولا تكون  
اخبارك عنا وفعلك فعلنا ) (٤)

١ - في التصوف الاسلامي وتاريخه - رينولد . ١٠ . نيكولسون ص ١٣٤ ، ت : ابوالعلا عفيفي

طبعة لجنة التأليف والترجمة بحصر ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م

٢ - انظر ص ٣٥٥ من هذا البحث .

٣ - هذه هي الصوفية . عبد الرحمن الوكيل . ص ٤٤-٤٥ ، دار الكتب العلمية ، ط ٣ ، ١٣٩٩هـ

٤ - تحقيق ط للهند ، ص ٦٦ .

وقد تعقب ابن الجوزي تلك الشطحات الواردة في أقوال وأفعال المنتسبين  
والسفاليين في التصوف فمن ذلك ما رواه عن ضرة قال ، سمعت رجلا يقول :  
( قدم حطاب بن ابي سليمان البصرة فجاء فرقد المنجبي وطيه ثوب صوف فقال لسه  
حطاب : ضع عنك نصرانيتك هذه . ( ١ ) )

كما ذكر حديث بقية بن الوليد الذي يقول فيه : سمعت ابراهيم بن ادهم  
يقول : تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان . ( ٢ )

وقد أورث الشعرا كثيرا من القصص والروايات الطيبة بتلك الشطحات من ذلك قوله  
: وشهم : سيدى ابراهيم بن صيفير . . . وكان رضي الله عنه - كثير الشطح وكان أكثر نومه  
في الكنيسة - ويقول : النصارى لا يسرقون النعال في الكنيسة بخلاف المسلمين ، وكان  
رضي الله عنه يقول : أنا ما عندي من يصوم حقيقة الا من لا يأكل اللحم الضاني أيام الصوم  
كالنصارى وما المسلمون الذين يأكلون اللحم الضاني والدجاج أيام الصوم فصومهم عندي  
باطل ، وكان رضي الله عنه - يقول لخادمه : أوصيك أن لا تفعل الخير في هذا الزمان  
فينقلب عليك بالشر وجرب أنت نفسك . ( ٣ )

ويقول الشعرا عنه ايضا ( وكان يفرش تحته في مخزنه التبن ليلا ونهارا وقبيل  
ذلك كان يفرش زبل الخيل . . . ) ( ٤ )

ويصل هذا التأثير الى الحد المفرج عن المسئلة ، من ذلك ما جاء في  
الديوان المنسوب الى جلال الدين الرومي قوله :  
نفسى أيها النور المشرق ، لا تن\* عني لا تن\* عني ، حبي أيها الشهيد  
المتألق ، لا تن\* عني لا تن\* عني . انظر الى العظمة أحكمتها فوق رأسي ، هل انظر  
الى زنار زرادشت حول خصري أحمل الزنار وأحمل المخلاة ، لا هل أحمل النور ، فلا تن\*  
عني ، لا تن\* عني . سلم أنا ولكني نصراني ، وهرهي وزرادشتي ، توكلت عليك أيها  
الحق الأعلى ، فلا تن\* عني لا تن\* عني ، ليس لي سوى معبد واحد . سجدا أو كنيسة

١ - تطيبس ايليس ص ١٩٥

٢ - المرجع السابق ص ١٥٢

٣ - الطبقات الكبرى الساسة بلوائح الانوار في طبقات الاخيار لعبد الوهاب الشعراي  
١٤٠ / ٢ ، مصطفى الباهي الحلبي بصر . ط ١ ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م

٤ - المرجع السابق

أوبيت اصنام (١)

ولم يقتصر هذا التأثير عند هذا الحد بل تعدى الى مظاهر اخرى . فكما نادت  
الاديان الوضعية باسقاط التكاليف الشرعية عن طريق الاتصال بالله كما يزعمون فقد وجدت هذه  
الافكار طريقها الى بعض المنتسبين الى الاسلام ففي نظر هؤلاء ان الشرع ليس له قيمة .  
ذلك لان لسان حاله هو : ( أنه لما دام من الممكن المتابعة عن طريقه تتصل بالله  
مباشرة فلماذا نضيع الوقت بالظواهر والصور والتوسل بالطرق غير المباشرة ؟ ناهيك بان  
الشرع انما هو وسيلة للوصول الى الحق ولما دام العارف قد بلغ الحق والحقيقة فلم يبق والحالة  
هذه حاجة له بهذه المظاهر وكل توسل وتشبث يعتبر عبثا ) (٢)

ويظهر اثر الرهينة جلياً في بعض المتصوفة الذين خرجوا عن سنة محمد صلى  
الله عليه وسلم وذلك بنهذ النكاح والاعراض عما أحله الله تعالى لبني البشر .  
فمن ذلك ما نقله ابن الجوزي عن أحد هم حيث قال : النكاح يوجب الميل الى  
الدنيا ، فربما عن أبي سليمان الداراني أنه قال : اذا طلب الرجل الحديث أو مسافر  
في طلب المعاش أو تزوج فقد ركن الى الدنيا ) (٣)

ومن ذلك أيضاً ما نقل عن حذيفة المرعشي المتوفى سنة ٢٠٧ هـ/أنه قال :

( كان ينبغي للرجل لو خير بين أن يضرب عنقه وبين أن يتزوج امرأة في الفتنة  
لاختار ضرب العنق على تزوج امرأة في الفتنة ) (٤)

وقد نقل السراج الطوسي قصة أبي أحمد القلانسي الذي تزوج امرأة بقيت عنده  
ثلاثين سنة وهي بكر ) (٥)

وما نقل عن كشف المحجوب للبهجوري ( أن أول فتنة قدرت على آدم في الجنة  
كان أصلها امرأة وأول فتنة ظهرت في الدنيا ، أي فتنة هابيل وقابيل ، كانت أيضاً بسبب  
امرأة وحين أراد الله تبارك وتعالى أن يعذب اثنين من الملائكة جعل سبب ذلك امرأة  
وهي جميعاً الى يومنا هذا سبب جميع الفتن الدينية والدنيوية ) (٦)

- ١ - في التصوف الاسلامي وتاريخه ص ٩٤
- ٢ - تاريخ التصوف في الاسلام . د . قاسم غني ، ت : صادق نشأت ، ص ٢٤٦ ، مكتبة  
النهضة المصرية ط ١٩٧٠
- ٣ - طبيب ابلين ص ٢٩٥
- ٤ - التصوف ، المنشأ والصادر إحسان إلهي ظهير ص ٥٨ ، ادارة ترجمان السنة  
لاهور باكستان ط ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م
- ٥ - اللع لابي نصر السراج الطوسي ص ٢٦٤ دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة المشي ببغداد  
١٣٨٠ - ١٩٦٠ م
- ٦ - التصوف ، المنشأ والصادر ص ٥٩



ويذكر الشعراني هذا من المجازيب منهم : ( سيدى عبد الرحمن المجدوب . . . )  
 ( يقول عنه ) ط رأيت قط أحداً من أرباب الأحوال دخل مصر الا ونقص حاله الا الشيخ  
 عبد الرحمن المجدوب وكان مقطوع الذكر قطعه بنفسه أوائل جذبه وكان جالسا على الرمل  
 صيفا شتاء\* وإذا جاع أو عطش يقول اطعموه واسقوه وكان ثلاثة أشهر يتكلم وثلاثة أشهر يسكت  
 وكان يتكلم بالسرياني ( ١ ) .

ولا شك أن هذا كله مخالف للشرع وقد مر الحديث عن موقف الاسلام من السكاح  
 ومن المرأة وذلك في الابواب السالفة من هذا البحث . وظهر لنا أهمية ذلك ومدى عناية  
 الاسلام بالاسرة والمجتمع . ونهيه عن التبتل والخصاء ( ٢ ) .

كما يبرز تأثير الرهبنة فيهم من خلال اتخاذ الخلوات وهي تشبه في ضمتها  
 خلوات الرهبان في الكهوف والصوامع والاديرة . وأخطر ما ينجم عن تلك البدع تلك الخرافات  
 والدعاوى الباطلة التي تنطلي على ضعاف العقول والنفوس .

فمن ذلك ط يقال ( اذا صحت الخلوات أفصلحت الرياضة واتت مسن الثمرات  
 فوق ط يتصوره العقل ، ضها أن يكشف المرید طالم الغيب المحجب ، ويدرك أسرار  
 الحيوانات والحشرات ويعطى القدرة على فعل الكرامات واتيان الخوارق والتصرف في الكون  
 بالهمسة . فيشي على الط\* ويظير في الهواء\* ويقتحم النهران ويفعل كل ط لا يقوى  
 عليه سائر البشر ) ( ٣ ) .

ومما يشبهه الى حد كبير ط يفعله الرهبان الجينيون من العري ، ط ذكره  
 الشعراني من أن الشيخ ابراهيم العمري كان اذا دخل بلدا سلم على أهلها كبارا وصغارا  
 بأساطيرهم حتى كأنه تربي بينهم - وكان رضي الله عنه - يطلع على المنبر ويخطب عربانا فيقول :  
 السلطان ود ما ط باب اللوق بين القصرين وجامع طيلون الحمد لله رب العالمين فيحصل  
 للناس بسط عظيم . . . ) ( ٤ ) .

كما سار ( طي البكري ( ٢٠٧ هـ ) طارها في الاسواق يهذى في حديثه  
 ويخلط في كلامه ، فيقول الناس هذه بأنه تأويلا بلائم أحوالهم ويتفق مع أغراضهم واستغل  
 أخوه سداجة الناس فمنعه من الخروج الى الشوارع والأسواق مكشوف الرأس والسواتير  
 كما كان يفعل في أغلب احواله ) ( ٥ ) .

١ - الطبقات الكبرى ١٤١/٢

٢ - انظر ص ٣٩٣ ، ٣٩٩ ، ٤٠٢

٣ - التصوف في صرا بان العصر العثماني د . توفيق الطويل ص ٦٩ ، مطبعة الاهتاد  
 مكتبة الآداب بالجيزة .

٤ - الطبقات الكبرى ٢٤٢/٢

٥ - التصوف في صرا بان العصر العثماني ص ١٣٢

وما يشبهه الى حد بعيد قسوة الرهبان المسيحيين على أنفسهم و تلاميذهم  
ط صرح به السيد محمد البكري ( ١٩٩٤ هـ ) ( بأن من واجب العبد - أي المرید - أن  
يذكر أنه بين يدي استاذة في كل نفس من أنفاسه . . . ) (١)

بل أوجب الشيخ على المرید ( أن يستجيب لأوامرهم ولو قضت بعصيانه لله  
وتعمده على قواعد دينه بافطار رمضان أو الاطال في إقامة الصلاة ) (٢) ومثل هذا يقال  
فيما أباحه الشرع وحرمة الشيخ لأن الترقى لا يكون بالاستمتاع بالمباح من اللذات بل  
بالزهد . . ) (٢)

ومن شدتهم على أنفسهم ط جاء في قول الشعراني :  
ان خودة ( خودة ) الشيخ ط ابو خودة كانت من الحديد وكان زنتها قنطارا  
وثلثا لم يزل حاطها ليلا ونهارا وكان شيخا أسمر قصيرا (٣)

وقوله عن الشيخ ( ابو الخير الكلبياتي ) . . . كان من الاولياء المعتقدين ولسه  
المكاشفات العظيمة مع أهل مصر . . . وكانت الكلاب التي تسير معه من الجن . وكانوا  
يقضون حوائج الناس ويأمر صاحب الحاجة أن يشتري للكلب منهم اذا ذهب معه لقضاء حاجته  
رطل لحم وكان أغلب أوقاته واضعا وجهه في حلق الخلا في مiazza جامع الحاكم ويدخل  
الجامع بالكلاب . . . ) (٤)

وبعد . . فان هذه الامثلة وغيرها لا تدع مجالاً للشك في أن أنطاطا من  
الرهبنة قد سرى في الاوساط الاسلامية سواء عن قصد أو غير قصد . ولا يمكن تعميم هذه  
القاعدة على كل من انتسب الى التصوف لان الرهبنة لها قواعد و أنظمة وشروط ونذور ولا يمكن  
توفر جميع الشروط على جميع المتصوفين بصورة طامة ، الا ان الحالات التي مر ذكرها قد  
وجدت في اولئك الغلاة الذين رموا أنفسهم في احضان البدعة .

وقد فرق الاطام ابن تيمية بين المعتدلين منهم وبين المغالين فمن ذلك قوله ( وقد  
تنازع الناس في طريقهم : فطائفة ذمت الصوفية والتصوف وقسا لوا : انهم مبتدعون

١ - التصوف في صرا بان العصر العثماني ص ١٣٥

٢ - المرجع السابق

٣ - الطبقات الكبرى ١٣٥/٢

٤ - المصدر السابق ١٤٣/٢

خارجون عن السنة ، وطائفة ظلت فجعلت طريقهم أفضل الطرق .

والصواب : انهم يجتهدون في طاعة الله ، فضمهم اليك نسب والتقسي .  
وقد صارت الصوفية ثلاث طبقات ، صوفية الحقائق وصوفية الارزاق وصوفية الرسوم . فاما  
صوفية الحقائق : فهم الذين وصفناهم . واما صوفية الارزاق : فهم الذين وقتت عليهم الخوانق  
والوقوف ، فلا يشترط في هؤلاء أن يكونوا من أهل الحقائق ، واما صوفية الرسوم فهم  
المقصودون المقتصرون على التشبه بهم في اللباس والآداب الوضعية فهم بمنزلة الذي يقتصر  
على ( زى اهل العلم ) ( ١ ) .

بهذا التوضيح يصنف الامام ابن تيمية الصوفية والمتصوفة وهو في جميع مؤلفاته  
لا يحيد عن هذا المنهج فتراه يشنع على المغالين المتدينين ويميب عليهم محاكاتهم  
لاهل الكتاب وتشبههم بهم .

هذا . . . ومن انصافه لاهل الحق أنه فرق بين هؤلاء وبين الاولياء فمن ذلك  
قوله ( وكرامات الاولياء حق باتفاق أئمة أهل الاسلام والسنة والجماعة وقد دل عليهم  
القرآن في غير موضع ، والاحاديث الصحيحة والاثار المتواترة عن الصحابة والتابعين وغيرهم  
وانما أنكروا أهل البدع من المعتزلة والجهمية ومن تابعهم لكن كثيرا ممن يدعيها أو تدعى  
له يكون كذابا او طيوسا عليه .

وأيضاً فانها لا تدل على عصية صاحبها ولا على وجوب اتباعه في كل ما يقوله بل  
قد تعدر بعض الخوارج من الكشف وغيره عن الكفار والسحرة بمواخاتهم للشياطين ، كما  
ثبت عن الدجال أنه يقول للسطا مطرى فتطرر ولالأرض انبتي فتنبت . وانه يقتل واحدا  
ثم يحيه وأنه يخرج خلفه كنوز الذهب والفضة .

ولهذا اتفق أئمة الدين على أن الرجل لو طار في الهواء وشى على الماء ، لم  
تثبت له ولاية : بل ولا اسلام حتى ينظر وقوفه عند الأمر والنهي الذي بعث الله به رسوله  
صلى الله عليه وسلم ( ٢ ) .

١ - مختصر الفتاوى المصرية ، للامام ابن تيمية ، ص ٥٧١-٥٧٢ - مطبعة السنة

المحمدية ط ١٣٦٨هـ - ١٩٤٦ م مصر .

٢ - المرجع السابق ص ٦٠٠

الباب التاسع :  
|

موقف الاسلام من الرهينة

وحكمه عليها

وفيه فصلان :

الفصل الاول : موقف الاسلام من رهينة

الاديان الوضعية

الفصل الثاني :: موقف الاسلام من الرهبانية

النصرانية

## الفصل الأول : موقف الاسلام من رهينة الاديان الوضعية

بعد استعراض أصل وأصول الرهينة الوضعية وما انطوت عليه من عقائد وما مرت به من مراحل ، وبعد الحديث عن رهبانية اهل الكتاب

لا بد من الوقوف قليلا لتلخيص حكم الاسلام على الرهينة عند الاديان الوضعية وذلك اتباطا للعقائد .

فقط تقدم يتضح لنا أن الاسلام الحنيف دين الفطرة ، وهو الدين الذي جعله الله تعالى لجميع البشر ، لذا فان تعاليمه تسوا على غيرها ولا يمكن مقارنتها بأي قانون أو شريعة أخرى مهبطت أهدافها وكبرت مراميها .

وحيث تدعو الرهينة الى تعاليمها ومبادئها تنسى أو تتناسى في زحمة نصوص كتبها أنها تفتقد العنصر الشرعي المستند الى الدين السواوى الموحى به من عند الله تبارك وتعالى .

ولهذا فإننا نراها تتخبط في سارها التاريخي والعقدي والسلوكي كلط ظهسرت في الافق بسواد التغيير أو التجديد .

فالرهينة المصرية القديمة التي سرت بين بعض كهان المعابد لم تستطع الانتشار والتدد واكتساب الاتباع وانتهت على ايدي كهنتها الذين تعرفوا بوحل الرذيلة مما اضطر اخناتون آخر الأمر الى إرغامها على التلاشي والاضمحلال .

أما الرهينة الهندوسية فقد كاد اوارها ان ينطفئ\* لولا الضياع الذي يعيشه شباب الغرب في هذا القرن والذي بات يعيش على الوهم والخيال نتيجة الطردية التسي صبغت الحياة الغربية بصورة طامة . لذا فقد وجدت الرهينة الهندية طريقها الى هـولاء\* بعد فشلها في المحافظة على كيانها ووجودها في مهدا وبعد تحولها الى طريق الشعوذة والالعباب السحرية التي تفتن عقول الفضوليين وضعاف النفوس .

وفي المقابل فإننا لا نجد في الاسلام الحنيف وتعاليمه تلك المبادئ\* الضالسة والعقائد الضحرفة الداعية الى الشرك واتخاذ الارباب من دون الله كل هو الحال فسي الرهينة الوضعية ، بل نجد في الامة الاسلامية حينما كانت منضوية تحت الخلافة الراشدة خليفة ينقاد له الناس جميعا ما دام يقم فيهم شرع الله تعالى المنزل دون تقدس أو تأليه . وليس له عليهم سوى ما يطيه أدب الطاعة لولي الامر ، وبالتالي فان هذه الطاعة لم تتحول في يوم من الايام الى عبادة كل هو الحال في الرهينة حيث اتخذ الناس ( أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ) بل ان الطاعة في الاسلام انما تكون فيما شرع الله تعالى ( واطيعوا الله ورسوله وأولى الامر منكم . ) ( ١ )

كما أننا لن نجد في الاسلام ما يسد عوالم التقليد الاعلى كالذى سارت عليه الرهينة  
الوضعية . بشتى صورها ، فالقرآن الكريم ينص على اولئك العقلمدين لم يقضى السس  
اتباع للهوى :

قال تعالى ( بل قالوا انا وجدنا اباؤنا على امة وانا على آثارهم مهتدون ) ( ١ )

كما شنع القرآن الكريم على الذين اتخذوا الاصنام والوثان الهة من دون  
الله . ( ط تعبدون من دونه الا اسما سميتموها انتم وآباؤكم ط أنزل الله بها من  
سلطان ان الحكم الا لله أمر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس  
لا يعلمون ) ( ٢ )

( وسعبدون من دون الله ط لم ينزل به سلطانا وط ليس لهم به علم وط للظالمين  
من نصير ) ( ٣ )

كما ان العقيدة الاسلامية خالية من تلك الخرافات والاساطير التي تستند  
اليها الرهينة الوضعية . فالاسلام يعتد على التوحيد الخالص دون الجنوح  
الي الخيال والتطاس العقائد البالية الموافقة لاهوا النفس ونزعاتها :  
قال تعالى ( ان هي الا اسما سميتموها انتم وآباؤكم ط أنزل الله بها من سلطان  
ان يتبعون الا الظن وط تهوى النفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ) ( ٤ )

ويقول ( وط لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق  
شيئا ) ( ٥ )

فاتباع الظن في تقرير العقائد انما هو سفة يجب ان يتنزه البشر عنها .  
كما ان الركون الى الاهوا كقيل بتضليل الناس والارتط في أحضان الشرك والالحاد .  
ولا أدل على ذلك من تلك النتائج التي وصلت اليها الرهينة الهندوسية  
بالذات حيث قادتها الاهوا الى الالحاد ونفي وجود الله تعالى ، وهذا ما عبرت  
عنه كتب الايمانيشاد التي صاغها الرهبان الهندوس .

١ - الزخرف : ٢٢

٢ - يوسف : ٤٠

٣ - الحج : ٧١

٤ - النجم : ٢٣

٥ - النجم : ٢٨

ومهد قبل عن الاهداف التي سعت اليها الرهينة الوضعية فان الصورة تبقى ناقصة لعدم اعتماد القوم على وحي منزل من عند الله تبارك وتعالى . فالاخلاق الحميدة لا يمكن ان تتبع الا من وحي ساوى يضمن لها الاستمرار والاستقرار في نفوس العباد ولهذا نرى الاسلام يسعى دائما الى التربية الخلقية وهي هذا الجانب وفروسه في الفرد والمجتمع . يقول الهادي البشير : ( انما بعثت لاتمم لكم

الاخلاق )<sup>(١)</sup> . وتقول السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها حينما سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم :- ( كان خلقه القرآن ) . والقرآن الكريم يحوى من التعامل الخلقية ما يكفي لتربية البشرية جمعا على حسب الفضيلة وترك الرذيلة ( ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايضا نهي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر

والبهني معظمكم لعلكم تذكرون )<sup>(٢)</sup> . والنماذج الفريدة التي اخرجها الاسلام للعالم كفضيلة باعطاء الصورة الصحيحة عن الاخلاق الاسلامية التي تصل في مضمونها الى القمة السابقة .

كما ان اعتماد الاسلام على الصحة في النقل والضبط كقيل بايصال شرع الله تبارك وتعالى الى الخلق ، فالنصوص القرآنية محفوظة بحفظ الله تعالى ورعايته ( انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون )<sup>(٣)</sup> . فالله تكفل بهذا الحفظ دون الكتب السابقة ، كذلك السنة المطهرة الشارحة والفسرة لكتاب الله الكريم والبيئة لا حكامه المبجلة حفظت عن طريق الثقات والعدل وهي مدونة في الكتب الستة المعتمدة من علماء الامة ومحدثيها . وقد انفرد الاسلام عن غيره بهذه الحيزة الفريدة التي جعلت من نصوص الشريعة الفراء سليمة من غش الوضامين وتلفيقات المبتدعين ، وطم رجال الحديث كقيل بغريفة السلم من السقيم وفق منهج طي رصين قام به جهاذة الامة وطباؤها عبر تاريخها الطويل . ولن نجد في كتب الرهبان ومدوناتهم ومولفاتهم ما يرقى الى المقام الذي وصلت اليه كتب الشريعة الاسلامية .

على ان الاسلام في موقفه المعارض لأصل وأصول الرهينة بشتى صورها الا انه لم يتجه قط الى اسلوب العنف في محاربتها ، بل ان تعامله السمة كانت الى معاملة الرهبان والمنقطعين الى العبادة في الكهوف والصوامع والبيع والكنائس باللين والرأفة وهذا ما نجده جليا في وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم ووصايا الخلفاء

١ - رواه البخاري في الادب المفرد .

٢ - النحل : ٩٠ .

٣ - الحجر : ٩ .

الراشدين من بعده ، ومن تبعهم باحسان . تلك الوصايا التي كانت اساسا يستند اليه الفقهاء المسلمون والعلما في مؤلفاتهم الفقهية واجتهاداتهم الاصلية ولهذا نجدهم يفترون الابواب تحت عنوان " معاملة الرهبان والمنقطعين للعبادة " . وامثلة التاريخ كثيرة وهي الدالة على تسامح الاسلام والمسلمين .

وتبقى اما لنا مسألة مهمة جدا يجب الوقوف عندها قليلا . وهي مسألة انتشار دعة الرهينة الوضعية في الغرب تلك المسألة التي لا يجب اغفالها بحال من الاحوال . فقد استطاعت الرهينة الهندية بصورها المتعددة وعلى وجه الخصوص اتباع هاري كرشنا وبعض الفرق البوذية من التسلل الى اوساط الشباب الاوربي الضائع في لسجج الحياة المادية ذلك الشباب الذي أضغى يبحث عن كل جديد حتى ولو كان عبادة البقر والحجر والشجر والبشر .

ومن هنا فان المسؤولية تقع على الدعاة المسلمين ، وهذا ما يدعوهم الى التشهير عن ساعد الجد والتحرك بسرعة لا يقف هذا الخطر الداهم .

واني اعتقد ان باستطاعة المسلمين المخلصين انقاذ هؤلاء التائهين بجهنم قليل بشرط ان تكون له صفة الاستمرارية والديمومة والتابعة . وما دام الدعة سليحة بالعلم والثقافة التي تؤهلهم من للوقوف في وجه التيارات الجارفة فان النصير

سيكون حلينهم - بان الله تعالى - وما داموا متمسكين بحبله المتين . فحجسة الخصم داحضة بالية لا تقف عند البرهان ويكفي للدلالة على ذلك : ان الدعة والكسل المصاحبين للرهينة لا يزالان السمة الاساسية التي تصبغ تلك الحياة البائسة ، وتسكن تخرج عن تلك الحياة التي يعيشها الرهبان الهنود في ديارهم .

وما عند المسلمين من عقائد كقيل بانقاد الضاعين والمنخدعين في شباك دعة الكفر والضلال والجمود .

والعمل الجاد الذي يمكن أن يكون له أثر في هذا الصدد هو السهر على نشر مبادئ الاسلام السليمة وتعاليمه البسيطة الخالية من البدع والخرافات الداعية الى عبادة الله تعالى وحده ونهذ الشرك والالحاد . والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا وبالقرآن دستورا وكتابا . بهذا المفهوم البسيط يمكن للدعوة الاسلامية أن تأخذ مكانها اللائق في بقاع الارض خاصة اذا أخذنا في الاعتبار أن الاسلام دين علي ، يحارب الخمول والكسل وبأمر بالقدر والحسنة .



كما يجب التنبيه هنا على ان الارتجالية في العمل الاسلامي هي من المعوقات التي لا تخدم الصلحة العليا بشيء ، كما ان الفردية في العمل لا يمكن أن تكون لها نتائج طيبة ما لم تكن ضمن اطار العمل الجماعي ، وهو الكفيل بتضافر كل الجهود من أجل الدعوة .

وما يساعد في هذا الاطار: الاتجاه نحو الدراسة المنهجية والجدانية ورسد التحركات المعادية للاسلام وذلك لايجاد المناخ الملائم والظروف الكفيلة بوضع الخطط المضادة لتلك التحركات .

ولا بد أولاً وآخراً من الاخلاص والصدق في العمل وان يكونا رافدين لأي مشروع في هذا المضمار .

كما لا يغوتني هنا التأكيد على ان الجامعات الاسلامية والمعاهد الشرعية والمؤسسات التعليمية في الدول الاسلامية معنية بايجاد التخصصات المطلوبة في هذا الشأن وتهيئة الدعاة واعدادهم وتسهيل امورهم وتذليل الصعاب امامهم لاداء ما امرهم الله تعالى به نحو دينهم :

( كنتم خيراً ما اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ) ( ..... ) . ( ١ )

## الفصل التاسع:

### موقف الاسلام من الرهبانية وحكمه عليها

بعد استعراض الاسس العقديّة والسلوكية للرهبانية وما انطوت عليه من آراء وعقائد ، وما طرأ عليها من تطورات داخلية وخارجية وما رافقتها من فتن ومحن .

كان من ضرورات هذا البحث ، بل من صلب موضعه التعرف على موقف الاسلام من الرهبانية وحكمه عليها من خلال نتائجها .

فالاسلام الحنيف دين الله تعالى القويم وحبلى السنين ، نسخ بدعوة محمد صلى الله عليه وسلم الشرائع السابقة وهيمن بالقرآن الكريم على الكتب السالفة ، ووجه البشرية الى صراط الله المستقيم ، صراط لا تبدل فيه ولا تغيير ( لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ) (١)

وقد قص القرآن الكريم اخبار الامم السالفة وما وقعت فيه من انحراف عقدي وسلوكي ، وهدرنا من اتباع سبلهم ، واطمانا البراهين الساطعة والادلة القاطعة على فساد هذه السبل وضلال تلك النحل .

ومن بين ذلك ما تحدث به القرآن الكريم عن الرهبانية التي اعتبرها حالة مبتدعة وطريقة مخترعة . ان يقول الحق تبارك وتعالى في سورة الحديد :

( ثُمَّ قَفِينَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفِينَا بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً ، وَرَحْمَةً ، وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ) (٢)

اما معنى الرأفة : فهي اشد الرحمة ، ورأف به رأفة أي : اشفق عليه من مكروه يصيبه ، والرأفة من الله : دفع السوء (٣)

ومعنى الرحمة : يقال رحمه رحمة ومرحمة ورحط : اى رق له قلبه وعطف عليه ، فالرحمة هي الرأفة والتعطف ، ان الله تبارك وتعالى جعلهم : ( متوادين - بعضهم مع بعض - كما وصف اصحاب محمد عليه الصلاة والسلام بذلك

١ - فعلت : ٤٢

٢ - الحديد : ٢٧

٣ - الصحاح للجوهري ١٣٦٢/٤ مادة رأف وانظر كذلك معجم الالفاظ والاعلام القرآنية ، محمد اساميل ابراهيم ص ١٩٠ نفس المادة .

في قوله تعالى ( ..... رحماً بينهم ) (١) .

اما كلمة رهبانية : فهي الفعلة النسوية للرهبان وهو الخائف ، وقد  
مر ذكرها اثناً الحديث عنها لغة واصطلاحاً .<sup>(٢)</sup>

( ابتدوها ) يقال : بدع الشيء اختراعه وأنشأه على غير مثال سابق  
وبدع وابتدع اتي بالبدعة ، والبدعة : الحدث في الدين بعد الاكتمال .  
ومعنى ذلك اى : احدثوها من غير ان يشرعها الله .<sup>(٣)</sup>

( ابتغاه ) يقال : ابتغى الشيء ابتغاه طلبه ، وهو اكثر ما يستعمل  
في الطلب . (٤)

( رضوان ) اى الرضا ورضيت الشيء وارتضيته فهو مرضى (٥)

( رهوها ) من رعى : يقال رعى حرته اى حفظها حفظاً . (٦)

( فاسقون ) من فسق ، يقال : فسق كل ذى قشر اى خرج عن قشره  
وقال : فسقت الرطبة عن قشرها اى خرجت من قشرتها واصل الفسق في اللغة  
الخروج عن الشيء وفسق فلان يفسق : عصى وجاوز حدود الشرع فهو فاسق والفسق  
والفسوق : العصيان (٧)

---

١ - الفتح : ٢٩ ، وانظر في معناها : معجم الالفاظ ص ١٩٧ والصاح

١٩٢٩/٥ وتفسير الفخر الرازى ٢٩/٢٤٥

٢ - راجع ص ( ١ - ٢ ) من هذا البحث وانظر الكشاف للزمخشري ٦٧/٤

٣ - انظر : معجم الالفاظ ص ٥٩ والصاح ١١٨٣/١-١١٨٤ والتسهيل

لعلوم التنزيل لابن جزى ١٨٢/٤

٤ - معجم الالفاظ ص ٧٢ والصاح ٢٢٨٢/٦

٥ - الصاح ٢٣٥٧/٦ ومعجم الالفاظ ٢٠٤

٦ - معجم الالفاظ ص ٢٠٥

٧ - معجم الالفاظ ٣٩٨

وقبل الحديث عن المعنى الاجمالي للاية ينبغي التوقف للاشارة  
الى ان الاية الكريمة فيها سألان اعرابيتان :

الاولى في قوله تعالى ( ورهبانية ابتدعوها )

فقد ذهب جمهور المفسرين والعلماء الى ان كلمة ( رهبانية ) منصوبة  
بفعل مضمر يفسره المذكور اى : ابتدعوا رهبانية ابتدعوها فهي من باب الاشتغال<sup>(١)</sup>

اما السئلة الثانية فهي في قوله تعالى :

( ما كتبتاها عليهم الا ابتغوا رضوان الله فما رعوها حق رطبتها ) .

فقد ذهبوا ايضا الى ان الاستثناء هنا منقطع ، وطيه فان معنى الاية<sup>(٢)</sup>

يكونون : ما فرضناها نحن عليهم راسا ، ولكنهم ابتدعوها ابتغوا رضوان الله  
فد منهم حينئذ بقوله ( فما رعوها حق رطبتها ) .<sup>(٣)</sup>

وقد استدلل بعض العلماء على ذلك بما ورد من قراءة عبد الله بن مسعود

رضي الله عنه ( ما كتبتاها عليهم لكن ابتدعوها ) .<sup>(٤)</sup>

١ - راجع في هذا الصدد : فتح القدير للشوكاني ١٧٨/٥ والجامع لاحكام  
القرآن للقرطبي ٢٦٣/١٧ ، والتفسير القيم لابن القيم ص ٤٨٤ ، والكشاف  
للزمخشري ٦٧/٤ ، والتفسير الكبير للرازي ٢٤٥/٢٩ ، وزاد السير في طم  
التفسير لابن الجوزي ج ٢ م ١٢ ص ١٧٦

٢ - راجع في هذا الصدد : تفسير ابي السعود ٢٨٣/٥ والكشاف ٦٧/٤  
ومحاسن التأويل للقاسمي ٥٦/١٦ مجلد ٩ والجامع لاحكام القرآن ٢٦٣/١٧  
هذا وقد رد الامام ابن القيم ما يخالف هذا الاعراب وقال : فالصواب

انه منصوب على الاستثناء المنقطع اى : لم يفعلوها ولم يبتدعوها الا لطلب  
رضوان الله ( راجع التفسير القيم ٤٨٤-٤٨٥ )

٣ - :

ارشاد العقل السليم لابي السعود ٢٨٣/٥

٤ - : التسهيل لابن جزي ١٨٢/٤

هذا وما يتعلق بدلول الآية : ففي قوله تعالى  
( فط رعوها حق رطيتها ) فقد قيل ان الشار اليهم هم :

( اولا : الذين ابتدوا الرهبانية ، قاله الجمهور ، ثم في معنى الكلام

ثلاثة اقوال :

احدها : انهم طرعوها لتبدل دينهم وتغييرهم له قاله

عطية المعوفي .

الثاني : لتقصيرهم فيها الزموا انفسهم .

الثالث : لكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثانيا : انهم الذين اتبعوا مبتدعي الرهبانية في رهبانيتهم ، ما

رعوها بملوك طريق اولهم ، روى هذا المعنى سعيد بن

جبير عن ابن عباس . ( ١ )

وهكذا يتجه معنى الآية الى اتهام النصارى بانهم ابتدوا

الرهبانية من عند انفسهم وانسبها لم تكتب عليهم أصلا ولم يأمرهم بها عيسى

عليه السلام بل هم اخترعوها تقربا الى الله ولم يراعوها وقد نسوا أن التقرب

اليه انما يكون بالعبادات التي شرعها هو لا التي يقررها البشر .

ولا يمكن قبول دعوى ان الله تبارك وتعالى قد فرضها عليهم

بعد عيسى وذلك لعدم وجود الدليل وبالتالي : كيف يفرض عليهم أمراً دون وحي

وقد رفع عيسى من الأرض . ؟

اما الدعوة بانهم طمزون بها لكونهم نذروا انفسهم لها ومن نذر قرينه

فعليه ان يتنبأ . فليس هذا على اطلاقه لان العبد يمكن ان ينذر قرينه يستحيل

عليه المحافظة عليها او الاستمرار فيها ، او الابتداء بها . فهذا لا يمكن قبوله

والرهبانية من هذا القبيل فيها نذورا يمكن للانسان ان يحتلها لكونها مخالفة

للفطرة البشرية السليمة ومن الصعب الاستمرار فيها بل من المستحيل ، وقد

مر في ثنايا البحث التعرف على كيفية فشل الحياة الرهبانية وانعكاس آثارها

السيرة على المجتمع ككل ، والذي اسهم في بروز التناقضات في العالم المسيحي  
 وخروجه عن الصراط السوي .

كما تؤكد هذه الحقائق مرة أخرى أن أصل هذا البلاء هو الابتداء  
 في الدين وهذه الآفة الخطيرة هي التي جلبت على النصارى وعلى غيرهم الانحراف  
 العقدي وقد تعرض العلماء المسلمون لبدعة الرهبانية وقد بسطوا الحديث  
 عن البدعة الحقيقية <sup>(١)</sup> ، والبدعة الاضافية <sup>(٢)</sup> .

### ١ - (البدعة الحقيقية :

هي التي لم يدل عليها دليل شرعي لا من كتاب ولا سنة ولا اجماع ولا  
 استدلال معتبر عند اهل العلم ، لافي الجلة ولا في التفصيل ، ولذلك سميت  
 بدعة لانها شيء مخترع على غير مثال سابق وان كان المبتدع يأبى ان ينسب  
 اليه الخروج من الشرع ، ان هو مدعاه داخل بما استنبط تحت مقتضى الادلة  
 لكن تلك الدهوى غير صحيحة لا في نفس الامر ولا بحسب الظاهر .

### ٢ - البدعة الاضافية :

هي التي لها شائبتان احدهما لها من الادلة متعلق فلا تكون من  
 تلك الجهة بدعة والاخرى ليس لها متعلق الا مثل ما للبدعة الحقيقية .  
 فلما كان العطل الذي له شائبتان لم يتخلص لاحد الطرفين وضعنا  
 له هذه التسمية وهي ( البدعة الاضافية ) .

كتاب : الاعتصام للامام الشاطبي ٢٨٦/١ - ٢٩٠

دار المعرفة ت: محمد رشيد رضا ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م بيروت

وقد تحدث الامام الشاطبي عن ابتداء الرهبانية وقارن ما فيها من بدع ، وما ذهب اليه العلماء من اقوال ، وقد اجري قاعدتي البدعة الحقيقية والاضافية على الرهبانية وميز بينهما ، وقد اعتبر ما ابتدئته النصرانية بدعة حقيقية مشيرا الى ان ذلك هو قول اكثر العلماء . ( ١ )

كما ذهب الشيخ على محفوظ رحمه الله كذلك الى انه ما بدعة حقيقية . ( ٢ )

وطيه فطامت الرهبانية من البدع الحقيقية فهي قرينة مخترة على نصير مثال سابق في شريعة عيسى عليه السلام ومن ثم فان الآية الكريمة تتهمهم بمعد أن ألزمو أنفسهم بأنهم لم يراعوا هسا حق رطبتها ( ولقد كان من المتوقع الا يراعوها حق رطبتها اي لا يصبروا على تكاليفها فهي سباحة ضد التيار تيار الحياة . . . وجهد مجهد لا يصبر عليه كثيرون .

اما ان تنقلب وهي الضوطة بالتقوى والزهد والتعفف والارتفاع عن الشهوات الى مائة للقدارة الحسية والمعنوية يتعفف الرجل العادي والفتاة ، العادية ( عنها ) فهذا لا يمكن ان يتوقع على الاطلاق . فاذا كانوا لا يصبرون على تكاليفها فما الذي يجبرهم على الضي فيها وهي تطوع غير مفروض ؟ اما ان يستمروا فيها عنوانا ولافتة ومظهرا خادما ومائة للشذوذ الجنسي بين الرجال والرجال والنساء والنساء بالاضافة الى ما يحدث من العلاقات السرية بين اديرة الرجال والنساء فهذا امر يشده الحس ويهت

١ - راجع : الاعتصام ، ٢٩١/١

٢ - راجع الابداع في مضار الابداع ص ٥٥-٥٦ ط ٧ دار الاعتصام بمصر .

- ولم يكن هذا الحكم قاصرا على علماء المسلمين فقط بل ان مؤلفات ط

السيحية ايضا خاصة بعض المتأخرين منهم يصم الرهبانية بانها بدعة ، فمن ذلك ما قاله صاحب ( ربحانه النفوس في الباب السابع عشر في الرهبنة : ان الرهبنة قد نشأت من التوهم بان الانفراد عن معاشره الناس واستعمال التقشفات والتأملات الدينية هي ذات شأن عظيم ولكن لا يوجد سند لهذا الوهم فسي الكتب المقدسة لان مثال المسيح ومثال رسله يضاف انه باستقامة فانهم لم يعتزلوا عن الاختلاط بالناس لكي يعيشوا بالانفراد - بل كانوا دائما مختلطين بالعالم يعملون وينصمون ، ونحن نقول بكل جرأة ، انه لا يوجد في جميع الكتاب المقدس مثال للرهبنة ولا يوجد امر من اوامره يلزم بها ، بل العكس فان روح الكتاب : و فحواء يضاف كل دعوى مبنية على العيشة المنفردة المقرونة بالتقشفات

على التقزز والنفور... (١)

على انه من الملاحظ في الآية الكريمة وجود انصاف لغثة آمنت بالحق واتبعته فاتاها الله اجرها . من ذلك قوله تعالى ( فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم ) يعنى الذين امنوا الايمان الخالص من شوائب الشرك والابتداع ومن الايمان بمحمد صلوات الله عليه المبشر عندهم . (٢)

ويوضح ايضا ان بعض هؤلاء لهم اجرهم جزاء ما التزموا به تجاه مولا هم الحق دون ان يغيروا في اصول الدين ، فلم يحدثوا فيه ما ليس منه حتى بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فلما عرفوا به آمنوا واتبعوه ولهذا جاء القرآن الكريم بانصاف هؤلاء المؤمنين في آيات اخرى منها قوله تعالى :

( لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسَمَ بَيْنَهُمْ وَرَهْبَانُنَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ فَأَشَابَهُمُ اللَّهُ بِطَغْوَاهُمْ أَجْنَاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَهَنَّمَ ) (٣)

= ولكن مع ان الكتاب المقدس لا يمدح العيشة الانفرادية ، فقد ظهر الميل الشديد اليها في الكنيسة في اواخر الجيل الثاني واول الجيل الثالث ، وايد بعض الباحثين المقاومين لها وقتئذ انها طاعة سرت للمسيحيين من الهنود الوثنيين فان لهم انواعا كثيرة من عبادات تأمر كسبنتها بالبتولية والامتناع عن اكل اللحم وامورا اخرى مقرونة بخرافات . ثم قال ، ومع ان الرهبنة حصل عليها مقاومة من العقلاء ، امتدت وانتشرت في السكونة . . . . . ويقول صاحب كتاب السبراهيم الانجيلية ضد الاباطيل البابوية : وهذا النذر لم تأمر به الشريعة الانجيلية قط فالطريقة الرهبانية هي اختراع شيطاني قبيح . . . . . محاسن التأويل للقاسي مجلد ٩ جز ١٦ ص ٥٨-٥٩

١ - مذاهب فكرية معاصرة ص ٦٢

٢ - محاسن التأويل مجلد ٩ جز ١٦ ص ٥٨

٣ - الطائفة ٨٢-٨٦ ، وهذه الغثة التي آمنت كانت قليلة لهذا بين الحق السمة

الغالبية على اتباع الرهبانية بقوله ( وكثير منهم فاسقون ) خارجون عن الايمان بما امروا به ( فتح القدير ٥/١٢٨ ) . ولا نهم لم يحافظوا على نذرهم ( الكشاف ٤/٦٨ ) ذلك النذر الذي كتبوه على انفسهم ولم يستطيعوا الصبر عليه فارهبوا كاهل العباد وطيه فان ابتداعهم اورثهم اثم عظيم وفتح عليهم بابا كبيرا للمعاصي والذنوب وهسم يحسبون انهم يحسنون صنعا . . . وهكذا انتهت رهبانيتهم الى ان تصيح في الغالب طقوسا وشعائر خالية من الروح وان يتخذها الكثيرون مظهرا ظاهرا من الحقيقة فلا يصبر على تكاليفها الا عدد قليل منهم ) : الظلال ٦/٣٤٩٥ .



وقد أخرج الواحدى عن ابن الضمير قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضميرى وكتب معه كتابا الى النجاشي ، فقدم طى النجاشي فقرأ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا جعفر بن ابى طالب والمهاجرين معه فارسل العسى الرهبان والنقسي وجمعهم ثم أمر جعفر أن يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم عليها السلام فأضوا بالقرآن وفاضت أعينهم من الدمع وهم الذين أنزل فيهم :  
( وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَحَارَى ) الى قوله ( فاكثنا مع الشاهدين ) . ( ١ )

هذا ويتعلق بالآية أحاديث وآثار توضح موقف السنة النبوية من الرهبانية وتوجه الامة نحو الطريق الاصل . فمن ذلك :

ما رواه الامام النسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ( كانت طوك بعد عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام بدلوا التوراة والانجيل وكان فيهم مؤمنون يقرؤون التوراة ، قيل لطوكهم : ن نجد شتطا أشد من شتم يشتتنا هو ؟ . انهم يقرؤون ( ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ) وهو ؟ الآيات مع ط يعيبوننا به في أعطلنا في قرأتهم فادعهم فليقرؤوا كما نقرأ وليؤمنوا كما آمننا فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل او يتركوا قراءة التوراة والانجيل ، الا ما بدلوا منها ، فقالوا : ما تهيدون منا الى ذلك ؟ دعونا . . .

فقال طائفة منهم ابنوا لنا اسطوانة ثم ارفعونا اليها ، ثم اعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم . وقالت طائفة منهم : ابنوا لنا دورا في الفياضي ونحترق الابارا ونحترق البقول ، فلا نرد عليكم ولا نمر بكم ، وليس احد من القبائل الا وله حميم فيهم .  
قال : ففعلوا ذلك فانزل الله عز وجل : ( ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها ، والاخرون قالوا : نتعبد كما تعبد فلان ونسبح كما ساج فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم طى شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم .

فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا قليل انحط رجل من صومعته وجاء سائح من سياحته وصاحب الدبير من ديره فامنا به وصدقوه فقال الله تبارك وتعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ ) أى أجريين بايمانهم بعيسى وبالتوراة والانجيل وبايمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصدقهم وقال : ( يجعل لكم نورا تشون به ) القرآن واتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم ( ٢ )

- ١ - انظر : اسباب نزول القرآن ، للواحدى . ت : سيد أحمد صقر ص ١٩٢ .
- ٢ - انظر سنن النسائي ٢٣١-٢٣٣ / ٨ كتاب اداب القضاة باب تاويل قوله عز وجل ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ( وسند الحديث فيه عطلاء ابن السائب ( وقد اخطط في آخر ) عصره ولكن سفيان الثوري سمع منه قبل

وروى الامام الطبري قال : حدثني بشر قال حدثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة ( وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة فهاتان مسنن الله والرهبانية ابتدعا القوم من أنفسهم ولم تكتب عليهم ولكن ابتغوا بذلك وارادوا رضوان الله فطاعوها حق رعايتها ذكر لنا أنهم رفضوا النساء واتخذوا الصوامع (١) )

كما حفلت كتب السنة المطهرة بالنهي عن الترهيب وامرت بالبعث عن الرهبانية لانها لم تشرع لهذه الامة ولم تكن من تعاليم الاسلام فقد روى الامام احمد بسنده عن عمرو رضي الله عنه قال : دَخَلْتُ امْرَأَةً عَثَانَ بْنِ مَطْعُونٍ أَحْسَبُ اسْمَهَا خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمِ عَلَى عَاطِشَةَ وَهِيَ بَاذَةُ الْهَيْبَةِ فَسَأَلْتُهَا مَا شَأْنُكَ فَقَالَتْ زَوْجِي يَقُومُ اللَّيْلَ وَصُومَ النَّهَارَ فَسَدَّ خَلِّي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْتُ عَاطِشَةَ ذَلِكَ لَهُ فَلَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَثَانَ فَقَالَ : يَا عَثَمَانُ إِنَّ الرِّهْبَانِيَّةَ لَمْ تُكْتَبْ طَيِّبًا أَمْ لَكَ فِئْتِي أَسْوَةٌ ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي أَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَحْفَظُكُمْ لِحُدُودِهِ . (٢)

كما جاء في سنن الدارمي عن نفس القصة . . . . . فقال يا عثان انسي لم اوثر بالرهبانية ، ارضيت عن سنتي ؟ قال : لا يا رسول الله . قال : ان من سنتي ان اصلي وانام واصوم واظمع و انسكح واطلق فمن رغب عن سنتي فليس مني يا عثان ان لا هلك عليك حقا ولنفسك عليك حقا . . . . . (٣)

= الاختلاط كما تقدم في ترجمة عطاء . وهو متعل حيث قد سمع بعضهم من بعض فعلى هذا يكون اسناده حسنا ( تفسير ابن عباس . د . عبد العزيز بسنن عبد الله الحميدي ٢ / ٨٦٧ بجامعة ام القرى الكتاب الثالث والخسون .

وراجع كذلك جامع الاصول لابن الاثير ٢ / ٣٧٧-٣٧٨ وجمع الفوائد ٢ / ١٧٧ والدر المنثور في التفسير بالاثور ، للسيوطي ، مجلد ٨ جز ٢٧ / ٦٥ ط ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م ١ - جامع البيان للطبري ٢٧ / ١٣٨

٢ - سنن الامام احمد باب النكاح ٦ / ٣٣٧ ط : المكتب الاسلامي وقد تعقب الهيثمي اسانيد الامام احمد عن قصة عثان بن مطعون فقال ( واسانيد احمد رجالها ثقات الا ان طريق ابي اخشاكم اسندها احمد ووصلها اليها رجال ثقات ) مجمع الزوائد ونبذ الفوائد للحافظ ابي بكر الهيثمي بتحريه العراقي وابن حجر ٤ / ٣٠١ ط ٢ دار الكتاب العربي لبنان ٢٠١٤-١٩٨٢

٣ - سنن الدارمي لابي محمد عبد الله الدارمي ٢ / ١٣٣ دار احياة السنة النبوية .

كما جاء في غريب الحديث لابن قتيبة ( قال ابو محمد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ( لا زمام ولا خزام ولا رهبانية ولا تمتل ولا سياحة في الاسلام ) حدثني ابي حدثني محمد بن عبيد عن معاوية بن عمرو عن ابي اسحق عن سفيان عن ابن جريج عن الحسن بن مسلم عن طاووس ( ١ ) .

كما روى ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والاثار :  
حديث ( لا رهبانية في الاسلام )<sup>(٢)</sup> وقد تعقب المعجلوني هذا الحديث فذكر ان ابن حجر قال فيه : لم اراه بهذا اللفظ لكن في حديث سعد ابن ابي وقاص عند البيهقي ( ان الله أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة )<sup>(٣)</sup> .

وهكذا نجد الاسلام مثلاً بالقرآن والسنة المطهرة ، ينهى عن أسس الرهبانية ، عقيدة وسلوكا ، وكل ما يمت اليها بصلة ( لانها ضادة لدفع الحياة السوية التي خلقها الله لتعمل لا لتكبت وتحجز عن الحركة والنشاط ، فقد جعل الله الانسان خليفة في الارض وكلفه عمارتها : ( هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ، وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا )<sup>(٤)</sup> . ومن اجل القيام بأمر الخلافة اى الهيمنة والاشراف والتكثف ومن اجل القيام بعماراة الارض ، اودع الله الفطرة مجموعة من الدوافع المحركة الى العمل والنشاط )<sup>(٥)</sup> .

فهذه الحوافز التي تعين الانسان على ضبط اموره لن تشكل اى خطر عليه ما دام ملتزما بمنهج القرآن الكريم للسير في هذا الطريق وقد اتسح للبشرية تطبيق هذا المنهج في التاريخ الاسلامي فوجد فيه اذنان استطاعوا التخفيف

---

١ - : غريب الحديث لابن قتيبة عبد الله بن مسلم ١/٤٤٤-٤٤٧ ، ط ١ ، ١٣٩٧ هـ مطبعة العاني بغداد د . عبد الله الجبوري ، وانظر كذلك الفائق في غريب الحديث للزمخشري ٢/١٢٢-١٢٣ ومعنى الزمام في الحديث الخيط الذي يشد في البرة او في الخشاش ثم يشد في طرفه المقود انظر الصحاح ٥/١٩٤٥ والخزام : حلقه من شعر تجعل في وتره انفه يشد فيها الزمام ( الصحاح ٥/١٩١١ )  
٢ - النهاية في غريب الحديث والاثار ، مجد الدين ابي السعادات ، ابن الاثير ٢/٢٨٠-٢٨١ ، ت : محمود محمد الطناحي ، المكتبة الاسلامية ، رياض الشيخ

ط ١ ، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ ،

٣ - كشف الخفاس\* ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على السنة الناس ، اسماعيل

المجلوني ٢/٥١٠ احد القلاش ، مؤسسة الرسالة ١٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩ م .

٤ - هود : ٦١

٥ - مذاهب فكرية معاصرة ص ٦٠

من متاع الارض الى اقصى حد دون ان يشغلهم الشعور بالحرمان عن الحركة والنشاط والعمل بايجابية كاملة .

اولئك هم الزهاد على بصيرة وقد كان محمد صلى الله عليه وسلم امام الزاهدين وهو اكبر طاقة ايجابية حركية عرفت بها البشرية .

ولكن الرهبانية ليست كذلك انها اعتزال . . . انها ترك للحياة الواقعية بكل ما فيها ، وليان بالاديرة المنقطعة عن تيار الحياة ، ولقد تربي السراهب على تعود الحرمان حتى لا يعود يحس بلسان الحرمان . . . . نعم ولكنه في الوقت ذاته يفقد ايجابيته الفاعلة في واقع الارض ، ويتخلى عن دوره في عمارتها ، ويلقي طاقات كيانه فلا يتزوج ولا يعمرو وجهه الارض بالنسل ولا ينتج الا شاعر ذاتيه في طي الكتان ( ١ ) .

وانا كانت الرهبانية كذلك فالاجدر بالقائمين عليها التخلي عنها والبحث عن الحق ومراجعة حساباتهم بدقة وليعلموا ان الله قد نسخ شريعتهم بشريعة الاسلام الخالية من التحريف والتزوير والابتداع .

وطييه . . . . فقد تم التعرف على الرهبانية وشاكلتها ، تلك التي يصعب ايجاد الحلول لها الا باتباع الحق والبحث عنه .

وانا كانت الرهبانية في نظرها لها افضل الاعمال ، وهي كما يدعون خشية الخلاص فان افضل الاعمال في نظر الاسلام هو الجهاد في سبيل الله وهو الحل الوحيد لمن اراد ان يعبد الله حق العبادة فاذا كانت الرهبانية كما يدعون بذل النفس لوجه الله فان هذه النفس بهذا الفهوم لا قيمة لها طالما امت معطلة عن الحركة ، تدور في فلك لا قرار له . فان الجهاد في سبيل الله كما يقرره الاسلام هو بذل النفس والطول قولاً وعملًا لا شعاراً ولا فتنة ولهذا جاءت السنة النبوية المطهرة تحض على ذلك .

فقد اخرج الحاكم بسنده عن معاذ بن جبل قال : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فَقَالَ لِي : اِنْ شِئْتَ اَنْبِئْتُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ ، وَذِرْوَةِ سِنَانِهِ . قَالَ : قُلْتُ : اَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : اَطْرَاسُ الْأَمْرِ فَالْإِسْلَامُ وَالْأَمْرُ عَمُودُهُ وَالصَّلَاةُ ، وَالْأَمْرُ ذِرْوَةُ سِنَانِهِ فَالْجِهَادُ ( ٢ ) .

١ - بتصريف: مذاهب فكرية معاصرة ص ٦١ - ٦٢

٢ - هذا الحديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وقد اقره الذهبي

انظر المستدرک : للحاكم ٢ / ٧٦

كما اخرج الاطام احمد بسنده عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه  
قال : ان رجلا جاء فقال : اوصني فقال : سألت عما سألت عنه رسول الله صلى  
الله عليه وسلم من قبلك قال : أوصيك بتقوى الله فإنه رأس كل شيء وطيبك بالجهاد  
فإنه رهبانية الاسلام وطيبك بذكر الله وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء وذكرك  
في الأرض . ( ١ )

كما اخرج الحاكم بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً من  
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مر بشعب فيه عيينة من ماء عذب فأعجبه  
طيبه وحسنه فقال : لو اعتزلت الناس وأقتت في هذا الشعب ثم قال لا أفعل  
حتى أستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله  
عليه وسلم فقال : لا تفعل ، فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته  
في أهله ستين طمأ ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة اغزوا في سبيل الله  
من قاتل في سبيل الله فوق ناقة وجبت له الجنة ( ٢ )

وهكذا فان الاسلام قد حكم على الرهبانية حكماً مبرماً ، واعطى  
البشرية علاجاً ناجماً ، فيه الخلاص والنجاة من عذاب الله يوم القيامة .  
فما على الذين حرقوا وبدلوا وغرروا سوى الرجوع الى الحق وعدم  
التماهى في السفى ، فان الله تبارك وتعالى قد اعطاهم الفرصة للايمان  
فارسل محمداً صلى الله عليه وسلم هادياً ومبشراً ونذيراً ، وما زالت الفرصة  
اطمهم مفتوحة وما عليهم الا التخلي عما هم فيه . فمن طاب وتاب واصبح فان الله  
يستوب عليه وهو التواب الرحيم وأما من اعرض عن الحق فان معيشته ضنكاً ومحشر  
يوم القيامة أعمى . . . ائذنا الله تعالى من سوء الخاتمة وثبتنا بالقول الثابت  
في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، والهنا الرشيد والاحسان في أمورنا حتى  
نلقاه وهو راض عنا . اللهم آمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله  
وصحبه اجمعين . ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

- ١ - : سند الاطام احمد ٨٢/٣ وقد جمع الالباني طرق الحديث وتكلم  
عن رجاله وقال : والحديث بمجموع الطريقتين عندى حسن انظر الاحاديث الصحيحة  
٨٧/٢ - ٨٩ ، المكتب الاسلامي ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م  
٢ - المستدرک للحاكم : ٦٨/٢ وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه  
الذهبي .

الخاتمة

وفيها أهم نتائج البحث

\*\*\*\*\*

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد

فانه ليس من العسير بعد استقرا جوانب هذا الموضوع ان يعثر القارى

على أهم النتائج التي تمخض عنها هذا البحث .

فمن أهم تلك النتائج : ظهور وحدة التشابه العقدي والسلوكي بين أنظمة

الرهينة بشكل عام وقد جمعت هذه الظاهرة في طياتها قواسم مشتركة بين منتحليها .

فعلى صعيد الاسس العقديّة تظهر وحدة التشابه في قضايا : التثبيث

والحلول والاتحاد خاصة عند المصريين القدماء ، والهنديين ، واليهوديين واليونانيين

وقد استقرت اخيراً عند المسيحيين . وأن هذا الانتقال كان نتيجة الاحتكاك بين

الأمم السابقة على الاسلام وتأثر بعضها ببعض ، وأن الرهينة كانت خير وسيلة لانتقال

هذه العقائد بين الطل القديمة . كما ظهر انتقال الحلول والاتحاد ووحدة الوجود

الى الفرق الغالية المنتهية الى الاسلام زوراً . وان الاسلام رفضها شكلاً وموضوعاً .

اما في الجانب السلوكي فقد ظهر التشابه جلياً في الطقوس والشعائر والتقاليد

والأنظمة الديرية ، وان وجد الاختلاف فهو في بعض الصور والاشكال ليس الا . اما

المضمون فكان واحداً لدى الكل . وان القواسم المشتركة هذه اتخذت من الاسس

العقديّة وأصبحت جزءاً لا يتجزأ منها .

وان النذور الثلاثة : الستمثة : بالفقر والتبتل وطاعة رئيس الديـ

هي الرابطة الذي يربط بين أنظمة الرهينة لدى الأديان الوضعية واهل الكتاب .

اما النتائج الاخرى فتتلخص في الامور التالية :

أولاً :

ان الممارسات التعبدية والشعائر النسكية التي مارستها البشرية بالوان

مختلفة وما ترتب عليها من محافظة على الشكل والصورة ان هي الا دليل على حب التعبد لدى

الخلق والناجم عن وجود أصل الفطرة السفسية الى الايمان بوجود الخالق جل وعز

بغض النظر عن الاتجاه العقدي وما هيته . فالملاحظ ان الناس يميلون دائماً الى التوجه

نحو المعبود ، الا ان الانحراف الديني يعود الى اولئك الذين وضعوا للناس ما يصرنهم

عن الله الخالق تبارك وتعالى ، واتخاذ أرباب من دون الله .

ثانيا : ان استغلال النزعة الفطرية لدى البشر من قبل فئة من الناس ادى الى بروز طبقات رجال الدين الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة ، وان الممارسات التعشفية التي يقومون بها إنّ هي الا ستار لنيل السعة الحسنة الخفية الى تحصيل الطّرب الشخصية والامتيازات الخاصة . وان القوانين التي وضعوها للخلق تشريعا وضهاجا تعتبر تعد على أحكام الله تعالى الذي له الأمر والنهي وليس لأحد أن يحكم الناس بما لم ينزل الله تبارك وتعالى .

ثالثا : ان ارسال الرسل وانزال الكتب السماوية كان ضرورة ملحة لرجاع الناس الى طريق الحق والعدل ولتنع التعدى على حرمة الله ، وارشادهم الى الخير والصلاح .

رابعا : ان مقدمات الطغيان في المجتمعات الدينية القديمة والحديثة وجدت بانماط متشابهة ، فكانت نتائجها لا تختلف عن بعضها ، فالترف ، والبسوخ والظلم ادى الى الحرب والخراب والدمار .

خامسا : ان الرهينة بشتى انواعها واشكالها ، نزعة ضادة للفطرة الانسانية السليمة وخروج على النواز الكامنة في النفس البشرية . وان السلبية والكسل المصاحبين للضعف السلوكي ادى الى تأخر كبير في مضار التقدم العلمي والتقني الامر الذي افضى الى الصراع بين العلم والدين . كما ادى الى بروز الكبت الجنسي وما صاحبه من امراض خلقية واجتماعية ، افضت الى تدهور القيم والسبل العليا .

سادسا : ان الرهينة تتحمل قسطا كبيرا من الاثم لكونها سببا مباشرا في بروز الفكر الالهادى قديما وحديثا . وان الالحاد يعتبر خطرا داهيا يهدد الكيان البشرى لما يحمل بين طياته من بذور التحلل العقدي والديني .

سابعا : ان صراع رجال الدين من اجل المناصب وحب الجاه والسيطرة ادى الى نشوب الحروب بين شعوب العالم المسيحي الاوروبي الذي طني من الكيسوارث الاجتماعية والاخلاقية والاقتصادية .

ثامنا : ان الرهينة اليهودية تعتبر هترة وصل بين الاديان الوضعية وبين رهبانية النصارى ، وان الرهينة اليونانية كان لها اثر كبير في بروز الرهينة في المجتمع اليهودي القديم .

تاسعا : ان اغلب الاراء المعقدية في الرهبانية المسيحية مبنية على اساس من الفكر الفلسفي اليوناني الوثني وان المبادئ السلوكية تعود ظاهريتها الى تأسيير الرهينة الهندية .



عاشرا : ان الاسلام وقف من هذه النزعات موقف الرفض فلم يقرها بل حاربها حتى لا يترك مجالا للطغيان المتحكم في رقاب الناس الذي رأيناه اثنا عرض فصول هذا البحث ، وليوجه الناس الى العمل الايجابي البناء الذي ينفذ الفرد والمجتمع بعيدا عن الاستغلال والانحراف مينا طريق العبادة الصحيحة التي تقرب العبد من ربه وتبني شخصيته القوية على اساس قويم لا زيف فيه ولا ضلال .

احد عشر : ان الجهاد هو السبيل الوحيد لابقاء جذوة الايمان مشتعلة في قلوب الناس ، فهو الرقة التي تتنفس منها الامة وتجدد به خلاياها ، والا فسان البدع والانحرافات ما تثبت ان تسرى في الجسم حتى تقضي عليه ، تماما كما حصل بالنسبة للنصرانية التي ابتدعت الرهبانية صداقا لقوله تعالى :

( . . . ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله

فما رعوها حق رعايتها فاتينا الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون ) . صدق الله العظيم . فقد عطلت النصرانية جهاد الاعداء واتخذت الرهبانية عوضا عنه ، فكان الابتداع في الدين سببا في الانحراف والضلال .

هذه أبرز النتائج التي وصلت اليها من خلال هذه الدراسة ، راجيا العلي القدير ان ينفعنا بما علمنا ويزيدنا طمحا ، وللهنا السداد في القول والعمل ، وبهين لنا سبيل الرشاد ، انه ولي ذلك والقادر عليه .  
وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

وكتبه : عمر وفيق الداعوق

الفهرست



## الصفحة

## - المسورة

## - ال عمران

- ٣١٧ ( ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم . . . ) ٦١-٥٩  
 ٢٣٩-٢٣٢ ( لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا \* ( . . . ) ١٨١  
 ٤٩٦ ( ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار . . . ) ١٩٠

## - النساء

- ٣٨٣-٣٨٢ ( يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة . . . ) ١  
 ٣٩٤ ( . . . فانكحوا ط طاب لكم من النساء \* ( . . . ) ٣-١  
 ٣٨٣ ( الرجال قوامون على النساء \* ( . . . ) ٣٤  
 ٢٥٠ ( من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه . . . ) ٤٦  
 ٣٥٣ ( ان الله لا يفرغ أن يشرك به ( . . . ) ٤٨  
 ٤٥٠ ( . . . أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم . . . ) ٥٩  
 ٣٤٧-٣٢٢ ( . . . وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله . . . ) ١٥٨-١٥٧  
 ٣١٢ ( يا أهل الكتاب لا تغفلوا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق ) ١٧١  
 ٣٢٠ ( انا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم . . . ) ١٧١

## - المائدة :

- ٢٥٠ ( فبا نقضهم ميثاقهم لعناهم . . . ) ١٤-١٣  
 ٣٢١ ( لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم . . . ) ١٧  
 ٩ ( واطل عليهم نبأ ابني آدم بالحق . . . ) ٢٨-٢٧  
 ٢٤٥ ( انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا . . . ) ٤٤  
 ٢٣٢ ( وقالت اليهود يد الله مغلولة ظت أيديهم . . . ) ٦٤  
 ٣١٢ ( لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم . . . ) ٧٢  
 ٣١٣ ( لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة . . . ) ٧٣  
 ٥ ٣٦ ( لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود . . . ) ٨٦-٨٢  
 ٣٧٤ ( يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ط أحل الله لكم . . . ) ٨٨-٨٧  
 ٣٢٠ ( . . . ان قال الله يا عيسى ابن مريم اذكري نفسك طيبك . . . ) ١١٠  
 ٣١٣ ( وان قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني . . . ) ١١٦-١١٧

## - الأعراف :

- ٣٧٤ ( قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده . . . ) ٣٢  
 ١ ( واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم ) ١١٦

## الاعراف

الصفحة

- ( قالوا يا موسى اجعل لنا الهة ) ١٤٠-١٣٨ ( ٢٣١ )  
 ( واتخذ قوم موسى من بعده من حلبيهم عجلا ) ١٤٨ ( ٢٣٢ )  
 ( وقطعناهم في الأرض أمسا ) ١٦٨ ( ٤٤٣ )  
 ( وان أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم ) ١٧٢ ( ٩ )

## - التوبة :

- ( وقالت اليهود عزير ابن الله ) ٣٠ ( ٢٢١-٢٢٢ )  
 ( . . . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ) ٣١ ( ٤٥٢-٢٥٧ )  
 ( يا ايها الذين آمنوا ان كثير من الأحرار والرهبان ليأكلون أموال  
 الناس بالباطل ) ٣٤ ( ١-٢٥٦ )  
 ( انفروا خفاة وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ) ٤١ ( ٢٩٤ )

## - يونس :

- ( وانذا من الانعام الضرد عانا لجنبه أو قاعدا أو قائما ) ١٢ ( ١٠ )

## - هود :

- ( هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها ) ٦١ ( ٥٣٩-٣٩٣ )

## - الرعد :

- ( ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية ) ٣٨ ( ٣٩٩ )

## - النحل :

- ( والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ) ٧٢ ( ٣٩٣ )

## - الاسراء :

- ( ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ) ٢٩ ( ٤٤٢ )  
 ( ولا تقف ما ليس لك به علم ) ٣٦ ( ٤٨٤ )  
 ( وانذا سكم الضرفي البحر ضل من تدعون إلا إياه ) ٢٧ ( ١٠ )  
 ( ولقد كرنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ) ٧٠ ( ٤٤٢-٣٧٤ )

م :

- ٤٣٧ ( فتادها من تحتها الا تحزنسي (٠٠٠) ٢٦-٢٤ )  
 ٣٢١ ( ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يحترن (٠٠٠) ٣٧-٣٤ )  
 ٣١٦ ( ط كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه (٠٠٠) ٣٥ )

ط :

- ٤٩٥ ( وقل رب زدني طمسا (٠٠) ١١٤ )  
 ٣٥٣ ( ولقد عهدنا الى آدم من قبل (٠٠٠) ١١٥ )  
 ٣٨٢ ( فقلنا يا آدم ان هذا عدوك ولزوجك (٠٠٠) ١٢٢-١١٧ )

ح :

- ٤٨٥ ( ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات (٠٠) ١٤ )

النسور :

- ٤٠٠- ٣٩٤ ( وانكحوا الايام منكم والصالحين من عبادكم (٠٠) ٣٢ )  
 ٤٤٢ ( القصص :  
 وابتغ فيط آتاك الله الدار الاخرة (٠٠٠) ٧٧ )

المنكوت :

- ٤٣٣-٤٠٦ ( ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون (١-٢) )  
 ٤٨٤ ( خلق الله السموات والأرض بالحق (٠٠٠) ٤٤ )  
 ٣١٣ ( ... لا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن (٠٠) ٤٧-٤٦ )

الروم :

- ٣٩٣ ( ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا (٠٠٠) ٢١ )  
 ٤٨٣ ( بل اتبع الذين ظلموا أهواهم بغير علم (٠٠) ٢٩ )

فاطر :

- ٤٩٦ ( انا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وان من أمة الا خلا فيها نذير (٢٤) )  
 ( انا يخشى الله من عباده العلما (٠٠٠) ٢٨ )

الزمر :

- ٣٥٢ ( قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله (٠٠) ٥٣ )

- ظفر :

١٦ ( وقال رجل مؤمن من آل فرعون (٠٠٠) ٢٢-٢٧ )

- فصلت :

٥٣ ( لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه (٠٠) ٤٢ )

- الشورى :

٥١١ ( ليس كمثل شيء وهو السميع البصير ) ( ١١ )

- الزخرف :

٤٨٤ ( انا وجدنا آباءنا على أمة (٠٠٠) ٢٣ )

- محمد :

٤٤١ ( ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين (٠٠) ٣١ )

- الرحمن :

٩ ( الرحمن ظم القرآن خلق الانسان ظمه البيان (٠٠) ٤-١ )

- الحديد :

٥ ١٨-٤٠٩-٣٠٥-٢ ( ورهبانية ابتدعوها (٠٠) ٢٧ )

- المجادلة

٤٩٥ ( يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات (٠٠) ١١ )

- الحشر :

١ ( لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله (٠٠٠) ١٣ )

٢٥٩ ( لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة (٠٠٠) ١٤ )

( - الصافات :

٣٢٠ ( يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله (٠٠٠) ١٤ )

- تبارك :

٤٤١ ( هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا (٠٠٠) ١٥ )

- الجِنَّين :

٣٩٩ ( ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبداً . . ) ٢٣

- النَّبِيَّاتُ :

٩ ( يوم ينظر المرء ما قدمت بسداه ) ( . . . ) ٤٠

- النَّبَاذَات :

١٥-١٤ ( . . اذهب الى فرعون انه طغى . . ) ١٦-٢٥

- العَلَسِيْق :

٤٩٥ ( - اقرأ باسم ربك الذي خلق . . . . . ) ١





- ( . . وأما ذروة سنامه فالجهاد . . . )  
 ٥٤٠  
 ( وطبك بالجهاد فإنه رهيانية الاسلام . . . )  
 ٥٤١  
 ( يا رسول الله اني رجل يشق علي العزوبة . . . )  
 ٤٠٣  
 ( . . يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي . . . )  
 ٣٥٣  
 ( يا عثمان ان الرهيانية لم تكتب علينا . . . )  
 ٣  
 ( يا معشر الشباب من استطاع منكم البائة فليتزوج . . )  
 ٣٦٣

" فهرس نصوص من العهد القديم "

- التكوين :

- ٢٢٥ ( فخلق الله الانسان على صورته . . . ) ٢٨-٢٧:١
- ٢٢٢ ( فاكلمت السموات والارض وكل جندها . . . ) ٣-١:٢
- ٢٢٥ ( وقال الرب الاله ليس جيدا ان يكون آدم وحده . . . ) ١٨:٢
- ٢٢٢ ( وسمعا صوت الرب الاله ماشيا . . . ) ١٣-٨:٣
- ٢٢٢ ( وقال الرب الاله هوذا الانسان قد صار كواحد منا . . . ) ٢٤-٢٢:٣
- ٢٢٤ ( وظهر الرب لابرام . . . ) ٧:١٢

- سفر الملوك الثاني :

- ٢٦٢ ( . . . واتي ملك آشور يقدم من بابل وكوث . . . ) ٢٥-٢٤:١٧

## - فهرس نصوص العهد الجديد -

الصفحة	-----
٣٢٦	( .. لا تظنوا اني جئت لانقض الناموس .. ) ١٧: ٥
٣١٦	( واما انا فاقول لكم احبوا اعداءكم ... ) ٤٥-٤٤: ٥
٣٢٧	( فأجاب وقال : لم ارسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة .. ) ٢٤: ١٥
٣٧١	( حينئذ قال يسوع لتلاميذه ان اراد احد ان ياتي ورائي .. ) ٢٧-٢٤: ١٦
٣٨٧	( ... لانه يوجد خصيان خصوا انفسهم .. ) ١٢: ١٩
٣٧١	( .. وكل من ترك بيوتا أو اخوة .. ) ٢٩: ١٩
٣٣٨-٣٥٥	( وحيث هم يأكلون اخذ يسوع الخبز .. ) ٢٨-٢٦: ٢٦
٣٢٢	( وقال لهم بيلاطس فلماذا افعل بيسوع .. ) ٢٥-٢٢: ٢٧
٣٠٨	( فاذهبوا وتلمذوا جميع الامم .. ) ١٩: ٢٨

## - مرقس :

٣١١	( فجاء واحد من الكتبة وسمعهم يتحاورون .. ) ٢٨: ١٢
٣١٢	( واما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها احد .. ) ٣٢: ١٣

## - لوقا :

٣٨٧	( وقال للجميع : من اراد احد ان ياتي ورائي .. ) ٢٣: ٩
٣٧١	( ومن لا يحمل صليبه .. ) ٢٧: ١٤
٣٧١	( ان كان احد ياتي الي .. ) ٢٦: ١٤

## - يوحنا :

٣٠٨	( في البدء كان الكلمة .. ) ١: ١
٣٥٠	( هكذا احب الله العالم .. ) ١٦: ٣
٣٥٩	( انا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء .. ) ٥١: ٦
٣٥٥	( انا والاب واحد .. ) ٣٠: ١٠
٣٥٥	( الذي رأيته فقد رأى الاب ) ٩: ١٤
٣١١	( وهذه الحياة الابدية ان يعرفوك .. ) ٣: ١٧

## " نصوص من رسائل اعطال الرسل "

## اعمال الرسل :

- ٣٦٠ ( أيها الرجال الاسرائيليون اسمعوا هذه الاقوال ) ٢٢:٢ ( . . )  
 ٣٢٩ ( انا رجل يهودى ولدت في طرسوس . . . ) ٣ : ٢٢

## - رومية -

- ٣٥٥ ( ولهم الاباء \* ومنهم المسيح . . . ) ٥ : ٩  
 -٣٧٥ ( واظ من جهة الامور التي كتبتم لي . . . ) ٢٤-٨-١ : ٧  
 ٣٢٩ ( فصرت لليهودى كيهودى لا ربح لليهود . . ) ٢١-٢٠ : ٩  
 ٣٨٠ ( لتصت نساؤكم في الكنائس . . . ) ٣٥-٣٤ : ١٤

- كورنثوس<sup>٢</sup> -

- ٢٨١ ( ولكنني اخاف انه كما خدعت الحية حواء . . ) ٣ : ١١

## - فلاتيية :

- ٢٣٨ ( لان كلكم الذين عدتم في المسيح . . . ) ٢٧ : ٣

## - افسس -

- ٣٥١ ( كما احبنا المسيح أيضا وأسلم نفسه . . . ) ٢ : ٥  
 ٢٨١ ( ايها النساء اخضعن لرجالكن . . . ) ٢٥-٢٢ : ٥

## - كولوسي -

- ٣٥٥ ( فانه فيه يحل كل مله اللاهوت جسديا . . . ) ٩ : ٢  
 ٢٧١ ( فان كنتم قد قتم مع المسيح . . . ) ١ : ٢

## ١ تيموثاوس

- ٢٨١ ( ولكن لست آذن للمرأة ان تعلم وتتسلط . . . ) ١٤-١٢ : ٢

- ٣٥٥ ( الله ظهر في الجسد . . . ) ١٦ : ٣

## - تيطس :

- ٣٥٥ ( منتظرين الرجاء المبارك وظهور مجد الله . . ) ١٣ : ٢



## فهرس تـراجـم الـاعلام

الصفحة	الاسم
و	- ابراهيم الخطي
٣٤١	- أبهقور
٣٤١	- أرسطو
٤٤٧	- الاسكندر السادس
١٩٨	- افلاطون
٣٠٤	- انطونيوس
٤١٣	- باخيسوس
٤٢٦	- بندكت
٢٧٣	- بيليني الكبير
ز	- تطام بن محمد الرازي
٤٢٨	- د وينيك
١٩٦	- سقراط
٥٠٣	- سليمان بن قلمش
٣١٧	- عبد الله الترجمان
٤٢٧	- غريغوري السابع
٤٢٨	- فرنسيس
٤٩١	- فيثس
٤٢١	- مارون
٣١٤	- نسطور
٢٢١	- هيسرودوس
٢١٢	- ياسون
ز	- محمد البرجلاني

## فهرس المصادر والمراجع

## - القرآن الكريم -

- الابداع في ضار الابداع :  
الشيخ :- طي محفوظ ، دار الاعتصام ط ٧ ، صر  
- الاجوبة الفاخرة عن الاسئلة الفاجرة :  
احمد بن ادريس الطالكي القرافي ، دار الكتب العلمية ، ط ١ - ١٤٠٦ هـ  
١٩٨٦ م ، بيروت  
- الاحاديث الصحيحة :  
ناصر الدين الالباني ، المكتب الاسلامي - ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م  
- احكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام :  
د . عبد الكريم زيدان ، مكتبة القدس مؤسسة الرسالة - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م  
- احكام الزواج والطلاق في الاسلام :  
د . بدران ابو العينين ، دار المعارف ، ط ٣ ، ١٩٦٤ - صر .  
- اديان العالم :  
حبيب سعيد . دار التاليف والنشر للكنيسة الاسقفية ، القاهرة  
- الاديان في القرآن :  
د . محمود بن الشريف ، دار عكاظ للطباعة والنشر ط ٣ ، ١٩٧٩ م  
- اديان الهند الكبرى .  
د . أحمد شلبي . ، مكتبة النهضة المصرية ط ٤ ، ١٩٧٦  
- ارشاد العقل السليم الى حزايا الكتاب الكريم :  
لاهي السعود محمد العطوي الحنفي ، مطبعة السعادة  
عبد القادر عطا ، مكتبة الرياض الحديثة  
- أساليب الغزو الفكري :  
د . طي محمد جريشة ومحمد شريف الزبيق ، دار الاعتصام ١٩٧٨ م  
- اسباب نزول القرآن :  
ابو الحسن طي بن الواحدى . ت : سيد أحمد صقر ، دار القبلة للثقافة  
الاسلامية ط ٢ ، ٤٠٤ - ١٩٨٤ السلكة العربية السعودية .  
وكذلك طبعة : مصطفى الباهي الحلبي ١٣٨٧ - ١٩٦٨ صر .  
- أسرار روما :  
ليوتا كسيل ت : طانيوس عده ، مطبعة الانصاف ، ابراهيم خليل ، بيروت



- اسطورة تجسد الاله
- عبد الصمد شرف الدين ، ط: جامعة الطك عبد العزيز - جدة ١٣٩٨ هـ
- الاسفار المقدسة السابقة للاسلام .
- د . علي عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، ١٩٧١ م
- الاسفار المقدسة قبل الاسلام :
- د . صابر طعيمة ، عالم الكتب ط ١ ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م بيروت .
- الاسلام :
- سعيد حوى ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ط ١ ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م بيروت
- الاسلام بلا مذاهب .
- د . مصطفى الشكعة : دار النهضة العربية ط ١ ، بيروت
- الاسلام بين الاديان :
- د . محمد كمال جعفر ، مكتبة دارالعلوم ، مصر
- الاسلام والسيحية :
- ألفت عزيز الصمد . الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية دار القرآن
- السكريم ، ١٤٠٤-١٩٨٤ ، بيروت
- اصول الدين
- لابي منصور عبد القاهر البغدادي ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٤٠٠-١٩٨٠ م
- اضمحلال الامراطورية الرومانية وسقوطها . :
- ادوارد جيبون ت : ليهن اسكندر ، دار الكتاب العربي للطباعة ١٩٦٩ م
- اضواء توضيحية على تاريخ الطرونية :
- د . زكي النقاش ، دار لبنان ١٩٧٠
- اظهار الحق .
- الشيخ رحمة الله الهندي : ت : عمر الدسوقي ، دار احياء التراث
- الاسلامي - الدوحة قطر ١٩٨٣ م
- الاهتمام :
- للامام الشاطبي ، دار المعرفة ت محمد رشيد رضا ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م
- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين :
- فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي ، ت : طي سامي النشار ، دار الكتب
- العلمية ، بيروت ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م
- اعلاء المنن :
- لفراحد العثاني ت : اشرف طي التهانوي ، ادارة القرآن والعلوم الاسلامية
- كراتشي باكستان .

- الاعلام بط في دين النصارى من الفساد والاهام .
- للامام القرطبي ت : د . احمد حجازى السقا ، دار التراث العربي  
١٩٨٠ ، مظر
- الاعلان بالتوبخ لمن ذم التاريخ :
- شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى : غنى بنشره : القدسي  
مطبعة الترقى ١٣٤٩ هـ .
- اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس  
د . حسن حيشي ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٨
- اظافة اللهبان
- محمد بن ابي بكر ، ابن القيم الجوزية ، دار المعرفة ت : محمد حامد  
الفتي ، بيروت - لبنان .
- الاغريسق تاريخهم وحضاراتهم
- سيد احمد طي الناصرى ، دار النهضة العربية
- افتراعات المبشرين طى آيات القرآن الكريم .
- د . محمد جمعة عبد الله ط ١ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م
- الافصاح عن معاني الصحاح :
- يحيى بن محمد بن هبيرة ، المؤسسة السعيدية بالرياض ١٩٨٠
- أقانيم النصارى :
- د . احمد حجازى السقا ، دار الانصار ، القاهرة ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م
- الزام القرآن للطالبيين والطللين :
- د . سيد احمد رمضان السير ، دار الطباعة المحمدية بصرط ١ ، ١٣٩٩ هـ  
١٩٧٩ م
- آلهة في الاسواق :
- د . روف شلبي ، دار القلم ط ٢ الكويت ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣
- امراطورية جستنيان :
- د . اسمت غنيم ، دار المجمع العلمي بجد ١٣٩٧ هـ ، ١٩٧٧ م
- الانسان في ظل الاديان :
- د . عطارة نجيب مكتبة المعارف الرياض ١٤٠٠ هـ - ١٩٧٩ م
- امتاع الاسطاع :
- تقي الدين المقرئى ، ت : محمود محمد شاکر ، الشؤون الدينية بدولة  
قطر ط ٢
- الانجيسل : ( العهد الجديد )
- جمعية الكتاب المقدس في الشرق الادنى بيروت ١٩٧٠

- انجيل برنابسا :
- ت : سيف الله احمد فاضل ، دار القلم ط ١ ١٣٩٢ هـ
- انجيل بوذا
- ت : همس سابا ، مكتبة صادر بيروت ط ١٩٥٣
- الانجيل والمليب :
- عهد الاحد داود ، ط ١٩٥١ مصر
- انطاكية القديمة :
- جلانفيل داوني ت : ابراهيم نصحي ط ١٩٦٧ ، القاهرة
- الانسان بين الاديان
- د . محمد كمال جعفر ط ١ قطر .
- الانسان بين الطاوية والاسلام :
- محمد قطب ، ط ٧ - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢
- اوربا المصور الوسطى
- د . سعيد عبد الفتاح عاشور ، مكتبة الانجلو المصرية ط ١٩٨٠
- بحوث في الاسلام والاجتماع :
- د . علي عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ط ١ القاهرة
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد :
- ابو الوليد محمد بن رشد القرطبي الاندلسي ، دار الفكر مكتبة الخانجي
- من النسخة المولوية
- بستان الرهبان :
- لابا\* الكنيسة القبطية ، ط ٢ لجنة التحرير والنشر ببطرانية بني سويف البهنسا
- مصر .
- بلادنا فلسطين :
- مصطفى مراد الدباغ ، نشرات دار الطليعة بيروت ط ٢ ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م
- الهداية في شرح الهداية ،
- بدر الدين محمود بن احمد العيني ، تصحيح المولى محمد عبد الشهيبي
- بناصر الاسلام الرامفوري - اشرف طي تصحيحه الشيخ زهير كيسي ، ١٤٠٠ هـ
- ٠١٩٨٠ م
- بنو اسرائيل وموقفهم من الذات الالهية .
- د . عبد الشكور محمد اطان العروسي رسالة دكتوراه جامعة ام القرى مكة المكرمة
- ١٤٠٢ هـ

- البوذية :
- هنرى ارقون ت : هنرى زغيب المنشورات العربية ، الطبعة البولسية  
جونية لبنان ١٩٧٥
- تاج العروس من جواهر القاموس :
- محمد مرتضى الزبيدي ، دار مكتبة الحياة ببيروت ط ، ١٣٠٦ هـ
- تاج اللغة وصحاح العربية . اساطيل بن حماد الجوهري
- للجوهري ، ت : احمد عبد الغفور عطار ط ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م
- تاريخ الاديان وفلسفتها :
- طه الهاشمي دار مكتبة الحياة ببيروت ، ط ١٩٦٣
- تاريخ الاسلام في الهند
- عبد النعم النمر ط ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م
- تاريخ الاصلاح في القرن السادس عشر
- عمرل دويناه ، ت : ابراهيم الحوراني ، منشورات مكتبة الشعل ببيروت
- اشراف رابطة الكنائس الانجيلية في الشرق الاوسط ط ٣ ببيروت .
- تاريخ أهل الذمة في العراق .
- د . توفيق سلطان الموزيكي ، دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣
- العراق .
- تاريخ اوربا العصور الوسطى
- هـ . أ . فيشر ، ت : محمد مصطفى زيادة - السيد الباز العربي ، دار مصر
- ١٩٦٦ .
- تاريخ البشرية :
- ارنولد توينبي ، ت : نقولا زيادة ، الطبعة الاهلية للنشر ببيروت ١٩٨١
- تاريخ التراث العربي :
- فواد سيزكين ، ت : د . محمود حجازي ، ادارة الثقافة والنشر ، جامعة
- الامم محمد بن سعود الاسلامية بالرياض ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م
- تاريخ الحضارات العام ، القرون الوسطى
- اد واربروي ، موريس كروزيه ، منشورات عبيدات ببيروت - لبنان
- تاريخ الحضارات العام :
- اندره ايتر جانين ايوايه ط ١٩٦٤
- تاريخ الحضارة في القرون الوسطى والحديثة :
- محمد كرد طي ، مطبعة التقدم ، مصر .

- تاريخ العالم :  
أ. هامرتن ، مكتبة النهضة المصرية ط ٢
- تاريخ الفحشاء : او تاريخ الاداب العمومية  
عبد الكريم التتير ، ط ١٩١٢ لبنان .
- تاريخ الفرق الاسلامية :  
طبي مصطفى الفرابي ، مكتبة الانجلو المصرية ط ١٩٨٥
- تاريخ فلسطين القديم  
ظفر الاسلام خان ، دار النفايس بيروت ط ٤ - ١٤٠٤ - ١٩٨٤ م
- تاريخ الفلسفة اليونانية  
يوسف كرم ، دار القلم ، طبعة جديدة بيروت لبنان
- تاريخ الكنيسة الشرقية :  
الاب البيرابونا ، الطبعة العصرية ، الموصل ، العراق .
- تاريخ الطائفة العلية :  
شاهين مكاريوس . دار مارون عبود ط ٤ ١٩٨٤ م
- التبشير المسيحي في منطقة الخليج :  
احمد فون دنفسر
- التبشير والاستعمار في البلاد العربية :  
د . مصطفى خالدى ود . عرفوخ ، المكتبة العصرية بيروت ، صيدا  
ط ٤ - ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م
- التبصير في الدين :  
لابي الظفر الاسفراييني ت : كمال يوسف الحوت ط : ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م
- تبين الحقائق شرح كنز الدقائق  
فخر الدين بن عثمان بن علي الزيلعي ط ١٣١٣ هـ بولاق .
- تثبيت دلائل النبوة :  
القاضي عبد الجبار الهمداني ، ت : عبد الكريم زيدان ، دار العربية للطباعة  
والنشر ، بيروت
- التحبير في المعجم الكبير :  
لابي سعد عبد الكريم محمّد السمعاني التميمي ، ت : خير ناجي سالم ، طبعة  
الارشاد ، بغداد ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م
- تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى  
محمّد بن عبد الرحمن المباركفوري ط ١٣٨٧ - ١٩٦٧

- تحفة الارب في الرد على أهل الصليب :
- عبد الله الترجمان السيورقي ت : عمروفيق الداوق ، رسالة طاجستير ، جامعة ام القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٢ هـ
- تحفة المرید شرح جوهرة التوحيد :
- ابراهيم محمد البيجوري ، دارالكتب العلمية بيروت ط ١ ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٣
- تحفة النظائر في غرائب الامصار وعجائب الاسفار :
- محمد بن عبد الله الطواتي ( ابن بطوطة ) ت : احمد العوامري بك ، محمد احمد جاد السولي بك ط بولاق ١٩٣٩ .
- تحقيق ط للهند من مقولة مستقبولة في العقل او مردولة
- لابي الريحان المبروني ، دائرة المعارف العشانية بحيدر اباد الدكن الهند ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م
- تراث الاسلام :
- شاغت وبوزورث ، ت : حسين مؤنس ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت .
- التراث اليهودي الصهيوني :
- صبري جرجس عالم الكتب ط ١ القاهرة ، ١٩٧٠ م
- تربية الاولاد في الاسلام :
- عبد الله ناصح طوان ، دارالسلام للطباعة والنشر ٢٤٠١ - ١٩٨١ حلب بيروت
- التسهيل لعلوم التنزيل :
- ابوالقاسم محمد بن احمد بن جزى الكلبى الفرناطي :
- ت : محمد عبد السنعم اليونسي وابراهيم عطوة ، دارالكتب الحديثة ، مطبعة حسان مصر
- التصوف ، طريقا ، وتجربة ، وذهبا
- د . محمد كمال جعفر ، دارالمعرفة الجامعية ١٩٨٠
- تطور الفكر الديني في مصر القديمة :
- جيمس هنرى برستيد ت : زكي موسى دارالكرك لل نشر والطبع والتوزيع مصر ١٩٦١
- التعريفات :
- لابي الحسن طي بن محمد الجرجاني ، دارالتونسية للنشر ١٩٧١ تونس
- التفرقة بين الاسلام والزندقة :
- لابي حامد الفزالي ت : د . سليمان دنيا ط ١ ١٩٨١ - ١٩٦١ داراحيا
- الكتب العربية ، عيسى الباهي الحلبي .

- تفسير ابن عباس : ومروياته في التفسير من كتب السنة :
- د . عبد العزيز بن عبد الله الحميدى ، جامعة ام القرى ، الكتاب الثالث والخمسون ، طبع بشركة العبيكان للطباعة والنشر ، الرياض .
- تفسير غريب الحديث ، مرتبا على الحروف
- لابن حجر العسقلاني ، ت : زكريا طي يوسف ، مطبعة الاطام - مصر
- تفسير القرآن العظيم
- لابن كثير ، المكتبة الشعبية
- التفسير القيم
- لابن القيم ، جمعة محمد اويس الندوى ت : محمد حامد الفقى ، لجنة التراث العربى ، بيروت .
- التفسير الكسبيير :
- فخر الدين الرازى ، المطبعة اليهية المصرية ، ط ١ ١٣٥٧-١٩٣٨
- وط ٢: دار الكتب العلمية طهران
- تفسير المنار
- محمد رشيد رضا دار المعرفة ط ٢ بالاوفست
- تبيين البليس
- لابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزى ، دار الكتب العلمية عن طبعة ادارة الطباعة المنيرية ١٣٦٨هـ
- تمهيد الاوائل وتخصيص الدلائل :
- لابي بكر محمد بن الطيب الماقلاني . ت : عطاد الدين احمد حيدر
- مؤسسة الكتب الثقافية ط ١ بيروت ١٤٠٧ - ١٩٨٧م
- التنظيم الرهباني في الكنيسة الطارونية
- الاب يوسف محفوظ ت : الاب يوحنا خليفة ، المركز الوطني للبحوث العلمية
- في باريس طبع في بيروت ١٩٧٠ م مطابع مؤسسة الارز .
- تهافت الملطانية .
- د . عطاد الدين خليل . مؤسسة الرسالة . ١٣٩٩هـ - ١٩٦٩م
- التوراة بين الوثنية والتوحيد :
- سهيل دين ، دار النفايس بيروت ١٤٠١هـ - ١٩٨١
- التوراة السامرية
- ت : د . احمد حجازى السقا ، دار الانصار ط ١ ١٣٩٨هـ ١٩٧٨ القاهرة

- جامع الاصول في احاديث الرسول :
- لابن الاشير الجزري . ت : عبد القادر الارناؤوط ، ط ١٣٩٢-١٩٧٢
- جامع البيان في تفسير القرآن :
- لابي جرير الطبري ، دار المعرفة بيروت ١٤٠٠-١٩٨٠
- الجانب الالهي في الفلسفة الاسلامية
- د . محمد البهي ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧
- الجامع لاحكام القرآن :
- للامام القرطبي ، محمد بن احمد القرطبي ، دار الكتب المصرية القاهرة ١٣٥٣ هـ
- ١٩٥٧ ، وط ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م
- جسيم الفوائد ، الجامع لكتب السنة الطاهرة
- محمد بن سليمان الروداني المغربي ط ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣
- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح :
- للامام ابن تيمية . مطابع المجد التجارية
- جهاد المسلمين في الحروب الصليبية :
- فايد حطاب عاشور ، مؤسسة الرسالة ط ٣ ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥
- الحافظ الخطيب البغدادي واثره في طوم الحديث :
- د . محمود الطحان ، دار القرآن الكريم ط ١ بيروت ١٤٠١ هـ ، ١٩٨١
- حرب في الكنائس :
- د . أسد رستم ، ط ٢ بيروت ١٩٦٧
- الحركات الباطنية في الاسلام .
- مصطفى غالب ، دار الكتاب العربي بيروت
- الحركة الصليبية :
- د . سعيد عبد الفتاح عاشور مكتبة الانجلو المصرية ط ٣ القاهرة ١٩٧٨ م
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة :
- للحافظ جلال الدين السيوطي ، ت : محمد ابو الفضل ابراهيم دار احيا
- الكتب العربية همس البابي الحلبي ط ١ ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧
- حضارات الهند :
- فوستاف لوبون ت ، طادل زعيتر دار احيا الكتاب العربي القاهرة ، همس
- البابي الحلبي ط ١ ١٣٦٧ - ١٩٤٨



- حضارة العرب :
- فوستاف ليهون ، عادل زهير القاهرة مطبعة عيسى الباهي الحلبي ، ١٩٦٩
- حكمة الاديان الحية :
- جوزيف كايبر ، دار مكتبة الحياة ت : حسين الكيلاني بيروت ١٩٦٤
- الحطة الصليبية الرابعة وسوء طية انحرافها ضد القسطنطينية :
- د . اسمت غنيم ، دار المجمع العلمي بجدة ١٣٩٨ هـ
- حياة بوذا :
- أ . فاردينان هارولد ت : فليب عطا الله ، دار الروائع الجديدة ط
- ١٩٧٥
- الحياة الرهبانية
- رهينة طارجا ورجيوس - دير الحرف - منشورات النور
- الحياة العلية في الشام : في القرنين الاول والثاني للهجرة :
- خليل داود الزرو ، دار الافاق الجديدة ط ١٩٧١ بيروت
- حياة المسيح :
- عباس محمود العقاد : المجموعة الكاملة دار الكتاب اللبنانية بيروت ط
- ١٩٧٨
- خصائص التصور الاسلامي ومقوماته :
- سيد قطب ، دار الشروق ط ٧ ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠
- خلاصة التصوف السني :
- أدولف تانكرة ، ت : يوسف فرج ، الطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٥٧
- الخلاصة الشبيهة في اخص العقائد والتعاليم الارثوذكسية :
- افلاطون مطران موسكو ، ت : الخوري يوحنا حزبون ، مطبعة كرم بيروت
- ١٩٥٧
- دائرة المعارف ،
- بطرس البستاني دار المعرفة ، تهران ناصر خسرو ياسار مجيدى
- دائرة المعارف :
- فؤاد افرام البستاني : الطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٧٧
- دائرة معارف القرن العشرين :
- محمد فريد وجدى ط ٣ دار المعرفة بيروت - ١٩٧١
- دراسات فلسفية واخلاقية :
- د . محمد كمال جعفر مطبعة حسان ١٩٧٧

- دراسات في العصر الهلنستي  
لطفي عبد الوهاب يحيى ، دار النهضة العربية ، بيروت
- دراسات في الفرق والعقائد الاسلامية :  
د . عرفان عبد الحميد ، مؤسسة الرسالة ط ١ ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤
- دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة .  
موريس بوكاي ، دار المعارف بصر .
- دعوة التوحيد :  
د . محمد خليل هراس ، مكتبة الصحابة - طنطا
- دعوة الحق بين التسيحية والاسلام .  
منصور عبد العزيز ط ٢ ١٩٧٢
- الديارات :  
لابي الحسن الشاهوشي . ت : كوركيس هواد ، منشورات مكتبة المثنى طبعة  
المعارف بغداد ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م
- الديانات القديمة :  
محمد ابو زهرة ، دار الفكر العربي .
- الديانات والعقائد :  
احمد عبد الغفور عطار مكة المكرمة ١٤٠١ - ١٩٨١
- ديانة قدماء المصريين :  
استيندروف : ت : سليم حسن ، طبعة المعارف بصر ط ١ ١٩٢٣
- الديسن :  
محمد عبد الله دراز ، طبعة السعادة مصر ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م
- ديوان امرى القيس  
محمد ابو الغفل ابراهيم دار المعارف بصر ط ٣ القاهرة ١٩٦٩
- دور اليهود في الفرق الباطنية .  
احمد محمد مغربي رسالة ماجستير جامعة ام القرى بمكة المكرمة ١٤٠١ - ١٩٨١
- الدولة والامبراطورية في العصور الوسطى :  
ل . م هارتمان ج باراكلافات : جوزيف نسيم يوسف دار المعارف بصر ١٩٧٠
- الذات الالهية بين الاسلام والنصرانية  
عبد الشكور محمد امان عبد الكريم ، رسالة ماجستير ، جامعة ام القرى ( جامعة  
الملك عبد العزيز سابقا ) ١٣٩٦ - ١٩٧٦

- رسائل ابطال الرسل في العهد الجديد واثرها في انحراف المسيحية :
- سعيد عقيل سراج ، رسالة ماجستير ، جامعة ام القرى ، مكة المكرمة ١٤٠٦-١٤٠٧
- رسالة اليونيسكو :
- عدد ٢٦١ سنة ١٩٨٣ القاهرة .
- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة .
- السيد محمد بن جعفر الكتاني ، مكتبة الكليات الازهرية القاهرة .
- الرهبانية الباسيلية الشهيرة :
- د . أ . حاج ط ١٩٧٤ لبنان .
- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني
- لابي الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسي البغدادي ، دار الفكر ببيروت
- ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨
- زاد السير في طم التفسير :
- عبد الرحمن بن الجوزي ، المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ط ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧
- الزنا ومكافحته
- عمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧ ببيروت
- الزواج :
- عمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة ط ٣ ١٤٠٤ - ١٩٨٤
- سلاسل المناظرات الاسلامية بين شيخ وقسيس :
- عبد الله العلي ، ط ١ ١٣٩٠هـ
- سنن الداربي
- لابي محمد عبد الله الداربي ، دار احياء السنة النبوية .
- سوسيطولوجية الحضارات القديمة :
- د . صلاح فوال ، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٨٢
- سيرة المسيح وتعاليمه :
- دنيس كلارك ، دار ضهل الحياة ببيروت ١٩٧٧
- شجرة الحضارة :
- رالف رالتون ، د . احمد فخرى ، مكتبة الانجوا المصرية ١٩٦١
- شرح الكافية الشافية :
- محمد بن عبد الله بن مالك الطائي ت : د . عبد المنعم هويدي ، دار الطائون
- للتراث .

- شرح كتاب الفقه الاكبر :  
الملاطي القاري ، دار الكتب العلمية ١٤٠٤ - ١٩٨٤ بيروت
- شري ايشويانيشا د  
ا . س . بكطي فيدانتاسوامي برايوياض ، لوس انجلوس لندن بومبي ط ١٩٢٤  
راطاناري ضاش برهطشاري ( رايح بونس ) .
- الشخصية الاسرائيلية :  
د . حسن ظاظا ، دار القلم - دمشق ط ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥
- شرح المواقف في علم الكلام :  
للسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني ت : د . احمد المهدي مكتبة الازهر  
دار الحماي للطباعة
- صحيح الاطام البخاري :  
المكتب الاسلامي محمد اوزد مير - استانبول تركيا ١٩٢٩
- صحيح مسلم بشرح النووي :  
الطبعة المصرية ومكتبتها و ط : دار احياء التراث الاسلامي بيروت ط ١٩٢٢
- صفحات ضئيلة من تراث الاسلام :  
انور الجندی دار الاعتصام ١٩٢٩
- طبقات الامم  
لابي القاسم صاعد بن احمد الاندلسي ، مطبعة السعادة بمصر  
طبعة في عهد امسحوتب الثالث .
- اليزابيث رايفشتال ت : ابراهيم رزق مكتبة لبنان بيروت ١٩٦٢
- طارضة الاحوذى بشرح صحيح الترمذى  
محمد بن عيسى ، مكتبة المعارف لبنان
- عالم العصور الوسطى  
ج . ج . كولستون ، ت : د . جوزيف نسيم يوسف ، مؤسسة شباب الجامعة ١٩٨٢  
الاسكندرية . مصر
- العبادة المسيحية :  
الارشند ريت الياس مؤسسة خليفة للطباعة لبنان ١٩٨١
- العرب واليهود في التاريخ :  
د . احمد سوسة ، العربي للاعلان والنشر والطباعة والترجمة ١٩٢٥
- العقائد الوثنية في الديانة النصرانية  
محمد طاهر التتير ط ١٣٣٠ بيروت

- عقيدة الدرر
- محمد احمد الخطيب ، مكتبة الاقصى الاردن ط ١ - ١٤٠٠ - ١٩٨٠
- العقيدة والشريعة في الاسلام :
- جولد زيهير ط ٢ ت : محمد يوسف موسى وطي حسن عبد القادر وعبد العزيز
- عبد الحق . دار الكتب الحديثة بمصر ومكتبة الشئى ببغداد .
- العلاقة السياسية والثقافية بين الهند والخلافة العباسية :
- محمد يوسف النجرامي ، دار الفكر بيروت ط ١ - ١٣٩٩ - ١٩٧٩ م
- العلطانية نشأتها وتطورها
- سفر عبد الرحمن الحوالي دار مكة ط ١ - ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢
- طم الاجتاع الديني :
- د . زهدان عبد الباقي مكتبة غرب القاهرة .
- عدة القارى شرح صحيح البخارى :
- بدر الدين العيني ، دار احياء التراث العربي بيروت
- العودة للتجسد . :
- د . رؤوف عبيد ، دار الفكر العربي القاهرة .
- العيشة الهنية في الحياة النسكية :
- لانرام الديراني ، الطبعة الادبية بيروت ١٨٩٩ م
- غرب الحديث :
- لابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم ط ١ - ١٣٩٧ هـ طبعة العاني ببغداد ت :
- عبد الله الجبوري .
- الغائق في غرب الحديث :
- محمود بن عمر الزمخشري . ت : طي محمد البيجاوي ، محمد ابو الفضل ابراهيم
- عيسى الباهي الحلبي - القاهرة
- فتح البارى ، بشرح صحيح البخارى :
- للحافظ ابن حجر العسقلاني . مصطفى الباهي الحلبي ١٣٧٨ هـ
- فتح القدير :
- للاطام الشوكاني ، ط ١ - ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م
- فتوح القدير على الهداية :
- كطل الدين احمد بن الهمام ، مصطفى الباهي الحلبي ط ١ - ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠
- فجر الضير :
- جيمس هنرى برستيد ت : سليم حسن دار مصر للطباعة

- الفصل في الطل والاهواء والنحل :
- للإمام ابن حزم الظاهري ، مكتبة وطبعة محمد طي صبيح وأولاده ، القاهرة
- فضائح الباطنية :
- لابي حامد الغزالي ت : د . عبد الرحمن بدوي مؤسسة دار الكتب
- الثقافية ، الكويت
- الفقه الاسلامي طي المذاهب الاربعه :
- عبد الرحمن الجزيري ، دار الارشاد والتأليف . مصر
- الفقه الاسلامي وادلته :
- د . وهبة الزحيلي ، دار الفكر بيروت ط ١ ١٤٠٤ - ١٩٨٤
- الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي :
- د . محمد المهدي ، دار الفكر بيروت ط ٥ ١٩٧٠
- الفكر الفلسفي الهندي :
- سرفيالي راداكشنا ود . شارلز مور ت : ندرة اليازجي دار البيقظة العربية
- فلسفات الهند :
- جان فيليوزات ت : علي مقلد : المنشورات العربية الطبعة البوليسية
- ١٩٧٦
- الفلسفات الهندية :
- د . علي زيمور دار الاندلس ط ١ ١٩٨٠ بيروت
- فلسفة الفكر الديني بين الاسلام والسيحية :
- لويس غريدييه ، ج . قنواقي ت : د . صبحي الصالح ، والاب فريد جبر
- دار العلم للملايين ط ٢ بيروت ١٩٧٩
- الفلسفة في الشرق :
- بول طسون اوربيسيل ، ت : محمد يوسف موسى ، دار المعارف بمصر
- الفهرست
- محمد بن اسحق محمد بن النديم دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت
- في ظلال القرآن :
- سيد قطب دار الشروق ط ١٠ ١٤٠٢ - ١٩٨٢
- قاموس الكتاب المقدس :
- نخبة من اساتذة اللاهوت ط ٢ ١٩٧١
- قصة الاديان :
- رفقي زاهر ط ١ دار المطبوعات الدولية مصر ١٤٠٠ - ١٩٨٠

- قصة الحضارة :
- ول ديورانت ت : محمد بدران لجنة التأليف والترجمة والنشر جامعة الدول العربية ١٩٦٤ - وط : ٣ - ١٩٧١ وط ٢ مطبعة لجنة التأليف والترجمة ت : زكي نجيب محمود سنة ١٩٥٧ .
- القاموس المحيط :
- للغبيروز ابادى ، ط ١ المطبعة الحسينية المصرية . ١٣٣٠ هـ
- الكتب التاريخية في العهد القديم :
- د . مراد كامل ، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٨
- الكرمل :
- الاب البهرايون : مطبعة الاديب البغدادية ١٩٧٨
- الكشاف عن حقائق التنزيل وهيون الأقاويل في وجوه التأويل :
- ابو القاسم جار الله محمود الزمخشري : دار الفكر - بيروت
- كشف الغطاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث طي السنة الناس :
- اسماعيل المعجلوني ت : احمد القلاش مؤسس الرسالة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩
- الكنائس الشرقية عبر التاريخ :
- الاباتي بطرس فهد مطابع الكرم الحديثة - جونية ١٩٧٢
- كنتم خيرامة اخرجت للناس :
- خير الله طلفاح دار الحرية للطباعة بغداد ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨
- كنز قرمان : مدارج البحر الميت :
- الطران اثنا سيوس يشوع صموئيل ، ت : القس الفونس شوريز - نشر تاوفيلوس جورج صليبا ١٩٨٥ لبنان
- لسان العرب :
- جمال الدين محمد بن منظور ، دار صادر بيروت ١٣٨٨ هـ
- التآسي والصور الغوامض :
- محمد عبد الله عنان ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٤
- طائفة أفلاطون :
- محمد لطفي جمعة ، مكتبة التأليف - شارع عبد العزيز بصر
- طارون - قديسوا القورشية :
- البيير جيور ، المنشورات الارثوذكسية مكتبة السائح طرابلس لبنان ١٩٨٥
- مبادئ الفلسفة :
- أ . س ، رابويرت ت : احمد امين ، دار الكتاب العربي بيروت ١٩٧٩ م

- البسوط :
- لشمس الدين ، محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي ، ط ٢ ط دار المعرفة  
المجددون في الاسلام من القرن الأول الى الرابع عشر :
- عهد المتعال الصعدي ، مكتبة الاداب ، القاهرة .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد :
- ابو بكر الهيثمي بتحرير الحافظ العراقي وابن حجر ط ٣ دار الكتاب العربي  
١٤٠٢-١٩٨٢ بيروت .
- مجموعة الرسائل الكبرى :
- للإمام ابن تيمية ، مكتبة انس بن مالك ١٤٠٠ هـ مصر  
المجموع شرح مذهب الشيرازي :
- يحيى بن شرف النووي ت : محمد نجسيب الطيبي : ذكرها علي يوسف  
طبعة الامام بصر .
- مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية :
- ت : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصي ، ط ١ - ١٣٩٨ هـ .  
طابع العربية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت .
- محاسن التأويل " تفسير القاسي "
- محمد جلال الدين القاسي ت : احمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ط ٢  
بيروت ١٣٩٨-١٩٧٨
- محاضرات في تاريخ الفلسفة القديمة :
- د . محمد جلال شرف مكتبة كريدية اخوان ، بيروت ١٩٨٠
- محاضرات في النصرانية :
- الشيخ محمد ابو زهرة ، دار الفكر العربي مصر ط ٥ ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م
- محاكم التفتيش ، نشأتها ونشاطها :
- د . اسحق عبيد ، دار المعارف مصر ، ١٩٧٨
- السحلي :
- للإمام ابن حزم ت : احمد محمد شاكر ، المكتب التجاري للطباعة والنشر  
بيروت .
- محيط المحيط :
- بطرس البستاني مكتبة لبنان بيروت ، ١٩٧٧
- مختار الصحاح :
- لابي بكر الرازي ، ط دار الفكر ١٣٩٨ هـ
- المختار في الرد على النصارى :
- عمرو بن بحر الجاحظ ، ت : محمد عبد الله الشرقاوي ، دار الصحوة  
القاهرة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤



- مختصر تاريخ الدول :
- غريغوريوس الططبي المعروف بابن العبري ، ط ٢
- مختصر تاريخ سوريا :
- المطران يوسف الدبس ، ط ٢ لبنان ١٩٨٤
- مختصر سنن ابي داود
- للحفاظ المنذرى ت : محمد حامد الفقي ، مكتبة السنة المحمدية .
- مخطوطات البحر الميت :
- حسين عمر حمادة دار منارات للنشر عمان الاردن ١٩٨٢
- مخطوطات البحر الميت :
- محمود العابدي ، جمعية عمل المطابع التعاونية عمان ١٩٦٧م
- مخطوطات البحر الميت والبحث في اصول النصرانية الاولى
- د . فاروق عمر عبد الله ، جامعة الطك عبد العزيز جدة كلية الاداب
- والدراسات الانسانية محاضرة القايت في ربيع الاول سنة ١٤٠٦ هـ
- المخطوطات العربية لكتبة النصرانية :
- للاب لهيس شيخو نشرته مجلة الشرق اللبانية اعيد طبسها في
- الثانية ، ١٩٨٠
- المدخل الى دراسة الأديان والذاهب :
- العميد عبد الرزاق محمد اسود ، دار السيرة ، الدار العربية للموسوعات
- بيروت ١٤٠١-١٩٨١
- مدخل في تاريخ الاديان :
- محسن العابد : دار الكتاب بسوسة ١٩٧٣
- مذاهب الاسلاميين :
- د . عبد الرحمن بدوي ، دار العلم للملايين ط ١ بيروت ١٩٧٣
- مذاهب فكرية معاصرة :
- محمد قطب ، دار الشروق ط ١ ١٤٠٣-١٩٨٣
- المذاهب الكبرى في التاريخ :
- البان . ج ويد جيري ت : ذوقان قرقوط دار القلم ط ٢ بيروت ١٩٧٩
- المرأة في الشعر الجاهلي
- د . احمد محمد الحوفي دار الفكر العربي ط ٢ مطبعة المدني
- مسألة المنبوذين في الهند :
- عبد العزيز الشعالبي ، دار الغرب الاسلامي بيروت ١٤٠٤-١٩٨٤
- الستدرك طي الصحيحين :
- للحاكم ( محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم ) ، دار المعرفة للطباعة والنشر
- مكتب المطبوعات الاسلامية - حلب .

- سند الاطام أحمد بن حنبل :  
المكتب الاسلامي ، دارالفكر ط ، بيروت
- المسيح ابن مريم  
جاك جومير ، وسامي البافي دارالكلمة بيروت ١٩٦٦
- المسيح في القرآن والتوراة والانجيل . :  
عبد الكريم الخطيب دارالكتب الحديثة مصر ص ط ١ ١٣٨٥ - ١٩٦٥
- المسيح في مفهوم معاصر :  
عصام الدين حفني ناصف . دارالطبعة ط ١ ١٩٧٩ م
- المسيحية :  
د . احمد شلبي مكتبة النهضة المصرية القاهرة ط ٦ ، ١٩٧٨
- المسيحية نشأتها وتطورها :  
شارل جينبير ، المكتبة المصرية ت : د . عبد الحلیم محمود ، صيدا لبنان
- مصرع التصوف :  
برهان الدين البقاعي ، ت : عبد الرحمن الوكيل ، ادارة الطباعة  
المنيرية ١٣٦٨ هـ - دارالكتب العلمية ، بيروت لبنان .
- مصر القديمة :  
سليم حسن ، مطبعة دارالكتب المصرية ١٩٤٩
- مصر والعرب واسرائيل في الكتب المقدسة :  
د . محمد احمد محمد حسن ، دارالمعارف بمصر ١٩٨٠
- معالم أصول الدين :  
فخر الدين الرازي ت : طه عبد الرؤوف سعد ، دارالكتاب العربي بيروت
- معالم تاريخ الانسانية :  
هـ . ج . ولز ، عبد العزيز توفيق جاويد ط ٣ لجنة التأليف والترجمة مصر ١٩٦٧
- معالم تاريخ اوربا في العصور الوسطى :  
د . محمود سعيد عمران دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٢ م
- معالم تاريخ العصور الوسطى :  
محمد رفعت ، وأحمد حسونة ط ٢ مصر ١٩٢٦
- معالم الحضارة في الاسلام :  
د . عبد الله طوان ، دارالسلام القاهرة ط ٢ ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤
- معجم الالفاظ والاعلام القرآنية :  
محمد اسمايل ابراهيم ، دارالفكر العربي ، القاهرة

- المعجم المفهرس " تجريد أسانيد الكتب المشهورة والاجزاء المنشورة " : لابن حجر ،  
ميكروفيلم بمكتبة مركز البحث العلمي بجامعة ام القرى تحت رقم ٧٥٤ نسخة  
صورة عن دار الكتب المصرية .
- معجم المؤلفين :  
عمر رضا كحالة ، مكتبة المثنى دار احيا التراث العربي ، بيروت
- الحفني :  
لابن قدام ، مكتبة الرياض الحديثة الرياض .
- مغني المحتاج :  
لابي زكريا يحيى بن شرف النووي ط ١٣٧٧ هـ
- المفردات في غريب القرآن :  
ابو القاسم الراغب الاصفهاني ، ت : احمد سيد كيلاني ، مصطفى الباهي الحلبي  
صر ١٣٨١ - ١٩٦١
- الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام :  
د . جواد طي دار العلم للملايين ط ١٩٨٠
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الاحاديث المشتهرة على الالسنه  
للمحافظ محمد بن عبد الرحمن السخاوي ت : عبد الله محمد الصديق ، دار  
الكتب العلمية بيروت ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩
- مقالات الاسلاميين :  
لابي الحسن الاشعري ت : محمد محيي الدين عبد الحميد مكتبة النهضة  
المصرية ط ١٣٨٩ - ١٩٦٩
- مقام الصليبان :  
احمد بن عبد الصمد الخرزجي . ت : عبد المجيد الشرفي ، الشركة التونسية  
لفنون الرسم ، تونس ١٩٧٥
- ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق  
د . احمد سوسة مركز الدراسات الفلسطينية جامعة بغداد ط ١٩٧٨
- المطاليك والفرنج :  
د . احمد دراج ، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٦١
- من افلاطون الى ابن سينا :  
د . جميل صليبا دار الاندلس ١٤٠١ - ١٩٨١
- منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب ،  
عبد العزيز بن حمد بن ناصر آل معمر ، دار تحقيق للنشر والتأليف ، الطائف  
المملكة العربية السعودية ط ١٣٩٨ - ١٩٧٨

- من روضة الى مكة :
- خير النساء دى ساراواك ت : رأفت شنيور : مطبعة اللوا طرابلس الشام  
١٩٣٥ م لبنان .
- منظومة الامام ابو بصيرى في الرد على النصارى واليهود :
- محمد بن سعيد بن حطاب ابو بصيرى ت : أحمد حجازى السقا : مكتبة  
المدينة المنورة بحصر ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩
- منهج التربية الاسلامية
- محمد قطب ط ٢ دار الشروق بيروت
- منهج السنة في الزواج :
- د . محمد الاحمدى ابو النور ط ١ دار النصر للطباعة ١٣٩٢-١٩٧٢ القاهرة
- موسمرسى : " كتاب الهند وس المقدس "
- ت : احسان حقي دار اليقظة العربية ط ١
- مهاتم غاندى
- رومن رولان ت : عمر فاخورى مطبعة طبارة بيروت
- مواهب الجليل لشرح مختصر خليل :
- لاي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن مكتبة النجاح ، ليبيا
- الموسوعة الاثرية العالمية :
- لمجموعة من العلماء باشراف ليونارد كوتيريل ت : د . محمد عبد القادر محمد
- د . زكي اسكندر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٧٧
- موسوعة التاريخ الاسلامي :
- د . عبد الله ميسر الطرازى عالم المعرفة جدة ط ١ ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣
- موسوعة تاريخ العالم :
- وليم لانجر ، ت : د . مصطفى زيادة مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٤
- الموسوعة الهسرة :
- محمد شفيق غربال ، دار نهضة لبنان
- الموسوعة الفلسطينية :
- العبيد عبد الرزاق محمد الاسود ، دار العربية للموسوعات ١٩٧٨
- الموسوعة الفلسفية :
- م . روزنتال ، ي يودين ت : سمسير كرم ، دار الطلبة بيروت ط ٢
- ١٩٨٠
- موسوعة الفاهيم والمصطلحات الصهيونية :
- د . عبد الوهاب محمد المسيرى ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية  
بالاهرام ١٩٧٤

- الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية :
- د . عبد المنعم الحفني ط ١ دار السيرة ببيروت / ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠
- موقف الاسلام من نظرية ماركس للتفسير الطوي للتاريخ :
- احمد العوايشة ط ١ دار مكة ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢
- موقف الاسلام والكنيسة من العلم :
- عبد الله المشوخي مكتبة المنار ، الاردن الزرقاء ط ١ ١٤٠٢
- موقف الدين من العلم :
- الشيخ محمد نمر الخطيب ، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ط ١
- ١٩٨٢ هـ - ١٤٠٢
- ميلاد العصور الوسطى
- هـ . سانتال . ب . موس ، ت : عبد العزيز جاويد - سيد الباز العربي
- ظلم الكتب القاهرة ١٩٦٧
- نسكيات :
- اسحق السرياني ت : الاب اسحق عطالله منشورات النور بيروت ١٩٨٣
- نشأة الدين :
- د . طي سامي النشار ، دار نشر الثقافة بالاسكندرية مطابع طه بين ط ١٣٦٨
- ١٩٤٩
- نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام :
- د . طي سامي النشار دار المعارف ط ٧ ١٩٧٧
- نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها
- د . عرفان عبد الحميد فتح الكتب الاسلامي بيروت ١٣٩٤ - ١٩٧٤
- نصارى العراق في العصر العربي :
- جاسم صكيان الربيعي ، كلية الاداب جامعة بغداد ١٩٧٤
- النصيحة الايطانية في فضيحة الطة النصرانية
- لنصر يسسبن يحيى بن عيسى المتطبيب المهتدي ت : محمود قدح
- رسالة ماجستير الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة - ١٤٠٧ - ١٩٨٧
- نظام الاسرة بين المسيحية والاسلام :
- د . محمود عبد السميع الشعلان دار المعلوم والنشر ١٤٠٣ - ١٩٨٣
- نظام الزواج في اليهودية والمسيحية :
- د . محمد شكري سرور دار الفكر العربي بصر ١٩٧٩
- نفاق اليهود :
- مارتن لوثر : حجاج نوبهض دار الفكر ط ١ ١٣٩٤

نقض اوهام الطادية الجدلية :

د . محمد سعيد رمضان البوطي دار الفكر ط ٢ دمشق ١٣٩٩ - ١٩٧٩

نوادر المخطوطات :

عبد السلام هارون ، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٧٣

١٩٥٤

النهاية في غريب الحديث والاثر -

مجد الدين ابي السعادات ابن الاثير ت : د محمد الطناحي المكتبة الاسلامية

ط ١ ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣

هداية الحيارى في اجوبة اليهود والنصارى

لابن قيم الجوزية ، مطابع المدينة - الرياض

هدية العارفين :

اسماعيل باشا البغدادي ، منشورات مكتبة المشى بغداد ط . بالافست استانبول

استانبول ١٩٥١

الهند القديمة حضاراتها ودياناتها :

د . محمد اسماعيل الندوي ، دار الشعب مصر ١٩٧٠

وثائق دير صهيون بالقدس الشريف :

د . احمد دراج : مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٨

الوجود الالسهسي

سانتيلانا . ت : عصام الدين محمد علي ، مؤسسة الخافقين دمشق ط ١

١٩٨١ بيروت

وسائل ومقاومة الغزو الفكر للمعالم الاسلامي .

د . حسان محمد حسان دار الاصفهاني جدة ١٤٠٥

وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس اليه .

د . محمد الزحيلي ، دار القلم ط ١٣٩٧ - ١٩٧٧

يا أهمل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء :

د . رؤوف شلبي ، دار الاهتمام ، القاهرة ط ٢ ١٤٠٠ - ١٩٨٠

اليهودية :

د . احمد شلبي ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الرابعة ١٩٧٤

اليهود في تاريخ الحضارات الاولى :

د . غوستاف ليهون ت : طادل زيمتر ، عيسى الباجي الحلبي وشركاه

١٩٧٠

اليهود في مصر في عصر البطالمة : د . مصطفى كمال عبد العليم مكتبة القاهرة

الحديثة ١٩٦٨ .

يوحنا المعمدان . د . احمد حجازي السقا دار التراث العربي مصر ١٩٧٨

### ثبت الدوريات :

- جريدة الرياض عدد ٦٠٠٧ السنة ٢١ ١١/٣/١٤٠٥ - ٢/٢ ديسمبر ١٩٨٢  
المملكة العربية السعودية
- جريدة المسلمون العدد ٩٨-٩٩-١٩ ربيع الثاني ١٤٠٧ هـ  
٢٠ ديسمبر ١٩٨٦ المملكة العربية السعودية
- مجلة الازهر عدد محرم ١٣٧٩ القاهرة
- مجلة التضامن : الشركة العربية المبريطانية للنشر والتوزيع والاعلام  
المحدودة عدد ٤ تاريخ ٧/٥/١٩٨٣ لندن
- مجلة ثقافة الهند عدد ٣ سنة ١٩٥١ الهند
- مجلة الحوارات العدد ١٣٠٥ ١٩٨١ ٦ تشرين الثاني نوفمبر  
لندن .
- مجلة المجتمع عدد ٦٤٨ ربيع الاول ١٤٠٤ الكويت
- مجلة المسلمون العدد ٢٢ سنة ١٤٠٢ - المملكة العربية السعودية
- مجلة المشرق : تصدر في لبنان ، مجموعة أعيد نشرها عام ١٩٨٠  
في الطانية .
- مجلة اليمامة عدد ٨٠٤ ٢٢ شعبان ١٤٠٤ المملكة العربية السعودية

### المراجع الاجنبية :

- \_ EARLY INDIAN RELIGIONS . P. BANERJEE, NEW DELHI  
INDIA . 1975
- \_ ENCYCLOPAEDIA BRITANICA . V:10. PRESS.1974
- \_ ENCYCLOPAEDIA OF RELIGION AND ETHICS . EDIT BY JAMES  
HASTINS. NEW YORK . 1974
- \_ MAN'S RELIGIONS . JOHAN . B . MOSS . MACMILLAN  
PUBLISHING CO. IMS. NEW YORK. 1980

## "الفهرس"

رقم الصفحة

الموضوع

## المقدمة

التمهيد : ويشمل

- ١ أ - الرهبنة : لغة واصطلاحا  
٥ وأهمية الجانب العقدي في التعرف  
الاصطلاحي  
٧ ب - عوامل الخوف والرهبنة في الحياة البشرية  
٨ - النظريات الباحثة في نشأة الدين وأثره  
- النظريات المولمبة - النظريات التطورية  
- رأى الاسلام في نشأة الدين .  
١١ الهباب الاول : الرهبنة المصرية القديمة

## الفصل الاول : العقائد وتطورها

- ١٢ اولا : عبادة الظواهر الطبيعية  
١٣ ثانيا : عبادة الحيوانات  
١٤ ثالثا : تأليه البشر  
١٦ رابعا : الهوم الاخر  
١٧ خامسا : تناسخ الارواح .

## الفصل الثاني : بوادر نشأة الكهان والرهبان

- ١٩ اولا : بوادر النشأة  
٢٠ ثانيا : الصور الاولى للتميز .  
٢٠ ثالثا : بدايات الرهبنة  
٢١ رابعا : المظاهر التعبدية

## الفصل الثالث : الرهبان ، مبادئهم ، طوبىهم ،

## طبقاتهم

- ٢٣ اولا : سمات واصاف الرهبان  
٢٥ ثانيا : المعارف والعلوم  
٢٦ ثالثا : طبقات الكهنة وسهامهم  
٢٩ رابعا : الامتيازات والمخصصات الكهنوتية  
النتائج : مقارنة بين الاهداف والنتائج الناجمة  
٣٠ عن اعمال الرهبان



- ٣٢ الباب الثاني : الرهينة الهندوسية
- ٣٣ التمهيد : أ - سكان الهند الاصليون
- ٣٤ - معالم الديانة الهندية القديمة
- ٣٧ ب - الغزاة الآريون ، آثارهم في الهند  
- المعبودات الآرية .
- ٤١ الفصل الاول : العقائد الهندوسية المتصلة بالرهينة  
ونقد هـا
- ٤١ اولا : تعدد الالهة - التثليث
- ٤٥ ثانيا : الكارمسا
- ٤٧ ثالثا : تناسخ الارواح
- ٥١ رابعا : الاتحاد ، أو الانطلاق
- ٥٤ خامسا : الطول أو التجسد
- ٥٦ سادسا : وحدة الوجود
- ٦٠ الفصل الثاني : الفرق الدينية ، والعباد الهندوسية
- ٦٠ اولا : الفرق الدينية
- ٦٢ ثانيا : الكتب المقدسة
- ٦٤ أ - الفيدا واقسامها
- ٦٩ ب - قوانين مانو
- ٧٠ الفصل الثالث : نظام الطبقات الهندوسي ونقده
- ٧٠ اولا : كيف نشأ نظام الطبقات
- ٧٢ ثانيا : تقسيم الطبقات
- ٧٧ ثالثا : الفوارق الطبقيّة
- الفصل الرابع : نظام الرهينة الهندوسي ، العبادي<sup>١</sup>
- ٨١ والمراحل ، والصور
- اولا : العبادي<sup>١</sup> ، والصور
- ٨٣ ثانيا : المراحل الاربعة
- ٨٨ ثالثا : العبادات وصورها
- الفصل الخامس : النتائج التي آلت اليها الرهينة  
الهندوسية
- ٩٢

- ٩٧ الباب الثالث : الرهبنة الجينية
- ٩٨ التمهيد : أ - أسباب النشأة
- ٩٩ ب - مؤسس الحركة
- ١٠٢ الفصل الاول : العقائد الجينية ونقدها
- ١٠٢ اولا : أهم العقائد
- ١٠٤ ثانيا : الكارما ، وتناسخ الارواح
- ١٠٥ ثالثا : النظرية النسبية
- ١٠٦ رابعا : فرضية المادة الذرية
- ١٠٧ خامسا : الخلاص
- ١٠٩ الفصل الثاني : العبادات الموصلة للخلاص
- ١١٢ اولا : أهمية اليوغا في الرهبنة الجينية
- ١١٢ ثانيا : قانون أهسا ، والنقد الموجه اليه
- ١١٥ ثالثا : البعد عن النساء
- ١١٨ رابعا : تسطير وتبدل الانظمة
- ١٢٠ الفصل الثالث : الفرق ، وتطورات الرهبنة
- ١٢٠ اولا : الفرق الجينية
- ١٢٢ ثانيا : أثر التطور في الرهبنة
- النتيجة التي آلت اليها الرهبنة الجينية ونقدها
- ١٢٥

- ١٢٦ البصائر الرباعية : الرهبنة البوذية
- ١٢٨ التمهيد : أ - مصادر الفكر البوذي
- ١٣٠ ب - حياة بوذا
- ١٣٤ ج - آراء حول شخصيته
- ١٣٧ الفصل الاول : العقائد البوذية ونقدها
- ١٣٧ اولا : انكار الالهية
- ١٤٠ ثانيا : الكارما
- ١٤١ ثالثا : تناسخ الارواح
- ١٤٣ رابعا : النيرفانا
- ١٤٦ خاصا : مبدأ التغيير الدائم
- ١٤٩ سادسا : اليوغا
- ١٥٠ الفصل الثاني : أثر التطور في الدين ونشأة الفرق
- ١٥٢ اولا : تطور الجانب المادي والفكري
- ١٥٤ ثانيا : ترهب الكهنوت
- ١٥٧ ثالثا : دخول النساء في الرهبنة
- ١٦٠ رابعا : المذاهب البوذية
- ١٦٣ خاصا : الفرق البوذية

### الفصل الثالث :

- ١٦٨ النتائج التي وصلت اليها الرهبنة البوذية  
ونقدها .

- ١٧٤ الباب الخامس : الرهينة اليونانية
- ١٧٥ التمهيد
- ١٧٧ الفصل الاول : الديانة والعقائد
- ١٧٩ اولا : الكهان
- ١٨٠ ثانيا : بدايات الزهد
- ١٨١ ثالثا : بدايات الرهينة
- ١٨٢ الفصل الثاني : العبادات وصورها واثار الرهينة  
في مدارس الزهد والفلسفة .
- ١٨٢ اولا : الممارسات التعبدية
- ١٨٣ ثانيا : الطقوس والشعائر
- ١٨٩ ثالثا : اثر الرهينة في المدارس الزهدية  
والفلسفية
- ١٨٩ الفصل الثالث : اهم المدارس الزهدية
- اولا : نحلة اورفيوس
- ١٩٤ ثانيا : نحلة فيثاغورس
- ١٩٤ ثالثا : نحلة ايزيس ، ومثرا
- ١٩٥ الفصل الرابع : اثر الرهينة في الفلسفة اليونانية

- الباب السادس : الرهينة اليهودية ٢٠٢
- التمهيد : - بدايات الكشف ٢٠٣
- أ - الخلاف حول تسمية اصحاب  
المخطوطات ٢٠٦
- ب - الاماكن والاثار المكتشفة ٢٠٨
- ج - المخطوطات المكتشفة والملاحظات  
حولها . ٢٠٩
- محاولات للتعرف على تاريخ القمranيين  
وهويتهم ٢١١
- الفصل الاول : العالمان السياسية والدينية في عهد  
اليونان والرومان ٢١٧
- اولا : في عهد اليونان ٢١٧
- ثانيا : في عهد الرومان ٢٢١
- الفصل الثاني : العقائد اليهودية ونقدها ٢٣١
- اولا : موقف اليهود من الالهية ٢٣١
- ثانيا : موقفيهم من الانبياء\* والرسل ٢٣٨
- ثالثا : عقيدة اليوم الاخر ٢٤٢
- الفصل الثالث : اسفار اليهود المقدسة ونقدها ٢٤٤
- اولا : نظرة عامة ٢٤٥
- ثانيا : تقسيم التوراة ٢٤٦
- ثالثا : اللغة وتاريخ التأليف والتدوين ٢٤٨
- الفصل الرابع : رجال الدين اليهود ٢٥٤
- أ :- الكهنة ٢٥٤
- ب : الكتبة ٢٥٧
- الفصل الخامس : الفرق اليهودية ٢٥٩
- أ - الصدوقيون ب - الفريسيون ج - السامريون  
د - القنانيون هـ - الناظوريون
- الفصل السادس : عقائد القمranيين ٢٦٨
- الفصل السابع : العبادات ٢٧٧
- الفصل الثامن : الانظمة والعبادات والسيادى\* ٢٧٨
- الفصل التاسع : نقد مبادئ\* وانظمة الرهينة اليهودية  
الترابط بين رهينة القمranيين ورهينة  
المجاطات اليونانية القديمة ٣٠٢

- الباب السابع :  
 ٣٠٤ الرهبانية المسيحية
- التمهيد  
 ٣٠٥
- الفصل الاول : العقائد ونقدها  
 ٣٠٦
- اولا : أسس العقائد المسيحية  
 ٣٠٦
- ثانيا : مدلولات التثليث  
 ٣٠٩
- ثالثا : ملايسات حول الابوة والبنوة في المسيحية  
 ٣١٥
- الفصل الثاني : العوامل المؤثرة في انحراف العقائد  
 النصرانية  
 ٣١٩
- اولا : العوامل الداخلية  
 ٣٢٠
- ثانيا : العوامل الخارجية  
 ٣٣١
- ثالثا : الجهة المستفيدة من الانحراف  
 ٣٤٦
- الفصل الثالث : الاسس العقديّة للرهبانية ونقدها  
 ٣٤٧
- اولا : الصلب ، والفداء  
 ٣٤٧
- ثانيا : الحطول  
 ٣٥٥
- ثالثا : الاتحار  
 ٣٦٢
- الفصل الرابع : اثر الانحراف العقدي على نظرية  
 الرهبانية الى : النفس البشرية ، والزواج  
 والمرأة - ونقدها  
 ٣٧٠
- الفصل الخامس : أثر الاضطهادات في نشأة الرهبانية  
 الفصل السادس : الانظمة والقوانين الديرية ، تطورها  
 وآثارها ، ونقدها  
 ٤١١
- اولا : اوائل التنظيمات الديرية  
 ٤١١
- ثانيا : اسباب سرعة تطور الرهبانية وازدياد اعداد الرهبان  
 ٤١٦
- ثالثا : امثلة لبعض القوانين الديرية وتطورها  
 ٤١٩
- رابعا : اثر القوانين في الصور المغالية للرهبانية  
 ٤٢٩
- خامسا : الاثار السيئة المترتبة على الفلوسوف الرهبانية  
 ٤٣٣
- سادسا : النذور الثلاثة : مناقشتها ، ونقدها  
 ٤٣٥

- ٤٥٧ الفصل السابع : أثر استفلال الكنيسة للرهبانية
- ٤٥٨ اولا : نشأة فكرة الكنيسة وتطورها
- ٤٦٠ ثانيا : اعداد الكنيسة باعداد الرهبان
- ٤٦٣ ثالثا : تطور مفهوم الاسقف
- ٤٦٩ رابعا : الطفغان البابوى والكنسى
- ٤٧١ واهم الشخصيات البابوية
- ٤٧٧ أ : الطفغان الروحى
- ٤٨٢ ب : الطفغان العقلى والفكرى
- ٤٨٦ ج : الطفغان العلمى
- ٤٩١ - أثر الصراع بين العقل والرهبانية
- ٤٩٧ د : الطفغان السياسى
- ٥٠١ هـ : الطفغان المالى والاقتصادى

٥٠٤ الفصل الثامن : موقف الكنيسة المعادى للاسلام  
وأثاره

- ٥٠٤ اولا : الحروب الصليبية
- ٥٠٨ ثانيا : التشهير

٥١١ الباب الثامن : أثر الرهبنة فى البدع الضالفة  
والفرق المغالية المنتسبة للاسلام

٥٢٤ الباب التاسع : موقف الاسلام من الرهبنة وحكمه  
عليها

٥٢٥ الفصل الاول : موقف الاسلام من رهبنة الاديان الوضعيية

٥٣٠ الفصل الثانى : موقف الاسلام من الرهبانية النصرانية  
وحكمه عليها .

٥٤٢ الخاتمة : وفيها نتائج البحث .

- ٥٤٧ فهرس الايات القرآنية -
- ٥٥٣ فهرس الحديث الشريف -
- ٥٥٥ فهرس نصوص من العهد القديم -
- ٥٥٦ فهرس نصوص من العهد الجديد -
- ٥٥٧ فهرس نصوص من رسائل ابطال الرسل -
- ٥٥٩ فهرس تراجم الاعلام -
- ٥٦٠ فهرس المصادر والمراجع -
- ٥١٣ المراجع الاجنبية والدوريات -